الخوارق فى الكتاب المقدس - مجالها ومعناها

كل المعجزات فى الكتاب المقدس

بقلم

هربرت لوكير

ترجمة

ادوارد وديع عبد المسيح

دار الثقافة

Originally Published in the U.S.A.
under the title
ALL THE MIRACLES OF THE BIBLE
Copyright © 1961,1989 by Zondervan Publishing House
Grand Rapid, Michigan

طبعة أولى

كل المعجزات فى الكتاب المقدس

صدر عن دار الثقافة – ص.ب ١٢٩٨– القاهرة

جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم اقتباس أو إعادة نشر أو طبع بالرونيو للكتاب أو أي جزء منه بدون إذن الناشر، وللناشر وحده حق إعادة الطبع)

١٠/ ٨٠٧ ط١/١-١/ ٩٩

رقم الإيداع بدار الكتاب: ١٦٥٦٣/ ٩٩

I.S.B.N. 977 - 213 - 506 - x

جمع وطبع بمطبعة سيوبرس

تصميم الغلاف: إخلاص أسعد

مقدمة الدار

يتحدث الكتاب المقدس ابتداء من سفر التكوين فى العهد القديم إلى آخر سفر فى العهد الجديد « سفر الرؤيا » ، عن كل المعجزات التى حدثت فى التاريخ المقدس . ويرينا هذا التاريخ القصد من كل معجزة والهدف منها . ومن خلال المعجزة يظهر مجد الله ، حيث أنه هو الوحيد مصدر المعجزات وهدفها .

وإذا كانت المعجزة هى حدث ضد طبيعة الأشياء ، مثل إقامة الميت أو شفاء الأمراض المستعصية .. الخ ، إلا أن هذا يؤكد مدى قدرة الله ورحمته وشفقته لشعبه والمؤمنين به .

ودار الثقافة يسعدها أن تقدم هذا الجزء من سلسلة « كل » وهو الخاص بـ (كل المعجزات فى الكتاب المقدس) فى اللغة العربية ، ليتعرف القارئ المصرى والعربى على شرح وافٍ لكل معجزة ، وللتعرف على كل المعجزات التى حدثت فى كل العهود من خلال الأسفار المقدسة ، وأن الله لم يستعمل المعجزة إلا لحدود معينة ولهدف معين . وليتأكد كل مؤمن أن إله الكتاب المقدس هو الإله الأزلى الأبدى إله كل العصور الذى يمكننا الاتكال عليه حتى بدون معجزة .

دار الثقافة

اهـــداء

إلى ابن عمى

الذى أكن له عظيم الاحترام

آرثر هادلى

والذى يعد انتصاره على الأزمات

من معجزات النعمة الدائمة

تقديم

بسبب عظمة وروعة الكتاب المقدس ، هناك طرق عديدة يمكن بها أن نقر بها ، وفى بحثنا عن الحقيقة علينا أن نحذر لئلا نصبح عبيداً لأى طريقة من طرق دراسته . فالكتاب يقدم موضوعات لا حصر لها تصلح للتأمل الهادئ فى الصلاة ، وبعضها ذات مستوى رفيع الشأن ، كما يذكرنا بذلك دكتور أ.ت بيرسون Pierson ، وهى تبرز كمجموعة مستقلة ، وتذكرنا بقمم الجبال ، التى وإن كانت منعزلة إلا أنها أجزاء من سلسلة واحدة ، بارتفاعها الشاهق وتفردها الذى يجذب الأنظار.

ألا تنطبق هذه الملاحظة على معجزات الكتاب المقدس التى تجعله أعظم سجلات العالم التى تخلب الألباب بما فيه من حقائق لا يرقى إليها الشك ؟ ، وبينما يكون الحد الفاصل بين ما هو طبيعى وما هو خارق للعادة فى بعض التجليات ضئيلاً جداً للدرجة التى يكون فيها عمل قائمة متكاملة بالمعجزات متوقفاً على تعريف المرء للمعجزة ، فلدينا سيل جارف من المعجزات التى يسهل التعرف على إعجازها .

من بين الأمور البارزة فى الكتاب المقدس توجد ثلاثة أشياء تستحق معالجة خاصة وهى المعجزات والأمثال والأحاديث ،

وفى بعض الأحيان تكون وثيقة الصلة بعضها ببعض .

فالمعجزات تزودنا باستعراض خاص للقوة الخارقة للطبيعة .

والأمثال تحتوى على التوضيح الإلهى للحقيقة .

والأحاديث تكشف عن التطور المستمر للحقيقة .

وقبل أن نتعمق فى الدراسة المجزية لمعجزات الكتاب المقدس بمفردها ، قد يكون من المفيد أن نتأمل فى عدة ملامح تميز المعجزات عموماً .

قائمة المحتويات

الجزء الأول - معجزات العهد القديم

صفحة

مقدمة ١١

١ - الكتاب المعجزة ٢٤

٢ - المعجزات فى أسفار موسى الخمسة ٢٨

٣ - المعجزات فى الأسفار التاريخية ٩٥

٤ - المعجزات فى أسفار ما بعد السبى ١٥٤

٥ - المعجزات فى الأسفار الشعرية ١٥٦

٦ - المعجزات فى الأسفار النبوية ١٥٩

الجزء الثانى - العهد الجديد

مقدمة ١٨٢

١ - المعجزات فى الأناجيل ١٨٦

٢ - المعجزات فى سفر أعمال الرسل ٢٩٧

٣ - المعجزات فى الرسائل ٣٣٦

٤ - المعجزات فى سفر الرؤيا ٣٤٠

مقدمة

١ - تعريف كلمة (معجزة)

ما هي المعجزة ؟ لقد تم تعريف المعجزة بأنها عمل أجرته قوة إلهية لغرض إلهي بوسيلة ليست في متناول البشر . والفكرة العامة هي أنها شئ رائع أو غير عادي – حادثة أو تجربة أو اكتشاف متفرد وغريب حتى أنه يوقظ في المرء إحساساً بالرهبة ، والظواهر في الطبيعة والأحداث في التاريخ يمكن أن تندرج تحت قائمة المعجزات، فلو نجا صديق من الموت في حادث سيارة، فنحن نميل للقول : « لقد كانت معجزة أنه لم يقتل »، والنظام العادي للطبيعة يشار إليه كمعجزة ، ويعبر أوغسطينوس عن هذه الفكرة فيقول : « إن المعجزة الإلهية اليومية قد أضحت شيئاً زهيداً بالتكرار » ، ولكن طبيعة المعجزات في المسيحية تقدم ملامح أساسية يتجاهلها الاستخدام المعتاد للكلمة . لقد عبر البروفيسور ت . هـ هكسلي Huxley جيداً عن الحاجة لتعريف مسبق عندما كتب قائلاً :« إن الخطوة الأولى في هذا ، كما في كل المناقشات الأخرى ، أن نصل لفهم واضح فيما يختص بمعنى الكلمة المستخدمة ، اما الجدل فيما يختص بإمكانية حدوث المعجزات من عدمه ، وفي حالة حدوثها هل يمكن تصديقها أم لا ، مجرد مضاربة الهواء حتى يصل الطرفان المتنازعان إلى اتفاق بشأن معنى كلمة " معجزة " » . وتعريف وبستر للمعجزة واضح ومحدد « حادثة أو تأثير في العالم المادي يخالف القوانين المتعارف عليها للطبيعة أو يسمو على معرفتنا بهذه القوانين ، حادث فوق العادي ، شاذ أو مخالف لما هو معتاد مصدره قوة أسمى من البشر ». ويعرف و. م تايلور المعجزة بأنها « اتجاه التتابع المعتاد للأسباب الثانوية وتأثيرها ، لا يمكن تعليله بالأداء العادي لهذه الأسباب ، ولكنه ناتج عن قوة إلهية عن طريق وساطة شخص يدّعي أنه مندوب عنه وشهادة للرسالة التي يأتي بها .

إن الكتاب المقدس يصف المعجزات الحادثة في عصره بطريقته الخاصة ومن وجهة نظره الخاصة ، وكما يقول و.د تومسون Thomson :« لكون الكتاب المقدس كتاباً دينياً في المقام الأول ، فهو لا يقوم بتعريف المعجزات من وجهة نظر الطبيعة أو العلم ، ولكن من وجهة نظر المصدر الأخلاقي والسلطان الأخلاقي والهدف الأخلاقي ، والتأثير الأخلاقي الذي تحدثه هذه المعجزات .. وبوضع الإطار لتعريف هذه المعجزات ، يختار الكتاب المقدس بحكمة ألفاظه من واقع الاعتبارات الدينية والأخلاقية السامية الفريدة ، وهكذا فإنه يظل صامتاً فيما يتعلق بجميع المسائل المرتكزة على الصلة بين ما هو معجزي وبين الترتيبات الداخلية وقوى ونواميس الطبيعة ».

فاللفظ « معجزة» إذن ، من وجهة نظر كتابية يستخدم لوصف الظواهر الرائعة المصاحبة للإعلانات اليهودية والمسيحية خاصة في اللحظات الحرجة . والتصور الكتابي للمعجزة هي أنها عمل خارق للقوة الإلهية يفوق القوى المعتادة للطبيعة ويحدث في تناغم مع أهداف الإعلان .

ومعجزات الكتاب المقدس عادة هي قلب للسير العادي للطبيعة ، وهي تحدث تأثيراً مضاداً للتكوين الثابت للأشياء ومسارها المعتاد . وكثير من المعجزات تعد انحرافاً محسوساً عن قوانين الطبيعة المعروفة ، فهي تبرهن على ان الله ليس فقط هو الصانع لكل هذه القوانين . بل أيضاً المسيطر عليها وبالتالي فهو قادر على التعامل معها حسبما يراه ملائماً . فبعد أن خلق ما ندعوه « الطبيعة » فله السلطة للتحكم فيها وتغييرها ، ويمكنه أن يعلق أو يوجه قوانينها طبقاً لمشيئته الصالحة والعادلة دائماً وأبداً . ومن المشاكل التي تثيرها الحركة العصرية فيما يختص بإمكانية حدوث المعجزات أن قوانين الطبيعة أوجدت نفسها بنفسها ولم يتسبب فيها أحد وأنه لا يمكن الإفلات من قبضتها . ولكن إذا كانت هذه القوانين قد صممتها إرادة

عليا ، فهذه الإرادة بالتأكيد لها القوة على أن تضمنها قوة جديدة أو تعترضها ؟

وفي معجزات الكتاب المقدس ، فالقوانين الأصلية لا يتم تعليقها أو تحديها أو تعديلها بأى وسيلة ، ولكن قوة خارقة للطبيعة خارج الطبيعة تتدخل محدثة تأثيراً جديداً . كما عبر عن ذلك داڤيد هيوم David Hume الفيلسوف الاسكتلندى قائلاً : « إن المعجزة ليست تحدياً لنواميس الطبيعة ، بل إعلاناً لقوة جديدة ». التشويش دخل العالم بالخطية ، كما تشهد بذلك الطبيعة بوضوح ، والله لابد أن يتدخل تدخلاً معجزياً للقضاء على هذا التشويش ، هذا ما فعله في العديد من المعجزات التى يدونها الكتاب المقدس .

ولكن فمع أن الله فيما وراء الطبيعة وأسمى منها ، فهو لا يكسر أياً من قوانينها ، وكذلك فالطبيعة ليست كما يقول سبينوزا Spinoza : «القالب الجامد الذى لا يستطيع الله الفكاك منه» . فإذا أنكرنا على الله القوة لإجراء المعجزات إذن فهو لم يعد إله الحرية ، الإله الحى ، فوق الطبيعة والمستقل عنها كما يذكرنا (ترنش Trench) بذلك .

٢ - *الغرض من المعجزات*

من السمات الهامة لمعجزات الكتاب المقدس حقيقة أنها أدلة صحيحة على الإعلان الإلهي. فمن المشكوك فيه أن يكون هناك إعلان حقيقى بلا معجزات ، فهى ليست فقط أدلة على الإعلان ولكنها تعد إعلاناً فى حد ذاتها. بالطبع تضمن المعجزات حقيقة الإعلان : ومعجزات الكتاب المقدس تكون جزءاً لا يتجزأ من الكتاب المقدس وتشهد لكونه موحى به من الله ولصحته . ولولا هذه المعجزات لما كان لدينا دليل آخر على تدخل القوى الخارقة للعادة لصالح الإنسان فى أزماته .

والمعجزات كجزء لا يتجزأ من الكتاب المقدس تقدم الدليل على أنه كلمة الله الموحى بها ، ولولا ما يتضمنه من معجزات ، فنحن لا نستطيع أن نقبله ككتاب غير عادي . فعدم وجود معجزات - يعنى أنه لا دليل قاطع على أنه من عند الله . ومن بين السمات الأخرى للهدف من وجود المعجزات الكثيرة فيه إظهار مجد الله ، فهى تتحدث ببلاغة عن سلطان الله على كل شئ ! ، فهو رب الكل وفى الكل ، إن المعجزات « هى الختم الرسمى لسلطان الله » .

والمعجزات أيضاً هى العلامة المميزة للاهوت المسيح - « العنصر الرئيسى لاستعلان الله فى المسيح » ولمسيانيته يو ٢ : ١١ ، ١١ : ٤ ، مت ١١ : ٤ - ٦، أع ٢ : ٢٠ ، ١٠ : ٣٨) . فى كل هذه الإظهارات لقوته الذاتية نرى ممارسة سلطانه الإبداعى والعقابى والشفائى . وكانت كل معجزاته متفقة مع أصله الإعجازى وطبيعته الخالية من الخطية وكماله الأخلاقى ، وهى وسيلة أكد بها الله صحة إرسالية يسوع ومصدرها الإلهى ، وهو نفسه اعتبر معجزاته دليلاً على أنه خرج من الله وأنه هو الله (يو ١٤ : ٢٤).

وفيما بعد حين نأتى لدراسة معجزات العهد الجديد سوف نرى عدد معجزاته التى كانت التعبير الطبيعى عن عطفه على البشرية المتألمة ، كما أنها تأكيد لسلطانه الإلهى وعلى أن تعاليمه من فوق .

وفى حين أن مالدينا ليس سوى عينة من العدد المهول من المعجزات التى أجراها يسوع إلا أن تلك المعجزات التى لدينا تبين أنه أكثر من نبى أو رسول إلهى مرسل من الله ، فالرسل استطاعوا شفاء المرضى بل وحتى إقامة الأموات، ولكنهم لم يحولوا الماء إلى خمر أو يمشوا فوق الأمواج .

وكثير من معجزات يسوع كان من الواضح أنها « فريدة » وكانت دليلاً على ربوبيته وعلامة مميزة أنه هو الله الإنسان الذى يتحدث عنه مزمور ٨ وعبرانيين ٢ . إن معجزاته تثبت بلا أدنى شك أن له سلطاناً سامياً على الطبيعة وأيضاً على روح وجسد الإنسان . وهناك دليل آخر على الغرض من معجزات الكتاب المقدس، إنها تؤكد الطبيعة الإلهية للمسيحية ودلائل على سلطان الإنجيل . (مر ١٦ : ٢٠، عب٢: ٤، انظر خر٤: ١-٥) .

والمعجزات في االكتاب المقدس تثبت صحة التعاليم والتعاليم تؤيد المعجزات ، وكلاهما مرتبطتان في وحدة مباركة في شخص المسيح الذى أجرى الأعمال وأعلن الكلمات . والمسيحية والنصرانية لا يمكن تفسيرهما سوى بقبول المعجزات التى مهدت لهما . ولو أن معجزات الكتاب المقدس « كانت مجرد أعاجيب ، فأى شخص يمكن أن يكون شاهداً على حدوثها ، ولكن القصد منها كان إعلان السلطان الإلهى وجذب الذين شهدوا المعجزات للكوت الله ».

فى أحد فصول كتابه الذى عنوانه « قيمة المعجزات كدفاع عن العقيدة » ، يقتبس ترنش عبارة أوغسطينوس المؤثرة أن « المعجزات تقودنا للإيمان ، وهى تجرى أساساً لأجل غير المؤمنين » ، ولكن كما يريد ترنش أن يثبت ، فمعجزة من المعجزات التى أجراها يسوع مثلاً ، كان لها ردود فعل مختلفة ، لقد أقام رجلاً من الأموات ، هنا نجد نفس الحقيقة الخارجية أمام الجميع ، ولكن كم كان التأثير متبايناً ! فالبعض آمن والبعض الآخر ذهب وأخبر الفريسيين (يو ١١:٤٥ ، ٤٦) . سمعت أصواتاً من السماء - البعض قال إنها أصوات رعد ، فقد كان الصوت بالنسبة لهم مملاً وغير واضح ، بينما عرف الآخرون أنها كانت أصواتاً يشهد بها الآب لابنه (يو ١٢ : ٢٨-٣٠) لجميع المؤمنين . فالمعجزات تشغل مكاناً بارزاً فى قائمة البراهين على يقينية ما يؤمنوا به . ففى موجزه الرائع عن « المعجزات » فى دائرة المعارف الدولية للكتاب المقدس ، يكتب هـ . ويس Wace قائلاً :

« على العموم فربما يُدرك على نحو متزايد أن المعجزات ، أبعد ما تكون عن المزايدة على الإيمان المسيحى ، فهى مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً لا يمكن الفصل بينهما ، وأن هناك اتحاداً تاماً بينهما فى إعلان أنهما من فوق ، وهذا مدون فى الكتاب المقدس » .

وأخيراً فمعجزات الكتاب المقدس كان القصد منها تقديم رمز للبركات الروحية التى يستطيع الله - وهو على استعداد - أن يهبها لقلوبنا المحتاجة ، ومعظم المعجزات كانت من أفعال الرحمة ، وقد كانت ظاهرة كرموز للفداء . وعن طريق صدق المعجزة المرئية يتأكد لنا صدق المعجزة غير المرئية .كما يذكرنا و . م تايلور Taylor أن المعجزات التى أجراها المسيح مثلاً كانت أمثلة إيضاح رمزية للخلاص العظيم الذى يبشر به . إن المعجزات أمثال للنغمة ، والأمثال معجزات تدل على السلطان . فالمعجزات إذن لها قيمة مضاعفة ، مادية وروحية . والتفكير بالدرجة الأولى فى معجزات المسيح وطرده للأرواح الشريرة يرمز لقوته على عالم الشر الروحى ، وشفاء البرص يرمز لإزالة نجاسة الخطية الكريهة ، وإقامة الموتى يوضح قوة المسيح على إقامة موتى الخطية - وهكذا .

٣ - *وصف المعجزات*

فى أى طور من أطوار دراسة الكتاب المقدس ، فإن الفحص الدقيق للكلمات المستخدمة مهم جداً . فمع أننا نستخدم اللفظ العام « معجزة » لوصف تجلى القوة الفائقة للطبيعة ، فألفاظ مختلفة تستعمل فيما يختص بالمعجزات ، لأنه لا يوجد لفظ واحد يمكنه أن يستجمع كل معانى المعجزة ، وكل الألفاظ المستعملة تؤكد ممارسة القوة الإلهية .

ويعلق ترنش فى هذا الصدد قائلاً : « إن كل لفظ يجسد صفة جوهرية واحدة لنفس الشئ وليس من التأمل ، على حدة ، لأى لفظ بمفرده ، ولكن بالتأمل فيها جميعاً يمكن التوصل لما نرغب أن نفهمه» ومن بين الألفاظ الأكثر شهرة لوصف ما نطلق عليه لفظ «معجزات» نجد ما يأتى:

أعاجيب - (Terata) - :

وهذه الكلمة تدل على الحالة العقلية التى تنتاب المشاهدين لمنظر المعجزات ، فالمنظر يثير فيهم الدهشة . ويمكنهم ملاحظة طبيعة المعجزة غير العادية ويبقوها فى ذاكرتهم . فكلمة « أعجوبة » هى أكثر الكلمات التى تتردد وتستعمل (مر ٢:١٢ ، ٤١:٤ ، ٥١:٦ ، ٣٧:٧ . انظر عد ١٦:٣٠ ؛ أع ٣:١٠ و ١١).فبالنسبة للناظرين ،

فمثل هذا الاستعراض للقوة كان مضاداً للتوقعات المسبقة – مضاداً لأى ناموس قد تعرفوا عليه . ومثل هذه المعجزات مع ذلك لا يمكن اعتبارها « أعاجيب » فقط ، مسببة اندهاشاً وقتياً . فقد كان يجب الانتباه للغرض منها ولجاذبيتها الروحية الداخلية (أع ١٤:٨-١٥) ، كما يعبر عن ذلك جودت Godet قائلاً:

« ان معجزات يسوع ليست مجرد أعاجيب (terata) يقصد بها أن تلهب الخيال ، فهناك علاقة وثيقة بين هذه الحقائق المدهشة وشخصية من قام بها. إنها رموز منظورة تظهر كنهه وما جاء ليفعله ، صور نابضة بالحياة ، كأشعة صادرة من المعجزة الدائمة لظهور المسيح » .

علامات (آيات) Semeion

نجد هنا كلمة تحمل معها إشارة خاصة لأهمية المعجزات كأختام صدق بها الله على من قام بالمعجزة بنفسه . فبكلمة (آية) فإن الغرض الأخلاقى للمعجزة يصبح ظاهراً . إن المعجزة يجب النظر إليها كعلامة ودلالة على أن الله قريب وأنه يعمل كدليل على صدق الرؤيا . إن معجزات المسيح كانت آيات وضمانات لشئ أكثر من المعجزات ذاتها (إش ٧ : ١١، ٣٨ : ٧) .

وكما بيَّنا سابقاً ، فقد كانت أختاماً للقوة معطاة للشخص القائم بالمعجزة (مر ٦: ٣٠، أع ١٤:٣،عب٢:٤)، لقد كانت أعمالاً مشروعة من حيث يمكن للقائم بالمعجزة أن يطالب بأن يقبل كممثل لله (١ يو٢:١٨. ٢كو١٢:١٢). إن الآيات المعطاة لشاول وعالي وجدعون وآخرين ليست معجزات (١صم ١٠:١-١٩، قص٧:٩-١٥،لو٢:١٢). إن الآية تقدم برهاناً أو دليلاً تبرزه مجموعة من الحقائق تشهد لحقيقة وصدق مجموعة أخرى من الحقائق .(٢ كو١٢ : ١٢) .

قوات Dunamis :

إن المعجزات هى أيضاً قوات من حيث أنها تظهر قوة الله العظيمة الموجودة فى المسيح نفسه «قوة الله العظيمة» (أع ٨:١٠) . والكلمة تشير إلى قوى جديدة وعليا تعمل فى عالمنا السفلى هذا (عب ٦:٥) . فالكلمة (آيات) تشير للغرض النهائى من المعجزات ، أما كلمة (قوات) تشير إلى كفايتها . والكلمة (قوات) بالجمع هى نفس الكلمة المترجمة « أعمال مدهشة » * فى (مت ٧:٢٢، مت ١١:٢٠، مر ٦ : ١٤، لو١٠:١٣) ،و« معجزات » فى (أع ٢:٢٢ ، ١٩:١١، ١كو١٢:٢٠ و ٢٨، أى شك فى قدرته الفائقة (أيو ٤٠ : ٢و ٩ ، ٤٢:٢، عا٤ :١٣. ٥:٨ ، كو ١:١٦و ١٧ الخ). فعندما يستند الإيمان الملهم بروح الله على إعلانات مثل : « علمت أنك تستطيع كل شئ «كل شئ مستطاع لدى لله» لا تشكل المعجزات أى عائق عقلى ، وهناك شواهد كثيرة فى الكتاب المقدس تبرز الله كالمجرى للمعجزات مباشرة (خر ٨ : ١٩، أع ١٤:٣ ، ١٥ : ١٢ ، ١٩ : ١١ .. الخ) .

المسيح أجرى المعجزات :

إن صفة الله ككلى القوة قد نسبت للمسيح وقد مارسها بالفعل ، فهو يبرز فى الأناجيل كابن الإنسان الذى دفع إليه كل سلطان (مت ١٠: ١، ٢٨ : ١٨، يو ١٠: ٧و ١٨، ١١: ٢٥ ، كو ٢: ١٠، رؤ ١: ٨ الخ) ، لقد تم التنبؤ بقدرة المسيح على إجراء المعجزات (إش ٩: ٦، ٣٥ : ٥ و ٦، ٤٢ : ٧) ، ولذا طلب منه يوحنا المعمدان إجراء المعجزات (مت ١١:٢-٤) . ولهذا السبب دعاه الناس « ابن داود » (مت ١٢:٢٣، يو٧:٤٢). فالمسيح لم يجر المعجزات أبداً لاستعراض قوته ولا لكي يثير دهشة الناس . لقد استخدم دائماً قوته لمساعدة المحتاجين والتخفيف من آلامهم . ومن الملامح المميزة لحياة المسيح رفضه توظيف قوته التى يشترك فيها مع الله كالمساوى له فى القوة لنفعه الشخصى ، وتجربته فى البرية إيضاح لذلك (غل ٣ : ٥) .

وتجتمع الكلمات الثلاث التى نحن بصددها الآن فى

* حسب طبعات الكتاب المقدس فى اللغة الإنجليزية ، أما فى اللغة العربية حسب طبعة فان دايك ، فالكلمة هى «قوات أيضاً» . (المترجم) .

عدد واحد « يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات (dunamesin) وعجائب (terasin) وآيات Semeion صنعها الله .. فى وسطكم (أع ٢:٢٢).

ومن الكلمات الأخرى لوصف المعجزات « أعمال » كما يدعوها يوحنا مراراً وتكراراً (٥ : ٣٦ ، ٧ : ٢١، ١٠: ٢٥ و ٣٢ الخ) ، « وعظائم » (لو ١ : ٤٩) ، « وأعمال مجيدة »(لو ١٣ : ١٧) ،« وعجائب » (لو ٥ : ٢٦ ، مت ١٥:٢١)، « وأعجوبة » فى (مز ٧٨ : ١٢) و « عجباً وعجيباً » (إش ٢٩ : ١٤) . ويجمع كل الكلمات المستعملة فى العهد القديم والعهد الجديد لوصف الفكرة الكتابية عن المعجزات كإظهارات لعمل الله الفائق ، نرى أنها تدل على قوى تفوق قوى الطبيعة المعتادة ، تُجرى فى تناغم مع أهداف الإعلان الإلهى .

٤ - *صانعو المعجزات*

عند تصنيف صانعى المعجزات فى الكتاب المقدس نجد أنهم : الله والملائكة والبشر والشياطين .

الله يجرى المعجزات بنفسه :

كل أقنوم فى اللاهوت مارس قوة معجزية ، فالقبول بأن الله كلى القوة يستبعد ، فقد كان لديه عزم وطيد على ألا يستغل قوته مطلقاً لضمان أمنه الشخصى أو لتمجيد ذاته ولا أن يجبر الناس على الإيمان به ، فبالرغم من إنقاذ الآخرين من العبودية للطبيعة القاهرة ، فهو نفسه كان خاضعاً لأقسى قوانينها الصارمة . إننا لا نجد المسيح يجرى معجزة واحدة لمنفعته الخاصة . فهو يحول الماء إلى خمر حتى لا يعكر صفو وليمة العرس ، ولكنه طلب من المرأة التى على البئر أن تعطيه ليشرب ، وعندما كان فى النزع الأخير على الصليب اعتمد على المارة بأن يرووا عطشه . إنه يطعم الجماهير عندما كانت تستمع طوال اليوم لتعليمه الملهم لأرواحهم ، ولكنه رفض أن يحول الحجارة فى البرية إلى خبز ليشبع جوعه . ومع أنه هو نفسه « عجيباً » (إش ٦:٩) ويقول عن نفسه إنه « الحياة » (يو ٦:١٤) ويقيم الأموات إلا أنه ظهر بمظهر العجز فى مواجهته للموت . ومع أنه أغنى الآخرين إلا أنه اختار أن يفتقر .

الروح القدس أجرى المعجزات :

إن الروح القدس كمساوٍ للآب والابن يتميز بأنه كلى القوة (تك ١:٢ ، ٦:٣ ، أع ٥ :٣ و ٤ الخ) ، وتحت هذا القسم نستطيع أن ندرج مواهب الروح القدس التى أظهرها المسيح (مت ١٢: ٢٨) ، وهذه المواهب متنبأ عنها فى (إش ٣٥ : ٤ - ٦، يو ٢: ٢٨ و ٢٩). وهى متعددة ومدرجة فى قائمة (١كو ٤:١٢ -١٠و ٢٨، ١٤: ١). وقد تم اختبارها فى يوم الخمسين (أع ١:٢-٤) ، وقد منحت هذه المواهب للناس عند التبشير بالإنجيل (أع ١٠: ٤٤ - ٤٦) وعند وضع الأيدى(أع ٨ :١٧و ١٨، ٦:١٩)، وقد أعطيت حسب الإرادة العليا للروح القدس (١ كو٢ ١: ١١) . إننا يجب أن نجدّ فى طلب مواهب الروح القدس (١كو١٢: ٣١ ، ١٤ :١) ، ولا يجب أن نهملها أو نحتقرها ، وهى لا تشترى بمال (١تى ٤ :١٤، ٢ تى ١: ٦، ١تس ٥: ٢٠، أع ٨ : ٢٠). ويمكن الحصول عليها بدون النعمة المخلّصة (مت ٧ :٢٢ و٢٣، ١كو ١٣: ١ و ٢). ويمكن اعتبارها مؤقتة (١ كو ١٣ : ٨) .

الملائكة أجرت معجزات :

بالنسبة لأقانيم اللاهوت ، فالقدرة الكلية سمة من سمات الأقانيم ، ولكن بالنسبة للملائكة والبشر، فالسلطان ممنوح لهم كتفويض .فالله قد خلق الملائكة ، وهم موجودون لتنفيذ إرادته وعمله و«القدرة الكلية لها خدامها فى كل مكان»،وحشود الملائكة يشكلون جنود السموات، والكتاب المقدس زاخر بفيض من الأخبار عن وساطة الملائكة فى إجراء معجزات الكتاب المقدس (٢صم ٢٤: ١٦،لو١:١١-١٣، ٥٧-٥٩، يو ٥ :٢-٤،أع٥:١٧-٢٤ - الخ).

عبيد الله يجرون المعجزات

إن الوسائط البشرية لم تستطع أن تعمل مباشرة ،

فليس لدى البشر أى قوة إلهية ، ولكنهم استطاعوا إجراء معجزات حسب السلطان الممنوح لهم من الله . وكما سوف تثبت دراساتنا التالية ، فعبيد الله المكرمون كموسى وهارون ويشوع وشمشون وصموئيل وإيليا وأليشع وإشعياء وبطرس واستفانوس وفيلبس وبولس وبرنابا والرسل الآخرون والتلاميذ (لو ١٠: ٩ و ١٧، أع ٢: ٢٣، ٥: ١٢) لم يكونوا سوى قنوات جرت فيها قوة الشفاء المعجزية .

والذين قاموا بإجراء معجزات اضطروا للاعتراف بأنهم لا يمتلكون قوة فى ذواتهم (أع٣ :١٢). وكان عليهم أن يؤمنوا بقوة الله لإجراء ما هو مستحيل من وجهة النظر البشرية (مت ١٧: ٢٠و ٢١ ، يو١٤: ٢١، أع ٣ : ١٦ ، ٦: ٨) . ثم إن كثيراً من المعجزات قد حدثت بناء على أمر ممن منحهم هذا السلطان أو عند الصلاة إليه . ومغزى معجزات الرب يسوع أنها تحدث بناء على كلمته وطاعة له « أى إنسان هذا . فإن الرياح والبحر جميعاً تطيعه » (مت ٨ : ٢٧) .

قوات الشر أجرت المعجزات :

بطريقة غامضة استطاع الشيطان ومن يعملون تحت سلطانه تزييف الحق الإلهى أى استعراض القوة لعمل معجزات .

والكتاب المقدس يتحدث عن المعجزات التى أجريت عن طريق قوة الشيطان (٢تس٢: ٩، رؤ١٦: ١٤) ، والمسيح الكذاب والانبياء الكذبة (مت ٢٤: ٢٤، رؤ١٣: ١٣) ، ويمثل هؤلاء السحرة المصريون (خر ٧: ١١و٢٢، ٨: ٧) وعرافة عين دور (١ صم ٢٨: ٧-١٤) وسيمون الساحر (أع٨: ٩-١١) والمعجزات الزائفة القصد منها تدعيم الديانات الكاذبة (تث ١٣: ١-٣)، وعلامة على الارتداد (٢ تس٢: ٣و٩) وتخدع الهالكين وغير الاتقياء ، رؤ ١٣: ١٤، ١٩: ٢٠) ، ولا يجب السماع لأقوالهم (تث ١٣: ٣).

٥ - *توزيع المعجزات*

إن سردنا للمعجزات الوفيرة يثبت أنها من السمات البارزة فى الكتاب المقدس ، ومع ذلك فالمعجزات ليست متوفرة فى كل أجزاء الكتاب المقدس ، فعدد كبير منها قد أجرى فى أوقات الأزمات ، ومعجزة الخلق كانت هى نقطة البداية لتاريخ العالم والإنسانية ، ولكن المعجزات - التى لا تتضمن نبوات وإتمامها ، والتى تعد معجزات أيضاً - وقعت فى فترات عظيمة تفصل بينها عدة قرون :

- تأسيس الأمة اليهودية ١٤٠٠ ق.م.
- موسى ويشوع نبيان بارزان أجريا هذه المعجزة.
- حدوث أزمات سياسية فى أثناء الصراع مع الوثنية ٨٥٠ ق.م
- إيليا وأليشع يبرزان فى هذه الفترة .
- السبى عند ما انتصرت الوثنية ٦٠٠ ق.م
- دانيال وأصحابه كانوا موضوع المعجزات .
- نشأة المسيحية أم - الميلاد القدرى للمسيح كان المعجزة الافتتاحية للعهد الجديد . المسيح وتلاميذه هم القائمون بالمعجزة .

الضيقة العظيمة :

أيات وعجائب عظيمة سوف تميز هذه الفترة :

بينما لا يوجد سجل للمعجزات فى الأسفار الشعرية - أيوب والمزامير والأمثال - إلا أن هذه الأسفار مليئة بتعبيرات عن أعمال الله المعجزية لصالح شعبه . ففى كل أنحاء سفر أيوب نجد تمجيداً لسلطان الله ، وفى كل المزامير نرى الوعى التاريخى لشعب عظيم متماسك وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعجزات .أما عن النبوات فهو يقدم واحدة من أعظم المعجزات فى أنه يظهر الله كالحاكم الذى يسيطر على حياة البشر والتاريخ والمصير البشرى . ومنذ إبراهيم فصاعداً فمصير الشعب اليهودى كان متعلقاً بمجئ المسيا الذى لم يخلق منصباً جديداً بل أتى ليتمم المهام التى تنبأت بها الأنبياء (لو ٢٤ : ٢٧) .

٦ - تقسيم النبوات

تنقسم معجزات الكتاب المقدس إلى أقسام واضحة المعالم ، وعند تصنيفها نراها تظهر حق الله فى ممارسة قدرته فى أى مملكة ، والأقسام التالية تتفق مع التأكيد الإلهى أن الله يفعل طبقاً لمشيئته فى « جند السماء وسكان الأرض » (دا ٤ : ٣٥) .

السيادة على الطبيعة :

تصلح معجزات العهد القديم والعهد الجديد لبيان أن الله قادر أن يفعل ما يراه صالحاً فى خليقته ، فلا يستطيع أحد أن يمسك بيده ويقول له : « ماذا تفعل ؟ » ، فهو صاحب السيادة على مملكة الجماد :

بيان بالمعجزات المتعلقة بالماء :

البحر الأحمر والأردن ومارة ومريبة ورفيديم ومياه أريحا والحديد العائم والكرمل ، وإسكات العواصف وتحويل الماء إلى خمر والمشى على الماء وبركة بيت حسدا .

بيان بالمعجزات المتعلقة بالنار :

عمود النار ، ونار الشكينة ، ونار جبل الكرمل ، والأتون .

بيان بالمعجزات المتعلقة بالزيت :

كوز الأرملة ، والزيت الذى ملأ الأوانى .

بيان بالمعجزات المتعلقة بالشمس

يشوع ، درجات آحاز وحزقيا فى أواخر أيامه

بيان بالمعجزات المتعلقة بالطعام :

المن ، وكوار الدقيق والزيت ، إشباع المئات أو الآلاف .

بيان بالمعجزات المتعلقة بالطبيعة :

الرعد ، البرد ، المطر ، الطوفان ، الزلازل ، الشجر اليابس ، الأبواب المفتوحة .

وفى مملكة الحياة فهو كربّ الحياة يظهر قدرته فى أن يأمر الكائنات الحية أن تنفذ مشيئته ، فالحيات والضفادع والبعوض والذباب ، ووبأ الماشية والجراد والغربان والأسود والسمك والخنازير والأفاعى كلها كان لها دور فى المعجزات.

السيادة على الأمراض :

فالأمراض والوقاية منها والسماح بها متصل بالمعجزات . والقائمة تشمل الدمامل والبرص والحيات السامة ، والحساء المميت والأيدى اليابسة والأمراض والحمى ، ونزيف الدم ، والاستسقاء والعمى والصمم والخرس والعرج والتشوهات الجسدية .

السيادة على الموت :

كربّ الحياة فإن مفاتيح الحياة والموت بيده . ومن بين الضربات الإلهية ما عانته جماهير البشر عند الطوفان ، وناداب وأبيهو ، وحريق تبعيرة وموت الناس فى قبروت هتأوه ، وقورح ، وحادثة غزه . وابن الأرملة ، وابن الأرملة الشونمية ، والجيش الأشورى ، وجيش سنحاريب والفلسطينيين ، وحنانيا وسفيرة وهيرودس . وقد أفلت كل من أخنوخ وإيليا من قبضة الموت ، وقد شملت القيامة عظام إيليا والثلاثة الذين أقامهم المسيح من الأموات وقيامته هو والذين أقامهم الرسل من الأموات .

السيادة على الشياطين :

مع أن الشيطان رئيس الشياطين قوى ، فهو ليس قوياً كالله ، فهو لا يزيد عن كلب مقيد ولا يستطيع أن يتحرك إلا بإذن الله كما تعلمنا تجارب أيوب . وهكذا ففى مملكة الأرواح الشريرة يستطيع الله أن يمارس قدرته الكلية . والمعجزات فى هذا الصدد تشمل عرافة عين دور واللجئون والمجنون والأرواح الشريرة . الخ .

ودراستنا لمعجزات الكتاب المقدس سوف تثبت أن الرب قد انتصر على كل الاضطرابات البشرية سواء كانت جسمية أو عقلية أو عصبية ، وعلى كل القوى الكونية ، على الأرض أو البحر ، عضوية كانت أم غير عضوية ، وعلى

عالم الأرواح المتمثل في الشيطان والأرواح الشريرة والموت . ويوصي هنا بقراءة كتاب أ.د هابيرشون Habershon « دراسة المعجزات » لمزيد من الدراسة عن المسالك المتصلة بالمعجزات .

٧ - اختفاء المعجزات

إن موضوع اختفاء المعجزات يتطلب بعض الاهتمام. متى توقف إجراؤها ؟ بموت الرسل هل تم سحب التفويض بإجراء المعجزات ؟ هناك سجل بمعجزات شفاء في الكنيسة بعد القرن الأول للميلاد ، ولكن المعجزات لم تدون بوحي إلهي كمعجزات العصر الرسولي ، ففي حالات كثيرة ، تم خلط معجزات الكنيسة بالأساطير .

يقول ترنش إن « نقاطاً قليلة تحول دون محاولة تحديد الوقت الذي سحبت فيه هذه المعجزات من الكنيسة ، وهكذا دخلت الكنيسة إلى حالتها الراهنة كوضع مستديم بما لديها من سجل بالمعجزات الماضية ، بدلاً من أن تمتلك بالفعل معجزات القوة هذه ، والتي استطاعت أن تثبت مكانتها في العالم بواسطتها ».إن معجزات العهد القديم قد أثبتت سيادة الله كإله على كل الآلهة الوثنية الموتى .

ومعجزات المسيح أثبتت صحة ما ادعاه لنفسه من ألوهية وصحة مسيانيته .

ومعجزات الرسل قد أيدت الكنيسة كمؤسسة إلهية، وما أن ثبتت مكانتها حتى تركت لعناية الله المعتادة ، لقد قال فوللر Fuller : « إن المعجزات هي قماط الكنيسة الوليدة وليس ثبات الكنيسة المكتملة النمو » ، ففي « طور التكوين » كانت المعجزات ضرورية ، ولكن عندما وصلت الكنيسة في فكر الله إلى مرحلة «الكينونة المستقلة». أزيلت الدعامات التي تسند النبتة الرقيقة عن الشجرة القوية :

« متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ما هو بعض » (١كو ١٣ :٨-١٠).

ويعبر فاوست Faussett عن ذلك بالقول : ما أن أقيم الصرح حتى أزيلت السقالات ، فالمعجزات الدائمة ضد طرق الله .

وبدلاً من المعجزات لدينا النتائج العملية للمسيحية - نتائج يمكن ملاحظتها بصورة أوضح الآن ، على مدى ما يقرب من عشرين قرناً بعد مجئ المسيح ، مما كانت عليه في البداية .

إن توقف المعجزات يأتي بنا إلى التأمل فيما يعرف باسم المعجزات الكنسية أو المعجزات التي تشهد الكنيسة بحدوثها . وعن تلك المعجزات يقول فاوست إنها غامضة وأسطورية ،أي أنها تشبه النتاج المعروف للسذاجة والخداع، وكثير منها طفولي وموضوعة في إطار واضح بقصد الوصول للمؤمنين بالخرافات بدلاً من أن تكون أدلة قادرة على الصمود في وجه البحث المدقق ، ومعظمها قيل بعد مدة طويلة من زعم حدوثها . فالصورة قد أومأت بالموافقة وابتسمت أو قطبت الجبين أو تكلمت في مناسبات خاصة ، ودم أحد القديسين الأموات قد سال سنوياً ، والجروح تنزف كل يوم جمعة . والشفاء داخل الكنيسة يعلن عنه على نطاق واسع . هذه المعجزات المنتشرة في بعض الدول تختلف عن معجزات العهد الجديد اختلاف الليل عن النهار . ومعجزات الكتاب المقدس لا تبعث على الشك كالدماء التي تسيل من هذا القديس أو ذاك ، والقصص التي تحمل المبالغة ، ثم إنها لم تحدث تدريجياً بل في الحال في معظم الأحيان (لو ١٨ : ٣ و٤)، وليست ناقصة وغير مؤقتة، ولكنها كاملة ودائمة : ومعجزات الكتاب المقدس قد شهدها الناس على حساب التعذيب والموت الذي لحق بالقديسين .

وادّعاء المعجزات ليس قاصراً على كنيسة بعينها ، إنها بدعة الذين يدّعون الشفاء بالإيمان في الخارج اليوم والذين يكتنزون الأموال على حساب الاضطرابات الجسدية، لكثيرين من ذوي القلوب المخلصة الذين يتعلقون بقشة طلباً للشفاء . ثم تقست قلوب هؤلاء الذين يطلق عليهم جماعة « الشفاء بالإيمان » إذ يتركون وراءهم

أعداداً لا حصر لها من المخدوعين اليائسين ، والذين يعانون دون أن يجدوا نوعاً من الراحة ! ، إن العدالة تقتضى كشفهم وعقابهم .

قبل ترك موضوع توقف أو استمرارية المعجزات ، يجب أن يكون واضحاً فى الأذهان ، أننا لا نؤكد أن الله لا يمارس سلطته الخارقة عندما تكون المعجزة ضرورية . فكالإله كلى القوة فهو لا يتغير ، وهناك مسيحيون مخلصون يعتمد عليهم والذين قد اختبروا أنه لا يستحيل شئ على الرب. ما نؤكد عليه مع ذلك ، أنه فى عصر النعمة هذا ، فالمعجزة الدائمة مضادة للترتيب الإلهى .

ولمزيد من التأمل فى هذا الموضوع ننصح القارئ بالاطلاع على الموجز الرائع الذى كتبه ترنش فى الفصل الذى عنوانه « دورات أخرى من المعجزات » .

وعند مناقشة هذا الجانب من المعجزات يختتم دكتور أ. هـ جارفى Garvie مقاله فى « قاموس هاستنجز للكتاب المقدس » بهذه الفقرة المعبرة :

فى بداية الكنيسة المسيحية كان للمعجزات قيمة كدليل ، أما اليوم فالتغيير الذى أجراه المسيح فى التاريخ البشرى أكبر برهان مقنع على ما نادى به ، ولكننا لا يجب أن نتجاهل قيمة المعجزات وقت حدوثها وقيمتها بالنسبة لنا الآن كأعمال قام بها المسيح موضحة لنا آيات نعمته .

٨ - إنكار المعجزات

منكرو المعجزات كالفقراء - معنا فى كل حين . رفض ماثيو أرنولد Matthew Arnold موضوع المعجزات بالقول الذى ينم عن الكبرياء « إنها لا تحدث » . إن الأركان الثلاثة لإيماننا والتى تتعرض للانتقاد المرير (أو المدمر) هى : وحى الكتاب المقدس ، وضرورة العقيدة المسيحية ومصداقية المعجزات . فاللاأدرية متشككة دائماً فى موقفها تجاه الحقائق الأساسية فى الكتاب المقدس . يقول و.د تومسون إن «المتشكك ليس له نظام علمى ولا نظرية تخيلية ولا عقيدة دينية » ، ثم يقتبس قول فردريك هاريسون Frederick Harison : «إن مذهب اللاأدرية ليس ديانة ولا ظل ديانة ، فهى لا تقدم مبادئ أو عناصر الديانة . إنها مجرد روح بلا جسد لديانة ميتة ، وقد أظهرت أن الديانة لا توجد فى نطلق داخل ما تدعيه من أفكار بالية . والسير جوليان هكسلى Julian Huxley عالم الأحياء البارز فى هذا العصر ، وأحد المتشككين المجاهدين والتلميذ المتحمس لرسول التطور يرفض معجزات الكتاب المقدس . فبعد أن صاغ ديانة جديدة دون إعلان ، فإن هكسلى الذى يشار إليه باعتباره « كلب الحراسة لداروين » ، يصرح قائلاً : « لم تعد هناك حاجة أو مكان لكائنات خارقة قادرة على التأثير فى مسار الأحداث فى نمط التفكير المؤمن بالتطور» ، وفى خطابه فى المناسبة الخاصة لجامعة شيكاغو تخليداً للذكرى المئوية لنظرية داروين للتطور ، هاجم هكسلى أول معجزة فى الكتاب المقدس ألا وهى خلق الكون والإنسان . وإليك بيانه المسجل : « إن الأرض لم تُخلق ، لقد تطورت ، وهكذا حدث بالنسبة لجميع الحيوانات والنباتات التى تسكنها ، بما فيها ذواتنا البشرية وعقولنا ونفوسنا وكذلك أمخاخنا وأجسامنا » .

ثم يمضى هذا العالم المتشكك ويقول متهكماً: « إن إنسان التطور لم يعد يلجأ زاحفاً هرباً من وحدته ، للبحث عن مأوى بين ذراعى أب إلهى ، قد خلقه بنفسه » . هنا نرى رفض هكسلى لإعلان الكتاب المقدس عن الله . ولكن الساكن فى السموات يضحك (مز ٢) .

يؤكد كثير من العلماء اليوم أن تعليم التطور حاسم ضد إمكانية حدوث المعجزات كانحراف عن النظام المعتاد للأشياء ، ولكن علماء التطور بنظرياتهم التى لم تثبت لا يمكنهم أن يفسروا معجزة الحياة حتى ولو بدأت كبروتوبلازم كما يزعمون .

إن التاريخ الطويل لرفض المعجزات يتطلب المزيد من الانتباه بأكثر مما لدينا من متسع من الوقت لذلك ، والمعالجة الكاملة لهذا النوع من دراستنا يمكن أن نجده فى

الفصل الذى كتبه ترنش بعنوان «الهجوم على المعجزات». إن قادة اليهود فى أيام ربنا إذ كانوا فى عداء مع تعاليمه ، طرحوا معجزاته جانباً باعتبار أن مصدرها الشيطان (مت ١٢ :٢٤، مر٣ :٢٢ - ٢٧، لو ١١ : ١٥-٢٢). ولكن المسيح ليس متحالفاً مع الشيطان ، إنه « الرجل القوى » الذى يقدر أن يدخل بيت الشيطان ويتلف أمتعته .

ويقتبس ترنش أقوال الفلاسفة الوثنيين من أمثال سيلوسوس وهيروكليس وبورفرى وأبولونيوس كناكرين للمعجزات . قال أبولونيوس عن المسيح : « ومع ذلك فنحن لا نعتبر من يعمل أشياء كهذه إلهاً بل إنساناً محبوباً من قبل الآلهة ، بينما المسيحيون على النقيض من ذلك ،فعلى أساس بعض الأعاجيب غير الهامة القليلة العدد ينادون بأن يسوعهم إله » .

بالنسبة لناكرى المعجزات المؤمنين منهم بإله أو المتشككين ، يقتبس ترنش أخيراً آراء سبينوزا وهيوم ضد حقيقة معجزات الكتاب المقدس .فمع نشأة المذاهب الفعلية الحديثة فإن باولوس وولستون وشراوس كانوا منافين للمنطق فى تفسيرهم العقلانى للمعجزات ، فالماء لم يتحول إلى خمر فى قانا ، فقد أتى الناس بإمداد جديد للخمر ، ولم تكن هناك معجزة فى الأرغفة ، فقد قام المسيح وتلاميذه بإعطاء كل ما كان عندهم من خبز كنوع من أنواع السخاء وسرعان ما احتذى آخرون حذوهم حتى شبع الجميع . والمسيح لم يشف برصاً - كل ما فى الأمر أنه أعلن أنهم طاهرون ، ولعازر لم يمت بالفعل ولكنه راح فى غيبوبة فقط - وهو نفس الادعاء الذى يطلقه العقلانيون فيما يختص بموت المسيح .

إن المأساة أن كثيرين ممن يسمون أنفسهم مبشرين ومعلمين مسيحيين ، عصريون فى نظرتهم ، يطبقون نفس هذه الفكرة على المعجزات ، فهم يقولون إن هناك تفسيراً مناسباً للمعجزات فى الكتاب المقدس ، فمعجزات الكتاب هى ببساطة غطاء خارجى للحقيقة الروحية ، فهى تشبيهات تمت صياغتها ببراعة : ومما يؤسف له أن عدة مدارس وكليات لاهوتية ، متحررة أو عصرية فى عقائدها اللاهوتية تنكر معجزات الكتاب المقدس عن عمد وتزج بالشباب إلى مجال الخدمة وهم يرفضون الخوارق ، فيقولون إن معجزات الكتاب المقدس خرافية وأسطورية وتتكون من هالة كبيرة من الخيال حول نواة من الحقيقة .

ونحن نصرح بثبات أن معجزات الكتاب المقدس فى علاقتها بالطبيعة تفوق إدراكنا . ولأننا « ننظر فى مرآة فى لغز » ، فالطريقة التى تعاملت بها القوة الإلهية مع المعجزات مخفية عن أنظارنا ، ولكننا لا نرفضها على هذا الأساس ، فنحن لا نستطيع أن نفهم تماماً الطبيعة الغامضة والمدهشة لكل أنواع الطاقة التى تعمل فى كل مكان فى الطبيعة .ومعجزات الكتاب المقدس مدونة كحقائق ونحن نقبلها بالإيمان . فلو رفضنا المعجزات ، خاصة معجزات يسوع ورسله باعتبارها تلفيقات من خيال كتَّاب العهد الجديد ، إذن فنحن ننسب لشهود عيان هذه الخوارق عدم الجدارة والاستحقاق أو التحريف المبنى على الخرافات أو الخديعة . إن معجزات الأناجيل قد أجريت فى حضور الأعداء ، ومن ثم فقد أخضعت لأشد أنواع الفحص والتدقيق ، ولكنها خرجت كأوثق الأشياء التى يؤمن بها التلاميذ .

إن الدليل المدعم لإيماننا يلحقه أكبر الضرر لو تخلينا عن المعجزات ، وفيما يتعلق بمعجزات العهد الجديد فإننا سنفقد الدليل الإيجابى الذى نمتلكه الآن على القوة المخلِّصة لربنا إذا لم تشكل المعجزات فى حد ذاتها إعلاناً .

٩ - دفاع عن المعجزات

يقدم لنا أيوب وصفاً رائعاً لقوة الله :« إن كان من جهة قوة القوى يقول هأنذا(٩ :١٩) ، والكلمة العبرية لكلمة «قوى» تعنى القوة القاهرة التى تسود ، وتوحى بأنها أكثر أنواع المبالغة فى التفصيل. فى (تك ١٧ :١) إشارة لله بأنه أقوى الأقوياء (حسب النص فى اللغة الإنجليزية) أى « أنا الله القدير » ، وبسبب هذه القدرة يمكنه أن يفعل كل

ما هو ملائم ، وبينما هناك فرق بين السيادة والقوة ، فالله يمتلكهما معاً .فلأنه هو خالق الإنسان فله مطلق الحق والسيادة على الإنسان ، فلا يستطيع أحد أن ينازعه أو يبحث عن مبرر لأعماله (دا٤ :٣٥ ، مز ٧٥ : ٧) وكالملك الرفيع الشأن فكل القوة متاحة له (إش ١٤ : ١٢ ، رو ١٣ : ١) . ولكن ما فائدة السيادة دون قوة تدعم هذه السيادة ؟ فالسيادة والقوة متلازمتان بالنسبة له . إن إله الكتاب المقدس هو إله الطبيعة ، إله كل المعجزات الحامل لكل الأشياء بكلمة قدرته . فالذى يخلق شيئاً من لا شئ ويحول الخطاة إلى قديسين ، ويأمر الطبيعة ، لديه قدرة تفوق قدرة البشر بما لا يقاس . فالقدرة الكلية إذن هى البرهان على المعجزات (خر٧ : ٣ ، تث ٤ :٣٤ و ٣٥).

وبالإضافة لذلك فعلاقة الله بالطبيعة ، كما هو واضح فى الكتاب المقدس ، تتفق مع عمل المعجزات . إن مثل هذه العلاقة كما يوضحها و.د تومسون Thomson . لها ستة أوجه :

الله خالق الطبيعة (كو ١ : ١٦) :

فلأنه خلق الطبيعة فهو فوقها ، وفى نفس الوقت فيها كمصدر دائم للطاقة ، والسببية . هنا نرى سمو الله وحلوله الدائم مترابطان معاً برباط واحد يمكن به للطبيعة أن توجد معتمدة عليه كالخالق .

الله حامل للطبيعة (كو ١ : ١٧):

إن الكتاب المقدس لا يمجد الله فوق الطبيعة فقط ولكنه يجعله فى علاقة مباشرة مع الطبيعة حتى إن الله يملأ كل شئ ، فهو حالّ فى الطبيعة كالإله الدائم الوجود والكلى القدرة . فهو « مصدر الحياة لكل ذى حياة ، وهو الروح لكل الأرواح . هو الكل فى الكل ، ولذا فالكل فيه » .

إن الله يسمو على الطبيعة (مز ٩٠ : ٢ ، ١٠٢: ٢٥ - ٢٧) . والطبيعة تعتمد فى وجودها عليه ، ومع ذلك فهو نفسه قائم بذاته ومستقل عن كل ما عداه .

الله حالّ فى الطبيعة (أف ١ : ١١) :

الله يحل فى الكون الذى خلقه وهو يمارس على الدوام سلطانه كالعلة المحركة لكل شئ .

تدبير القصد الإلهى فى الطبيعة (أف ١ : ٩ - ١١):

الله خلق الطبيعة وهو يعتنى بها بهدف المحبة المقدسة .

الطبيعة التى خلقها الله واسطة إعلان الله عن ذاته للإنسان (رو ١ : ١٩ و ٢٠) .

يشار للطبيعة بأنها طريقة (بريل) التى استخدمها الله لأجل البشرية العمياء ، والكتاب المقدس الذى يعلن عن الله فائق فى مستواه ، ولذلك فالمعجزات شئ طبيعى بالنسبة له . ومع ذلك فبالرغم من قوة الله غير المحدودة ، هناك بعض الأشياء لا يستطيع الله أن يفعلها . فهو لا يستطيع أن يفعل ما يدنس مجد لاهوته ولا يستطيع أن ينكر نفسه ولا يستطيع أن يخطئ أو يقر الخطية أو الرياء ، ولا يمكنه أن يناقض صفاته المجيدة .

ولسبب ماهية الله وكل ما يعنيه فى ذاته وكل ما يمتلكه من سجايا ، فله حرية مطلقة ليتمم ما يراه مناسباً . إنه لا يمكن أن يكون الإله القدير إذا لم يجر أعمالاً خارقة تتفق مع كيانه وشخصيته .

القسم الأول

معجزات العهد القديم

القسم الأول

معجزات العهد القديم

إن دراسة من النوع الذى أمامنا فى هذا المجلد تطلبت بحثاً مستفيضاً فى الأدب المتعلق بما يحتويه الكتاب المقدس من معجزات . ومن الملامح المحيرة للبحث ندرة وجود كتب مفيدة فى هذا المجال .حقيقة أنه لا يوجد مبحث لاهوتى على الأقل معروف للكاتب يتعامل مع كل معجزات الكتاب المقدس ، ولكن معجزات العهد القديم المساوية فى العدد لمعجزات العهد الجديد ، إن لم تكن تفوقها عدداً ، لا تحظى بقدر كبير من الاهتمام ، ويبدو أن التركيز منصب على معجزات الأناجيل وبنوع خاص معجزات المسيح ، كما يمكن أن نرى من الإشارة للعديد من الكتب المذكورة فى قائمة المراجع .

وفى العديد من الحالات لدينا مراجع قليلة فيما يختص ببعض المعجزات التى أجراها الأنبياء والرسل ، ولكن تعوزنا قائمة مكتملة شاملة . ونحن نثق أننا قد نجحنا فى العمل الشاق بعمل قائمة بكل المعجزات الخاصة بالكتاب المعجزة ، الكتاب المقدس مع شرح موجز لكل معجزة . وكما سوف يرى القارئ لم نضمّن هذه القائمة التجليات الإلهية للبشر ولا الرؤى ولا الإعلانات الخاصة بالأحداث المستقبلية والنبوات ، مع أن كثيراً من هذه الأشياء تحمل طابع الخوارق . فالنبوة فى حد ذاتها معجزة مدهشة حيث أنها تعلن الله كالحاكم المهيمن على حياة البشر والتاريخ . ونحن ندين بالفضل لدكتور جون كمنج لأقواله التالية :

« النبوات رسم تمهيدى للمستقبل تبرزه الأحداث » ،

« المعجزات أفعال تنبئ عن المستقبل تجرى على نطاق ضيق » ،

« الأمثال ظلال مسبقة للمستقبل منعكسة على صفحات السجل المقدس »، والثلاثة تزداد رونقاً وبهاء كل يوم فى الإثارة والقيمة . وقريباً تغمرها جميعاً شمس الظهيرة . فليتنا نكون مستعدين » .

ومن المفيد لنا أن نقارن ونضاهى بين معجزات العهد القديم والجديد ، فمعجزات العهد القديم منصبة أساساً على تدمير الأعداء ، والإعلانات المجيدة لموسى (تث ٣٢:٤-٣٥) الخاصة بوجود الخوارق فى حياة وتاريخ إسرائيل تفند نظرية النقد التى تقول إن سجلات هذه المعجزات غير تاريخية ، فالإله الذى يؤمن به اليهود كان ولا يزال هو الإله الذى أعلن عن ذاته فى التدخل المعجزى لإنقاذ شعبه. ومعجزات العهد الجديد كانت أفعالاً تدل على الرحمة، فباستثناء الشجرة التى يبست والخنازير التى هلكت بسبب الأرواح الشريرة ، فكلتا المعجزتين تقدم دروساً رمزية لتحذير البشر . ومعجزات المسيح تعلن أنه مخلص للإنسان ككل .

ومعجزات العهد القديم شهدت لوجود الله كالملك الذى يتصرف فى شئون البشر . ومعجزات العهد الجديد شهدت للاهوت المسيح - الله الظاهر فى الجسد - وأيضاً للسلطان الإلهى الممنوح للرسل . ومعجزات العهد القديم - فى أغلبها - حدثت بعد كثير من المعاناة والتضرع مع شئ من عدم اليقين فيما يختص بالنتائج ، ولكن معجزات المسيح كان يصحبها ارتياح عظيم وتأكد من النتائج . فموسى اضطر للتوسل والصراع مع الله لأجل برص أخته (عد ١٢:١٣-١٥)، ولكن المسيح شفى شخصاً أبرص بعد لمسه وبُرصاً آخرين من على بعد (مت ٨:٣)، لو ١٧:١٤) ، واضطر إيليا أن ينتظر طويلاً ويرسل خادمه سبع مرات لأجل الحصول على أمارات تدل على سقوط المطر ، وأن

يمدد نفسه ثلاث مرات على الطفل الميت ويعيده للحياة بعد أن جاهد كثيراً (١مل ١٨:٤٢-٤٤ ، ١٧:٢-٢٢). وأليشع بالمثل ، بعد مجهود كبير أعاد طفلاً آخر للحياة (٢مل ٤:٣١-٣٥) ولكن المسيح كرب الأحياء والأموات أقام الموتى بكل سهولة .

إن الذين أجروا المعجزات فى العهد القديم صلوا لأجل تحقيق نتائج طيبة ، ولكن المسيح كان يأمر فتتحقق تلك النتائج . فى العهد القديم كانت تتم المعجزات باسم الرب ، ولكن معجزات المسيح كانت تحدث باسمه أو باسم أبيه . وكانت معجزاته ،يفعلها بمحض اختياره الحر ، وكانت أكثر رقة وأشد بريقاً من معجزات العهد القديم . لقد أطعم أليشع مائة رجل بـ ٢٠ رغيفاً ، ولكن المسيح أطعم ٥٠٠٠ شخص بخمسة أرغفة . وكثير من معجزات العهد القديم استخدمت فيها الوساطة - فالعصى استخدمت فى الأعمال التى تحتاج لقوة ، والشجرة استخدمت لتحويل الماء المر إلى ماء عذب ، والعباءة استخدمت لتقسيم المياه . . الخ ، ولكن المسيح أجرى معجزاته ببساطة باستخدام كلمة أو لمسة . فهو لم يكن محتاجاً لأى أداة لإظهار قوته .

وبخلاف ذلك فمعجزات العهد القديم كان لها مظهر أكثر صرامة من معجزات العهد الجديد فى حفظ عهد الناموس وعهد النعمة . ثم إن معجزات العهد القديم كانت أساساً معجزات قوة للتأثير على العصر الوثنى الوقح . ومعجزات المسيح كانت معجزات النعمة والمحبة .. إن معجزات موسى كانت فى أحيان كثيرة تجلب الموت كعقاب على الخطية ، ولكن معجزات يسوع فى أغلبها كانت معجزات رحمة ، فى أول معجزة لموسى حوَّل الماء إلى دم ، وفى أول معجزة ليسوع حوَّل الماء إلى خمر .

وفيما يختص بفائدة دراسة معجزات الكتاب المقدس تقول أدا هابرشون Habershon إن مثل هذا الموضوع عملى بنوع خاص وله تأثيرات ثلاثة :

إنها تعطينا فكرة واضحة عن الله وعن قوته .

إنها تصحح آراءنا فيما يتعلق بالإنسان وعدم أهميته.

إنها تثير فينا الدهشة والعجب بأن ذاك الذى يمثل هذه القوة يخطط لأن يسكن مع الإنسان ويحل فى الإنسان ويشغل نفسه باهتمامات أولاده .

(أ) الكتاب المعجزة

(٢تى٣ : ١٥- ١٧) ، ١بط ١:١٠- ١٢و١٥،
٢بط ١: ٢١، عب ٤:١٢، خر٤:١٥، رؤ ٢٢:١٩)

إن الأبحاث اللاهوتية التى تتعامل مع معجزات الكتاب المقدس فى العادة ، سواء كانت تؤيدها أو تعارضها ، تحذف أى إشارة للكتاب المقدس كمعجزة فى حد ذاته . فهو ليس فقط كتاباً صادقاً فى روايته للمعجزات .إن كل شئ متصل بالكتاب المقدس يعتبر إعجازاً كما تذكر ادا هابرشون على الأقل فى كتابها الملهم «دراسة المعجزات»، فكل شئ عن الكتاب المقدس خارق للطبيعة ، وبالرغم من كل ما فعله النقد الهادم ليضعف من سلطانه ، إلا أنه يظل معجزة دائمة . ومن سوى الله يستطيع أن يلهم ويبعث رجالاً ليكتبوا مثل هذا الكتاب الكامل الذي قال عنه جيروم «المكتبة الإلهية» ؟

(١) معجزة وحيه :

على الرغم من أننا قد لا نقدر أن نقول كيف ألهم الله

القديسين قديماً ليكتبوا الكتاب المقدس ، ولا كيف أثر الروح القدس على الكتّاب الذين استخدمهم ، إلا أننا لا نستطيع أن ننكر أن لدينا في الكتاب المقدس ختم السلطان الإلهي ، فوحي الكتاب المقدس لا يحتضن الموضوعات فقط بل أيضاً الكلمات التي يستخدمها حتى أدق التفاصيل ، حتى إننا نستطيع أن نقول كما ذكر من قبل إن كل الكتاب موحى به من الله (مت ٥:١٨) .

إن الوحي الإلهي للكتاب المقدس كان الاقتناع الثابت للكنيسة المسيحية حتى سادت المذاهب التحررية قرب نهاية القرن الماضي ، فالعصريون وهم يهاجمون عصمة الكتاب المقدس ، قد أحدثوا الكثير من الفوضى الشاملة في صفوف المسيحيين ، وحرموا الكثيرين من امتياز يقينية عقيدتهم ، وقضوا على تأثير الكنيسة ، كما جعلوا مبانيها خاوية . إن الوعاظ العصريين استخدموا سيفاً غير ماض فشل في إحراز الانتصارات كتلك التي أحرزها أناس مثل وسلي وهوايتفيلد وسبرجن ومودي الذين اعتقدوا أن الكتاب المقدس هو إعلان الله الموحى به للبشر .

(٢) معجزة قدمه :

هذا السجل المقدس الذي استغرق ١٥٠٠ سنة حتى يكتمل ، موجود الآن منذ ألفي سنة تقريباً وهو مكتمل، ومع ذلك فهو بنفس القوة والحيوية التي كان عليها منذ وجوده . هل توجد أي كتب في العالم يزيد عمرها عن ١٠٠٠ سنة يقرأها الناس اليوم ؟

لقد قيل إنه من بين الـ ٥٠٠٠٠ كتاب التي طبعت على مدى ٣٠٠ سنة لم يعاد طبع سوى ٥٩ كتاباً منها . فبعد خمس سنوات فأي كتاب عادي يعتبره الناشرون في عداد الأموات ،ولكن الكتاب المقدس يزيد توزيعه قرناً وراء الآخر .

(٣) معجزة صحته :

أثبت علم الأركيولوجي (الحفريات) أنه معين لا يقدّر بثمن في مجال إثبات صحة السجلات الكتابية ، فالاستكشافات التي أجريت في كل الأراضي عن الكتاب المقدس باستخدام معول وجاروف علماء الأركيولوجي قد أثبتت أن العديد من استنتاجات النقد العالي من قِبل النقاد أنها زائفة وأن الكتاب صادق. فعلماء بارزون ، من أمثال البروفيسور سايك Sayce والسير وليم رامزي ، قد أعلنوا بتواضع أنهم قد غيروا من موقفهم تجاه نقد الكتاب المقدس نتيجة لاكتشافات علم الحفريات الأثرية (الأركيولوجي) .

وبالرغم من أن الكتاب المقدس لا يعتبر بحثاً من بين الأبحاث العلمية الحديثة ، ولذلك لا يحمل اللغة المستخدمة لفائدة عالم القرن العشرين ، إلا أنه يتفق مع كل العلوم الصحيحة .

(٤) معجزة تناغمه :

إن الوحدة التي تجعل الـ ٦٦ سفراً من أسفار الكتاب كتاباً واحداً ، دليل قوي آخر على أنه كتاب خارق للعادة . فالتناغم يسود كل أجزائه فيما يختص بأي موضوع . فمع أن ٤٠ كاتباً قاموا بكتابته على مدى ما يزيد عن ١٥٠٠ سنة إلا أن الـ ٦٦ سفراً متفقة جميعاً . فهناك ٣٣٣ نبوة في العهد القديم عن يسوع المسيح ، بينما يقتبس العهد الجديد ٢٧٨ اقتباساً من العهد القديم بحذافيرها ، و ١٠٠ اقتباس تكاد تكون بالنص ، ١٢٤٠ حادثة قد ذكرت مأخوذه من العهد القديم(لو ٢٤:٢٧) .

(٥) معجزة حفظه :

نستطيع أن نملأ مجلدات عن الحفظ الإلهي للكتاب المقدس على مر القرون . فلا شئ فعله إنسان أو شيطان استطاع أن يقضي على «كلمة الرب الباقية إلى الأبد» ، لقد تم حرقه أمام الجماهير.وحكم بالإعدام على من يمتلكه ولكن كل الجهود التي بذلت لإبادته قد باءت بالفشل. واليوم فهو موضع التكريم والحفاوة في العالم كله .

(٦) معجزة إعداده :

إن كيفية اختيار أسفار الكتاب ووضعها فى الترتيب الحالى أمر يتجاوز قدرتنا الحالية . ونحن نؤمن أنه يوجد فى الكتاب المقدس كما هو بين أيدينا الآن الأدلة على السيادة المطلقة للروح القدس . فبينما على مدى الربع الأخير من القرن لدينا سيل من الطبعات الجديدة والترجمات والتفسيرات ، إلا أن العناية الإلهية قد حفظت كنز كلمته المكتوبة من الأذى والخطأ . قدم وستكوت Westcott وهورت Hort العالمان العظيمان فى عصرهما ، بحثاً مطولاً فى المخطوطات القديمة ، وهذا ماتوصلا إليه من تقرير :

« نظراً للكم الهائل من كلمات العهد الجديد كما فى معظم الكتابات القديمة الأخرى ، لا يوجد أى اختلاف أو أى ظل من الشك ، ولذلك ليس هناك مجال لنقد فى النص .. أما مقدار ما يمكن ، تحت أى مسمى ، أن ندعوه اختلافاً جوهرياً ، فهو قدر ضئيل من الاختلاف المتبقى ، ويكاد لا يشكل أكثر من جزء على ألف من مجمل النص » .

فمن بين كل ألف كلمة من النص اليونانى للكتاب ، ليس هناك شك أن ٩٩٩ كلمة منها هى الكلمات الفعلية التى كتبها الرسل والبشيرون . فالمسيحى لذلك يمكنه أن يأخذ الكتاب كله فى يده ويقول دون خوف أو تردد إنه يحمل إعلان كلمة الله المسلم إليه ، دون فقد أى شئ جوهرى من جيل إلى جيل عبر القرون .

(٧) معجزة نفوذه الباقية :

كما أن الكتاب المقدس خارق فى إعداده وحفظه فهو خارق كذلك فى تأثيره . فلا يوجد كتاب آخر قد أثر على حياة البشر والأمم كالكتاب المقدس .فلأنه معجزى فهو يحدث المعجزات فى قلوب وحياة الذين يؤمنون به ، ولن نستطيع أن نشرح كيف يمكن للحقائق التى فيه أن تهب حياة لأولئك الذين كانوا أمواتاً بالذنوب والخطايا . إن الآراء العصرية والعقلانية قد تحاول أن تضعف نفوذ الكتاب المقدس وسلطانه ، ولكنه مستمر فى خدمته المنتصرة لعالم محتاج ، ولا يزال حياً نشطاً وأمضى من كل سيف ذى حدين (عب ٤ : ١٢ RV).

(٨) معجزة توزيعه :

إن الكتاب المقدس لا يزال من أفضل الكتب مبيعاً فى العالم على الرغم من أنه كتاب قديم تجاوز عمره آلاف السنين . وحتى فى عصر العلوم هذا الذى نعيش فيه ، والذى تتدفق فيه كتب لا تعد ولا تحصى من المطابع ، فالكتاب المقدس يتفوق عليها جميعاً فى توزيعه . لقد ترجم إلى ما يزيد على ١٠٠٠ لغة من إنتاج سنوى بلغ ما يزيد على ٣٠ مليون نسخة . إنه يذهب لكل مكان ، إلى الأكواخ الجليدية للإسكيمو ، وإلى أكواخ الخيزران فى المناطق الاستوائية ، وإلى خيام البدو المصنوعة من الجلود ، وإلى العوامات التى يسكن فيها الصينيون فى الأنهار الصينية . ما الذى يمكن أن نقوله بخلاف ذلك سوى « كل التحية للكتاب المعجزة » .

(٢) معجزات أسفار موسى

١ - معجزة الخلق

تكوين ١ ، عبرانيين ١١: ٣ ، انظر مزمور ١٠٤ ،

أيوب ٢٦ : ٨ ، أمثال ٨)

من أعظم المعجزات التى أجريت تكون افتتاحية كتاب الله المعجز . يا له من استعراض مذهل وخارق للقوة الإلهية تملأ الصفحات الأولى للكتاب المقدس .لا نستطيع فى هذه المساحة الضيقة أن نتحدث عن كل ما يتصل بقصة سفر التكوين عن الخلق . فكل السجل الرائع للخليقة تجده موجزاً فى العبارة الافتتاحية الملوكية للكتاب المقدس « فى البدء خلق الله السموات والأرض » (١:١) ، تماماً كما أن السجل الوحيد الصادق فى العالم عن بداية الإنسان موجود فى الكلمات : « وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية » (تك ٧:٢) ، ونحن نؤكد أيضاً أنه « بالإيمان نفهم ان العالمين أتقنت بكلمة الله » (عب ١١ : ٣).

والكتاب يعلن أن كل أقانيم الثالوث قد اشتركت فى عملية الخلق . فالمرنم يذكر الآب والابن والروح القدس معاً فى عدد واحد فى وصفه للخليقة « بكلمة (المسيح) الرب (يهوه - الله) صنعت السموات ، وبنسمة (الروح) فيه كل جنودها » (مز٣٣: ٦) . ويعلن إشعياء عن عمل الله فى الخلق (إش٤٢ : ٥-٧) ، ويتحدث داود عن الدور الذى قام به المسيح فى الخلق (مز ١٠٢:٢٥-٢٧، عب١) ، ويعطينا أيوب لمحة عن اشتراك الروح القدس فى هذه المهمة (١٣:٢٦) . إن الخلق أثر للقوة الإلهية ومرآة تعكس الحكمة الإلهية . دعنا أول كل شئ ننظر إلى أثر القوة كما هى معلنة فى خلق الكون والإنسان .

خلق العالم :

إن كانت معجزة ما شيئاً يفوق فهم الإنسان ، فخلق العالم كان معجزة من أقوى المعجزات . إن توماس واطسون Thomas Watson ، المفسر البيوريتانى الذى كان س . هـ سبرجون Spurgeon يحب أن يقرأ له ، كتب عن الخليقة « إنها الكتاب المقدس للوثنى ، والخط الذى يحدد الثلمة بالنسبة للرجل الذى يقود المحراث والنظارة المكبرة التى يستطيع بواسطتها المسافر أن يرى تجسيداً لكمالات الله غير المتناهية . إن الخليقة كتاب كبير نرى فيه أعمال الله واضحة جلية ، وهذا الكتاب يحوى ثلاث ورقات كبرى السماء والأرض والبحر » .

إن الله مثلث الأقانيم أوجد العالم من لا شئ ، فليس هناك مادة كانت موجودة من قبل استخدمها الله فى عملية الخلق . فى عملية بناء الهيكل احتاج سليمان رجالاً واحتاج الرجال لأدوات ، ولكن لم يكن هناك لزوم لأدوات عندما خلق العالم لتوليد شئ من آخر . هناك مادة تصلح كأساس للعملية ، ولكن النسيج المجيد للخليقة جاء من رحم العدم . فالله علق الأرض على لا شئ .

لقد خلق الله العالم بكلمة ، قال فصار « بكلمة الرب صنعت السموات » (مز ٣٣ : ٦) . لقد تعجب التلاميذ أن المسيح استطاع بكلمة أن يهدىء البحر ، ولكنها كانت معجزة أعظم أن يجعل كل بحار العالم تظهر بكلمة واحدة .

لقد عمل الله كل شئ حسناً أى بلا عيب أو تشويه

(تك ١ : ٣١) ، لقد خلقت الأصابع الإلهية عالماً كاملاً (مز ٨ : ٣) ، ومع ذلك لم يمض وقت طويل حتى شوهت الخطية الأرض الجميلة . يقول توماس واطسون إن « الخطية قد حجبت الجمال ، وأزالت الحلاوة ، وشوهت تناغم العالم » . إن الله جمَّل الخليقة . فالعالم لم يخلق لفائدة الإنسان فقط ، بل لمسرة الله أيضاً . وهكذا امتلأت الأرض بالزهور ورصَّعت السموات بجواهر الشمس والقمر والنجوم حتى يبدو الكون كله رائعاً . لابد أن الله محب للجمال !

هذه بعض الاقتباسات القليلة المعبرة عن أوجه الخير والجمال فى الخليقة :

« الجاعل الشمس للإضاءة نهاراً وفرائض القمر والنجوم للإضاءة ليلاً ».

« الذى يخرج بعدد جندها يدعو كلها بأسماء . لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يُفقد أحد » .

« تجعل مطالع الصباح والمساء تبتهج » « يرعد بصوته عجباً . يصنع عظائم لا ندركها » .

« يجعل الغمام مركبته ، ويمشى على أجنحة الريح »
« يعطى الثلج كالصوف ويذرى الصقيع كالرماد . يلقى جمده كفتات . قدام برده من يقف » .

« يدعو مياه البحر ويصبها علـــى وجه الأرض »
« يرسل ينابيع فى الوديان فتجرى بين الجبال » (مز ٦٥: ٥ ، ١٠٤ : ٣ و١٠ ، ١٤٧ : ١٦و١٧ ، أى ٣٧ : ٥ ، إر ٣١ : ٣٥ ، إش ٤٠ : ٢٦ ، عا ٥ : ٨) .

كل هذه الفقرات تبين أيضاً القوة الإلهية وهى تعمل فى ومن وراء الطبيعة ، وفيما يختص بإعلان قوته المعجزية يقول هنرى ثورن فى مجلده الأول عن « القراءات الكتابية فى سفر التكوين » : -

« إذا كنا نفهم أن كلمة معجزة تعنى استعلان القوة الإلهية بوسائل وعمليات غير معتادة وغير مدركة لنا كبشر ، إذن فقصة الخلق هى قصة المعجزات ، وإذا كانت معجزة الخلق قابلة للتصديق فمن المنطقى أيضاً أن نصدق حدوث معجزات أخرى . فإطعام الجموع الغفيرة بعدد قليل من الأرغفة والسمك أمر بسيط عند مقارنته بإيجاد المساحات الشاسعة من حقول الشعير والقمح وكل الكائنات التى تفيض بها المحيطات والتى تتواجد فوق الأشجار ، وإتلاف شجرة التين شأن بسيط مقارنة بعجائب الخليقة كما نراها فى عالم النبات . إن معجزة الخلق ليست أكذوبة ، إنها حقيقة رائعة ،« إنها معجزة الرحمة لأنها أجريت مع أخذ سقوط الإنسان فى الاعتبار . إنها تعكس قوة وحكمة وعظمة ومجد وصلاح ذاك الذى أجراها » .

بعد أن تأملنا فى الخليقة كأثر للقوة الإلهية ، دعنا نتأمل قليلاً فى الخليقة كمرآة تعكس الحكمة الإلهية . فكالإله الوحيد الحكيم « استطاع بقدرة عجيبة أن يخلق الكون . فحيثما وجهنا أبصارنا ، نرى الفكر والتصميم والخطة فى كل أعمال خليقته . ألا نشاهد ذلك فى تسيير وضبط كل شئ فى مكانه وموضعه الصحيح ؟ ما أعظم أعمالك يارب كلها بحكمة صنعت » (مز ١٠٤ : ٢٤).

إن معجزات الحكمة الإلهية نلتقيها فى كل مكان. فمثلاً ، خذ هذه العبارة « أنت نصبت كل تخوم الأرض الصيف والشتاء أنت خلقتهما »(مز ٧٤ : ١٧) !

يعبر واطسون العجوز بأسلوبه غير المألوف ولكنه معبر مع ذلك فى تعليق على حكمة الله كما نرى فى الخليقة والفداء :

« لو وضعت الشمس فى مدار أدنى مما هى فيه لحرقت الأرض ، ولو كانت فى مدار أعلى لما أدفئتنا بأشعتها ، إن حكمة الله ترى فى تحديد فصول السنة ، فلو كانت السنة كلها صيفاً للسعتنا الحرارة ، ولو كانت كلها شتاء لقتلنا البرد .

إن حكمة الله ترى فى خلق الظلام والنور ، فلو كان اليوم كله ليلاً لما كان هناك عمل ولو كان كله نهاراً لما كانت هناك راحة .

والحكمة ترى فى مزج العناصر ، كالأرض والبحر . فلو كان البحر هو كل شئ لكنا بحاجة للخبز ، ولو كانت الأرض هى كل شئ لاحتجنا للماء . وحكمة الله ترى فى إعداد وإنضاج ثمار الأرض ، وفى الريح والصقيع الذى يعد الثمار ، وفى الشمس والمطر اللذان يعدان باكورة الثمار . وترى حكمة الله فى عمل تخوم للبحر وفى تكوينه بطريقة تجعله حتى وإن كان فى منسوب أعلى من أجزاء كثيرة من الأرض ، إلا أنه لا يغمر الأرض » .

وبرغم عظمة ورونق العالم الحالى إلا أن انحلاله المأساوى تنبأ به (٢ بط ٣:١٠-١٢، رؤ ٢٠:١١، ٢١:١) وكذلك تحوله إلى سماء جديدة وأرض جديدة . ومع ذلك ففى هذا العالم الجديد الأبدى ، فالشئ البارز والذى يعطى حالياً ٢/٣ عالمنا الحالى سوف يختفى « والبحر لا يوجد فيما بعد » (رؤ ٢١:١) .

خلق الإنسان :

إن كانت المعجزة اختلاف عن المجرى الطبيعى للأشياء فخليقة الإنسان إذن كانت معجزة . فكما هو ثابت أنه لابد من وجود الإنسان الأول ، فمن الثابت أيضاً أن الإنسان الأول لابد أنه ظهر فى الوجود عن طريق معجزة ، وإذا كنا نقبل قدرة الله غير المحدودة كما هو حاصل بالفعل ، فلا يوجد سبب يجعلنا نعتقد أنه لا يستطيع أن يخلق آدم فى لحظة من الزمن من يضع جزئيات قليلة من التراب (تك ١: ٢٦و ٢٧، ٢ :٧) . والإنسان من أكثر الأشياء التى خلقها الله إتقاناً - إنه التحفة الإلهية - فى الخليقة . ولأن الإنسان قد صنع بنوع من القصد والمشورة « لنعمل الإنسان ، فهو عالم مصغر » ولنلاحظ صيغة الجمع « فلنعمل » بمعنى أنه كان هناك تشاور جاد بين أقانيم اللاهوت الثلاثة ، وأعطى الله صورته للإنسان وجعله شريكاً فى الكثير من السجايا الإلهية . إن التطور الذاتى لم يكن معروفاً للأقدمين ، ولذلك فقد أعطوا الله كل المجد لأنه خلقهم . فأيوب مثلاً ، لم يكن يخامره شك فى كيفية وجوده فى الحياة :

« يداك كونتانى وصنعتانى كلى جميعاً ... إنك جبلتنى كالطين ... كسوتنى جلداً ولحماً فنسجتنى بعظام وعصب . منحتنى حياة ورحمة وحفظت عنايتك روحى » (١٠ : ٨ - ١١ ، ١٢ ، ١٠ : ٣٣ ، ٣٣ : ٤) .

وداود يقول : لقد امتزت عجباً (مز ١٣٩) ، ولأن أجسادنا قد صنعت من التراب ،وقد جاء التراب من العدم، فعلام الكبرياء ؟ فمهما كان شكلنا جميلاً ، فهو لا يزيد عن كونه تراباً اتخذ ألواناً جميلة ،وكتراب سنعود إلى التراب ، فالحياة قد دبت فى هذا الجسد ومن أعطى الحياة وأعالها يمكنه ان يستردها فى أى لحظة يشاء « الذى بيده نفس كل حى وروح كل البشر » (أى ١٢:١٠) .

كم تعد نظرية التطور غير جديرة بالاحترام وغير ملائمة إزاء البداية الحقيقية للإنسان ! إن يوليان هكسلى ، زعيم التطوريين العصريين ، ليس لديه وقت لسجل الخليقة فى سفر التكوين ، فهو يقول : « فهذا الإعلان المزعوم للكتاب المقدس ، هو مجرد دعوة للإيمان بالأساطير ، وإنى لست معنياً بهذا »، فالله بالنسبة له « مجرد افتراض وسط عدة افتراضات »، ولذلك فهو ليس الإله القدير القادر على خلق الإنسان كما يؤكد الكتاب . فبالنسبة لهكسلى فالإنسان تطور تدريجياً ماراً بمراحل لا عد لها ولا حصر حتى صار قرداً ، ثم عن طريق الحلقة المفقودة (التى لا يستطيع دعاة التطور أن يجدوها) ظهر الإنسان . ولذلك فلا عجب إن كان هكسلى يتحدث عن البشر «كميكروبات تافهة» .

ولكن رجل متعلم مثل هكسلى وهو السير ج . وليم داوسون Dawson من جامعة ماكجيل قال : « التطور

كافتراضية ليس لها أساس من واقع التجربة ولا فى الحقيقة العلمية »، والبروفيسور س . ف رايت Wright من جامعة برلين فى كتابه « الجانب الآخر من التطور » يؤكد بالقول : « إن تعليم التطور الذى أصبح منتشراً فى الأدب الشعبى الآن عبارة عن تركيبة من ١/١٠ من العلم الردئ و ٩/١٠ من الفلسفة الرديئة » . للدكتور اثيردج Etheridge أمين فرع التاريخ الطبيعى فى المتحف البريطانى كلمة فاصلة يقول فيها : « فى كل هذا المتحف العظيم ، ليس هناك ظل من دليل على تحول الأنواع من حالة إلى أخرى . فتسعة أعشار حديث دعاة التطور ليس سوى محض هراء ، فالبشر يتبنون نظرية ثم يقلبون الحقائق لتدعيم تلك النظرية . إن هذا المتحف ملئ بالبراهين على الزيف الكلى لآرائهم ».

إن لسان حال دعاة التطور سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين يبدو أنه مطابق لما عبر عنه دكتور فرانكلين جونسون فى كتابه « أباطيل النقد الأعلى » : « إننا سوف نصقى بقدر الإمكان عن بعوضة الخوارق ونبلع جمل التطور بقدر الامكان » .

ونحن نختتم هذا الفصل الخاص بمعجزة الخليقة ، قد يكون من الملائم أن نضيف كلمة أو كلمتين بخصوص العلاقة بين الكتاب المقدس والعلم . وعندما يفهم الكتاب المقدس ويضاهى بأمانة واحترام مع « العلم الحقيقى » - وليس النظريات - سوف يكتشف أنه عصرى وصحيح . قال لورد كلفن أحد العلماء البارزين . « لا توجد حقيقة علمية مشهود لها تتعارض مع أى عبارة فى الكتاب المقدس » .

لا توجد أخطاء فى الكتاب المقدس ، علمية كانت أو غير علمية . على النقيض من ذلك ، هناك العديد من التوقعات اللافتة للنظر للاكتشافات العلمية - أى ، حقيقة أن الغلاف الجوى له وزن ، وأن الدم يدور ، وأن ذرات التراب الدقيقة هى المسببة للون الأزرق فى السماء ، وأن التلقيح الصناعى للحيوانات ممكن ، وأن الإنسان لا يمكن أن يحكم نفسه ، وأن العلم لا يمكن أن يحدّ الله .

ويمكننا ان نقتبس من مقدمة الكتاب العظيم للمرحوم الكولونيل ميرسون دافيز Merson Davies « الكتاب المقدس والعلم الحديث » :

« إن الكتاب المقدس ينتظر على ناصية طرق التقدم العلمى ليحيى المكتشف بإعلانه بالمعرفة المسبقة لاكتشافه .. ويتسلق الباحث صاعداً لأعلى فى الضوء الضئيل قبل الفجر ليجد أن الكتاب المقدس قد أنار له الطريق نحو القمة » . إن الكتاب المقدس ليس كتاباً علمياً ، ولم يُقصد منه أن يكون كذلك ، ومع ذلك فالعديد من أقواله قد غزت ميدان العلم لأنه ببساطة الإعلان الإلهى من الله ، الذى يعرف النهاية منذ البداية . وهناك مثلان يوضحان التوافق بين ترتيب البنود فى قصة سفر التكوين عن الخليقة وآخر مكتشفات العلم . فالترتيب الذى ينادى علم الجيولوجيا بصحته عن تطور هذه الأرض هو بالضبط الترتيب الذى أعلن عنه موسى :

(١) الفوضى.

(٢) الضوء.

(٣) الجلد أو القبة الزرقاء.

(٤) اليابسة .

(٥) النباتات .

(٦) الحياة فى الماء والهواء وعلى الأرض .

(٧) الإنسان .

وفى التشريح المقارن ، فمسألة الرتبة فى الحيوانات الفقرية يمكن تحديدها بنسبة المخ إلى العمود الفقرى ، وهذه النسب كالآتى :

السمك :	٢ - ١
الزواحف :	٢٫٥ - ١

الطيور : ٣ - ١
الثدييات : ٤ - ١
الإنسان : ٣٣ - ١

وقبل أن يحتل التشريح المقارن مكانه فى قائمة العلوم بآلاف السنين ، اتبع كاتب سفر التكوين الترتيب الصحيح فى التصنيف فى قصة الخليقة .

دعنا لا نخف من العلم حين يعارض الكتاب المقدس الذى « مصدره من فوق » وسوف يقف صامداً كالطور الأشم عندما تبطل النظريات التى تبناها الإنسان .

من أين جاء موسى بالمعرفة ؟ « ليس من معمل الكيميائى ولا من مرصد عالم الفلك ، ولا من الكهوف والغابات التى اكتشفها عالم الجيولوجيا ، لقد أتت من ذاك الذى لديه كل المعرفة والذى تعد اكتشافات العلماء بالنسبة له ذرة صغيرة من تراب فى كف ميزان علم الله .

٢ - معجزة انتقال أخنوخ

(تكوين ٥ : ١٩ - ٢٤ ، عبرانيين ١١ : ٥
انظر يهوذا ١٤و١٥)

لو أن المعجزة شئ لا يمكن تعليله من واقع ما نراه ونعرفه إذن فكل سفر التكوين معجزة . فانتقال أخنوخ . والفلك ، وتبلبل الألسنة ومعجزات أخرى تبرهن على أن هذا السفر الأول فى الكتاب المقدس سفر غير عادى ، فهو الكتاب الوحيد الصادق عن أصل أو بدايات العالم ، والعلم لا يمكن أن يكون قد زوده بالمعرفة ، لأنه لا يمكن لأحد أن ينكر أن سفر التكوين يحتوى سجلات ، التى وإن كانت تتفق مع أحدث الاكتشافات العلمية إلا أنها كتبت قبل العلم الحديث بآلاف السنين .

وإذ نأتى إلى الوصف الموجز والمبارك لحياة أخنوخ ، نكتشف أن كل شئ عن شهادته وانتقاله معجزى . وأول ذكر لهذا القديس جاء فى سفر التكوين الأصحاح الخامس ، فى سجل المواليد والوفيات فى أصحاح بالغ الطول . ولو جمعنا معاً كل أعمار المذكورين فى الأصحاح تتكون لدينا فترة طولها ٨٥٧٥ سنة . وكانت حياة أخنوخ من أقصر المدد ، فقد كانت ٣٦٥ سنة . وعاش ابنه متوشالح ٩٦٩ سنة - أى يفارق ٣١ سنة عن الألف سنة .

الشهادة لأخنوخ :

إن الشهادة المشرفة لهذا الأب تعتبر معجزة من معجزات النعمة ، فأخنوخ الذى نتأمل فيه الآن هو ابن يارد ، ولا يجب ان نخلط بينه وبين أخنوخ سابق وهو ابن قايين (تك ٤ : ١٧ و ١٨) ☆ .

(١) سار مع الله

نقرأ هذه العبارة مرتين « وسار مع الله » (تك ٥ : ٢٢و٢٤) ، والتكرار يؤكد أن هذه العبارة تعبيرصادق عن شخصيته ، ومع أن أخنوخ ولد بنيناً وبناتاً ، إلا أنه لم يجد أن الروابط العائلية والتجارب متنافرة مع حياة التكريس لله . فالمسئوليات العائلية لم تطفئ نار تقواه ، والمسرات العائلية لم يكن يسمح لها أن تحوله عن هدف حياته المكرسة . ومن الشيق أن نلاحظ أنه بعد ميلاد متوشالح فقط ، عندما بلغ أخنوخ ٦٥ سنة من العمر ، يقول الكتاب عنه إنه سار مع الله . فبعد أن وهبه الله طفلاً ربما أيقظ فيه ذلك محبة جديدة لله ، وإحساس أعمق بمسئوليته كأب .

وبالإضافة لذلك ، فعلى الرغم من أن أخنوخ كان يعيش فى عصر ملوث ، إلا أنه حفظ نفسه بلا دنس وسط عالم فاسد ، ويمكن أن نستنتج شر عالم ما قبل الطوفان الذى عاش فيه أخنوخ والذى شهده من نبوته التى اقتبسها يهوذا ، فحتى فى زمن الارتداد ، فقد أعلن أخنوخ عن

☆ ذكر اسمه حنوك فى الطبعة العربية لفان دايك ، ولكن فى الطبعات الإنجليزية أسرة أخنوخ » (المترجم)

رجائه فى الخلود. وتكرار العبارة « سار مع الله » تقدم أحد الأمثلة الخاصة بتأثيرات نعمة الله ، وتبين كل ما هو رائع فى شخصية أخنوخ . ولا نقرأ عبارة « سار مع الله » سوى عن أخنوخ ونوح (تك ٥ : ٢٤ ، ٩ : ٦) وسار آخرون « أمام الله » (تك ١:١٧) . إن مثل هذا السير يوحى **بالتوافق** ، لأنه لا يمكن لاثنين أن يسيرا معاً« سوى بالاتفاق فى الفكر ، والإرادة ؟ » (عا ٣ : ٣) . **وبالألفة** ، لأنه كيف يمكن لاثنين أن يسيرا معاً ما لم يبوحا بأسرارهما كل منهما للآخر ؟ لقد كان الله وأخنوخ صديقين وكانا يتبادلان أسرارهما (يو ١٤ : ٢١ و ٢٢). **وبالمحبة** ، لأن المحبة هى جوهر الصلة الحقيقية . فالله وأخنوخ أحب كل منهما الآخر ، وهكذا تجنبنا أى تباعد محتمل (مز ٣٧ : ٤) .

يقترح فاوست أن العبارة « سار مع الله » قد تكون من آثار الفردوس الأول عندما سار الإنسان وتحدث مع الله فى ألفة مقدسة ، وتوقع للفردوس الثانى (رؤ ٢١ :٣ ، ٢٢ : ٣ و٤).

(٢) أرضى الله

قبل انتقاله قيل عن أخنوخ إنه « أرضى الله » ، وهذه السمة التى تترجمها السبعينية بأنه « سار مع الله » تبين كما يذكرنا فاوست Fausset بالاستمرار فى عمل الخير، فى حياة قضاها فى حضرة الله وفى اتحاد دائم معه . لقد كان رمزاً ملائماً للمسيح الذى قال عنه الله « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » .

وقيل عن أخنوخ إنه « السابع » من آدم ، ورقم (سبعة) هو الرقم الدال على الكمال الإلهى . إن أخنوخ يمثل الإنسانية الكاملة . يقول إيريناوس Irenaeus « كما تسقط الملائكة إلى الأرض بالمعصية ، هكذا صعد هذا الرجل للسماء بإرضاء الله » .

وسير أخنوخ التقى لم يسرّ الذين حوله ، إن تقواه لم تجد قبولاً لدى معاصريه غير الأتقياء كما يتضح من رسالة يهوذا (١٦ و ١٨) . لقد كان الفساد الذى عمَّ أهل ما قبل الطوفان مستشرياً حتى إن شهادة أخنوخ وتحذيره لم يكن له تأثير عليهم ،وجاء الطوفان وأخذهم جميعاً فيما عدا حفيده نوح وعائلته .

(٣) آمن بالله

لقد عرف أخنوخ أنه بدون إيمان لا يمكن إرضاء الله . ولذا كان إيمانه النبع الحقيقى للحياة المقبولة لدى الله (عب ١١ : ٥ و ٦). يكتب تشارلس سيمون Charles Simeon مذكرة إيضاحية عنوانها « انتقال بالإيمان » فيقول : « بالرغم من أن الإيمان ربما كان له صلة مباشرة فيما يختص بوعد كان قد أعطى له بخصوص انتقاله إلا أننا لا يمكن إلا أن نعتقد أن له صلة أخرى بالمسيا الموعود به ، وما يدعم هذه الفكرة ما ورد فى رسالة يهوذا عن نبوة أخنوخ عن دينونة الأشرار (١٤و ١٥) فى المستقبل ، وإذا كان قد تنبأ بالمجئ الثانى للمسيح فبلا شك أنه كان على علم بمجيئه الأول » .

(٤) تنبأ عن الله

كان أخنوخ رائياً كما كان قديساً . وكان أخنوخ من حماة النبوة . هناك أسطورة عند العرب تقول إن أخنوخ هو الذى اخترع الكتابة ، واليهود يؤكدون أنه ترك العديد من الكتب .ألا تستحق نبوته الخطيرة عن مجئ الرب « ليصنع دينونة » أن تعلق من أسطح المنازل لعالم بلا إله ؟

على أى حال إننا نبتعد كثيراً عن الإنذار الخطير فى الكتاب المقدس فيما يختص بالدينونة القادمة .

انتقال أخنوخ :

لم تمض سوى خمسين سنة بعد موت آدم الذى لابد أن أخنوخ كان قد تحدث معه بشأن مصدر الخليقة والخطية والموت ، وفى هذا اللقاء لابد أن أخنوخ قد عرف شيئاً عن

حياة الدهر الآتي ، ففي ظل العهد القديم ، كان الآباء يبتغون وطناً أفضل أي سماوياً (تك ٤٩ :١٨، أي ١٩ : ٢٥ ، عب ١١ : ١٠ ،١٣ و ١٦) ، وقد أقروا أنهم غرباء على الأرض . إذن بالنسبة لأخنوخ قد حدثت المعجزة ، حالما نقل الله النبي فجأة من مكان لآخر (١مل ١٢:١٨) ، وخطف فيلبس (أع ١٢:١٨) ، ولذا فأخنوخ قد خطف إلى السماء حياً وهو في أتم صحة . وإيليا في انتقاله ، قد لمح رؤية لنفس الأمل المجيد .

ومن المفيد أن نلاحظ اللغة المستخدمة لوصف انتقال أخنوخ المعجزي . أول العبارات التي تجذب انتباهنا عبارة « لم يوجد » (تك ٥ : ٢٤، عب ١١ : ٥) موحية بفكرة أنه يوماً ما تم البحث عنه ولكنهم لم يجدوه . ربما بحث عنه أصدقاؤه الذين كانوا يكرمونه (انظر ٢ مل ١٦:٢) أو أعداؤه الذين كانوا يكرهونه (انظر ١ مل ١٨ :١٠) ، ومع ذلك فاختفاؤه المفاجئ قد أثار الدهشة لمدة قليلة فقط حيث إن اختطاف القديسين سوف يتم عند مجئ المسيح .

« الله أخذه » « الله نقله »- هذه العبارات توحي بصعود أخنوخ المعجزي (تك ٥ : ٢٤ ، عب ٥:١١) ، وهو أول قديس يسمع الصوت الموسيقى يقول « قومي يا حبيبتي ياجميلتي وتعالي » (نش ٢ :١٠) ، لقد صعد وانتقل بعيداً عن عالم مضطهد وغير تقي ، وربما كان يطلب القضاء عليه بسبب تحذيراته الملتهبة (يه ١٤و١٥). إن أخنوخ لم ير الموت بمعنى أنه لم يختبره .إنه لم يقم من الأموات لأنه لم يمت ، لقد تم نقله إلى تربة أخرى .

«ونقل» توحي بالانتقال المفاجئ من الفناء إلى الخلود بدون موت كما سيحدث للقديسين الأحياء . عند مجئ المسيح (١ كو ١٥ : ٥١ و ٥٢) والذي يعتبر أخنوخ مثالاً له ، وانتقاله شهادة مناسبة للحقيقة التي أعلنها في وجه عالم ساخر غير مؤمن .

« هوذا قد جاء الرب »

يقول فاوست : « إن أخنوخ عينة للذين سوف يختطفون ولن يذوقوا الموت في تغيير يحدث في لحظة وطرفة عين ، عينة لأولئك القديسين الذين سوف يكونون أحياء ويتحولون في لحظة إلى شبه جسد المسيح الممجد عند ظهوره » . فلو كانت لدينا شهادة أخنوخ ، فلاشك في أننا سوف نكون شركاءه في تغيره المفاجئ .

٣ - معجزة الطوفان

(تك ٧ : ٩ - ١٢ و ١٧ - ٢٤ ، ٨ : ٢، مت ٢٤ : ٣٧ - ٣٩ ، عب ١١ :٧، ١بط ٣ :٢٠، ٢بط ٢ : ٥).

إن الكارثة المروعة التي حلت بأناس ما قبل الطوفان تذكرنا بخطورة ما يمكن أن يحدث عندما يطلق الله قوى الطبيعة من عقالها ، تلك القوى التي خلقها بنفسه . ومع أن اللاهوتيين المتحررين يعتبرون قصة الطوفان أسطورة أو خرافة ، إلا أن المسيحيين الحقيقيين لا يشكون في حقيقتها. إن سير ليونارد وولي Leonard wolley ودكتور لانجدون Langdon اللذين لم يصدقا قصة الطوفان في سفرالتكوين ذهبا ونقبا في منطقتي أور وقيش في سنة ١٩٢٧ ووجدا دليلاً دامغاً عن الطوفان حتى إنهما في سنة ١٩٢٩ كتبا إلى جريدة اللندن تايمز قائلين : «كنا نكره أن نعتقد أنه لدينا الدليل على حدوث الطوفان المذكور في سفر التكوين ، ولكننا لا نشك في حدوثه الآن » .

إن إيجاد مأوى لآلاف الطيور والحيوانات والحشرات الزاحفة في الفلك الذي وضع الله تصميمه وأمر نوح بعمله، والطوفان المخيف الذي دمر كل أثر للحياة خارج الفلك ، ويبرز كأعظم معجزات الكتاب المقدس رهبة . وأشير هنا على القارئ بالاطلاع على كتاب الجيب لهالي، فهو عبارة عن موجز ممتاز يتصل بالاكتشافات الأركيولوجية في المنطقة التي حدث فيها الطوفان ، وتقاليد الطوفان . ولو

أتيح لنا المجال ، فهناك العديد من الأشياء الطريفة فى قصة الطوفان كنا نحب أن نتحدث عنها بإفاضة . هناك التحذيرات الإلهية بحدوث الطوفان لمدة تزيد عن ١٢٠ سنة قبل حدوثه ، والدلالة النبوية للطوفان كما أعلنها المسيح فى حديث جبل الزيتون ، وضرورة الطوفان بسبب العنف والفساد الشامل ، والمنطقة التى شملها التدمير ، وحجم وشكل الفلك ، وماذا كان بداخل الفلك ، والمثال النبيل ، ألا وهو الصبر ، ومذبح نوح . ولكن حيث إن هذا كتاب يتعامل مع معجزات الكتاب المقدس ، فعلينا أن نركز على الطوفان نفسه كحدث حقيقى قد أمر به الله ، معجزة من معجزات الطبيعة مادمنا نعتقد بالمعجزات .

فبينما الأسباب المادية للطوفان مذكورة بوضوح ، فإلى جانب سيول الماء الكاسحة التى أحدثت مثل هذا الدمار الرهيب ، هناك التدخل المباشر من ذاك الذى قيل عنه إنه « المنزل مطراً على وجه الأرض ، وأنه أب المطر »(أى ٥ :١٠ ، ٢٨:٣٨) ، فهو الذى فتح طاقات الغمر من فوق ومن أسفل . وتقول أدا ز. هابرش إن « يده رسمت خريطة لسطح الأرض وشكلت الشريط الساحلى وأعطت للمحيطات حدوداً لا تتجاوزها ، وأن قوته تمتد إلى كل المياه التى على الأرض وتلك التى فى السحب من فوق ». فقوة الله على كل البحار والأنهار والينابيع ومجارى المياه معلنة بوضوح فى الكتاب المقدس (مز ١٠٤ : ١٠ ، ١٠٧ : ٢٢ و ٣٥ ، أى ١٢: ١٥ ، تك ٧:١١) . وهكذا عندما عاقب الله شر الأرض عن طريق طوفان قوى ، فإنه فتح ينابيع الغمر أى أنه بإجراء تغيير سريع ، فالمياه التى كان قد قيدها فى الخليقة قد أطلقها لإتمام قصده . وفى نفس الوقت ، سكبت السحب سيول المطر الجارف كما لو كانت بوابات الطوفان العلوية قد فتحت لتلتقى مع مياه المحيط وهى تندفع بقوة لأعلى مخترقة لجج الأرض . إن الاندفاع الشامل للماء من جميع الجهات قد سبب آثاراً مدمرة . ويلفت هالى Halley الانتباه لحقيقة أن « خريطة إقليم جبل أرمينيا تشبه تقريباً قمة جزيرة محاطة ببحر قزوين والبحر الأسود والبحر المتوسط والخليج العربى والمحيط الهندى . والهبوط الحاد للمنطقة لأسفل يجعل المياه تندفع من كل هذه البحار ، والمياه المندفعة من المحيط الهندى حملت الفلك بسرعة تجاه الشمال » .

وحيث إن البحار ملكه لأنه صنعها فقد أطاعت أمره .

أما عن الدمار الذى أحدثه الطوفان ، فكل الجنس البشرى - الذى قدر بـ ١٠٠٠٠٠٠٠ شخص حى فى ذلك الوقت - قد هلك . وكل من نجا كانوا أربعة رجال وأربع سيدات لأنهم لم ينساقوا وراء الخطية . فبعد ما يزيد على ١٦٠٠ سنة من التاريخ البشرى ، انحط الجنس البشرى تماماً انحطاطاً أخلاقياً حتى إنه لم يكن ملائماً له أن يعيش . إن حقيقة الطوفان المخيفة تعنى أنه توجد حدود حتى لرحمة الله ، وأن قوانين الطبيعة مصممة بحيث أنها تقدم نذيراً مدوياً ورهيباً أحياناً ضد من يتحدى هبات الرحمة الإلهية ، ويكسر القوانين المعبرة عن قانون الله الأخلاقى وسلطته على الكون . فتدمير كل الجنس البشرى باستثناء ثمانية أفراد كان فى الحقيقة قراراً رهيباً ، ومع ذلك فبالرغم من أن الدينونة كانت مريعة ، إلا أنها كانت عادلة تماماً . فكديان كل الأرض ، فالله عادل دائماً وحق . ولذا كما يذكرنا تشارلس سيمون Charles simeon : «لا نجد منذ تأسيس العالم حتى وقتنا هذا باستثناء ذبيحة المسيح التى قدمها على الصليب لأجل خطايا البشر ، إعلاناً لكراهية الله للخطية كحادثة الطوفان الذى دمر العالم كله ، فقد عوَّج كل ذى جسد طريقه ، فصمم الله أن يمحو من على وجه الأرض كل شئ حى » . ومع ذلك ففى وسط هذا الهلاك كان استعلان النعمة لأننا نقرأ أن الله قد أغلق باب الفلك على نوح وعائلته « وقيام يهوه بهذا العمل الدال على العناية الشخصية بنوح أمر لافت للنظر ، هكذا يقول هنرى ثورن فى تعليقه المثير ، : عندما « انفتحت طاقات السماء » (تك ٧ : ١١) ، أغلق نوح

طاقاته ، ولكن عندما أغلقت طاقات السماء ، فتحت طاقات الفلك (تك ٨ : ٢) ، وهذا يأتى بنا للتأثير المزدوج المضاد لمعجزة الطوفان . فكل الذين فى الفلك نجوا من الموت، وكل الذين كانوا خارجه هلكوا ، وهذا يثبت أن «النعمة أسمى دائماً من الناموس ، لأنه حتى عندما كان الناموس هو المسيطر ، استطاعت النعمة أن تتدخل وتقاوم الناموس ، ولكن عندما سيطرت النعمة ، وقف الناموس عاجزاً عن مقاومتها . وعندما يعمل ناموس كالطوفان على إهلاك الناس بالدينونة ، تقدم النعمة فلكاً يعتلى الطوفان » .

بعد أن أمطرت لمدة سبعة اسابيع تقريباً (تك ٧:٤ . ١٢) وغطت المياه الأرض لمدة ١١٠ أيام أخرى بعد توقف المطر، تكون المدة كلها ١٥٠ يوماً (٢٤:٧) ، كان مطلوباً معجزة أخرى لتجعل الأرض جافة مرة أخرى (١٤:٨) ، ويخبرنا الكتاب المقدس فى فقرة بليغة كيف توقف الطوفان :

« وجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه ، وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء . فامتنع المطر من السماء . ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً . وبعد مئة وخمسين يوماً نقصت المياه » (تك ٨ : ١ - ٣) .

إن روح الله (تك ٢:١) تدخل وأوقف المطر وأثر على مسار الفلك « فالرياح القوية تجرى كلمته » ، إن الله فى أحيان كثيرة يدعو رياحه لتنفيذ مقاصد دينونته ورحمته . لقد قالوا عن يسوع : « فمن هو هذا حتى تطيعه الريح وموج البحر » ، وبعد توقف الطوفان ، جاء الميثاق الإلهى بألا يتم تدمير الجنس البشرى ثانية بهذه الطريقة . فقوس قزح الجميل المبهر أصبح رمزاً لأمانة الله (رؤ ٣:٤) ، إن الهلاك القادم للأرض سوف يتم عن طريق النار (٢ بط ٧:٣) .إن قوس قزح وقتئذ كان لأولئك الذين نجوا من الطوفان ، ولكنه لم يكن لأولئك الذين ماتوا عند ظهوره .

فالموتى فى خطاياهم ليس لهم عهد مع الله ، وفى كل مرة يرى المسيحى قوس قزح ، فإيمانه بإله حافظ للعهد يزداد رسوخاً .

٤ - معجزة بابل

(تكوين ١١ : ١ ، ٥ - ٩ ، إش ١:١٣)

إذ ننتقل من معجزة لأخرى فإننا نندهش ليس فقط لإظهار سيادة الله فى كل ميدان بل للأسف الذى يسببه الخطاة لله. لقد وصفه أحدهم بأنه « الإله الذى يعانى بسبب شر الإنسان ». فقد حزن عندما بذل كل ما فى وسعه لخير الإنسان عبر أزمات التاريخ . فبعد الخليقة الرائعة ، فإن خطية آدم وحواء أحزنت قلب الله ، وبعد الإنقاذ المعجزى لنوح من الطوفان ، فإن نوح وعائلته لم يسروا قلب الله ، وفى بابل للمرة الثالثة ، أحزن الإنسان قلب الله ، وللمرة الثالثة لم يهلك الله الخطاة تماماً ، ولكنه احتفظ بطريق يوصل للجلجثة والفداء الشامل» .

ان قصة بناء بابل ، مذكورة بإيجاز لافت للنظر . فالكتاب المقدس لا يسرد الكلمات هباء . فجماعات من البدو من الشرق استقروا فى بابل (تك ١٠:١٠) ، وهو قرار يخالف القصد الإلهى تماماً (تك ١: ٢٨، ٩ :١و ٧و ٩) لقد كانت الأرض كلها تستعمل لغة واحدة بكلمات قليلة أو بنوع واحد من الكلمات . فما هى تلك اللغة ؟ إننا لا نستطيع أن نعرف عنها شيئاً . يقترح بعض الكتّاب أنها كانت لساناً عبرياً . ولكن ما نعرفه ، أن ملكة الحديث وكلمات أول لغة كان مصدرها الله وقد أعطاها لهم ، فآدم لم يكن بإمكانه أن يخترع اللغة التى استخدمها فى الحديث مع خالقه . لقد فهم آدم وحواء بالفطرة اللغة الإلهية ، وقد أطلقا على الحيوانات أسماء تتفق مع عوائدها وطبيعتها ، وكانت هذه هى اللغة التى استخدمها الله فى إعطاء موسى الإعلان الموجود فى سفر التكوين ، وكانت هى نفس اللغة المستخدمة عالمياً حتى برج بابل بعد

الطوفان بمئة سنة (تك ١٠:٢٥، ١١:٩) .

وفي بابل (Babel) وهو الاسم الشائع لما يطلق عليه (Babylon) ، بنى الناس مدينة وبرجاً ، وكانت بابل دوناً عن سائر مدن العالم القديم مشهورة بأبراجها العالية. وكلمة بابل (Babel) تعني « تشويش » وهي تعني « أسلوب رفيع المستوى متعذر الحديث به ، ومشروع وهمي، وخليط عنيف مضطرب ، ومشهد من الارتباك التام ، ومكان للصخب والضجيج »، وفي روح العصيان قال الناس: « هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجاً »، بالطبع لا شئ خطأ في بناء المدن ، وهو مشروع بدأه قايين(تك ٤ :١٧)، إن الطور الشرير في هذا المشروع كان الرغبة أن يكون البرج « رأسه بالسماء »، ومن هنا يصنع البناؤون اسماً لأنفسهم ، ولكن الله وحده له الحق ليصنع لنفسه اسماً (إش ٦٣:١٢و١٤، إر ٣٢ : ٢٠).

يقول فاوست إن هذا الطموح الدال على الكبرياء له هدف مزدوج :

(١) لقد رغبوا أن يكون لهم منارة مركزية ترشدهم عند عودتهم من تجوالهم .

(٢) لقد كان لهم غرض طموح بصفة خاصة لأنه عند بقائهم كأمة واحدة يمكنهم أن يخضعوا كل القبائل التي ابتعدت عنهم بصورة دائمة ، وبذلك « يصنعون لهم أسماً » وهذا نوع من الامبراطورية العالمية . فبعد أن فقدوا الرابطة الروحية الداخلية ألا وهي رابطة الوحدة - وهي محبة الله التي توحدهم معاً في محبتهم بعضهم لبعض - جاهدوا بأن يعوضوا ذلك بوحدة خارجية باستخدام القوة . إن مثل هذا الطموح الذي يحركه الكبرياء هو تمرد صريح في مواجهة أمان زائف وحالة محزنة أخرى تدل على فساد الإنسان ، تتطلب معجزة أخرى من معجزات الديتونة . إن ما عمله البناؤون أثبت أنه على الرغم من أن الفيضان قضى على الخطاة إلا أنه لم يقض على الخطية .ولا شك أن الشيطان في تحفيزه لهؤلاء البنائين فكر أنه يمكن أن يهزم المقاصد الإلهية ، ولكن لا الشيطان ولا الإنسان بقادر على تحقيق ذلك الهدف (أم ٢١:٣٠) .

لقد قاطع الله البنائين في وسط آمالهم وخططهم كما عمل مع الفلاح الغني الذي أراد ان يبني مخازن أوسع ، إن خطية البشر لا تستطيع أن تصمد في وجه السيادة الإلهية ، ولذا فقد نزل الله وبلبل لسانهم « هلم ننزل » (انظر تك ١:٢٦، ١١:٦) . إن الله يستطيع أن يجهض خطط الأشرار بآلاف الطرق (أم ٥ : ٢١ ، ١١:٢١). إن بلبلة الألسنة كانت الوسيلة الإلهية لمنع الجنس البشري من إخضاع الأرض ، وكان هذا العقاب عمل من أعمال العناية الإلهية ، لأن التشتت كان وسيلة للإنقاذ .

إن الأصل الحقيقي لتعدد اللغات واللهجات المتفرقة التي يوجد منها اليوم ما يزيد على ٧٠٠٠ ، هنا في المعجزة التي نحن بصددها . قد يقول العصاة : «شفاهنا معنا من هو سيد علينا » (مز ١٢ : ٤) ، ولكن الله الذي خلق الكلام له سلطان عليه . فلأنه صنع للإنسان فماً (خر ٤:١٠-١٢) فهو يستطيع أن يخرس البشر (حز ٣:٢٦و ٢٧، لو ١ : ٢٠و ٦٤) أو يجعل الأخرس يتكلم (مت ١٥:٣١). ففي بابل أريك الله اللسان الذي يتكلم به البشر ودحر محاولتهم التي كانوا يحاولون بها هزيمة القصد الإلهي . ولأنهم لم يستطيعوا بعد أن يفهموا لغة بعضهم البعض ، تفرقوا .« إن الوسيلة الإلهية لمجابهة طموح البشر وأحلامهم لتحقيق السيادة العالمية كان بلبلة الألسنة ».

ويقول فاوست فيما يختص ببلبلة الألسنة إن سبب تنوع اللغات يرجع لعمل سبب تأثيراً على العقل البشري ، تم به ضرب وحدة الشعور والفكر والإرادة .. إن بلبلة الألسنة لم تكن مصادفة ، ولكنها توزيع منظم للغات بغرض التوزيع المنظم لهجرة الإنسان » (تك ١٠:٥ ، ٢٠ و ٣١) .

واليوم فإن تعدد الألسنة يجعل الأمم متباعدة ، ويمنع

بعض أقسام من نفس المملكة من الاتفاق بروح واحد ، إن مثل هذا التعدد يضع عراقيل في طريق التبادل التجاري ، أو يجعل الأمم المتباعدة تتوجس خيفة من أمم أخرى لدرجة أنها تعاملها كأعداء ، إن تنوع اللغات التي يتكلمها البشر واختلاف جنسياتهم تذكرنا بحماقة مقاومة مقاصد الله . ثم فكر في العقبة التي خلقها هذا التعدد أمام انتشار الإنجيل ! فلكي تكلم أناساً غير مؤمنين بلغاتهم ، على المرسلين أن يقضوا سنوات لتعلم لغاتهم الوطنية وأساليبهم .

ومع ضياع اللغة الأصلية فإن تعدد الألسنة هي سمة جميع أمم الأرض ، إلا أنه سوف يأتي وقت حين تكون هناك « شفة نقية »(لسانا واحداً) لكل أمم الارض(صف ٣ : ٩) ، عندئذ يكون « والرب وحده واسمه وحده » (زك ١٤:٩) . وفي السماء بلسان واحد ، سوف ينشد المفديون ترانيم الحمد لذاك الذي بنعمته وجدوا أنفسهم في المدينة الخالدة .

٥ - معجزة ضرب فرعون

(تك ١٢ : ١٠ - ٢٠)

من الملامح المميزة للكتاب المقدس أمانته وصراحته في تصوير الحياة البشرية والشخصية ، فلا يمكن اتهام الكتاب بأنه تستر على أخطاء القديسين . إنه يقدم الصورة كما قال اوليفر كرمويل بكل ما فيها من عيوب ، ولا يهمل أدق التفاصيل . فنحن نرى في حياة بعض أفاضل البشر أعماق الشيطان وسمو الملائكة ، وهذه سمة تبعث فينا الأمل إذ نجد أناساً يشبهوننا في كل شئ .

فإبراهيم يبرز كواحد من أعظم الشخصيات في تاريخ العهد القديم . ياله من رجل ذي إيمان عظيم . ومع ذلك فالكتاب المقدس لم يجامل في حقيقة أنه قد واجه الفشل أيضاً في بعض المواقف . إن استجابة إبراهيم لدعوة الله كانت فريدة . وطاعته كانت كاملة . « بالإيمان إبراهيم لما دعي أطاع أن يخرج ... وهو لا يعلم إلى أين يأتي » (عب ١١ : ٨) . وطوال رحلته الطويلة التي دامت ١٧٥ سنة ، كان اتجاهه الأساسي نحو الله (عب ١١ : ١٠). ومع ذلك فقد كانت هناك بعض الهفوات أو الانتكاسات في حياته لا يتجاوز عددها اثنتين أو ثلاث (تك ١٢:١٠-٢٠، ٢٠) .

إحدى هفوات إبراهيم تتمثل في المعجزة التي أمامنا التي نرى فيها مثالاً لنعمة الله الواقية . فنزول الضربات المرسلة من السماء على بيت فرعون كانت بسبب عصيان إبراهيم ، فقد اقتاد الله إبراهيم إلى كنعان ، ولكنه ذهب إلى مصر بدون إرشاد إلهي . والجوع في أرض كنعان كان سبب عصيانه ، كان يجب عليه أن يتكل على الوعد « في أيام الجوع يشبعون » (مز ٣٧:١٩) ، لقد كان الجوع دائماً وسيلة إلهية لاختبار شعب الله في الأرض (تك ١:٢٦ ، ٤٢:٥ ، را ١:١ ، مز ١٠٥:١٦) . والالتجاء لمصر (وهي تمثل العالم) يمثل الميل لأن نستبدل موارد العالم الجسدية بالقوة الروحية بدلاً من أن نسترد الفضل الإلهي عن طريق الاعتراف وإصلاح طرقنا الرديئة .

يا للتناقض الصارخ بين موقف ذاك الذي هو أعظم من إبراهيم عندما كان وحده بلا طعام في البرية . إن المسيح لم يفعل شيئاً يسئ إلى أبيه ، فالخبز كان في مرتبة ثانوية بالنسبة له . وكان طعامه أن يعمل مشيئة أبيه أو أن «يحيا بكل كلمة تخرج من فم الله» (مت ٤:٤).

وفي مصر وضع إبراهيم سارة زوجته في ظروف محدقة بالخطر، وعرضها أيضاً لخطر عظيم كأم للنسل الموعود به ، إن سارة كانت امرأة ذات جمال ملحوظ ، وكانت أخت إبراهيم وليست شقيقته ، فقد كان أبوهما واحداً ولكن الأم لم تكن كذلك (تك ٢٠:١٢) . ولكن عندما أخبر إبراهيم فرعون أن سارة أخته (تك ١٢:١٣و ١٩)، فقد كذب من حيث أن ذلك يعني أنها أخته فقط وليست زوجته . فربما

أن ذلك كان لأن إبراهيم عرف كيف أن الملوك القدماء كانوا يستخدمون كل الوسائل الممكنة ، مهما كانت قاسية وعنيفة ، لكي يضموا امرأة جميلة إلى حريمهم . وفرعون إذ سر بسارة وكان يشعر أنه يتصرف تصرفاً مشروعاً ، فقد أخذها مع حريمه وكافأ إبراهيم بسخاء .

فما هى الضربات التى أرسلها الرب على فرعون وبيته كتحذير للملك ألا يمس سارة ؟ ليس لدينا رد على هذا السؤال . ربما عندما نزلت الضربات ، أظهرت سارة علاقتها بإبراهيم . فالضربات فى الكتاب المقدس تستخدم حاملة جميع الأمراض والأوبئة التى تحمل آلاماً مؤقتة عن طريق يد الله القادرة . فالضربة إذن يمكن أن تمثل أى داء خطير وشديد مفاجئ أو مرض أو وباء «يسلك فى الدجى» (مز ٩١:٦) أى كارثة غامضة مفاجئة فى الليل فى غياب ضوء وحرارة الشمس . بلا شك أن المتاعب المزعجة والإصابات الواضحة من أى نوع استمرت طيلة المدة التى مكثتها سارة تحت سقف بيت فرعون. إن الله قال لإبراهيم قبلاً :« سوف أباركك «وأجعلك بركة» ولكن فى مصر لم يكن إبراهيم بركة ، بل لعنة . (يالها من صورة منفرة تدعو للاحتقار وجبن مقيت متمثل فى وضع زوجته فى بيت رجل آخر). فلا عجب أن أسرع هذا الملك الوثنى بطرد رجل الله من أرضه كما لو كان يتخلص من طاعون . لقد تصرف إبراهيم بدون صلاة ، وخاف الإنسان وتلاعب بالحقيقة وتحمل ذل توبيخ رجل شرير .

إن صمت إبراهيم عندما وبخه فرعون وطرده من مصر يبدو أنه يدل على إدراكه أن « فرعون قد تصرف بطريقة أكثر صواباً من تصرفه هو» ، ومع ذلك فتكراره لنفس الخطأ (تك ٢٠) يثبت أن إبراهيم لم يشعر بكثير من وخز الضمير على ما فعله ، والحقيقة واضحة وهى أن الله الذى ضرب فرعون وحفظ سارة طاهرة وعفا عن ذنب إبراهيم . إن النعمة أخرجته من مصر (تك ١٣:١) وقادته إلى « مكان المذبح الذى عمله هناك » ، بعد أن غفر عن ذنب إبراهيم وتم استرداده من مصر ، عاد إلى ممارسة حياته كسائح ومتعبد لله ومعه الخيمة والمذبح ، ولم يكن لديه أياً منهما عندما كان فى مصر .

٦- معجزة تنور الدخان ومصباح النار

(تك ١٥و ١٧و١٨)

بعد حرب ناجحة لإبراهيم مع كدرلعومر ، دخل الله فى عهد مع عبده بأن نسله سوف لا يعد من الكثرة . وحتى تلك اللحظة لم يتلق إبراهيم سوى وعود عامة فيما يختص بأنه ستكون له ذرية وأن الأرض ستكون لنسله ، ومع تقدم سارة فى العمر وتقدمه هو كذلك ، بدأ هذا الأمل فى النسل وكأنه من المستحيلات ولكن الله تعطف على إبراهيم بإعطائه إعلاناً واضحاً محدداً .

لقد كانت كل حواس إبراهيم مغلقة تجاه كل الانطباعات الأرضية ، وجاءه قول غامض « فى رؤيا » ، وكانت هذه « رؤيا القدير » (عد ٢٤:٤) ، وكان حضور الله مصاحباً لإبراهيم ، وخلال هذا الاختبار غير العادى تلقى إبراهيم الكلمات المشجعة باعتبار الله ترسه وأجره العظيم . كان إبراهيم صامتاً بين يدى القدير وصدق كلمات الله فيما يختص بالجمهور العظيم الذى سوف يخرج من صلبه .

وكان يتم التأكيد على العهد قديماً بشق الحيوانات إلى نصفين . ويخبرنا هنرى ثورن Henry Thorne أن :

« الثلاثة حيوانات كل منها عمره ثلاث سنوات قد يكون إيحاء بسر تعليم التثليث ، والطائران يمثلان طرفى العهد ، وحيث أنهما لم يشقا فربما يقصد من ذلك أن يمثلا وحدة القصد والمسئولية على الطرفين . وتم شق الحيوانات فى الوسط وفى كل حالة كانت الأجزاء المنفصلة توضع كل منها تجاه بعضها البعض حتى تشكل ممراً ضيقاً يسمح بمرور طرفى العهد » .

فى الليل فى سبات عميق مع مصاحبة الرعب والرعدة الموصوفين جيداً فى (أى ٤:١٢-١٦) عندما يشعر المخلوق أنه قريب من الخالق (دا ١٠:٨) ، فى مثل هذا الجو كان الإعلان الكامل لإبراهيم بالنسل مقدماً له من الله. « وخوف الليل » ليس القصد منه الرعب العقلى ، فالله هو الذى يستطيع أن يكسو السموات بمسح ، إن تجربة إبراهيم كانت رعباً جسدياً سببته كآبة عميقة حوله تضاهى تأثير اختفاء الشمس عند الغروب ، وقد أغلق ناظريه عن كل الأمور الأرضية .

وعندما حل الظلام كان تنور دخان ومصباح نار يجوز بين قطع الحيوانات المذبوحة . إن مثل هذا الأسلوب المجازى أسلوب بليغ فى التعبير . فقد كان أهل الشرق يستخدمون فى بيوتهم وعاء دائرياً به نار يتجمعون حوله للتدفئة . والوعاء الذى أمامنا فى القصة كان محاطاً بالدخان الذى تنطلق منه شعلة من اللهب ، أو « مصباح نار » كما هو مذكور فى الهامش . وهكذا كان هناك رمز واحد كان يجتاز بين الذبائح المقسمة . والنار رمز للاهوت وقداسة الله « إلهنا نار آكلة » (تث ٢٤:٤، عب ٢٩:١٢) ، والإله الذى يجيب بنار هو الإله الحافظ العهد . والحضور الإلهى وعدم القابلية للتغيير يرمز لهما تنور الدخان ومصباح النار .

وهناك بلا شك مضمون نبوى يتصل بهذين الرمزين ، فالأتون يمكن أن يمثل المعاناة ذات الصلة بالعبودية ، والعمل الشاق والمظالم التى تعرض لها شعب إسرائيل عندما كان تحت سيطرة فرعون (تث ٢٠:٤، إش ١٠:٤٨)، وكما تنقى النار الذهب (أم ١٧ : ٣) فآلام شعب إسرائيل قد حققت غرضاً أخلاقياً عظيماً . والمصباح أو (الشعلة المتقدة) يمثل النور الذى تمتع به إسرائيل خلال الليل المظلم فى السبى . ***فمن كان ضياءً له قد حقق له كل امتيازاته كشعب المسيا .***

٧ - معجزة حبل سارة

(تك ١٧:١٥-١٩، ١٨: ١٠-١٤، ٢١:١-٨)

أن تلد امرأة طفلاً فى التسعين من عمرها ليس إلا دليلاً على حدوث معجزة . كان هذا ينطبق على سارة لأنها قد جاوزت بكثير السن المعتاد للحبل عندما ولد إسحق . إن مفتاح هذه المعجزة المدهشة بالنسبة للولادة الطبيعية موجود فى سؤال الرب نفسه لسارة غير المصدقة : « هل يستحيــل على الرب شئ ؟!! (تك ١٨:١٤، انظر لو ١ : ٣٧، إر ٣٢:١٧) ، والعبارة التى استخدمتها « أبعد فنائى » تعنى فى الحقيقة « إنى قد بليت كثوب قديم ». يا للحسرة ، إن حالة العقم المستمرة لسارة قد جعلتها تضحك على وعد الله بأن يكون لها وريث ، ولذا فقد لجأت إلى أسلوب غير مشرف - سياسة جسدية - لإتمام القصد الإلهى . فبعد أن نفد صبرها لعدم تحقق الوعد ، أعطت هاجر جاريتها لإبراهيم التى ولدت له إسمعيل ، شعرت أنها أخطــأت (١٦ : ٥) وعانت هاجر بسبب ذلك .

وكما ولد يسوع من نسل إسحق ، فاسم الطفل الذى كانت سوف تحبل به سارة قد أعطى من قِبَل الله قبل ميلاده (تك ١٧:١٩ ، مت ١:٢١)، و« إسحق » يعنى «ضحك » وهو استمرار لضحك أبيه وأمه (١٧: ١٧، ١٨ : ١٢) ، «تذكار دائم أن ميلاده كان على خلاف الطبيعة ، والوعد بميلاده كان مثاراً للسخرية حتى فى نظر والديه »، وأعلنت سارة عن دهشتها وعواطفها الجياشة فى قصيدتها الشعرية الصغيرة :

من قال لإبراهيم	سارة ترضع بنين ؟
حتى ولدتُ ابناً	فى شيخوختـــه .

وتكرار اسم سارة ٤ مرات فى ثلاثة أعداد (تك ٢١ : ١-٣) يعنى التأكيد، ويدفعنا للاعتقاد بأن سارة كانت ، بلا شك ، أماً لهذا الطفل الذي تم الحبل به بمعجزة . ومع أن ميلاد إسحق كان معجزة ، إلا أنه من الملائم أن نلاحظ

أن أعمار البشر فى تلك الفترة كانت أطول مما عليه اليوم ، حتى إن امرأة فى سن التسعين كما كانت سارة حين ولد إسحق (ماتت وعمرها ١٢٧ سنة) لم تكن كبيرة فى السن كما يبدو فى أيامنا الحالية .وعندما ولد إسحق كان سام عمره ٥٦٠ سنة . وسارة من النساء القلائل فى الكتاب المقدس اللاتى ذكر عمرهن بالضبط (تك ١٧:١٧) ، ولدينا العمر التقريبى لحنة النبية (لو ٢ : ٣٦ و ٣٧) وكانت ابنة يايرس « حوالى اثنتى عشرة سنة »(لو ٨) . ولذا فحتى فى عصور الكتاب المقدس كان هناك ميل لعدم الإدلاء بمعلومات عن عمر النساء .

ولا يجب أن نهمل اللمسة النبوية فيما يتعلق بسارة . لقد قيل عنها إنها سوف تبارك فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون (تك ١٦:١٧) ، وتقديم ابنها كذبيحة على يد أبيه كان إيذاناً بمحبة الله للجنس البشرى فى ذبيحة ابنه الوحيد (تك ٢٢ : ٣-١٠ ، قارن يو ٣: ١٦).

أما بخصوص القصة المقدسة لحياة سارة فصدقها يبدو فى السجل الأمين لأخطائها ولإيمانها أيضاً . ويذكر فاوست أن مشاعر الأمومة كانت مسيطرةً تماماً على إسحق حتى إنه لم يواسه عن موت أمه سوى رفقة (تك ٦٧:٢٤)، وكانت سارة عمرها ١٢٧ سنة عندما ماتت فى حبرون قبل موت إبراهيم بـ ٢٨ سنة ، ودفنت فى مغارة المكفيلة التى اشتراها إبراهيم من عفرون الحثى . واليوم فإن قبرها موجود مقابل قبر إبراهيم ، وقبر إسحق وقبر رفقة فى جانب ، وقبر يعقوب وليئة فى الجانب الآخر .

٨ - معجزة إصابة أهل سدوم بالعمى

(تك ١٩: ٩ - ١١)

إن فكرة الشر الذى يسميه الكتاب المقدس بلا تردد **خطية** والتى أحدثت دماراً مروعاً فى العالم تبرز أمامنا ثانية فى الأصحاح الذى أمامنا . إن آثار الحية يمكن أن نتبعها فى الخصال الكريهة اللا إنسانية لأهل سدوم ، وفى العار الذى لحق بلوط تجاه ابنتيه وفى تصرفهما غير الطبيعى نحو الدهما . لقد كتب حزقيال النبى عن إثم سدوم وعن الكبرياء والشبع من الخبز (٤٩:١٦) .

ويمكن التعرف بسهولة على الضيوف الثلاثة الذين أتوا من السماء نحو سدوم (تك ١:١٨) ، فأحدهما كان الرب نفسه - من الظهورات الإلهية للبشر - والاثنان الآخران اللذان وصلا سدوم كانا مبعوثيه من الملائكة (١:١٩) ، واستقبال لوط للملائكة كان ينقصه حرارة اللقاء الذى قابلهما به إبراهيم ، وبرغم شهوانية أهل سدوم ، فقد فرض لوط كرمه على الملاكين اللذين لم يكونا على استعداد لقبول الضيافة كما فعلا عندما عرض إبراهيم استضافتهما. لقد تدهورت شخصية لوط،والمعيشة فى سدوم قد جففت ينابيع القوة الروحية الظاهرة فى إبراهيم .

إن فظاعة جرم أهل سدوم وعمورة نراه فى حقيقة أنهم كانوا من نسل نوح التقى (تك ٦ :٩) ، وقد أصبحوا أشراراً تماماً بعد أقل من مئة سنة بعد وفاة نوح . إن خطايا تلك المدينتين تشمل تقريباً كل احتمالات الشر البشرى من كبرياء وتخمة وعدم شعور بالخجل ونجاسة (حز ٤٩:١٦، إش ٣ : ٩ ، إر ١٤:٢٣، ٢ بط ٧:٢، يه ٧) ، وجميعها تتطلب العقاب الإلهى . ومع تطور المدن فقد أصبح الفساد سمة بارزة . لقد كانت سدوم ثرية فى جمال أشجارها وحدائقها حتى أطلق عليها لقب « كجنة الرب » ، ولكن جمالها كان لا يفوقه إلا السلوك الحيوانى لأهلها .

من الواضح أن لوط عندما استضاف الملاكين ، صدق رسالتهما الخطيرة وحاول جاهداً أن يكبح جماح أهل سدوم الأشرار ، الذين أسماهم « إخوته » عندما حاولوا أن يفعلوا الشر بالملاكين . ويظهر المستوى الأخلاقى المنخفض عند لوط عندما أظهر استعداده لتسليم ابنتيه لأهل سدوم الشهوانيين . لقد أراد أن يرتكب خطية لكى يمنع خطية أخرى ، فقد شعر أن البغاء ليس سيئاً كاللواط أو الشذوذ

الجنسي كما نسميه الآن . والسجل المقدس يظهر أن لوط لم يقدم صلاة لأجل سدوم كما فعل إبراهيم . إنه لم يظهر رغبة لخلاص الخطاة في سدوم . وبسبب مهادنته للخطية احتقره أهل سدوم ، وفقد احترامه في أعين أقاربه (١٩: ٩ - ١٤) .

ويصف يهوذا أهل سدوم بأنهم دنسوا الجسد واحتقروا السيادة وافتروا على ذوي الأمجاد (٧و ٨) . إن الشهوانية واحتقار السيادة نراه في تصرف أهل سدوم كاحتقارهم لتوسل لوط ، وحاولوا أن يكسروا الباب ليجذبوا الملاكين إليهم ، فحلت عليهم الدينونة وضربوا بالعمى ، وحاولوا أن يجدوا الباب . وهذا يأتي بنا للمعجزة التي أجراها الله .

إن العين هي ذلك العضو الكامل للبصر ، الذي تسقط عليه الموجات الضوئية ، وتتركز على العدسات الجميلة المنعكسة على الشبكية ، وأخيراً يحملها العصب البصري إلى المخ ، ما أعظم الله الذي صمم كل هذه التعقيدات في أعضائنا البصرية . إن كل أعاجيب العين ، والتي حتى أطباء العيون لا يستطيعون تماماً أن يفسروها لنا هي نتاج الحكمة الإلهية والمهارة . ولأن الله قد صمم العين البشرية ، فليس من الصعوبة بمكان أن نصدق معجزات الكتاب المقدس العديدة والتي لها علاقة ببصر الإنسان ، وشفاء العمى من المعجزات المتكررة الحدوث التي أجراها المسيح. وفي حالة أهل سدوم ، فالله حرمهم من نعمة البصر كما فعل للسوريين الذين جاءوا ليأخذوا أليشع (٢مل ٦ : ١٨ و ٢٠) ولعليم الساحر (أع ١٣ : ١١). والكلمة المستخدمة لكلمة « عمى » هنا (تك ١٩:١١) موجودة مرة واحدة فقط في موضع آخر (٢مل ١٨:٦) ، وفي كلتا الحالتين ليس القصد العمى الفعلي الدائم بل المؤقت المسبب إتلافاً لقوى البصر.يعلق اليكوت Elicott في هذا الصدد بالقول :

« الكلمة تعني فعلاً اضطراباً للرؤية سببه أن العين لا تعمل في توافق مع المخ . ولذا فأهل سدوم كانوا كلما بدا أنهم على وشك الوصول للباب واستمروا في السير ، وجاهدوا وهم يتشاجرون إلا أنهم كانوا يفشلون في كل مرة ، ولم يعرفوا كيف حدث ذلك ، إلا أنهم كانوا يفترضون دائماً أن الغلطة ليست غلطتهم .

إنها صورة غريبة لأناس قد استسلموا لعدم الإيمان والخطية والذين « لا يرون » لأنهم يرفضون « النور الحقيقي »، وعند قمة وسفح جبل مادهيرا توجد كتل من الأحجار يؤكد العرب أنها آثار « لأناس كانوا يقطنون هناك ، وكان المسافرون يأتون إليهم طمعاً في كرمهم ، ولكن الناس كانوا يقومون بأفعال شنيعة معهم ، ولذلك فقد أمطر عليهم القدير في غضب حجارة ، ومحقهم تماماً من على وجه الأرض » .

٩ - معجزة سدوم وعمورة

(تك ١٩:١٥-٢٥ و ٢٨ و ٢٩ ، انظر مت١٠:١٥،
٢بط ٢ : ٦، يه ٧ ، إش ١: ١٠ - ١٣ و ١٩،
حز ١٦: ٤٩ ، إر ٤٩ : ١٨)

إن خطايا سدوم وعمورة طالبت الرب بالانتقام . إن وصف ربنا لأهل سدوم يوحي بحالة من اللامبالاة تجاه الكارثة المحدقة بهم (لو ٢٨:١٧) : فقد حاق بهم الدمار وهم « يشترون ويبيعون ويزرعون ويبنون »، وكل ما كانوا يعيشون ويعملون لأجله قد تم تدميره تحت موجة الدينونة الإلهية . فنار التدمير من الرب لم تدمر فقط كل ممتلكاتهم بل دمرت أيضاً أشخاصهم « جميع سكان المدن » (٢٥:١٩) كما حدث بشأن أناس ما قبل الطوفان .

وحقيقة أن سدوم وعمورة ، موطن لوط ، كانتا في حالة من الارتداد والشر (إش ١ : ١٠ ، رؤ ١١: ٨) وهما في وسط كنعان قد ضاعفتا من خطية الكنعانيين ،

الذين في زمن يشوع لم يتخذوا عبرة من عقابهم لكي يتجنبوا خطاياهم (لا ١٨:٢٤ و ٢٥ ، يش ١٠ : ٤٠) . إن مستنقعات الشر هذه كانت فقط على بعد ٢٠ ميلاً من مدينة ملكي صادق ، ومصير هذه المدن قد أنبأ به الله ويشار إليه دائماً في الكتاب المقدس ، وهو نذير لأحوال الأرض كلما اقترب موعد مجئ المسيح ثانية . إن الكارثة المروعة المحيقة بالمدن يؤكدها المؤرخون القدامى وكذلك علماء الحفريات الحاليين والمسافرين . فمنطقة الدمار المجاورة للبحر الميت ، على سبيل المثال ، لازالت تعلن الحقيقة لأولئك الذين لهم آذان للسمع ، أن «الخطية لن تمر بدون عقاب » ، ويتحدث يهوذا عن أهل سدوم بأنهم «يكابدون عقاب نار أبدية » (٧) .

أما عن معجزة الدينونة نفسها ، فالسجل المقدس يقول إن الرب أمطر على المدن كبريتاً وناراً من السماء (١٩:٢٤). وتكرار اسم « الله » مع حقيقة أن النار والكبريت أتيا من السماء يضيف بعداً لهول الدينونة ، يقول بعض المعلقين القدامى إنهم رأوا في تكرار اسم الله ☆ إشارة للتثليث ، أي أن الله والمسيح والروح القدس قد اشتركوا في هذه الدينونة المستحقة . ومع أن السماء استخدمت وسائل طبيعية لدمار المدن ، «ولكن ما كان كارثة من كوارث الطبيعة قد أصبح معجزياً عن طريق الظروف التي أحاطت بالموقف »، وهنا نقتبس من أقوال اليكوت مرة أخرى :

« *فيما يختص بالكارثة في حد ذاتها فهي ليست عاصفة رعدية تلك التي جعلت الأرض ، المشبعة بالنفط ، تشتعل ، ولكن في منطقة تكون فيها الزلازل شيئاً معتاداً. كان يبدو أن هناك انفجارات بركانية ، تلقي بالقار المشتعل والكبريت . إن ما سقط على المنازل وفي وقت كانت فيه التربة مشبعة بمادة قابلة للاحتراق ، سبب حريقاً هائلاً مفاجئاً وواسع الانتشار حتى إنه نجا عدد قليل أو لم ينج أحد على الإطلاق .إن الكبريت والقتران لا تزال موجوردة كمنتجات طبيعية على شواطئ البحر الميت* » .

فالنار قد ذكرت ضمن العناصر التي تتمم الأمر الإلهي (مز ١٤٨ : ٨) . وسقوط النار من السماء مذكور مراراً في الكتاب المقدس ، إنها لم تذكر فقط كعلامة على الدينونة ، ولكنها ذكرت أيضاً كعلامة على القبول (لا ٩ : ٢٤) . وإذا كانت ، كما يقترح بعض الكتاب ، النار التي دمرت سدوم وعمورة قد انفجرت من مصدر نابع من تحت الأرض ، فلابد أنها كانت بتوجيه من الرب . إن النار رمز للحضور الإلهي والدينونة ، وقد استخدم يهوذا الكلمة لوصف مكان العذاب الأبدي (يه ٧، رؤ ٢٠:١٠) .

والكبريت (Brimstone) وهي كلمة إنجليزية كانت شائعة يوماً ما بدلاً من كلمة (Sulphur) تعني « حجر مشتعل »، وتشير لطبيعة العناصر القابلة للاشتعال ،وربما كان أول عنصر كيمائي قد اكتشفه واستخدمه الإنسان ، وقد استخدمه هومر واليونان الأقدمون لتدخين الأطعمة وكمقاوم للآفات ، ويستخدمه العمال في الحدائق اليوم لحفظ الجذور ، ويعتقد أن كلمة كبريت لها صلة بالبيتومين (الحمر / القار) وهي مادة تكثر في وادي الأردن وحول البحر الميت . ويقول اليكوت إن الاهتزازات الأرضية قد سببت احتراق الكبريت أو البترول في المنطقة مما جعلها تطير لأعلى وتنزل على المدن كما لو كانت تمطر من السماء. والكتاب المقدس يذكر الكبريت في العديد من المواضع .

م . ج كيل Kyle عالم الاركيولوجي الشهير يذكر في كتابه « الاكتشافات في سدوم » هذه الفقرة التي تلقي بالضوء على هذا الحدث :

« *أسفل جبل اسدوم (سدوم) توجد طبقة من الملح*

☆ يهوه في النص الإنجليزي ، وقد تكرر ذكر اسم الله النص المشار إليه ثلاث مرات . (المترجم)

سمكها ١٥٠ قدماً ، وفوقها طبقة من المرل (الطين الغنى بكبرونات الكالسيوم) المختلط بالكبريت الخالص . إنها منطقة قابلة للاحتراق بفعل البترول والأسفلت .. لقد حدث انفجار ضخم فى هذه الطبقات ، ففى الوقت المعين أشعل الله الغازات ، فحدث انفجار مدو ، فطار الملح والكبريت فى السماء مشتعلين ، ولذا فإنها أمطرت بالفعل ناراً وكبريتاً من السماء » .

وهكذا فالمعادن الموجودة بكميات وفيرة فى منطقة سدوم كانت الأداة التى استخدمت لدمار مدن الدائرة (تك ١٩:٢٤) « لأن المعجزة الإلهية لا تتعارض مع استخدام الله للمواد الطبيعية الموجودة ، ولكنها تعمل دون تنافر معها » ، ومع ذلك فنحن نقرأ أنه برغم الخطر المحدق كان لوط يتكاسل . لقد كان لا يزال متعلقاً بممتلكاته وكان يعز عليه تركها فكان يتباطأ فى ترك المكان . فالتأخير قد يكون مميتاً ، فنجاته الوحيدة فى الهرب ، فاضطر الملاكان للإمساك بيده وجره بعيداً عن الكارثة الوشيكة . وقال الرب فى رحمته « اهرب لحياتك . لا تنظر إلى ورائك ولا تقف فى كل الدائرة » . كان المطلوب التخلى الكلى عن سدوم فى القلب والإرادة ، وعصيان هذا الأمر الإلهى نتج عنه عقاب مريع كما سوف تثبت المعجزة القادمة .

١٠ معجزة زوجة لوط

(تك ١٩ : ٢٤ - ٢٨ ، لو ١٧ : ٢٨-٣٢)

إن استعطاف الملاكين وتوسلهما وهما يحاولان إنقاذ عائلة لوط يجب أن يكون مثالاً لأولئك القائمين بالعمل كسفراء عن الله فى عصر الإنجيل . فأعداد لا حصر لها فى خطر الدينونة « ونحن يجب علينا أن نكون مثابرين وملحين . ومن الأشياء الطريفة التى قاما بها أنهما أمسكا بلوط وزوجته وابنتيه ، فكل فرد فى العائلة شعر بيد ملاك تمسك به ، فقلب الملاكين وأيديهما اشتركت جميعها فى مهمة الرحمة التى كانا يقومان بها .

وسدوم وعمورة مع أدمة وصبوييم وبالع كلها كانت تقع فى وادى (عمق) السديم فى بحر الملح ، وكانت تشتهر بآبار الحمر (القار أو البيتومين) (تك ١٤:١٠) ، وقد اعتقد الكتّاب القدامى أن سدوم وعمورة كانتا مدفونتين تحت الرواسب الملحية للبحر الميت . إن آبار الملح كانت تدر دخلاً كبيراً ، والموارد الكبيرة من الملح والحمر أو البيتومين قد تكون أحد الأسباب التى دفعت ملوك بابل للقيام بغارات . ويبدون أن هناك دليلاً قوياً يؤكد أن سدوم موجودة الآن على الأرض التى يغطيها البحر الميت الآن ، أو بحر الملح . وفى الكتاب المقدس يستخدم «الملح» كرمز بأنه يمنع الفساد وكدينونة للخطية مما يعوق الشر.

فى حين أن لوط « توانى » ولكن زوجته « نظرت للوراء » ، لقد قرأ الله خبايا قلبها (١٩ : ٢٦) وعرف أسفها على اضطرارها لترك ملذات سدوم الخاطئة ، ولذا نظرت للوراء وظلت فى الخلف ، وبهذا فقد كانت مرتكبة لعصيان لا شفاء منه . فى الدول الشرقية قديماً كان من عادة الزوجة أن تسير خلف زوجها مما كان أحد أسباب قربها من الانفجار المدوى . لقد تركت سدوم كمدينة ولكن سدوم كانت رابضة فى قلبها ، لقد كانت معلقة كثيراً بالحياة التى كانت مضطرة للتخلى عنها . وهكذا ، فعندما سارت فى اثر خطوات زوجها ، شريكها فى الهروب ، نظرت للوراء وصارت أثراً لا يرضى الله (١٩: ٢٦) ، ولو كان لوط« نظر » هو أيضاً كما «توانى» لكان قد هلك هو أيضاً بنفس الطريقة . لقد تكلم الرب عن أولئك الذين ينظرون للوراء بأنهم لا يصلحون لملكوت السماء ، وأشار أيضاً لمأساة زوجة لوط كدرس روحى (لو ١٧:٢٨-٣٢) . إن هذه المحبة لسدوم واحدة من الذين لحقهم الموت فجأة فى بعض معجزات الكتاب المقدس .

وفيما يتعلق بالنهاية المريعة لزوجة لوط ، فمن المحتمل أن البرق قد صعقها . وأن مادة كبريتية قد غطتها وجعلتها تتحجر ، وأن الأبخرة قد حولتها لعمود من الملح ، بالفعل

وليس مجازاً . وهناك تفسير آخر وهو أن زلزالاً قد كوَّم كتلة ضخمة من الملح الصخرى الموجود فى الطبقات الصلبة حول البحر الميت ، وأن امرأة لوط قد تعثرت قدماها فى ثورة الطبيعة هذه وهلكت ، تاركة التل الملحى الذى أحاط بها من كل جانب كتذكار لها ، وبعد أن قبرت فى هذا العمود الملحى أصبحت كما تذكرها أسفار الأبوكريفاء نصب تذكارى للنفس غير المؤمنة » (سفر الحكمة ١٠ : ٧). كثير من الأعمدة فى الطرف الجنوبى من البحر الميت كان يحمل اسم امرأة لوط . ويحكى المسافرون عن المرشدين المحليين الذين يؤكدون أنه إذا كسر أصبع أو أى جزء آخر من العمود ، فإنه سرعان ما يستبدل بطريقة معجزية . وكما عبر عن ذلك أحد المرشدين قائلاً : « يمكنك أن تزيل قطعة من العمود وتتبخر هذه القطعة ولكن التمثال يرجع كما كان بلا نقص ».

فى أواخر القرن الأول للميلاد ، كتب يوسيفوس المؤرخ اليهودى قائلاً :

« *ولكن امرأة لوط استمرت تنظر للخلف للمدينة عندما خرجت منها ، ولأنها كانت محبة للاستطلاع وتريد أن تعرف ماذا سيحدث لها - مع أن الله قد أمرها ألا تفعل ذلك - فقد تحولت إلى عمود ملح ، لأنى رأيته ، وهو باق حتى هذا اليوم* » .

وقد أكد كل من أكليمندس من روما من القرن الأول للميلاد أيضاً ، وإيريناوس من القرن الثانى للميلاد ، أن هذا العمود من الملح كان موجوداً حتى عصرهما . والنزاع حول ديمومة العمود يعتبر تافهاً بالمقارنة بحقيقة أن هذه المرأة العاصية قد ماتت موتاً مريعاً . فإذ ماتت محترقة ومختنقة فقصتها تظل تحذيراً صارماً ضد عصيان الأوامر الإلهية .

١١ - معجزة غلق الأرحام

(تك ٢٠ : ١ - ٧و ١٧و١٨)

كم يجب أن نكون مدينين للأمانة التى يسرد بها الكتاب المقدس التاريخ ، فمهما كان القديس بارزاً ، فإن عيوبه وفضائله تسجل بأمانة . قد يكون إبراهيم « خليل الله » ، ولكن هنا نراه فى حالة من ضعف الإيمان ، ومع أنه أب المؤمنين نراه يتلقى توبيخاً يستحقه من ملك وثنى لأجل معصية مُذلة .

بينما هناك بعض الكتَّاب الذين يرون فى تجربة إبراهيم فى جرار نفس التجربة التى مر بها فى تكوين ١٢، إلا أننا نعتقد أن القصتين مختلفتان تماماً . فخطأ إبراهيم أمام فرعون قبل ذلك بحوالى عشرين سنة لا يصح أن نخلط بينه وبين قلة إيمانه أمام أبيمالك ، ملك الفلسطينيين (تك ٢٦ : ١) . فى هذا الإنكار الثانى لسارة كزوجة له ، يرتكب إبراهيم خطأ فاحشاً مهيناً له إلى أبعد الحدود ، بل إن سقطته هذه المرة أشد من الأولى ، لأنه الآن قد حصل على الوعد الإلهى أنه فى خلال عام فإن سارة سوف تصبح أماً لطفل يولد بمعجزة .

إن المرء ليظن أن إبراهيم وزوجته كان المفروض أنهما قد استفادا من توبيخ فرعون بعد الأكذوبة السابقة وتعريض سارة للخطر . لماذا عاد هذان الزوجان التقيان لمزيد من الخداع فى نفس الوقت الذى أعلنت لهما فيه تلك الإعلانات المباركة ؟ لماذا سقطا ثانية تحت نير العبودية ؟ يقدم اليكوت التفسير لذلك :

« *إن الكتاب المقدس لا يضع أبطاله فى مرتبة الكمال ولا يرفعهم بما لا يقاس فوق مستوى عصرهم ، إن سمته المميزة أنه يصر على التقدم الدائم فى مراتب السمو والارتقاء ، ويحث الإنسان على أن يكون أفضل وأقدس من أولئك الذين مضوا من قبل . إن إبراهيم لم يكن بنفس المستوى الروحى العالى الذى ينبغى أن يكون عليه*

المسيحى الذى يضع مثال المسيح الكامل نصب عينيه ، وهبة الروح القدس تقدم له يد المساعدة . وحقيقة أن الله قد أنقذ إبراهيم وسارة من كل الأخطار المحدقة بهم فى مصر بدت وكأنها تعطيه ضماناً أنه عند مواجهة الصعاب فى المستقبل سيجد نفس الحماية الإلهية . إن السلوك البشرى قد ينجح وقد يفشل أحياناً ، ولكننا نجد درساً نافعاً عند التأمل فى أن وسيلة إبراهيم السياسية أوقعته مرتين فى خطر حقيقى . »

إن سارة وقد بلغت التسعين من عمرها وقد ذبل جمالها الطبيعى إلى حد ما ، ربما تكون قد استعادت جاذبيتها الجسمية عن طريق الوعد بأن تلد ابناً . ولذلك عندما رآها أبيمالك ، قد اشتهاها . ومع ذلك فقد أنهى عن ارتكاب الخطية فى حق زوجة رجل آخر . لقد ظهر له الله فى حلم وحذره أن الموت بسبب المرض الذى كان يعانى منه سوف يكون عاقبة احتفاظه بسارة . ولذا فقد تم إنقاذه عن طريق حلم - وهذا تدخل غير عادى . إن الكتاب المقدس يبين أن غير الأتقياء كما الأتقياء يتعرضون لتأثير الأحلام (تك ٤١ : ٨ ، دا ٢ : ٣ ، مت ٢٧ : ١٩).

وكملك فلسطينى متعدد الزوجات ، كان أبيمالك له الحق أن يأخذ نساء أى أفراد من رعيته أو أى مسافرين يجتازون أرضه ويضيفهن لحرمه . ورده على الله يبين أنه لم يكن يشعر أنه يتحدى أى قوانين أخلاقية بذلك العمل . وعندما اكتشف أبيمالك أن سارة كانت زوجة إبراهيم أقر بخطأه ، وكان ممتناً لأنه قد منع من الإساءة لسارة . أليس هناك ظل من سخرية فى أنه عندما صرف سارة دعا إبراهيم « أخاها » (٢٠ : ١٦) ؟. لقد كان يجب على إبراهيم أن يكون حامياً لسارة بدلاً من التضحية بشرفها كما فعل. لابد أن إبراهيم شعر بالخجل عندما وبخه أبيمالك بسخرية ! لابد أنه خجل أن يرفع رأسه ، ولابد أنه ندم ندماً شديداً على مخاوفه التى لا أساس لها وعلى أكذوبته .

لقد تصرف إبراهيم تصرفاً غير لائق مع أبيمالك ، وقد يفعل ذلك ثانية (٢١: ٢٣) ، ولذا فقد طلب من هذا الأب ألا يفعل ذلك ثانية . ألا يعلمنا ذلك أن مصداقيتنا لدى الآخرين تتوقف على أهليتنا وجدارتنا ؟ لقد أعطى أبيمالك لإبراهيم هدايا قيمة . عندما أخذ فرعون سارة اغدق عليها الهدايا ، فقد ردت هذه الهدايا لفرعون ، عندما قال فرعون لإبراهيم فى غضب « أن يمضى فى طريقه » ، ولكن أبيمالك كان أكثر كرماً لأنه لم يقدم لإبراهيم وسارة هدايا فقط ، ولكن أعطاهما الحق أن يعيشا هناك فى أرضه فى أى مكان يرغبان فيه . وبعد أن أعطى أبيمالك لإبراهيم مكافأة سخية لأخذه سارة ، صلى إبراهيم لأجل الملك الفلسطينى الذى أثر مرضه على كل أهل بيته فأصيبوا جميعاً بالعقم . وسواء كان حريم أبيمالك مصابات بالعقم بسبب مرض أبيمالك أو كضربة لأجل الخطايا ، فهذا ما ليس لدينا به علم ، وهذا الأمر لم يذكر بشأنه ما يوضحه . وقد تكون تلك الحقيقة هى التى حفزت أبيمالك ليأخذ سارة ليكون له ذرية منها ، ولكن لو حدث ذلك لأصبح الأمر مأساوياً لأن سارة كانت ستصبح أماً للنسل الموعود به من إبراهيم . ومع ذلك فقد تدخل الله بصورة معجزية ليحول دون تحقيق رغبة أبيمالك .

لقد صلى إبراهيم لأجل أبيمالك وأهل بيته واستجاب الله الصلاة بشفاء الملك من عقمه ، واستعادت نساؤه ومحظياته خصوبتهن .إن الخالق الذى صمم أجهزة التكاثر فى الذكور والإناث ، قادر على أن يأمر هذه الأجهزة فتعمل حسب قوله ، كما تثبت تجربة سارة نفسها بقوة . فالخصوبة أو العقم يتوقف على مشيئته .

١٢ - معجزة بئر هاجر

(تك ٢١ : ١٤ - ٢١)

لا يمكن لأحد أن يقرأ قصة مثيرة للشفقة كقصة هاجر دون أن يدرك قدر المشقة التى تنجم عن ارتكاب الخطية ،

فعندما يخطئ البشر ، فإنهم يحصدون ما زرعوا ، لأنه حتى في هذه الحياة فالخطية لابد أن تحمل عقابها . فسارة التي أظهر لها الله حافظ العهد خططه فيما يتعلق بها ، كان يجب عليها أن تعرف أنها أخطأت عندما أعطت هاجر المصرية لحضن إبراهيم على أمل الحصول على النسل الموعود به لها . فهاجر لم يعترف بها أبداً كزوجة لإبراهيم، لقد كانت محظيته في بيته أثناء تغربه في أرض مصر . وبمجرد ارتكاب هذا الخطأ حتي عاني الجميع من نتائجه ،فهاجر بعد أن علمت أنها سوف تصبح أماً حتى بدأت تحتقر سيدتها سارة ، مما جعلها ساخطة وناقمة على هاجر وسرعان ما أصبح إبراهيم متداخلاً في الصراع واتهمته زوجته أنه يساعد هاجر في وقاحتها . وابتدأت سارة تحتقر هاجر وتعاملها بقسوة بالغة .

لابد أن الجو في ذلك البيت القديم كان غير محتمل ، لقد ضاع الانسجام العائلي عن طريق نفس الوسيلة التي اتبعتها سارة لتشعرها بالسعادة . وهاجر ، بدلاً من أن تتحمل المعاملة القاسية ، هربت من المنزل وعادت إليه عندما أمرها ملاك الرب بذلك (١٦:٣-٩) ، وخلال الـ ١٨ عاماً التالية لابد أنه حدث العديد من المضايقات والمنازعات ، فمع غياب الحب بين سارة وهاجر ،فلابد من توتر العلاقة بينهما .وأخيراً طردت هاجر وابنها .وإسماعيل الذي ربما كان ينازع إسحق على أحقيته في البكورية ، سخر منه أو هزأ بادعاءاته بأنه سيرث ممتلكات أبيه . إن قصة طرد هاجر وإسماعيل ، على الرغم من أنها مأساوية إلا أنها قد ذكرت ببساطة وبطريقة مؤثرة ، وما قدمه إبراهيم لهما لمواجهة المجهول كان قليلاً لا يتناسب مع حجم ثروته . وطردهما المفاجئ كان يعني أنه لم يكن لديهما وقت كاف للتخطيط للأيام المقبلة ، ولكن في البرية كان الإله الرحيم يراقبهما وقد أغدق عليهما فيضاً من رحمته (تك١٦:٧-١٣). لقد كان إسماعيل ابن إبراهيم ،وقد ظلل الله عليه وأنقذه من الموت عطشاً(تك٢١:١٧-١٩)، وأصبح مؤسساً لأمة عربية عظيمة .

كم كان مؤثراً منظر تلك الأم وابنها وهما يتجولان في البرية باستعمال قربة ماء باقتصاد ، على أمل اكتشاف بئر ماء ، وأخيراً نفد الماء وأصبح الموت ضرورة حتمية ، فتزحف هاجر نحو شجرة قريبة وتلقي بنفسها تحتها لأنها لا تستطيع أن تتحمل منظر إسماعيل وهو يموت ، ولكن صلاة الولد الصامتة وصرخات الحزن التي أطلقتها هاجر قد سمعت ، وتهرع السماء لنجدتهما ويتم استبقاؤهما من الموت . وإذ تشجعت هاجر عند سماعها صوت الملاك ، أخذت تبحث لتجد ينبوع ماء حي . كان كل ما أعطاها إبراهيم «قربة ماء » سرعان ما نفدت ، وقد أرشدها الله إلى بئر ماء لا ينضب معينه ، كم سخي هو في عطاياه !

إن المعجزة هنا ليست في خلق بئر لتستعملها هاجر ، فقد كانت البئر موجودة من قبل ، ولكن ما حدث أن الله فتح عينيها ومكنها أن ترى ، ليس سراباً خادعاً للمسافرين بل أن تجد الماء الحقيقي . في مرات كثيرة لا عدد لها يفتح الله أعيننا لنرى العون الوفير بالقرب منا . إن الصلاة ونحن في حالة من البأس الشديد تجعله قريباً منا (٢مل ٦: ١٧-٢٠، لو ٢٤ : ١٦و٣١). عند طرد هاجر من بيت إبراهيم للمرة الأولى ، تحدثت هاجر عن الله « كإله الرؤية وإيل رئي» أو الإله الذي يسمح لنفسه بأن يُرى ، وكان اسم البئر يدعى بئر لحي رُئي أي « بئر الإله الحي الذي يراني » ، وهذه البئر ، بئر الإله الحي الذي يُرى أصبحت مقر السكنى المفضل لإسحق (تك ١٦:١٣و ١٤، ٢٥ : ١١) وكون قصة هاجر وإسماعيل أكثر من مجرد سرد تاريخي لأحداث معينة يتضح من إشارة بولس المجازية إليها (غل٤) ، فهاجر وسارة تمثلان عهدين ، بينما إسماعيل وإسحق يمثلان الفارق بين الناموس والنعمة .

١٣ - معجزة الشجرة المشتعلة بنار وهي لا تحترق

(خر ٣ : ١-١٤، انظر تث ٣٣ : ١٦، مر١٢ : ٢٦ ، لو ٢٠ : ٣٧ ، أع ٧ : ٣٠ و ٣١)

في المعرض الإلهى لصور القديسين يحتل موسى ركناً لوحده . فهو نبى بارز وقائد لعالم ما قبل العصر المسيحى، وقد وصف بأنه « عبد الرب (يهوه) » (عدد١٢:٧، تث ٣٤ : ٥.. الخ) وأنه « مختاره » (مز ١٠٦:٢٣) ، وأنه « رجل الله » (مز ٩٠ - العنوان) ، (١ أخ ٢٣ : ١٤) . وتفاصيل حياته وشخصيته موجودة ليس فقط فى الأسفار الخمسة التى كتبها ، ولكن فى أسفار أخرى فى الكتاب المقدس (أع ٧ : ٢٠ - ٣٨ ، عب ١١ :٢٣ - ٢٨ الخ) . يقول هـ . هـ. هالى إن قصة موسى تشغل $\frac{1}{7}$ الكتاب المقدس ككل أو $\frac{2}{3}$ حجم العهد الجديد كله . لقد عاش موسى ١٢٠ سنة : ٤٠ سنة فى مصر ، ٤٠ سنة فى المنفى فى بلاد العرب ، ٤٠ سنة كقائد لإسرائيل .

وعندما أتته الدعوة الإلهية لقيادة إسرائيل من مصر بيت العبودية ، كان موسى يرعى قطيع يثرون حميه ، لقد كان منهمكاً كالآخرين فى عمل مشروع (لو ٢:٨ و٩) وعند الشجرة المشتعلة بالنار ، تلقى موسى إعلانين من الله، وكلاهما متصلان بإسرائيل شعبه .

(١) حضور الله المنقذ والحافظ لشعبه (خر٣:١-١٠).

(٢) وجوده الدائم (خر ٣:١٤).

إن تقدير الله لموسى يُرى فى حقيقة أنه لم يكن أى شخص آخر من بنى البشر الزائلين أهلاً لأن يكون «أداة» للعديد من تلك الإعلانات المذهلة والاستعلانات للقوى الخارقة للطبيعة ، فيا للمعجزات المذهلة التى أجريت على يديه ، ويالالعون الإلهى المعجز الذى أعطى له ! ومع ذلك فقد كان امتيازه الروحى ، كما فى حالة بولس ، مصحوباً بآلام تكاد لا تصدق ! ، فقد لحقته التجارب والضيقات من مصر إلى حدود كنعان . وتعلق موسى القوى بشعب إسرائيل ، الذى لأجله أعلنت له رؤية العليقة المتقدة بالنار ، والذى لأجله أجرى العديد من المعجزات ، جعله يخسر كل طموح عالمى عزيز على قلبه . فبرفضه أن يكون ابن ابنة فرعون فقد نبذ موسى المكانة والثروة والمتعة (عب ١١:٢٤-٢٧) .

كم كانت همومه ثقيلة والأخطار المحدقة به مهولة حين دعى لقيادة إسرائيل ، وقد بلغ الثمانين من العمر ، فلا شيء أقل من الاقتناع التام بأنه يتصرف بناء على أمر إلهى كان يمكن أن يقوده ليستحمل عبء هذا التكليف الخطير والمهمة الثقيلة . لقد مرت عليه أوقات ، كان فى مرارة نفسه ، يتضرع لله لكى يعفيه من هذا الالتزام المنوط به والمهمة الشاقة (عد ١١ : ١٤و١٥) . ولكن بعد أن تأكد موسى من العون الإلهى وأنه مسلح بقوة تمكنه من عمل المعجزات ، خرج موسى لإتمام المهمة ليصبح بذلك واحداً من أعظم القادة الوطنيين على مر العصور .

إن معجزة العليقة المتقدة بالنار أكدت لموسى الحضور الإلهى بطريقة متميزة .هنا نرى معجزة مزدوجة - العليقة تشتعل ولكنها لا تحترق .وفى وسط النار كان هناك يهوه، لا يتأثر بالنار ، ويكلم موسى . إن الفتية العبرانيين الثلاثة فى أتون النار رأوا واحداً شبيهاً بابن الإله وسط النيران (دا ٣:٢٥) .

إن ما أثار دهشة موسى ، ليس العليقة المشتعلة بالنار بل الله فى العليقة . ومع أنه لم ير شيئاً سوى النيران المادية ولكن علمه بأن الله كان هناك قد جعل النار رهيبة وجعل موسى يخفى وجهه .

إن الشخص الذى كان ينادى موسى من وسط النيران كان هو الأقنوم الثانى فى اللاهوت (٣:٢و٤) ، وترديد اسم موسى مرتين يدل على أن الأمر عاجل وملحّ (انظر تك ٢٢ : ١١، ١صم ٣ : ١٠ ، أع ٩:٤) . نرى هنا أحد

الظهورات الإلهية في النار والذي تجده مذكوراً أربع مرات في الكتاب المقدس (خر ٣:٢، ٢١:١٣، ١٨:١٩، ٢ تس ٨:١) . هناك إعلانات إلهية أخرى مرتبطة بالنار ، فالنار في العليقة لا تمثل « لهيب اضطهاد أعداء الله من الخارج بل نار الحضور الإلهي بالداخل ».

أما عن نوع العليقة التي استخدمها الله كواسطة لهذا الإعلان فهناك العديد من الآراء . بالطبع لم تخلق شجرة خاصة ، ولكنها شجرة مألوفة في هذه المنطقة . والترجمة السبعينية تقول إنها « شجرة عليّق » ، وقد زرع رهبان دير سانت كاترين في سيناء مثل هذه الشجرة في مؤخرة « كنيسة العليقة المشتعلة » رمزاً للتقليد الذي يقول إن الشجرة المشتعلة بالنار كانت شجرة عليّق . واقترح بعضهم إنها شجرة زينة من الفصيلة القرنية (كاسيا) ، ولكن بما أن كلا الفصيلتين لا تنموان في هذه المنطقة ، يبدو أنها شجرة من فصيلة السنط (الأقاقيا) (Acacia) الشائعة في تلك البقعة التي رأى فيها موسى ذلك الإعلان الإلهي .

والأمر لموسى أن يخلع نعليه يتفق مع العادة التي كان يتبعها المصريون قبل زمن موسى ، بأن يخلعوا النعال أو الأحذية قبل دخولهم المعبد أو القصر أو حتى منزل شخص عظيم ، وهذه العادة منتشرة اليوم بين العديد من الشرقيين . أما وقد أمره الله بذلك فقد كانت في ذلك دلالة على أن يحترم موسى المكان الذي قدسه الله بحلوله فيه . وقد مرّ يعقوب باختبار مماثل (تك ١٦:٢٨ و١٧) .

وكون معجزة الشجرة المشتعلة بالنار تمثل معجزات نعمة الله الحافظة هو رأي قال به العديد من المفسرين المحافظين . فعلى سبيل المثال ، فالعليقة يمكن أن تمثل موقف وحالة :

(١) الإسرائيليون في مصر وفي التاريخ :

على الرغم من كل الاضطهادات على يد فرعون ، فاليهود لم يكن من الممكن إهلاكهم(انظر٢كو٤:٨-١٠)، فالأنين تحت الأعباء الثقيلة لمسخريهم ، لم يجعل اليهود ، كالعليقة المشتعلة بالنار ، يتحولون إلى رماد . لقد كان اللهيب في العليقة ، وليست العليقة في اللهيب . كان إسرائيل بمثابة شجرة الأكاسيا القليلة الارتفاع ، شجرة شوك الصحراء ، ومع ذلك فقد تنازل الله ليحل في وسطها (زك ٥:٢) ، ولكونه فيها فقد حماها ليس من الألم ، بل حفظها في وسط « لهيب نار » اضطهاد المصريين (خر ١: ٩- ٢٢) كما فعل على مر العصور .

(٢) الكنيسة في العالم

إن كنيسة الله قد عانت على مر العصور من الاضطهاد . ومع ذلك فقد بقيت رغم التجارب المحرقة وبرغم كل القوى العالمية المتحدة ضدها ، فقد ظلت عظيمة وقوية كما هي . وكخالق للكنيسة ، لأنه اشتراها بدمه قال السيد « إن أبواب الجحيم لن تقوى عليها » . لقد تحملت اضطهاد الأعداء . وفي كل العصور كانت كنيسة المسيح كالشجرة المشتعلة بالنار . إن الصراع من الخارج والفساد من الداخل لم يقض عليها . فلأن الرب الذي لا يقهر يحل وسطها ، فالكنيسة سوف تستمر بفضل قوة أعظم من قوتها .

(٣) المؤمن كفرد

إن المثال الذي يستخدمه يوحنا بنيان عن النار التي يحاول الناس اطفاؤها دون جدوى مثال ملائم ، فشخص ما بجوار النار يستمر في صب الزيت عليها فتظل مشتعلة. إن نار الاضطهاد تحيط بالعديدين من شعب الرب . وفي كل عصر ومكان ، يعاني الأتقياء من الاضطهاد (٢ تي ٣ :١٢) ، ولا يتطلب الأمر أقل من معجزة لأنه في حين أن كثيرين قد كسرت بهم السفينة من جهة الإيمان والضمير الصالح إلا أن أتون الاضطهاد ينقي ويطهر(رو ٥:٣-٥)، فلأن المسيح باق إلى انقضاء الدهر (مت ٢٠:٢٨) فهو

يحفظ أتباعه .

والنار فى الشجرة الصحراوية القليلة الارتفاع يمكن أيضاً أن تمثل اتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح الذى قال: « أنا أهيه الذى أهيه » معلناً قوته لموسى . يقدم م.ج كيل Kyle هذا الاقتراح الطريف بأن العليقة المشتعلة قدمت للعالم إعلاناً من الله كان العالم فى حاجة إليه :

« إن الفكرة السائدة عن الله فى المناطق المجاورة لهذا المشهد هى أن الله يسكن فى الظلام ، والاقتراب من الله فى المعابد المصرية كان يتم عن طريق ازدياد الظلام ، لقد كان يعتقد أن الله كان خطيراً ويمكن أن يكون مدمراً . ولذا فعلى الكاهن أن يتدخل دائماً . والله كالمخلّص الرحيم كان إعلاناً لفكرة جديدة للعالم . وقد أعلنت بوضوح الآن لأول مرة ، ولكنها لم تعلن بالكامل خلال المدة الطويلة من تسلسل الكهنة حتى جاء رئيس الكهنة العظيم وفتح لنا «طريقاً للدخول» حتى نأتى «بثقة إلى عرش النعمة» .

إن موسى فى رسائله الوداعية للأسباط الاثنى عشر ، هنأ يوسف « برضى الساكن فى العليقة » (تث ٣٣:١٦) ألا نتبارك نحن بحق لو نلنا هذا الرضى الإلهى ؟ ، فالله هو « سور من نار » للحماية (زك ٢:٥) ، وللذين يحتقرون نعمته ورحمته فهو « نار آكلة » لدمارهم . فلمثل هؤلاء ، ليس لهم سوى « النار التى لا تطفأ » .

١٤ معجزة العصا

(خر ٤:١-٥ ، ٧:٨-١٣ . انظر ٢ تى ٣:٨)

بالرغم من كل التأكيد الإلهى الذى تلقاه موسى أن الله سوف يمده بالشجاعة والقوة لمواجهة فرعون بأن يطلب منه أن يطلق شعب إسرائيل إلا أن إيمان موسى كان ضعيفاً . وعندما قال موسى إنه لا يصلح لتأدية المهمة كان الرد الإلهى له « سأكون معك وسوف أجبر نقصك وأصلح كل عيوبك » ، ومع ذلك لم يكن موسى على استعداد أن يصدق أن قوة الله فى الضعف تكمل . لقد كانت عدم ثقته فى نفسه متأصلة فيه ، وكما يذكرنا دكتور جراهام سكروجى Graham Scroggie بالقول : عندما دعا الله موسى ، قدم خمسة اعتذارات فى محاولة منه لتجنب المهمة ، لقد حاول أن يرفض بحجة :

(١) عدم اللياقة (خر ٣:١١).
(٢) عدم وجود رسالة (٣:١٣).
(٣) عدم وجود سلطة (٤:١٠).
(٤) عدم المقدرة على الكلام (٤:١٠) .
(٥) عدم وجود الميل لتأدية الرسالة (٤:١٣).

ولكن الله واجه كل نقطة تحجج بها ووعده بما يأتى :

(١) حضوره (٣ : ١٢) .
(٢) اسمه وعهده (٣:١٤-٢٢) .
(٣) قوته (٤:٢-٩) .
(٤) تمكينه من الكلام (٤:١١ و ١٢)
(٥) إعطاؤه التعليمات (٤ : ١٤-١٦) .

فى مستهل الأصحاح الذى نحن بصدده ، نرى موسى يعبر عن قناعته أن فرعون لن يصدقه عندما يطلب منه إطلاق سراح شعب إسرائيل كالمتحدث الرسمى من الله (٤:١) . إن مثل هذه المهمة بأن ينقذ شعبه من العبودية القاسية على يد أعظم أمة قوية فى ذلك العصر كانت مهمة مروعة « ليت أولئك الذين يتلعثمون ويتعثرون أمام المصاعب البسيطة فى الحياة العادية ، لا يقسون فى حكمهم على موسى لأجل ضعف إيمانه أمام مثل هذه المهمة» (خر ٣ : ١١- ١٣ ، ٤ : ١ ، ١٠ - ١٣) وكان التشجيع الإلهى ذا طبيعة مثلثة «أهيه الذى أهيه . هكذا تقول لبنى إسرائيل » (خر ٣ :١٤) ، والله جعل هرون المتحدث الرسمى لموسى (٤ : ١٤- ١٦) . ثم كانت عصا القوة لإجراء المعجزات (٤ : ١٧) . ربما كانت العصا فى يد موسى هى عصا الراعى التى استخدمها فى الصحراء أو العصا التى استخدمها كراع فى الثمانين من العمر ليتوكأ

عليها . لابد أن الرهبة قد ملأت قلب موسى عندما شهد إجراء معجزة مزدوجة ! فالله أمر الجماد (الخشب) ليتحول إلى شيء متحرك (حية) ثم تحولت الحية إلى خشب مرة أخرى . لقد تم إجراء هذه المعجزة ثلاث مرات - أولاً - عندما كان موسى وحده ثم أمام شيوخ إسرائيل ، وبعد ذلك أمام فرعون . والعصا التى قيل إن هرون كان يمتلكها هى نفس العصا التى استخدمها موسى ، فأحياناً يقال إنها عصا موسى وأحياناً عصا هرون (٤ : ١٧ ، ٧ : ٩).

وعرافا مصر اللذين يدعوهما بولس ينيس ويمبريس (٢تى ٣:٨) استطاعا أمام الناس أن يقلدا المعجزة فى بدايتها . ربما كمشعوذين استخدما نوعاً من خفة اليد ، ولكن عندما أصبحت الحيات جامدة مرة أخرى كالعصى نقرأ القول : « ولكن عصا هرون ابتلعت عصيهم » (٧:١٢) . هذه أول ضربة حلت بآلهة مصر . لترنش تعليق مفيد على احتيال العرافين المصريين .

إننا نفكر فى معجزاتهم كمجرد حيل مشعوذين ، مهارة خفة يد ، حاولوا بها أن يفرضوا على فرعون وعبيده أن يصدقوا ، وليس أكثر من ذلك ، أن عصيهم أيضاً تحولت إلى حيات (٧:١١و١٢) ، وأنهم حولوا الماء أيضاً إلى دم (٧:٢٢) . لقد كان ذلك صراعاً ليس فقط بين قوة ملك مصر وقوة الله ، ولكن آلهة مصر ، القوى الروحية للشر المستتر ، وقد كانت الروح التى تحرك تلك المملكة المظلمة والشريرة ، كانت فى صراع مع إله إسرائيل .فى هذا الصراع ، ظهرت حقيقة أنها لا شيء ، فالموارد التى تستند إليها سرعان ما نضبت ، ولكن مملكتى النور والظلام فى حضور فرعون كان بينهما معركة مفتوحة ، كل منهما يسعى ليكسب الملك إلى جانبه ويجعله من أتباعه ».

إن **العصا** شعار القوة الإلهية والسلطة (خر٤:٢-٤، عد١٧، مز٢:٩) ، **والحية** رمز لقوة الشيطان . ولذلك فمعجزة تحول عصا موسى إلى حية ترمز لسيادة الله على الشيطان ، وفى محاولة السحرة ، حاول الشيطان تقليد قوة الله . ونقرأ أن «موسى هرب» من الحية . عند ما كتب سفر الخروج ، كان من الطبيعى بالنسبة له أن يتذكر ويسجل انزعاجه لأجل هذه الظاهرة الغريبة والغير عادية .

ومع ذلك فقد انتصر الإيمان على التراجع الفورى ، لأنه استجابة للأمر الإلهى تجرأ موسى أن ينحنى ويرفع الحية من ذيلها- بعكس ما كان المصريون يفعلون إذ كانوا يمسكون بالثعابين السامة من الرقبة حتى لا تعضهم . « لكى يختبر إيمان وشجاعة موسى ، فقد صدر الأمر له أن يمسك بهذه الحية من ذيلها » .

١٥ - معجزة اليد البرصاء

(خر ٤ : ٦ - ١٢)

إن الآيات الثلاث المتطابقات،العصا ، واليد البرصاء ، وتحول الماء إلى دم ، تثبت أن الله صبور تجاه الشك المعقول . وحجة موسى بعدم مقدرته على القيادة تمت مواجهتها فى كل مرة بالتشجيع الإلهى ، ثم قصد من هذه الآيات إعداد وتهيئة موسى لإنقاذ إسرائيل من العبودية فى مصر ولإظهار أن الله سوف يستخدم المعجزات ليكلم البشر . يقول المرنم « كلام آياته » (مز ١٠٥:٢٧) ، كان على بنى إسرائيل أن يقتنعوا بقيادة موسى ، وكان على فرعون أن يقتنع أن بنى إسرائيل يجب أن يرحلوا عن مصر . وهكذا كانت الآيات الثلاث مترابطة .

وتحول العصا إلى حية يؤكد أن قوة الله كانت متاحة لإتمام الخطة الإلهية .

هنا نرى كيف أن الله يمكنه أن يجعل من وسيلة ضعيفة قوة يمكن أن تعاقب أو تدمر .. فلديه كل الغلبة على الشيطان وقوته وخططه .

واليد التى أصبحت برصاء تدل على أن قوة الله تظهر

من الخطية – وهى مرض أبغض من البرص وغير قابل للشفاء . إن مهمة موسى كانت أن يعاقب وينقذ . إننا يمكن أن نتغلب لا على الشيطان فقط بل على الخطية التى أدخلها إلى العالم .

والماء الذى تحوّل إلى دم يوحى بأن القوة الإلهية سوف تقضى بالموت فى النهاية على الذين يحتقرون النعمة الإلهية . هنا رمز لتحول السلام والرخاء الذى كان يعم مصر فى ذلك الوقت إلى كارثة ومعاناة ومذابح . فالدم المسكوب يرمز للغضب الإلهى .

والذين لم يتأثروا بالمعجزة الأولى الخاصة بالعصا المعجزية لأن العرافين المصريين استطاعوا محاكاة هذه المعجزة ، قد يتأثرون بمعجزة اليد البرصاء . ولذلك فقد كانت المعجزة الثالثة القصد منها إقناع أكبر عدد ممكن . إن تحول الماء إلى دم لم يكن مطلوباً لأن الناس صدقت المعجزتين الأوليتين . لقد أصبحت المعجزة الثالثة ضربة القضاء الأولى على فرعون . إن الآيات الثلاث لم تعط لمجرد تشجيع موسى ولكن قصد بها أن تكون أوراق اعتماده فى نظر هرون (٤:٢٨) ، وفى نظر بنى إسرائيل (٤:٣٠)، وأخيراً فى نظر فرعون (٧:٩و١٠).

فى آية اليد البرصاء ، كانت هناك معجزة مزدوجة . فسرعان ما تحولت يد صحيحة إلى برصاء ، وبنفس السرعة تحولت يد مريضة ليد صحيحة . وفى مناسبات عديدة كان البرص آية تدل على القوة أو الدينونة يرسلها الله كما سوف تبين معجزات أخرى . وهذه الآية بالذات لم تبين لفرعون لأنها ترمز لغلبة شعب الله على الخطية . وأسوأ أشكال هذا المرض النجس متضمن فى الكلمة المستخدمة هنا، وقد كانت من النوع الذى أسماه الإغريق « الداء الأبيض » (٤:٦)، لأن جلد المريض كان يصبح أبيض تماماً ويصبح شعره أبيض كالصوف ، وقد دُعى الإسرائيليون البرص ربما بسبب ذكرى ما قام به موسى من استعراض لبرص يده .

والقصة التى أمامنا تنتهى بأن موسى كان متردداً فى الخروج بناء على وعد الله بالقوة ، لمصاحبته ، وقد احتج بأنه ليس موهوباً وليس لسناً لديه القدرة على الكلام ، لقد كان يجد صعوبة فى التعبير بالكلمات . إن «البطء فى الحديث » يقول عنه بعض الكتّاب إنه يتضمن التلعثم الطبيعى . ولذا أصبح أخوه هرون الأكثر منه طلاقة فى اللسان ، متحدثه الرسمى ، وقد ذهبا معاً لأداء مهمتهما تصحبهما الآيات المعطاة لهما من السماء ، كأوراق اعتماد لهما .

١٦- موسى كمعجزة ، والمعجزات فى حياة موسى

(عب ١١ : ٢٣ – ٢٨ ، خر ٤ : ٢٩– ٣١ ، مز ١٠٥ : ٢٦ و ٢٧)

قبل أن نفحص معجزات موسى كل واحدة على حدة ، من الضرورى أن نستعرض بإيجاز دور المعجزة فى حياة وأعمال هذا القديس البارز من قديسى العهد القديم الذى أصبح منقذاً ومشرعاً ونبياً وكاتباً . إن تاريخ موسى يثبت أن الخوارق كانت جزءاً لا يتجزأ من حياته . فسواء فكرنا فى نجاته من الموت وهو بعد طفل ، أو اكتشافه وتبنيه من قِبل ابنة فرعون ، أو إعالته على جبل سيناء لما يقرب من سبعة أسابيع أو إعلاناته عن الله أو من الله أو جلد وجهه الذى كان يلمع بعد مقابلته مع القدير أو دفنه من قِبل الله أو ظهوره على جبل التجلى، فكل شىء عن موسى يدل على أن الله كان يرعاه من المهد إلى اللحد .

ولأنه كان بارزاً وسط أنبياء العهد القديم ومرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بنمو إسرائيل كأمة ، فنحن نتفق مع القول بأن :« وجود وكيان الجنس العبرى كان يتطلب مثل هذه الشخصية للدفاع عنهم . وفى العهد الجديد فإن يسوع والرسل كانوا ينظرون لموسى باعتباره أكثر من ممثل للعهد

القديم ، فقد كان بالنسبة لهم شخصية تاريخية ذات تميز فريد فى تاريخ إسرائيل حتى إن حياته كلها كانت تمثل بالنسبة لهم النماذج الروحية فى العهد الجديد (يو ٣:١٤، ٢ كو ٣ ؛ ٧ - ١٨.. الخ). إن يسوع واليهود والمسيحيين أقروا بأن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة الأولى فى العهد القديم(من التكوين حتى سفر التثنية) . انظر لو ٢:٢٢ ، ١٦:٢٩، ٢٤:٢٧ . إلخ - إنه بلا شك يبرز كواحد من أعظم وأقدس الرجال على مر العصور .

أما فيما يتعلق بالمعجزات التى أجراها موسى على مدى فترة أربعين سنة ، كعقاب من الله وتم بها إظهار القوة الإلهية ، فلا شئ أقل من الاقتناع التام أن معجزات موسى قد أجراها الله ، كان يمكن أن تدفع اليهود لإطاعة القوانين المرهقة لهم والتى فرضها عليهم . فالناس لم يكونوا على استعداد لقبوله كممثل شخصى لله لو لم يكن لديه أوراق اعتماد يبرزها لهم . فالقوة على إجراء المعجزات قد أعطى للبشر ، كما بيَّنا سابقاً ، لغرض أساسى يتعلق بقيمتها كمستند ، لتجعلهم يؤمنون أن هؤلاء مرسلون من الله . يعلق اليكوت هنا بالقول :

« *إن يهوه لم يظهر لأحد لما يزيد على أربعمائة سنة وكان من الممكن أن يعتقد الناس أن عصر المعجزات قد ولى وانقضى . إن المعجزات تتركز حول أزمات معينة فى تعاملات الله مع الإنسان ، وتتوقف تماماً بين كل أزمة وأخرى . لقد توقفت لما يزيد عن ٥٠٠ سنة بين عصر دانيال وظهور الملاك لزكريا* » .

أما فيما يتعلق بحقيقة معجزات موسى ، يقدم (ليزلى Leslie) فى كتابه هذه الملاحظات الأربع عن حقيقة معجزات موسى كمشرع :-

(١) لقد كانت من النوع الذى يستطيع أن تميزها حواس الإنسان .

(٢) لقد تم إجراؤها علناً ، وتأثرت بها أمتان ، إسرائيل ومصر ، وشهدها أكثر من مليونين من الإسرائيليين لمدة أربعين سنة .

(٣) إن الآثار العامة للمعجزات،وما هو أكثر إقناعاً ، المظاهر الخارجية لتلك المعجزات ، كانت باقية تخليداً لذكرى الحقائق .

(٤) كانت هذه الآثار والمظاهر تبدو واضحة للعيان وقت وقوع الأحداث ، واستمرت بلا انقطاع بعد ذلك (تث ٨ : ٤ ، خر ٢٠ : ١٨و٤٠ : ٣٨ ، يش ٣ : ١٦، عد ١٦ : ٢١، الخ).

وباستعراض معجزة الضربات على مصر، هناك خاصية أو خاصيتان جديرتان بالملاحظة أولهما عددها (عشر) وهذا له ارتباط طريف ، فرقم عشرة واحد من الأعداد الكاملة فى الكتاب المقدس وهو يدل على **الكمال** - فهو يعنى أن دورة الكون كاملة لا ينقصها شيء . لقد قال الله أنه سيجرى قضاء ضد كل آلهة مصر (خر ١٥:١١ ، عد ٣٣:٤) ، وكما سوف تظهر الدراسات التالية ، فكل ضربة كانت موجهة ضد إله وثنى معين . وهكذا ففى الضربات العشر ، نرى غضب الله معلناً بالكامل ، وقضاءه على أوثان المصريين - نرى اكتمال العقاب الإلهى لعالم مضاد لله ، عانى منه شعب إسرائيل الأمرين . وهذه الضربات لم يكن القصد منها مجرد الإقلال من مقاومة فرعون ، لقد كان القصد منها القضاء على الوثنية .

وملاحظة أخرى لهذه الضربات المعجزية هى الطريقة التى تتناغم بها مع الطبيعة ، كما نتوقع ، حيث أن إله الإعلان والقضاء هو إله الطبيعة . وكما هو الحال مع معجزات المسيح وأمثاله ، هكذا بالنسبة للضربات على مصر يوجد «مبدأ استمرارية العنصر البشرى مع الإلهى» لأن الضربات «كان لها علاقة واضحة بالظواهر الطبيعية المصرية ، وفى معظم الحالات ، فإنها كانت لا تعترض قوى الطبيعة ، بل تعمل على فاعلية هذه القوى لتعمل لغرض محدد سلفاً وفى وقت محدد ». وكما أن كل التجليات

والأعمال المعجزية تتجسد فى أحداث طبيعية ، هكذا فأعمال الله المعجزية مرتبطة بالظواهر الطبيعية .

ثم هناك الفرق بين معجزات موسى ومعجزات العهد الجديد ، فكثير من الفروق والاختلافات تميز معجزات العهدين القديم والجديد . فمعجزات المسيح كانت تتم بأقصى سهولة ممكنة - فهو يتكلم فتحدث المعجزة . وموسى يتكلم بسرعة ويتصرف بغير إيمان (عد ٢٠: ١١)، وكان على إيليا وأليشع أن يصليا طويلاً ويبذلان جهوداً كبيرة فى إجراء المعجزات (١مل ١٨:٤٢-٤٤ ، ٢مل ٤:٣١-٣٥) . وعندما تكون المعجزات متشابهة فى النوع كإطعام الجياع ، فمعجزات المسيح أكبر وأمجد وتتسم بحرية أكبر ، وبالإضافة لذلك فمعجزات العهد القديم لها مظهر أكثر صرامة من معجزات العهد الجديد . إن معجزات موسى لم تكن سوى معجزات متعلقة بالناموس تعلم قداسة الله الرهيبة وكراهيته للخطية ، ومعجزات المسيح فى مجملها كانت من أعمال النعمة والرحمة ، وكانت مرتبطة فى أغلبها بالجسم البشرى ، كما كانت أمثاله مرتبطة بالنفس البشرية . ومعجزات العهد القديم كانت ذات صلة بالظواهر الخارجية وكانت تجرى لإظهار قوة الله . ومعجزات العهد الجديد ، وهى أقل غرابة وإلفاتاً للنظر ، تحمل مغزى روحى داخلى أكثر عمقاً .

ولا يفوتنا أن نذكر حقيقة أن الضربات كانت منصبة على مصر أساساً ، وكل منها تناسب المكان والوقت والظروف التى أجريت فيها ، والضربات وهى ليست بالضرورة عقاباً إلهياً ، مذكورة مراراً فى الكتاب المقدس ، والسمة البارزة للضربات على مصر كان فى عنصر المفاجأة والشدة والدمار الشامل دون سابق إنذار حتى تترك أبلغ الأثر لدى المشاهدين بأنها استعلانات غير عادية للقوة الإلهية . فالضربات بالشكل المنظم والحاد الذى حدثت به تبرز كمعجزات إعلان للقوة الإلهية .

١٧ - معجزة تحول ماء النيل إلى دم

(خر ٤: ٩ ، ٧: ١٤-٢٤، مز ٧٨: ٤٤، مز ١٠٥: ٢٩)

إن المعجزات العشر التى أجراها موسى فى مصر تظهر الصراع بين « الله والشيطان » كما عبر عن ذلك دكتور جراهام سكروجى Graham Scroggie ، ولكن هذه القوى المتصارعة ليست متكافئة فى مطالبتها بنفوس البشر ، لقد تم التخطيط للصراع ، واستمرت المعركة أمداً طويلاً ولكن الشيطان هزم فى النهاية على يد« المخلِّص » ، وهذه المعجزات قد أثبتت أيضاً سيادة الله على قوى الطبيعة . وهكذا فأول ضربة قد أثرت على مصدر الحياة والثروة - نهر النيل .

وياله من فارق هائل بين أول ضربة لمصر بتحويل الماء إلى دم ، وأول معجزة للمسيح بتحويل الماء إلى خمر ، الأولى كانت مخيفة - والثانية مبهجة . وقد لفت كل من «ترنش» و« هابرش» للفارق الهائل بينهما . كانت أول معجزة لموسى مناسبة للناموس الذى جاء بموسى ، لقد كانت خدمة الموت ، المنقوشة غضباً(٢كو ٣: ٦-٩) . ولذا فتحول الماء إلى دم كان رمزاً للموت . ومعجزة المسيح الأولى تحدث تأثيراً فى الداخل ولا يقصد منها إحداث أثر خارجي ، فتحويل الماء إلى خمر يرمز لخدمة الحياة لأن يسوع قد جاء كالكرمة الحقيقية ليفرح قلب الإنسان(مز ١٠٤ : ١٥)، وهكذا فمعجزته الافتتاحية كانت رمزاً للفرح . وتعليق س .هـ سبرجون على المعجزتين ذو مغزى معبر فهو يقول :

« عندما حوَّل كل مياه مصر إلى دم لدرجة أن المصريين كرهوا أن يشربوا من النهر ، كان ذلك دليلاً أكيداً على أن الله موجود ، ولكن بالنسبة لنفسى فقد كان تحويل الماء إلى خمر دليلاً أكثر يقيناً ، لأنه جعل حياتى المعتادة شبيهة بحياة سكان السماء عن طريق نعمته المتفاضلة » .

وعندما امتدت العصا التى تصنع المعجزات إلى

النيل ، تحـول كل الماء إلى دم ، حـتى الماء فى الأوانى المحمولة ، والبرك والمستنقعات . لقد تلوثت مجارى المياه ومـات السـمك ، وأنتن النهـر (٧ : ٢٠ و ٢١) .لقـد حدثت هذه الضربة بيد هرون غالباً فى الصباح ، عندما ذهب فرعون وحاشيته إلى النهر للاستحمام أو لعبادة النهر حيث أن النيل كان أحد الآلهة العظيمة للمصريين ، لقد كان(حابى) هو اسم إله النيل . وكان النيل أيضاً مركزاً للحياة القومية فى مصر كما كان مركزاً للحياة الدينية فيها .إن مصر كانت هبة النيل « فقد جلب النيل تربة مصر كلها ، وكان الرى يعتمد كله عليه » ، وهذا النهر الصنم كـان زاخراً بالسـمك من جـميع الأنواع والذى كـان يمد المصريين بأصنام أخرى ليـعـبدوها . لقـد كـان المصريون يقـدسـون ثلاثة أنواع على الأقل من السـمك ، ولذا فـإن الضربة نتج عنها عقوبة شديدة مضاعفة ، ففى ضربة واحدة حُرم المصريون من الماء والسمك ، ولأن الماء وحده كان لذيذاً وصحياً ، فكلمات موسى التى قالها فى هذا الصدد تحمل دلالة عـميقـــة « فيـعـاف المصريون أن يشربوا مـاء من النهر »(٧ : ١٧- ١٩) ، فشرب الماء كان أليماً .

إن أولئك الذين يحاولون تفسير المعجزات فى الكتاب المقـدس من منظور عـقـلانى ، يجـذبون الانتبـاه أنه من الظواهر الطبيعية أن النيل يفيض فى شهر يونيو عندما تصبح مياهه عديمة اللون بسبب المواد النباتية العالقة به أو محمراً بسبب وجود كميات هائلة من الكائنات العضوية الدقيقة . وفى شهر أغسطس عندما يبلغ النهر أقصى ارتفاع له ، يصبح للنهر لون أحمر مقبض يشبه الدم ويخرج روائح نفـاذة . فـمن السـهل لذلك أنه يمكن اعـتـبـار ذلك معجزة .

ولكن شدة هذه الضربة هو سر إعجازها كما قال اليكوت : «إن اختفاء اللون الطبيعى لماء النيل سواء كان السبب الغرين أو الكائنات العضوية ، ليس له تأثير ضار بالمرة على السـمك ، ولا حين يصبح الماء ذو لون أحـمـر بسبب هذه المواد المزيلة للون فذلك لا يجعله غير صـالح للاسـتـخـدام » ، وفى حين أن النيل يكون له فى مـعظم الأحيان لون طبيعى غير محبب ، فالناس لم تكن تأبه لذلك . والكتاب المقدس يقول إن النهر « تحـول إلى دم » وأن ميـاهه قد عـاف الناس أن يشربوها ، وأن السمك الميت المتعفن سبب اشمئزازاً ورعباً لدرجة غير معقولة . إن حدة الضربة المرعبة تكشف عن حق الله المطلق أن يفعل ما يريده بالخليقة التى صنعها . وفى محاولة لإبطال أثر المعجزة كضربة ، حاول العرافون تقليد المعجزة ، وعن طريق السحر، كما نرى فى الشرق اليوم ، قلدوا ما عمله موسى وهرون على نطاق ضيق جداً ، واللذان كانا قد حولا كل الميـاه - مياه القنوات والبحيرات والسدود - إلى دم ، لم يستطع العرافون أن يعملوا ذلك على نطاق واسع ، ولكن تأثيرهم لم يتعد كمية صغيرة من الماء بالقرب منهم (٧ : ٢٤). لقد استفادوا من المواد التى جلبتها « الضربة المعجزة » ، ولم يختبر أحد معجزتهم المزعومة ، وربما لم تعمل فى حضور أى شاهد من الطرف الآخر . ولكن يبدو كما لو أن عمل العرافين قسى قلب فرعون ورفض توسل موسى وهرون لإطلاق سراح الإسرائيليين ، لم يعر الملك التفاتاً لهذا الأمر. ولا شك أن القلق قد جعله يحتفظ بماء البئر لاستحمامه الخاص ، ولأنه كان يحتفظ بسوائل أخرى بكميات كبيرة فقد استطاع الاستغناء عن ماء الشرب لمدة وجيزة . فهو لم يكن فقط متكبراً وغير تقى وعنيداً ولكنه أيضاً كان عابداً للوثن . لقد جاهر بأنه لا يعـــرف الرب (٥:٢)، هنا أمر موسى أن يقـدم لفـرعـون اسم الله ولقـبـه - « الرب إله العبرانيين » (١٦:٧) .

يقول أحد المفسرين إن العقوبة التى جاءت بها هذه الضربة كانت انتقامية . فالمصريون قد جعلوا النيل وسيلة للقضاء على أطفال العبرانيين (٢٢:١) ، حتى إن آباء العبرانيين عافوا أن يشربوا منه كما لو كان ملوثاً بدم أطفالهم ، ولذا فهو الآن أصبح غير قابل للشرب للمصريين أيضاً بسبب الدم .

١٨ - معجزة الضفادع

(خر ٨ : ١ - ٦ ، مز ٧٨ : ٤٥ ، ١٠٥ : ٣٠)

إن معجزة الضفادع كالضربة الأولى تم التهديد بها مقدماً . وبعض الضربات اللاحقة حدثت دون إنذار . لقد امتزجت الرحمة بالدينونة . لقد أعطى الله المصريين وقتاً ليتوبوا ويهربوا من الضربات الشديدة . وعندما لم يسمعوا إنذار موسى وهرون ، استخدم الأخان العصا لعمل معجزات واستدعى الله جيوش الضفادع لتغطى الأرض . لقد خلقها الله بلا عدد ومن جميع الأعمار والأحجام لتنفيذ نقمته على أمة تعبد الأوثان .

إن ضربات الضفادع مألوفة للمصريين ، ففى شهر سبتمبر بعد فيضان النيل ، وبعد انحسار الفيضان ، كانت الضفادع تتكاثر فى المستنقعات المتعفنة . هذه الزواحف البرمائية مذكورة عدة مرات فى الكتاب المقدس دائماً ، ما عدا فى سفر الرؤيا ، لارتباطها بمصر . هناك فصيلتان من الضفادع يمكن التمييز بينهما - تلك التى تعيش فى المياه وتلك التى تعيش على الأرض . والمعجزة فى هذه الضربة ، الأسوأ من سابقتها ، كانت فى الظهور المفاجئ لكلا النوعين من الضفادع بوفرة غير عادية وفى موتها فى وقت محدد . فى لحظة امتلأت الأرض بها والله الذى دعاها لتوجد فى لحظة حرمها من الحياة بدون أى كلمة (٨ : ١٣، ١٤، مز ٧٨ : ٤٥) . لم تعد الضفادع للنهر أو المستنقعات ، فقد ماتت حيث هى بأعداد لا حصر لها حتى اضطر الناس لجمعها فى أكوام **وأنتنت الأرض** . فى الضربة الأولى ، **أنتنت المياه** (٧:٢١) ، وفى هذه الضربة **انتنت الأرض** (٨:١٤) . فى الضربة الأولى لا نقرأ أن فرعون عانى شخصياً، ولكن بعد هذه الضربة الإلهية الثانية ، عانى الملك والشعب على حد سواء (٨ : ٤ - ٨) ، فالقصر والكوخ امتلآ بالرائحة النتنة للضفادع الميتة . فبعد أن توغلت الضفادع فى كل مكان ، وملأت الأسرَّة وغطت الطعام ودنست الماء لابد أن الضفادع قد جعلت الحياة غير محتملة . إن مثل هذه الضربة المريعة كان لها تأثير مزدوج .

أول كل شئ ، كانت تجربة قاسية للمشاعر الدينية للمصريين وساهمت فى الإقلال من شأن ديانتهم ، فقد كانت هذه الضربة موجهة نحو الآلهة التى لها رأس ضفدعة والمعروفة باسم « هكة » أو «هكت» وكانت تعبد كزوجة خنوم إله الفيضان أو الغمر . كان هذا شكل قديم جداً من أشكال عبادة الطبيعة فى مصر ، فالضفدعة تعتبر رمزاً للخصوبة والتكاثر . وهناك كتابة مصرية تمثل سيتى والد رمسيس الثانى ، يقدم الخمر لضفدعة مقدسة محفوظة فى وعاء وعليه هذا النقش « السيدة التى لها السيادة على العالمين » ، ولذلك فالضفادع كانت تعد مقدسة كرمز لأوزيريس ، فالضربة إذن تمثل وسيلة يستخدمها الله لعقاب البشر عن طريق نفس الأشياء التى يقدسونها بدون وجه حق . يا لها من ضربة مريعة لهذه العقيدة الوثنية لشعب كان يكرم ويسجد «لضفدعة» . لقد وجدت الضفادع محفوظة بالكامل ومحنطة فى المقبرة فى طيبة .

ثانياً ، عبد المصريون النظافة وقدروها تقديراً كبيراً. وكان الاغتسال متكرراً ، وكانوا يبذلون جهداً كبيراً لتجنب الاحتكاك بأى شئ نجس أو غير نظيف . وكان مطلوباً من الكهنة أن يلبسوا الكتان ، كما قال لنا هيرودوت ، وأن يغسلوا أجسامهم كلها مرتين كل يوم . ووجود الضفادع المسببة للتلوث فى ماء الاستحمام وفى الأفران وأوانى العجين وعلى الأسرَّة لابد أنه كان مرعباً للحواس - مضايقاً ومثيراً لهؤلاء الذين يكرهون أى شئ دنس . كما يعلق اليكوت بالقول :

« كانت الضفادع بشعة للعين مزعجة للأذن منفرة للمس ، ووجودها الدائم فى كل مكان جعلها عذاباً مستديماً ، . فلو كانت الضربات اللاحقة أكثر إيلاماً ،

فضربة الضفادع ربما كانت أكثرها إحساساً بالاشمئزاز والتقزز» .

وحاول السحرة المصريون مرة أخرى تقليد الضربة ، وحيث أن الضفادع كانت متوفرة لوجودها فى الطبيعة ، استطاعوا إنتاج بعضها ، ولكن لم تكن لديهم القدرة على تقليد الله فى خلق الضفادع ، ولم تكن لديهم القدرة كذلك على جلب الموت المفاجئ لآلاف الضفادع . «فقد كان يمكنهم إظهار قوتهم وقوة آلهتهم بطريقة أكثر كفاءة لو أنهم نجحوا فى إبعاد الضفادع بعيداً» . فباستخدام سحرهم أو خفة يدهم أضاف هؤلاء السحرة المزيد من الضفادع بعد أن كانت الأرض تعج بها . فيا لها من محاكاة بائسة لعمل معجزى حقيقى !

وتأثير المعجزة على فرعون ، كانت تعليمية ، فقد لقنت هذه المعجزة لفرعون درساً ، فالروح المتكبرة للملك انخفضت قليلاً فى الضربة الأولى ، انصرف ودخل بيته متجهم الوجه وقسّى قلبه (٧:٢٣) ، ولكن فى هذه الضربة التمس من موسى وهرون أن يبعدا الضفادع ، وبعمله هذا أظهر أول علامة من علامات الخضوع . إن الألم الشخصى الناتج من الضفادع المزعجة قاد فرعون للتنازل ، فقد اعترف الآن بقوة الله وبصلاة الأتقياء المؤثرة « صليا إلى الرب ليرفع الضفادع عنى وعن شعبى ». ولكن عندما رأى فرعون « أنه قد حصل الفرج » رجع عن وعده فى السماح لشعب إسرائيل أن يخرجوا (٨ : ٨ و ١٥). وإذ أظهر تصلباً فلم يؤنبه ضميره .

١٩ - معجزة البعوض

(خر ٨ : ١٦- ١٩ ، مز ١٠٥ : ٣١)

فى بلد حار وبالنسبة لشعب نظيف كالمصريين ، فهذه الضربة الثالثة من ضربات العقاب الإلهى ، لابد أنها سببت ألماً شديداً وحزناً . فنحن نعرف جيداً أن الله بعد أن خلق حشرات عديدة ، فإنه يستطيع أن يأمرها أن تكون أداة لتنفيذ القضاء على أمة تعبد الأوثان . وهكذا تحول التراب على كل الأرض فى الحال إلى بعوض ، وقد عرف السحرة فى الحال أنه ليس غير الله يستطيع أن يجرى هذه المعجزة (٨ : ١٨) . فى المعجزة السابقة نرى الحياة **تتكاثر** (خرجت الضفادع من الماء ، من بيئته الطبيعية) ولكن فى المعجزة التى أمامنا نرى الحياة **تخلق** من تراب الأرض.

وعندما مد هرون عصاه التى تصنع الأعاجيب ، تحول تراب الأرض ليصبح نابضاً بالحياة ، وتغطى الإنسان والحيوان بحشرات مخلوقة حديثاً ، وكريهة ومقززة . إن هذه الملايين من الحشرات سواء كانت براغيث أو قراداً لم تتوالد عن طريق آلاف الضفادع الميتة ، ولكنها أسراب كثيرة مخلوقة حديثاً – حالة من التوالد التلقائى يسميها علماء الأحياء « النشوء الاحيائى » Biogenesis . إن البعوضة كثيرة التوالد حتى إنه فى ستة أسابيع يمكن لأنثى البعوض أن ترى ٥٠٠٠ بعوضة من سلالتها . إن العلماء يجاهدون لإنتاج **الحياة** ولكنهم لن يستطيعوا ، فهذا شئ مختص بالله وحده الذى هو معطى وواهب الحياة . والسحرة يمكنهم بالسحر أو بقوة شيطانية أن **يحاكوا** الحياة ولكنهم **لا يخلقون** الحياة . إن الحشرات الضارة المسببة للغثيان والتى هاجمت الناس جاءت للحياة نتيجة لعمل مبدع بالتأكيد كأداة لعقاب التراخى والكسل. والكائن الحى الوحيد الذى يقول عنه الكتاب المقدس إنه خلق من التراب هو **الإنسان** . يا له من توافق فريد ! ونحن نتساءل عما إذا كانت هذه الحقيقة هى التى أجبرت السحرة على الاعتراف بالقول « هذا إصبع الله .. أم لا » ؟ .

لقد جاءت هذه الضربة الثالثة بلا إنذار . ففى لحظة ، تحولت كميات التراب الهائلة التى تغطى الأرض إلى ضربة بعوض تجلب معها قضاء الله على فرعون لأنه قسّى قلبه ونقض وعده لموسى وهرون (٨:١٥) . ولم يعط الملك أى وقت أو بديل لتجنب الضربة بالخضوع لإرادة الله . وكانت

هذه ضربة أخرى موجهة لأوثان مصر أيضاً ، فتراب الأرض كان يقدَّس في العقيدة المصرية التي تؤله الكون ، على اعتبار أن « سب » إله التراب أو أبو الآلهة . وبالإضافة لذلك ، فالنظافة الشخصية كانت جزءاً لا يتجزأ من الحياة الدينية المصرية ، والأجساد المغطاة بالبعوض لابد أنها كانت صدمة لكبريائهم ، فيخبرنا هيرودوت أنه لم يكن مسموحاً لأي شخص تحت أي ظرف أن يدخل أي معبد وعليه حشرات طفيلية ، وكان على كهنتهم أن يحلقوا كل ثلاثة أيام ، وكان الكهنة والشعب معتادين على الاغتسال الدائم لأشخاصهم وثيابهم . فالأجساد المغطاة بالبعوض والحشرات لابد أنها كانت ضربة قاصمة لديانة الشعب . ومع أن هذه الضربة المريعة (لم يسجل التخلص من هذه الضربة) لم تسبب كارثة كبيرة ، فقد كانت كافية لإنذار المصريين وإعطاء أمل لبني إسرائيل .

وعدم مقدرة السحرة في محاكاة هذه الضربة يستحق بذل الاهتمام ، فالعبارة « فعل كذلك » (١٨:٨) تعني أنهم حاولوا أن يفعلوا ذلك ولكنهم فشلوا في محاكاة المعجزة .« لقد أخذوا تراباً مبللاً وجففوه وسحقوه وجربوا تأثير سحرهم عليه ولكنهم فشلوا في إنتاج بعوض كما فعل هرون» . وكان عجزهم واضحاً، لقد فشلت كل مواردهم لإنتاج حياة . ولما شعروا بالإذلال اعترفوا بفشلهم لفرعون في جملة موجزة ولكنها معبرة « هذا أصبع الله »، ثم انسحبوا من السباق مغلوبين ولم نعد نسمع هؤلاء المقلدين المتفاخرين الذين اضطروا للاعتراف بالقوة الخارقة للعادة .

إن اعتراف سحرة فرعون بقدرة الله فشلت في التأثير على فرعون لأن قلبه كان لا يزال متقسياً . ربما لم تؤثر عليه هذه الضربة كما أثرت عليه ضربة الضفادع . يقول هيرودوت إن الملك لم يتأثر كثيراً بضربة البعوض لأنه كان يمتلك ستائر البعوض ، وكان يستطيع أن يسكن الأماكن المرتفعة في قصره والتي كانت على ارتفاع لا يستطيع البعوض الوصول إليه .

إن النظافة من الإيمان – ولكن أحياناً قد تكون بعيدة جداً عنه . فقد كان المصريون نظيفين ولكنهم لم يكونوا أتقياء . على جميع الأتقياء أن يهتموا بالنظافة . ألم يتحدث يسوع عن أولئك الذين يهتمون بالنظافة الخارجية ومع ذلك فهم مملوءون بكل نجاسة في الداخل ؟ إن الله مستعد أن يخلق خلقاً جديداً (انظر مزمور ٥١ : ١٠).

٢٠ - معجزة الذبان

(خر ٨ : ٢٠ – ٣١ ، مز ٧٨ : ٤٥ ، ١٠٥ : ٣١)

عندما نتأمل في هذه الضربة الرابعة ، يجب أن نلاحظ أن كلمة «ذبان» مكتوبة بحروف مائلة ، مما يدل على أنه ليس هناك تأكيد فيما يختص بنوع الحشرة المذكورة . ومع أن الكلمة مذكورة سبع مرات في القصة ، فهي غير موجودة في الأصل . وعدد ونوع الحشرات في أراضي الكتاب المقدس لا حصر له . وعامة يعتقد أنها نوع من الخنافس ضارة بالناس وممتلكاتهم . وقد كانت هذه الحشرات التي « تمتص الدم » مدمرة أيضاً في محاصيل الحقل . ومهما كان نوع هذه الحشرة ، فهذا لا يمثل أهمية كبيرة بجانب التأثير الناجم عنها، لأنه أمامنا الآن ضربة ، وحتى إن كانت أقل إثارة للتقزز من الضربات الأخرى إلا أنها أكثر ضرراً.كنتيجة للضربة الأولى ،**أنتن النهر**، وبتأثير الضربة الثانية **أنتنت الأرض** ، وبتأثير هذه الضربة المريعة **فسدت الأرض أو خربت**، «في الصباح الباكر» عندما كان يذهب الملوك المصريون لنهرالنيل للتعبد له والاغتسال فيه، يا له من يوم دمار أحدثته هذه الحشرات في ضربة تتجاوز حدتها الضربات السابقة ! لقد أصبح كل المصريين ، بكل ما يمتلكونه تحت رحمة هذه الآفة المهلكة . إن التفسير العقلاني المتحرر للضربة ينكر عنصر الإعجاز فيها . فكثير من الحشرات تنضج بعد أن تجف مياه فيضان النيل والمستنقعات التي كانت تعيش فيها اليرقات ،

فالبحث البكتريولوجي يوضح أن بعض الحشرات عامل خطير في انتشار الأمراض . في حين لا يوجد شك أن أسراب الذبان قد تضاعفت بتأثير الضفادع الميتة والمتعفنة ، إلا أن اللغة المستعملة في قصة الضربة توحي بوضوح بخلق الله لأسراب جديدة من الذبان . « أنا أرسل عليك » (٨ : ٢١) . إن مثل هذه المعجزة لا تشتمل فقط على إتلاف الذبان للأرض ولكن في ظهوره في لحظة الأمر بذلك واختفائه بنفس السرعة (٨ : ٣٠ و٣١) . وهذا الاختفاء لم يحدث مع الضفادع أو البعوض ، ونتيجة الضربة كان مأساوياً ، فكثير من السكان قد هلكوا ، وعلى الأرجح قد لسعتهم الحشرات السامة حتى الموت . لقد عاني فرعون مع رعيته أو بالأحرى أكثر من رعيته لأن الذبان قد أصابته بلسعاتها الأليمة « ها أنا أرسل عليك الذبان » (٨: ٢١) ، ثم تحملت قصوره عنف الضربة لأن الذبان أو الخنافس قد أتلفت أثاثه النفيس والفخم وخربت حقوله الخصبة (٨ : ٢٤) ، ولذلك وبسبب ما اختبره شخصياً من هذه الضربة المهلكة أنه استسلم قبل أن يدعو موسى في الحال (٨:٢٥) .

إن هذه الضربة الرابعة كانت عقاباً آخر من الله على أوثان مصر . فلأن المصريين اعتقدوا أن هذه الحشرات رمز لقوة التكاثر والإبداع ، فقد اعتبرت الخنافس مقدسة وكانوا نادراً ما يهلكوها ، لقد كانت ترمز للجعارين المقدسة ، والتي كانت بدورها ترمز لشو ابن رع إله الشمس أو لإيزيس ملكة السماء . لقد كان رع يعبد كالخالق في صورة خفرع . وبعل زبوب (٢ مل ١ : ٢) يعني « إله الذبان » وكانت مهمته أن يرسل الذبان ويطردها بعيداً خاصة عن الذبائح . إن ملتون في (الفردوس المفقود) يجعل بعل زبوب ، إله الذبان ، ملاكاً ساقطاً كالتالي للشيطان نفسه في القوة والجريمة . ومع ذلك ، ففي هذه المناسبة فقد أثبت هذا الإله أنه عاجز ، ولابد أن العقاب قد بث اليأس والرعب في قلوب المصريين . أما بالنسبة لفرعون والكهنة والشعب فقد أظهر الله بطلان آلهتهم العديدة . هناك مظهر متميز في هذه الضربة لا نستطيع تجاهله وهو الفارق الذي جعله الله بين شعب مصر وشعب إسرائيل « وأجعل فرقاً بين شعبي وشعبك » (٨ : ٢٣) ، فمثل هذه الحصانة تجعل المعجزة أكثر ثباتاً ، وهي خطوة أخرى نحو تثبت تأكيدات الله أنه إله كل الأرض وأنه يهتم بشعبه اهتماماً خاصاً . فأرض جاسان المعطاة للإسرائيليين من قبل فرعون سابق (تلك ٤٥ : ١٠ ، ٤٦ : ٢٨ و ٣٤) قد فصلت عن بقية الأرض ولم تتأثر بضربة الذبان ، ولابد أن هذه الظاهرة قد أحدثت أثراً عميقاً على الملك والشعب ، فقد أضافت لعظمة المعجزة ، فقد أمر الله خلائقه ألا تضر أحداً من أتباعه .

وتأثير المعجزة على فرعون نفسه كان بالمثل خطيراً . فعلى الرغم من أنه في النهاية قسَّى قلبه مرة أخرى ، فقد تأثر كثيراً بالضربة واستسلم جزئياً، ولرهبته بسبب شدة هذه الكارثة المروعة ، استدعى موسى وهرون وأخبرهما أن يذهبا ويذبحا لإلههما « في الأرض »(٨ : ٢٥)، والعبارة الأخيرة تسلب هذا الإذن الفرعوني من مصداقيته . فقد طلب موسى الإذن بالسفر لمدة ثلاثة أيام في البرية ولن يرضى بأقل من ذلك ، وهكذا فتنازل فرعون عديم القيمة ، فقد رُفض بحزم . مع الإنذار بأن أي مزيد من المراوغة ورفض مطالب الرب سوف تواجه بمنتهى الحزم والشدة (٨ : ٢٩) . وشرح موسى لفرعون لماذا يعتبر البقاء في الأرض لتقديم الذبيحة مستحيلاً . فالغنم والبقر كانت تعتبر مقدسة في نظر المصريين ، وفي حالة استخدامها كذبيحة لله ، فإن الإسرائيليين سوف يضطرون لأن « يذبحوا رجس المصريين » ، وعرف موسى أنه بتقديم هذه الحيوانات أمام المصريين ، الذين كانوا يحرمون قتل الماشية ، سوف ينجم عنه ثورة أو حرباً أهلية ، ولذا فقد رفض ذلك مع إنذار فرعون ألا يخاتل مرة أخرى . فحتى الملوك يجب توبيخهم في حالة كسرهم للناموس الأخلاقي (١ صم ١٣ : ١٣ ،

مت ١٤ : ٤ .. الخ) . ولأن فرعون كان قد وعد وعداً غير مشروط أن يسمح لإسرائيل بالخروج من مصر لو أزيلت الضفادع (٨ : ٨) ثم كسر الوعد ، فموسى كان له الحق فى توبيخ غش وخداع الملك .

إن العالم حولنا يضع حدوداً للخدمة التى يجب أن نقدمها لله ، ولكن مهما واجهنا من معارضة ، فخدمتنا يجب أن تتسم بالشجاعة والتصميم أن نخدمه خدمة غير مشروطة . والشيطان ماهر بالدرجة الكافية التى تجعله يحول دون أى تفرقة واضحة المعالم بين الكنيسة والعالم .

٢١ - معجزة وبا' الماشية

(خر ٩ : ١ - ٢٧ ، مز ٧٨ : ٥٠)

كون الله خلق كل الأشياء بإرادته وعمل يديه ثابت من هذه الضربة الخامسة إذ أنها أثرت تأثيراً كبيراً على عبادتهم للحيوانات ، وإذ نفحص هذه المعجزة نلاحظ كيف أن شدة العقاب تزيد وأمر الله بالعتق النهائى لشعبه يصبح أكثر حسماً .

والكلمة «وبأ» تعنى « الموت الجماعى » الذى خططته ونفذته «يد الرب» على الماشية ، والذين يرفضون المعجزات فى الكتاب المقدس يقولون إن هذه عدوى سببتها ضربة الخنافس ، ومع ذلك فالكتاب المقدس يصف الضربة بأنها نتيجة « يد الرب » (٩:٣) ويقول إن الرب « فعل هذا الأمر » (٩ : ٦) . فبعد أن صنع كل الخلائق ، فالله قادر على أن يفعل بها ما يشاء . وهنا فهو يضرب الحيوانات بوباء (مز ٧٨:٥٠) . ولأنها كانت معجزة ، فقد تمت فى وقت معين ولم تصب الإسرائيليين . فمرض « طاعون الماشية » هو مرض خطير يصيب الخيول والجمال والثيران والغنم ، وبذلك يقلص موارد التجارة ومصادر الدخل .

« فماتت جميع مواشى المصريين » يعنى «كل الماشية التى فى الحقل » أى فى الهواء الطلق فى ذلك الوقت . ومن الواضح أن الماشية التى كانت فى الحظائر والظل لم تصب بسوء (٩:٣ و٦). « وكل الماشية » تعنى الماشية من كل نوع ، وقد تأثرت الماشية بالضربة التالية أيضاً (٩:١٠) . وهذا الوبأ كان شائعاً فى مصر ولكن الله رتب ألا تنسب هذه الضربة لأسباب طبيعية بإظهار طبيعتها الإعجازية :

(١) بتحديد وقت معين (٩:٥) « غداً » ، وهنا أيضاً يتسم العقاب بالرحمة ، فهذا التأخير قد مكَّن المصريين الذين يؤمنون بموسى من إنقاذ ماشيتهم الثمينة بوضعها داخل المنازل .

(٢) بعدم إصابة مواشى إسرائيل (٩:٦) ، هنا تدخل الله أيضاً لحماية أتباعه ، وإبعاد مواشى بنى إسرائيل عن العدوى القاتلة كان خطوة فى الاستعداد لرحيلهم من مصر . وهذا الحفظ الثانى لإسرائيل من العقاب كان موضوع دهشة واستفسار من جانب فرعون (٩ : ٧). يقول العقلانى إن اتجاه الريح أو احتمال وجود أسباب طبيعية أخرى قد منعت «الوبأ» من أن يصل للمنطقة التى كان يسكن فيها الإسرائيليون . ولكننا نعتقد أن الله الذى ضرب مواشى المصريين كان السبب المباشر أيضاً للحصانة التى كانت تتمتع بها أرض جاسان .

(٣) بجعل المرض مهلكاً لجميع مواشى المصريين المتروكة « فى الحقل » وجعل الضربة تنصب على عبادة الحيوانات ، *فأبيس* ، العجل المقدس هو أحد الآلهة الرئيسية فى مصر . لقد كان العجل يلقى التكريم لدرجة أنه فى مناسبة معينة أعلنت كل الأمة الحداد عند موت أحد العجول . ولذلك فلابد أن هذه الضربة كانت مريعة ومحزنة، موجهة للعقيدة الدينية ولمشاعر الناس .

وتأثير هذه المعجزة على فرعون كان طفيفاً . لقد كان أقل تأثراً بهذه الضربة عن سابقتها ، ولم يظهر أى بادرة

تدل على خضوعه . لم يتأثر قلبه أو يستيقظ ضميره . «إن فقد الملكية لا يسبب حزناً كبيراً للحاكم المطلق الذى يستطيع بكل سهولة أن يحصل على قيمة ما فقده من رعاية » . لقد ظل قلب فرعون قاسياً . يا لروعة أناة الله التى ظهرت فى الإبقاء على الملك الذى كان يمكنه أن يصيبه بموت مفاجئ بعد أول رفض له بإطلاق سراح شعب إسرائيل.

فالله لا يسر بموت الشرير ، والخاطىء يجب أن يرى فى فرعون صورة مؤثرة لنفسه ، فبعد رفض العرض المقدم بالرحمة فإنه أسلم لذهن مرفوض ، وإذ تعلق بأصنامه ، ترك وحيداً .

٢٢ - معجزة الدمامل والبثور

(خر ٩ : ٨ - ١١ ، ٢ تى ٣ : ٩)

مرت ستة أشهر منذ أول ضربة . لقد كانت هناك ضربة لمدة شهر ، وكانت تتزايد فى شدتها ، والآن ، مرة أخرى يكشف الله عن أنه كلى القوة فيحول الرماد إلى دمامل أصابت السحرة والناس والماشية . لقد أصاب « وبأ » الضربة السابقة الحيوانات وحدها . والآن فقد عانى « كل المصريين » فى «كل أرض مصر». هذه الضربة لم تعلن من قبل للشعب ولم يسمح لهم بفرصة الهروب منها . وكانت هذه الضربة شديدة ، محدثة للمرة الأولى التهاباً حاداً يعانى منه كل الناس ، مما جعلهم يتأكدون أن الله قادر أن يضربهم بمرض مريع - وإذا ضربهم بمرض فلماذا لا يميتهم ؟

إن الدمامل المشار إليها كانت جمرات ملتهبة ، واضطرابات جلدية حادة مصحوبة ببثور أو قرح . ولا شك أن المصريين الذين أصابتهم الضربة لم يتألموا بنفس القدر ، فبعضهم كانوا كأيوب مضروبين « بقرح ردىء من باطن القدم إلى الهامة »(أى٢:٧) (كما حدث مع السحرة الذين لم يستطيعوا أن يقفوا).

بينما الأمراض من هذا النوع كانت شائعة فى مصر (تث ٢٧:٢٨) ، إلا أنها لم تكن بنفس هذه الشدة ولم تكن تصيب البشر والحيوانات بلا تمييز. إن أقراص التين استطاعت أن تشفى الدمل الذى أصاب حزقيا ، ولكن هذه الأقراص لا تصلح لشفاء المصريين الذين ضربوا بهذه الضربة . إن عنصر الإعجاز فى هذه الضربة يتبين مما يأتى :

(١) أنه تم الإعلان عنها مسبقاً .

(٢) من شدتها - عقاب بترتيب إلهى .

(٣) من شمولها - فهى ليست مقتصرة على طبقة أو فئة معينة .

(٤) من امتدادها لتشمل الحيوانات كذلك .

(٥) من حفظ أرض جاسان والإسرائيليين من الدمامل والبثور والقروح .

إن رماد الأتون الذى ذره موسى نحو السماء وحوله الله إلى دمامل يعتبر فيه شيء من الإثارة . يقول أحد المفسرين إن الأتون المشار إليه كان هو الأتون الذى حرق فيه جماعة من الناس قدموا ذبيحة لإله مصرى ، وقد تم حرقهم أحياء، ومن الجائز أن فرعون كان واقفاً أمام الأتون . وموسى ذر الرماد أمام الملك لأعلى ، مقدماً إياه لله كدليل على الأخطاء التى ارتكبها هذا الفرعون فى حق شعبه . والحقيقة واضحة أنه اذا كانت الذبائح الحية التى قدمها المصريون تهدف لتجنب الضربات ، فالرماد بدلاً من أن يفعل ذلك ، جاء بضربة جديدة . لقد تحول الرماد إلى جراثيم جلبت ضربة القروح وأصبحت سوطاً من قبل الله يلهب جلودهم . يقول الأركيولوجى (كيل Kyle)« إن الرماد قد استخدم على الأرجح بنفس الطريقة ولنفس الغرض كما استخدم الطين من قبل لفتح أعين الرجل الأعمى (يو ٩ : ٦) أى لجذب الانتباه ، ولكى يمكن لعقل المشاهد من تتبع ما يعمله الرب » .

إن ذر الرماد عادة قديمة جداً ، ومازالت تمارس فى مناطق معينة فى الشرق . وحسبما استخدمها موسى ، فإن هذا العمل ذو مغزى فى أنه ليس فقط استدعاء للعقاب الإلهى على المصريين بسبب ظلمهم لبنى إسرائيل ، ولكنه دليل آخر أيضاً على عدم الرضا الإلهى بسبب عبادة الأوثان المصرية .وبعد أن تم ذر الرماد لأعلى نحو السماء، أصبح تحدياً لـ « نيت " ملكة السماء العليا الأم العظيمة.إن الرماد المتناثر الذى تذروه الرياح قد يكون أيضاً احتجاجاً عملياً وتوبيخاً لـ سيوتيك أو تايهون Sutec - Tyhon ، العبقرى الشرير ، محذراً عبدة الأوثان أن ضربات أشد هولاً سوف تلحق بهم لو لم يعرفوا إله السماء (٩ : ١٥) .

أما عن تأثير الضربة على فرعون ، فإن قلبه المتحجر ظل كما هو ، لقد منحته رحمة الله فرصة أخرى للتوبة . والآن يبدأ « الله يقسى قلب فرعون كإجراء قضائى عقابى» « شدَّد الرب قلب فرعون » . لقد قسَّى فرعون قلبه مرتين من قبل أى أنه رفض الميل للإذعان للآيات المعلنة لقوة الله ، والآن فإن الله يسلم الملك لذهن مرفوض (رو ١ : ٢٨) ، وبتركه يتخذ قراره بنفسه بعدم الخضوع للمؤثرات الإلهية ، فالله قد قسَّى قلبه نهائياً ، أما عن سحرة وعرافى فرعون ، فقد تركزت الضربة بنوع خاص عليهم ، « لم يستطع العرافون أن يقفوا أمام موسى من أجل الدمامل » (٩:١١)، وأى محاولة من جانبهم للوقوف فى وجه موسى هذه المرة قد تم إبطالها تماماً(٢تى٣:٨)، وقد ترنحوا تحت وطأة العقاب الإلهى ولن يظهروا فيما بعد . ولأن الله عظيم وسام ، فلماذا نحمِّل نفوسنا فوق طاقتها بالهموم ؟ إن الأسلحة التى تسلط علينا من قبل الأعداء لا يمكن أن تنجح ، فالعيشة فى جاسان القبول الإلهى ، تجلب لنا تأكيد الحفظ الإلهى من العقاب المستحق على الأشرار .

٢٣ - معجزة البَرَد

(خر٩:١٣-٢٥ ، مز ٧٨:٤٧و٤٨، ١٠٥: ٣٢و٣٣)

ما يميز هذه الضربة السابقة كثرة التفاصيل المتعلقة بظروف إجرائها . فالضربات عموماً تنقسم إلى ثلاثيات . فهذه الضربة الأولى أو معجزة المجموعة الأخيرة من الضربات تقدم عدة ملامح جديدة يمكن أن نعددها بالطريقة الآتية :

(١) المعجزة مقدمة لكى تحمل رسالة طويلة جادة ومليئة بالأعاجيب ، فالقصد الإلهى منها إقامة فرعون ليزيد من مقاومته للقضاء الإلهى لكى يظهر فيه قوته (رو ٩:١٧). وقد تم تحذير فرعون أن الله على وشك أن يرسل جميع ضرباته إلى قلبه ، وأنه سيظهر فيه قوته فى كل الأرض (٩:١٤)،كم تصيبنا الدهشة لكبرياء وغطرسة قلب فرعون ! فلا الضربات ولا أساليب الرحمة كان لها تأثير كبير عليه .

(٢) إن معجزة البرد هى أولى الضربات التى تهاجم الحياة البشرية على نطاق واسع ، مسببة الهلاك لكل من تعرض لها (٩:١٩) ، ولابد أن الخسارة فى الناس والماشية كانت عظيمة .

(٣) كانت الضربة أكثر تدميراً من أى ضربة سابقة . نرى فى الضربات تقدماً محسوساً ، فالضربات الأولى ، على سبيل المثال ، سببت ضيقات أكثر منها إصابات ، ثم كانت الضربات المسببة لخسارة الممتلكات وأعقب ذلك الهجوم على أجساد البشر للإيذاء وليس القتل . أما الآن فالحياة نفسها تتعرض للهجوم . فلا يتم تدمير النبات والأشجار والمحاصيل ، بل أيضاً البشر والماشية . لقد وحّد الله عناصر الطبيعة وأمرها أن تنزل بقوة رهيبة على الأرض وعلى الناس . وقد تم تحذير فرعون على يد موسى أن يخرج كل الناس والماشية من الحقل حتى لا يتم إهلاكها ، فمنذ تأسيس مملكة مصر لم يحدث فى مصر مثل هذه

العواصف والأعاصير (٩ : ١٨و ٢٤) .

(٤) وقد كانت المعجزة مصحوبة بعلامات مرعبة . فالله الذى خلق كل قوى الطبيعة يطلق بعضاً منها من عقالها ، مظهراً قوته . فهو كالواضع لنواميس الطبيعة قادر أن يتحكم فيها ، ويعين المكان الذى تعمل فيه (مز ١٠٤:١٠، ٢ كو ٧ :١٣، عا ٤ : ٧ و٨) . وإطلاق هذه القوى أدهش وأزعج المصريين لأن البرد والرعد والبرق والمطر نادراً ما شهدتها الأرض . وهى بالترتيب كالآتى :

البرد : على الرغم من أن البرد كان معروفاً فى مصر إلا أن حدوثه كان نادراً فى الغالب ، ولابد أن حجارة البرد كانت من الضخامة فى الحجم والثقل فى الوزن لدرجة أنها كانت تقتل الناس والماشية . فالبرد كان يكسر كل الأغصان الصغيرة مدمرة كل فرصة للإثمار ،» فالبرد يستخدم كذخيرة مدفعية الله » (أى ٢٢:٣٨) ، والله يعرف كيف يحكم العواصف التى لا نستطيع أن نراها .

الرعد : لم تكن العواصف الرعدية مألوفة ، ولكن عندما كانت تحدث ،كانت تأتى معتدلة ولا تسبب أضراراً. والرعد جزء أيضاً من ذخيرة الله فى المعركة (١صم ٧ : ٩ و١٠) .

المطر : يقدم لنا أيوب وصفاً دقيقاً لتاريخ تكوين المطر وينسب القـــوة لله ، الذى هو أبو المطر وله الحق فى استخدامه كما يراه مناسباً (٥: ١٠ ، ٣٨ :٢٧ و ٢٨، مز ٧:١٣٥) . إنه يرسله للبركة أو الدينونة (تث ١١:١٤، تك ٧ ، إر ٢٢:١٤). إن العـــواصف الرعـــدية تكون مصحوبة بسيل متدفق من المطر .

النار : باختلاط النار بالبرد على الأرض ، يمكن أن نفهم العواصف المشحونة بشحنات كهربائية ، والبروق الشديدة والتى تهدد الحياة والممتلكات (حز ٤:١) ، وتتجلى الرحمة الإلهية حين نعرف أن البرق مصحوب بالمطر للتخفيف من غلوائه ومنع حدوث خسارة كبيرة (أى ٣٨ : ٢٥) . إن اتحاد هذه العناصر فضلاً عن شدتها لابد أنه يبعث الرهبة والدمار أيضاً .

(٥) للمعجزة أثر مزدوج . لقد اختبرت درجة الإيمان التى حققها المصريون عن طريق إظهار الوسيلة التى يمكن بها النجاة من الدمار والموت . ولنا هنا إيضاح للخلاص بالإيمان ، لأن كثيراً من المصريين كانوا يخشون كلمة الله ويطيعون ، بينما عانى الآخرون لعدم إيمانهم . وهكذا كان الحال بالنسبة للذين شهدوا قوة الله فى الكنيسة الأولى .. « فاقتنع بعضهم بما قيل وبعضهم لم يؤمنوا » (أع ٢٤:٢٨). وعندما حصل بنو إسرائيل على الإذن بالخروج ، كان هناك من كان يتعاطف معهم من عبيد فرعون .

(٦) المعجزة تظهر كيف أن الله يسر بالرحمة . لقد قدم إنذاراً رحيماً لأولئك الذين آمنوا لإنقاذ مواشيهم (٩ : ١٩). كم يسر الله بالرحمة ، على الرغم من أن القضاء من أعماله العجيبة ! ففناء كل المحاصيل فى البلاد ، ماعدا تلك التى فى أرض جاسان ، كان نتيجة للضربة ، ما لم يتم حفظ الحنطة والقطانى(٩:٣٢). وبسبب النعمة، لم يتم القضاء على فرعون فى الحال (١٩:٩) ، ولكن تم حثه على أن يجمع كل شعبه ومواشيه فى المنازل وبذلك ينجون من الموت . ثم إن النعمة ترى فى حفظ أتباع الله فى جاسان (انظر إش ٣٢ : ١٨ و ١٩) . فلم تدن ضربة من خيمتهم (مز ٩١) .

(٧) لقد تم الإعلان عن المعجزة فى الصباح ، وقد كانت موجهة ضد « شو » إله الهواء (الغلاف الجوى) والإلهين إيزيس وأوزوريس ، كم كانت هذه الآلهة عاجزة تماماً عن تقديم المساعدة للأرض وشعبها عندما ضربت بواسطة العوامل الجوية ! إن عنصر الوقت (٩ :٣١ و٣٢) يساعد فى إظهار أن الضربات العشر قد حدثت خلال ثلاثة أو أربعة أشهر وأن الضربة السابعة قد ذكرت فى التوقيت الدقيق فى السنة .

(٨) قد أذلت المعجزة الملك المتغطرس ولكن ليس بالدرجة الكافية . فلأول مرة يعترف فرعون بيهوه كإله . « الرب هو البار وأنا وشعبى الأشرار » (٢٧:٩) ، والرب وليس الإيمان ، أرغمة على الاعتراف بأن الله بار برغم الضربة . ولكن يا للحسرة ، فعند زوال الخطر أغلظ فرعون مع عبيده قلوبهم (٣٤:٩)؛ لقد عادوا يخطئون .

وقد يتساءل أحدهم : لماذا أرسلت هذه الضربات الرهيبة التى تزداد حدة واحدة وراء الأخرى ؟ والإجابة مقدمة كالتالى .. إن قوة يهوه يجب أن تظهر : واسم يهوه يجب أن يعلن فى كل الأرض (١٦:٩) . إن شدة تأثير الضربات المختلفة التى لم يكن لها سابقة كان القصد منها التأثير على كل الناس كإعلان خاص عن قوة ذاك الذى هو فوق الجميع . فكم من المحزن أن يرفض الخطاة أن يتواضعوا أمام الله على الرغم من تحذيرهم بالمصير الذى ينتظرهم . فلو أنهم اعترفوا بذنبهم وغباوتهم وتفكروا فى خطر تأخير توبتهم أمام الله ، لما سلمهم لقسوة القضاء ولا إلى ذهن مرفوض .

٢٤ - معجزة الجراد

(خر ١٠ : ١-٢٠، مز ٧٨ : ٤٦، ٣٤:١٠٥ و٣٥)

الضربة الثامنة تقدم دليلاً قوياً على حقيقة أنه باستخدام الله للمعجزات ، فهو يرشد ، ويسخر ويدعم قوى الطبيعة بدلاً من أن يعمل فى اتجاه مضاد لها ، ففى حالة التهديد بأسراب الجراد الكثيرة العدد التى تحجب الرؤية عن وجه الأرض ، فإن الله كان على وشك أن يبين كيف أنه بإمكانه أن يأمر حتى الجراد بتنفيذ أغراضه ، والضغط على مصر كى ترتعد تحت يد الله القوية قد ازداد شدة حتى يكسر تشامخ فرعون أو يهلكه تحت وطأة الضربات .

فى ضربة الجراد كما فى الضربتين الثالثة والرابعة يحشد الله الحشرات ليعاقب وقاحة أعدائه ، وبعد الدمار الذى أحدثه البرد فى الضربة السابقة ، سارع الجراد بإكمال دمار كل المحاصيل . وفيما يختص بكيفية تأثير هذه الضربة المهلكة ، يعلق اليكوت بالقول :

« إن تواصل الضربات واحدة بعد الأخرى والتى سببها إثم فرعون ورعيته ، كان ذا أهمية كبرى لكى يستعلن لإسرائيل وللدول المجاورة قوة الله الهائلة ، والتى كان القصد منها إحداث أكبر تأثير ممكن عليهم كما لم يفعل أى شئ آخر » .

إن ضربة الجراد فى أى وقت كانت غزواً مريعاً ، فهذه الحشرات ، التى يبلغ طول الواحدة منها ثلاث بوصات ، والتى لها زوجان من الأجنحة ، تظهر دائماً على شكل سحاب يغشى وجه الأرض وهى تطير فى النهار ، وتستريح على الأرض فى الليل . ولو دست هذه الكميات الهائلة من الجراد تحت قدمك ، فإنها تخرج رائحة غير محتملة ، وأعدادها الهائلة وقوتها التدميرية تجعلها مؤهلة تماماً لتدمير كل الممتلكات ، وهى مشبهة بخيول معدة للمعركة (يو ٢: ١-١١، رؤ٩ :٧ و٩) . وعندما تحط على الأرض فهى تلتهم كل شئ أخضر، إنها تدخل الشابيك(كاللص ، كما يعبر يوئيل عن ذلك) وتلتهم الطعام وقرب الماء وحتى الخشب . وتحملها فى العادة الريح الشرقية ، وتجعلها الريح الغربية تطير بعيداً ، فخفتها وهشاشتها تجعلها عاجزة عن مقاومة الريح .

ونحن لا نستطيع أن ننكر الضربة بالقول إن الأحوال الجوية وحدها كانت مسئولة عن أسراب الجراد ، فالوصف يثبت أن هذه لم تكن ضربة عادية . ففى حين هوجمت مصر من قبل بالجراد ، إلا أن هذه الضربة كانت غير مسبوقة . فقد احتفظ الله بالجراد ليكون مستعداً للغزو ، وحدد وقت وصوله وتحكم فى الرياح التى ترشد تحركاته . وعندما رفع موسى عصاه التى يجرى بها الأعاجيب ، أعطى موسى الإشارة للجراد ليبدأ مهمته التدميرية . ولأن الريح يتمم

إرادة الله (مز ١٠٤ : ٣ ، ١٤٨ :٨ ، أى ٣٦ :٢٦-٣٣) ، فإن كلا الريح الشرقية الطبيعية (التى هبت لمدة ٢٤ساعة) والريح الغربية تنفذان قضاءه . وهكذا فالضربة هاجمت ما كانت مصر تعتز به كثيراً ألا وهو أرضهم (والتى من بين الألقاب الأخرى التى تلقب بها فهى تسمى « بأرض الجميز ») ، وكان اخضرار الزرع فى أوجه فى حوالى منتصف مارس .

إن مثل هذه الضربة التى يستخدمها الكتاب المقدس لتمثل الجيوش الجرارة المخيفة ، والمعلمين الذين يقدمون التعاليم الفاسدة ليصرفوا الناس عن حق الإنجيل (رؤ ٩:٣) ،كانت عقاباً آخر ضد عبادة الأوثان فى مصر . والإله (سيراجيا) كان يعتقد أنه حامى الأرض من الجراد ، فكم تأثرت العقيدة الدينية للشعب عندما رأوا كيف كانت آلهتهم عاجزة أمام جيش الله الغازى !.

وبسبب تهديد هذه الضربة ، توسل إلى فرعون موظفوه أن يستسلم لمطالب موسى ، وانسحب العرافون من المشهد عندما رأوا أصبع الله ، لقد خاف كثيرون من الشعب نتيجة لعاصفة البرد . أما الآن فموظفو البلاط الملكى ، المقربون من الملك ، اعتقدوا أن ما قاله موسى عن الجراد سوف يتحقق وحثوا فرعون أن يسمح لشعب إسرائيل بالخروج ، لئلا يتم تدمير مصر . وخضع فرعون لهذا الرأى، ولكنه عندما سمع أن موسى كان يطالب بخروج كل الشعب مع جميع مقتنياته ، رفض نهائياً واتهم موسى بسوء النوايا . وخرج موسى من لدن فرعون ومد يده على مصر ، وحلت الضربة .

والموقف اليائس الذى أوجدته المعجزة جعل فرعون يعترف بالله (١٠:١٦) ، وانتزعت منه أعظم اعتراف بالتوبة حتى تلك اللحظة . لقد أسرع باستدعاء موسى وهرون ، وقال الملك إنه أخطأ إلى الرب وإلى عبيده ، وطلب المغفرة وإزالة الضربة ، ومع ذلك فقد كانت توبة فرعون قصيرة الأمد ، فالله قد جعل الريح رسله لجلب الجراد ، ثم مع توبة فرعون جعل الريح تبدى الرحمة بإبعاد الجراد ، ولكن بإبعاد الجراد ، تقسى قلب فرعون أكثر مما أوجب المزيد من تدخل الله وإظهار قوته واسمه .

إن ضربة الجراد كعلامة على عدم الرضا الإلهى سوف تباغت إسرائيل وهم فى حالة ارتداد عن الله وعن الحق فى الأيام الأخيرة . (رؤ ٩ : ١ - ١١) . يقول تشارلس سيمون، المفسر المبرز لما يزيد عن قرن مضى ، يقدم لنا الفكرة التالية لنطبقها على حياتنا :

« لو نظرنا داخلنا ، ورأينا كيف استجبنا لوصايا الله ، ومقدار ضعف تأثير أحكام عدله أو مراحمه علينا ، لما وجدنا فرصة لأن نشمت فى فرعون » .

٢٥ - معجزة الظلام

(خر ١٠ : ٢١-٢٩ ، مز ١٠٥ : ٢٨)

تزداد الضربات على مصر فى شدتها وتؤثر على الملكية والأشخاص ، وفيما يختص بهذه الضربة التاسعة ، فهل يمكن أن نتصوّر حكماً أكثر هولاً من ضربة الظلام التى يضرب بها الله بلداً من أكثر بلاد العالم سطوعاً فى شمسها ؟ ولكى نفهم طبيعة هذه الضربة المريعة ، والتى تعتبر من أشد الضربات قسوة ، علينا أن نتذكر أن عبادة الشمس كانت شائعة فى مصر وفى البلاد الشرقية عموماً. وإحدى البلاد الرئيسية التى تدعى (أون) أى « بيت الشمس » كانت مركزاً للعبادة الوثنية للشمس . ولذلك فقد حرمت ضربة الظلام المصريين من إلههم الأعظم (رع) إله الشمس وأثبتت أن يهوه هو إله الآلهة . كان رع موضوع العبادة الوثنية فى الدلتا ضمن آلهة أخرى حيث كانت مدينتا هليوبوليس وفيثوم مخصصتان لعبادته .

« كان الظلام من صنع ست .. إله الشر وقاتل أوزوريس .. وأبو فيس ، الثعبان الهائل الذى يعترض

الأرواح فى العالم السفلى » .

لابد أن حلول الظلام فى مصر كان ضربة ماحقة لديانة المصريين . هل مات رع ؟ وهل انتصر ست على أخيه أم هل أحاط أبوفيس العالم بطياته المظلمة ودفعه نحو ليل دائم ؟

ومع أن الله قد استخدم مناسبة طبيعية لإتمام غرضه ، فلا يجب أن نتجاهل الجانب الخارق لهذه الضربة . فمن المعروف أن مصر تمر بفترة الخماسين ، والخماسين هى ريح تهب من الصحراء والتى عندما يعقبها ريح غربية فإن كميات هائلة من الرمال الناعمة من الصحراء تحجب أشعة الشمس وتخلق ظلاماً دامساً ، والكلمة المستخدمة لوصف الظلام هى نفس الكلمة فى اللغة الأصلية الموجودة فى تكوين ١ :٢ .

إن مثل هذا الاستمرار الغير عادى للظلام الدامس لابد أنه قد سبب مشاعر الانزعاج والرعب . إن هذا الوحش المرعب القادم من الصحراء لا يمكن التهوين منه . فبالنسبة للمصريين ، فعندما يحدث ذلك دون إنذار وكضربة مرسلة من الله ، لابد أنها تسبب ذعراً على نطاق واسع . لقد أحسَّ جميع المصريين بهول هذه الضربة لأنه « لم يبصر أحد أخاه » (١٠ : ٢١ ،٢٣) .

ومن وراء كل التغييرات الجوية والفلكية المسببة للظلام فحقيقة أن الله قال « ليكن نور » يمكن أيضاً أن يأمر الظلام ليغطى أى جزء من الأرض . إن النور لم يسلب من أرض جاسان . ففى فقرات كثيرة من الكتاب المقدس فالظلام .. مثل كواحد من الأدوات التى يستخدمها الله (يش ٢٤: ٧، خر ٢٠: ٢١، إش ٥٠: ٣-٦). فالذى يستطيع أن يخلق الظلام يمكنه أن يلف نفسه فيه (مت٢٧: ٤٥). هنا فى هذه الضربة ، نتأمل فى أن الظلام الكثيف كان مطلقاً ، مساو لظلام الليل ، مما يجعل حرية الحركة مستحيلة (١٠:٢٣) .

إن الله فى رحمته قلل من الظلمة المخيفة وقصرها على ثلاثة أيام ، فلو طال هذا المشهد المرعب لنجم عنه إما الموت أوالجنون . ومع ذلك فقد عم الارتياح بين الإسرائيليين فى أرض جاسان ، الذين كان « لهم نور فى مساكنهم » (١٠:٢٣) .

أحياناً تتنقل سحابة رملية مظلمة فى مجرى مائى ضيق لدرجة أن قسماً من الأرض يكون منيراً بينما الباقى يكون مظلماً. ولكن حفظ شعب إسرائيل من مثل هذا الظلام الدامس لم يكن شيئاً عادياً ، وكما أن الظلام كان عقاباً مجهولاً ، فهكذا كان إبعاد إسرائيل عن العقاب كان بأمر إلهى . إن هذه الضربة بالذات تقدم درساً مفيداً يصلح لإثبات أنه يوجد فرق بين شعب الرب والآخرين ،« لكى تعلموا أن الرب يميز بين المصريين وإسرائيل » (١١:٧) .

فى مثل هذا العمل فالله يكشف عن سيادته ونعمته للأمتين كأصدقاء الله وأعدائه . ولذا فالسحابة التى جاءت بالظلمة لفريق ، احتفظت بالنور للفريق الآخر ، وكما سنكتشف فيما بعد ، فقد كان البحر طريقاً للعبور لطرف وقبراً للطرف الآخر .

وعندما غمر النور الدائم الأرض ، استدعى فرعون موسى وسمح لجميع العائلات الإسرائيلية بالرحيل ، وهو تنازل قد أفسدته العبارة الشرطية « غير أن غنمكم وبقركم تبقى » (١٠:٢٤) . لقد أراد فرعون الاحتفاظ بالماشية لحين عودة الشعب ، ورفض موسى العرض المقدم ، فهو لن يأخذ فقط معه جميع الحيوانات بل إن فرعون نفسه يجب أن يعطى للإسرائيليين الماشية لتقديم الذبائح . لن يبقى ظلفاً واحداً لأن الماشية التى كانت عند الإسرائيليين كانت ماشيتهم وليست ماشية فرعون . أيضاً كل الماشية كانت ملكاً لله الذى أمر أن يغادر الشعب بكل ممتلكاتهم مصر إلى البرية لكى يعبدوا الله هناك (خر ٣ : ١٢) .

وكان رفض فرعون لطلب موسى وقحاً وعنيفاً وغير

مهذب ، فلأنه لم يكن قادراً على أن يثنى موسى عن رأيه، ففرعون طرده مع التهديد بالموت لو ظهر أمامه مرة أخرى . فكملك مصرى كان له السلطة على أن يحيى ويميت . وهنا يبرز السؤال : لماذا لم يقتل فرعون موسى من قبل ؟ لماذا سمح لموسى أن يأتى ويذهب بكل حرية . متحدياً إياه وشعبه كما فعل فى قصره ؟ لقد كان فرعون يعلم أن موسى كان معروفاً بأنه ابن ابنة فرعون سابق ،إنه لايزال محتفظاً بأصدقاء عديدين فى مصر (١١ :٣) ، ولكن أليس الأكثر احتمالاً أن فرعون عرف بالفطرة أن موسى كان مندوباً عن الله وأنه كنبيه لم يجرؤ على أن يلحق به الضرر ؟ وهذا ما نعرفه جيداً ، إنه بطرده لموسى من حضرته فالملك الغاضب قد ختم على مصيره بنفسه . لقد كانت إجابة موسى الهادئة المتسمة بعزة النفس والكرامة تحمل تحذيراً بأن الصراع الرهيب يقترب من نهايته : « نعماً قلت . أنا لا أعود أرى وجهك أيضاً» (١٠ :٢٩) .

إن ضربة الظلام تقدم لنا درساً يصلح لكل العصور ، فالخطوة الثانية فى الحياة الروحية لا يتم الكشف عنها إلا باتخاذ الخطوة الأولى (يو ٧ :١٧) . يجب مغادرة مصر (خر ١٠ :٢٦) هذه هى الخطوة الأولى ، قبل تعلم طبيعة العبادة الروحية .

٢٦ - معجزة موت الأبكار

(خر ١١، ١٢ :٢٩ - ٣٣ ، مز ٧٨ :٥١، ١٠٥ :٣٦ ، ١٣٥ : ٨ ، ١٣٦ : ١٠، عب ١١: ٢٨)

الفقرة الافتتاحية الموضوعة بين قوسين (١١ : ١-٣) تشير إلى الإعلان المعطى لموسى قبل مقابلاته مع فرعون (٣ : ٢٢) ، ثم يعقب ذلك الإعلان الإلهى بفم موسى عن الضربة الأخيرة ، الدمار القادم بضرب أبكار مصر . والشروط الواجب توافرها والخاصة بتأسيس وممارسة الفصح موجودة فى أصحاح ١٢ من عدد ١ - ٢٨ . ولذلك فإن ضربة الموت ، وهى ضربة تحدث فى أمة قد أسدلت ستائر الرؤية عن عمد ، تأتى على مصر .

فى مقدمة دراسته عن الضربة العاشرة يقول والترسكوت Walter Scott معلقاً على مظهر الجدية المرتبط بهذه المعجزة ليس فقط فى طبيعة الضربة المريعة ولكن أيضاً فى الظروف المحيطة بها فيقول :

« إن المرء يشعر أنه يقف على أرض مقدسة ، فهذه الضربة التى حدثت فى نصف الليل ، حاملة معها القضاء القاسى والمفاجئ ، بموت الأبكار- فخر ومجد وقوة مصر- أنتجت نحيباً مريراً بسبب الألم فى كل أنحاء الأرض . ولم يستطع أن ينجو منها أحد ، ولم يتمكن أحد من معرفتها مقدماً أو تجنبها بأى طريقة ممكنة . لقد شملت الملك على العرش والعبد الذى يعمل على الرحى . فالملك والشعب والماشية والحيوانات كلها اشتركت فى هذا العقاب الشديد ».

لم يفلت بيت من حكم القضاء . ومثل هذه الصرخة لم تسمع فى مصر من قبل ولن تسمع بعد ذلك - ومع أن الأرض سوف تجتاز أحكاماً سوف تجعلها مهجورة من سكانها ، ويضطهد شعبها كما اضطهدوا الإسـرائيليين (إش ١٩) .

بسبب مرور عدة أيام منذ انتهاء آخر ضربة ، التحف الناس بغطاء الأمن الزائف ، ولكن فى منتصف الليل - فى الوقت الذى لا يمكن فيه توقع حدوث أى شىء غير عادى ، وفى أكثر الأوقات صمتاً وفى أحلك اللحظات ، حلت الكارثة المروعة فجأة على الناس . ومع أن مثل هذا الحداد القومى تم التنبؤ به (١١ :٦) إلا أن تلك الليلة بالذات لم تذكر من قبل ، وهذه الضربة تبرز لوحدها كالليلة التى لم تجلب الموت فقط إلى كل بيت فى مصر،ولكنها ضمنت إطلاق شعب إسرائيل من أسر العبودية .إن اجتماع الكارثة الشعبية ، والحزن الخاص والصدمة فى المعتقدات الدينية نجده فى العبارة « وكان صراخ عظيم فى مصر» .

(١٢ :٣٠) .

هناك اختلاف في الآراء حول طبيعة هذه الكارثة المفجعة - ففي يوم من شهر إبريل كان يمثل يوم الميلاد ويوم الوفاة في نفس الوقت لعدد كبير من البيوت . والعقلانيون يقولون إن الضربة كانت حدثاً طبيعياً . «فالأوبئة الفتاكة كانت دوماً البلاء الذي يحل بأراضي الكتاب المقدس : وجدير بالملاحظة أن عدداً كبيراً من أهل الخبرة يقولون إن الوباء يكون في أشد حالاته في وقت رياح الخماسين . » ومع أن هذه الضربة قد تم التنبؤ بها كالوباء» (٩: ١٥) والأمراض السريعة الانتشار تتفق في ظواهرها الطبيعية مع هذه الضربة ، إلا أننا نعتقد أن هذا العقاب المريع قد أمر به الله .

إن الحياة والموت بيد الله . فهو يعطي الحياة ، ويحفظ الحياة ويستدعيها حسبما يراه ملائماً (أي ١٢: ١٠).فالموت إذن ، يأتي حسب أمره سواء كان عن طريق مرض متباطئ أو مرض مفاجئ ومروع (١ صم ٢٥ : ٣٨ ، ٢مل ١٩ : ٣٥ ، ٢ أخ ، ١٣ : ٢٠ ، أع ٥ : ٥ و ١٠ ، ١٢ : ٢٣) . فهو يحيي ويميت (١صم ٢: ٦) . لقد كانت ضربة الأبكار ذروة العقاب ، وكانت خارقة للعادة تماماً . ربما كانت الضربات الأخرى تشديداً للمصائب القائمة بالفعل ، ولكن هذه الضربة لم تمض إلا وفرعون يطلب من موسى أن يباركه (خر١٢: ٣٢). وبعد أن وجد فرعون أمته في مأزق رهيب ، وصل ذل فرعون إلى أقصى مداه . ويلخص اليكوت رد فعل فرعون على هذه الضربة الإلهية فيقول :

« لقد تذلل فرعون إزاء هذه الكارثة المروعة للضربة الأخيرة ليس فقط بأن استجاب لكل ما طلب منه طواعية وبلا حدود ، ولكن للدرجة التي يطلب فيها البركة من أولئك الذين كان يحتقرهم ويوبخهم من قبل(٥: ٤) ويعترضهم وأخيراً طردهم من حضرته تحت التهديد بالموت (١٠: ٢٨). فالذين بيدهم الموت والحياة ، لابد أن لديهم القوة على البركة أو اللعنة ، هكذا شعر فرعون ».

إن كلمة موجزة تكفي لحفظ إسرائيل من ضربة الملاك المهلك . لماذا صدرت له التعليمات ليفرق بين الإسرائيليين والمصريين ؟ فالإسرائيليون أخطأوا أيضاً وأعوزهم مجد الله ، كخطاة ، واستحقوا الموت كالمصريين تماماً. «والنفس التي تخطئ موتاً تموت»،وتحت حكم الموت الرهيب يتساوى الجميع ولا يصح أن يكون هناك استثناء . فالمصريون المتكبرون والعبرانيون المضطهدون كانوا أمام الله يمثلون البشرية التي حطمتها الخطيئة . ولكن سيف الدينونة لم يحل بأرض جاسان . لماذا ؟ إن الله الذي استخدم السيف في تلك الساعة المظلمة في منتصف الليل ، وجلب الموت على كل بيت لم يرش عليه الدم عين أرضاً مقدسة ووسيلة للنجاة ، فالخروف لفداء الإسرائيليين كان تذكاراً قوياً بأن الطريق الوحيد للهروب من الغضب يتم عندما يتحمل الدينونة شخص آخر . وهكذا فالحقيقة المجيدة الخاصة بالبديل نكتشفها في هذه المعجزة (١ كو ٥: ٧). فالدم الذي تم سفكه ورشه قد ضمن النجاة من الموت (عب ١٢: ٢٤، ١ بط ١: ٢) . ولابد أن الأمة الإسرائيلية كلها قد أصابتها الدهشة والعجب على هذا البيان المدهش لرحمة الله تجاههم بسبب الخروف المذبوح ؛ ونحن أيضاً ، قد خلصنا تماماً من الموت الأبدي بسبب القيمة الثمينة لحمل الله الذي ذبح لأجل خطايانا .

ألا تجد عزاء في حقيقة أنه مهما كان التهديد الموجه لنا ومن أي مصدر يأتينا كمفديين ومستورين في الدم ، فالفادي نفسه هو حافظنا ؟ ، فمادام معنا ، فمن علينا؟ كل آلة صورت ضدنا لا تنجح (إش ٥٤ : ١٧)، ولأننا مرشوشون بدم المسيح الثمين ، فلن يمسنا شئ (عب ١١: ٢٨) .

٢٧ - معجزة عمود السحاب وعمود النار

(خر ١٣: ٢١ و ٢٢ ، ٤٠ : ٣٤-٣٨ ، مز ٧٨: ١٤، ١٠٥ : ٣٩ ، نح ٩ : ١٢ و ١٩ ، اكو ١٠: ١ و ٢).

بعد تغرب في مصر دام ٤٣٠ سنة ، طُرد الإسرائيليون من قبل فرعون ، ورحلوا عن مصر بعيداً عن أسر العبودية وقد وصل عددهم حوالي ٢ مليون شخص . فنحن نقرأ القول : «وصعد معهم لفيف كثير أيضاً» (١٢: ٣٨) ، ولكن مم يتكون هذا اللفيف الكبير ؟ إننا لا نجد إجابة قاطعة على ذلك السؤال ، ربما كان هناك مصريون ، قد تأثروا بالضربات الإعجازية فاعتنقوا اليهودية .وربما كان هناك بعض الأجانب ، أسرى من دول أخرى ، كانوا حريصين على الهروب من سادتهم . هذا اللفيف أصبح فخاً لإسرائيل (عد ١١: ٤) .

إن التوجيهات لعمل الفصح ، وتقديس كل بكر ، وناموس الفداء كانت قد أقرت قبل رحيلهم على يد منقذهم وقائدهم موسى . ومع ذلك فعند بداية الارتحال ، فقد وضح لبني إسرائيل أن الله سوف يكون قائداً لهم ، وعندما تركوا مصر ، فالله لم يقد الشعب في أرض الفلسطينيين مع أن ذلك كان أقرب طريق للبحر الأحمر (١٣: ١٧) . لقد أدار الله الشعب يعني أنه قادهم في طريق دائري (١٣: ١٨) . لماذا هذا الطريق الدائري ؟ الرد الإلهي على هذا السؤال مكتوب هكذا : « لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر » ، فبعد أربعة قرون من العبودية لم يكن الإسرائيليون في موقف يمكنهم من أن يقاتلوا رجال حرب كالفلسطينيين ولذا فقد انحرف مسارهم من قبل الله أثناء قيادة موسى للجمهور في مسيرة منتظمة. وبعد أن أقاموا خيامهم في إيثام ، على حافة البرية حدثت حادثة معجزية غير عادية ..« كان الرب يسير أمامهم » (١٣: ٢١) كالقائد العام لجيش نظامي يتكون من ٢ مليون نسمة عندما بدأوا مسيرتهم في « القفر العظيم المخيف » ، لقد كانوا بلا أسلحة ، وبلا مخازن تحمل أي مؤن من ملابس أو إمدادات وبدون معرفة كيفية الحصول على الخبز والماء لإعالتهم . ولكن الله في صلاحه جاء إليهم في عمود سحاب في النهار وعمود نار في الليل ليحميهم حتى يأتوا إلى أرض الميعاد . إن الله لم يأمر شعبه أن « يذهب» إلى كنعان بل أن « يأتي » ، فهو سوف يكون القائد ورفيق السفر خلال هذه الرحلة المجهولة .

وكخالق لنور الشمس ، فهو يستطيع أن يستخدم كل أنواع النور ليعلن عن وجوده ، و« العمود » كان هو الإعلان المعجزي الظاهر للوجود الإلهي ، ولكن مجده كان محتجباً . إن هذا «العمود » الذي لا يمكن تفسيره تفسيراً منطقياً ، كان له مظهر الدخان بالنهار وكان يظلل الشعب من حرارة الشمس (مز ١٠٥: ٣٩، إش ٤ : ٥) ومظهر النار بالليل . ولذا لم يختبر الشعب أي ظلام ، وهكذا فإن هذا العمود كان للحماية والهداية . والنار أيضاً ترمز لطهارة الله ومجده (٢٤: ١٧). كما ترمز لغضبه الذي يبيد العصاة (لا ١٠ : ٢، عد ١٦: ٣٥) . وفي حين أن «العمود » كان يقدم الحماية والهداية والنور للإسرائيليين ، فإنه كان يتوسط أيضاً بينهم وبين المصريين الذين تعقبوهم والذي صار العمود بالنسبة لهم « سحاباً وظلاماً » .

وقد كان هذا « العمود » أيضاً علامة ومرشداً ، فعندما كان يتحرك كان يتحرك الشعب ، وعندما كان يقف كانوا يحطون رحالهم (٤٠: ٣٦-٣٨) . إن « العمود » كان يؤدي خدمة مزدوجة ، فقد كان شبيهاً بإشارات النار والدخان التي يستعملها القادة على رأس جيوشهم . فعندما كان الشعب مستريحاً ، كان السحاب فوق خيمة الاجتماع فوق غطاء التابوت (١٣ : ٢١ و٢٢ ، ١٤: ١٩ و ٢٤) . وعندما كان الله يريد أن يبلغ كلماته ومشيئته لموسى ، كان السحاب ينزل إلى باب خيمة الاجتماع (٣٣ : ٩ - ١١ ، ٣٤ : ٥ ، عد ١١: ٢٥ ،١٢: ٥ ، تث ٣١ : ١٥). في كل الأوقات ، كانت السحابة إعلاناً للفضل

الإلهي والحضور الإلهي ، وفيما بعد أسماها اليهود الشكينة (٢٩ : ٤٢ و٤٣).

وهذا الرمز لحضور الله وحمايته وتدبيره ظل مع الشعب فى البرية حتى وفاة موسى قائدهم ، ويرجح أنها اختفت فى آيل شطيم (عد ٩ : ١٦، ١٠ : ٣٤ ،٣٣ : ٤٩، خر ٤٠ : ٣٨). إن الرب « لم يزل عنهم عمود السحاب » . ومع أن شعبه قد أثبت أنه « عنيد وصلب الرقبة » ومع كل تجربة جديدة كانوا يظهرون روح التذمر وعدم الرضى ، وبرغم ذلك كان الله يواجههم بصبر لا ينفد ، وشفقة بلا حدود ، ونعمة لا تضاهيها نعمة ، وتحمل عصيانهم مدة أربعين سنة فى البرية (نح ٩ : ١٦ - ١٩) .

وبعد أن وصل الشعب لأرض الموعد ، لم تكن هناك حاجة «للسحابة» ، لقد أدت غرضها واختفت . والآن على الشعب أن يمشى بالإيمان وليس بالعيان . ففى أيام يشوع لم تعد السحابة تقوم بقيادة الشعب ليس بسبب عدم الإيمان ولا بسبب الفشل من جانب بنى إسرائيل . فكما بالنسبة لآيات أخرى ،لم يعد هناك حاجة إليها . إن السحابة التى تظلل بنى إسرائيل شعار لرحمة أعظم (إش ٤ : ٥ و ٦) . إن كنيسة يسوع المسيح لها حضور الله الذى وعد به وتدبيره حتى اكتمالها عند عودته إليها . « ها أنا معكم كل الأيام » . ففى صحراء هذا العالم المقفرة ، فهو قريب دائماً ، ذاك الذى قال : « لا أهملك ولا أتركك » (عب ٥:١٣) .

٢٨ - معجزة البحر الأحمر

(خر ١٤ : ٢١ - ٣١ ، مز ٧٨ : ٥٣ ،
١٠٦ : ٧ - ١٢ و ٢٢ ، عب ١١ : ٢٩)

إن الضربات المتتالية التى حلت بمصر كانت دينونة إلهية موجهة نحو وثنيتها.فآلهتها ، الواحد وراء الآخر بدلاً من أن يهرعوا لنجدة الساجدين والحزانى، صارت مصدراً للضربات التى كانت سبب بؤس الملك والرعية على السواء. والآن فقد انتهى الصراع ، وكان لابد من سحق غطرسة فرعون . فبعمل مجيد واحد ألا وهو الحدث المجيد عند البحر الأحمر،أتم الله فى مجد وبهاء إنقاذ شعبه وإغراق فرسان وجيوش أعدائهم كالرصاص فى أعماق البحر .

عندما علم إسرائيل أن فرعون وجيشه كانوا يسيرون وراءهم ، وأنهم إذ كانوا يواجهون البحر الأحمر ، لم يكن أمامهم سبيل للهروب ، نقرأ عنهم أنهم كانوا خائفين جداً وصرخوا للرب وقالوا إنه كان من الأفضل لهم أن يموتوا فى مصر على أن يهلكوا فى مياه البحر الأحمر . فجميع الاحتمالات توحى بأن إبادة الـ ٢ مليون إسرائيلى كانت محتمة ، حيث أن الطريق الوحيد للهروب كان الوادى الذى كانوا قد اجتازوا فيه . ولكن « عندما تفشل كل محاولات البشر ، تتاح الفرصة لله لكى يعمل » ، وحقيقة أن الله قد أتى بشعبه كل هذه المسافة كان حرياً بها أن تدعم إيمانهم . ولأن الشعب الإسرائيلى أصبح الآن مرشوشاً بدم الحمل ومظللاً بالسحابة ، فالصراع الآن لم يعد بين فرعون وبنى إسرائيل ، بل بين الله وفرعون . ولأن فرعون طارد الإسرائيليين إلى شاطىء البحر ، فلربما اعتقد أن الله قد تخلى عن شعبه وأن آلهته سوف تكون لها الغلبة فى النهاية . ألم يتعثر الشعب فى الأرض ويصبحوا فى مأزق فى البرية ؟ بالتأكيد لقد كانوا كذلك ، ولكن ليدرك الجميع أن الخلاص من الله .

على أى حال ، كان خوف الإسرائيليين له ما يبرره فالـ ٦٠٠ر٠٠٠ رجل ، عند تركهم لمصر ، خلقوا وضعاً سيئاً بالنسبة للتجارة والأعمال فى مصر ، وأراد فرعون إرجاعهم . ولذا استخدام ٦٠٠ مركبة مختارة تجرها الخيول وفريق من الحرس الملكى ، سار وراء شعب إسرائيل. ولكن لماذا يخاف الإسرائيليون بالرغم من كثرة عددهم ؟ الإجابة أنه على الرغم من أن جيش فرعون كان أقل من الـ ٦٠٠ر٠٠٠ رجل إسرائيلى إلا أن الجيش المصرى وراءهم

كان جيد التدريب ومعتاداً على الحرب . وفي المقابل كان الإسرائيليون غير مسلحين تقريباً وغير مدربين ويجهلون فنون الحرب . وهكذا عندما وجدوا أنفسهم في موقف لا يحسدون عليه ، صرخ الشعب إلى الرب وجاءهم التأكيد أنه سوف يساعدهم طالما أنهم لا يستطيعون مساعدة أنفسهم . إن جميع المصريين الذين يملأهم الزهو وروح التعالي ويستخدمون أسلوب التهديد ، سوف يتحولون سريعاً إلى جثث شاحبة مبعثرة على شاطئ البحر الأحمر .

لقد صدر الأمر لهم « بأن يرحلوا » ، وغادر الشعب خيامهم وتتبعوا موسى نحو شاطئ البحر ، ومد هذا القائد المؤمن عصاه فوق البحر ، وانشقت وسار الإسرائيليون في وسط البحر على اليابسة ، ورجعت المياه التي انشقت إلى حالتها الدائمة وأغرقت المصريين ، وتمجد الله أمام فرعون وكل جيشه (١٤:١٧ و ١٨) . ألا يستحق موسى التكريم على تجاوبه وطاعته غير المشروطة وامتثاله للأمر الإلهي ؟

إن الذين ينكرون المعجزات في الكتاب المقدس تراهم إما أن ينكروا معجزة البحر الأحمر برمتها باعتبارها نتاج « الخيالات الوهمية ذات المصادر الأسطورية » أو يفسرونها على أنها ظاهرة طبيعية . فهناك نظرية تقول إنه في ذلك الوقت بعينه تراجعت المياه إلى الوراء في النقطة التي كان يقف فيها موسى مما ساعد على ظهور أماكن ضحلة المياه أو جافة ، ولذلك استطاع الإسرائيليون أن يعبروا بسهولة قبل أن تعود المياه ثانية . ولكن لم يكن هناك مد وجذر في البحر الأحمر ، له فترات منتظمة . وهناك تقليد مصري يقول إن موسى انتظر انحسار المد لكي يقود الإسرائيليين لعبور البحر .

إن التصورات الوهمية فيما يتعلق بالتدخل الإلهي في هذه الحادثة لا يفيد. فكل شئ قد ارتبط بها كان معجزياً . تقول الـ International Standard Bible Encyclopedia دائرة معارف الكتاب المقدس الدولية في هذا الصدد :

« لقد كان عملاً خارقاً للعادة من دلائل النبوة أن يتجرأ موسى فيقود جيشه لكي يستفيدوا من هذه الفرصة المؤقتة في الوقت الصحيح . إن شق البحر الأحمر ربما كان حادثة معينة من قبل في مسار الطبيعة لا يمكن أن يعرف توقيته سوى الله ، وفي هذه الحالة فالتدخل الإلهي المباشر كان قاصراً على تلك المؤثرات على البشر والتي دفعتهم أن يضعوا أنفسهم في المكان الذي يستطيعون فيه أن يستفيدوا من الفرصة الطبيعية المتاحة .. إن اضطراب المياه كان أكبر من أن تستطيع أي قوة بشرية إحداثه » .

دعنا نفحص العناصر المختلفة التي تضافرت لإظهار قوة الله الخارقة للعادة . يذكرنا « ترنش » : « أنه في كلمات معبرة يصف كاتب سفر حكمة سليمان (١٩: ٦) كيف أنه عند عبور البحر الأحمر ، أن كل قوى الطبيعة قد تم تطويعها وإعدادها من جديد حتى تخدم الأغراض الإلهية المختصة بإنقاذ شعبه وعقاب أعدائه . وبسبب هذه النتيجة المزدوجة للمعجزة ، فهي تدعي بحق عظيمة ». لقد أهلك فرعون الأطفال الذكور للإسرائيليين في نهر النيل ، والآن فالله على وشك أن يستخدم موسى الذي نجا من النيل ، لكي ينزل العقاب بفرعون وجنوده في البحر الأحمر على هذا الذنب .

أولاً : لدينا «ملاك الله» الذي كان يسير أمام عسكر إسرائيل (١٤: ١٩و ٢٠) من كان وما الدور الذي لعبه ؟ ، إن يهوه في (١٣: ٢١) أصبح هنا «ملاك الله» ، كما أصبح «ملاك الرب» في العليقة المشتعلة (٣: ٢)، الله (٣: ٤)، والرب (٣: ٧). فإذا كان هذا أحد الظهورات الإلهية لربنا ، فيمكن أن نميزه من السحابة التي كان يقود ويوجه تحركاتها بتوقيت معين ، وهو الذي أخّر وأربك المصريين بجعلهم يدخلون في « السحاب والظلام » ، وساعد الإسرائيليين في السحاب ليرافق تقدمهم .

وقد لعبت الريح دوراً هاماً في إجراء هذه المعجزة

الباهرة . فالله الماشى على اجنحة الريح (مز ١٠٤:٣) عرف كيف يجعل ريحه أن تهب وتدفع المياه للخلف لتكون طريقاً لشعبه ليعبروا فوقه . فقد أجرى الرب ريحاً شرقية قوية ، وكانت الريح من الجانب المقابل تدفع المياه فى الاتجاه المضاد (١٤: ٢١و ٢٦) . ويقول موسى منشداً فى أغنيته ليصف المعجزة ويتحدث عن الريح بأنها «بريح أنفك تراكمت المياه (١٥:٨) . لقد ذكر الريح ثلاث مرات كوسيلة استخدمها الله لشق المياه .« فريح الله الشرقية القوية » شقت فى البحر طريقاً لجميع الإسرائيليين ، ولكنها استعادت وضعها الطبيعى وابتلعت المصريين ، وهكذا فإنها أوجدت طريقاً لبنى إسرائيل ولكنها صارت قبراً للمصريين . فالبحر لكونه ملكه لأنه هو الذى صنعه ، فإنه تحت سيطرة خالقه .

والمياه كسور على جانبى الإسرائيليين (١٤ :٢٢ ، ١٥: ٨) فإنه يقدم صورة معبرة. فكر فى البحر الذى تصل أعماقه إلى ٦٠٠٠ قدم ، وإلى أميال فى العرض عند أضيق منطقة فيه ينفلق إلى نصفين ، تاركاً مجراه جافاً وصلباً مكوناً أسواراً عمودية ذات ارتفاع شاهق .. ياله من عمل قوى من أعمال الله كلى القوة ! إن قدرة الله على أن يجعل الأشياء تقف منتصبة أو تسقط ، خلافاً للطبيعة تتمثل فى مياه البحر الأحمر التى وقفت متجمعة ثم فى المياه التى سقطت لتصبح فى سطح مستو . إن كلا هذين العملين من السهل أن يجريهما كلى القوة (١٥:٨ ، يش ٣ : ١٦ ، ٦ : ٢٠) . إننا نعرف الاستخدام البلاغى لكلمة « سور » فى الكتاب المقدس (أم ١٨:١١، إش ٢٦:١، نا ٣:٨) ولكن فى المعجزة التى أمامنا ، فالماء على جانبى المجرى المائى كانت كسور للحماية . ليس هناك أمام فرعون فرصة يخدع بها الإسرائيليين بحركة مخادعة. يستخدم كاليسك Kalisck هذه العبارة الشعرية التى يقول فيها : « لقد تخلى الماء عن طبيعته ، وكوّن بأمواجه جداراً قوياً ، وبدلاً من أن يجرى كسائل ، تحوّل إلى مادة صلبة». والريح الشرقية وهى تفرغ المجرى المائى من الماء ، وتهب فى الوقت المناسب بالضبط الذى يصل فيه موسى لمكان العبور ، يدل على عمل قوة خارقة . وبنفس الطريقة ، فتوقيت عودة المياه المتجمعة الذى ينقذ الإسرائيليين ويهلك المصريين لابد أنه عمل من أعمال الله .

عمل آخر من أعمال الله والذى يظهر قوته على كل الجماد ليثبت أن هذه القوى تتخلل كل جزئيات المادة ، نراه فى بكرات عجلات المصريين الحربية التى خلعت (١٤: ٢٥). فالعجلات لم تقع فى ورطة فقط لكونها تغوص فى الأرض الرخوة ، ولكن بكراتها خلعت من محاورها أيضاً . وبعد أن اقتنع المصريون أن الله يقاتل عن الإسرائيليين ، داروا ثم هربوا (١٤:٢٥) . وفى وسط الارتباك والفوضى الذى صحب العجلات التى تعطلت مسيرتها والخيول المذعورة ، حدثت الكارثة الأخيرة . فبناء على أمر إلهى ، مد موسى عصاه على البحر فرجع البحر إلى حالته الدائمة فغرق المصريون (١٤:٢٦ و ٢٨) . وهكذا ، فإن قوى الطبيعة ، التى يتحكم الله فيها ، قد أهلكت جيشاً قوياً . ولأن فرعون كان مع جيشه فمن الواضح أنه هلك معه . لقد كان الملوك المصريون فى عصر الرمامسة يقودون جيوشهم بأنفسهم فى المعارك ، وعندما كانوا يفعلون ذلك ، كانوا يركبون العجلات الحربية ، ومعهم شخص واحد فقط كانت مهمته قيادة العربة التى يجرها حصانان ، والتصرف الدقيق على الفرعون الذى هلك موضوع آخر . يعتقد أن الخروج من مصر حدث خلال حكم تحتمس الثالث الذى كان رابع ملك فى الأسرة الثامنة عشرة والذى لم يدون أنه دفن مع أسلافه . لقد وجدت المقابر فى مصر لكل فرعون من أسرته ، ولكن لم توجد أى مقبرة للفرعون الذى تحدى موسى . ألا تدل هذه الحقيقة وحدها أن قبره كان فى البحر الأحمر حيث غرق مع جيشه ؟ ، فلو أن هذا الحادث المأساوى قد سجل لكان يعتبر وصمة عار على تاريخه الحافل .

والاعتراض المثار عن كيفية عبور ٢ مليون شخص للبحر الأحمر فى ليلة واحدة يمكن الإجابة عليه بسرعة ، لقد كانوا بين يدى الله القوية ، وهو الذى دافع عنهم ، واستطاع أن يمد شعبه بكل السرعة الضرورية وخفة الحركة حتى يستطيعوا الهروب على مدى شهرين فقط ، ونرى ذلك الهروب جلياً فى :

- الهروب إلى البحر الأحمر (١٢:٣٧ - ١٤ : ٤) .
- فى البحر الأحمر (١٤:١٥ - ١٥:٢١).
- من البحر الأحمر (١٥:٢٢ - ١٩ : ٢) .

إن الخروج من مصر من بين الأحداث المعجزية التى سوف تتكرر فى الأيام الأخيرة (قارن ١٤: ١٥ مع إش ١١ : ١٥ و ١٦، زك ١٠: ١٠ و ١١) .

ونحن لا نستطيع أن نختم دراستنا لهذا الإنقاذ العظيم لشعب إسرائيل دون الإشارة لأنشودة الابتهاج التى أوحت بها هذه المعجزة . فمع أن موسى بتواضعه المعهود لا يقول إنه كتب هذه الترنيمة الرائعة المعروفة باسم «أغنية موسى» فلا شك أنها من تأليفه .قال عنها سيمون Simeon «إنها أقدم إنشاء من نوعه فى العالم كله لا يزال باق إلى اليوم» ، وإذ يلخص موسى كل المعجزات الإلهية التى شهدها يبين موسى أن «الرب مجيد فوق كل الآلهة الأخرى »(٧ : ٥ ، ١٤ : ٤و١٨). إن آلهة مصر كلا شئ ولكن الله لا يشبهه أحد فى :

(١) القداسة : « معتزاً فى القداسة » (١٥:١١) . فالآلهة الوثنية لا يوجد فيها شئ من القداسة ، فعبادتها مرتبطة بأنواع كثيرة من الشرور .

(٢) الرهبة : «مخوفاً بالتسابيح » فكالإله القدير ، فالله هو موضوع الرهبة التى لا تدانيها رهبة للذين يقتربون منه بالحمد والشكر . إن كل رهبة أو احترام قدم للآلهة الوثنية كان بدون وجه حق .

(٣) العجائب « صانعاً عجائب » فباستخدام الله للطبيعة والسيطرة عليها جعل الله كل الناس تتعجب من مقدرته . إن مقدرة آلهة مصر على عمل العجائب تساوى صفراً . « لا مثل لك بين الآلهة يارب ولا مثل أعمالك » (مز ٨٦ : ٨) .

يقول هالى Halley تعليقاً على ذلك : « إن إنقاذ الله لشعب بنى إسرائيل من مصر ، بحسب الفكر الإلهى ، كان شبيهاً بإنقاذه للكنيسة من العالم فى وقت النهاية حتى إنه يدعو ترنيمة الانتصار للمفديين « ترنيمة موسى والحمل » (رؤ ١٥:٣) . إن موسى فى معمودية البحر الأحمر قد أطاح بقوى ورياسات مصر ، والمسيح فى معمودية الجلجثة ، قد حقق للجنس البشرى المكبل بالخطية نجاة كاملة ، وعن طريق دم المخلِّص ذى اللون الأحمر قد افتتح طريقاً جديداً حياً لأجلنا . إن البحر الأحمر يرمز للمفديين المعمدين فى المسيح ، الذى صار قائداً لشعبه . إن البحر الأحمر بالنسبة للمؤمن هو ما جاء فى رومية ٤: ٢٤و ٢٥، واحتفاله بالنجاة هو ما جاء فى رومية ٥ : ١ - ١١، ١كورنثوس ١٠ : ١و ٢ . فمهما كانت العقبات التى تعترض طريقنا ، فلنطع الأمر بالتقدم للأمام .

٢٩ - رحلة المعجزات

(تث ٨ : ٤ ، ٢٩ : ٥ ، نح ٩ : ٢١ ، اقرأ سفر العدد)

إن ارتحال إسرائيل فى البرية من البحر الأحمر إلى الأردن تبرز سلسلة من المعجزات . فمنذ البداية وحتى نهاية رحلة دامت أربعين عاماً ، شهد بنو إسرائيل فيضاً من عناية الله بهم وحفظه إياهم.وفى وصيته المتجددة وعد الله أنه سيصنع معجزات لشعبه لم تشهدها الأرض (خر ٣٤:١٠) « كأيام خروجك من أرض مصر أريه عجائب » (ميخا ٧ : ١٥) .

أول كل شئ كانت هناك معجزة انتقال وتسكين أمة بأسرها من أرض لأخرى ، وحفظه إياها مدة أربعين سنة فى الصحراء . كم بالفعل حمل الله الشعب على أجنحة النسور

من مصر إلى الله فى البرية (خر ٤:١٩) ، وخلال مدة الثماني والثلاثين سنة الأولى ، مات الجيل الأول وخلفه جيل جديد من محاربي الصحراء الأشداء (تث٢ :١٤) . فالذين قادهم يشوع عبر الأردن كانوا شجعاناً لا يهابون شيئاً متشبثين بالحياة ، وكانوا مختلفين تماماً عن الجمهور المتنافر الذى ترك مصر .

إن سفر العدد والذى سمى كذلك لأنه يحتوى على سجل بأعداد شعب إسرائيل (الذى حدث أول تعداد لهم عند ابتداء السنة الثانية بعد رحيلهم من مصر ، والتعداد الثانى فى سهول موآب فى ختام رحلتهم فى البرية) . وهذا السفر زاخر بالأدلة على معونة الله الخارقة للعادة لصالح شعبه . لقد انفصل اللاويون عن مجموع الشعب وعدوا أنفسهم . وإجمالى عدد الذين يصلحون للحرب من سن العشرين ، كانوا ٦٠٣٫٥٥٠ شخصاً (٤٦:١) ، وهذا يعطى مؤشراً على زيادة فى العدد عن الذين تركوا مصر تقدر بـ ٣٫٥٥٠ شخصاً (خر ٣٧:١٢) ، وفى سهول موآب فى نهاية الرحلة ، لم يشمل الإحصاء الثانى أى واحد من الذين شملهم الإحصاء الأصلى سوى كالب ويشوع ، وهلك الباقون فى البرية كما قال الله بسبب تذمرهم وعصيانهم .

وسفر العدد زاخر بعقاب الله ضد الخطية ، ليس فقط نحو الوثنيين بل أيضاً نحو شعبه المختار(١١: ١ و ٣٥). فالأرض أصبحت جلاداً لهم وأصبحت قبرهم أيضاً . ومع ذلك فالسفر يستعرض كذلك أمانة الله فى إتمام وعده لإبراهيم بأن نسله سيكون مثل نجوم السماء . وفى نهاية رحلة البرية كان عدد الناس لا يقل عن عددهم عندما خرجوا للبرية ، فكان عدد الرجال ٦٠١٫٧٣٠ فرداً .

ثم كانت هناك معجزة تدبير الطعام لـ ٢ مليون فرد . إن إمداد هذا العدد الكبير بالطعام والشراب والكساء كان معجزياً كما تثبت الدراسة الآتية لمعجزات البرية بوضوح .

إن عدداً كبيراً من هذه المعجزات لو رتبناها حسب خلفية كل منها تمثل عناية الله الكاملة بشعبه وإمداده بكل ما يلزمهم من هداية ومأوى وطعام وماء الخ (خر ١٤-١٧) . فإعالة مثل هذه الأمة الكبيرة فى البرية كان يتطلب مدداً معجزياً مستمراً ، ولولا أن الأرض كانت أرض الله ، لما وجدنا تفسيراً لتلك الإعالة الدائمة للشعب خلال هذه المدة الطويلة .

وتنظيم مثل هذا المعسكر الكبير كان معجزياً ، وكان يتم وفقاً للتعليمات الإلهية ، بانضباط عسكرى . وكان ترتيب الأسباط الاثنى عشر كالتالى :

- فى الشرق : يهوذا ويساكر وزبولون .
- فى الجنوب : رأوبين وشمعون وجاد .
- فى الغرب : أفرايم ومنسى وبنيامين .
- فى الشمال: دان وأشير ونفتالى .

ومع أن البرية كانت فترة ارتداد (خر ٢٠ : ١٦، عا ٥ : ٢٥ ، هو ٩:١٠) ، إلا أن الله لم يبخل عليهم بشئ ، وكون ثيابهم لم تبل عليهم كان يعنى أن الله كان يسد أعوازهم بطريقة معجزية ولكن بوسائل عادية مألوفة (تث ٨ : ٤ ، ٢٩: ٥ ، نح ٩ : ٢١). يقول اليكوت إن قدامى الكتَّاب اليهود يؤكدون أن الملابس كانت تتسع عندما يكبرون من الطفوله إلى الرجولة . ويعلن اليكوت على ذلك بالقول : « نحن لا نستطيع أن نقول إن المقصود من ذلك أن هناك شيئاً خارقاً للعادة ، مع أنه ليس بالشئ المستحيل ». « إن المعنى المقصود من ذلك أن الله فى عنايته قد وجه شعبه أن يكسوا أنفسهم بطريقة تلائم رحلتهم وطريقتهم فى الحياة ، تماماً كما علمهم كيف يصنعون خيمة الاجتماع ويكسونها بألياف وأغطية من جلد ». لم يكن يعوزهم ملابس جديدة غير بالية أو أحذية لتمنع أرجلهم من التورم . كانت صحتهم جيدة طوال الرحلة . وبالرغم من السفر الطويل إلا أن الشعب كانوا

يمشون ولا يعيون (إش ٤٠:٣١) .

يا له من وصف رائع للعطف والعناية الإلهيـة ، يقوم المؤرخ المقدس بتقديمه ! لم يعوز أي واحد من هذا العدد الهائل أي شئ . لقد كانت البرية جزءاً من النظام الإلهي ولكن التيهان فيها لم يكن كذلك .فلو وثق الناس في الله، فقد كانت تكفي بضعة أيام لإكمال الرحلة من البحر الأحمر إلى كنعان ولكنها استغرقت ما يزيد على ثمان وثلاثين سنة (تث ١ : ٢) ، ومع ذلك فعلى مر هذه السنوات الضائعة فقد ظهر الصبر الإلهي الذي لا ينفد على هذا الجمهور المتذمر .

إن عدداً قليلاً من الأحداث الجسام في البرية نماذج أو أرقام كتبت لتحذيرنا . ويذكر بولس بعضاً منها معاً في ترتيب ذي مغزى لتحذير أعضاء كنيسة كورنثوس المتهاونين ، ضد الاتكال على الطقوس والفرائض بدلاً من الوثوق في المسيح (١كو ١١ - ١٢) . أما عن غرض معجزات البرية يقول هالي إنه ذو طبيعة ثلاثية :

(١) لحفظ الأمة . ففي الخطة الإلهية تم وضع تصميم الأمة المسيانية لتمهيد الطريق لمجئ المسيا ، ويبدو أن الله قصد أن يحفظ الأمة ويبقي عليها بكل الوسائل الممكنة .

(٢) لكي يبني في الأمة التي تربت في أحضان الوثنية المصرية الثقة في يهوه كالإله الوحيد الحقيقي .

(٣) للتأثير على الأمم المجاورة وبنوع خاص الكنعانيين . فقد كان معروفاً بالتأكيد أن هذا الجمهور الكبير من الناس كان متجهاً نحو كنعان معتقداً أن الله قد أعطاها لهم ، ودامت المعجزات مما أضعف معنويات الأمم التي كان عليها أن تخرج من الأرض .

٣٠ - معجزة تحويل مياه مارة المرة إلى مياه حلوة

(خر ١٥:٢٢-٢٧، عد ٣٣ : ٨)

بعد مسيرة ثلاثة أيام من البحر الأحمر في الجانب الغربي ، وصلت إسرائيل للمكان الذي أقامت فيه أول معسكر ومرت به بأول تجربة . ففي بداية سياحتهم ، كان على الشعب أن يختبر مشقة البرية مع نقص المياه والطعام مما كان يحتم إجراء المعجزات لصالحهم . يقول سكوفيلد Scofield «إن هذه المياه المرة كانت أمراً لابد منه لتظهر قيادة الله لهم ، وهي تمثل التجارب التي يضعها الله أمام شعبه ، بهدف التعليم وليس العقاب ».

إن مارة تعني « المرارة » مما يدل على الطعم المر للمياه في تلك المناطق . والمرارة القصوى لهذه الينابيع يشهد بها المسافرون . والكلمة تظهر في كلمة (مارة) الاسم الذي طلبت نعمي أن تسمى به (را ١ : ٢٠) . وفي ضوء تجاربها المرة ومحنتها الحالية التي تدعو للرثاء فالاسم القديم (نعمي) يعني مُسر وجذاب قد أصبح اسماً غير ملائم . وهي لا تستطيع أن تتحمل التناقض بين اسمها ووضعها الحالي. وبعد أن عاني الشعب من نقص المياه (١٥ : ٢٢) ، جاءوا إلى موسى وتذمروا ، وقد صلى موسى بسبب نقص مياه الشرب وأظهر الرب له شجرة تحدث أثراً يجعل المياه حلوة . « يبدو أن الله يستخدم الطبيعة بكامل طاقتها ، ثم يستخدم قوته غير المحدودة لكي يحدث الأثر المطلوب ». من الواضح أن هذا الينبوع الذي كان مراً في وقت من الأوقات قد استعاد حلاوته لأنه كما يقول فاوست : «إن التأثير الطيب للشجرة التي ألقيت في الماء المر بتوجيه من الله هي على الأرجح السبب الذي جعل هذا الينبوع أقل مرارة من ينابيع أخرى في المنطقة» ، وفي الاستراحة التالية - إيليم - وجد الشعب ظلاً وفيراً وإنعاشاً (١٥:٢٧).

تذكرنا (أدار هابرش) أنه في مناسبتين حدث تغيير كيماني شامل للماء الذي كان مراً - في مارة ثم في أريحا عندما تم إبراء الماء من لعنة جديدة باستخدام الملح (٢ مل ٢ : ٢١) ، ومع أنه تم استخدام شجرة وملح ، فالله وحده كان قادراً على هذا الإبراء للماء . لقد أظهر الله نفسه

كيهوه « روفى » « أنا الرب شافيك » (١٥: ٢٥و٢٦).

إن معجزة مارة تقدم نموذجاً مناسباً لكل ما يستطيع أن يحققه المسيح . وهذه المياه المارة قد أبرأها ذاك الذى تحمل لعنة الخطيـة . المسيح هو الغصن الذى يستطيع أن يجعل مياه الأرض عذبة . وصليبه هو الشجرة التى عندما ألقيت فى المياه الأكثر مرارة قد جعلتها حلوة وأبرأتها (غل ٣ : ١٣) . « إن الصليب قد أصبح حلواً للمسيح كتعبير عن إرادة الآب» (يو ١٨: ١١). فنحن نتخلص من « مارة » فى حياتنا عندما نلقى « بالشجرة » فى «المياه»(رو٥:٣ و ٤ ، فى ٣ : ٨ ، أع ٢٠ : ٢٤) .

٣١ - معجزة المن

(خر ١٦ : ١ - ٥ و ١٤ ، عد ١١: ١ - ٩،

نح ٩: ١٥و٢٠، يش ٥ : ١٢، مز ٧٨ : ٢٠ و٢٢ -

٢٥ ، ١٠٥ : ٤٠ . انظر يو ٦ : ٢٢ - ٥٩)

إن تذمر الإسرائيليين المستمر بعد كل المعجزات التى تعلن قوة الله وتدخله إلى جانبهم ، دليل واضح على عدم إيمانهم وعدم امتنانهم . ففى مصر ، مع أنهم كانوا يعملون كعبيد ، إلا أنهم اعتبروا أنفسهم أنهم كانوا يجدون طعاماً جيداً طبقاً للتقاليد المصرية (عد ١١ :٥) . والآن ، ففى البرية ، مع أنه لم يكن هناك خطر حقيقى من المجاعة إلا أنهم تذمروا على الطعام واشتاقوا لطعام مصر. وقال الرب إنه سوف يمطر عليهم خبزاً من السماء وبذلك يمتحن الشعب ليعرف إن كانوا يسلكون فى ناموسه أم لا (١٦ : ٤).

هذا هو ثالث تذمر لإسرائيل . التذمر الأول كان عند فم الحيروث عند ظهور جيش فرعون (١٤ : ١١ و ١٢) ، والثانى عند مارة بسبب طعم المياه الحمضى(١٥ : ٢٤) ، وهذا التـذمر الثـالث كـان فى برية الخطيـة بسبب نقص الطعام .

والمن النازل من السمـاء ، كـان يبـدو فى شكل رقـائق بيضاء اللون أو الحبوب الصغيرة المستديرة أو البذور، وكان يشبه « الجليد »، وكان يسقط مع الندى (عد ١١ :٩) وكان يرى عند اختفاء الندى (خر ١٦: ١٤) ، وكان له طعم رقاق بعسل (١٦: ٣١) . ويتحدث يوسيفوس عنه باعتباره « أحد التوابل الحلوة ». إن مثل هذا الطعام السماوى (مز ١٠٥ : ٤٠) موصوف بلغة شعرية بأنه طعام الملائكة - خبز القدير - من السماء ، لأن مصدره من الله (مز ٧٨ ، ٢٤ ، ٢٥) .

هذا الزاد السماوى للاحتياجات اليومية دام مدة أربعين سنة وتوقف عندما أكل الناس غلة كنعان - الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً (يش ٥:١٠-١٢) . ما أن بطل الاحتياج إليه حتى توقف عن أن ينزل .

إن الله ما أبداً يضيع جهوده عبثاً ، وبنفس الطريقة فالمسيح هو المن السماوى الذى يقتات به شعبه ، حتى يصلوا للراحة التى وعدهم بها (مت ٢٨:١٩).

والمن كان أيضاً أول طعام يعطى بمقدار معين ، وكان على الشعب أن يجمع هذا القدر اليومى كل صباح . ولو تبقى منه شئ لليوم التالى ، كان يتولد فيه الدود وتنتن رائحته ، وفى اليوم السادس كان يجمع ضعف الكمية ، وكان طعام اليوم السابع يحفظ بطريقة معجزية دون أن يصيبه التلف . ومادة هذا الطعام عندما تطحن تصلح لأن تخبز أو تطبخ (١٦: ٢٣،عد ١١ : ٨) . فى أدب معلمى اليهود يقال : إن المن كان يمكن أن يتحول إلى الطعم الذى يتمناه كل واحد.

ومع أن المن كان يشكل طعاماً هاماً إلا أنه لم يكن الطعام الوحيد ، فكثير من الشواهد تثبت أن الشعب كان يتناول أطعمة أخرى بخلاف المن . فقد كانت هناك الماشية التى كانت تصلح للاستهلاك ، كما كانت تصلح لتقديم الذبائح (١٧: ٣، ٢٤: ٥) ، والدقيق (عد ٧: ١٣و ١٩)، والطعام عامة (تث٢: ٦،يش ١: ١١).والإسرائيليون لم

يقولوا إن المن كان طعاماً أساسياً بالنسبة لهم لأنهم ملّوا من أجله وابتدأوا يكرهونه .

أما فيما يختص بمعنى كلمة (مَنّ) ، يقترح بعض الكتاب أن الكلمة مأخوذة من الكلمة المصرية (منو) بمعنى « طعام » ، والكلمة الإنجليزية التى تستخدمها لذلك هى كلمة Menu أى قائمة الطعام . وتفسير مصدر هذا الاسم موجود فى السؤال : « من هو » (١٦:١٥) أو ما هو والتى تعنى أيضاً « إنه المن » ،فلأن الشعب لم يكن قد رأى هذه المادة العجيبة من قبل ، سألوا « ما هو ؟ » أو « من هو ؟ » ، ويقول علماء آخرون إن الكلمة تعنى « إنها مِنّة والتى هى بالطبع من الله » . ومع أن جهوداً بذلت لتشبيهه بالطعام العربى المسمى « الاشنة » أو اللادن الذى يشبه العسل أو الكزبرة إلا أنه لا توجد مادة فى أى مكان فى العالم تتفق مع مواصفاته المذكورة فى الشواهد الكتابية - والتى تشير كلها لأنه نازل من فوق بصورة معجزية . إنه ليس إنتاجاً طبيعياً يزداد ليطعم ما يقرب من ٢ مليون نسمة . والاستنتاج الذى لا مهرب منه أن المن كان طعاماً غير معروف قدم بطريقة خارقة . فكل الإشارات إليه تشير لشئ خارق للطبيعة (نح ٩ : ٣٠ ، مز ٧٨ : ٢٤ ، ١٠٥ : ٤٠). لا يستطيع أحد أن يفسر كيف نزل المن من السماء كما لا يقدر أحد أن يفسر كيف جاء رب المجد من السماء .

لقد وضُع وعاء ذهبى به ملء العُمر من المن أمام الله فى خيمة الاجتماع (١٦:٣٣ ، عب ٩ : ٤) . وأشار المسيح إلى المن مراراً وتكراراً أن المن النازل من السماء كإشارة لنفسه (يو ٦ : ٣١ - ٦٣) .

ويتحدث عنه بولس كالطعام الروحى للمؤمن (١ كو ١٠:٣) . ويستخدم يوحنا المن كإشارة للمكافأة الروحية التى سوف يحصل عليها المؤمن الغالب (رؤ ٢:١٧) . كتب الأسقف جويل Jewell مرة يقول : « إن الكتب المقدسة هى المن المعطى لنا من السماء لإطعامنا فى برية هذا العالم ، فالإيمان بالمسيح يجعلنا ننشد له كمنّنا النازل من فوق » :

أيها الخبز المكسور والمسحوق لأجلنا

إن حياتى كلها بحاجة لمدد من لدنك

وكما تجد النفوس الحية طعامها

أطعمنى وإلا فإننى سوف أذوق الموت

٣٢ - معجزة السمان

(خر ١٦ : ٨ ، ١١:١٣ ، عد ١١: ٣١ - ٣٤ ،

مز ٧٨ : ٢٦ - ٣٠ ، ١٠٥ : ٣٩ - ٤٢)

استجابة لتذمر الشعب ، قال الله إنه سوف يعطيهم ليس الخبز فقط ليجمعوه فى ضوء الصباح بل اللحم أيضاً ليأكلوه فى المساء- فى إشارة لصعود السلوى التى كانت تأتى فى «المساء» وتغطى المحلة (١٦ : ١٢ و ١٣) . لقد استعلن مجد الله فى عطية الطعام الذى كان هبة مؤقتة، وليس كما فى حالة المن الذي استمر طيلة رحلتهم فى البرية . والسلوى لم تستمر فى النزول كالمن ولكنها كانت تقدم لهم مرتين فى السنة بطريقة معجزية(١٦:١٣، عد ١١ : ٣١ و٣٢) .

والسلوى المألوفة وهى قريبة الشبه من طائر الحجل الذى هو أكبر إلى حد ما ، لايزال متوفراً فى الشرق . وعند الهجرة بعد الطيران لمدة طويلة فوق البحر الأحمر ، حين تشعر الأسراب بالإنهاك تهبط إلى الأرض بمجرد أن تصل للساحل ، وعندئذ يسهل الإمساك بها وذبحها . وبعد أن تصبح سمينة بعد قضاء الشتاء فى الجنوب ، تصبح وجبة جيدة ، ويقال إن لحمها كثير العصارة ، ولذيذ الطعم . ولكن إذا أكل مرات كثيرة فإنه يضر بالصحة . والسلوى تشبه لون الأرض المشوب بالسمرة وبه خطوط سوداء . وبعد أن استخدم الإسرائيليون العصى لقتل آلاف السلوى التى

حطت على الأرض ، كانوا يتركون أجسادها الصغيرة على الأرض لتجف .

بينما صحيح أنه فى العديد من معجزات العهد القديم نجد الله مثلاً بأنه قد استخدم الظواهر الطبيعية والمواد لأغراض خاصة (لا يخلق مواداً خاصة بل يستخدم مواداً موجودة بالفعل) ، إلا أن معجزة السلوى تكمن فى وجود أعداد كبيرة منها فى الوقت المطلوب . والكتاب المقدس يقول إن الرب أجرى ريحاً (ريحاً شرقية) وجلب السلوى من البحر وجعلها تنزل بجوار المحلة (عد ١١ : ٣١ ، مز ٧٨ : ٢٦و٢٧) . فالله هو الذى جعل السلوى تطير على ارتفاع منخفض حتى أصبح من السهل الإمساك بهـا . (عد ١١ : ٣١ و٣٢) لقد جاءت بناء على أمره وهبطت فى المكان الذى حدده . ومهما كان الطائر عديم الأهمية فلن يسقط طائر بدون إذن الله (مت ١٠ : ٢٩ ، لو ١٢ : ٦ و ٧) .

وقبل أن ينتهى الشعب من أكل السلوى ، لحق بهم غضب الله لأجل شراهتهم . فعندما التهموا السلوى بشراهة ، تحولت السلوى إلى سم مميت . ويعلق فاوست قائلاً : « إن كل لحم الطيور باستمرار ، بعد الامتناع الطويل عن أكل اللحم ، وتناوله طيله شهر بشراهة ، فى مناخ حار جعلهم معرضين للمرض ، والله قد شدد من وطأة المرض فجعله وبأ وأصبح المكان « قبروت هتأوه » قبور الشهوة ، إن هذا الجمهور الخليط ، والذى نشأ أغلبه من أطفال من أمهات عبرانيات وآباء مصريين ، كان مسئولاً عن اشتهاء قدور لحم المصريين (عد ١١ : ٤) ، هناك درس خطير نتعلمه من هذه الحادثة وهو أن الله أعطى الناس سؤلهم وأتاهم بشهوتهم وأرسل هزالاً فى نفوسهم (مز ٧٨ : ٢٩ ، ١٠٦ : ١- ١٥) . يقول هابرش :« إن الله يسمع ويجعل قوته تصنع عجائب فى وسطهم .. أى يجعل الطيور تفعل ما أرادها أن تفعل ، ولكن ثبت أن ذلك لم يكن بركة ، لأنه جلب العقاب والموت عليهم .

هناك من يعلّم أنه إذا كان لنا إيمان كاف يمكننا أن نحصل على كل ما نطلبه ، ولكن أليس هذا تحذيراً لنا حتى نكتشف أولاً إن كانت رغبتنا تتفق مع إرادة الله أم لا ؟.

٣٢ - معجزتا ضرب الصخرة

(خر ١٧ : ١ - ٩، عد ٣٣ : ١٢ و ١٣ ، نح ٩: ٢٠، مز ٧٨ : ١٦و ١٧ ، ١٠٥ : ٤١)

بعد رحلة تصل لحوالى خمسين ميلاً من برية سين ، جاء بنو إسرائيل إلى رفيديم ، وهى كلمة تعنى « أماكن الراحة » ، وهو وصف مناسب لهذه البقعة الخصبة . ولكن فى بعض الأحيان يجف النهر ، وفى الوقت الذى وصل فيه الإسرائيليون هناك كان يوجد بالنهر كمية قليلة من الماء . وأى قدر من الماء كان قد جلبه الشعب معه من الاثنتى عشر بئراً فى إيليم لابد أنه كان قد نفد ، وكانت هناك حاجة ماسة لإعادة ملء قِرب الماء التى كانت معهم . وبعد مسيرة طويلة وشعور بالتعب والإعياء والمعاناة من العطش ، شعر الشعب بخيبة أمل ألا يجدوا ماء لأنفسهم ولأطفالهم ومواشيهم (١٧: ٣) ، ومما أحزنهم أن مجارى المياه كانت جافة ، وكان لابد من معجزة لأجل الحصول على الماء .

فى مارة تذمر الشعب بسبب مرارة الماء هناك ، والآن فهم يتذمرون بسبب عدم وجود الماء ، وفى هذه الظروف لا نندهش لأجل توبيخهم لموسى .يقول فاوست فى هذا الصدد : « لا شئ سوى الإيمان القوى أو التسليم الكامل لإرادة الله كان يمكن أن يجعل الشعب صبوراً وخاضعاً فى مثل هذا الظرف القاسى» . يا للحسرة ، لقد نسى بنو إسرائيل العجائب التى أجراها الله معهم فى الماضى ، ولذلك نادى الشعب موسى ليس بروح الإيمان بل بروح الغضب قائلين : « اعطونا ماء لنشرب »، لقد كان المستقبل بالنسبة لهم مخيفاً ، هل أخرجوا من مصر ليهلكوا من العطش الأليم فى البرية ؟

ولما كان بنو إسرائيل في حالة يأس تام ، فقد كانوا على استعداد ليرجموا قائدهم موسى حتى الموت . ولكنه اتجه إلى الله وتلقى التأكيد بالعون الإلهي.وقيل لموسى أن يأخذ الشيوخ وعصاه ويضرب الصخرة في حوريب . ووجود الشيوخ كشهود يدل على أن « لكل معجزة قيمة تعليمية (تث ٨ : ١ - ٣) وأنها مخصصة للتدريب ولتقوية إيمان الشعب ».إن هذه الصخرة المشار إليها لا يمكن أن تكون هي الصخرة التقليدية « صخرة موسى » في سهل ليجا لأن هذه الصخرة على بعد مسيرة يوم سفر من رفيديم حيث أجريت المعجزة .

وقد دعا موسى ذلك المكان « مسة » أي « تجربة » إشارة للسؤال : « لماذا تجربون الرب ؟ » (١٧:٢) ، ونفس أصل الكلمة موجود في كلمة «تجربة»(أي٩ : ٢٣) وفي (تث ٤ : ٣٤ ، ٧ : ١٩ ، مز ٩٥ : ٨) .

والاسم الثاني الذي أطلقه موسى على رفيديم هو « مريبة » بمعنى «توبيخ» «صراع» أو «شجار»، ويشير لتوبيخ الشعب لموسى (١٧ : ٢) ،ذلك الشعب الذي كان مذنباً بالشك في الله ومجادلته مع موسى .

لم يكن هناك شيئاً معجزياً في ضرب الصخرة ، ولكن الله قد جاء بالماء . وموسى كنائب عن الله أخذ عصاه وضرب الصخرة ، ولكن لا دخل له بتدفق الماء . لقد جاء الماء من لدن ذاك الذي كال بكفه المياه (إش ٤٠ : ١٢). ومع أنه صحيح أن المسيح كان « مضروباً من الله »(إش ٥٣ : ٤) ومع ذلك فقساة الناس هم الذين قتلوا « رئيس الحياة » (أع ٣ : ١٥ ، ٢ : ٢٣) . ومع ذلك ، فليس للبشر أي علاقة بالنتائج المدهشة لموته . فالروح القدس ، كأنهار الماء (يو ٧ : ٣٧ - ٣٩) قد تدفق من الرب المقام الذي ضُرب كالصخرة (أع ٢ : ٢٣) .

وبولس يشبِّه الصخرة المضروبة بالمسيح كمصدر للماء الحي ، وفي هذا التشبيه يوحي بأزلية المسيح وبعنايته بالأمة التي ترعرع فيها .والصخرة لازم الشعب الإسرائيلي في رحلاتهم أو بالأحرى هو(المسيح) الذي ترمزإليه الصخرة قد صحب الشعب وسدد كل أعوازه (١ كو١٠:٤-٦). والتعليق الذي يقوله دكتور.أ سكوفيلد على سفر الخروج ١٧ : ٦ يقدم صورة معبرة لخدام الإنجيل وهاير شون يريننا كم عدد المعجزات المتشابهة التي تحدث كمثني . فهنا على سبيل المثال ، نجد في البرية التدبير المتمثل في المن من السماء والماء من الصخرة ، والذي يرمز مراراً عديدة للمسيح كالخبز (يوحنا ٦) والروح القدس كالماء . وفي حين أن معجزة مماثلة قد أجريت في قادش ، على الأرجح ، في الشهر الأول من السنة الأربعين من التجوال في البرية ، ولا يجب أن نخلط بينها وبين ما حدث في رفيديم (عد ٢٠ : ١ - ١٣ ، تث ٨ : ١٥ ، ٣٣ : ٨ ، مز ٨١ : ٧ ، ١٠٦ : ٣٢ و ٣٣). كان يبدو كما لو أن الإمداد المعجزي بالماء في رفيديم قد نفذ فجأة ليمتحن إيمان الإسرائيليين ، وتذمروا ثانية وتمنوا لو أنهم ماتوا مع أولئك الذين هلكوا بسبب الوبأ الذي حل عقب تمرد قورح .

وظهر الرب لموسى وهرون ، وأخذت العصا ولكن كان لا يجب أن تستعمل كما استعملت من قبل . لقد أخطأ موسى في أنه ضرب الصخرة بدلاً من أن يكلمها كما أمره الله . لقد قُدم الماء مرتين لإشباع حاجة الشعب - في المرة الأولى ضُربت الصخرة بناء على الأمر الإلهي بذلك ، وفي المرة الثانية كان ضرب الصخرة عملاً من أعمال العصيان من جانب موسى . لقط طلب الله من موسى أن « يكلم » الصخرة لا أن «يضربها» .. إن تذمر الإسرائيليين جعل موسى أكثر الودعاء ، يفقد أعصابه وينسب لنفسه مجداً خاصاً بالله وحده « أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء ؟ » ، لقد جاء الماء ولكن ليس بقوة موسى . هنا نرى الله يستخدم خادماً عاصياً لمجرد أنه أفضل شخص متاح لإنجاز القصد الإلهي . ولأنه قال ذلك : « فرط بشفتيه » (مز ١٠٦ : ٣٣) ،فقد عوقب موسى باستبعاده من دخول

أرض كنعان . إن إضافة قادش لمريبة تميز هذه المعجزة الأخيرة عن الأولى .

٣٤ - معجزة الانتصار على عماليق

(خر ١٧ : ٨ - ١٦ ، عد ١٣ : ٢٩ ، ١٤ : ٢٥ ،

تث ٢٥ : ١٧ - ١٩ ، مز ٨٣ : ٧) .

عماليق كانوا أول من هاجم إسرائيل في رحلة البرية من مصر إلى فلسطين . وفيما بعد هاجم عماليق مرة أخرى في قادش ، وهو هجوم دفع موسى ليأمر بالقضاء عليهم (عد ٣١ : ١ - ٣) ، ولكنهم استعادوا قوتهم، وفيما بعد اضطهدوا الإسرائيليين . وكما سنرى في دراسة أخرى ، إن العماليق هزموا على يد جدعون . وبالتدريج اندمجوا مع العرب . إن عماليق حفيد عيسو (تك ١٢:٣٦) الذي ولد حسب الجسد (غل ٤ : ٢٢ - ٢٩) هو أصل عماليق عدو إسرائيل اللدود . وبتكلم عنهم بلعام أنهم « أول الشعوب » (عد ٢٤ : ٢٠) .

إن حادثة الهجوم في رفيديم لم تكن فقط دليلاً على كراهية عماليق لدخول إسرائيل إلى أرضهم الخصبة . بالطبع ، كانوا يتمنون أن يحصنوا أنفسهم ضد الغزاة والدخلاء على أرضهم . لم يكن هناك ماء في رفيديم ليشربوا وقد جعل الله الماء يندفع بطريقة معجزية من الصخرة .

إن شناعة خطية عماليق في نظر الله كانت تتمثل في محاولتهم حرمان شعبه من الحياة التي أتاحها الله بمعجزة . إن الآيات والعجائب التي أجريت لصالح إسرائيل قد أظهرت لهم أنهم شعب الله . وهكذا فعندما هاجم عماليق إسرائيل ، لم تكن المعركة ضد إسرائيل بل ضد الله . وهذه الحقيقة هي سبب شدة القضاء الذي حل بعماليق الذي وإن تأخر إلا أنه قد أجرى في النهاية (١ أخ ٤ : ٤٣) .

لقد أضاف عماليق لوقاحته قسوة فائقة بمهاجمة مؤخرة جماعة غير مسلحة تقريباً في الوقت الذي كانوا فيه « كليلون ومتعبون » ،وباستخدام أسلوب حرب العصابات، كانت هناك جهود متعمدة لإفشال قصد الله منذ البداية عندما كان إسرائيل في أضعف حالاته وهو خارج لتوه من العبودية (تث ٢٥ : ١٧ و ١٨) . فلا عجب إن الله جعل إسرائيل ينتصر . في حالات كثيرة أثبت إسرائيل أن المعركة ليست لهم بل للرب . إن القوة العددية والمادية للجيش المعادي لم تسفر عن شئ ، فالله هو الذي أتى بالنصر .

هناك دافع آخر وراء هجوم عماليق وهو عدم وجود خوف الله (خر ١٧ : ١٦ ، تث ١٧:٢٥-١٩) «إن اليد على كرسي الرب . للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور» . عندما يتحدث الكتاب المقدس عن الخطية فهو يبرز أن أسوأ ما فيها أنها تهين الله ، ولهذا السبب حاق الدمار بعماليق وآخرين .

وإذ كان موسى وهرون وحور لا يصلحون للمعركة ، فكل منهم كان يناهز الثمانين من العمر ، فقد انسحبوا من المعركة الفعلية ليقضوا الوقت في صلاة شفاعية ، وبذلك يسهمون في المعركة . ولكي يعلمهم الله قوة الصلاة ، فقد جعل نتائج القتال متعلقة بحركة يدي موسى ، فعندما كانت يداه مرفوعتين ، كان إسرائيل ينتصر ، وعندما كانت تنخفض كان عماليق ينتصر. فقد كان النصر رهناً بما يحدث في أعلى الجبل . إن قيادة يشوع الصالحة - والتي ذكرت لأول مرة هنا - بلا جدوى بدون يدي موسى المرفوعتين ، وهذا اعتراف بالفضل الإلهي في هذا القتال . إن قوة الشفاعة تتمثل في هذا الانتصار المعجزي . وهزيمة إسرائيل لعماليق توضح ضعف الذراع المقاتلة بمعزل عن قوة الشفاعة .

ثم تلا ذلك المذبح بما عليه من محرقات - اعتراف بفضل رحمة الله وقوته التي وهبت النصر على عماليق .

لقد دعا موسى المذبح «يهوه نسى» «الرب علمى (شعارى) » (١٧ : ١٥) . إن الراية التى حارب بنو إسرائيل تحت لوائها وانتصروا كانت الرب نفسه . يقترح العديد من المفسرين التطبيق الروحى للحادثة فى رفيديم ، حيث يبرز القتال مع عماليق موارد الإنسان تحت الناموس وليس موارد المؤمن تحت النعمة « فالإنسان تحت الناموس يمكنه أن يقاتل ويصلى» (١٧ : ٩ - ١٢) . ولكن تحت النعمة فالروح القدس يكسب النصرة على الجسد لصالح المؤمن (رو ٨ : ١ - ٤ ، غل ٥ : ١ و ١٧). ولكن الانتصار يتم فقط عندما يسلك المؤمن فى الروح . عندما يكون العمل متمثلاً فى الاستقلال عن الله أو العصيان ، يستطيع عماليق ان يكسب انتصاراً سهلاً (عد ١٤:٤٢-٤٥) .

٣٥ - المعجزات فى سيناء

(خر ١٩ : ١٦ - ٢٥ ، تث ٤ : ٥ ، ٥ : ٧ - ٢٢ ، ٩ : ٨ - ١١ ، مز ٦٨ : ٨ ، عب ١٢ : ١٨ - ٢١)

بعد ترك رفيديم جاء بنو إسرائيل إلى صحراء سيناء ونزلوا مقابل الجبل (١٩ : ١ و ٢) ، وقد أقام بنو إسرائيل هناك فى ذلك السهل الذى يبلغ طوله ٢ ميل وعرضه نصف ميل ، لمــا يقرب من سنة. والقمة الواقعة بين خليجى العقبة والسويس فى جبال سيناء حيث تلقى موسى الناموس والتعليمات الخاصة بخيمة الاجتماع لم يتم تحديدها لدرجة اليقين . فى العهد القديم فإن كلمة سيناء تعنى «يضئ» وحوريب تعنى «يضيّع» يبدو أنهما مستخدمتان بالتبادل ، فسيناء مذكورة كصحراء وكجبل ٣٥ مرة . وفى ١٧ فقرة فنفس الصحراء والجبل يطلق عليهما « حوريب » .

ويقترح بعض المختصين أن « سيناء » تشير لكل سلسلة الجبال ، أما « حوريب » تشير لقمة واحدة من قمم الجبال . وقد كتبت مجلدات عديدة لإثبات أن هذه القمة أو تلك هى « جبل الناموس » الأصلى حيث تلقى موسى الوصايا العشر . إلا أن الأغلبية تميل للاعتقاد أن حوريب القديمة أو سيناء هى القمة التى يطلق عليها العرب الآن « جبل موسى » . وهذه القمة تزيد على ٦٠٠٠ قدم ارتفاعاً. وبالقرب من القمة هناك كنيسة يطلق عليها كنيسة إيليا الذى سمع . الصوت المنخفض الخفيف هناك (١ مل ١٩) وجبل سيناء التقليدى كتلة معزولة من الصخور مرتفعة فجأة عن السهل فى جلال يدعو للرهبة . والكتاب المقدس يدعوه « الجبل » و« جبل الله » (٣ : ١ ، ٤ : ٢٧ ، ١٩ : ٢ و١١).

وعندما نقرأ «جاء الرب من سيناء»(تث٣٣:١و٢) فلا يجب ان نأخذ العبارة حرفياً . فبطريقة رمزية يوصى موسى بأن سيناء هى جبل الإعلان ، نقطة البداية حيث أظهر الله نفسه لإسرائيل وجاء ليسكن وسط شعبه . إن كل الظواهر المعجزية المرتبطة بسيناء كان القصد منها التأثير على بنى إسرائيل بجلال الله الذى لا يمكن الاقتراب منه ، وقداسته . ومثل هذا الإعلان الرهيب لم يحدث فى أى وقت ومكان آخر ولن يتكرر حتى وقت النهاية من تاريخ الجنس البشرى .

إن الإعلانات الخارقة للعادة كانت رعوداً مدوية قاصفة وومضات بروق مخيفة ، وناراً تصعد من الجبل لعنان السماء ، وكميات هائلة من الدخان محدثة ظلمة رهيبة غير عادية ، وارتعاداً للجبل كما لو كان بفضل زلزال مستمر ، وصوتاً مدوياً كبوق عال ودائم ثم اهتزازاً حاداً وواضحاً . هذه الدلائل القوية على حضور الله وقوته لابد أنها كانت تحدث صمتاً رهيباً فى المحلة .

إن « النار » تعبير عن القداسة الإلهية وكراهية الله للخطية ، ولأن الجبل كان مشتعلاً بالنار ، فالدخان كان حقيقياً .

« سحاب ثقيل » أو سحاب كثيف يثبت أنه على

الرغم من أن الله نور ، « فالسحاب والضباب حوله » أيضاً (مز ٩٧ : ٢) ، فهو يسكن فى « الضباب » (٢ أخ ٦:١) ، والذى يأمر النور أيضاً يستطيع أن يأمر الظلمة أن تغطى الأرض (خر ١٠ : ٢٢ ، ٢٠ : ٢١). ونحن لسنا بحاجة لأن نخاف من ظلام سيناء الآن ، لأن المسيح احتمل ظلام الصليب لأجلنا .

« البرق » هو أيضاً إعلان آخر للقوة الإلهية . واليوم إذا أصيب شخص بصاعقة من البرق ، يقال إنه « قتل قضاء وقدراً » .

« الرعد » أظهر مجد الله (أى ٣٧ : ٥ ، مز ٢٩).

« زلزلة» (ارتجف كل الجبل) ، لا يمكن أن تحدث الزلزلة بدون إذن إلهى . عندما يأمر الله الأرض أن تنفتح فإنها تفعل ذلك فى المكان الذي يحدده وليس فى مكان آخر (مز ١٠٤ : ٣٢).أثناء الزلزلة فى سيناء ، كان موسى آمناً فى « نقرة من الصخرة » (خر ٣٣ : ٢٢) .

« صوت بوق » هذا البوق كان يضرب بطريقة خارقة وكان يجذب الانتباه للبلاغ الخطير الذى كان على وشك أن يعلن ، « وبوق الله » يرتبط بعودة المسيح لكنيسته الحقيقية (١تس ٤ : ١٦) . إن الأحداث العظيمة التى سوف تحدث فى الضيقة العظيمة سوف تعلنها الملائكة باستخدام الأبواق (رؤ ٨ : ٧ و ٨ و ١٠ و ١٢ ، ٩ : ١و ١٤).

وبعد أن دُعى موسى لقمة الجبل ليتلقى الوصايا العشر، شهد موسى المزيد من الإعلانات عن قوة الله . لقد تكلم الله بكلمات الناموس الذى تم حفظه عدة قرون فى التابوت ولكنه فقد أثناء السبى . ولو استطاع بعض علماء الأركيولوجى أن يكتشفوا لوحى الشريعة الحجريين ، فإن ذلك يكون بمثابة اكتشاف أثر خالد لا يقدر بثمن ، إن أول لوحين هما من تصميم الله (٣٢ : ١٦) ، واللوحان الثانيان عملهما موسى ، ولكن فى كلتا الحالتين كتبت الوصايا « بإصبع الله » (٢٤: ١٢ ، ٣١ : ١٨ ،٣٢ : ١٦) .إن لوحى الحجر قد تمت الكتابة عليهما بطريقة معجزية ، لا يعرف كنهها . والمسيح أشار للروح القدس بأنه « إصبع الله » (لو ١١ : ٢٠) .

كان موسى فى الجبل مدة أربعين يوماً وأربعين ليلة ، وخلال هذه المدة الطويلة كان الله يعوله لأنه كان بلا طعام أو ماء (خر ٢٤ : ١٨ ، ٣٤ : ٢٨ ، تث ٩ : ٩) . ربما كان المن ينزل حوله ويقدم له إعالة كافية .

يسجل الوحى العديد من الصوم الخارق للعادة – كصوم إيليا (١مل ١٩ : ٨) ، وصوم ربنا فى تجربة البرية (مت ٤ : ٢) ، وصام موسى مدة مماثلة بسبب خطايا بنى إسرائيل (تث ٩ : ١٨ و ٢٥) .

وبينما كان موسى بعيداً عن السهل ومختفياً عن أنظار الشعب بسبب الضباب الكثيف حوله فوق الجبل ، حدث ارتداد الشعب الأكثر إثارة للإشفاق والذى لا يمكن تبريره ، والذى حدث بعده مباشرة أن أرعد الله على الجبل « لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » ، إن عمل العجل الذهبى يدل على أنه برغم كل الأعمال القوية التى أجراها الله لأجل بنى إسرائيل ، فقد كانوا تحت تأثير عبادة الأوثان المصرية ، فمع أنهم خرجوا من مصر كمكان ، إلا أن جزءاً كبيراً من مصر كان فى قلوبهم .

ومن الواضح أن هرون لم يكن بقادر على السيطرة على الجماهير ، وبعد نزول موسى من الجبل ، طالب بعقاب شديد وفورى على ما حدث . وكان العقاب سريعاً ومريعاً ، لأن الشعب قد هلك « فضرب الرب الشعب »(٣٢:٣٥). ونحن لا نعرف ما طبيعة هذا العقاب الإلهى ، فقد حاقت آلام متنوعة بأولئك الذين عصوا الله بعبادة العجل الذهبى، وشعر موسى بشدة وطأة خطية الشعب عليه حتى إنه توسل إلى الله ليمحوه من كتابه .

ومع أن بنى إسرائيل قد كسروا العهد الإلهى على نحو

فاضح ومشين ، إلا أن الله وافق على تجديد شروط العهد بطريقة عادلة تماماً ولا إجبار فيها إطلاقاً .لقد سبق الله أن وعد أن يسير مع شعبه (٢٣:٢٠-٢٣) فى شخص الملاك الذى يحمل اسمه .والآن ،ولكى يعلن عن استيائه لعبادتهم للأوثان ، فقد سحب هذا الوعد وبدلاً من الوجود الإلهى ، أرسل لهم ملاكاً عادياً لهدايتهم (٣٣ : ١ - ٣) .

واستدعى موسى مرة أخرى لقمة جبل سيناء ، ليتلقى بياناً ثانياً بالناموس ، وتجديداً للعهد الإلهى (٣٤ : ١٠ - ٢٨) ، وأجريت أمامه الخوارق مرة أخرى . لقد تم إخفاء موسى فى نقرة من الصخرة وستره الله بيده . لقد كان يتوق لرؤيا مبهجة ، وكان له امتياز أن يسعد بالرؤية الإلهية (من خلف) أكثر من أى شخص آخر على ظهر الأرض وحتى الوصول للسماء . ورؤية صلاح الله الذى لا يوصف قد انعكس بصورة معجزية على روح موسى الداخلية ، وكان يتكلم مع الله «كما يكلم الرجل صاحبه»، لقد تمت حماية وتغطية موسى حتى لا يرى مجد اللاهوت بطريقة معجزية ، وكل ما استطاع أن يراه كان نوعاً من انعكاس للمجد الإلهى من الخلف .

لقد كان تأثير هذه الرؤية الباهرة أن انعكس المجد الإلهى على وجه موسى الذى اضطر أن يخفيه عن الشعب بوضع برقع على وجهه (٣٤ : ٢٩ - ٣٥) . فبعد أن رأى مجد الله ، نزل من الجبل بوجه ممجد . لقد «تغير إلى تلك الصورة عينها»(٢ كو ٣ : ٧ - ١٨) . لا شك أن مثل هذا التغيير فى الوجه قد دعم من سلطة موسى وسط شعب يميل للتمسك بالأشياء المنظورة كالشعب الإسرائيلى .

يقول اليكوت إن بعض المعلقين يقولون إن « البهاء الذى اكتسبه موسى كان جزءاً من تراث الإنسان الأصلى ، أحد ملامح « صورة الله » التى خلق عليها (تك ١:٢٧). ولكن هذه الهبة قد تشوهت بالسقوط ، ولا يمكن أن تسترد بصورة عامة حتى اكتمال كل شئ ، ولكن فى نفس الوقت، فمن آن لآخر ، فإن الله يسر أن يضفى على نفر معين من قديسيه المجد المادى الذى يرمز للنقاء الداخلى والقداسة كما فعل مع موسى على جبل سيناء ، ومع موسى وإيليا على جبل التجلى (لو ٣١:٩) ومع استفانوس عندما كان يحاور مجمع السنهدريم (أع ١٥:٦) .إن مجداً من هذا النوع ، ولكن ذا بهاء فائق ، كان يميز الطبيعة البشرية لربنا المبارك ، والذى كان يخفيه فى الأحوال المعتادة ، ولكنه سمح لها بالظهور مؤقتاً عند التجلى وبصورة دائمة بعد صعوده (رؤ ١: ١٦ ، ١٠ : ١ ، ٢١ ، ٢٣: ٢٢ ، ٢٢ : ٥). وللتطبيق الرمزى لسيناء ، على المرء أن يلجأ لتعاليم بولس ، فيجب قراءة خروج ١٩ فى ضوء ما جاء فى رومية ٣ : ١٩- ٢٦ و ٧ : ٧ - ٢٤ ، وغلاطية ٤ : ١ - ٣ و ٢٥. فى سيناء تعلم بنو إسرائيل هذه الدروس .

(١) قداسة يهوه التى تظهر واضحة جلية فى أقواله .

(٢) صلاح الله عن طريق الكهنوت والذبائح .

(٣) طبيعة الإنسان الخاطئة وضعفه عن طريق فشله فى إتمام وصايا الله . أما عن إنشاء خيمة الاجتماع فى محلة الشعب ، فكل شئ متعلق بها كان معجزياً . فتصميمها حتى أدق التفاصيل وإعداد الناس لتنفيذ خطة بناء الخيمة كان من الله (٣٦:١ -٧) ، وكل شئ خاص بالخيمة قد تم تنفيذه « كما أمر الرب » .

٣٦ - معجزة العقاب الذى حل بناداب وابيهو

(لا ١٠ : ١-٧ ، عد ٣ : ١-٤ ، ٢٦ : ٦١ ، ١ أخ ٢٤ : ٢)

إنه لأمر محزن أن يُحزن أفضل البشر قلب الله ، فبمجرد أن شهد بنو إسرائيل الإعلان الإلهى بقبوله للطقس الخاص بإنشاء الكهنوت ،حتى شهد كل محفل العابدين عملاً جريئاً من أعمال تدنيس مقدسات الله ارتكبه اثنان

من الخمسة كهنة الذين نُصبوا للقيام بهذه الخدمة حديثاً ، وأيضاً العقاب المريع المستحق الذى لحق بهما . إن ابنىّ هرون الكبيرين ، ناداب وأبيهو ، اللذين ذكرا ١٢ مرة فى العهد القديم ، معاً دائماً ، كان لهما امتياز مصاحبة هرون أبيهما وموسى لقمة الجبل المقدس (خر ٢٤ : ١). لقد تم تكريسهما لخدمة الله ، وقد صحب تكريسهما معجزة (لا ٩ : ٢٤) ، ولكن الكهنة يعتريهم نفس النقص الذى يلحق بعامة الشعب ، بل ويرتكبون نفس أخطائهم .

يقول اليكوت : إن خطية ناداب وأبيهو كانت ذات طبيعة معقدة وتنطوى على عدة أعمال من أعمال العصيان.

(١) لقد قدما كلاهما ناراً غريبة . فقد كان المفروض أن يوقدا فى آنيتهما ناراً مقدسة من المذبح الذى كان مشتعلاً دائماً ليستخدم فى حرق البخور (٩: ٢٤ ، ١٦: ١٢ ، رؤ ٨ : ٥) . وبدلاً من ذلك فقد استخدما ناراً عادية – ناراً من عندياتهما . نرى هنا صورة واضحة تعبيراً عن استخدام الوسائط البشرية لإشعال نار التكريس لله والوفاء بالعهود له .

(٢) أخذ كل واحد مجمرته ، ولم يأخذ الآنية المقدسة من المذبح . فإذا كان لابد لنا أن نعبد الله فعلينا أن نعبده على طريقته هو (يو ٤ : ٢٤) . إن ناداب وأبيهو يمثلان « العبادة النافلة » التى يحذرنا منها بولس ، والتى تتسم « بحكاية حكمة وتواضع وقهر الجسد »(كو ٢ : ٢٣) .

(٣) لقد قاما بدون وجه حق بالتعدى على اختصاصات رئيس الكهنة الذى له الحق وحده فى حرق البخور فى مجمرة (لا ١٦: ١٢ و ١٣ ، عد ١٦ : ٤٦ و ٤٧) ، لقد كان الكهنة العاديون وحدهم يحرقونه على مذبح الذهب فى الموضع المقدس (خر ٣٠ : ٧ و ٨). وكان قورح ورفاقه استثناء من ذلك حيث أنه قد صدر الأمر لهم من موسى لغرض خاص (عد ١٦: ٦-٢٥). إن خطية ناداب وأبيهو تمثل ادعاء شئ ليس من حقهم كقورح تماماً ، وقد استندا إلى الطقوس الدينية والمركز الكهنوتى ليخولهما حق الدخول إلى محضر الرب .

(٤) لقد قدما البخور فى وقت غير مصرح به لأنه لم يكن صباحاً ، أو مساء وقت الذبيحة المسائية . لقد قاما بواجباتهما بطريقة غير منتظمة . إن العبادة تقبل من الله فقط حين تقدم كما أمر بها (خر ٣٠: ٩) .

أما فيما يتعلق بمصدر هذه الخطية التى تستحق مثل هذا العقاب الشنيع ، فالتقليد يقول إن ناداب وأبيهو قد أصبحا ثملين بسبب الإكثار من شرب الخمر، ومحاولتهما إجراء خدمتهما وهما فى مثل هذا الخلط والارتباك العقلى دليلاً على أنهما لم يكونا قادرين على التمييز بين ما هو جائز وما هو غير جائز. ولمنع تكرار مثل هذا الشر ، تم تحريم شرب الخمر على الكهنة عند خدمتهم فى خيمة الاجتماع . وهذا التحريم الذى صدر بعد خطية ناداب وأبيهو مباشرة ، إذ كان السبب فى ذلك بالفعل هو عدم الاعتدال والإفراط فى الشراب ، يعد مصادفة غير مقصودة ودليلاً على الأصالة والصدق. إن المصدر الحقيقى لابتهاج قلب الكاهن الروحى ليس الخمر ، بل الروح القدس (أع ٢ : ١٥ – ١٨ ، أف ٥ : ١٨) . والتطبيق الحالى لهذه الحقيقة منبر عنه فى لو (١: ١٥، ١ تى ٣ : ٣) .

إن القضاء السريع الذى لحق بالكاهنين كان خطيراً وخارقاً للعادة ، فقد نزلت نار من عند الرب وابتلعتهما وماتا أمام الرب (١٠: ٢) ، ومع ذلك لم تتفحم جثتيهما ولا احترقت ثيابهما الكهنوتية ، بفضل تدخل إلهى ، حيث إنهما دفنا فى قميصيهما (١٠ : ٥). إن النار وهى رمز للقبول الإلهى (٩ : ٢٤) كانت أيضاً علامة على الاتهام الإلهى . لقد أخطأ ناداب وأبيهو بالنار وماتا بالنار. والنار الإلهية التى كانت تنزل لتلتهم الذبائح كعلامة للقبول نزلت الآن للانتقام من الخطية لتلتهم مقدمى الذبائح ،

تماماً كما أن نفس الإنجيل رائحة حياة لحياة لشخص ما ورائحة موت لموت لشخص آخر (٢ كو ٢ : ٦). لقد مات المعتديان ميتة غير عادية فى ساحة المحراب المقدس ، أى فى نفس المكان الذى ارتكبا فيه الخطية (١٠ : ٢) وبموتهما تقدس الله (١٠:٣). «لقد قدس لنفسه هرون وبنيه بالمسحة المقدسة»(٨ و١٠ و١٢)، حتى يقدسوه فى أداء ملتزم لواجباتهم المقدسة كوسطاء بين الله والناس . وبعد أن فشلا فى ذلك ، قدس الله نفسه فيهما بعقاب مخيف وقع عليهما لمعصيتهما » .

وقد مجد الله أيضاً نفسه بدينونته العادلة أمام كل الشعب . إن الموت لأجل خطية كهذه دفاع عن ناموسه البار وتذكار للشعب أنهم لا يستطيعون كسر الناموس مع الإفلات من العقاب . وهناك علامة أخرى على العقاب الإلهى وهى منع أى عويل على الكاهنين اللذين أماتهما الله موتاً مفاجئــاً . « لا تكشفوا رؤوسكم ولا تشقوا ثيابكم » (١٠:٦). لابد أن أباهما المبجل قد سحقه الحزن على خطية ابنيه والعقاب الذى حل بهما ، ولكن العلامة الوحيدة على ألمه الدفين كانت تكمن فى امتناعه عن الأكل من ذبيحة الخطية التى قدمها الشعب (١٠: ١٢-٢٠)، فكل مظاهر الحزن الأخرى كانت محرقة (انظر لوقا ٩:٦٠ لتطبيق ذلك على كهنوتنا الروحى) . فقد احتفظ هرون بسلامه أمام هذه الضربة الساحقة الماحقة ، وقد رفعته النعمة من اندفاعه الطبيعى ومكنته من أن يكون خاضعاً للمشيئة الإلهية .

٣٧ - المعجزة فى تبعيرة

(عد ١١ : ١ - ٣ ، تث ٩ : ٢٢ ، مز ٧٨:٢١)

بينما لا يسمى هذا التوقف فى الرحلة باسم معين إلا أنه يعتقد أنه قبروت هتأوة (١١ : ٣٥) ، وهو أول توقف بعد رحيلهم من سيناء ، إلا أنه من الواضح أنه كان هناك توقف فى تبعيرة (١١ : ٣) . وعلى الأرجح فالاسمان كانا ينتميان لنفس محطة التوقف .

ففى تبعيرة كان هناك عدد من الإسرائيليين الذين كانوا يشكون أو كانوا « يتذمرون - يشتكون شراً- أمام الرب» (١١ : ١ السبعينية) ، ولكن ما جعلهم يتذمرون لم يذكر سببه ، لأننا نستمر فى القراءة عن عدم اكتفائهم بالمن ، وعن إمدادهم بالسلوى ، فيكون التذمر بسبب ذلك ، وما نعرفه أن تذمرهم قد أحرق بالنار فى الطرف الخارجى للمحلة لأجل خطاياهم . و«تبعيرة»،تعنى « حريق »، لها صلة بكلمة « حمى » (١١:١) ، والكتاب المقدس لا يخبرنا عن المدى الذى وصلت إليه النار أو ما أحرقته .إن النار كرمز للعقاب الإلهى على الخطية ، قد نشبت فى طرف المحلة ، وقد خمدت برغم انتشارها المدمر عند تضرع موسى للرب .لا شك أن التذمر قد تم القضاء عليه ، وكذلك ممتلكاتهم فى هذا اللهيب الإلهى . وبينما يرينا هذا الموت المريع بالنار شدة حمو العقاب الإلهى على التذمر ، فعلينا ألا ننسى أن الشكوى كانت ضد قوة الله وتدبيره وعنايته بهم . إن العقاب الإلهى بعد إعطاء الناموس كان أشد من العقاب الذى أصابهم قبل ذلك (انظر خر ١١:١٤-١٤، ٢٤:١٥ و٢٥ ، ١٦: ٢-٨ ، ١٧:٣-٧). يقول اليكوت فى هذا الصدد إن : « كاتب الرسالة إلى العبرانيين يتكلم من منطلق الجزاء العادل الذى ناله كل تعد ومعصية تحت الناموس ، واستحالة نجاة أولئك الذين يهملون خلاص الإنجيل » (انظر عب ٢ :٣ ، ١٠: ٢٨و ٢٩ ، ١٢ : ٢٥) .

إذا كان التذمر فى تبعيرة ضد تدابير الله الخارقة للعادة لأجل الحاجات الجسدية للشعب ، ألا يمثل ذلك نفور الإنسان الطبيعى من الطعام الروحى الذى قدمه الله فى الإنجيل ، ودليلاً على بحثه الدؤوب عن المسرات العالمية ؟ فعلينا أن ننتبه للتحذيرات الرسولية ضد أى شكل من أشكال التذمر (١ كو ١٠ : ١٠) .

٣٨ - معجزة برص مريم

(عد ١٢، ٢٠ : ١، لا ١٣: ٤٦ ، تث ٢٤ : ٨ و٩)

فى حضيروت حيث مكث بنو إسرائيل لفترة وجيزة بعد تركهم قبروت هتأوة ، تم المزيد من استعلان لقوة الله ، فمن المزايا الممنوحة لبنى إسرائيل كانت القيادة المشتركة لموسى وهرون ومريم أثناء الخروج (مى ٧٦ : ٤) ، ولكن الموقف المتميز لهذه العائلة لم يعفها من العقاب حين أخطأت . فموسى وهو واحد من أعظم أنبياء الله حرم من دخول كنعان لأنه تكلم ذات مرة بطريقة غير لائقة بشفتيه ، وتألم هرون من عقاب مماثل (عد ٢٠ : ١٢ و ٢٤) . ومريم ، مع أنها اختيرت لتكون قائدة ونموذجاً لنساء بنى إسرائيل ، إلا أن الله ضربها بالبرص بسبب حقدها ، يا له من عار على أول امرأة تدعى « نبية »(خر ١٥ : ٢٠) !

كانت مريم أكبر أبناء عمرام ويوكابد ، وأكبر من موسى بـ ١٢ سنة على الأقل ومن هرون بتسع سنوات . كانت مريم هى التى أسرعت بإحضار أمها ، يوكابد ، إلى الأميرة لترضع الطفل ، عندما رأت ابنة فرعون الطفل فى سفط البردى (خر ٢:٧ و ٨) . والآن نراها المحرضة على مؤامرة ضد سلطة موسى . ويرد اسمها أولاً مما يوحى بأنها هى التى تفوهت بالشكوى . ولأن الكلمة « تكلمت » (عد ١٢ : ١) قد وردت بضمير التأنيث يدل على ذلك ، وكذلك حقيقة أن العقاب قد حل بها وليس على هرون ، مع أنه قد اشترك مع أخته فى التكلم على موسى ، ولأن هرون كان لين العريكة ، فقد استسلم لمقترحات مريم ، تماماً كما فعل عندما رغب بنو إسرائيل العجل الذهبى .

علينا أن نكون حريصين فى التعامل مع أولئك الذين قد باركهم الله ، لقد تفوهت مريم بمشاعر الحقد الكافية فى قلب هرون وفى قلبها فى اتجاه مزدوج . أول كل شيء كان هناك نقد لزوجة موسى - الكوشية أو السمراء التى كان قد تزوجها . ولأنه لا توجد إشارة فى الكتاب المقدس ، لذلك ، فيبدو لذلك أن صفورة قد ماتت ، وتزوج موسى إحدى الكوشيات الإفريقيات اللاتى اصطحبن بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر أو قد تكون إحدى القاطنات فى سيناء ، ومثل هذا الزواج لم يكن يحرمه الناموس ، كما بالنسبة للزواج من الكنعانيات (خر ٣٤:١٦) . كانت مريم على الأرجح تشعر بالغيرة لأن المرأة الكوشية قد مارست نفوذاً على موسى منذ موت صفورة . إن الغيرة الأنثوية والطموح ترك تأثيراً سيئاً على شخصية مريم على الرغم من أنها هى التى قادت ترنيمات الحمد لبنى إسرائيل بعد الانتصار الذى تم فى البحر الأحمر (خر ١٥) .

إن القصة المحزنة أمامنا يبدو أنها توحى بأن الغيرة بسبب مركز موسى المتميز كان السبب الحقيقى للصراع . ألم يتكلم الله معه كصديق ؟ لا شك أن مريم وهرون لاشتراكهما فى القيادة كان لهما الحق فى الحصول على نفس التأييد الإلهى . ورد الله على السؤال الملتوى « هل كلم الرب موسى وحده ؟ » يوحى أنه على الرغم من أن مريم كانت نبية تتلقى الإعلانات النبوية إلا أنها لم تكن تتلقى تلك الإعلانات « فماً إلى فم » ، فى حين قيل عن موسى إنه « شبه الرب يعاين » إلا أن مريم والآخرين من الأنبياء كانوا يرون «رؤية» فقط أو «حلماً» ، ويقول كالفن فى هذا الصدد :

« هكذا كان فساد الطبيعة البشرية ، فمريم وهرون لم يسيئا الظن فقط بالمواهب التى منحها الله لأخيهما اللذان لم يكنا له الاحترام اللائق ولكن عن طريق الإطراء غير النقى لتلك المواهب ، فإنهما يمجدانها للدرجة التى تحجب الرؤية عن الواهب لتلك العطايا » .

لقد أمر الله ثلاثتهم أن يخرجوا إلى خيمة الاجتماع (١٢ : ٤) ويستمعوا لدفاعه عن موسى الذى كان أميناً فى تنفيذ المطالب الإلهية . لقد حمى غضب الله عليهما فارتفعت السحابة عن خيمة الاجتماع ، وهذه علاقة ظاهرة

على استيائه من مريم وهرون ، ويذكرنا اليكوت قائــلاً :

« إن ارتفـاع السحـابة كـان عـلامـة على انتـهـاء المحلة واستئناف المسيرة ، وارتفاع السحابة علامة على انسحاب الحضور الإلهي والتوجيه » .

لقد أصيبت النبية المتكبرة والغيورة بأكثر الأمراض المذلة . فبعد أن أصبحت مريم برصاء كالثلج ، لأنها هي التي قادت هذا العصيان على أخيها ، فهي تعاني من العقاب لأن يد الله قد ضربتها على الفور . فالبرص كدليل على شدة العقاب الإلهي ،فإنه في الحالات الشديدة كان مرسلاً من الله ولا يستطيع أن يمحو ذلك المرض الكريه سواه . فالله الذى كان قادراً على أن يرسل البرص فى الحال ، كان قادراً كذلك أن يزيله فوراً ، كما حدث مع موسى حين أصبحت يده برصاء . وفى حالة مريم ، فكرد على صلوات موسى وهرون ، فإنها قد شفيت سريعاً على الرغم من أنها ظلت نجسة لمدة سبعة أيام .إن الخطية في المحلة تعطل تقدم عمل الله . فقد كان على بني إسرائيل الانتظار فى حضيروت طيلة سبعة أيام ، وكانت هذه مدة التطهـير المنوه عنهـا في النامـوس اللاوى(لا ١٤).

«وهكذا فمريم التي وضعت نفسها على قدم المساواة مع الرئيس المعين من الله والحاكم لأمتها ، كان عليها أن تحرم لمدة سبعة أيام من أى جزء أو نصيب فى الامتيازات التي كان يتمتع بها أصغر عضو فى الجماعة» ، وماتت مريم فى قادش فى أول شهر من السنة الأربعين من رحلة البرية (عد ٢٠ : ١) .

٣٩ - معجزة العقاب ضد العصيان

(عد ١٦ ، ٢٦ : ٩ - ١١ ، مز ١٠٦ : ١٧)

إن التمرد الذى أمامنا فى سفر العدد أصحاح ١٦ هو الحادثة الوحيدة المدونة من التجول طيلة ٣٨ سنة فى البرية كان يدل على النجاسة والعار . ووقت ومكان حدوثها غير معروف . فهى قد حدثت على الأرجح خلال السنوات الأولى من التجول فى البرية ، إما أثناء إقامة بنى إسرائيل فى قادش أو بعد رحيلهم بوقت قصير .

ولا يصح أن نخلط بين قورح وأسماء أخرى بنفس الاسم، لقد ورد هذا الاسم ٢٠مرة فى الكتاب المقدس. وقورح الذى أمامنا كان الشخص الوحيد من بين اللاويين الذى اشترك فى التمرد ، وكان المحرض الرئيسى فى هذا الأمر الذى كلفه حياته وحياة الآخرين . وقد انضم لقورح فى هذا التمرد داثان وأبيرام مع ٢٥٠من شيوخ إسرائيل ، كلهم قد وبخوا موسى بحجة أنه يدّعى لنفسه ما لايستحق.

ومن الطريف أن نلاحظ كيف أن سلسلة الأنساب أحياناً تلقي الضوء على الشخصية . وهكذا يمكننا أن نتبع سبب عصيان قورح بملاحظة ما يأتي :

(١) كان من عائلة قهات (خر ٦ : ٢١ و ٢٤) التى كانت قريبة الصلة بهرون ، ولذلك فالاحتمال المرجح أنه كان يصبو لمنصبه .

(٢) كان ابن يصهار ، الابن الثانى لقورح (عد ١:١٦) ، ولكن عزيئيل الابن الرابع لقورح (عد٣ : ٢٧ و ٣٠) كان مفضلاً عليه وجعل رئيساً وشيخاً للقهاتيين .

أما فيما يتعلق بداثان ، فإذ نتأمل فى سلسلة نسبه ، نستطيع أيضاً أن نعرف سبب ضلوعه فى المؤامرة ضد موسى . لقد كان من سلالة رأوبين ، الابن البكر ليعقوب ولذلك فإنه قد يبدو طبقاً للمبادئ العالمية أن له الحق فى الرئاسة أكثر من موسى حفيد لاوى ، الابن الثالث ليعقوب (تك ٣:٤٩، عد ١:١٦). يقول الأسقف هول Hall :

« للرأوبينيين حق البكورية الطبيعية ، ومع ذلك فهل من حقهم تحدى من وضعهم الله فى مركز التميز والتفوق . إن الإنسان الذى يرفع نفسه بكبرياء قلب بدلاً من الخضوع لله ، يستحق أن يداس بعدل فى التراب » .

يقدم الكتاب المقدس عدة صور لخطية الأشرار ، وقد

كانت خطية المتمردين احتقار خادم الله (٥:١٦) ونالهم العقاب لاغتصابهم لسلطة الكهنة . لقد كان هؤلاء المتمردون يحاجون بدون حجة . صحيح إن الرب قد أعلن أن كل جماعة إسرائيل « مملكة كهنة » (خر ٦:١٩) ، وقال المتمردون إنه بما أن الجماعة كلها مقدسة ، فموسى وهرون يغتصبان السلطة وأنهما يدعيان لأنفسهما ما ليس من حقهما . ولكن غابت عنهم حقيقة أن موسى وهرون كانا المندوبين الممسوحين من الله ، وكان لهما الأسبقية في السلوك بأمانة أمامه والقيام بالخدمة المقدسة ، وقد كانت « الاستهانة بالسيادة والافتراء على ذوى الأمجاد » خطية المتمردين ، وقد هلكوا بسبب مقاومتهم أى التكلم على موسى .. وفى هذا تحذير لجميع الذين يحتقرون السلطة والمعجبين بأنفسهم .

ثم جاء امتحان لأصحاب المجامر (٦:١٦) ، والتى كان استعمالها قاصراً على الكهنة حيث إن ذلك يعد امتيازاً خاصاً بهذا العمل المقدس ، وتلا ذلك تبرئة موسى وهرون وعقاب المتمردين . لقد هلك قورح قائد العصاة فى النار الإلهية مع ٢٥٠ شيخاً قدموا البخور معه (١٦ : ٢٧و ٣٥) « لقد عوقبوا بنفس الوسيلة التى أخطأوا بها » ، وفتحت الأرض فاها وابتلعت داثان وأبيرام وعائلاتهما ، وماتوا موتاً مريعاً . لقد حاول موسى إقناعهم دون جدوى وقسى المتمردون قلوبهم وتحدوا موسى وهلكوا تحت ضربة الدينونة الإلهية . إن السيطرة الخارقة للعادة على قوى الطبيعة والتى نراها فى الأرض التى فُتحت فجأة ، والنار التى أنزلها الرب تشهد لسيادته على كل شئ . لقد خلق الله هذا التباين وجعل الدمار يقتصر على داثان وأبيرام وعائلتيهما وكذلك أحرقت النار قورح والـ ٢٥٠ شيخاً فقط . ولهذا السبب تحدث موسى عن الأرض وهى تفتح فمها « كبدعة » ، بأن عملت شيئاً جديداً غير معلوم (١٦ : ٣٠) .إن كل معجزات الله هى إبراز لقوته الخلاقة .

لم يهلك أبناء قورح مع أبيهم (٢٦ : ١١) ، وعندما كان يأتى هؤلاء الأبناء لينشدوا نشيد الحمد (مز ٤٦ RV العنوان) ، لابد أنهم كانوا يتذكرون القضاء المريع الذى لحق بأبيهم والمتآمرين معه . فما حدث كان عبرة لهم (١٠:٢٦) . إن تأثير التحذير الخطير على الناجين من قورح قد جعل هذه العائلة تصل لمركز مرموق .فقد جاء صموئيل من هذه العائلة (١ أخ ٦: ٢٢ – ٢٨) . لقد حصل أبناء قورح على المكانة الأولى التى خصصها لهم داود بجعلهم يخدمون أمام مسكن خيمة الاجتماع وقيادة الجماعة فى الفناء فى بيت الرب (١ أخ ٦ :٣٢ – ٣٧، ٩ : ١٩و ٣٣) . ولقد تصدرت أسماؤهم ١١ مزموراً (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، انظر ٢ أخ ٢٠ : ١٩) . هذه المزامير تدل على الثقة الوطيدة لبنى قورح فى الله ، وهم يتميزون بعمق فكرهم الروحى ، وحرارة مشاعرهم المقدسة . إنهم أنقياء مما يكدر ، ولا يتسمون بالعنف والقسوة .

والرسول يهوذا وهو يستعرض عصيان قورح يحذر المسيحيين من ارتكاب نفس خطية عصيان الأوامر الإلهية (عدد ١١ ، عد ١٦ : ٤٠).هاك عينة من الارتداد المستقبلى للمسيحيين بالاسم والمصير المريع الذى ينتظرهم . يقول فاوست :

« *إن خطية قورح تشبه خطية خدام القربان المقدس الذين إذ لا يقنعون بشرف الخدمة* ،(*لا يوجد فى العهد الجديد خدام مسيحيون يطلق عليهم كهنة المذبح أو المختصين بتقديم الذبائح ، فالكهنوت المقدس تعبير قاصر على يسوع المسيح فقط*) ، وعلى كهنة هرون والكهنة الوثنيين ، وينطبق روحياً على كل المسيحيين (مت ٨٨ : ٤ ، أع ١٣:١٤، عب ٥ : ٦ ، ١ بط ٢ : ٥ و ٩ ، رؤ ١: ٦ ، ٥ : ١٠ ، ٢٠ : ٦) ، يغتصبون كهنوت تقديم الذبائح والوساطة لأن المسيح هو الوسيط الوحيد ، وينطبق أيضاً على جميع الذين يعتقدون أنهم يخلصون بأعمالهم

بدلاً من عـمله النيـابى لأجلنا » (أع ١٢:٤) . وفى اليوم التـالى لموت قـورح وداثان وأبيـرام والـ ٢٥٠ شيـخاً من الجماعة ، كان هناك تمرد كبير ضد موسى وهرون (١٦ : ٤١ - ٥٠). ياله من مثال بارز يدل على فساد القلب البشرى أن تسرى فيه نفس روح العصيان التى تم عقابها فى اليوم السابق! ولكن الغضب الإلهى قد استعلن سريعاً، وضرب الوبأ الجماعة ، وهلك ١٤٧٠٠ شخص فى ذلك اليوم . كم هو مخيف الوقوع بين يدى الله ! ووقوف هرون بين الأحياء والأموات حتى توقف الوبأ رمز واضح للمسيح الوسيط الذى أسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة (أف ٥ : ٢).

٤٠ - معجزة عصا هرون

(عد ١٧ ، عب ٩ : ٤)

إن عصا هرون التى أفرخت كانت شهادة من الله على أحقية هرون بالكهنوت لشخصه وفى نسله . وهنا كانت الشهادة لإسرائيل بأن التحدى الحالى لمركز هرون والامتيازات الممنوحة له كان مصدره الجسد .

لقد تم تمثيل الأسباط الاثنى عشر عن طريق الاثنى عشر عصا (كانت العصا رمزاً للسلطة خروج ٢:٤، مز ٩:٢، ١١٠ : ٢ ، رؤ ٢٧:٢) ، وقد كتبت أسماء الأسباط على هذه العصى . وقد تلقى النبى حزقيال أمراً مماثلاً أن يكتب على عصوين (٣٧ : ١٦) . ومع أن هرون لم يكن الرئيس الفعلى لبيت لاوى ، إلا أنه كالرئيس الممسوح بمسحة إلهية ، كتب هرون اسمه على عصا لاوى . ومن بين الاثنى عشر عصا ، فإن عصا هرون كانت الوحيدة التى أفرخت ، وأزهرت وأنضجت لوزاً مما يثبت الحق الشامل لسبط لاوى فى القيام بواجباته والتمتع بامتيازات الكهنوت . ومثل هذه المعجزة قد وقفت حائلاً دون أى تنافس مستقبلى على الكهنوت .

وبينما كانت الاثنى عشر عصا فى خيمة الشهادة فى الليل ، لا يراها إنسان ، دبت الحياة فى الغصن الميت . إن إفراخ العصا الجافة كان أمراً معجزياً تماماً ، لأنه لا تستطيع قوة بشرية أن تعيد الحياة والإزهار والثمر للظهور مرة أخرى . وكتذكار دائم لدينونة العصاة ودليل ثابت على كهنوت هرون ، حفظت العصا التى دبت فيها الحياة فى التابوت المقدس (١٧ : ١٠ ، عب ٩ : ٤) .

يا للأسف ، فعلى الرغم من أن بنى إسرائيل شهدوا العديد من دلائل القوة الخارقة فى النعمة والدينونة ، واختبروا مشاعر الرهبة والخوف إلا أن قلوب الناس لم تتأثر ! وبالرغم من التأكيدات الإلهية بالحماية إذا أطاعوا الله ، فإن بنى إسرائيل شعروا أنهم محكوم عليهم بالهلاك « إننا فنينا وهلكنا . قد هلكنا جميعاً . كل من اقترب إلى مسكن الرب يموت . أما فنينا تماماً ؟ » (١٧ : ١٢و ١٣).

إن إفراخ عصا هرون رمز للمسيح فى القيامة ، وهو رئيس كهنة إلى الأبد . يقول سكوفيلد : « إن كل رؤساء الديانات قد ماتوا ، ولكن المسيح دوناً عن سائرهم هو الوحيد الذى أقيم من الأموات وصار ممجداً كرئيس كهنة (عب ٤ : ١٤ ، ٥ : ٤-١٠) » . إن مثل هذا الكهنوت معبر عنه تعبيراً دقيقاً فى سفر العدد أصحاح ١٨ ، حيث يحمل هرون ذنب المقدس . لقد قام المسيح بخدمة المصالحة فيما يتعلق بالخطية وضمن القبول برغم الخدمة غير الكاملة لشعبه .

ومات هرون عند ما بلغ ١٢٣ سنة من العمر . وخلع موسى ثياب هرون الكهنوتية عنه ، وألبسها لأليعازار ابنه. وكموسى فقد حرم على هرون امتياز دخول كنعان بسبب العصيان الذى حدث فى مريبة (٢٠ : ١٠ و ١٢و ٢٤) وعلى قمة جبل حور ، مات هرون بيد الله ودفن هناك (عد ٢٠ : ٢٢ و ٢٩) .

إن المسيح يمثل كهنوتاً دائماً غير متغير (عب ٧ : ٢٣ و ٢٤) .

٤١ - معجزة الحية النحاسية

(عد ٢١ : ٤ - ٩ ، ٢ مل ١٨ : ٤ ،

يو ٣ : ١٤، ١كو ١٠ : ٩)

يبدأ سرد معجزة الحية النحاسية بقصة موجزة عن معجزة أخرى حدثت في حُرمة ، فقد قاتل ملك عراد الكنعاني ضد الإسرائيليين في أثناء ارتحالهم في البرية وأخذ منهم عددا كبيراً من الأسرى ، ونذر بنو إسرائيل أن يدمروا المدن الكنعانية دماراً كاملاً لو قاتل الله عنهم ، وهذا ما فعله (عد ٢١ : ١ - ٣) . إن النصر من عند الرب .

وقد شعر بنو إسرائيل باليأس مع تقدمهم في الرحلة ليس فقط بسبب المصاعب التي تحملوها والأخطار التي واجهوها ولكن لأنهم أعطوا ظهورهم لكنعان بدلاً من أن يتجهوا قدماً في طريق مباشر نحو الأرض . إن الشعور بالإحباط لا يعتبر خطية عادة ، ولكن الإحباط سرعان ما يجلب الشك والتمرد فيصبح المرء فريسة سهلة للشيطان « الحية القديمة » .

ولما شعر الناس باليأس تكلموا ضد الله وموسى الذي وبخوه بسبب عدم وجود الخبز والماء وعبروا عن كراهيتهم للطعام الذي أعطاهم الله إياه على مدى سنين طويلة . وقد أرسلت الحيات كعقاب بسبب تذمر الشعب (تث ٨ : ١٥، ٣٢ : ٢٤ ، عد ٢١ : ٤ - ٩) . وفيما يتعلق بالحيات المهلكة أو « الثعبان السام الطيار » فاللغة المستعملة تدل على أن الله قد جعل عدداً من نوع معين من الثعابين أن تظهر فجأة ، وقد سميت هذه « بالحيات المحرقة » إما بسبب اللون الأحمر الساطع على رؤوسها أو بسبب انعكاس ضوء الشمس الساطع على الجلد الأملس لهذه الثعابين أو بسبب المشاعر الملتهبة الناجمة عن السم المميت لهذه الثعابين السامة عندما يتسرب الى الدم .

لقد ثبت أن هذه الضربة مدمرة لأنه قد « مات قوم كثيرون من إسرائيل » (٢١ : ٦ ، ١ كو ١٠ : ٩) ، وكانت كل لدغة قاتلة حتى استخدموا الدواء الإلهي . وبعد أن أدرك الشعب أن هذا القضاء الإلهي قد حل بهم بسبب خطيتهم ، بحثوا عن موسى واعترفوا أنهم أخطأوا ضده وضد الرب . ومرة أخرى صلى موسى كالوسيط لأجل الشعب ، وجاءته التعليمات أن يعمل حية نحاسية ويضعها على راية ويخبر الشعب بأن كل من لدغته الحية عليه أن ينظر للحية النحاسية حتى يشفى ويعيش . والكلمة المستخدمة للراية التي أمر بها الرب (٢١:٨) هي نفسها الكلمة المستخدمة في اللفظ « يهوه نسي » أي « الرب رايتي أو شعاري » (خر ٧ : ١٥) .

أن مثل هذه المعجزة قادت إسرائيل لاعتبار أن الحية على الراية موضوع للعبادة ، وبعد أن احتفظوا بها وأخذوها إلى كنعان ، أصبحت تعرف باسم « نحشتان » وهو اسم يعني « النحاس العظيم » ، وكانوا يحرقون البخور لها بسبب استخدامها الأصلي في المعجزة الحقيقية. ودمر حزقيا تمثال الحية كاحتجاج قوي ضد المعتقدات البالية والعبادة الباطلة (٢ مل ١٨ : ٤) . وصليب المسيح ، الذي تمثله الحية فوق الراية قد حوله بعضهم إلى نوع من عبادة الأوثان .

في حديثه المسائي مع نيقوديموس ، استخدم يسوع الحية النحاسية المرفوعة على الراية كرمز ملائم للموت الذي كان ينتظره (يو ٣ : ١٤ ، ١٢ : ٣٢ و٣٣) ، ولشرح واف للمعنى الرمزي للحيات المهلكة والعلاج الإلهي المعين ، أحيل القارئ للأفكار المتميزة التي اقترحها فاوست أو فيربون في دائرة معارفهما . يقول أدب الأبوكريفا :

« تضايق بنو إسرائيل مدة قصيرة حتى ينتبهوا لعلامة

الخلاص . لأن الذى نظر إليها لم يخلص بسبب ما رآه بل بواسطتك أنت يا مخلص الجميع »(الحكمة ١٦ : ٥ - ١٢)

أليس هذا هو السبب ، الذى يجعلنا نردد فى ترانيمنا الإنجيلية المعبرة ، أن الخطاة عليهم ان ينظروا بإيمان إليه ، ذاك الذى مات على الشجرة ؟

إن المصريين ، الذين عاش الإسرائيليون وسطهم ، قد ربطوا بين الحية وبين الشفاء ، وكانت الحية عند قدامى اليونان رمزاً للتجديد والإحياء وكان يعتقد أن لديها القوة على اكتشاف الأعشاب الطبية .والشعار التقليدى لمهنة الطب فى عصرنا عبارة عن حية ملتفة حول راية أو عمود .

٤٢ - معجزة البئر

(عد ٢١ : ١٣ - ١٨)

بعد أن ترك بنو إسرائيل زارد وجاءوا إلى أرنون ، طلب منهم أن يتذكروا معجزة البحر الأحمر، والتى لم يكتب لها سجل فى الكتاب المقدس وحده بل فى«كتاب حروب الرب» والذى لا يعرف شئ عنه (١٤:٢١) . إن كلمة «بئر» التى تعنى «بئر محفورة» اسم لمحطة توقف فى الرحلة من أرنون إلى الأردن. ويقدم لنا موسى المؤرخ اقتباساً شعرياً يخلد فيه ذكرى حفر بئر فى هذه البقعة قام به نبلاء وأمراء الشعب . ربما نتعرف على هذا المكان قائلين إنه بئر إيليم التى تعنى « بئر الأقوياء » (يش ١٥ : ٨) .

إن الله أخبر موسى أن يعلن للشعب أنه سوف يعطيهم الماء لأنه هو القادر أن يخرج مجارى من الصخر (مز ٧٨ : ١٥ و ١٦) . فبالنسبة لله ، يسهل عليه أن يجعل الماء يخرج من باطن الأرض تماماً كما يجعله يخرج من الصخر . وحفرت البئر بناء على تعليمات موسى الذى أراه الله البقعة التى يحفر فيها . والتقليد يقول إن ذلك كان آخر ظهور للمـــاء الذى « تبع » الشعب قبل دخولهم كنعـــان (١ كو ١٠ : ٤) .

وبعد الحصول على القوة من ماء البئر ، واصل بنو إسرائيل المسيرة إلى ياهص حيث قاتلوا سيحون ملك الأموريين ، وألحقوا به الهزيمة ، وامتلكوا أرضه من أرنون إلى يبوق (٢١ : ١٩ - ٣٠) . وبعد هذا النصر الذى حققه الله لهم تبعه نصر آخر . فقد تم اللقاء مع عوج ملك باشان فى إذرعى . وحصل موسى على تأكيد بالنجدة الإلهية ، فلم يتبق أحد على قيد الحياة من شعب عوج ، وامتلك إسرائيل أرضه (٢١ : ٣٣ - ٣٥) .

وعند ذكر البركات الإلهية المقدمة لبنى إسرائيل ، يذكر موسى ضمن أشياء أخرى ، الآبار التى حفروها (تث ٦ : ١١) . ففى المناخ الحار حيث يندر الماء ، يعتبر امتلاك بئر أو نبع ماء كنزاً لا يقدر بثمن . ويتحدث بطرس عن المعلمين الكذبة بأنهم «آبار بلا ماء» (٢ بط ٢ : ١٧) .

إننا بحاجة أن ننشد للروح القدس الذى هو ينبوع الماء الحى فى المؤمن (يو ٤ : ١٤ ، ٧ : ٣٧ - ٣٩) ! هل طلبنا منه أن ينبع فينا ، هل نرتوى دواماً من هذا النبع الذى يهبنا انتعاشاً روحياً ؟

٤٣ - معجزة حمار بلعام

(عدد ٢٢ : ٢٠ - ٣٥ ، اقرأ عدد ٢٢ - ٢٤ ، ٢ بط ٢ : ١٥ و ١٦ ، يه ١١، رؤ ٢ : ١٤)

إن قصة بلعام اللافتة للنظر (عد ١١ - ٢٤) ذات علاقة بوصول إسرائيل إلى سهول موآب وصلتهم بموآب وعمون . لقد أرسل بالاق ملك الموآبيين رسلاً إلى بلعام النبى، فى فتور بالقرب من نهر الفرات ، يطلب منه أن يأتى ويلعن بنى إسرائيل الغزاة . فى البداية رفض بلعام لأن الله أخبره أن بنى إسرائيل كانوا شعبه المختار . ولكن بالاق أرسل رسلاً أعظم إلى بلعام وكرر الطلبة مع عروض بتقديم مكافآت أكبر . وهذه المرة أخبر الله بلعام أن يذهب

ويفعل ما يخبره به الله ، ثم حدثت حادثة الملاك والحمار التى يهمنا دراستها . يقول سكوفيلد معلقاً على توجيهات الله لبلعام .

« *فى عدد ١٢ نرى إرادة الله واضحة ومرشدة لبلعام ، وفى عدد ٢٠ نرى الله يسمح له بالذهاب ، فالنبى حر الآن أن يذهب ولكنه يعرف فكر الله بخصوص هذا الأمر . إن فكر الله معلن من الرب لخادمه .والإذن بالذهاب فى عدد ٢٠ يعتبر امتحاناً حقيقياً لبلعام . لقد اختار طريق الإرادة الحرة والمنفعة الذاتية والرب لا يمكن أن يوافق على ذلك. والمشهد كله ، الأعداد ٢٢ - ٣٥ ، قد أعدت بلعام لما تلا من أحداث* » .

إن الله الذى تكلم فى الحية (تك ٣) يوبخ الآن بلعام عن طريق الحمار الذى يتكلم . هذان الحدثان يعتبران من الأحداث الفريدة فى الكتاب المقدس التى تتكلم فيها المخلوقات البكماء بإعطائها القدرة على الكلام . ومن الأشياء الطريفة التى يمكن ملاحظتها أن بلعام لم يظهر أى اندهاش عندما كلمته أتانه فجأة ، ومن الأشياء الغريبة أيضاً أن الحمار استطاع أن يرى الملاك ذا السيف المسلول فى يده بينما بلعام لم يستطع أن يراه .

فنحن نرى حقاً فى هذه القصة الأدبية للتدخل الإلهى عدداً من المعجزات ، فقد أمسكت عينا بلعام حتى لا ترى الملاك الذى اعترض الطريق ثم فتحهما الرب (٢٢ : ٣١) حتى يرى الملاك واقفاً فى الطريق بسيف مسلول . أما عن الحمار فقد أعطاه الله رؤية وقدرة على الكلام ، لأنه « رأى الملاك » (٢٢ : ٢٥ و ٢٧) ، ثم فتح فمه ليتكلم (٢٢ : ٢٨). قد يضحك الملحدون والعصريون على هذه المعجزات جاهدين أن يحدوا الله بحدود النواميس الطبيعية ويسخروا من أى وعد بأنه يستطيع أن يتدخل فى مسار الأحداث ليجرى معجزة أو ليتم نبوة أو ليستجيب صلاة . ولكن الإيمان الحقيقى يدرك أن جعل الحيوان يتكلم ليس بالنسبة لله أكثر إعجازاً من جعل الأعمى يبصر أو الأصم يسمع (١ كو ١ : ٢٧) . وفى هذه الحادثة اختار الله كائناً من أغبى مخلوقاته ليوبخ الأقوياء ، وكلما كانت الوسيلة لتوبيخه مقززة كلما كان وقع التوبيخ أشد على بلعام العاصى .

أما فيما يتعلق بمعجزة الحمار الذى يتكلم ، فنحن لا نقبل للحظة واحدة النظرية القائلة إنه « بالتأثير على روح بلعام ، جعله الله يفسر الأصوات غير المنطوقة للحيوان » . أما فيما يتعلق بفهم الحمار للرسالة التى بلغها فهذا موضوع آخر . وربما لم يحدث مع الحمار ما يحدث بالنسبة للببغاوات أو الطيور المدللة حين تنطق بكلمات أو عبارات لا تفهمها . إن السبب المناسب الذى يجعل الحمار يتكلم بصوت إنسان ، معبر عنه بالقول -«فتح الرب فم الأتان»- وعندما يفتح الله الفم ، يستطيع الحمار أن يتكلم كالإنسان .

ونحن نؤمن إيماناً شخصياً بما قاله فيربارن Fairbairn : «إن الحقيقة التاريخية البسيطة لا يجب أن تربك أولئك الذين يؤمنون أن الحية تكلمت مع حواء : فإذا أتيح لمخلوق أن يتكلم كأداة للشيطان ، فمخلوق آخر يمكنه أن يفعل نفس الشئ كأداة لملاك العهد العظيم .. لقد اختير حمار ، لكى يوبخ ، بسلطان إلهى ، اشتياق بلعام وطمعه فى الحصول على مكافأة ، بأن وهب الله للأتان منطقاً بشرياً ونطقاً خاصاً بهذه المناسبة ، فكر فى ذلك ،إن الحيوان الأبكم يوبخ النبى الملهم ، فطاعة الحيوان الغريزية تقف على طرفى نقيض مع عصيان الرائى الموهوب الذى اختار أن يسلك على هواه .

إن هذه المعجزة كانت ضرورية لإقناع بلعام أن الفم واللسان يجب أن يكونا خاضعين للتوجيه الإلهى ، وأن نفس هذه القوة الإلهية التى جعلت الحمار يتكلم خلافاً لطبيعته ، استطاعت أن تجعل بلعام بنفس الطريقة أن ينطق

ببركات مضادة لدوافعه وميوله الشخصية . ولدراسة شخصية بلعام الذى يعتبر تجسيداً لخداع النفس ، فعلى القارئ أن يلجأ لكتاب المؤلف «كل رجال الكتاب المقدس». يكفى هنا أن نقول إن تاريخه يقدم مثالاً على أهمية مقارنة أقوال الكتاب بعضها ببعض . ولكى نأخذ فكرة متكاملة عن شخصيته ، علينا أن نقارن ما قاله العهد القديم عن بلعام بما قاله بطرس الذى يخبرنا عن الدافع الذى حرك بلعام ليفعل ما فعله (٢ بط ٢ : ١٣) ، وبما قاله يهوذا الذى يخبرنا عن مقدار سيطرة الطمع على قلب بلعام (يه ١١)، وما قاله يوحنا الذى يلفت أنظارنا بنوع خاص لحقيقة بارزة تتعلق ببلعام وهى أنه علم بالاق أن يلقى معثرة أمام بنى إسرائيل مما تسبب فى هلاك ٢٣٠٠٠ شخص منهم فى يوم واحد (عد ٢٥ : ١ - ٩ ، رؤ ٢ : ١٤ ، ١كو ٨:١٠) ، والعدد الكلى للموتى بالوبأ كان ٢٤٠٠٠ شخص .

٤٤ - معجزة مضايقة المديانيين

(عدد ٢٥ ، ٣١)

المديانيون هم نسل الابن الرابع لإبراهيم من قطورة (تك ٢٥ : ٢) ، وكانوا يتحكمون فى أرض المراعى الخصبة فى سيناء ، وقد بيع يوسف للمديانيين . وكانت صفورة زوجة موسى من المديانيين . فى البداية كان المديانيون أصدقاء لإسرائيل ، ولكنهم بعد ذلك أغروا الشعب على الاتجاه للعبادة الوثنية وأصبحوا معادين لبنى إسرائيل ، ولأنهم من نسل إبراهيم كان المفروض أن يخافوا الله ويطيعونه ويظهروا قدراً من المعاملة الحسنة واللطف نحو بنى إسرائيل حيث أنهم من أقاربهم . وقد أمر موسى أن يضايق المديانيين ويضر بهم ، وقد صب الله غضبه وعقابه على خطايا ارتداد الشعب وعلى انصياعهم وراء الوثنية (مز ١٠٦ : ٢٨ و ٢٩) .

وعلى الرغم من أن بنى إسرائيل قد هزموا المديانيين بقيادة موسى (عد ٣١) ، إلا أن النصر الكامل قد حققه جدعون الذى هزمهم بطريقة معجزية كما سنرى فيما بعد (قض ٦ و ٧ ، إش ٩ : ٤ ، ١٠ : ٢٦ ، مز ٨٣ : ٩).

وبناء على أمر الله هزم ١٠٠٠ مقاتل من كل سبط من أسباط إسرائيل ، أى ١٢٠٠٠ مقاتل الملوك الأوائل لمديان بسبب إغرائهم لبنى إسرائيل على ارتكاب الخطية ، فقد تم ذبح كل طفل ذكر وكل امرأة اضطجعت مع رجل . وتم حرق المدن والحصون (٣١ : ١٧). وتم تقسيم الغنيمة بين الإسرائيليين .

وعندما نتأمل فى قلة عدد المقاتلين الإسرائيليين والنصر الذى تم تحقيقه على الأعداء الذين يفوقونهم عدداً وعتاداً (على الرغم من أن الإسرائيليين هاجموهم وهم فى حالة عدم استعداد للدفاع عن النفس) إلا أن حقيقة عدم قتل أى مقاتل إسرائيلى (٣١ : ٤٩) يثبت أن الله تعهد أن يمنح شعبه معونة فائقة للعادة وحماية من لدنه .

بقيت كلمة فيما يختص بالوبأ الذى قضى على بقية الجيل الذى خرج من مصر (١:٢٦ - ٤ ، ٣٢ : ١١) والأوبئة الأخرى التى أهلكت الشعب . فى حالات عديدة ، لا يذكر طبيعة الوبأ بالضبط ، فقد يكون نوعاً من الإعياء المفاجئ القاسى أو الخطير أو المرض أو الموت (عد ١١ : ٣٣ ، ١٦ : ٤٧ ، ٢٥ : ٩، حز ٦ : ١٢) . وفى بعض الحالات ، ضُرب عدد قليل على سبيل التحذير . ومعنى كلمة « وبأ » أى «ذلك الذى يخطف» . وعادة فالطاعون أو الوبأ يمثل ضربة من يد الله ، ومثل هذه الظواهر العقابية تدل على عمل من أعمال الله بسبب شدتها وحدوثها المفاجئ وغموضها . ومطوب أولئك الذين يجدون الأمان تحت ظل جناح القدير (مز ٩١ : ٣ و ٦) .

٤٥ - معجزة موت موسى

(تث ٣٤ ، يه ٩)

بعد موجز مبسط لارتحال بنى إسرائيل من مصر إلى

الأردن وإعلان التعليمات الإلهية للدخول إلى أرض الموعد والمعيشة فيها ، نجد البركة التى يمنحهــا موسى للأسباط (عـدد ٣٢ - ٣٦ ، تث ١ - ٣٣) .فـقـبل مـوتـه ، عين مـوسى يشـوع ليـخلفـه (٣١ : ١٤ و ٢٣) ، ثم نجـد تسجيلاً للرؤيا التى أتاحها الله لموسى وموته (تث ٣٤).

لم يتح لأى مخلوق هذا الامتياز العظيم أن يكون نائباً عن الله لاستعراض كل هذه المظاهر للقوة الخارقة للعادة . لقد عاش موسى فى جو المعجزات وكانت نهايته متفقة مع حياته . وبادئ ذى بدء كانت هناك القوة الخارقة لعمق رؤى مـوسى ، فكمـا رأى يسـوع ممالك العـالم (لو ٤ : ٥) ، رأى موسى الأرض الشـاسعة التى كان يتعين على شعب إسـرائيل أن يمتلكهـا ، وبسـبب روح التـذمـر التى أظهـرها موسى عند ما ضرب الصخرة والتى أسماهـا الله عصياناً (عـدد ٢٠:٨-١٣ ، ٢٧ : ١٤) ، رأى مـوسى الأرض ولكن لم يسمح له بدخولها .

لقد كان يتوق من أعماق قلبه أن يتخطى الحدود إلى هناك ، ولكنه امتثل باتضاع للأمر الإلهى (تث ٣ : ٢٤ - ٢٧، ٣٤ : ٤) . ومع ذلك فعلى جبل نبو ، فى سن الـ ١٢٠ حين « لم تكل عينه ولا ذهبت نضارته » (تث ٣٤ : ٧) ، شهـد مـوسى (الذى ورد اسمـه ٨٠٥ مـرة فى الكتاب المقدس) منظراً عاماً لكل أرض كنعان حيث أراه الرب ، جميع الأرض من جلعاد .. وحتى البحر، فكم كان موسى يشعر بالإثارة لهذه الرؤيا المجيدة .

ثم حدثت معجزة موت موسى ودفنه ، والكتاب المقدس لا يذكـر لنا كـيـف مـات أعظم نبى فى إسـرائيـل (تث ٣٤:١٠) . كل ما نعرفه أن موته كان « وحســـب قول الرب» (٣٤:٥)، وهى عبارة تعنى حرفياً « بناء على فم الرب » أو كما عبر عنها أحد معلمى اليهود « بقبلة من الرب » (انظر نشـيـد الأنشـاد ١ : ٢) . يقـــول اليكوت : « لقد ظل موسى معتاداً لسنين عديدة أن يتمم كل شئ بناء على أمر صادر من فم الرب » « وغلطة قاتلة واحدة فقط قد شوهت سجل الطاعة ، فبسبب عمل واحد من أعمال العصيان رقد موسى ومات بناء على أمر الرب فى صـمت رائع » ، ثم نقـرأ القـول إن الله « دفنه فى الجـواء » (٣٤ : ٦) . وهو الوحيـد من بنى البشر الذى نال هذا التكريم . لقد دفن يسوع أصدقاؤه ولكن الله تكفل بدفن موسى.وقد نقل فيما بعد ، لأنه ظهر مع إيليا ويسوع على جبل التجلى (متى ١٧:١-١٠) . ولذلك لم يوجد قبره . وناح بنو إسرائيل على موسى ثلاثين يوماً . إن سبب مراحم الله نحو إسرائيل تذكره لموسى (إش ٦٣ : ١١).

هناك عبارة غامضة ليهوذا عن الشيطان محاجاً مع ميخائيل رئيس الملائكة ، لأجل جسد موسى (عدد ٩) ، وقد أكد يوسيفوس أن الشيطان قاوم قيامة موسى على أساس خطيئته التى ارتكبها (زك ٣ : ٢) ، والكتاب المقدس لا يذكر متى حدثت هذه المقاومة . ولكن مقاومة الشيطان لأجل جسد موسى لم تفلح لأنه ظهر فى الجسد على جبل التجلى ، ولو كان روحاً بلا جسد لم أمكن لعين بشر أن تراه . وقد تمت الإجابة على السؤال الغريب « لماذا أراد الشيطان جسد موسى ؟ » بعدة طرق . فعلى سبيل المثال : (١) ليجعله موضوعاً للعبادة الوثنية. فربما عرف الشيطان ، الذى كان له سلطان الموت(عب ٢ : ١٤) وهذا لا يعنى أنه يستطيع أن يضرب أى إنسان بالموت كما يحلو له ، ولكنه كان أداة لإدخال الموت إلى العالم (يو ٨:٤٤) .

إن بنى إسرائيل من المرجح أن يعبدوا مثل هذا الجسد المبجل . فكم كان يمكن أن يكون مثل هذا الجسد شركاً وفخاً؟

(٢) ثم إن الشيطان أراد الاحتفاظ بجسد موسى كواحد من أتباعه كقاتل ، لأنه كان قد قتل المصرى (خر٢: ١٢). ومع ذلك ، فقد حمى الله بقاياه الثمينة ومجَّدها.. وعلى الجبل فإن رعود سيناء قد أفسحت الطريق لذلك الصوت الرقيق الهادئ «ليسوع وحده»(مت ١٧ :١- ٨).

٣ / معجزات الأسفار التاريخية

١ - معجزة عبور نهر الأردن

(يش ٣ : ٧ - ١٧ ، ٤ ، مز ١١٤ : ٣)

أن يدفن الله خادمه ويستمر في تنفيذ عمله واضح في خلافة يشوع لموسى (١ : ٢) . فكشاب تحمل يشوع العمل الشاق وسط قمائن الطوب في مصر ، وفي مقتبل حياته فإن صفاته وسجاياه الفريدة قد أظهرت لموسى بالروح القدس . لقد تعلم يشوع أن يحكم بالطاعة أولاً ، ثم جاء ليحكم لأجل الله . لقد تعلم أن يأمر في حياته المقبلة بالطاعة عند ما كان شاباً .

و«كخادم لموسى» ، اصطحب يشوع سلفه إلى جبل الله ، لقد كان التابع الأمين لموسى والرفيق الشخصي له في حياته ، وكان مؤتمناً على كل ما كتبه موسى . وقد أحضر مع كالب تقريراً جيداً عن كنعان ، وقد شجعا كلاهما إسرائيل ألا يخشيا السكان لأن الرب كان مع إسرائيل . وكان الشعب على أهبة الاستعداد لرجم يشوع وكالب ولكنهما أنقذا بمعجزة ، أما الجواسيس العشرة الآخرون فقد ضربوا بالوبأ وماتوا .

وبتوجيه إلهي ائتمن موسى يشوع ليكون خليفة له وقد أعد للمنصب الذي كان قد سبق أن دعي إليه (تث ٣١ : ١٤ - ٢٨) . وقد وضع الله خاتمه على انتخاب يشوع بإعلان حضوره في عمود السحاب (عد ١١ : ٢٥ ، ١٢ : ٥) ، وجاء الشعب لتكريم يشوع كما فعلوا مع موسى وتحت قيادته اقترب بنو إسرائيل من تحقيق المثل الأعلى كشعب الله (يش ١١ : ١٥ ، ٢٤ : ٢٤) .

لقد شهد يشوع حفظ الله لشعبه في مصر وكان مع موسى في البرية وكان ملماً بالتدبير الإلهي للشعب وتزويده بكل احتياجاته ، والآن كان عليه أن يصبح هو ذاته القناة التي يتدخل الله بواسطتها لإظهار قوته لصالح شعبه ، وقد كان أثر المعجزات بقيادة يشوع أن حفظت كل جيله أميناً لله ، فقد كانت معجزات حقيقية ومؤثرة ، كما سنرى فيما بعد (٢٤ : ٣١ ، قض ٢ : ٧) .

وبعد سجل تكليف يشوع بالمهمة وإعطائه الأمر بقيادة الشعب ، نأتي إلى المعجزة الافتتاحية في غزو كنعان عند نهر الأردن . فقد تلقى يشوع وعداً بالعون الإلهي والصحبة الإلهية لتنفيذ مهمة الغزو (١ : ٣ و ٥) ، وكانت المسيرة من شطيم إلى الأردن ، هي أول مسيرة بقيادة يشوع ،الذي بعد أن أعطى أوامره المبدئية للكهنة والشعب، تلقى تشجيعاً بطاعتهم لأوامره . وقد استخدم الشعب نفس الكلمات التي أعطاها الله ليشوع « تشدد وتشجع » (١ : ٩ و ١٨) .

ثم حدثت المعجزة ، فبمجرد أن انغمست أرجل الكهنة في ضفة المياه والأردن ممتلئ إلى جميع شطوطه ، وقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت نداً واحداً . وأصبح مجرى النهر جافاً على قدر مرمى البصر . ووقف الكهنة في مجرى النهر الجاف حتى عبر جميع شعب إسرائيل . فبدلاً من أن تفيض المياه إلى الخارج كما تفعل عادة ، فإن الله جعل المياه تقف - وهو ما لا يمكن أن يحدث من تلقاء ذاته (٣ : ١٣ ، مز ١١٤ : ٣) .ومثل هذه المعجزة مذهلة لأنه في ذلك الوقت من السنة ، كان نهر الأردن يغرق جميع شطوطه نتيجة لفصل أبريل المطير وذوبان ثلوج جبل حرمون (٣ :١٥و ١٦، ٤ :١٨ و ١٩، ٥ : ١٠ و ١٢). لقد كان الأردن مراراً كثيرة المكان الذي شهد قوة الله . لقد شُق ثلاث مرات بمعجزة .

ولكون يشوع حاضراً عندما عبر شعب إسرائيل البحر الأحمر ، فإنه يشترك الآن فى شق آخر للمياه يمثل معجزة أخرى . وقد أثبتت هذه المعجزة الأولية أن الله كان مع يشوع كما كان مع موسى ، وقد ثبتته كالقائد المنتخب من الله لقيادة إسرائيل لقد كان يوماً لتكريمه (١ :٥، ٣ :٧) ، وتشجع الشعب أيضاً ولكن الروح المعنوية للكنعانيين وصلت إلى الحضيض (٥ : ١) .

إن تجفيف مياه البحر الأحمر والأردن يمثل نموذجاً جميلاً، ففى سفر المزامير يتم ذكرهما جنباً إلى جنب (مز١١٤: ٣ و٥) . فعن طريق موت الرب يسوع فإن شعبه :

١ - *تحرر من عبودية مصر وأنقذ من يد أعدائه « أنقذنا من سلطان الظلمة »* .

٢ - *تم اقتياده إلى الميراث الذى وعد به والذى أصبح ملكاً لهم بقيامته - « نقلنا إلى ملكوت ابن محبته »* (كو ١ :١٣) .

ثم نصب كومة حجارة على كل جانب من جانبى النهر لتكون علامة على المكان الذى عبر فيه بنو إسرائيل ، بعد أخذ حجر من كل سبط ليمثله لتوضع الحجارة على جانبى الأردن (٤ : ٣ و ٨ و ٩) ، وهكذا فقد كانت كومتا الحجارة تمثلان إسرائيل الكامل فى البرية وإسرائيل الكامل فى أرض الميعاد .« بهذا تعلمون أن الله الحى فى وسطكم». إن الحجارة فى الأردن ، تمثل رمزياً ما جاء فى مز ٢٢ : ١ - ١٨ (انظر مز ٤٢ : ٧ ، ٨٨ : ٧ ، يو ١٢ : ٣١ - ٣٣) .

والأمر الصادر إلى الكهنة أن يصعدوا من الأردن (٤ : ١٦) حدث هام يستحق ملاحظة خاصة . يقول اليكوت : « يحسن بنا ألا ننسى كيف تراجع نهر الأردن ووقف كند واحد » ، وهذا التراجع لم يقصد به أن يكون دائماً ، وهذا يذكرنا أن تعليق سلطان الموت له حدود يقف عندها ، فحالما ينتهى يوم النعمة ، سوف «تعود المياه إلى مكانها وتغمر كل الضفاف كما كانت من قبل» (انظر إش ٢٨ : ١٦ - ٢٠) . وبعد عبور إسرائيل نهر الأردن بعد ١٣٠٠ سنة ، عُمِّد يسوع فى مياهه . وهكذا «فالنهر الذى لم يكن فى يوم من الأيام نهراً يهودياً كبيراً قد أصبح نهراً مسيحياً عظيماً » لأن نهر الأردن المسيحى يرمز للموت مع المسيح (رو ٦ : ٦ - ١١ ، أف ٢ : ٥ ، ٦ ، كو ٣ : ١ - ٣).

٢ - معجزة الظهور الإلهى

(يش ٥ : ١٣ - ١٥ ، أع ٧ : ٣٣ ، عب ٢ : ١٠)

قبل أن ينتصر بنو إسرائيل فى كنعان ، كان لابد من إزالة « عار مصر » ، ولذا فقد حدث الاختتان الجماعى لكل الذكور المولودين فى سنوات الارتحال فى البرية . فالشعب قد « رجعوا بقلوبهم إلى مصر » (أع ٧ : ٣٩ ، عد ١٤ :٤) ، وحملوا عار ارتداد كل تلك السنوات الضائعة . لقد أزيلت علامة العهد - الختان - فأصبحوا كما لو لم يكونوا شعب الله من قبل . ولكن المعجزة التى حدثت فى الأردن كانت الدليل العملى على عودة إسرائيل للحظيرة الإلهية ، ولذا فقد كان لابد من استرداد صلة العهد . وكان من الممكن الاحتفال بالفصح مرة أخرى لأن الناموس يقول : إن «كل أغلف لا يأكل منه » (خر ١٢ : ٤٨).

وعندما دخل الشعب كنعان ، توقف المن السماوى (٥ :١١ و ١٢) ، وجلبوا من المحصول الجديد للأرض إلى المحلة بعد توقف المن السمارى . ولإعداد يشوع للمهمة الثانية العظمى (أى دخول كنعان) ، فقد أتيح ليشوع مشاهدة تلك الرؤيا الإلهية لتلك الشخصية التى يجب أن نرقبها جيداً ، والذى أعلن عن ذاته كرئيس جند الرب . والآن نرى يشوع يقدم العبادة والاحترام لمن يستحقها . هذه الرؤيا لها صفة الإعجاز ، فهنا نرى أحد تجليات ابن الله كرئيس جند الرب ، التى تظهر أنه رب الخروج

(٣ : ٥) ، والذى ظهر لموسى فى لهيب نار فى العليقة المشتعلة بالنار . والآن إذ يبدأ يشوع أعظم عمل فى حياته ، فإن الرئيس والقائد يظهر ليقود الشعب إلى كنعان (انظر عب ٢ : ١٠) .وقد فتحت عينا يشوع ليتفهم حقيقة الرجل الممسك بالسيف المسلول . علامة النصر .

ومما يثبت أن الرؤيتين (خر ٣ : ٥ ، يش ٥ : ١٣ - ١٥) لشخصية واحدة صدور نفس الأمر فى كلتا الحالتين « اخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذي أنت واقف عليه هو مقدس » . فامتثل يشوع للأمر فى الحال ، وباحترام لائق تعرف على القائد الذى يجب أن يخضع له . فلم يعد الرب هنا الذى يتألم مع شعبه ، فهو يقف مستعداً لأن يقودهم إلى الأرض الموعودة ، وعلى بنى إسرائيل وقتئذ أن يتطلعوا إليه ليس كحليف أو كخصم بل كالقائد العام لمسيرتهم .

وكما سوف نرى ، فإن حروب بنى إسرائيل فى كنعان قيل عنها إنها « حروب الرب » . إن دخول الأرض لم تكن فقط مهمة قام بها الشعب بقيادة يشوع كالقائد العسكرى . إن مثل هذا الغزو كان غزواً إلهياً استخدمت فيه وسائط بشرية . وكان على يشوع أن يكون خاضعاً تماماً للقائد السماوى الذى كان على وشك أن يقاتل ليس لأجل إسرائيل أو ضد أعداء إسرائيل بل لصالحه الخاص ، ومع إسرائيل كحليفه . إن المهمة التى أمامهم لم تكن مهمة يطلب فيها بنو إسرائيل إرشاداً إلهياً ومعونة . لقد كانت مهمة القائد ، مهمة سيفه المسلول ، وكان على يشوع وإسرائيل أن يكونا فريقاً مع جنده لإخضاع الكنعانيين .

٣ - معجزة أريحا

(يشوع ٦ انظر يشوع ٢)

أمامنا هنا أول أمر لرئيس جند الرب وهى أن يحاصروا أريحا . إن مدينة النخل هذه (تث ٣٤:٣) كانت استراتيجياً مفتاح تلك الأرض لكونها تقع عند ملتقى ممرين فى التلال ، أحدهما يؤدى لأورشليم والآخر لعاى وبيت إيل . ولذلك كانت أريحا الهدف الأول لهجوم إسرائيل والإطاحة بها ، وكانت مقدمة مناسبة لغزو كنعان وفتحها ، والذى كان على الشعب أن يعتمدوا فى تحقيق ذلك على السيف المسلول لرئيس جند الرب (انظر تث ٢٠ : ١ - ٤) .

لقد حاول العصريون أن يفسروا معجزة أريحا كظاهرة طبيعية . فالمنطقة ، كما يقولون ، كانت معرضة لهزات أرضية ، وقد حدثت إحداها بينما كان الكهنة يدورون حول أسوار المدينة . ولكن صيحات الأبواق وصرخات الجماهير لم تكن كافية لإحداث الاهتزاز المدمر الذى يطيح بالأسوار الضعيفة البنيان . يقول كريسستوم : « إن الابواق ، حتى وإن صاحت لمدة عشرة آلاف سنة ، لن تستطيع أن تسقط الأسوار ، ولكن الإيمان يستطيع أن يفعل كل هذه الأشياء » .

إنها حقيقة لا سبيل لإنكارها أنه عند ضرب الأبواق المأخوذة من قرون الكباش ، سقطت الأسوار باستثناء الجزء الذى كانت تعيش فيه راحاب ، والحفريات تؤكد رواية الكتاب المقدس . ومع أن الرب استخدم بعض الوسائل البركانية (مز ١١٤) ، إلا أن سقوط الأسوار لم يكن أقل إعجازاً . فلم يتم استخدام أى مهارة حربية أو أى بسالة ليشوع لتحقيق هذا الإنجاز . لقد كانت أوامر القائد الإلهى واضحة جلية ، فقد كان على كل جنود إسرائيل المسلحين أن يدوروا حول الأسوار لمدة ستة أيام متعاقبة . وفى اليوم السابع كان عليهم أن يدوروا حول المدينة على هذا المنوال سبع مرات ، والكهنة حاملين تابوت الرب - رمز حضوره فى وسطهم . كان على الأبواق أن تضرب دليلاً على سلطان الله (انظر ١تس ٤ : ١٦) . والسير حول أريحا فى صمت مطلق كانت عملية محسوبة جيداً للتأثير على السكان وتلقينهم درس طول أناة الله . وعند انتهاء المسيرة

وسماع آخر صيحة للأبواق ، مزق صياح الشعب السكون المحيط بالمدينة ، وسقطت الأسوار إلى الأرض ، ودخل شعب إسرائيل المدينة .

لقد تم الاستيلاء على أريحا من قبل الرب ، وهكذا أدرك الشعب في بداية غزوهم لأرض يسكنها جبابرة البأس . لقد تمت المعجزة دون بذل أي جهد من جانب إسرائيل ، وقد بينت أن احتلال الأرض كلها كان هبة من الله وكان يستدعي الاعتراف بفضله . وقد حدثت دلائل أخرى على قوة الله في أريحا في عصور لاحقة مثل شفاء المياه بواسطة أليشع واسترداد البصر لبرتيماوس .

بعد الكارثة التي حلت بأريحا ، أصبحت مدينة حلت عليها اللعنة . وسبب النطق باللعنة على كل من يحاول إعادة بنائها (٦:١٧و ٢٦) ، كما يقول البروفيسور ستانلي « لقد كانت مدينة قوية جداً لدرجة أنه كان لا يصح تركها لتحتلها أي قوة معادية يمكن أن تمتلكها » .وأول من أصابته اللعنة كان حيئيل البيتئيلي في عهد الملك آخاب (١مل ١٦ : ٣٤) . ويبدو أن مثل هذه اللعنة قد أزيلت بوساطة أليشع بناء على توسلات السكان (٢ مل ٢ : ١٨ - ٢٢) .

وطبقاً للوعد ، تم إنقاذ بيت راحاب . فالمرأة التي كانت من قبل زانية استندت على المواعيد الإلهية ، ولذا لم تهلك مع العصاة (عب ١١ : ٣١) . لم تكن خائفة من غضب الملك وهكذا برهنت على إيمانها بأعمالها (يش ٢ : ٢١) . فعن طريق إيمانها ، حصلت على النجاة ، ليس فقط لشخصها بل لكل أهل بيتها . إن هذه الكنعانية التي ألقت قرعتها مع شعب الله ، تزوجت سلمون الإسرائيلي وأصبحت جدة لداود ومن ثم للمسيح (مت ١ : ٥). وعلى الرغم من أنها أممية من جنس كنعان الذي حلت عليه اللعنة ، فقد أصبحت أول من دخل من الأمميين إلى كنيسة الله .

لا يمكننا أن نترك معجزة أريحا بدون أن نلاحظ معجزة النعمة التي لابد أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين كان يفكر فيها عندما ذكر قائمة بأبطال الإيمان في إسرائيل . فهو يتحدث عن الشعب الذي اجتاز بالإيمان في البحر الأحمر كما في اليابسة ، الأمر الذي لما شرع فيه المصريون غرقوا (عب ١١ : ٢٩) ، ولكن العدد الذي يليه يتطرق لحادثة حدثت بعد ذلك بأربعين سنة حين يقول « بالإيمان سقطت أسوار أريحا بعد ما طيف حولها سبعة أيام » (عب ١١ : ٢٩) ، ولا يسرد كلمة واحدة عن رحلات البرية . فإله النعمة قد تغاضى عنها كلها « لن أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد » (عب ١٠ : ١٧) .

وبالنسبة لنا ، فدرس دمار أريحا بغير تدخل بشرى يعلمنا أن « أسلحة محاربتنا ليست جسدية ، بل قادرة بالله على هدم حصون » - مهما كانت مناعتها .

٤ - معجزة عاي

(يشوع ٧ و ٨)

هناك من يشكون في حدوث معجزة في عاي ، ومع ذلك فكل ماورد في قصة عاي ينطق بحدوث معجزة ، فالرب هو الذي سمح بهزيمة إسرائيل والذي بعد أن « رجع عن حمو غضبه » (٧ : ٢٦) دفع ملك عاي بيد يشوع (٨ : ١) ، وهو الذي أمر يشوع أن يمد المزراق الذي بيده نحو عاي (٨ : ١٨) . ورئيس جند الرب كان يعلم كل شئ عن سر عخان (٧ : ١٠و ١١) . وكان هو الذي أمر بافتضاحه وعقابه . لم يكن بالطبع شئ معجزي في موت عخان وعائلته كما كان في حالة قورح وقومه .

إن عاي كمدينة كنعانية ملكية ، كانت صغيرة مما حدا بيشوع أن يقدر أن ألفي رجل أو ثلاثة آلاف رجل فيهم الكفاية أن يأخذوا مدينة بمثل هذه المساحة المحدودة والدفاعات الضعيفة (٧:٣) ، ولكن ثقة يشوع لم تكن في محلها ، وهزمت إسرائيل في الهجوم على عاي ، ليس

كنتيجة لسوء تقدير يشوع ولكن بسبب الخطية التى ارتكبها عخان ، الذى كان سبباً فى انتشار الخوف والبلبلة فى صفوف الإسرائيليين كعقاب عادل .

كانت خطية عخان هى الطمع . فعندما حرمت أريحا بكل ما فيها ، فإن عخان وحده هو الذى تحدى هذه اللعنة واشتهى وأخذ وخبأ « رداء شنعارياً نفيساً ومئتى شاقل فضة ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلاً » (٧:٢١) . يقول فاوست : كانت أريحا باكورة غنيمة كنعان ، قدساً للرب ، وكان يجب إنزال العقاب بخطية الطمع الدنس لاشتهاء وامتلاك ممتلكات أريحا منذ البداية لئلا تفسد الخطية فى حالة انتشارها الهدف الذى أعطيت لأجله كنعان لإسرائيل .

وفشل محاولة إسرائيل فى الاستيلاء على عاى والحصول على أنصبة تحت قيادة الرب ، أدى إلى خطية عخان التى أدت بدورها لهزيمة إسرائيل (انظر جامعة ٩ : ١٨) .

وما أن أنزل العقاب بالخطية حتى تم الاستيلاء على المدينة وتدميرها بحيلة (٧ : ٢ - ٥ و ٨) . وموت عخان صرف غضب الرب وفتح باب الدخول إلى أرض الميعاد . إن مثل هذا العقاب السريع كان دليلاً على أن الله لا يحابى بالوجوه . فمع أن عخان إسرائيلى ، إلا أنه هلك وأصبح اسمه الذى يعنى « المسبب للمتاعب » رمزاً يدل على تاريخه الذى ينبر على حماقة وبشاعة خطية الطمع . لقد أحرقت عاى بالنار (٨: ١٩) ، كما حدث لأريحا وحاصور(٦ : ٢٤ ، ١١ : ١١) .

لقد أثير سؤال عما إذا كان عخان قد هلك بمفرده أم أن عائلته قد هلكت معه . يؤكد بعض الكتّاب أن أولاد عخان لا يمكن أن يكونوا قد تألموا معه وفقاً للناموس (تث ٢٤ : ١٦) ، ما لم يكونوا شركاء معه فى الذنب ، مما لا يوجد دليل عليه . ولو أن عائلته هلكت معه ، لكانت رجمة الحجارة قد شملتهم أيضاً ، بينما الكتاب يقول : «وأقاموا فوقه رجمة حجارة »، ولكن فحوى النص يدل على أن عائلته قد هلكت معه . « هو رجل لم يهلك وحده بإثمه » (يش ٢٢ : ٢٠) . فالتحذير ناطق بأن الرجل الذى يدخل رجساً إلى بيته يكون محرماً مثله (تث ٧:٢٦) ، وأنه يجعل محلة إسرائيل محرمة أيضاً (يش ٦ : ١٨) ، ولذلك فقد هلك كل بيت عخان كما لو كان جزءاً من أريحا (انظر ١أخ ٢ : ٧) .

وشدة العقاب الذى سمح به الرب لا يصح أن يقلق أفكارنا عندما نتذكر أن بنى إسرائيل بقيادة الرب ، قد دخلوا كنعان ليمتلكوا أرضاً قد تركها سكانها ليس لمجرد الاستيلاء على غنيمة بل لأجل مجد الرب ، وهكذا فقد تم تذكير الشعب أن الله الذى صنع كل شئ لديه القوة على تدمير عائلة بأسرها أو أمة بسبب خطية إنسان واحد (٢ مل ٢٣ : ٢٥ - ٢٧). ولم تكن الرحمة ممكنة إزاء جريمة عخان ، لأنه لو تم التعامل برحمة مع خطيته لكان فى ذلك ظلم للجنس البشرى قاطبة . ومع ذلك فقد سادت النعمة لأن « وادى عخور» ، « أصبح باباً للرجاء » (١أخ ٢ : ٧ ، إش ٦٥ : ١٠ ، هو ٢ : ١٥). فلأجل بنياننا ، فإن خطية عخان ونتائجها تعلمنا الحقيقة الرائعة الخاصة بوحدة شعب الله « قد أخطأ إسرائيل » (٧ : ١١). يالها من فكرة تدفعنا للسلوك بالتدقيق . إن عمل المسيح يمكن أن يلحق به الضرر نتيجة إهمال وخطية وعدم روحانية مؤمن واحد فقط !

٥ - معجزة جبعون

(يش ١٠ : ١ - ١١)

مرة أخرى نجد رئيس جند الرب يصدر أمراً بالهجوم على جبعون كما فعل فى كل الخطوات الهامة للاستيلاء على كنعان ، وهو الذى أعطى لإسرائيل الانتصار على الجبعونيين (١٠: ٨-١١). وبينما كان أهل كنعان

يستعدون للمعركة الفاصلة مع يشوع فوجئوا بأن جبعون وهي مدينة عظيمة «كإحدى المدن الملكية وهي أعظم من عاي »، تعقد صلحاً مع يشوع . وبعد أن أهمل يشوع استشارة قائده السماوي ، عقد معاهدة دون أن يسأل من فم الرب (٩ : ١٤).

وبعد أن تنكر الجبعونيون في ملابس رثة وزقاق خمر بالية وخبز يابس ، وتظاهروا بأنهم قد جاءوا من بلاد بعيدة ليعقدوا صلحاً مع إسرائيل المنتصرة ، ولأن الإسرائيليين لم تكن لديهم خبرة بالثياب الرثة ولا الخبز الجاف (تث ٢٩ : ٥ و ٦) ، فبعد أن شاهدوا الحالة التي يرثى لها والتي كان عليها الجبعونيون ، فقد انطلت عليهم الحيلة وقطعوا لهم عهد الأمان عن طريق الخديعة . وعندما أدرك يشوع أنه قد خدع ، حكم على الجبعونيين بأن يعملوا عنده كعبيد.فبعد أن أقسم لهم يشوع أوفى بقسمه (مز ١٥:٤، جا ٥ : ٢ ، انظر ٢ صم ٢١ : ٢ - ٦) .

بعد أن سمع أدوني صادق ملك أورشليم بانتصار يشوع في أريحا وفي عاي ويعقد الصلح بين جبعون ويشوع ، خاف وعقد تحالفاً ، فتحالف هوهام ملك حبرون ، وفرآم ملك يرموت ويافيع ملك لخيش ، ودبير ملك عجلون مع أدوني صادق ونزلوا على جبعون وحاربوها . وإذ خاف الجبعونيون أن يقوم هؤلاء الملوك الخمسة ويطلبوا إبادتهم بسبب الصلح الذي عقدوه مع يشوع ، فإنهم حثوا قائد إسرائيل أن يهب لنجدتهم بسرعة ، وهذا ما فعله .

وقد تحقق النصر الإلهي لأن الرب أسلم الأموريين بيد يشوع حتى إنه لم يستطع أن يقف منهم رجل واحد أمام يشوع ، فنقرأ أن الرب ضربهم بحد السيف ، والذين هربوا ماتوا بحجارة البَرد العظيمة التي نزلت عليهم من السماء، وقد تحققت النبوة التي قيلت لأيوب هنا « أدخلت إلى خزائن الثلج أم أبصرت مخازن البَرد ، التي أبقيتها لوقت الضُرّ ليوم القتال والحرب ؟ (أي ٣٨ : ٢٢ و ٢٣).كم كانت مدفعية السماء فعالة ضد أعداء الله ، فعدد الذين ماتوا من الأموريين بسبب حجارة البَرد أكثر من الذين ماتوا بالسيف . فعندما تحتم الضرورة فإن الرب قادر أن يصنع المعجزات لصالح شعبه المحاط بالأعداء .

٦ - معجزة الشمس التي توقفت في كبد السماء

(يش ١٠ : ١٢ - ١٥ ، إش ٢٨ : ٢١)

نأتي الآن إلى أعظم معجزة في سفر يشوع ، والتي يعد سردها في سفر يشوع وإن كان بأسلوب شعري ، لكنه يحمل طابع الوحي الإلهي ، ففي اليوم الذي أسلم فيه الرب الأموريين ليد بني إسرائيل ، طلب يشوع من الشمس والقمر أن تقف دون حراك ، وما لم تكن تلك معجزة مذهلة ، فالقول بأنه لم يحدث يوم كهذا قبل أو بعد المعجزة يكون حديثاً بلا معنى (انظر إش ٣٠ : ٢٦) .

بعد الانتصار الذي حققته حجارة البَرد ، فإن يشوع كان عليه أن يشهد في بيت حورون معجزة لا مثيل لها . ففي سفره لا نجد فيضاً من المعجزات كما نرى في أسفار الكتاب الأخرى . ولكن على الرغم من قلة المعجزات هنا ، إلا أننا نرى أن هذه المعجزة تثبت سلطان الله الفائق . فلكونه خلق الشمس والقمر، فهو قادر على ضبط حركتهما والسيطرة عليهما . نرى هنا معجزة تتفق تماماً مع خطط ذاك الذي يخضع أشد القوانين المادية صرامة لمقاصده الأخلاقية والذي يؤكد أن السماء والأرض تزولان ولكن كلمته تثبت إلى الأبد .

أولئك الذين يعترضون على المعجزات لا يدركون أن الكون في يد ذاك الذي خلقه ، وأنه يستطيع أن يوقف حركة أي جزء فيه أو حركته كله تماماً كما يستطيع الإنسان أن يوقف حركة ساعته ، فكالإله القدير فهو يستطيع أن يتحكم في أعمال يديه دون حدوث أي أضرار يعلق كتاب « رفيق دارسي الكتاب المقدس » على معجزة جبعون بالقول :

« لا شك أن الله أحكم من قائدى السفن ، أو القطارات ، فهم لا يتوقفون فجأة ولكن بالتدريج ومن ثم لا تتعرض مركباتهم التى يقودونها للأخطار ، والمهندس الماهر والحريص يعرف كيف يتحكم فى الآلة ، فهو بإغلاق محابس البخار واستعمال الفرامل يتحكم فى سيرها بالتدريج ليضمن سلامتها . وهكذا فالإله القدير تصرف بحكمة لا حدود لها لإجراء هذه المعجزة ، وعمل لصالح مخلوقاته بالأداء التدريجى وليس بإيقاف حركة الأرض اليومية فجأة ».

وبالنسبة للمؤمن بالسلطان الإلهى لا توجد مشكلة هنا ، والكلمة المستخدمة لتوقف الشمس غريبة إلى حد ما ، فهى تعنى أخرس أو صامت مما يدل على أن يشوع طالب بتعليق حركة الأرض حول محورها وكذلك القمر ، والاعتراض القائل بأنه إذا توقفت الأرض عن مدارها فإنها ستسقط فى الشمس ، يختفى عندما تتذكر أن الله علق الأرض على لا شئ وهو قادر على التحكم فى حركتها ، ونحن قد نعرف قانون ومعدل حركة الأرض ولكننا لا نفهم تماماً سبب حركتها ، ولذلك فيستحيل أن نقرر ما يجب أن يعمل لتوقف الحركة لوقت معين .

إن هذه المعجزة هى عمل من أعمال كائن موجود فى كل مكان ، وكما عبر كاتب من القرن الماضى عنها فى تعليقه على ما كتبه حبقوق تعليقاً على هذا الحدث غير العادى فإنه يقول : « إن النبى طبقاً لأسلوبه الرائع يشيد بهذا الحدث ويبرز بأسلوب شعرى الطريقة التى تمت بها هذه المعجزة المدهشة ، «الشمس والقمر وقفا فى بروجهما : لنور سهامك الطاهرة للمعان برق مجدك» ، ففى ضياء النور الباهر للنهار ، فإن سهامك المتلألئة التى أطلقها شعبك ، انطلقت لهذا الغرض تحدوها يدك المرشدة لتتجه نحو فريستها (حب ٣ : ١١).

ونحن نقرأ القول « فوقفت الشمس فى كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل» (١٠ : ١٣) ، وفى ٢ مل (٢٠:١١) نقرأ أن مزولة حزقيا رجعت بالظل عشر درجات للوراء ، حوالى ٤٠ دقيقة ، مما يضيف يوماً كاملاً إلى الزمن ، يؤيد وجوده علماء الفلك البارزون . إن المعجزة التى حدثت فى جبعون يبدو أنها كانت محلية وليست كونية « يا شمس دومى على جبعون » .

وفى نهاية عمليات ذلك اليوم ،عاد يشوع إلى مقيدة ليتخلص من الخمسة ملوك المتحالفين الهاربين الذين وجدوا مختبئين فى مغارة (١٠:١٦-٣٠) . وتم إحضار ملوك الشمال هؤلاء وذبحوا وعلقت جثثهم على أشجار - علامة على الخزى والعار بعد الموت . فعلى صليب يشوع الحقيقى أى يسوع ، تم إشهار أعداء إسرائيل الله ، إذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافرا بهم فيه »(كو ٢ : ١٥) . وبانتهاء غزو كنعان ، بعد سبع سنوات من الصراع ، استراحت الأرض من الحرب (١١:٢٣) . لقد أمر الله بالإبادة الكاملة للكنعانيين وكان بنو إسرائيل هم الجلادون ،الذين دون تعطش شخصى للدم، كانوا يبرزون كراهية الله للوثنية ، مما يعلمهم هم أنفسهم كراهيتها .

وفى نصائح يشوع الأخيرة ، اعترف يشوع بصلاح الله، وفى الوصايا الأخيرة له ردد أعمال الله المعجزية التى قام بها فى جانب إسرائيل . وباسترجاع حياة وأعمال يشوع ، نلاحظ أنه قبل مهاجمة أعداء الله وإسرائيل ، كان يستبعد تكريس نفسه وشعبه لله بمراعاة الاختتان والفصح (يش٥)، وكانت شجاعته تدعمها الصلاة ، وكان الله يباركها على نحو بارز. وتوقف الشمس والقمر استجابة للصلاة يقدم أيضاحاً فريداً لما ورد فى (يع ٥ : ١٦) «طلبة البار من بين الأسباب التى تدفع الله كلى القوة للاستجابة لها فى إدارة دفة الكون » .

وقد تحدث معلقون كثيرون عن الأهمية الرمزية ليشوع

وعمله ، فقد كان يحمل اسم يسوع (أع ٧ : ٤٥ ؛ عب ٤ : ٨) .إن موسى الذى كان يمثل الناموس لم يستطع أن يدخل بنى إسرائيل لكنعان ، فقد كان هذا العمل مُحتفظاً به ليشوع . وهكذا فيسوع يكمل ما لم يستطع الناموس أن يتممه ، ويدخل شعبه للميراث السماوى (أع ١٣ : ٣٩ ، عب ٤ ، ٧ : ١٩ - ٢٥) .

٧ - المعجزات فى سفر القضاة

(قض ٢ : ١٦ - ١٩ ، نح ٩ : ٢٧ ، أع ١٣: ٢٠)

على الرغم من أن المعجزات ليست باهرة فى هذا السفر التاريخى الثانى من العهد القديم كما كانت فى الأسفار السابقة إلا أنها تمثل علامة بارزة فى تعامل الله مع إسرائيل وفى حياة بعض القضاة . لقد خدم الشعب الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين أتوا بعده (٢:٧). ولكن الشعب نسى بالتدريج أعمال الله العظيمة وفعلوا الشر أمام عينيه . فالميل التدريجى للتراجع بعد ذهاب الحاكم الصالح ، شئ يحدث كثيراً فى العادة (أع ٢٠ :٢٩ ، فى ٢ : ١٢) .

ويتعامل سفر القضاة مع أحداث تمت فى الفترة الوسيطة ما بين موت يشوع وتأسيس حكومة ملكية ، ويقدم تاريخ ١٤ من هؤلاء المنقذين غير العاديين الذين أقيموا من وقت لآخر استجابة لصرخات شعب الله ودموعهم .. لقد كانت حالة الأمة يرثى لها ، وعُين هؤلاء القضاة ليحكموا إسرائيل وينقذوها من ظلم أعدائها . وقد حقق هؤلاء القضاة سيادة نعمة الرب . لقد كانوا نوابه الملكيين الذين ينفذون جزءاً من تلك الخطة الإلهية المعينة. والتى كانت تميز إله بنى إسرائيل عن الأوثان التى كانت تحيط بهم . ومع ذلك فلم يكن هناك ما يميز هؤلاء القضاة حتى يمكنهم أن يفخروا به فى الجسد ، فجميعهم مدينون للرب بالمركز الذى وصلوا إليه والسلطة التى تبوأوها (٢ : ١٨) . فكان الشعب فى مسيس الحاجة لعمل الكهنوت الذى تعطل بعد ذهاب يشوع وإلى النظام والإنقاذ الذى أتى به القضاة . وكان الدفع بهؤلاء القضاة عملاً من أعمال « بر » يهوه أو إخلاصه لعهده ، بناء على رغبة الأمة للرجوع إليه فى توبة (٥ : ١١ ، إش ٤٥ : ٨) .

إن دلائل الخوارق نجدها فى كل أنحاء السفر. فالرب هو الذى طرد الكنعانيين (١ : ١٩) وهو الذى « أقام » حيث أن هذه الكلمة هى مفتاح السفر - القضاة (٢ : ١٦و ١٨) كلما دعت الحاجة لذلك ، وهو الذى جعل روحه يؤهلهم للعمل المكلفين به (٣ : ١٠، ٦ ، ٦ : ٣٤ ، ١١ : ٢٩ ، ١٣ : ٢٥) . والرب فى غضبه هو الذى سلّم شعبه المرتد ليد أعدائه (٢: ١٤و٢٠ ، ٦: ١ و٢) ثم حررهم بعد ذلك من العبودية (٤ : ١٤و١٥و٢٣) ، والله هو الذى استدعى قوى الطبيعة لمساعدة شعبه المحاصر بجيوش الأعداء (٤:٥ و٥ و٢٠ و ٣١). ومع ذلك ، فعلى الرغم من كل العون الخارق للعادة ، فشل إسرائيل فى طرد الكنعانيين من الأرض بسبب إصرارهم على الارتداد (٣:٧) .

٨ - المعجزات التى تمت فى عهد عثنئيل

(قض ١ : ١٢ - ١٥ ، ٣ : ٩ - ١١)

إن التزاوج بين الكنعانيين والإسرائيليين ، والاتجاه للوثنية جعلت الإسرائيليين تحت عبودية لملك بلاد مابين النهرين (٣:٥-٨)، وعندما صرخوا للرب فى يأسهم (نح ٩ : ٢٧، مز ١٠٧ : ١٣) ، أقام لهم أول مخلص ، عثنئيل بن قناز ، وقد جعله اليهود فى مرتبة أعلى من كل القضاة ونسبوا إليه كلمات سليمان « كلك جميل ياحبيبتى ليس فيك عيبة » (نش ٤ : ٧)، لأنه دوناً عن سائر القضاة وصف بأنه لا عيب فيه .

« وكان عليه روح الرب » (٣ : ١٠) وهى عبارة تدل على المظهر الخارق لإنقاذ عثنئيل لبنى إسرائيل وفترة السلام التى قضى فيها لإسرائيل مدة أربعين سنة .وعبارة

« كان عليه » تعنى فعلاً «لبسه» (٦:٣٤، ١ أخ ١٢:١٨) . وكان عثنئيل موشحاً بالروح لمدة أربعين سنة ، مزوداً بكل ما يلزمه من شجاعة وقوة وحكمة .

٩ - المعجزات التى تمت فى عهد جدعون

(قض ٦ - ٨)

إن جدعون كان قاضياً ذا شجاعة فائقة ، مكرماً من الرب بنوع خاص ، وهو شخص آخر اختبر المعجزات فى خدمته . فبعد أن انجرف بنو إسرائيل نحو الارتداد مرة أخرى ، عوقبوا بمزيد من الظلم حيث امتدت يد مديان على إسرائيل ، فأجبروهم على الاختباء فى كهوف الجبال والمغاير (٦ : ١ و ٢) ، وعندما كان بنو إسرائيل يحرثون أو يزرعون حقولهم ، كان يأتى المديانيون ليحصدوا أو يأخذوا « مراعى الله * » (مز ٨٣ : ١٢) ، وهكذا فقد ترك مديان إسرائيل فى حالة من الفقر المدقع ، وعندما اتجهوا لله طلباً للنجاة ، استجاب صراخ الشعب بأن أرسل لهم نبياً لم يذكر اسمه (٦ : ٧ و ٨)، إلا أن هناك أسطورة يهودية تقول إنه فينحاس بن ألعازار . وكانت رسالة النبى توجيه التوبيخ لهم ، والتأكيد أيضاً أن الإنقاذ الإلهى من الظلم كان وشيك الوقوع .

ظهر ملاك الرب جالساً تحت بطمة بجوار المذبح فى عفرة ودعا جدعون الذى كان يدرس الحنطة حتى يكلفه برسالة إنقاذ إسرائيل . وقد يكون ضرورياً هنا الإشارة إلى تلك الظهورات الخارقة أو التجليات الإلهية والتى ذكر منها أربعة ظهورات فى هذا السفر (٢ :١-٥ ، ٣:١٠، ٦ : ١١ و ٣٤ ، ١٠ : ١٠ - ١٦ ، ١٣ : ٣ - ٢٥) . وبما أن الملاك تحدث إلى جدعون كالرب فقد قال البعض إنه ليس ملاكاً مخلوقاً بل « ملاك العهد » الذى رآه يشوع « كرئيس جند الرب » ، ومشاركة ملاك الرب فى اختبارات بعض القضاة كان استعلاناً خاصاً «لملاك الله» ، وإبرازاً للمهمة التى كلفهم بها روح الله (٣ : ١٠ ، ٦ : ١١ و٣٤) . والتى صحبت ذلك الظهور . وتحت قيادة هؤلاء المخلصين المعدين لذلك ، كان هناك انسكاب للنعمة التى كانت تعطى دافعاً جديداً لحياة الأمة .ولكن يالالأسى، ففى كل مرة كان الدافع الجديد سرعان ما يخبو مما يدل على زوال القوة الكافية فى الشعب . وهكذا ففى السنوات الختامية لقيادة شمعون ، فإن ضياءه الذى أنار لهم الطريق بدأ يخبو فى خلفية مظلمة من العالمية والارتداد (٨ : ٢٤ - ٢٧) .

معجزة نار الصخرة (٦ : ١٩ - ٢٤)

خاطب جدعون الملقب يربعل (٦ : ٣٢) الملاك باعتباره الرب عن السبب الذى جعل المصائب تحوق بالشعب إن كان الرب معهم ، فأكد له الرب أنه قد اختير ليخلّص إسرائيل من مديان ، فطلب جدعون علامة تكون دليلاً ساطعاً على أن ظهور الملاك لم يكن مجرد رؤية ، بل إن الرسالة التى سمعها كانت من الله . فذهب جدعون إلى بيته وأعد أكلة للملاك تحت البطمة . فأمر الملاك جدعون أن يصنع اللحم والفطير على الصخرة ويصب عليهما المرق. ولما فعل جدعون ذلك شهد معجزة ، لأن الملاك أخذ عكازاً ولمس تقدمة الطعام فخرجت نار من الصخرة والتهمت الطعام كله ، وفى الحال اختفى الملاك عن بصر جدعون . لقد رأى ملاك الله وجهاً لوجه ولكنه لم يمت « فقد كان اليهود عامة يعتقدون أن رؤية أى كائن إلهى تعنى الموت أو حلول المصائب (١٣ : ٢٢ ، تك ١٦ : ١٣، خر ٣٣ : ٢٠ الخ) .

بعد أن حصل جدعون على بركة إلهية بنى مذبحاً لمشاهدته العلامة التى كان يرغبها ودعى المكان « يهوه شلوم » أى « الرب سلام » ، فالله الذى استطاع أن يخرج

* « مساكن الله » فى الطبعة العربية لفان دايك (المترجم)

ماء من صخرة يستطيع أن يخرج ناراً - العلامة المألوفة على حضوره وقبوله للذبيحة - من صخرة (٢ صم ٢٢ : ١٣) .

وخروج النار من الصخرة والتهامها للحم له مغزى روحى . فالنار رمز للروح القدس (أع ٢) - والصخرة ترمز للمسيح ، المضروب من الله . وبعد الجلجثة ، جاء يوم الخمسين . والنار خرجت من الصخرة ومهمة النار أن تميت الجسد (رو ٨ : ١ - ١٣) .

معجزة جزة الصوف (٦ : ٣٦ - ٤٠)

فى نفس الليلة التى ظهر له فيها ملاك الرب أمر الله جدعون أن يأخذ ثور بقر من قطيع والده ، ويهدم مذبح والده للبعل ليبنى مذبحاً آخر ويقدم عليه ذبيحة لله . فأتم جدعون المهمة الموكلة إليه بالليل . وفى الصباح عندما علم يوآش بالعمل الجرئ الذى قام به ابنه ضد عبادته للأوثان ، قال بطريقة ماكرة للذين جاءوا ليطلبوا جدعون لإهلاكه لأنه هدم مذبح البعل ، أن يدعوا البعل يقاتل لنفسه . وفى ذلك اليوم غير يوآش اسم ابنه من جدعون إلى يربعل أى « عدو البعل » ، وجدعون الذى يعنى « الرابط الجأش والملتزم بإتمام الناموس » كان صادقاً مع نفسه فلم يخف من الوقوف فى وجه شعب مرتد لوحده كعابد حقيقى للرب .

واجتمع المديانيون مع أعداء إسرائيل الآخرين معاً وحلّوا فى وادى يزرعيل ، ولكن جدعون الرابط الجأش كان مستعداً للنزال ، فحلّ عليه روح الرب الذى أمده بقوة لا تقهر ، وضرب بالبوق فجمع عشيرته الأبيعزريين فهبوا تأييداً له . واستجابت الأسباط الأخرى للنداء والتحدى . وكان جدعون مدركاً تماماً أنه بقوته البشرية وحدها كان عاجزاً تماماً عن التغلب على جماهير الأعداء الذين لا حصر لهم ، والذين كانوا تواقين للقضاء على بنى إسرائيل . كان جدعون بحاجة لتشجيع جديد وثقة تكون ذخيرة للمعركة القادمة ، ولذا طلب علامة إلهية مزدوجة .

وإذ كان جدعون فلاحاً له صلة بالحقول ، لم ينتابه الشك فى قوة الله على الطل ، ولذا طلب توجيه الطل وتركيزه فى مكان معين كعلامة على حضور الله وفضله (أم ٣ : ٢٠ ، هو ١٤ : ٥) . ونزول الطل على الجزة - صوف أحد الأغنام (أى ٣١:٢٠) - كان حدثاً طبيعياً معتاداً « ينزل مثل المطر على الجزاز » (مز ٧٢:٦) ، ولكن نزول الطل على الجزة وحدها مع بقاء الأرض المحيطة بها جافة حدث خارق تماماً كالجزة الجافة وسط الأرض المبتلة بالماء . وتحقيق هذه المعجزة المزدوجة أكد لجدعون أنه سوف ينتصر عندما يقود جيشه ضد المديانيين وأنه يستمد الهداية والعون من الله .

يقول عدد كبير من المعلقين إن الطل ليس علامة فقط على البركة الإلهية ، بل رمز لنعمة الله المحيية ورمز نبوى لتعامل الله مع بنى إسرائيل كأمة ، يقول فاوست : « كانت إسرائيل حتى الآن هى الجزة الجافة بينما كانت الأمم المجاورة فى حالة ازدهار ، والآن فهى سوف تمتلئ بقوة الرب ، بينما الأمم المجاورة سوف تفقدها . وعندما تصبح الجزة جافة فيما بعد والأرض حولها تصبح مبتلة فهذا يرمز لرفض إسرائيل للإنجيل ، بينما تقبل الأمم فيض نعمة الإنجيل .وفيما بعد فإسرائيل بدورها سوف تصبح كالندى لعالم الأمم » (مى ٥ : ٧) .

ويرى أمبروز Ambrose فى الجزة وهى مليئة بماء الطل رمزاً للأمة العبرية وهى تخفى سر المسيح داخلها ، وفى الجزة الجافة امتداد هذا السر لكل العالم مع ترك الأمة العبرية جافة . وجميل ما عبر عنه إيوالد Ewald بمقارنة الجزة بشخصية جدعون ، فهى هادئة وسط الثورة وتيارات الغضب والانفعالات المحيطة بها ، جافة وسط بلل الخوف حولها .

معجزة هزيمة المديانيين (قض ٧ ، تث ٢٨ : ٧ و ٢٨ و ٢٩)

أخبر الله جدعون أن جيشه المكون من ٣٢٠٠٠ شخص،

جيش كثير العدد لدرجة لا تمكنه من إحراز النصر بهذه الطريقة ، ولكى لا يتفاخر إسرائيل على الله ، أمر الله جدعون أن يقلل من عدد جنده ، فمن أكبر الأخطار التى تتعرض لها طبيعتنا البشرية الامتلاء بالغرور ، ويتبع الله معنا فى أحيان كثيرة نفس الطريقة التى اتبعها مع جيش جدعون ، فهو يضعف قوتنا حتى نصبح بلا حول ولا قوة ، ثم يعطينا الانتصار بعد ذلك ، فقوته فى الضعف تكمل (٢ كو ١٢ : ٩) .

طلب جدعون من الخائفين والوجلين أن يعودوا لجبل جلعاد ، فاغتنم هذه الفرصة ٢٢٠٠٠ رجل . لقد شعر هؤلاء الجبناء أنهم لا يستطيعون الصمود أمام جيش مديان القوى ، وبالرغم من بقاء ١٠٠٠٠ رجل قال الله « لم يزل الشعب كثيراً » (٧ : ٤) . كان هذا امتحاناً جديداً لإيمان جدعون ، فقد كان عليه أن يتعلم أن الله ليس بالضرور ة مع الجحافل الكثيرة العدد . وفى هذه الحالة ، كان العدد القليل ضرورياً للطريقة التى دبرها الله لإحراز النصر . وهكذا فإنه قد أزال آخر سبب للافتخار لدى الشعب .

وجاء الامتحان الأخير عند النهر عندما طلب من الـ ١٠٠٠٠ رجل أن يشربوا ماء . بالنسبة لنا يستوى الأمر سواء كان الرجال يشربون الماء جاثين على ركبهم ووجههم نحو الماء أو يأخذون الماء بأيديهم ، ومع ذلك فقد كان هذا الاختلاف الطفيف هوالعلامة الواضحة لجدعون والتى تدل على لياقة أو عدم لياقة أولئك الذين كان عليهم أن يقهروا المديانيين . فالأشياء الصغيرة عادة تكون امتحاناً للشخصية ، كالطريقة التى تمشى بها والتصرفات المألوفة فى الحياة اليومية .

فمن بين الـ ١٠٠٠٠ رجل ، ٩٧٠٠ رجل ركعوا وشربوا - وهذا شئ غريزى فى العطاش - قد تم استبعاد هؤلاء (تث ٢٠ : ٨) . يقول أحد كتّاب اليهود القدامى إن اولئك الذين ركعوا على ركبهم ليشربوا كانوا من عبدة الأصنام غير الظاهرين ، والذين كانوا قد « جثوا للبعل » (١ مل ١٩ : ١٨) . أما الثلثمائة الباقون ، فولغوا الماء بأيديهم إلى فمهم ، وقد اختير هؤلاء لمحاربة مديان . إن هذه الطريقة فى الشرب كانت تدل على خاصية معينة، فهؤلاء هم الرجال الذين يتميزون بخفة الحركة والنشاط والقدرة على الحركة السريعة فى مهاجمة العدو . ولأن ذلك النصر كان من الله ، فأى فكرة فى أنه كان من الإنسان وليس من الله مردود عليها حيث أن الله قلل عدد الجيش إلى ٣٠٠ رجل نشطين من الطريقة التى يشربون بها الماء (مز ١١٠ : ٧) . فهم الرجال المستعدون .

والحلم الذى أعده الله لأحد المديانيين (٧:١٣-١٦) ذو مغزى عميق ، فهو عبارة عن رغيف خبز شعير يقلب خيمة المديانيين . ورغيف خبز الشعير كان طعام الرجل الفقير ، فقد دعا المديانيون جدعون ورفاقه بأنهم « آكلى خبز شعير » وهكذا فقد كان رمزاً لإسرائيل المحتقـــر ، و «الخيمة» تمثل الحياة المدنية للمديانيين التى تتميز بالحرية والقوة ولكن لأن « رغيف الخبز » قلب «الخيمة» ، فإسرائيل كانت على وشك أن تهزم مديان .

وفى منتصف الليل قسم جدعون الـ ٣٠٠ رجل إلى ثلاث فرق للهجوم ، وكان عليهم أن يحذوا حذوه فى ضرب الأبواق وكسر الجرار حتى تسطع مصابيحهم المخفية فجأة فى وجه العدو (انظر ٢ كو ٤ : ٦ و ٧ لأن ذلك يمثل نور الإنجيل فى أوان خزفية) . وعند مهاجمة المديانيين ، كان على الـ ٣٠٠ رجل أن يصيحوا صيحة الحرب « سيف للرب ولجدعون » (٧ : ١٨ و ٢٠) . وكان على الـ ٣٠٠ رجل أن يقفوا كل فى مكانه كما لو كان كل ضارب بالبوق وراءه فرقة من الجنود . لم يُهزم العدو فقط أمام جدعون ولكن بسبب الرعب الذى اجتاحهم وظلام الليل عندما لم يكن باستطاعتهم التمييز بين الصديق والعدو ، ذبح المديانيون بعضهم البعض . فمن بين قوة تتألف من

١٣٥٠٠٠ رجل (٨ : ١٠) فقد المديانيون ١٢٠٠٠٠ فى هذا النصر الذى منحه الله لإسرائيل (تث ٣٢ : ٣٠) .

لقد كان يوماً اعتزت فيه يمين الله (مز ٨٣ : ٩ ، إش ٩ : ٤ ، ١٠: ٢٦، حب ٣ : ٧) . إن القوة العددية لمديان أضحت صفراً ، وقد أعطى الله للـ ٣٠٠ رجل انتصاراً على الجحافل التى كانت تشبه الجراد فى الكثرة (٧ : ١٢) ، فقد هزم مديان باستراتيجيته الجرار الفارغة البسيطة (٧ : ١٦ - ٢٥). يقول الأسقف هول : « إن مجد الله كلى القوة قد استعلن بضعف الوسيلة التى استخدمت ، إلى حد لا يكاد يصدق » ، وأثناء عملية تطهير الأرض من الأعداء تم القبض على أميرى مديان غراب وذئب وقتلهما. وبالرغم من أن رجال جدعون الـ ٣٠٠ ، كانوا منهكى القوى ، إلا أنهم قاموا بمطاردة زبح وصلمناع ، ملكى مديان والـ ١٥٠٠٠ رجل وقتلوهم . وهكذا يدون السجل المقدس : « وذل مديان أمام بنى إسرائيل ولم يعودوا يرفعون رؤوسهم . واستراحت الأرض أربعين سنة فى أيام جدعون » (٨ : ٢٨) .

يصور ليون أوريس Leon Urris فى قصته الرائعة المؤثرة عن انتصار وميلاد أمة جديدة « الخروج » ، إحدى شخصياته (مالكولم Malcolm) وهو يقف على قبر جدعون ويقرأ بالعبرية سجل انتصار جدعون. وبعد أن يغلق كتابه المقدس يجعل ليون أوريس مالكولم يقول :

« كان جدعون إنساناً ذكياً ، لقد عرف أن المديانيين كانوا جهلة يؤمنون بالخرافات . لقد علم جدعون أنه يستطيع اللعب على وتر مخاوفهم البدائية وأنهم يمكن أن يخافوا من الضوضاء وظلام الليل . لقد علم جدعون ذلك .. وهكذا نعلم نحن أيضاً ذلك » .

ومع ذلك فالنصر الذى تحقق فى ذلك اليوم لم يأت نتيجة لذكاء جدعون . فقد كانت المعركة كلها من تدبير الله ، والانتصار من عنده .

١٠ - المعجزات التى حدثت فى فترة قضاء شمشون

(قض ١٣ : ١٦ ، عب ١١ : ٣٢)

كانت المدة فيما بين جدعون وشمشون فترة قضيت فى الخطية والعبودية والحزن ، والخلاص الذى قدمه الله حينما صرخ بنو إسرائيل فى يأس لتحريرهم من سيطرة الأمميين . كان الشعب دائماً يخطئ ويتوب أو كما تعبر عن ذلك الترنيمة بالقول « أضل بعيداً عنك وأعود إليك على الدوام ». وأرسل الله روحاً ردية بين أبيمالك ، ابن جدعون وأهل شكيم(٩ : ٢٣) ، وتلا ذلك حدوث مذابح دموية ، ورد الله شر أبيمالك (٩:٥٦) ، فقد ذبح إخوته « على حجر واحد » ، وجاء عليه الدور فقتل عندما سقط حجر على رأسه فشجت رأسه . وحمى غضب الرب على إسرائيل (١٠ : ٧) كثيراً جداً لدرجة أنه سمح بمضايقة الشعب وإيقاع الظلم بهم على يد الملوك الوثنيين لمدة ١٨ سنة (١٠ : ٨) . وعندما صرخ الشعب وتاب ، تألم الله لأجل مشقة إسرائيل (١٠ : ١٦) .

ومع ذلك فقد حدث ارتداد جديد لبنى إسرائيل ، مما نجم عنه أن أسلمهم الله لأيدى الفلسطينيين لمدة ٤٠ سنة (١٣ :١) ، وقد شهد ميلاد شمشون ازدهار قوة الفلسطينيين .

معجزة ظهور الملاك وإعلانه البشارة بولادة شمشون:

والملاك الذى أعلن البشارة وظهر لمنوح وزوجته لم يكن ملاكاً عادياً ، ولكنه كان كائناً غير عادى . وقال منوح لزوجته « لقد رأينا الله » (١٣ : ٢٢) ، لقد شهدا تجليه فى صورة بشر (حز ٣٣ : ٢٠) . وزوجة منوح التى تعرف باسم صلفونى ، تحدثت عنه « كرجل الله ومنظره كمنظر ملاك الله مرهب جداً » (١٣ : ٦) ، لقد أصيبت بالرعب لجلال منظره (انظر تك ١٨ : ٢ ، لو ١ : ١١ - ٢٨) . لقد أراد منوح وزوجته أن يعرفا اسمه حتى يقدما له التكريم اللائق ، وكانت إجابته بأن ذلك «سر من

الأسرار» (١٣ : ١٨) ، وهـي نفس الكلمة المستخدمة « عجيباً » في (١٣ : ١٩) ، « ويدعى اسمه عجيباً » (إش ٩ : ٦) . إن اسمه سر لا يعرفه سوى أولاده (أنظر تك ٣٢ : ٢٩ ، مز ٢٥ : ١٤ ، رؤ ٢ : ١٧ ، ٣ :١٢).

قدم منوح محرقة على صخرة دليلاً على الشكر لما أعلنه الملاك ، وطبقاً لاسمه فقد « عمل عملاً عجيباً » ، حين جعل اللهيب يرتفع ويلتهم التقدمة ثم صعد في اللهيب (١٣ : ١٩ و ٢٠ ، قض ٦ : ٢١) . ونزول النار على الذبيحة كانت طريقة لإظهار قبوله ورضاه . قالت زوجة منوح بحس روحي عميق « لو أراد الرب أن يميتنا لما أخذ من يدنا محرقة وتقدمة ولما أرانا كل هذه ولما كان في مثل هذا الوقت أسمعنا مثل هذه ».

ما هي الرؤيا التي أظهرها الله لهذين الزوجين التقيين ؟(لأنهما كانا يخافان الله ، فمنوح مثلاً يعني «راحة» وكان رجل الهدوء والإيمان والتقوى وكرم الضيافة ، وقد عبر هو وزوجته عن اشتياقهما في «ذلك الوقت» للراحة من تعب الأيام) . وقد ظهر الله أولاً لزوجة منوح وأعلن لها أنها سوف تحبل وتلد ابناً يحيا حياة النذر لله . لقد كانت عاقراً ولم تلد مما يوحي بعدم القدرة ، لسبب أو لآخر ، على إنجاب الأطفال (تك ١١ : ٣٠) . ولكن قدرة الله التي بلا حدود تستطيع أن تجعل العاقر تفرح ، ولذا فالله الذي خلق هذه الزوجة التي بلا أطفال كان على وشك أن يفتح رحمها. وهكذا كطفل الموعد ، فإن شمشون كان يعد هبة من الله ، ولد ليقوم بعمل خاص . وعناية الله المهيمنة على كل شئ كانت تتحكم في كل ما يقوم به من أعمال ومصدر قوته كان ليصبح خارقاً للعادة (١٤ : ٦ ، ١٦ : ٣٠) .

والأمر الإلهي بتنفيذ النذر ودور والديّ شمشون في هذا النذر حتى وقت الحبل به جدير بالالتفات . لقد كان النذر يتكون من الامتناع عن الخمر والمسكر وأي طعام نجس وعدم قص الشعر (عد ٦ : ٢ - ٥) .

ولا شك أن مثل هذا النذر قد فرض تأثيره على منوح وزوجته وإسرائيل أيضاً ، مما يوحي بالشخصية المتميزة التي ستولد . فالمولود سوف يكون الأداة الإلهية لإنقاذ إسرائيل من مذلتهم التي طال مداها ، ولقد قصد الله أن يكون نائبه ونوراً لإسرائيل . وحبلت زوجة منوح وولدت ابناً ودعى اسمه شمشون أي « قوة الشمس » ، والعنصر الخارق للعادة يرى في ميلاده وصفاته الشخصية . وعندما كبر الطفل باركه الرب وحل عليه الروح القدس . وكان من الممكن أن تكون هناك جرائم أقل للأحداث لو أن الوالدين اتبعوا مثال منوح وزوجته في طلب إرشاد الله فيما يختص بكيفية تربية أطفالهم .

ومن الواضح أن حالة إسرائيل المزرية والبائسة قد وجدت لها نقطة بداية جديدة في وجود شمشون وعمله الفذ . لقد ولد بطلاً ونشأ نشأة تقية لمواجهة ضرورة ملحة وقائمة . وكان يجب أن يصل إنكار الذات عنده إلى أسمى مراتبه ، وكان من المفروض أن يكون تجسيداً حياً لدعوة إسرائيل كشعب مكرس لله ولقدرتهم وامتيازهم بسبب نذر التكريس . ولكن يا للحسرة ، فسجل شمشون أصبح يدل على التدهور الأخلاقي ، والإفراط الشرير ! فمع أنه قضى لإسرائيل لمدة عشرين سنة (١٥ : ٢٠) ، وكانت سيرته في عمله طيبة ، إلا أنه استغل ما وهبه الله من قدرات خاصة ، ظاناً أن موهبته الخارقة تمكنه من إنجاز أعمال فائقة في مجال أدنى ، فاستسلم لخطايا الجسد والإشباع الشخصي لغرائزه ، ومع ذلك فبالرغم من جسدانيته ظل الله يهبه عطية القوة الخارقة للعادة .

دعنا الآن نتأمل بعض الأشياء التي استغلها شمشون الذي أعطيت له مدة أطول من كل القضاة الآخرين ليس لأنه أفضلهم جميعاً بل لأن شمشون دوناً عن سائر القضاة كان نذيراً لله من البطن .

معجزة قتل الأسد (١٤ : ٥ - ١٠)

في حين أظهر شمشون بسالة شخصية أكثر من أي قاض آخر إلا أن شخصيته كانت أقل نبلاً من كثير منهم . وعندما نفحص أعماله الباهرة ، يجب ألا ننسى أن شمشون لم يكن مارداً بالطبيعة مثل جليات الذي قتله داود . لقد كان رجلاً عادياً ، كان يحل عليه روح الله في بعض الأحيان . وبقوته العادية ، ما كان يمكن لشمشون أن ينجز تلك الأعمال الرهيبة التي أظهرت قوة معجزية والتي كان وقعها مدوياً كالبركان على الفلسطينيين .

في تمنة قابل شمشون شبل الأسد ، وفي تمنة أيضاً اتخذ شمشون لنفسه زوجة كنعانية - ضد ناموس موسى- مما كان سبب حزن والديه التقيين (خر ٣٤ : ١٦ ، تث ٣٤ : ٤- ١٢ ، ٢ كو ٦ : ١٤) ، لأنهما لم يعلما أن الله سوف يتحكم في مجرى الأحداث لإتمام مقاصده (١٤ :٦). وقابل شمشون الأسد المزمجر المتحدي ، ومزق الأسد بيده فقط ، ومثل هذا العمل الخارق كان بسبب روح الرب الذي كان يسيطر على شمشون ويتحكم فيه . هناك سبع إشارات « لروح الرب » في سفر القضاة ، أربع منها ذكرت في معرض الحديث عن شمشون (١٣ : ٢٥ ، ١٤ : ٦و ١٩ ، ١٦ : ٢٠).

صمت شمشون فيما يتعلق بقتله للأسد حتى أغرى ليفشي بالسر للرجال الذين كانوا في وليمته ، وبقتله للثلاثين رجلاً في أشقلون أعطاه الله برهاناً وعربوناً للقوة التي سوف يضعها تحت تصرفه ضد الفلسطينيين الذين لا يعرفون الله . وما حدث في أشقلون عندما قتل ٣٠ رجلاً وهو أعزل وبلا سلاح اللهم إلا قوة الروح ، أوغر صدور الفلسطينيين وأجج نيران العداوة ضده (١٤ : ١٩) .

معجزة الثعالب (١٥ : ١ - ٦)

عندما غضب شمشون لأن زوجته السابقة أعطيت لشخص آخر ، وجد شمشون ما يبرر غضبه ضد الفلسطينيين وانتقم منهم بأن أمسك ٣٠٠ ثعلب أو ابن آوى وأطلقها بين حقول القمح ، مع ربط ذنب كل ثعلب مع ذنب ثعلب آخر ثم إضرام المشاعل بين كل ذنبين في الوسط . كيف استطاع شمشون إنجاز هذا العمل الضخم باصطياد مثل هذا العدد الضخم من الثعالب دفعة واحدة وبلا مصائد من أي نوع ؟ نحن لا نجد إجابة شافية على هذا السؤال . وكان هذا استعراضاً آخر للقوة الخارقة والحكمة . والخسارة التي حدثت لحقول قمح الفلسطينيين كبيرة ، وقد أثبتوا أنهم هم أيضاً يلعبون بالنار لأنهم انتقموا بحرق زوجة شمشون مع أبيها . إن عمل الانتقام هذا قد أثار شمشون لارتكاب المزيد من الدمار ، وكان على الفلسطينيين أن يعرفوا أنهم قد أخطأوا حين انتقموا من الرجل الذي هو وعائلته سبباً لمتاعبهم .

معجزة ضرب الرجال ساقاً على فخذ (١٥ : ٧ و ٨)

سرعان ما جاء الانتقام لحرق زوجة شمشون وأبيها ، فالفلسطينيون شعروا بمهانة كبرى وانتقموا لأنفسهم ، والآن فإن شمشون ينتقم بضربهم ساقاً على فخذ مما أحدث بهم مذبحة كبرى . لا يمكن لأي رجل عادي بمفرده وبلا أسلحة أن ينجز مثل هذه المذبحة الكبرى . فلو أن شمشون أنجز هذا العمل بمفرده فلابد أن ذلك دليل آخر على مساندة القوة الخارقة له . هناك تعبير ألماني يقول : « إن الضربة يمكن أن تصيب الهارب على ساقه وهذا يكفي ، ولكن ضربة أخرى على الفخذ تقضي عليه » . وبعد الانتقام من الفلسطينيين نزل شمشون وأقام في شق صخرة عيطم .

معجزة فك القيود (١٥ : ٩ - ١٤)

اضطر الفلسطينيون للتحرك عند قتل عدد كبير منهم واجتمعوا معاً في صفوف معادية لينتقموا من شمشون لنقص عددهم بصورة كبيرة . فجاءوا إلى عيطم ، مكان اختباء شمشون . وأهل يهوذا ، بدلاً من الانضواء تحت راية شمشون كالقاضي المقام خصيصاً لإنقاذهم من العبودية

للفلسطينيين ، وافقوا على تسليمه إلى أيدى أعدائهم .

وإذ اعتقد شمشون أن فرصة أخرى قد واتته لإذلال الفلسطينيين ، سمح لنفسه أن يؤخذ ويقتاد مكبلاً إلى لحى .

وكم كان فرح الفلسطينيين عندما رأوا شمشون مقيداً بحبال جديدة ، وقد ابتهجوا عندما قابلوه . لأنه مكبل أصبح سجينهم ولف بالقيود ، ولاحول أو قوة . ولكن عندما صاح الفلسطينيون ، سرعان ما تحولت صيحاتهم وهتافاتهم إلى أنين وبكاء ، حل روح الرب على شمشون ، وابتدأت الحبال القوية التى كانت تنفك ، إن التحرر من القيود أصبح من القدرات التى اختص بها شمشون عن طريق القوة الخارقة التى وهبت له .

معجزة قتل عدد كبير من الناس بلحى حمار (١٥:١٥-٢٠)

بعد أن فك قيد شمشون وجد لحياً طرياً أى لحى حيوان مات حديثاً قبل ان تصبح العظام هشة ، وقد قتل به ١٠٠٠ فلسطينى . لقد كان فى إمكانه ان يقاتل بيديه كما كان بإمكانه استخدام عقله ، ومع ذلك فلا يمكن لإنسان بمفرده أن يقتل ١٠٠٠ شخص دفعة واحدة دون أن يكون مزوداً بقوة خارقة . واليكوت لديه تعليق معبر عن هذه المعجزة :

« إذا كان بإمكان جليات بمفرده أن يثير الفزع فى صفوف جيش إسرائيل كله ، فإن شمشون بخصل شعره الطويلة وقوته الجبارة كان قادراً أن يثير الرعب فى صفوف الفلسطينيين ، وذلك لأن رهبة غير عادية كانت تتصل باسمه وشخصه . وحقيقة أنه على الرغم من أنه كان مسلحاً فقط بهذا السلاح الضعيف إلا أن جرأته واندفاعه نحو الفلسطينيين جعلهم يهربون فى رعب وهلع (يش ٢٣ : ١٠ ، تث ٣٢ : ٣٠) .

وإذ شعر شمشون بالزهو لهذا الانتصار ، افتخر بإنجازه العظيم وعبر عن ذلك فى مقطع شعرى مكون من بيتين فيه توربة (١٥ : ١٦) ، ويترجمها دكتور مور قائلاً : «بعظم حمار ، هجمت على أعدائى »، والترجمة الحرفية للغة العبرية التى ورد بها ذلك المقطع الشعرى لشمشون هى كالآتى :

بلحى حمار كومة كومتين

بلحى حمار ضربت حمل ثور من البشر

لقد قدم شمشون لله المجد على مثل هذا الانتصار (١٥ : ١٨) ، ومع ذلك فمثل هذا العمل الجبار كان منهكاً ، وشعر شمشون بالعطش الشديد . وخروج الماء من لحى ليس له علاقة باللحي التى ضرب بها شمشون الفلسطينيين ، والعبارة هنا تقول بالفعل : « ماء من العين التى تدعى (التجويف) الذى فى لحى » .

ودعا شمشون المكان الذى حدثت فيه قصته « رامة لحى » أى « رفع أو إلقاء اللحى» ، والمكان الذى هيأ فيه الله الينبوع المنعش دعى « عين هقورى » أى «بئر الذى صاح » ، وبنفس الطريقة روى الله ظمأ هاجر (تك ٢١ : ١٩) .

كتب جون ملتون عن هذه الحادثة قائلاً :

الله الذى أوجد نبعاً عند سماع صلاتك

من الأرض الجافة يخرج الماء الذى يروى ظمأك

***المعجزة فى غزة** (١٦ : ١ - ١٣)*

لا نعرف كيف ولماذا ذهب شمشون إلى غزة ، المدينة الرئيسية للفلسطينيين فى قلب دولتهم . والقصة هنا موجزة وغير مترابطة . وفى غزة استسلم لتوسلات زانية وقضى معها الليل . ولما عرف الفلسطينيون عن حضور شمشون فى مدينتهم أحاطوا البيت ولكنهم لم يهجموا فى الحال . ربما لأنهم ظنوا أنهم تمكنوا منه ، ويبدو أنهم هدأوا ليستريحوا (١٦: ٢ و ٣) .

وفى منتصف الليل ، نهض شمشون ، ومرة أخرى حل

عليه روح القوة فنزع باب المدينة بمصراعيها والقائمتين وقلعهما مع العارضة ووضعها على كتفيه وصعد بها إلى رأس الجبل – وهى مسافة تبلغ حوالى ربع ميل . لم يكن هذا مجرد رفع أثقال . وبالرغم من انغماسه فى أعمال الجسد فى غزة ، فقد ظل الله يمنح شمشون القوة .

***معجزة شعر شمشون* (١٦ : ٤ - ٢٢)**

مازال شمشون منغمساً فى ملذاته ، فقد أصبح مولعاً بزانية أخرى ، دليلة ، فى وادى سورق . وإذ كان الفلسطينيون ، ومنهم دليلة التى نصبت شباكها ، يعلمون بضعف شمشون أمام النساء ، فقد طلبوا مساعدة دليلة فى إغراء عدوهم الذى يخشونه ، فقد كانوا عاجزين عن مواجهته عن طريق العنف . يقول الأسقف هول : « إن الصداقات التى تبدأ بالشر لا يمكن أن تدوم » ، ولبعض الوقت استخف شمشون بإغراءات الزانية لتأخذ منه سر قوته غير العادية . وقد خدع شمشون المرأة الفلسطينية ثلاث مرات ، ولكنه استسلم أخيراً لإلحاحاتها وأوضح أنه نذير لله من بطن أمه ، وأن شعره الذى لم يعله موسى أبداً كان سر قوته المتميزة . وإذ كان شمشون ضعيفاً فى المقاومة قال لها كل ما فى قلبه ، وأنه لو حلق تفارقه قوته ويصير كأحد الناس (١٦ : ١٧) .

إن هذا الإفشاء الخطير لسر قوته قد أدى لوفاته ، وقد كان شمشون يعرف أنه لو استغنى عن شعره فإنه بذلك يلقى برمز تكريسه ويكسر بعهده لله رسمياً . وجعلته دليلة يروح فى نوم عميق وقصت خصل شعره . وعندما استيقظ على الصيحة « الفلسطينيون عليك يا شمشون » خرج شمشون كالعادة ولكنه اكتشف أنه فقد ، ليس القوة الخارقة فقط ، ولكن واهب هذه القوة أيضاً « الرب قد فارقه » (١٦ : ٢٠). وبعد أن دفع الفلسطينيون المبلغ المتفق عليه لدليلة ، أمسكوا بشمشون بسرعة وقيدوه بالسلاسل ، وقلعوا عينيه وجعلوه يطحن فى بيت السجن كالعبد « بلا عينين فى غزة ، وعند الرحى مع العبيد » .

ويجدر بنا أن نشير إلى ارتباط القوة بالشعر .فبالفعل لم تكن هناك قوة معجزية كامنة فى شعر شمشون الطويل ، ولكن القوة كانت كافية فى ما يمثله هذا الشعر، أى تكريس هذا الرجل النذير حياته لخدمة الله . ومع ذلك فالشعر مثل الدم أساس الحياة ، كان موضوع اهتمام الساميين .وكان شعر أبشالوم الوافر النماء علامة على الجمال ، وكان أيضاً علامة على التأنث . والشعر يمثل شيئاً ذا قيمة (متى ١٠ : ٣٠) .

***المعجزة فى هيكل داجون* (١٦ : ٢٣ - ٣١)**

أليس هناك شيئاً لافتاً للنظر فيما يتعلق بهذه العبارة «وابتدأ شعر رأسه ينبت بعد أن حلق» (١٦ : ٢٢) ؟ ، فمع نمو شعره بدأت قوته تعود . ولكن يا للحسرة ، فعلى الرغم من عودة شعره ، فبصره لم يعد ! وفى عمق مذلته فإن قلبه النذير عاد إليه ، فقد بدا شمشون نادماً على عدم أمانته وإهانته لاسم الله ومجده ، ومع أنه لم يوجد مصلياً حتى النهاية الأليمة لحياته ، إلا أن صلاة التوبة أعادت له قوته .

لقد فرح أقطاب الفلسطينيين بالمحنة الأليمة التى ألمت بشمشون ، واجتمعوا معاً ليقدموا ذبيحة عظيمة إلى داجون إلههم فى احتفال بهيج وغنوا فى لحن ساذج :

قد دفع إلهنا ليدنا عدونا الذى

خرب أرضنا وكثر قتلانا (١٦ : ٢٤)

ولم يكتف الفلسطينيون بهذه الوليمة الغنائية التى قدموا فيها الذبائح لإلههم ، بل دعوا شمشون أن يلعب لهم ويسلى الجماهير المجتمعة والتى بلغت ٣٠٠٠ شخص . يقول يوسيفوس إن شمشون قد استدعى حتى يهينه الفلسطينيون وهم يشربون الخمر »،

وصلاة شمشون ، على الرغم من استخدامه لثلاث

أسمـاء لله - « أدوناى » الرب و « ألوهيم » تكشف عن مستوى منخفض من البصيرة الروحية والنقاء الأخلاقى . فهو مهتم ليس بشأن الدعوة الإلهية التى نذر نفسه لها بل لمجرد الانتقام من الفلسطينيين لأنهم أفقدوه البصر . ولو استطاع شمشون أن ينتصر على أعدائه دون التضحية بحياته ، - فكما عبر أحدهم - ، « كان سيحمل فى جسده عمى عينيه كعلامة على عدم أمانته كخادم الله ، ولكنه صلى ليموت مع الفلسطينيين .

فقد طلب من الغلام الذى كان يقوده أن يدله على عمودى الوسط اللذين يحملان المبنى الضخم ، وانحنى شمشون بكل قوته فهوت الأعمدة ، وجلب بذلك الموت لنفسه وللـ ٣٠٠٠ رجل وامرأة المجتمعين لهذه المناسبة . « فكان الموتى الذين أماتهم فى موته أكثر من الذين أماتهم فى حياته » (١٦: ٣٠). كان شمشون القاضى الوحيد الذى مات فى الأسر ، وبموته ترك بنى إسرائيل مستعبدين للفلسطينيين (انظر كو ٢: ١٥، مت ٢٧: ٥٠-٥٤ ، للمعنى الرمزى لموت الانتصار).

يقدم جون ملتون فى كتابة «أعداء شمشون» الوصف التالى لموت شمشون البطولى :

انحنى شمشون بكل أعصابه المشدودة
وكما بقوة الرياح والمياه المحبوسة
ترتعش الجبال والعمودان الكبيران
باهتزازات مروعة إلى الأمام والخلف .
أخذ يضغط ويهز حتى سقطا وسحبا
كل السطح بعدهما مع دوى الرعد
وفوق رؤوس جميع الذين جلسوا تحتها
سواء كانوا سادة أو سيدات ، رؤساء
ومستشارين أو كهنة ، نبلاءهم العظام وصفوتهم
شمشون جنباً إلى جنب مع هؤلاء ، رغماً عنه
يجلب نفس الدمار على نفسه.

لقد أجرى شمشون كل أعماله العظيمة بالإيمان ، سر القوة الحقيقية (عب ١١ : ٣٢ ، مت ٢١ : ٢١) . وقد يثار هنا سؤال : لماذا يذكر شمشون الزانى بين أبطال الإيمان . لقد استخدمه الله كما استخدم الآخرين الذين لم تكن شخصياتهم موضع مديح كثير للدرجة التى يشعرون فيها بحضور الله وقوته ويستجيبون لها حتى يمكن أن يقال إن الإيمان « هو الذى كان يحركهم » .

يعلن فاوست على درس أعمال شمشون الرائعة والتى كانت تحدث بصورة متقطعة قائلا : «إن إسرائيل رأت فى شمشون مثالاً لا ينسى» ، فأن يجعل قلب الأمة مستقيماً مع الله لهو أفضل بكثير من أن تكون لديه تلك القوة العملاقة فى ذراعيه ، فبالرجوع إلى البر يمكن أن تجد المجد والرفعة الحقيقية » . وإذ كان شمشون مؤيداً بروح الله ، فقد كان مبذراً لقوته ومهملاً فى مواهبه الشخصية . لقد فشل فى إدراك أن المواهب المادية ليست أقل من المواهب الروحية من الله ، ولكى يحتفظ المرء بها عليه أن يكون مطيعاً .

١١ - المعجزات فى عصر صموئيل

(١ صم ١ : ٢٠ : ٢ ، مز ٩٩ : ٦ ، إر ١٥: ١)

إن تاريخ القضاة بعد شمشون كان يدل على عصر انحدار أخلاقى . وسجل ميخا وسبط الدانيين (قض ١٧ : ١٨) يدل على الوثنية ، ويظهر أن الخيانة كانت واسعة الانتشار فى إسرائيل ، ثم هناك حادثة اللاوى وبنو بنيامين مليئة بالانتقام وتبين المدى الذى وصل إليه الشعب فى الانحطاط الأخلاقى (١٩-٢١) . بعض الطبعات القديمة للكتب المقدسة العبرية تضم سفر راعوث إلى سفر القضاة ، وياله من تناقض تقدمه هذه الملحمة القصصية الجميلة . ففى سفر القضاة نجد النجاسة والحروب ، وفى سفر راعوث نجد الطهارة والسلام . إن سفر راعوث يشبه « زنبقة طاهرة فى بركة عفنة »

مع أن عالى كان خليفة لصموئيل كقاض ، إلا أنه لم يكن متلقياً لأى موهبة خارقة أو لأى شكل معجزى . ونحن لا نعرف كيف تم تعيينه قاضياً . ولا نعرف شيئاً عن الـ ٥٨ سنة الأولى من حياته ، والـ ٤٠ سنة الأخيرة لا تحمل له أى تقدير. ولم يكن نذيراً لله بأى حال . لقد كان يشتهر بعنصر واحد فى شخصيته ألا وهو « الضعف » ، ولا يمكن أن يكون الله قد سر من عالى حيث إن كلمة الرب كانت عزيزة فى تلك الأيام . لم تكن رؤيا كثيراً (١ صم ٣ : ١) .

ومع أن شمشون لم يقم بأى إنقاذ دائم لإسرائيل إلا أنه مهد الطريق لصموئيل وشاول وداود . وصموئيل «أكمل» إنقاذ إسرائيل من الفلسطينيين الذى كان شمشون قد بدأه . وشمشون القوى جسدياً والنذير كان رائداً لصموئيل ، آخر وأعظم القضاة وأول الأنبياء ، النذير الروحى البطل . لقد كان «نذيراً ذا طراز رفيع المستوى ، كان عليه أن يضع المفاهيم الروحية فى مكانها الصحيح وبتقوية إيمان الشعب بإلههم يقودهم للنصر والسلام ». ونحن نقرأ عن شمشون أن الله يبدأ يخلص إسرائيل بيده (قض ١٣ : ٥) . لقد كان عمل صموئيل أن يتمم ذلك الخلاص من يد الفلسطينيين وأن يفتح الآفاق أمام إسرائيل لبداية عصر جديد من التقدم القومى والنظام تحت حكم الملوك الذين كان الشعب يريدهم .

معجزة ميلاد صموئيل

كان صموئيل هبة من الله لحنة التى طلبته منه . ومن هنا جاء مدلول اسمه « من الرب سألته » . لقد ولد صموئيل استجابة للصلاة . حنة التى قال عنها دين ستانلى Dean Stanley إنها «كانت هى نفسها نبية ونذيرة» (١ : ١٥ ، ٢ : ١) ، كانت حزينة بسبب رحمها العقيم ، وكان هذا العقم مرتباً من قبل الله ،«كان الرب قد أغلق رحمها» (١ : ٥ و ٦). وفننة الزوجة الأخرى لزوج حنة ألقانا ، كان له منها بنون وبنات ، مما كسر قلب حنة . ومع أنه يقال إن ألقانا أعطى حنة نصيباً مضاعفاً تعبيراً عن حبه العميق لها إلا أن فننة ، الزوجة الأخرى ، كانت تعامل حنة بطريقة مختلفة . فقد كانت تغيظ حنة كل سنة بقسوة وتجعلها تبكى لأجل عدم إنجابها . إن مثل هذا الموقف يدل على نتيجة تعدد الزوجات التى تسمم حياة الأسرة كلها.

وفى إحدى الزيارات السنوية لبيت الرب ، صلت حنة المرة النفس وبكت ونذرت نذراً .. فلو فتح الله رحمها وأعطاها ابناً فإنها سوف تنذر لله نذرين . أولاً ، فهى نذرت الابن الذى سألته من الله لخدمة المعطى السماوى كل أيام حياته ، ولكن الذى سمع صلاة القلب الحزين كان قد أعد عملاً أسمى للابن الذى لم يكن قد ولد بعد . والنذر الثانى أنها تعد بأن تكرسه كنذير لله ، وكما نعرف ، فقد أصبح صموئيل نذيراً دائماً . لقد استمع الله القدير لحنة « الرب ذكرها » (١ : ١٩). وفتح رحمها وحبلت بابن وبمجرد فطامه أخذ إلى بيت الرب وترك هناك . وبدل العارية التى أعارت للرب ، كافأ الرب حنة بثلاثة بنين آخرين وبنتين (٢ : ٢١). وترنيمة الحمد التى أنشدتها هى أول ترنيمة دعيت ذلك بحق - النموذج المباشر لأول ترنيمة مسيحية لتمجيد الرب ، وأول انسكاب قلبى لإنسان أمام الله كشئ متميز عن تقديس الأوطان (١ صم ٢) .

وبدلاً من حزن حنة جاءت ترنيمة جميلة ، وهى ترنيمة جاءت بوحى إلهى لأن ما فيها من أفكار جميلة قد أودعها الروح القدس أولاً فى قلبها ثم أعطى لشفتيها النعمة والقوة لتنطق بها بلغة سامية . وقد أصبحت ترنيمة حنة من أحب ترانيم الشعب ، وقد توارثها الأبناء عن الآباء من جيل إلى جيل بنفس الكلمات التى تفوهت بها أولاً شفتا تلك الأم التقية ، السعيدة للطفل النبى فى بيت لم يكن من السهل عليه أن يعيش فيه . تبقى كلمة ينبغى أن نقولها

بخصوص عالى الذى أساء فهم حركة شفتى حنة عندما كانت تصلى فى صمت ظاناً أنها سكرى . وردت هى على تهمة رئيس الكهنة بتواضع واحترام ، والذى سرعان ما كفّر عن اتهامه الذى لا أساس له من الصحة .

معجزة دعوة صموئيل (١ صم ٣)

هل لاحظت معجزة أو اثنتين صغيرتين ولكنهما ثمينتان فيما يختص بدعوة بنى إسرائيل الصغيرة ؟ فى شيلوه حيث كان يخدم صموئيل أمام الرب كان يلبس إفوداً من كتان والجبة التى كانت تحضرها له أمه فى زيارتها السنوية وقد تزايد صموئيل نمواً وصلاحاً لدى الرب والناس أيضاً (٢ : ٢٦). والجو الذى كان يعيش فيه كان جواً نقياً ومقدساً . كان صموئيل ينام فى خيمة الاجتماع مع إطفاء الأنوار وفتح الأبواب . وقد كانت خدمته الروتينية تتأثر بلا شك بالأفكار الحزينة بخصوص الممارسات الشريرة لابنى عالى والذى تجنبهم صموئيل . « فقد كان حفنى وفنحاس ، البالغان ، يستغلان الخدمة المقدسة لمصلحة مآربهما الدنسة وكان الصبى يخدم أمام الرب بثوبه الأبيض الصغير وسط الهدوء والصمت والسر الرهيب للحضرة الإلهية وحماية الله له .

ويمكن أن نتصور كيف كان صموئيل يتوقع بشغف الزيارات السنوية لوالديه وإخوته من بنين وبنات . ومع أن صموئيل كان محروماً من الرعاية الدائمة والتدريب الذى كان يمكن أن يحصل عليه من والديه إلا أن عالى أعطاه التعليم الضرورى لحياته المستقبلية فى مباشرة الخدمة العامة . لم يستطع عالى أن يفعل شيئاً إزاء أبنائه العنيدين ، ولكن صموئيل كان الغلام الذى استطاع أن يعلمه قصة أسلافه ، فقد كان غلاماً أحبه عالى، وكان صموئيل تلميذاً مناسباً لرئيس الكهنة العجوز الذى هدّه الحزن .

أمام المعلم والتلميذ كانت هناك الستائر السوداء للهيكل التى كانت تفصلهما عن عرش الله الذهبى الذى كان يستقر عليه مجد الله ، وقد حدثت المعجزة هنا . فى تلك الأيام لم تكن هناك « رؤيا كثيراً » (١:٣) أى استعلاناً إلهياً مباشراً - لا صوت ملهم ينطق بكلمة ومشيئة الله لشعبه المختار . وهكذا حدث فى أحد الليالى الهامة أنه حين كان صموئيل نائماً أن الرب دعاه ، فالمطلوب من الله والموهوب لله قد دعاه الله الآن . وقد جاء النداء ثلاث مرات (٣ : ٤ و ٦ و ١٠) .

كان عالى قد فقد البصر ولم يستطع أن يرى جيداً ، ولكن سمعه كان سليماً . ومع ذلك ومع أنه كان قريباً من صموئيل ، لم يسمع الصوت الإلهى . ولم يستطع صموئيل كذلك أن يعرف من المتحدث لأنه فى المرتين الأوليين نهض ، ونظراً لطاعته واحترامه لعالى قال : « هأنذا لأنك دعوتنى » (٣:٥و٦) . والآن فإن لهجة ذلك الصوت لابد أنها كانت تشبه اللهجة التى كان يتكلم بها عالى مما جعل صموئيل يقول ما قاله « هأنذا لأنك دعوتنى » . إن صوت الرب الرهيب فى الهيكل كان ممكناً أن يخيف الصبى ، ولذا فبكل الاعتبارات الرقيقة ، فالله الذى خلق الصوت بكل ما فيه من تنوع فى الرنة والتعبير تحدث بنفس لهجة عالى المألوفة .

ومع ذلك « لم يعرف صموئيل الرب بعد ولا أعلن له كلام الرب بعد » (٣ : ٧) ، أى لم تصله أى دعوة إلهية مباشرة (انظر أع ١٩ : ٢) . ومع النداء الثانى أدرك عالى أن الرب قد نادى الصبى مرتين . ربما سأل المعلم الذى كاد يفقد بصره التلميذ الصغير والمتميز عن مصدر الصوت الذى جاءه وأخبر عالى أنه قد جاء من غرفته ، وعرف عالى أنه فى نفس هذا الاتجاه خلف الحجاب كان يوجد التابوت الذى كان بمثابة كرسى الله والذى كان يسمع منه صوته فى القديم . فقال لصموئيل مواسياً « اذهب اضطجع ويكون إذا دعاك تقول تكلم يارب لأن عبدك سامع » .

وبعد أن عاد صموئيل ليستريح ، كلم الصوت صموئيل لثالث مرة (أى ٣٣ : ١٤) ، ولكن هنا حدثت المعجزة . فجاء الرب ووقف ودعا كالمرات الأولى»،كيف جاء الرب؟ بأى صورة وقف أمام مضجع الصبى ؟ فى الماضى عندما كان يريد أن يظهر بصورة ما ، كانت هذه الصورة يعلن عنها ، على سبيل المثال ، كما ما ظهر ليشوع كرئيس جند الرب بسيف مسلول . ولكونه قريب من التابوت ، قد يكون « مجد الله » المنظور « الشكينة » هى التى رآها صموئيل كما نظر موسى على جبل سيناء هذا المجد . ومن وسط هذا المجد الباهر جاء الصوت الذى رد عليه صموئيل قائلاً :« تكلم لأن عبدك سامع » .

ويفيدنا هنا أن نتأمل فى تكرار النداء « صموئيل صموئيل ، فعادة عندما نادى شخصاً بالاسم ونكرر الاسم فهذه علامة على الجدية أو لأن ما نريد أن نقوله عاجل . والتكرار أحياناً يكون لغة العاطفة أو الانفعال كالحزن واليأس . « أبشالوم ، أبشالوم » ، هكذا كان الحال مع صموئيل حيث كان الصوت حاسماً حين استدعى الخادم الصغير لتلقى رسالة عاجلة ، رسالة القضاء . يالها من رسالة تحمل الحكم المخيف ، لقد كانت رسالة يصعب على الآذان الصغيرة أن تستمع إليها(٣ : ١١ - ١٤).

وباعتبار صادق لمشاعر عالى ، نام صموئيل حتى الصباح ، خائفاً من إبلاغ معلمه بإعلان الله الخطير ، ولكن بناء على إلحاح عالى أخبره صموئيل بكل شئ . إن رقة الغلام المقدس قد أضافت رهبة إلى القرار الخطير المعلن عن طريقه إلى الكاهن العجوز ، الضعيف . وإذ تقبل عالى هذا الحكم المستحق قال : « هو الرب وما يحسن فى عينيه يفعل » . يخبرنا يوسيفوس أن صموئيل كان يبلغ من العمر ١٢ سنة عندما ناداه الله ، وعن طريق تلك الشفاه المطهرة لهذا الطفل البرئ سمع عالى بمصير بيته .

وقد ترسخت شهرة صموئيل « كالصديق الصغير للإله الأبدى » ، فقد اعترف به كنبى الرب المتلقى للإعلانات الإلهية (٣ : ٢١). وفيما بعد نقرأ أن الرب «كشف أذن صموئيل» (٩ : ١٥). يا له من منظر مسرّ لهذا الإله الذى يهمس فى أذن بشر ، فأن يكشف الله أذن صموئيل يعنى أنه أزاح جانباً خصلة شعره كنذير برقة ، والتى كانت تغطى أذنه ، وأسرّ إليه بفكره . وإذا كان صموئيل يستمع لله ، فالله يستمع لصموئيل ، لأن النبى كان يردد كلمات الشعب فى «أذنى الرب» (٨ : ٢١). وفى حضرة الله القدوس ، كان صموئيل يسكب قلبه أمام الله صديقه . يا لها من شركة متميزة وصحبة رفيعة المستوى تبرزها تلك اللمسات الثمينة ! هل أذناك مستعدة لسماع صوت الله .

معجزة سقوط داجون (١ صم ٥ : ١ - ٥)

إن تدمير داجون ، الإله الوثنى للفلسطينيين يثبت قوة الله على كل أشكال الجماد ، ويرى أن المعجزات يمكن أن تخترق كل ذرات المادة . والظروف المأساوية التى اجتازها شعب إسرائيل والتى أدت لمثل هذه المعجزة يمكن إيجازها . لقد هزمت إسرائيل هزيمة قاسية كما تنبأ صموئيل (١ صم ٤) . لقد قتل ثلاثون ألف رجل من المشاة مع ابنى عالى الأشرار ، حفنى وفنحاس ، كما تنبأ صموئيل أيضاً (٢ : ٣٤) .وكان خبر هزيمة إسرائيل والاستيلاء على التابوت وقعه قاسياً على عالى الذى كان يبلغ من العمر ٩٨ سنة وقتئذ . فقد كسر هذا الخبر قلبه ووقع من على كرسيه وكسرت رقبته . وخلال هذه الكارثة المفاجئة ، فإن أرملة فينحاس ، الكاهن المقاتل الشرير ، ولدت ابناً أسمته إيخابود أى « زال المجد من إسرائيل » (٤ : ٢١ و ٢٢).

وإذ كان الفلسطينيون مزهوين بالانتصار الناجح الذى أحرزوه فإنهم قاموا بإحضار تابوت الله من ميدان المعركة إلى أشدود ووضعوه فى هيكل إلههم المحبوب داجون . يقول اليكوت فى هذا الصدد « كان هذا انتقاماً منهم لمقتل ٣٠٠٠ فلسطينى مقاتل فى معبد نفس الإله فى غزه ،

ليس قبل ذلك بسنوات عديدة ، عن طريق البطل العبرى الأعمى شمشون »، لقد شعروا أن داجون الذى لحقت به الإهانة وقتها والـ ٣٠٠٠ مقاتل الذين قتلوا قد انتقم لهم بهذا العار الذى لحق «بإله إبراهيم» ، فالتابوت الذهبى ، رمز مجده موجود الآن فى معبد وثنى عند قدمى داجون . ومع ذلك فالنشوة التى شعر بها الفلسطينيون كانت قصيرة الأمد .

ما هو شكل داجون إله الفلسطينيين القومى؟ كان لهذا الوثن رأس منحوتة تشبه رأس الإنسان ، وكذلك يداه ، أما جسمه فقد كان على شكل سمكة ، وعند ذيل السمكة كانوا يلصقون قدمى امرأة . ولقد تلاشى الجزء العلوى ولكن بعض القطع الضخمة التى تمثل الجزء السفلى يمكن أن ترى الآن فى المتحف البريطانى فى لندن . والاسم(داجون) من كلمة (داجن) التى تعنى (غلة) وتدل على طبيعة عبادة الفلسطينيين .

« ففكرة الإله عندهم تعنى أنه هو الذى ينتج بذور كل الأشياء من الرطوبة» ، وكلمة (داج) تعنى «سمكة» وتمثل البحر الذى استمد منه الفلسطينيون كثيراً من ثروتهم وقوتهم . يقول كيل Keil : «كان هذا الإله تجسيداً لمبدأ الطبيعة الولودة والمحيية والتى شبهوها بالسمكة التى تتكاثر بكثرة بالغة ، والتى تبرز فكرة الواهب لكل خير أرضى » .

والمقطع الثانى (ون) تعنى (صنم) ، ولذلك فهذا الشكل الرمزى كان يتألف من عقل بشرى (الجزء العلوى من الصنم) ومن خصائص البحر (الجزء السفلى) . ولذلك فهذا الصنم كان يرمز لقوة الفلسطينيين التجارية والبحرية .

هذا الشكل الذى يحاكى الإله فى صورة تدعو للسخرية سرعان ما أختبر قوة الإله الحقيقى ، الذى تنبع فيه كل البركات الأرضية . وفى وقت ضعفه الظاهر ، أظهر التابوت أنه أقوى من الإله الوثنى . لماذا ؟ لأن التابوت كان يمثل قوة ومجد الرب ، والله لا يعطى مجده لآخر . وهكذا حدث أن هذا التمثال الضخم ، بعد يوم واحد من وضع تابوت الرب فى معبد الوثن وجد منبطحاً على أرض المعبد أمام التابوت الذى انتهكت قدسيته ، لأنه تابوت بنى إسرائيل المقدس .

ولما اعتقد الفلسطينيون أن حدثاً طارئاً قد وقع ، رفعوا الصنم ووضعوه فى مكانه . ولكن فى اليوم التالى صدم الفلسطينيون المزهوون بالنصر أن صنمهم لم يقع فقط على الأرض ولكن فى هذه المرة قد تحطم إلى قطع ، ولم يتبق فيه سوى الجزء السفلى الذى يشبه السمكة (٥ : ٤) . وقد عرف الفلسطينيون حيث عقدت الدهشة لسانهم أن مثل هذه الحادثة لم تكن لتحدث مصادفة لأن البقايا المتناثرة قد تبعثرت بشكل يبعث على الازدراء على عتبة المعبد التى كانت تطأها أرجل الكهنة والعابدين وهم داخلين إلى البيت المقدس . وكسْر رأس داجون ويديه وبقائهما على العتبة يشير لتحطم كل الأوثان النهائى فى يوم الرب العظيم (إش ٢ : ١١ - ٢٢) . إن ربنا قد سمح للأعداء أن يأخذوه ، وسار فى طريق الموت ، إلى مملكة ذاك الذى له سلطان الموت ، ولكن بالرغم من سحق عقبه فقد سحق رأس الحية . وحتى فى موت الخزى والعار ، أظهر أنه أقوى من خصومه فلم يستطع الموت أن يمسكه .

معجزة البواسير (٥:٦-١٢، ٦:١٧ ، و ١٨ ، تث ٢٨ : ٢٧ ، مز ٧٨ : ٦٦)

لازال المزيد من الضربات ينتظر الفلسطينيين لانتهاكهم حرمة تابوت العهد . لقد كانت يد الرب ثقيلة عليهم وضربهم بالبواسير مما أثبت سيادته على العالم المادى ، لم ينج أحد من هذا المرض الأليم ، فعانى منه الصغار والكبار على حد سواء (٥ : ٩) . فالبواسير أو الدمامل التى تسبب النزيف هاجمت الجزء السفلى أو «الأجزاء السرية»

من البطن .

وبخلاف أولئك الذين ضربوا بالبواسير فقد لحق بالآخرين الموت والدمار الذى جاء نتيجة «يد الله» ، كانت المصائب الإلهية كثيرة لدرجة أن صراخاً مدوياً صعد إلى السماء .لقد اضطر الفلسطينيون أن يعترفوا أن يد الله كانت شديدة عليهم وعلى إلههم بسبب معاملتهم للتابوت وصاحوا « ماذا نفعل بتابوت إله إسرائيل ؟ » ولما صمموا على التخلص من هذا التذكار المميت لانتصارهم على إسرائيل ، حمله الفلسطينيون معهم من مكان إلى مكان وأخيراً قرروا إرجاعه إلى مكانه (٥ : ١١) .

أخبر الكهنة والعرافون الفلسطينيين أنهم يجب أن يضعوا فى صندوق الخزانة التاريخية المقدسة قربان إثم « خمسة بواسير من ذهب وخمسة فيران من ذهب » حسب عدد أقطاب الفلسطينيين (٦ : ١٧ و ١٨). والطبعة اليونانية للترجمة السبعينية تضيف عبارة « لضربة البواسير » (٥ : ٦) «كانت الفيران قد كثرت فى الأرض، وقد حدث اضطراب عظيم فى المدينة »، ومن هنا تم ضم الفيران إلى البواسير كقربان إثم (٦:٥).

معجزة البقرتين (٦ : ١٦ - ١٧)

مرة أخرى نرى قوة الله الخارقة بطرق عارضة وواضحة فى نفس الوقت . فالفلسطينيون وقد أصابهم الاسترخاء واللامبالاة بسبب إخضاعهم للتابوت ، قد تم تذكيرهم بالضربات التى ضرب بها فرعون بسبب عدم رغبته فى إطلاق سراح بنى إسرائيل ، قد ضُربوا هم بضربة واحدة (البواسير) ، فهل يريدون تجربة شدة الضربات العشر؟ استجابة للأمر الإلهى ، عمل الفلسطينيون عجلة جديدة لحمل التابوت إلى بيتشمس وهى مدينة مخصصة للكهنة (يش ٢١ : ١٦)،وقد تم هذا الترتيب احتراماً للتابوت، وكان إحساساً صادقاً وصحيحاً (عد ١٩ : ٢ ، ٢ صم ٦ : ٢) . ولكن عمل عجلة جديدة كان نوعاً من أنواع العصيان ضد أمر الرب الذى كان قد أمر اللاويين بحمل التابوت على أكتافهم (عد ٤ : ١٥، ٧ : ٩).

والفلسطينيون بدأوا يعاملون التابوت بخشية واحترام لأنه بسبب إهانتهم له حلت بهم الويلات . ومع ذلك فالكهنة وهم غير متأكدين إن كانت ضربة البواسير مرسلة إليهم من الله أم كانت شيئاً معتاداً من الطبيعة ، اقترحوا تجربة غريبة لإرضاء عقول الشعب . فلو استمرت البقرتان فى الطريق إلى بيتشمس على خلاف التوقعات ، تكون هذه علامة على قيادة وهداية القوة الإلهية وأن حيازة التابوت كانت عملاً خطيراً وأنه يجب التخلص منه ، ولكن لو تركت البقرتان للتصرف لوحدهما فإن المتوقع أن يعودا لحظيرتيهما . وفى هذه الحالة يمكن إعادة التابوت لمكانه دون خوف أو وجل ويمكن تفسير ما حل بهم من مصائب بأنه نتيجة لأسباب طبيعية .

إن الله الذى خلق حيوانات الحقل قادر على السيطرة على حركاتها، ولذا فإن البقرتين المرضعتين لم تتبعا غرائزهما وتعودا للعجلين الصغيرين المربوطين فى الحظيرة . إن قوة إلهية كانت تستحث البقرتين فى سيرهما قدماً للأمام واستمرتا كائنتين من الحيوانات العجماوات فى رحلتهما حاملتين للتابوت الذهبى . إن السرد يحكى قصة التدخل الإلهى «والذراع الرفيعة» ببساطة مذهلة وحقيقة ناصعة . فما الذى كان يمكن لأقطاب الفلسطينيين أن يفعلوه سوى أن يتبعوا البقرتين ، وقد عقدت الرهبة لسانهم ، من بعيد . ياله من دليل مقنع على العنصر المعجزى هنا ! .

المعجزة فى بيتشمس (٦ : ١٩ - ٢١)

وأخيراً تم الوصول إلى بيتشمس . عندما رفض العقرونيون ان يحتفظوا بالتابوت ، رتبت حكمة الله أن يستلم الكهنة واللاويون التابوت بكل فخر وأن يقدموا ذبيحة أمامه . أما الناس الذين تزاحموا حوله من كل

الجهات ونظروا إليه بحب استطلاع دنس ، فقد ضربهم الرب على الفور .

إن هذه النظرة توحى بأنها كانت نظرة سخيفة ، وحملقة بدون احترام ، وعدم تقدير للتابوت ، فمن المرجح أن رؤساء بيتشمس وهم سكرى بالخمر بسبب العودة المفرحة للتابوت فقدوا كل إحساس بالهيبة والتقدير ، وحاولوا أن ينظروا ليس فقط إلى التابوت بل إلى داخل التابوت أيضاً .

ربما أرادوا أن يعرفوا إن كان الفلسطينيون قد انتهكوا حرمة أسرار هذا الصندوق المقدس أم لا . مهما كان الباعث الذى دفع الرجال لينظروا إلى داخل التابوت ، «فلم يسبق لعين دنسة مجدفة فى إسرائيل أن نظرت إلى داخله منذ أن أحكم الغطاء الذهبى - الذى شاء مجد الإله الأبدى أن يستقر فوقه - على الكنوز المقدسة فى البرية - » .

لقد ضربت يد الرب المجدفين وقتلت منهم عدداً كبيراً ، ووصف بأنه صاحب الحق والقوة ليقتل أو يحيى .

أما بالنسبة لبقية الشعب النائحين ، وقد أرعبتهم وأذهلتهم قوة الله ورهبته صاحوا « من يقدر أن يقف أمام الرب الإله القدوس هذا » (٦ : ٢٠) . لقد اضطروا أن يربطوا بين الملك غير المنظور والتابوت الذهبى .

فلما رأوا الضربة المميتة تقتل إخوتهم شعروا أنهم يستحقون القضاء الإلهى وصاحوا «إلى من يصعد عنا»؟ وفى العقاب المخيف لأهل بيتشمس لعدم احترامهم ووقاحتهم يمثل الناموس بالنسبة لهم «خدمة الموت» ، والاستفسار الذى قدمه أولئك الذين بقوا على قيد الحياة «من يقدر أن يقف أمام الرب الإله القدوس» ، يمثل سؤالاً لا يستطيع أحد الإجابة عليه سوى الإنجيل (رو٣:٢١-٢٦، ٢كو ٥ : ٢١) .

المعجزة عند حجر المعونة (٧ : ١-١٧)

فى الأصحاح الذى أمامنا الذى يسجل نهضة إسرائيل، نجد حادثة أخرى مدهشة، نرى فيها الله وهو يطلق العنان لقوى الطبيعة لإنقاذ شعبه الواقع فى كرب . ويظهر صموئيل على مسرح الأحداث ثانية . فخلال العشرين سنة (٧ : ٢) التى كان فيها التابوت بعيداً عن أورشليم وكان الشعب مستعبداً للفلسطينيين ، ليس لدينا سوى القليل من الأحاديث عن النبى القاضى . والآن فقد حدثت الأزمة ، ويظهر صموئيل للتدخل . فخلال هذه السنوات العشرين ، لابد أن النبى قد وجد أن المدة قد طالت ،لم يكن راكداً وساكناً ، لقد كان يعمل بلا انقطاع «لإقامة العبادة القديمة لله واستعادة الحياة النقية التى يحبها الله وسط شعبه » . فعلى الرغم من الهزيمة الساحقة التى لحقت بالشعب فى أفيق (أصحاح ٤) فالروح القومية للشعب العبرى لم يُقض عليها بأى حال من الأحوال. فهنا نرى إحياءها من جديد تحت قيادة جديدة وظروف أفضل «وناح كل بيت إسرائيل وراء الرب» ، لقد كره الشعب أوثانهم وتعبوا من الجريمة والحماقة ، وقد حثهم صموئيل أن ينزعوا عنهم كل الآلهة الغريبة - تلك الآلهة الوثنية المحبوبة وسطهم . لقد كانت تلك ساعة الحسم، وقد علم صموئيل رجل الدولة الحكيم الوطنى أن ساعة خلاص إسرائيل واستعادة الروح القومية قد أتت . ولذا فعند المصفاة اجتمع الشعب فى احتفال مهيب وسكبوا ماء أمام الرب وقدموا صلاة مع الاعتراف والصوم . وتقدم صموئيل وهو يقوم بعمل القاضى الذى كان يتضمن توجيه الأمر العسكرى والقضاء المدنى ، وأصعد محرقة وصلى حيث إن الفلسطينيين عادوا يرعبون الشعب مرة أخرى .

كانت حياة صموئيل سلسلة متصلة من الصلاة والقيام بعمل الوساطة ، لقد ولد نتيجة لصلاة وأصبحت الصلاة بمثابة الهواء الذى يتنفسه . وكانت خدمته الروحية المتميزة متصلة ، وهو يصرخ إلى الله أحياناً « الليل كله » (١٥: ١١) فى صلاة شفاعية - وهو يرمز للمسيح الذى «قضى الليل كله فى الصلاة» (لو ٦ : ١٢) . وفى الساعات

الحرجة كما كان الحال هنا فى المصفاة ، كان صموئيل جاثياً على ركبتيه (٧ : ٥و ٨ و ٩ ،١٢ : ١٨و ١٩و ٢٣، ١٥: ١١) وفيما بعد فقد امتدح كرجل الصلاة (مز ٩٩ : ٦ ، إر ١٥ : ١) .

لقد علم أن الصلاة قادرة على تحريك القوى السماوية . فاستجابة لصلوات صموئيل والمحرقة ، استجاب الله برعد عظيم وتم إنقاذ شعبه من الفلسطينيين دون استخدام أى أسلحة أرضية . ومرة أخرى فإن « ملاك حضرته » مع ذراعه المجيدة تخلص شعبه .

إن العاصفة الرعدية الشديدة التى أرعدت على جيش الفلسطينيين والتى كانت مصحوبة ، كما يقول يوسيفوس ، بزلزال قوى ، تقدم مثلاً مدهشاً على القضاء الإلهى عن طريق البرق . فالله قد أعطى لوميضه القوة لإصابة الهدف ، وهُزم الفلسطينيون هزيمة منكرة وضُربوا عن طريق الجيش غير المنظور الذى كان يقاتل دفاعاً عن إسرائيل . وعند مشاهدة صموئيل للمذبحة ، أخذ حجراً وسماه حجر المعونة . كان هذا اسم المكان الذى هُزم فيه إسرائيل شر هزيمة وأخذ منهم التابوت (٤ : ١ ، ٥ : ١). هنا أصبح الاسم تذكاراً لنصر مجيد مقدم لهم من الله ضد الفلسطينيين . ومنذ وقت هزيمتهم قصاعداً ، كانت يد الرب عليهم كل أيام صموئيل (٧ : ١٣) .

ولمدة عشرين سنة أخرى فإن صموئيل القاضى المتجول كان يمارس أعلى سلطة فى إسرائيل ، وكان مقره الدائم فى الرامة ومدينة والده حيث بنى مذبحاً للرب ، وحيث كان النبى مع الأرجح يحرس الأوانى المقدسة والأثاث الذى تم استخلاصه من الدمار الذى لحق بشيلوه . ومات فى الرامة ودفن هناك . وكان التابوت فى مكان أمين فى قرية يعاريم « مدينة الأخشاب » .

معجزة الأتن المفقودة (٩ : ٣ - ٢١ ، ١٠ : ٢)

إن السجل الذى ورد عقب إنقاذ إسرائيل لهو سجل يبعث على الأسى . فصموئيل الآن ، بعد أن أصبح عجوزاً، وبالرغم من العبرة السابقة لحالة عالى وخطورة عدم تصويب سلوك الأبناء العصاة ، جعل ابنيه الشريرين يوئيل وأبيا قاضيين على إسرائيل . وإذ كان ينقصهما القدرة والأمانة التى كانت لوالدهما العظيم . فقد سارا وراء المكسب وأخذا رشوة وعوَّجا القضاء (٨ : ١ - ٣) . هذا هو العيب الوحيد فى حياة صموئيل المقدسة ، فيمكن أن يقال عن صموئيل بحق أنه كزهرة بيضاء يمثل حياة بلا لوم ، لقد كان معجزة من معجزات النعمة (١٢ : ١ - ٥) . وقد كان السلوك المخزى لابنى صموئيل باعثاً للتحول إلى الملكية ، وتعيين ملك يقضى لإسرائيل يخلف صموئيل . ولما اشمئز الشعب من السلوك الردئ ليوئيل وأبيا ، طلب الشعب ملكاً مثل الشعوب الوثنية التى حولهم ، ومرة أخرى فى ساعة الأزمة القومية ، كان ملجأ صموئيل لمن لا يخرجه فارغاً هو عرش النعمة «صلى صموئيل إلى الرب»، ورداً على الصلاة المؤمنة ، أظهر الله لصموئيل المعنى الدفين لطلب الشعب ونوع الملك الذى كان سيملك عليهم . ومثل هذه الإعلانات دليل على العنصر الخارق للعادة ، لقد كشف له الله أنه هو الملك غير المنظور ، وليس النبى المنظور ، هو الذى رفضه الشعب . وكنتيجة لهذا الإعلان من الله ، أخبر صموئيل الشعب عن قوة وشخصية الملك المستبد الذى طلبوا أن يملك عليهم عند تحولهم من الثيوقراطية (حكم رجل الدين) إلى الملكية . ثم يبدأ الأصحاح التاسع بسرد موجز لعائلة شاول وشخصيته الفريدة (٩ : ١ و ٢) .

وهكذا نأتى إلى قصة الأتن المفقودة - وهى تعبر عن القوة الإلهية للخالق ، حيث أن هذه الأتن الضالة قد استخدمها الله لجمع شمل صموئيل وشاول . والله الذى تكلم عن طريق حمار وأعدّ أتاناً لابنه ليركب عليه ، قادر أن يستخدم مثل هذا الحيوان لتنفيذ أغراضه . فشاول بن قيس ، ترك المزرعة وسافر بعيداً بحثاً عن الأتن ، ولما شعر

أن أباه سوف يقلق لطول غيابه ، أراد شاول أن يعود بدون الأتن ، ولكن غلام شاول الذى كان يعلم بشهرة صموئيل كرائى حثّ سيده ليطلب مشورة رجل الله .

مرة أخرى نجد تذكاراً للصلة المباركة القائمة بين الله وصموئيل . وقد كان « الرب قد كشف أذن صموئيل قبل مجئ شاول بيوم » كل ما يتعلق بمجئ شاول واختياره وعن سلامة الأتن (٩ : ١٥و٢٠ ، ١٠ : ٢ و ١٦) . فالله هو الذى أخبر صموئيل أن الأتن كانت فى حوزة رجلين بجوار قبر راحيل .

وأما الأتن ... قد وجدت ، فالحقيقة أنها لم تضع ، لأن عين الله ليست على طيور السماء فقط ، بل كانت أيضاً على تلك الأتن وهو الذى حماها وأرجعها سالمة لشاول ، الذى مسحه صموئيل ملكاً على إسرائيل . ومع أنه من خصائص الأتن أن تتجمع معاً حتى إذا جرت بعيداً، فاليد العليا جعلت أتن قيس مجتمعة معاً خلال الأيام الثلاثة لغيابها من الحقل . والعلاقة الحميمة التى كانت بين الثلاثة رجال الذين قابلهم شاول حاملين مؤونة كافية لشاول وخادمه ، وإعلان «الآيات» المقدمة لشاول (١٠ : ٧) كلها دلائل قوية على عناية الله الفائقة ، وقوته المعجزية ترى فى تغيير شاول الذى «تحول إلى رجل آخر» (١٠ : ٦ و ٩). إن إعلان مثل هذه الأفكار الإلهية لصموئيل يدخل فى نطاق الخوارق .

معجزة الجلجال (١٢ : ١٦ - ٢٥)

إن ما يذكرنا بالمعجزات لجده متوفراً فى سجل هزيمة شاول للعموتيين « فحل روح الله على شاول » (١١ : ٦) «فوقع رعب الرب على الشعب» (١١ : ٧) .

« صنع الرب خلاصاً فى إسرائيل » (١١ : ١٣).وما قام به شاول من عمل حاسم فى حصار يابيش جلعاد بالعمونيين وهزيمته لهم أثبت أنه جدير بالملك وجدير بالإجماع الكلى على تنصيبه ملكاً .

وفى الأصحاح الذى أمامنا نجد ترديداً للأعمال المعجزية التى صنعها الرب لصالح شعبه ، وتأكيداً لتدخله فى المستقبل بجانبهم لو أطاعوا وصاياه . ثم نأتى إلى الآية المرعبة الدالة على غضب السماء لرغبة الشعب فى ملك أرضى ، وهى رغبة لا تعد إلا تتويجاً لقائمة طويلة من التمرد ضد الملك السماوى ، وسلطان الله على مملكة الطبيعة ، نراه فى العاصفة الرعدية القوية والمطر الذى نزل أثناء حصاد الحنطة فيما بين شهرى مايو ويونيو عندما يكون الرعد والمطر من الأمور النادرة الحدوث . إن هذه الظواهر غير المعتادة التى جاءت كإجابة مباشرة لصلاة صموئيل ، أصابت الشعب بخوف عظيم ، فتابوا وطلبوا من شاول أن يصلي للرب لأجلهم ، وقد دلت العاصفة الرعدية على أمانة صموئيل وعلى خطية الشعب أيضاً . وقد قدم الوعد بالحماية الإلهية والرعاية إذا خاف الشعب الرب وعبدوه، وقد شهدوا قوته لتوهم ، أما إذا لم يقدموا له الطاعة ، فإنهم يهلكون هم وملكهم أيضاً .

مرة أخرى نجد إيضاحاً لتساؤل أيوب « أما رعد جبروته فمن يفهم » ، قال أوفيد الفيلسوف اللاتينى : «عندما تضرب العواصف الرعدية شخصاً واحداً ، فإنها لا تصيب بالرعب إنساناً واحداً » ، ومع أن هذه العاصفة الرعدية فى الجلجال لم تقتل أحداً إلا أنها أصابت قلوب الناس بالرعب «فخافوا الرب وصموئيل» .

معجزة عرافة عين دور (١ صم ٢٨)

حيث إنه يوجد عدد قليل جداً من المعجزات فى حياة شاول ، يمكننا أن نمعن النظر فى الأصحاح الذى يلقي الضوء على مخاوفه ونواحى فشله . نظراً لنفاد صبر شاول لتأخير صموئيل ، قام شاول بأداء الطقوس الكهنوتية ، وقد وبخه صموئيل بشدة لحماقته وعدم طاعته ، وأخبره برفضه كملك (أصحاح ١٣) . ولكن الرب أنقذ إسرائيل كمنّة منه من يد الفلسطينيين على الرغم من تصرف شاول

غير المرضى . لقد مكّن الله الملك الذى لا يستحق أن يحارب كل أعداء إسرائيل وحيثما توجه غلب (١٤:٤٧).

فيما يختص بعماليق ، اتجه شاول للعصيان مرة أخرى واستحق توبيخ صموئيل. وقصة اللقاء الأخير بين شاول وصموئيل فإن قراءته تبعث على الأسى (١٥: ٣٤). لقد فارق روح الرب شاول وحل عليه روح ردئ (١٦:١٤)، بمعنى أن حالة عقلية يسودها الاضطراب والارتباك انتابته، وهذه الحالة لم يستطع أحد أن يسيطر عليها سوى داود وحده ، خليفة شاول الممسوح لتوه ، بعوده الحلو النغمات (١٦:١٦-٢٣) . وليس يهمنا فى هذه الدراسة أن نتحدث عن كل الأحداث بالتفصيل - كغيرة شاول من داود بسبب انتصاره على جليات ، وتصميمه على قتل داود الذى يحبه الجميع ، وقتله كهنة نوب لحمايتهم لداود ، وتغير قلبه من نحو داود .

نريد أن نلقى نظرة أخيرة على ملك إسرائيل المرفوض عندما غزا الفلسطينيون إسرائيل ، وإحساس شاول بقرب نهايته المأساوية .

إن الأصحاح الذى يتحدث عن هذه المأساة يفتتح بالإعلان المتكرر عن موت صموئيل ودفنه (٢٥:١، ٢٨ :٣) ويقدم الاختبار الغريب والخارق للعادة الذى مرّ فيه شاول . ففى مقتبل حماسه لعبادة الله والعبادة الطاهرة ، كان شاول قد نفى أصحاب الجان والتوابع من الأرض . والآن نراه يبحث فى يأس لطلب مساعدة الذين يعاملون فى هذه المهن المحرمة . إن شاول ، فى خوفه ، كان قد طلب من الرب أن يدله على ما ينبغى أن يفعل، ولكن « الرب لم يجبه » بجميع الوسائل . لقد كانت السماء كالنحاس بالنسبة لهذا الرجل المرفوض . وما أن ترك لنفسه حتى اتجه للخرافة لتساعده فى ساعة الحاجة الملحة .

فى عين دور كانت هناك عرّافة أو وسيطة ، يبدو أنها أفلتت من الملاحقات التى قام بها شاول فى أيام حكمه الأولى . جاء شاول فى الظلام متنكراً إلى بيت العرّافة ، وطلب منها أن تعرف له بالجان وأن تصعد له روح صموئيل. وبما أن أرواح المؤمنين الراحلين لا تعاود المجئ إلى هذا العالم ، فالسؤال هو : ما الذى حدث فعلاً عندما مارست العرّافة عرافتها ، وقد انتابها الذعر ، عندما أصعدت صموئيل ، الذى سمع شاول من شفتيه مصيره المحتوم ؟ فمع أن بساطة القصة توحى بمعجزة ، دعنا نفكر فى بعض التفسيرات القليلة التى اقترحها الدارسون .

فالعرّافة ، مع أن الكتاب لا يتحدث عنها هكذا ، كانت عبارة عن وسيطة روحية - « خليلة لروح يمكن أن تستحضر الأرواح بواسطتها » . وقد ادّعت أن لديها القوة لحمل رسائل من الأموات للأحياء . إنها علامة على الأيام الأخيرة هذه أن عدداً متزايداً من الناس يتطفلون لمعرفة المجهول باستحضار الأرواح ويتوقون إلى البحث عن دلائل قوية خارقة للعادة تثبت حضور أرواح الموتى . ولكن أرواح المؤمنين الراحلين لا يسمح لها بالعودة إلى الأرض سوى عن طريق سلطة إلهية وإذن إلهى .

هناك من يؤكد أن الزيارة المزعومة لشاول ما هى إلا حيلة بارعة من المرأة خدعت بها شاول، ويقولون إنه لم يكن هناك ظهور حقيقى . ويقول آخرون إن العرّافة كان لديها القوة لإصعاد أرواح الأموات بدعم شيطانى . والرأى المستقيم يقول إنه بسلطان الله وليس بوساطة المرأة إطلاقاً (بل مما سبب ارتباكها وفزعها) أن صموئيل قد ظهر بالفعل . فليس من المتصور أن تكون روح النبى المقدس تحت سيطرة امرأة شريرة ووقحة . فالله قد سمح لصموئيل ، الذى وصف بأنه رجل شيخ مغطى بجبة ، أن تراه المرأة (٢٨:١٤) .

وقد يثار هذا السؤال : كيف يمكن لروح أن يحمل ملامح رجل عجوز ويرتدى رداء مادياً ؟ يعلق الأسقف وردزورث بالقول : « لقد قصد الله أن تتعرف عيون البشر

على روح صموئيل . وكيف يمكن أن يتم ذلك سوى عن طريق وسائل تتيح للحواس أن تراها ؟ إن ربنا يتحدث عن «لسان» لروح الغنى وهى بلا جسد فى لوقا أصحاح ١٦ ليعطينا فكرة عن مقدار عذابه ، وعند التجلى أظهر شكل موسى بزيه للتلاميذ الثلاثة حتى يتمكنوا من التعرف عليه » .

إن شاول لم ير صموئيل ولكنه تعرف عليه من الوصف الذى قدمته المرأة، ومن صوته. ولنقتبس كلمات وردزوورث ثانية : « لقد عرف صموئيل تنكر شاول الذى كان قد خدع المرأة التى جاء لاستشارتها لأنه تحدث لشاول باعتباره شاول فعلاً . وهكذا أخيا النبى، فعلى الرغم من أنه كان لا يبصر لكبر السن ، فقد عرف تنكر زوجة يربعام (١مل١٤: ٤ و ٦) . ويقترح يوسيفوس أن صموئيل على الأرجح كشف حضور شاول للعرافة، ومن الممكن أن يكون صموئيل قد قال كلمة فضحت شخصية الملك وأظهرتها للعرافة .ومعرفتها الفورية لصموئيل يثبت أن العرافة لم تكن فى حالة من الجلاء البصرى تمارس نوعاً من الدجل والشعوذة .

وعندما ظهر صموئيل ، تحدث معه شاول مباشرة ، ولم يكن هذا خدعة صوتية ، كما يحدث حين يتكلم شخص بصوت خفيض وضعيف ليبدو كما لو أن روحاً تتكلم فيه (إش ٨ : ١٩ ، ٢٩ : ٤) . فبلهجة حادة ونبرة حاسمة كرر صموئيل حكم الموت ضد شاول لعصيانه لمشيئة الله وكلمته وأعلن موته وموت أبنائه،وعن معاناة إسرائيل بسبب خطيتها . وعندما سمع شاول بمصيره حزن حزناً شديداً . ولكن كما يقول تايلور : على الرغم من العويل والبكاء والحزم الشديد الذى يظهر فى هذه الصرخة اليائسة لم يكن هناك اعتراف بالخطية ، أو طلب الرحمة - لم يكن سوى الطموح القوى لينجو بنفسه » .

وفى اليوم التالى قطع الفلسطينيون رأس شاول وبنيه وعلقوا أجسادهم على أسوار بيت شان . وهُزم جيش إسرائيل هزيمة منكرة ، ونهب الفلسطينيون مدن الإسرائيليين مما زاد من أهوال هزيمة جيش شاول .

إنه لأمر مأساوى أن يفارق الله إنساناً ويصبح عدوه. وشاول وهو يعلم بمفارقة الله له،كان يجب أن يكون أشد خوفاً لئلا يغضب الله أكثر بانتهاك وصيته فيما يتعلق باستشارة الموتى كما لو كانوا أقل خضوعاً لسيطرة الله من الأحياء .

١٢ - المعجزات فى حياة داود

(٢صم ٢٢، مز ٧٨: ٧٠-٧٢، ٧٢:١٨و ١٩)

هذا الشاب القوى البنيان من شبان العهد القديم ، عندما كان خاطئاً كبقية الناس ، كان ماهراً كراع للغنم وكموسيقىّ وكشاعر وكجندى وكملك . إن أصغر أبناء يسى الثمانية ، وهو داود ، كان حلو العينين وحسن المنظر ، شجاعاً ، وسريع الحركة ، ويكثر من التأمل الروحى (١ صم ١٦ : ١٢ و ١٨، ١٧ : ٤٢). وكصبى كان يرعى الغنم وكان على دراية بسكون الطبيعة ، ويعرف معنى الإقامة فى الكهوف المظلمة والبرارى الموحشة . ففى تلك البلاد ، فإن المراعى الكثيرة كانت تولّد فى قلب داود شرارة الحب لخليقة الله ، ونرى ذلك منعكساً فى العديد من مزاميره (مز ١٩ : ١ - ٦ ، ٢٣ الخ) .

فقد كان داود موهوباً كموسيقار وقد أصبح «مرنم إسرائيل الحلو والذى كانت الطيور والجبال تشدو معه» ، عندما استدعى ومسح ليخلف شاول كملك ،فإن موهبته الكبرى كانت روح الله (١ صم ١٦ : ١٣) الذى ألهمه وأوحى إليه بكتابة المزامير (٢ صم ٢٣ : ١ - ٣) ، والذى أمده بالقوة ليحرز انتصارات باهرة . وهذه المواهب الروحية كانت تتفق مع المكانة الرفيعة والدعوة التى تلقاها داود عندما كان فيما بين السادسة عشر والسابعة عشر من العمر . لقد كان ملكاً قد أعده الله ، ونرى ذلك جلياً فى

رفض شاول واختيار داود . وبسبب هذا الاختيار أصبح داود «حسب قلب الله» وليس بسبب سلوكه أو شخصيته . وكمرنم فهو يشير لهذا الاختيار فى (مز ٧٨ : ٧٠ - ٧٢) . وداود لا ينسى مطلقاً رفعته من مركز متواضع إلى كرسى العرش (مز ٨٩ : ١٩) .

معجزة الأسد والدب (١ صم ١٧ : ٣٤ - ٣٧)

كابن للطبيعة ، كان داود يشعر بالرهبة لانعكاس قوة الله فى عالمه . فعندما كان يرعى غنم والده ، كان يقضى ساعات طويلة فى خلوة ، وكان يستغل هذه الساعات الطوال فى التأمل فى عناية الله به ، كما يعكس ذلك العديد من مزاميره النبيلة (مزمور ٨ مثلاً) . لقد كان يشعر أنه ليس بعيداً عن عين الله التى ترى كل شئ (مز ١٣٩) ، وكان مملوءاً بروح الإيمان بالله ، واستطاع لذلك أن يقول : «صرت كآية لكثيرين» (مز ٧١ : ٧) ، وقد أعطاه الله نصراً حيثما حلَّ (١ صم ١٨ : ٧ و ١٤) .

ودفاعاً عن مقدرته وشجاعته ليذهب لوحده ضد جليات *المتحدى المغرور ، قال داود للملك شاول : « كان عبدك يرعى لأبيه غنماً (أضاع شاول أتن أبيه) فجاء أسد مع دب وأخذ شاة من القطيع ، فخرجت وراءه وقتلته وأنقذتها من فيه ولما قام علىَّ أمسكته من ذقنه وضربته فقتلته . قتل عبدك الأسد والدب جميعاً . وهذا الفلسطينى الأغلف يكون كواحد منهما لأنه قد عيَّر صفوف الله الحى » .*

فى هذا الحديث بين الملك والراعى الصغير ، لا نعرف بالضبط كيف قتل داود كلاً من الأسد والدب . والقصة توحى أنه بيديه القويتين قتل هذين الوحشين الكاسرين اللذين هاجماه . فلابد أنه كان فخوراً بسجل شمشون الذى شق الأسد نصفين ، وعند حلول الكارثة عرف أن نفس الإله سوف يمنحه القوة اللازمة ليستخدمها . كان ملك المستقبل فى رعاية الله ، وهكذا استطاع أن يشهد لقوة الله وعنايته .. فإذا كان لا يخشى الأسود والدببة فلماذا يخاف من عابد للوثن كجليات ؟ إن شخصاً «آخر» ساعد داود عندما كان يقوم بواجبه الشجاع وهو يرعى غنم أبيه وعلم أن نفس هذا الحارس الذى لا يقهر سوف يعطيه الشجاعة والقوة فى لقاء أكثر خطورة .

معجزة هزيمة جليات (١ صم ١٧)

لا حاجة بنا للإطالة فى سرد قصة لقاء داود الشجاع مع جليات الجبار ، فالقصة قد أثارت قلوبنا ونحن صغار كلما قيلت - ولا تزال ! إن جليات وهو من مدينة جت ، وربما كان من نسل هؤلاء العمالقة « بنو عناق » الذين تحدث عنهم الجواسيس لموسى (عد ١٣ : ٣٢ و ٣٣) ، كان بطلاً فى جيش فلسطين الذى التقى مع شاول فى أفس دميم . لقد استعد الإسرائيليون للمعركة ووقفوا صفوفاً متراصة ضد الفلسطينيين فى وادى البطم ، ولكن عندما رأى شاول ورجاله ذلك المارد القوى ، الذى يبلغ طوله ٩٫٥ قدم ، أصابهم الذعر وخافوا جداً عندما سمعوا تحديه واستهانته بهم .

فى هذه اللحظة التى أصيب فيها كل رجال إسرائيل بالخوف لقوة العدو ، زار داود الشاب الملئ بالحيوية المحلة (معسكر الإسرائيليين) . ولما أُعتبر أنه أصغر من أن يذهب إلى المعركة ، فقد أرسلوا معه طعاماً من بيت أبيه وليسأل عن سلامة إخوته . ولما وصل للمحلة سمع داود تعيير جليات الذى تكرر لليوم الأربعين من القتال أربعين مرة . وعلى الرغم من اتهام إخوته واحتقار جليات له ، تذكر داود معونة الله الفائقة فى الماضى وتحدى جليات أن يقاتله بشجاعة .

وبعد أن حاول داود أن يلبس عدة شاول الحربية تخلى عن لبسها وأخذ مقلاعه وخمسة حجارة ملساء . وبرغم التعيير الموجَّه له من جليات ، أعلن ثقته بالله واعتزازه به ومضى قدماً مع التأكد من النصر الذى سوف يهبه له الله.

لقد عرف داود تحدوه الغيرة على اسم الله ومجده ، أن

المعركة ليست معركته هو بل هي لله . وأن كل المصطفين للحرب سوف يعلمون أن الله يخلّص ليس بالسيف ولا بالرمح . لم يتعثر داود في مشيته ، وكان قلبه قوياً تملؤه ثقة بطولية بسبب إيمانه بقدرة الله .

وفي لحظة حدثت المعجزة . فبحجر صغير تم إسقاط المارد المهيب . واستخدم داود نفس سيف جليات ليقطع رأسه ، ورجع لمحلة إسرائيل بهذا الرأس المثير للاشمئزاز ، كعلامة على النصر الإلهي . ونحن نعرف أنه كراع صغير ، قضى داود ساعات طوال من فترات رعايته للغنم ، بممارسة الرمي بالمقلاع حتى اكتسب دقة بارعة في إصابة الهدف . ولكن أليس هناك شخص وراء هذا الحجر الأملس الوحيد ؟ فالثقة في قوة وأمانة الله وليس في مهارته وقوة ذراعه مكنت داود من هزيمة جيش الفلسطينيين . لقد سقط العدو المارد تحت أقدام راعي غنم بيت لحم الممنوح قوة من الله وكنتيجة لهذا الحجر الذي وجهه الله .

إن جليات الذي يبلغ طوله ضعف طول داود كان أعلى من أن يصل إليه مستوى نظر داود ، ولكن مثل هذا الفارق الكبير لم يؤثر كثيراً على الراعي الذي أسقط بدقة رهيبة العديد من الطيور بإصابة في أجنحتها . ولكن ألم تسأل نفسك هذا السؤال من قبل : إذا كان داود واثقاً أن الله سوف يستخدمه لقتل جليات ، وأن حجراً واحداً يكفي لقتله ، فلماذا أخذ خمسة أحجار من النهر ؟. ودون اللجوء إلى تفسيرات خيالية عن الخمسة أحجار ، فالكتاب المقدس نفسه يقدم الإجابة . إن جليات الجبار كان له أربعة أبنـــاء (٢ صم ٢١ : ١٥ - ٢٢) ، ولذا أخـذ داود بالإيمان خمسة أحجار فقط من النهر ، وكأنه يقول لنفسه : « لو حدث أنني بعد إسقاط جليات بالحجر الأول ، تقدم أبناؤه الأربعة نحو الثغرة ، فسوف أسقطهم واحداً وراء الآخر بالأربعة حجارة المتبقية » ، ولكن حجراً واحداً فقط كان ضرورياً للانتصار على الفلسطينيين في ذلك اليوم ، إذ كان الحجر موجهاً من قِبل الله .

وحيث أن عدداً كبيراً من مزامير داود الرائعة تعكس تجاربه فمزمور ١٤٤ يحتفي بغلبته على جليات ، ففي هذا المزمور العظيم يقدم لله كل المجد الذي علّم يديه القتال ، والله هو الذي أنقذ عبده الصغير من سيف جليات المخيف . ومزمور ٤٥ : ٦ - ٨ يشير أيضاً للانتصار الذي لا ينسى والذي أعطاه الله لداود ، والذي حصل على التكريم لثقته العميقة في الملك كلي القوة وغير المنظور . ولكن يا للحسرة ، فهذا الانتصار المجيد أثار حفيظة شاول وحسده حتى على الرغم من أنه قد أصبح زوجاً لابنته .

معجزة العجلة الجديدة (٢ صم ٦)

إن داود نفسه هو بطل سفر صموئيل الثاني . فقد مات كل من صموئيل وشاول ، وأصبح داود ملكاً على عرش إسرائيل وقد حكم لمدة أربعين سنة . كان حاكماً عادلاً يجري قضاء وعدلاً لكل شعبه (٢ صم ٨ : ١٥) ، ولأنه كان يكنّ احتراماً عميقاً للتابوت ، الرمز المنظور لحضور الله ولعهده مع شعبه ، حاول داود جاهداً أن يعيده لمكانه الصحيح في الهيكل .

ومع ذلك ، فقد انتهكت حرمة التابوت عندما وضع على « عجلة جديدة » نسبة لما عمله الفلسطينيون الذين كانوا يجهلون ناموس الله (١ صم ٦ : ١٩) ، لقد أعلن الله أنه على اللاويين تقع مهمة حمل التابوت على أكتافهم (عد ٤ : ١٥ ، ٧ : ٩ ، ١٠ : ٢١). فبوضع التابوت على «عجلة جديدة» فقد أصبح الشعب مرتكباً لخطية العصيان ضد وصية الله . ولما قامت الثيران بجر العجلة وقعت هذه الثيران ، فمد عزة يده ليمنع سقوط التابوت من على العجلة فضربه الله فمات . ويقول التقليد اليهودي إن ذراع عزة قد انفصل عن كتفه بسبب خطية التهور . «الرب يميت ويحيي » (١ صم ٢ : ٦). فالحياة والموت في يديه ، والموت المفاجئ يكون دائماً علامة على القضاء الإلهي . تضايق داود وخاف بسبب ما عمله الله ، وأخذ التابوت إلى

بيت عوبيد أدوم الذى حصل على البركة التى كان يمكن لداود أن يحصل عليها عندما جلب التابوت .مثل هذا العقاب الأليم ، أراد كل واحد أن يتخلص منه ، ولكن استضافة عوبيد أدوم له جلبت له مكافأة من الله .

هناك طريقة خاطئة لممارسة فعل الصواب ، وعندما يعبث الناس عن عمد بالمقدسات ، يقع القضاء (لا ١٠:١-١٢، صم ٦ : ١٩ ، ١٣ : ١٢- ١٤ ، ٢ أخ ٢٦ :١٩). وأى شئ يتم إدخاله فى عبادة الله مضاد لمطاليبه المقدسة يستحق عقابه .

بعد ذلك بثلاثة شهور ، حاول داود تنفيذ مأربه وأحضر التابوت - هذه المرة على أكتاف الرجال- بصحبة الموسيقى والرقص والفرح إلى الخيمة الجديدة التى كان داود قد أعدها خصيصاً له (٢ صم ٦ : ١٥ ، ٢ أخ ١ : ٣ و ٤). كان هذا اليوم العظيم فى تاريخ الملك يشكل نقطة تحول فى تاريخ إسرائيل . والحادثة الوحيدة التى شوهت جلال هذا الحدث ، هى التوبيخ الساخر من زوجة داود ، ميكال ، وكنتيجة لعدم تعاطفها مع أفراح داود ، افترق داود وميكال إلى الأبد (٢ صم ٦) .إن حادثة إحضار التابوت إلى أورشليم يحتفى بها داود فى مزمور ٢٤.

معجزة المجاعة والقحط (٢صم٢١ :١ - ٦ ، ١٥:٢٤ - ١٧)

بعد أن علم داود بقصة مفيبوشث وقام بإعالة ابن شاول الأعرج ، حل بالبلاد جوع شديد ، واستمر طيلة ثلاث سنوات وكان مزعجاً لدرجة أنه قاد داود ليطلب من الله عن سبب هذه المجاعة المهلكة . وحيث أن داود كان رجلاً حسب قلب الله ، فقد اتجه للمصدر الحقيقى ليطلب منه إيضاحاً لمثل هذا البلاء ، ولقد جاءه الجواب على الفور « لأجل شاول ولأجل بيت الدماء » ، «كانت خطية شاول فى حنثه بالقسم الذى حلفه باسم الرب ، واليمين التى أقسمها للجبعونيين» ، فالذى يعطينا طعامنا فى حينه قادر على أن يحرمنا منه كعلامة على إدانته للخطية والخطاة .

كارثة أخرى حلت بداود عندما كان فى أوج قوته ، وهى ضربة الوبأ بسبب خطية عدّ الشعب (٢ صم ٢٤ : ١) «امض واحص إسرائيل ويهوذا » ، هكذا أمر داود يوآب . فوراء الأمر بالتعداد ، كانت هناك روح الاعتداد بالذات الجسدية بسبب كثرة الموارد نتيجة للحكومة المنظمة المستقرة . لقد كان داود فى ذلك الوقت على قمة أبرز القوى العالمية ، وكان يمتلك جيشاً قوامه ٢٨٠٠٠ جندى، وحرساً شخصياً يبلغ ٦٠٠ جندى مرتزق ، وقد أنشأ داود أيضاً محاكم لتحقيق العدل وطوَّر التجارة والزراعة (١ أخ ٢٧: ٢٥) . ومع ذلك فقد أصر داود على عمل هذا التعداد ليس بغرض جمع الضرائب بل ليتأكد من عدد المقاتلين الذين عنده . لقد كانت فخاً للاعتماد على ذراع بشر وليس على الله كما كان الحال معه عندما استطاع بحجر صغير أن يقتل جليات . إن الرخاء والسلطة أضعفتا اعتماد داود بتواضع على الله .

لم يكن التعداد الذى أمر به داود مغضباً لله فحسب بل لم يكن محبوباً لدى بعض الناس كذلك (٢٤: ٣) . ولكن من الواضح أنه كان هناك من تعاطف مع المرسوم الملكى لأنه « حمى غضب الرب ليس على داود فحسب بل على إسرائيل » (٢٤:١). فى إحدى الفقرات نقرأ أن الرب أهاج داود على الشعب ليتخذ هذه الخطوة ، وفى فقرة أخرى (١أخ ٢١ :١) تنسب هذه الخطوة للشيطان.وتفسير (فيربيرن Fairbairn) لهذا التناقض الظاهرى مقنع تماماً:

« إن الغرض من هذا التعداد ، فى اتجاهه الآثم ، كان فعلاً من الشيطان حيث أن الله لا يجرب أى إنسان بالشر ، ولكن الشيطان لم يقم سوى بدور التابع والأداة المنفذة ، واتخاذ الشر لهذا المظهر بالذات دوناً عن غيره ، فهذا ليس من الشيطان بل من الله ، فأهداف التوجيه الإلهى تطلبت أن يُتخذ هذا الاتجاه الخاص . وهكذا فهذا العمل قد ينسب

للشيطان أو لله وفقاً لوجهة النظر التى نتأمل وندرس بها هذا الأمر » .

وبمجرد أن قام يوآب ، الذى حاول أن يثنى داود عن عزمه ، بالانتهاء من عملية تعداد الناس ، تاب قلب الملك . ولكن التبكيت على الخطيئة والتوبة لم توقف العقاب المستحق . وجاء النبى جاد موفداً من الله لداود باختيارات ثلاثة : مجاعة لسبع سنوات ، أو مطاردة الأعداء لمدة ثلاثة أشهر ، أو وبأ لمدة ثلاثة أيام .جميع هذه الثلاثة كانت نواحى يعلن بها الله قدرته على استعلان قوته الفائقة . وأى عقاب من هذه الثلاثة كان كافياً لوضع الثقة فى العظمة الوهمية فى التراب ، وينشئ إحساساً بالضعف والخطر .

وتوسل داود أن يترك بين يدى الله بدلاً من أن يسمح له أن يقع فى أيدى البشر . فسمح الله بوبأ أليم أن يجتاح الشعب وقد هلك ما لا يقل عن ٧٠٫٠٠٠ نسمة .وبانتشار الوبأ القاتل ، طلب داود من الرب أن يأخذ حياته حتى لا تهلك حياة من هم أقل منه ذنباً . ولابد أن قلبه كراع للغنم قد تأثر حتى أنه صلى قائلاً : « وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا » ، وسمع الله صرخة النفس التائبة ، وعند عتبة أرونة اليبوسى توقف عمل ملاك الموت ورد سيفه إلى غمده. ولتخليد ذكرى هذا التوقف ، بنى داود مذبحاً وقدم محرقات للرب ، وتم إحراقها من قبل الرب ، حيث استجاب بنار من السماء (١ أخ ٢١ : ٢٦) . واشترى داود الأرض لبناء هيكل عليها (١ أخ ٢٢ : ١ ، ٢ أخ ٣ : ١) ، لأنه هناك لم يقم الرب بالعفو عن العصاة فقط بل قدم علامة مميزة دليلاً على حضوره لقبول عبادة شعبه .

لقد عاش داود حياته فى جو المعجزات «أرسل من العلى فأخذنى . نشلنى من مياه كثيرة » (٢ صم ٢٢ : ١٧). لقد بذلت تسع محاولات مختلفة للقضاء على حياته ولكن الحضور الإلهى قد أسبغ عليه الحماية وظلله خلال سنوات تجواله كهارب . وقد اجتاز اختبارات عصيبة ولكنها كانت السبب فى أفضل قصائده الشعرية . فالاضطهادات نتج عنها المزامير . لقد كانت بمثابة الصليب الذى أنضج موهبة داود الشعرية ، وبالتأمل فى حياته نجده قد استطاع أن يكتب قائلاً : « مبارك الرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحده » (مز ٧٢ : ١٨) ، فقد استطاع داود بقوة الله أن يقهر كل أعدائه الظاهرين وأسس أسرة . ولكن يا للحسرة فقد فشل أن يقهر نفسه وارتكب جريمة مزدوجة الزنا والقتل ، مما لوَّث سجل حياته الناصع . ومع ذلك فمعجزة النعمة ساندته كما يظهر من المزمورين الدالين على توبته ، مزمور ٣٢ ، ٥١ .

١٣ - المعجزات فى عهد سليمان

(١مل ٣ :١- ١٥ ، ٤ : ٢٩و٣٠، مت ٦ :٢٩)

إن الحوادث التاريخية المذكورة فى سفرى الملوك الأول والثانى ما هى فى الحقيقة سوى أحداث تشكل سفراً واحداً، والتقسيم المصطنع للتاريخ المتصل لإسرائيل ليس له وجود فى قائمة الأسفار العبرية ، ولكنه مقتبس من الطبعة السبعينية ، ويحتمل أنه قد تم اللجوء لذلك لمجرد سهولة الاستعمال أو الاستشهاد بالأحداث . وكلا السفرين يحملان طابع الفكر الواحد وأن كاتبهما شخص واحد. وأسلوب السفرين والسرد ذو طبيعة تحليلية ، والتواريخ والأحقاب الزمنية واضحة المعالم مع ذكر المصادر التى تم استقاء الأحداث منها . والفترة التى تعطيها أحداث هذين السفرين تبلغ ٤٣٠ سنة من تاريخ إسرائيل .

ويؤكد كاتب سفر ملوك الأول والثانى فكرة القيادة الإلهية لشعب العهد، ويتتبع خطاياهم وتوبتهم ، وعقاب الله وغفرانه . ويقدم للمؤمنين فى كل العصور الدروس الروحية التى يمكن أن يتعلموها من «صوت الله من خلال الأحداث التاريخية» ، ولا يدخل فى مجال دراستنا الحالية التركيز على فترات حكم كل الملوك أو علاقات إسرائيل كأمة بالامبراطوريات المجاورة .

وإذ نقترب من موضوع المعجزات فى حياة سليمان ، فأمامنا كخلفية لهذا الموضوع ، المحاولة التى بذلها أدونيا ليغتصب الملك ، وتجديد قسم داود لبثشبع أن سليمان ابنهما يكون خليفة له ، ومسح سليمان على يد صادق الكاهن ، وموت داود ووصل سليمان للحكم الذى كان يعد واحداً من أعظم الفترات ازدهاراً ومجداً .

وعلى الرغم من المجد والأبهة التى كانت تحيط بحكم سليمان كثالث وآخر ملك على المملكة المتحدة ، إلا أن سليمان لم تجر معجزة واحدة على يديه . لقد كان متلقياً للخوارق ، ولكنه ما أبداً كان قناة لتوصيل المعجزات . فى جبعون ظهر الرب لسليمان فى حلم بالليل (٣ : ٥ و ١٥) وقد تلقى اتصالا مباشراً من الرب على نقيض إعلان مشيئة الرب لداود عن طريق غير مباشر بواسطة النبيين ناثان وجاد (٢ صم ٧ : ٢ - ١٧ ، ١٢ : ١ - ١٤ ، ٢٤ : ١١ - ١٤) . إن إعلان أهداف الله عن طريق الأحلام تأتى فى مرتبة أدنى من الرؤيا التى تتم فى حالة اليقظة . قال الله لسليمان : « اسأل ماذا أعطيك » ، ترى إلى كم واحد منا يمكن أن يسأل الله هذا السؤال ؟ (انظر يو ١٥ : ٧ ، ١ يو ٣ : ٢١ و ٢٢) .

كل ما طلبه سليمان فى صلاة جميلة وبروح الاتضاع ، كان الحكمة السماوية - الحكمة أن يتبع الله والحكمة لفحص الأمور فحصاً جيداً وأن يجرى العدل بين الإنسان وصاحبه. إن مثل هذه الحكمة نازلة من فوق وليست مكتسبة نتيجة لتعليم بشرى أو خبرة أرضية . إنها ليست نوعاً من العبقرية بل هبة مباشرة من الله كلى الحكمة (٣ : ٢٨ ، يع ١ : ٥) . لقد وعده الله ببركات ثانوية أغدقها عليه ، وأصبح سليمان أحكم ممن أتوا قبله والذين جاءوا بعده ، وأيضاً أكثر ثراء وأعظم من جميع ملوك عصره (١ مل ٣ : ١٢ و ١٣) .

عندما يمنح الله مثل هذه الموهبة الخارقة لإنسان فإنه يمتحنه علناً ، وهكذا فإلى جانب امتحانه له ، فإنه يعلن للجميع الرجل الذى اختاره . وقد جاء الدليل على موهبة سليمان المتعلقة بالحكمة النازلة من عند الله سريعاً (٣: ١٦- ٢٨ ، ٤ : ٢٩ -٣٤ ، ١٠ : ٣ ، ٢مل ٢ : ١٥). ولا يجب أن ننسى أن استمرار عطية الله مشروط بطاعة المتلقى للعطية (٣ : ١٤) . قد يتساءل أحدهم لماذا خص الله سليمان ليمنحه مثل هذه الحكمة الفائقة والمجد . والإجابة نجدها فى هذه الكلمات : « لكى يعرف فى الأرض طريقك وفى كل الأمم خلاصك » (مز ٦٧).

والظهور المعجزى الثانى كان أيضاً فى جبعون عند تدشين هيكل سليمان الفخم الذى بناه « السحاب ملأ بيت الرب ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب »(٨ : ١٠و ١١ ، ٩ : ٢). إن شكينة الحضور الإلهى ، مرة على شكل سحاب وأخرى على شكل نار ، قدست بيت الله وأصبحت علامة القبول الإلهى (انظر ٢ أخ ٥ : ١١ - ١٤) . هكذا كانت سحابة المجد الإلهى سراً يبعث على الرهبة حتى إن الكهنة لم يستطيعوا الوقوف للخدمة . لقد تراجعوا أمام مجد الرب الذى لا يستطيع الإنسان أن يراه ويعيش (خر ٤٠ : ٣٥ ، إش ٦ : ٥) .

وعندما اختتم سليمان الصلاة ، جاءت نار من السماء وأكلت الذبائح - وهو استعلان مختلف تماماً عن ظهور المجد الإلهى (٢ أخ ٧ : ١) . والخطاب الرائع الذى ألقاه سليمان عند تدشين الهيكل والصلاة المخلصة البسيطة التى قدمها وهو ساجد على ركبتيه ، ويداه مرفوعتان للسماء ليبارك الشعب (٨ : ١ - ٦٠) ، كلها دلائل على الحكمة السماوية التى منحت للملك ، وبالرغم من ذلك أنهى ٤٠ سنة من حكمه بتعدد الزوجات وحياة تخلو من التقوى. فلا عجب إذن أن قال يسوع ، ربما كنوع من السخرية ، إن زنبقة واحدة من زنابق الحقل أكثر مجداً ونقاء من مجد سليمان .

١٤ - معجزات القضاء الإلهي على يربعام

(١مل١٣:١-٧و ٢٣-٣٢، ١٤:١-٦، ٢أخ ١٣:٢٠)

إن تمزيق المملكة المتحدة يرجع لوقت ارتكاب سليمان للزنا وعبادة الأوثان (١ مل ١١) . وعند قرب نهاية حكم سليمان قابل أخيّا نبى شيلوه يربعام الثائر وأسرَّ إليه بأن الله على وشك أن يمزق المملكة وأنه سوف يأخذ عشرة أسباط . وقد رمز أخيّا لذلك بتمزيق ثوب يربعام إلى ١٢ قطعة وإعطاء يربعام عشر قطع منه .

يا لها من فرصة عظيمة أتيحت ليربعام أن يصبح ملكاً مكرماً من الله ! لقد أخبر أنه لو استمع لصوت الله وأطاع وصاياه فسوف يكون الله معه ويبنى له بيتاً آمناً كما فعل مع داود ويعطيه إسرائيل (١١ : ٣٨). ما الذى يمكن لإنسان أن يطلب أكثر من ذلك ! ومع ذلك فقد كان ارتداده متعمداً ومخططاً ومستمراً .. لقد ترك كل مظاهر التراث المجيد بارتكابه للخطية وبجعله إسرائيل يخطئ ، فقد لحقت باسمه هذه الوصمة المخزية بالقول إنه « جعل إسرائيل يخطئ » . إن يربعام بارز كوثنى شهير ، وكشخص فرض طابعه على ما تلى من تاريخ المملكة .

تحدى يربعام وصية الله التى خصصت للعشرة أسباط هيكلاً واحداً ، وكهنوتاً واحداً ومذبحاً واحداً فى أورشليم (تث ١٢ : ٥). لقد بنى عشرة مراكز للعبادة فى بيت إيل ودان (١٢:٢٩).

ومذبحاً جديداً (١٢: ٢٥) .

وعمل عجلى ذهب للعبادة (١٢ : ٢٨).

ونظاماً جديداً للكهنوت ، من غير اللاويين (١٢:٣١).

وعيَّن مواقيت جديدة للأعياد السنوية (١٢:٣٢و٣٣).

إن مثل هذا العصيان المتعمد كان يستحق العقاب ، وقد جاء بطريقة معجزية : « إن أوامر الله لا تنسخ لأنه لا يوجد معه تغيير أو ظل دوران » . وقف يربعام على المذبح ليوقد ، ولكن نبياً من يهوذا أصدر حكمين إلهيين .

وكانت هناك النبوة الإلهية فيما يختص بانشقاق المذبح الزائف ، وأن هذا العمل سوف يقوم به يوشيا (٢مل٢٣: ١٧ و٢٠) أغضبت هذه النبوة يربعام فمد يده ليمسك المذبح تحدياً للنبى ، فاكتشف أنها قد شلت فجأة .

اليد اليابسة :

كان يجب أن يكون هذا الافتقاد الإلهى تحذيراً كافياً ليربعام ودليلاً على تخاذل قوته وسياسته عندما تصطدم بنواميس وأحكام الله . فقد أراد بهذه اليد الذابلة أن يرجع يربعام عن طرقه الشريرة (١٣:٣٣) وخطاياه .

لقد يبست يد يربعام لدرجة أنه لم يستطع أن يردها إليه . هذه الإصابة المفاجئة تثبت أن الله الذى صنع الجسد يمكنه أن يوقف عمل أى عضو من أعضائه عندما يرى ذلك ضرورياً . لقد فشل يربعام فى عبادة الله بالطريقة التى رسمها الله ، ولذا فقد ضُرب بالشلل المفاجئ . كم يجب علينا أن نحمده لأننا نعيش فى عصر النعمة وأن الله يعاملنا بإصدار العقوبات الإلهية عندما نخترع أشياء جديدة لندخلها على عبادته ! .

ولكن الله الذى جعل اليد تيبس كان قادراً أن يعيدها إلى حالتها وقوتها المعتادة ، فاستجابة لصلاة النبى ، استرد الملك الوضع الطبيعى ليده - إنها آية من الآيات التى كان يجب أن تقتاده إلى التوبة (١٣ : ١ - ٤) ولكن يا للحسرة ، فمازال يربعام مصراً على السير فى طرقه الشريرة حتى مع الدليل الواضح على غضب الله إزائها والاحتجاج القوى من قبل الأتقياء من شعبه .

الأسد المفترس (١٣ :١١ - ٣٢)

تقول (أدا هابرشن Ada Habershon) إنه « لمن أكثر الأشياء فائدة لتعليمنا أن نربط بين كل هذه الحوادث الخارقة وسيطرة الله على ملك الوحوش »، فالوحوش غير مسموح لها إطلاقاً أن تقضى على خدام الله الأمناء

المطيعين ، ولكنها تستخدم كأدوات القضاء على غير المطيعين كما سنرى حالاً . عندما يدعو الله الأسود فإنها تطيع دائماً . والنبى الذى تنبأ بدمار المذبح الزائف قد أمره الله ألا يأكل خبزاً ولا يشرب ماء ولا يرجع سائراً فى الطريق الذى ذهب فيه حتى تتم النبوة .

وبعد أن رفض النبى دعوة الملك ليرجع معه إلى القصر ، استسلم النبى لنبى بيت إيل الشيخ الذى جعله يعصى عن طريق أكذوبة . فالنبى الشيخ ، كبلعام ، قد استخدم الحيلة الوضيعة والغش ، وقال إن « ملاكاً » قد كلمه ، وقد كان ذلك كذباً شائناً لأن النصيحة التى تفوه بها كانت ضد أمر الله . وقبل النبى كرم ضيافة النبى الدنيوى ، ولكن بعد أن غادر البيت تغلب عليه أسد والتهمه . والمعجزة المزدوجة هنا أن الرجل قد افترسه أسد ولكن حماره لم يُمس – وهذا دليل على سيطرة الله على وحوش الأرض . وبرغم كل هذه المعجزات ، استمر يربعام فى طرقه الشريرة (١٣ : ٣٣ و ٣٤) . إن مثل هذا الحادث الغريب الخارق للعادة قد فشل فى أن يبعده عن خطيته المهينة .

رؤية أخيا (١٤ : ١ - ١٨)

نرى دليلا آخر على الخوارق فى الرؤيا التى أعطاها الله لأخيّا التى كشفت عن هوية زوجة يربعام . لقد حاول الملك أن يخدع النبى عن طريق خدعة خسيسة . لقد مرض ابنه أبيّا ، وطلب يربعام من زوجته أن تتنكر وتطلب من النبى الضرير معلومات عن حالة ابنها . وبسبب ضعف بصره الشديد ، كان أخيا سوف يُخدع بلا شك ولكن الرب كشف لخادمه الموقر حيلة يربعام . فلما سمع النبى وقع أقدام السيدة قال : ادخلى يا امرأة يربعام ، ولابد أن ذلك كان صدمة لها .

وسمعت الأم المكلومة بمصير ابنها ورجعت ليربعام تحمل له إعلان المصير الذى ينتظر بيت يربعام ، وبأنهم سوف يبادون ويلقى بجثثهم كالروث دون دفن ، ولكن هذه الرسالة القاسية التى تحمل الويل لم يكن لها تأثير كبير على ذلك المتمرد المتكبر . وبمجرد أن تخطت عتبة البيت ، فإن الله الذى بيده الحياة والموت ، قد أمات الطفل قبل أن تلوثه خطية أبيه .

الله يضرب يربعام بموت مفاجئ (٢ أخ ١٣ : ٢٠)

حلت الكوارث الأليمة والهزائم الثقيلة بيربعام فى حياته . فقد كان الرب ضده (١٤ : ١ - ١٨ ، ٢ أخ ١٣ : ١ و ٢) وكان موته بمثابة تنفيذ للقضاء الإلهى .لقد ضرب بمرض الضعف والوهن الذى لم يشف منه ، وظروف موته المفاجئ هى التى جعلت الناس يرون فيها « أصبع الله» (انظر ١صم ٢٥:٣٨). وبعد حكم دام ٢٢ سنة ، فالذكرى الوحيدة عنه يدونها الكتاب المقدس هكذا « يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطئ » ، إن هذه الوصمة الأبدية قد دلت على أنه برفضه مشيئة الله ، لم يعد ملكاً بإرادة الله ، بل مغتصباً متمرداً « اسم الأشرار ينخر » (أم ١٠ : ٧) . وهكذا فقد استحق النهاية المريعة المتنبأ بها . إن يربعام هو مثال واضح على الحقيقة المهيبة أن :

أصبع الله تتحرك وتكتب وبعد أن تكون قد كتبت،
فلا تقواك ولا ذكاؤك أو تحركاتك يمكن أن تجعلها تلغى نصف سطر .
ولا تستطيع دموعك أن تغسل كلمة واحدة مما كتبت .

١٥ - معجزات إيليا

(١مل ١٧- ١٩، رو ١١ : ١ - ٥ ، يع ٥:١٧و ١٨) انظر أيضاً : ١مل ٢١ : ١٧ - ٢٩ ، ٢ مل ١ ، ٢ ، ١٤:٩ : ٣٦ ، ١٠ : ١٦و١٧، ٢ أخ ٢١ :١٢-١٥، مل ٤:٥ ، مت ١١ :١٤، ١٦ : ١٤ ، ١٧ :٣ -١٢، مر ٦:١٥ ، ٩:٤ -١٣ ، لو١ : ١٧، ٤ : ٢٥و ٢٦ ، ٩ : ٨ و ١٩ و ٢٨ - ٣١ ، يو ١ : ٢١ و ٢٥).

فى حين أن المعجزات ، وإعلانات القوة الخارقة للعادة والرؤى والنبوات متناثرة في معظم صفحات الكتاب المقدس ، فنحن نلفت الانتباه ثانية لحقيقة أن أغلبية المعجزات موجودة على شكل مجموعات . وكما سبق أن رأينا ، فهناك تلك المعجزات الخاصة بموسى ويشوع في بدء تكوين الأمة الإسرائيلية ، وتلك المتصلة بإيليا وأليشع كاحتجاج ضد الوثنية الواسعة الانتشار ، ومعجزات المسيح ورسله ذات الصلة بنهاية عصر الناموس وبداية الإنجيل ، وتلك الخاصة بالأيام الأخيرة كما ذكرت فى سفر الرؤيا . كل تلك المعجزات ، وبنوع خاص المعجزات البارزة فى أوقات الأزمات التاريخية تتم عن هدف أخلاقى وروحى ألا وهو الإعلان عن قوة وسلطان الله .

عند الاقتراب من دراسة معجزات اثنين من أعظم الأنبياء الذين لم يدونوا أى سفر فى الكتاب المقدس ، فنحن نتأمل ما قاله دكتور جراهام سكروجى Graham Scrogue «إن قيمتها الرئيسية ليست فى الدروس التى يمكن أن نتعلمها من أى معجزة منها ، بل فى شهادتها لعمل الرب فى إجراء أحكام القضاء والرحمة سواء بسواء ، وسط شعبه ولأجل صالحهم» ، وبالالتفات لعدد المعجزات التى أجراها كل منهما ، فإن دكتور سكروجى يقول : إن لإيليا ١١معجزة وأليشع ١١ معجزة ، منها ٣ معجزات لإيليا تتعلق بالقضاء الإلهى والباقى تعد معجزات رحمة .

ومن ناحية أخرى يفسر (بولنجرBullinger) طلب أليشع بأن يكون له نصيب اثنين من روح إيليا عليه (٢ مل ٢ : ٩ و ١٥) على ضوء حقيقة أن إيليا أجرى ثمانى معجزات وأليشع ست عشرة معجزة كانت كلها أمثلة فى صورة عملية . وباتباع السرد الكتابى ، حاولنا أن نبين العدد الكلى للمعجزات فى فترة خدمة كل من إيليا وأليشع .

تقول هنا إن كلاً من إيليا وأليشع يمثلان نسيجاً متميزاً لوحدهما فى مملكة إسرائيل .. لقد كانا متشابهين فى طبيعة عملهما وأوجه نشاطهما على الرغم من أن لكل واحد منهما خصائصه المميزة له ، وكان كل منهما مناسباً لوقته ومجال خدمته ،ومع ذلك فلا يصح المبالغة فى إظهار نواحي الاختلاف بين روح المعلم وروح التلميذ لأن أليشع كان مضطراً لأن يكون صارماً كإيليا (٢مل ٢ :٢٣، ٥: ٢٧). وربما يظهر الجانب الأكثر حدة فى شخصية أليشع فى حياته العامة بأكثر مما يبدو فى حياته الخاصة . وعلى العموم فخدمة إيليا تمثل خدمة يوحنا المعمدان بينما ترمز معجزات الرحمة التى أجراها لخدمة المسيح التى تتسم بفعل الخير للجميع .

إن إيليا الذى يرد اسمه حوالى ١٠٠ مرة فى الكتاب المقدس ، شخصية بارزة وسط الأنبياء . ويظهر إيليا تاريخياً عندما كان أخآب على العرش ثم نراه لآخر مرة فى أثناء حكم أخزيا . واسمه يعنى « الرب هو الله » يجسد كل مهمته ورسالته . ومعنى اسمه لم يكن فقط شعاراً لحياته ، ولكنه يعبر أيضاً عن الهدف من خدمته ألا وهو إيقاظ إسرائيل حتى يصل لاقتناع كامل بأن الرب وحده هو الله . لقد كان يقع على عاتق أنبياء العهد القديم واجبان أساسيان وهما :

(١) استئصال عبادة الآلهة الوثنية من إسرائيل .

(٢) رفع مستوى عبادة يهوه الحقيقية لمستوى النقاء الأخلاقى . وقد وهب إيليا نفسه للمهمة الأولى بحماس شديد ، وترك المهمة الثانية لخلفائه .

فالوقت قد جاء إذن ، فى تاريخ شعب الله المختار والذى فيه كما عبر البروفيسور ميليجان Milligan ، إما أن تفقد إسرائيل إلى الأبد مكانتها بين الأمم وفى التاريخ الدينى للعالم ، أو أن يتدخل القدير ويعلن عن ذاته كما هو الإله الحى الحقيقى الوحيد ، إله القداسة والبر . واختيار

الله أن يعلن عن نفسه ثابت من مهمة « إيليا التشبى » المصلح الغيور الذى ظهر فجأة ليقهر الروح البغيضة للوثنية الآسيوية .

والكتاب المقدس لا يعطينا تفصيلات كثيرة فيما يتعلق بمظهره الشخصى. فقد وصف بأنه « رجل أشعر ممنطق بمنطقة من جلد على حقويه » (٢ مل ١ : ٨) . ويقول التقليد إنه كان رجلاً ذا قامة قصيرة ووجه صارم مع الشعر الطويل للنذير . وكجلعادى أو من سكان المرتفعات فى فلسطين ، فأسلوب إيليا ينم عن سلوك لا يتمسك بالتقاليد ويحب حياة الحرية بحكم نشأته فى هذه البيئة . والظهور المفاجئ لهذا الإنسان ، الذى يتسم بالاندفاع والجرأة النادرة فى بعض الأحيان ثم الاكتئاب فى أحيان أخرى ، وكلها صفات مميزة للأجناس التى تقطن المرتفعات الجبلية ، قد أزعج بلاط الملك أخآب الذى كان ينعم بالرفاهية والحياة السهلة المريحة .

بعد أن أخذنا فكرة عن خلفية ومسرح الأحداث ، نأتى الآن لنفحص معجزات إيليا بالتفصيل .

معجزة القحط الطويل الأمد (١مل١٧: ١، يع ٥: ١٧)

حيث إن العنصر الإعجازى بارز فى حياة وأعمال إيليا ، فعلينا أن نقبل فكرته عن الله كالقدير الذى يسود على كل شئ . والقحط من العقوبات المعرَّفة للارتداد (تث ١١ : ١٦ و ١٧) بإعلان إيليا لأخآب أنه قد جاء إليه باسم الرب إله إسرائيل ، فإنه بذلك يعلن فى الحال أن الله يطلب الاعتراف بإعطائه المكانة الملائمة فى حياة الأمة وأن الله لا يعطى مجده لآخر .

ومن الاقتباسات التى وردت فى العهد الجديد ، نعرف أن المجاعة دامت ثلاث سنوات ونصف - وهى مدة طويلة لجلب ويلات رهيبة على الأمة (لو ٤ : ٢٥ ، يع ٥ : ١٧). وقد تم الحفاظ على حياة إيليا بصورة معجزية خلال هذه المدة الطويلة والتى كان تحديدها لا يتم من قِبل إيليا ، بل من قِبل الرب ، وهو الذى أنهاها عندما اتخذ العقاب مداه .

يقول فاوست : « إن إغلاق السماء بناء على كلمة قالها النبى كان دليلاً على أنه هو الله الواحد المتحكم فى الكون . لأن البعل (على الرغم مما يزعم أنه إله السماء) وأنبياءه لم يقدروا على فتح السماء أو جعلها تمطر قليلاً (إر١٤ : ٢٢) . فإله الطبيعة المزعوم قد وجد نفسه بلا حول أو قوة على الطبيعة ، فالرب هو سيدها الوحيد » .

ونلقى الضوء هنا على المركز الفريد للكاهن من سبط لاوى (تث ١٠: ٨). يقول إيليا:حى هو الرب الذى وقفت أمامه (١:١٧). لا يذكر الكتاب المقدس إن كان لإيليا علاقة بسبط لاوى أم لا ولكننا نستنتج هنا أن النبى رأى أنه من الضرورى أن يتخذ موقف الكاهن فى مملكة إسرائيل نظراً للحالة التى وصل إليها الشعب من وثنية وضياع . ففى خلال مدة حكم أخآب « لم يكن هناك ملك أو كاهن يقوم بالدور المعين له من قِبل الله ، ولذا فقد تعين على النبى أن يقوم بالواجب المطلوب للارتقاء لمستوى الموقف . وكمبعوث خاص من الله ، فقد كان عليه أن يعلّم الجميع بمشيئة الله وأن يقوم بأداء الخدمة الكهنوتية أمامه » .

معجزة الغربان (١٧: ٢-٧)

بعد النطق بهذا الحكم الخطير بانقطاع التأثيرات الملطِّفة والمبهجة للمطر والطل لعدة سنوات ، كان من الضرورى أن يجد إيليا مكاناً للاختباء فيه حتى يتمكن من الهروب من غضب أخآب واضطهاد إيزابل . وكان على إيليا أن يتعلم تأثير أول عمل علنى ؟ قام به ، ويعد نفسه للقيام بمهام خدمته المقبلة . وكان على إيليا أن يختبر عناية الله به هنا عند نهر كريت ، تلك العناية التى ترافق دائماً أولئك الذين يفعلون مشيئته . وبينما كان عند النهر فقد كان يحصل على خلوة آمنة وماء للشرب ، ولكن النبى كان بحاجة أيضاً لطعام قد أعطاه الله إياه عن طريق الغربان ، مما

يثبت أن الله يعنى بخادمه حتى عندما تنقطع الموارد .

إن إمداد إيليا بالخبز واللحم كل صباح ومساء بناء على أمر الله للغربان للقيام بتلك المهمة كان موضع شك من قبل أولئك العقلانيين الذين لا يؤمنون بالمعجزات . وهناك نقّاد يحاولون إنكار هذه المعجزة التى تبدو غريبة لصعوبة تصديقها . فيقولون إن كلمة (غربان) قد تعنى (عربان أى عرب) أو تجاراً أو سكاناً لمدينة « عربى » أو «صخرة عريب» ، ولكن كيف يمكن أن تحمل أيادى بشرية هذا المدد المنتظم من الطعام فى وقت القحط الشديد للنبى المضطهد على الرغم من حقد أخآب وغيظه منه ؟

أليس من التفاهة أن نحاول إنكار معجزة واحدة فى فترة حافلة بالمعجزات ؟ إن القصة تشرح ببساطة استخدام الغربان بطريقة معجزية لإعالة إيليا . ومع أن الغربان هى نفسها طيور آكلة للحوم إلا أنها فقدت هذه الطبيعة عندما أمرت بإتمام إرادة خالقها الذى يستطيع أن يسخِّر أصعب هذه الكائنات تسخيراً لخدمة قديسيه . وقد ألقى ربنا يسوع الضوء على تلك المعجزة فى إشارته لها (لو١٢: ٢٤) . فالله يقول : « أمرت الغربان أن تعولك هناك » (١٧ : ٤) ، وكل شئ مستطاع عندما يتكلم الله . إن قدرة الله على كل شئ لهو التفسير الأكثر إقناعاً وسهولة عن جميع اختراعات العقلانيين والعصريين . وقد تم إطعام إيليا بطريقة معجزية فى مناسبات أخرى كما سنعرف (١٧ : ٩ ، ١٩ : ٥ و ٦) . لقد أمرت الغربان أن تطعم إيليا هناك ، فى المكان الذى كان فيه بجوار النهر . ولو تواجد إيليا فى أى مكان آخر بخلاف المكان الذى عيَّنه له الله ، لهلك .

معجزة كوار الدقيق وكوز الزيت (١٧ : ٨ - ١٦)

عندما اشتد القحط ، وتوقف مدد الماء ، علم إيليا أن إلهه العظيم سوف يتولى رعايته ، حتى وإن جفَّ النهر . ومع أنه كان أكثر أمناً لإيليا أن يكون مع أرملة فقيرة فى مدينة صرفة ، المكان الذى لا يتوقع فيه أحد أن يجد النبى هناك لأنه موطن عدوته اللدود إيزابل ، إلا أنه كان على إيليا أن يتعلم تلك الدروس التى سوف تعده للمهمة الرائعة فى الدفاع عن ديانة إسرائيل ضد عجرفة الملك. وباختبار الشركة مع الجنس الذى جاء ليخلِّصه من آلامه ، كان يُعد النبى ليصبح البطل المختار من قِبل إله إسرائيل ليواجه عبادة البعل المرعبة .

لقد أمر الله إيليا أن يذهب إلى صرفة ، وفى ثقة الإيمان أطاع ، وهو متأكد أن كلمة الله لا تسقط . كان النبى خاضعاً للتوجيه الإلهى ، وهذا فى حد ذاته دليل على المعجزات فى حياته . وعندما اقترب من أبواب المدينة قابل الأرملة التى أرسل إليها (١٧ : ١٠ ، لو ٤ : ٢٥و ٢٦) ، وطلب منها أن تحضر له ماء ليشرب ، وحيث أن القحط لم يبلغ أشده فى المنطقة الواقعة بالقرب من سلسلة جبال لبنان ، فقد استطاعت الأرملة أن تمد إيليا بالماء ، ولكن عندما دارت لتلبى طلبه ، سألها أن تعطيه كسرة خبز ، والتى نظراً للمجاعة كان الخبز قد نفد . لم يكن لديها سوى ملء كف من الدقيق وقليل من الزيت لتخبز لآخر مرة ثم تنتظر الموت لها ولابنها .« وإله الآلهة الرب هو يعلم»(يش ٢٢ : ٢٢). وبسبب علمه بكل شئ ، علم بحاجة الأرملة وسمع باحتكاك يديها بقاع كور الدقيق .

أكد إيليا للأرملة أن كور الدقيق لن يفرغ وكوز الزيت لن ينقص حتى تنتهى المجاعة ، وأمرها أن تطعمه أولاً مما لديها . وحيث أن الله قد أشبع حاجة النبى عند كريث ، فقد استطاع إيليا أن يواسى المرأة بأن الله سوف يشبع احتياجاتها واحتياجاته .ولذا قدمت الأرملة كل ما عندها، كما فعلت نظيرتها فى العهد الجديد(لو ٢١ : ٢)، دون أن تتساءل عن المكان الذى سوف تحصل منه على الوجبة التالية ،واكتشفت أنه بجعل إرادة الله هو اهتمامها الأول، فقد جعل احتياجها اهتمامه الأول . فقد توفر الطعام الضرورى لها حتى أرسل الرب مطراً على الأرض . وإذ قد

تباركت بالإيمان ، فقد قوَّت إيمان إيليا فى مقدرة الله على تحقيق وعده حتى عند فقد الأمل بحسب المنظور البشرى . وربما تحولت المرأة إلى عابدة حقيقية للرب بعد أن شهدت عناية الله . على أى حال ، فأمامنا هنا تطبيق عملى لمبدأ عناية الله اليومية بشعبه ، ومعجزة تدل على قوته .

أما عن المعجزة نفسها فيقترح اليكوت إنها معجزة مزدوجة . ففى المقام الأول نرى أن نواميس الله العليا الخاصة بالمعجزة ، مثلها مثل النواميس العادية الخاصة بعنايته ، تسمح بإمداد الحاجات المنزلية والاحتياجات البسيطة . ثم هناك معجزة الانتشار ، فكل من الدقيق والزيت قد تضاعفا ، وقامت النواميس المعجزية بأدائها بسرعة وبطريق مباشر ،لا تصلح معها النواميس العادية .

وطوال الوقت الذى ظل فيه إيليا فى صرفة ، كانت صلاة الإيمان اليومية تستجاب بمعجزة عناية الله اليومية فى عدم نقص كوار الدقيق وكوز الزيت . وقد ازدادت ثقته فى الله تبعاً لذلك ، وقد استعد هو نفسه لمزيد من الثقة فى سلطان الله ولعمل أروع من أعمال الإيمان فى الكرمل .

معجزة الاقامة من الأموات (١٧ : ١٧ - ٢٤)

مرض ابن الأرملة ، الذى كان يشارك فى المعجزة اليومية لكور الدقيق وكوز الزيت ، حتى الموت . والتفتت الأم التى هدَّها الحزن إلى النبى وقالـت له باستعطاف : « هل جئت إلىَّ لتذكير إثمى وإماتة ابنى » ، لقد عرفت أن إيليا رجل الله – فهو شخص له علاقة وثيقة بإله البر ، وكان مجرد وجوده يجعلها تشعر بحالتها الخاطئة . ولقد أحست أن موت ابنها كان عقاباً إلهياً . ولما تأثر إيليا بصرخة الألم الصادرة من الأم فى حزنها الشديد ، أخذ جثة الولد الميت وصعد بها إلى غرفته وصلى لكى « ترجع نفس الولد إلى جوفه » . فى تلك العلية ، فإن صلاة الإيمان انتصرت ونالت مكافأتها لأن الولد عادت إليه الحياة من جديد . ومثل يسوع فى العهد الجديد ، فقد جلب إيليا الفرح لقلب الأم المكلومة بارجاع ابنها إلى الحياة (١٧ : ٢٣ ، لو ٧ : ١١) . تقول أسطورة إن الصبى المقام من الأموات قد أصبح خادماً لإيليا ، وفيما بعد خادماً ليونان النبى . أما عن الأم الفرحة نفسها ، فقد علمت الآن بطريقة لم تعرفها من قبل أن إيليا كان الناطق بلسان الله (١٧ : ٢٤) .

معجزة الكرمل (١٧ : ١ - ٣٩)

بعد قضاء عدة سنوات فى بساطة وراحة فى منتجعه الهادئ فى صرفة ، أُستدعى إيليا إلى الكرمل ليختبر الصراع والانتصار كمقاتل عظيم لأجل الله . يا له من أصحاح رائع وعظيم ، لم يحدث أبداً أن كان الخصمان غير متساويين بهذا القدر الهائل ! ففى جانب واحد كان يقف إيليا وحده ، وهو ممثل الله الوحيد ، بلباسه الغريب ، وسحنته المهيبة ، الذى تجاسر وجاهر بإيمانه بالله الذى وثق فيه ، وعلى الجانب الآخر كان يقف الـ ٤٥٠ نبياً من أنبياء البعل و ٤٠٠ نبى من أنبياء السوارى ، الذين كانوا برغم المجاعة الأليمة يأكلون على مائدة إيزابل من الطعام الملكى ، وتحت الرعاية الخاصة للملكة . إن الكرمل يمثل تحدياً لسلطة الله كإله . إن إيليا يقدم لنا سجلاً من أروع سجلات الكتاب المقدس حين يصفه وهو يندفع كالعاصفة الرعدية فى وسط قصر أخآب مهاجماً الوثنية ومتنبئاً بالقضاء الإلهى ، متحدياً أخآب وداعياً إياه لمبارزة على الكرمل بين الله والبعل .

هكذا كتب مندلسون Mendelssohn عن إيليا والمكان الذى اختير لإثبات قوة الله الحى الحقيقى فى مواجهة الإله المزعوم كان مناسباً تماماً ، « ففى كل أنحاء العهد القديم يبدو الكرمل إما كرمز أو كمحراب »، وقد وجد إيليا أنه المركز الرئيسى لعبادة البعل ، ولكنه كان يستخدم لعبادة يهوه ، وكان يوجد فيه بقايا المذبح القديم الذى استرده إيليا . ولما تجمع أنبياء البعل فى الكرمل ، طالب إيليا

باتخاذ قرار شديد اللهجة ، امتزجت فيه وطنيته وإيمانه بالله ، ضد جنون الشعب . تحدث إيليا مباشرة إلى الشعب متجاهلاً أخآب - حتى متى تعرجون بين الفرقتين . إن كان الرب هو الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه .

ثم جاء الاختبار الحاسم ، صلاة إلى الله وإلى البعل أن يجيب بنار . فقام عابدو البعل بتقديم صلاتهم أولاً مقدمين ذبيحتهم وهم يصرخون يا بعل أجبنا ولكن لم يكن صوت ولا مجيب ، ومع أن الشيطان جلب ناراً من السماء في إحدى المرات ، فقد كان ذلك بإذن الله (أي ١ : ١٦). لقد صمت الجميع وهم يحبسون أنفاسهم ، ليس فقط بين عابدي البعل بل وسط كل إسرائيل أيضاً ، فقد كانوا معاينين لهذا المشهد الرهيب . وقف إيليا بعيداً يرقبهم فى صمت ، ولكن عندما فشل إله الشمس فى إعلان قوته ، سخر إيليا منهم . ثم انتابهم ما يشبه الصرع فأخذوا يرقصون حول المذبح ويقطعون أنفسهم بعد تهكم إيليا عليهم وسخريته منهم .

ولما جاء الغروب ولم تأت نار من السماء وتم إعلان هزيمة البعل ، أفسح الأنبياء المنهكون الذين يسيل الدم منهم ، الطريق لنبى الله الوحيد الواثق والذى استعد ليقدم ذبيحة المساء فوق مذبح مكون من اثنى عشر حجراً يمثلون أسباط إسرائيل الاثنى عشر . ولاستبعاد أى نوع من أنواع الخداع ، ملئت البراميل بالمياه وسكبت على الذبيحة ثلاث مرات . ثم أتت صلاة إيليا الجميلة الهادئة الرزينة على نقيض الصرخات المتشنجة لأنبياء البعل . والإله الذى أجاب بنار كان هو الله « فسقطت نار الرب »، وسقط الناس على وجوههم واعترفوا أن الرب هو الله .. فأسرع أنبياء البعل الذين شعروا بالذل والهوان نزولاً إلى سفح الكرمل ، ولكن القضاء السريع والمريع لحق بهم لأنهم ذبحوا جميعاً ، لأنهم ارتكبوا جريمة الخيانة العظمى ضد الله ، الملك والحاكم لشعبه (تث ١٣ : ٩ - ١١ ، ١٥ ، ١٨ : ٢٠) .

وطلب إيليا أن تنزل نار من السماء لم يكن باعثه أى شعور بالانتقام ولكن مبعثه رغبة فى إقناع ملك شرير وشعب وثنى أن الرب هو الإله الحقيقى وأنه هو وحده الذى ينبغى أن يُعبد ويُطلب وقت الشدة . وفى عهد النعمة الذى نعيش فيه ، لا يرسل الله على رافضيه عقاباً بالنار . إن غيرة يوحنا ويعقوب لنزول نار من السماء كانت تنم عن عدم المعرفة وسرعة الغضب والضيق مع أنها كانت تبدو بالنسبة لهم نابعة من تقديرهم الصحيح بربهم (لو ٩ : ٥٤) .

معجزة المطر (١٨ : ١ و ٢ و ٤١ - ٤٦)

إن الله الذى أجاب بنار يجيب الآن بالمطر لإثبات سلطانه على كل مظاهر الطبيعة فتكوين المطر وعمله ينسب لقوة الله ، وسلطانه المباشر (أى ٣٦ : ٢٧ و ٢٨ RV ، عا ٤ : ٧ ، ٥ : ٨ ، إر ١٤ : ٢٢) ، لأن الذى يرسل المطر يجب أن نخشاه (إر ٥ : ٢٤) . وعندما كثرت المعصية والارتداد ، امتنع المطر (تث ١١ : ١٧)، ولكن عند التوبة والعودة إلى الله نزل المطر الكثير (حز ٣٤ : ٢٦ و ٢٧ ، زك ١٠ : ١) . وخطورة القحط والمجاعة التى تنجم عنه يدل عليها البحث عن العشب الأخضر حتى تعيش خيول الملك وبغاله (١٨ : ٥ و ٦) .

وفى طريقه من صرفة ليرى نفسه لأخآب ،تلقى إيليا إعلاناً إلهياً أن القحط الذى استمر «ثلاث سنين وستة أشهر» سوف ينتهى (لو ٤ : ٢٥ ، يع ٥ : ١٧) » «فأعطى مطراً على وجه الأرض» (٨ : ١) . ولذا ذهب إيليا للقاء أخآب بثقة وطيدة بعد الاختبار الصعب والانتصار على الكرمل ، أعلن للملك أنه سوف يكون هناك « حس دوى مطر » ، وكتوبيخ من إيليا لأخآب على تفكيره الضحل ، أخبره باحتقار أن يترك مكان المذبحة ويعود لقصره ويأكل ويشرب . وهكذا فالملك يذهب ليفرح ويبتهج ويذهب النبى ليصلى.

إن الغرض من القحط قد تحقق وإزالة العقوبة كان علامة قبول الله لتوبة الشعب وإعلان ولائه ، لقد تم الاعتراف علناً بالرب كالإله الحى الوحيد والحقيقى .

« لقد استمعت السماء إلى الأرض وبدأت تخفف من غضبها » ، يصعد إيليا الكرمل ليصلى ويتطلع للمطر المنعش (١٨ : ٤٢) ، ووضعه وهو يصلى غريب نوعاً ما لأنه « جعل وجهه بين ركبتيه » ، وهو وضع مختلف عن الأوضاع المألوفة من وقوف وسجود . وإذ كان إيليا واثقاً من عودة المطر ، فقد قوطع بالأسئلة التى دافعها الإثارة عما سوف يحدث . والكتاب المقدس يوضح أن امتناع المطر ثم نزوله بكثرة فيما بعد كان دليلاً على معجزات ذات علاقة بالصلاة - مكافأة الله على الصلوات الحارة . فما وعد به الله (١٨ : ١) يجب على إيليا أن يصلى لأجله . ولكن علينا ألا ننسى أن الذى يفعل المعجزات استجابة للصلاة يظهر قوته فى أدق تفاصيل الحياة اليومية .

والتأخير الظاهر فى استجابة صلاة إيليا والذى نراه فى اضطرار غلام إيليا أن يذهب سبع مرات ليفحص الأفق بحثاً عن أى علامة للمطر الموعود به أدى إلى عمق صلاة إيليا ومثابرته فيها (يع ٥ : ٧) ، يقول اليكوت : إن الفرق واضح بين الاستجابة الفورية لصلاته الأولى (١٨ : ٣٦ و ٣٧) ، والتأخير هنا . فقد كانت إحداهما لأجل الناس والأخرى لتلقين إيليا درساً ما - ربما فى الاتضاع والصبر . لقد كان عليه أن يتعلم كيف ينتظر ويصلى .

وعندما جاءت الاستجابة ، جاءت بسرعة ، فالسحابة الصغيرة التى لا تزيد عن كف إنسان سرعان ما أصبحت عاصفة جعلت السماء كلها سوداء يحملها إعصار من الغرب . كم هو صحيح أن « الصلاة تفعل أشياء أكثر بكثير مما يحلم به هذا العالم ».

معجزة التنقل السريع (١٨ : ٤٦)

يثير فضول المرء أحياناً معجزة صغيرة فى حياة إيليا . فالظهور المفاجئ فى اللحظات الحرجة والانسحاب السريع والذى يعتبر من سمات خدمته يضيف كثيراً لرومانسية قصته وجاذبية شخصيته . ولا شك أن حركة النبى السريعة من الله ، فهو قُدم لنا بصورة فجائية ، وظهوره واختفاؤه يبدو مفاجئاً، وهذا ربما لطبيعة شخصيته . يقول دكتور سكروجى : « لا ارتباطات تحد من حركة إيليا وتجعله حبيس مكان واحد ، ولذا نراه يتحرك بسرعة عبر مسافات كبيرة ، يظهر فجأة ويختفى فجأة .

فالمسافات لا تقف عائقاً أمام النبى أو على الأصح أمام الله الذى كان يخدمه إيليا بأمانة . والله كلى القوة يمكنه أن ينقل الأشياء فى الحال أو الأشخاص من مكان إلى آخر (يو ٦ : ٢١) . وهكذا فقد حمل كلاً من إيليا وفيلبس حيثما أراد (١٨: ٢ ،أع ٨ :٣٩) . ويُعتقد أن الروح حمل إيليا بعيداً إلى منطقة مجهولة بعد أن قابل عوبديا (١٨: ١٠ و١٢).

بمجرد أن نزل المطر ، كان إيليا فى مقدمة الشعب ، وقد أتوا بالملك مهزوماً وربما تائباً إلى بيته وهم منتصرين. كان أخآب فى عجلة من أمره ليصل إلى قصره لئلا تجعل السيول سهل يزرعيل مليئاً بالطمى فيصعب اجتيازه .

واستطاع إيليا بخفة حركة وقوة معطـــاه له من الله (كانت يد الرب على إيليا) ، أن يجرى أمام مركبة أخآب وسط سيول المطر مسافة حوالى ١٥ ميلاً ، ولكنه لم يذهب أبعد من المدينة. لقد انزعج من القصر وما فيه من رفاهية.

إن هذا النبى ذا القلب النبيل ، والذى كان فرحاً بما أعطاه الله من انتصارات ، علم أنه سيكون آمناً ومكرماً فى يزرعيل .

معجزة أكلة الملاك (١٩ : ١ - ١٨)

بعد أن وصل أخآب قصره بعد كارثة الكرمل بمدة قصيرة قصّ على إيزابل مصير كهنتها المدللين . وبعد أن

استشاطت غضباً لما تعرض له البعل من إهانة ، أرسلت رسولاً إلى إيليا يهدد بقتله فى صباح اليوم التالى (١٩ : ٢). وبعد أن تلقى إيليا هذا التهديد الشرير ، خاف البطل وخانته شجاعته عند سماع الخبر . فبحث عن الأمن فى الهروب السريع ، ولم يتوقف حتى وصل إلى البرية فى الجنوب ، وتحت ظل رتمة استراح وصلى حتى يموت كسائر البشر . إن امرأة شريرة كإيزابل ما كان يجب أن تجعل إيليا يقوم بمثل هذا العمل الجبان . لقد استطاع مواجهة ٨٥٠ رجلاً (١٨:١٩) ، ولكن تهديد امرأة شريرة جعله يهرب (١٩ : ١ - ٤) .

إن أحداث الكرمل قد شكلت ضغوطاً عقلية وبدنية على إيليا ، وقد استسلم النبى الشجاع بصورة طبيعية لمشاعر اليأس والإحباط . لقد كان يواجه قوى عاتية . فإيليا كان قد وقف وحيداً ضد عبادة البعل العميقة الجذور ولكن عرش الشر كان يبدو منيعاً ، وصراعه ضد الوثنية كان يبدو يائساً . ولذا فقد أحس بانهيار مهمته وبأنها قد أشرفت على النهاية .

لقد أراد أن يُترك لوحده ليموت موت الأبرار . ومع ذلك فقد كان على إيليا أن يدرك أن مهمته لم تنته بعد ، ولذا فالمعجزات باقية تسانده . فالحقيقة ، إن أمامنا مجموعة من المعجزات المفيدة لاسترجاع خادم الله المتعب اليائس إلى حالته ، وهذا يعنى اهتمام الله باحتياجاته . فأول كل شئ ، أن الله أعطى نبيه المحبوب نوماً - وياله من هبة ممتازة للعقول والأجساد التى هدَّها القلق ، فالأوهام والظلال تختفى مع النوم المريح .

وإذ أيقظه ملاك ، وجد إيليا وجبة معدة له . فالطعام والنوم من الضروريات ، لقد أطعمته الغربان عند كريث ، والآن يجد ملاكاً يستضيفه . نرى هنا خدمة معجزية لطعام غير أرضى ، لابد أنه كان طعاماً جيداً لأنه بعد أن أكل من هذا الطعام الذى أعده الملاك نسى إيليا حزنه وراح فى سبات آخر .

وفى المرة الثانية أيقظ الملاك إيليا وطلب منه أن يأكل ويشرب لأنه مقبل على رحلة طويلة . إن الإله العظيم الذى روى ظمأ شمشون يمد إيليا بوجبة مغذية لدرجة أنه عاش عليها لمدة أربعين يوماً (١٩ : ٨) . وعندما كان فى حوريب خلال هذه المدة ، هدأت روح النبى بتدخل إلهى وأصبح على استعداد لتلقى الدروس الإلهية التى تنتظره.والطعام الطبيعى العادى ما كان ليمكنه من إعالة جسد إيليا خلال هذه المدة الطويلة ، ولكن الطعام العادى قد أصبح مقوياً لدرجة فائقة باستخدام الملاك له . ولما عاش « بقوة » تلك الأكلة التى أعدها له الله ، تعلَّم أنه «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب» (تث ٨ : ٣). إن الامتناع التام عن الطعام والشراب يؤدى للموت جوعاً فى ظرف ثمانية أيام أو أكثر حسب أحوال الفرد الجسمية ، وتقول هابرشن فى هذا الصدد :

« حقيقة أن الله قد أعال موسى وإيليا بلا طعام لا يجعلنا نتوقع أننا لو حرمنا أنفسنا من الطعام سوف نكون أقوياء وبصحة جيدة . فالناموس الذى وضعه يحتم أن الحياة يسندها الطعام وهذا ينطبق على كل المكونات الجسمية والعقلية والروحية لكياننا » .

معجزة الإعلان الإلهى (١٩ :٩ - ١٨)

بعد أن حمل إلى حوريب (سيناء) على الأرجح بروح الله ، فإن إيليا بنشاط متجدد ، يدخل فى شركة مع السماء وجهاً لوجه . فبعد أن بات فى مغارة تلقى إعلاناً إلهياً واخترق صوت الله سكون المغارة قائلاً : « مالك ههنا يا إيليا » (١٩:٩) ، تخلى النبى عن حالة الثورة والطبع الحاد ، وبكل رقة ونفس مطمئنة أخبر الرب أنه قد غار غيرة للرب وأنه بقى لوحده ليرفع صوته ضد الوثنية المنتشرة فى عصره ، فأمره الرب أن يقف أمامه على الجبل

عندما يعبر وأظهر قوته فى الريح الشديدة التى شقت الجبال وكسرت الصخور ، وفى الزلزلة والنار والتى ارتبطت بإعلانين سابقين فى حوريب لموسى ولإسرائيل (خر ١٩ : ١٦ - ١٨ ، ٣٤ : ٥ - ٨). إن هذه العلامات الدالة على القوة المنظورة المعجزية كانت بمثابة الثوب الطبيعى لقوة الناموس ، الذى هو الظاهرة فى شئ مرئى .

إن حالة إيليا المزاجية كانت فى حاجة لإعلانات منظورة للقوة الإلهية والانتقام ، ولكن فى «الصوت المنخفض الخفيف» ، عُلّم درساً أسمى عن القوة الروحية الأكثر رقة، والتى تخترق أعماق النفس والتى لا يمكن لصنف القوة الظاهرية أن تصل إليها « ليس بالقدرة ولا بالقوة بل بروحى قال رب الجنود » (زك ٤ : ٦) . إن مظاهر القوة المرعبة ، والأكثر رعباً مما عرفه إيليا من قبل ، والتى يطلق فيها الله قوى الطبيعة من عقالها ، عبرت أمامه فى تتابع سريع ، ربما فى نفس شق الصخر الذى اختبأ فيه موسى عندما عبر الرب . ولكن بعد سماع « الصوت المنخفض الخفيف » ، وإذ كانت رهبة الحضور الإلهى تملك عليه كيانه ، فقد لف وجهه بردائه ، مدركاً أن الله الذى رأى مجده لتوه هو أيضاً ، إله رحيم ، ورؤوف من نحو التائبين من إسرائيل .

يقول فاوست : « هذه الظواهر المذهلة قد أعدت الطريق لإعلان الرب عن نفسه . هذا هو إعلان الله الفورى للقلب. فالمعجزات تدق جرس الطبيعة العظيم لجذب الانتباه ، ولكن الروح القدس هو صوت الله للنفس . فالصرامة تقسى القلب ، ولكن المحبة وحدها تذيب الفؤاد » .

بعد هذا الإعلان الإلهى تلقى إيليا أمراً جديداً وعاد للقيام بالإصلاح الذي لم يكن قد اكتمل بعد ، والذى كان سيحدث بمشاركة حزائيل وياهو وأليشع . وقد تم إفهام إيليا أيضاً أنه لم يكن وحده فى وقفته ضد الوثنية ، فقد كان فى «إسرائيل سبعة آلاف ركبة لم تجث للبعل وكل فم لم يقبله ، ولو كان كل هذا العدد الكبير أقل صمتاً فى شهادتهم ، ولو اتحدوا مع إيليا عندما وقف وحده على جبل الكرمل لما شعر النبى بالخوف إزاء تهديد إيزابل بقتله .

معجزة نزول النار من السماء (٢ مل ١ : ٩ - ١٥)

قبل أن نلتقى بإيليا ثانية ، نذكر بإيجاز اللمسات المعجزية فى تاريخ إسرائيل الممتد . فى المعركة بين أخآب وبنهدد ، جاء نبى مجهول إلى أخآب بإعلان إلهى أن بنهدد السكير سوف يهزم بتدخل إلهى (١ مل ٢٠ : ١٣) ولما كان ملك سوريا يظن أن الله إله المرتفعات فقط فقد اختبر أنه كان أيضاً إلهاً للأودية (١ مل ٢٠ : ٢٨) .

ثم كانت هناك أيضاً النبوة التى قيلت على لسان أحد أبناء هؤلاء الأنبياء الذين كانوا يتطلعون إلى إيليا برهبة وخوف ولأليشع بحب واحترام بشأن الشخص العاصى الذى قتله أسد (١ مل٢٠ : ٣٥ و ٣٦) . يظهر إيليا الآن فى كرم نابوت حيث أرسله الله . وبعد فترة من الصمت ، يظهر الواجب الأخلاقى الأسمى فى توبيخه لأخآب عن الجريمة والانتقام لأجل دم الأبرياء . إن أخآب بعد أن هاجمه إيليا لأجل جريمته النكراء ، اتضع أمام الرب ولكنه سمع مصيره ومصير زوجته الشريرة (٢١ : ١٧ و ٢٩ ، ٢٢ : ٣٧و ٣٨ ، ٢ مل ٩ : ٨ و ٣٦) .

ونحن نتخذ إذن سجن ميخا النبى لأجل شجاعته وشهادته كالناطق بلسان الله ضد أخآب الذى تنكر عندما خرج للمعركة كما لو كان تنكره يمكن أن يخدع الله ويعوّق الحكم الصادر ضده . يقول يوسيفوس : إن شاباً اسمه نعمان استل قوساً بجرأة وضرب أخآب فى مكان مكشوف من جسده . من سوى الله كان وراء القوس موجهاً سهمه لذلك المكان الحيوى الذى أدى لموت أخآب المتنبأ عنه .

بعد موات أخآب ، أمر ملاك الرب إيليا أن يقابل رسل ملك السامرة الجديد ويعلن له عن مصيره المحتوم لأنه تجاهل الله واستشار بعل زبوب (٢ مل ١ : ١ - ٨) .

لقد سأل أخزيا عن هيئة إيليا ، فقيل له إنه « رجل أشعر ممنطق بمنطقة من جلد على حقويه » ، إن الكلمة « أشعر » قد تشير للرداء الكثير الوبر ، وهي علامة على المنصب النبوي أو للشعر غير الحليق ، كرمز للشخص النذير لله . والمنطقة الجلدية ، كالتي يلبسها الفقراء فقط ، تظهر احتقار إيليا للوجاهة الأرضية وللحزن على خطايا الأمة ونتائجها .

وعندما التقى أخزيا بإيليا ، استدعاه كرجل الله لينزل من على الجبل ويقابله . ربما شعر الملك أن قوته لا تقاوم ، حتى في وجود رجل الله . ولذلك «فالإله الحقيقي قد أهين في شخص نبيه »، وبرهان إيليا أنه رجل الله ظهر في طلب نار من السماء لتأكل الـ ٥٠ جندياً الذين أرسلهم ، وعن طريق هذه المعجزة البارزة دافع الله عن صدق دعواه ودعوى خادمه . ثم جاء خمسون جندياً آخرين ليقدموا أمر الملك لإيليا أن ينزل بسرعة ، ثم جاءت نار من السماء مرة أخرى ، سميت هذه المرة « نار الله » (١ : ١٢) والتهمت الـ ٥٠ رجلاً ، مؤكدة أن سلطة الأمر هي للنبي وأن الله قريب لحماية أنبيائه ، وعند استدعاء إيليا للمرة الثالثة نزل من على الجبل وجاء للملك .

بالنسبة لاتجاه فكرنا المسيحي ، فإن معجزات العقاب ، كإحراق المائة رجل الذين ذكرناهم سابقاً ، تبدو قاسية ومتطرفة ولا تتناسب مع الذنب الذي ارتكبوه . هل كان إيليا هو « المتحكم الذي لا يرحم ، في القوة الممنوحة له ؟ » ،إننا لا يجب أن ننسى أن الله هو الذي أصدر الإجراء الذي اتخذه إيليا بإرسال نار من السماء ، ولذلك ، فمن العبث أن نتهم النبي بالقسوة التي لا ترحم حيث أنه ليس إلا واسطة تنفيذ الحكم الإلهي .

في كتابه عن « إيليا وأليشع » يقول ر.س ماكنتير R.S Macintyre : فلنكن واثقين أن العقاب السريع والمريع على المجموعتين من الجنود أثار مشاعر متضاربة في إسرائيل عما يمكن أن تثيره حادثة مماثلة في عصرنا ، وقد كان لذلك تأثير إيجابي على الصلاح ، بإحياء المشاعر الأخلاقية للناس . أما عن حقيقة أن مصير الجنود متعلق بمصير قادتهم فلنا مثال واضح لهذا القانون الحاسم في المسئولية المشتركة التي نراها في الكثير من الحالات في الكتاب المقدس والحياة العامة .(تك ١٩: ٢٤ و ٢٥ ، يش ٦ : ٢١ - ٢٥ ، ٧ : ٢٤، ١صم ١٥:٣).

بعد كل هذه العقوبات الصارمة للقوة الإلهية والتهديدات بعقوبات قادمة أكثر هولاً ورعباً ، استمر القصر الملكي منجذباً كما كان إلى الوثنية ، متحدياً الله بكل تبجح . فكم كانت رحمة الله وصبره وطول أناته تجاه شعبه ! إن شدة العقاب بالنار إذن ، كان يرجع لشناعة جرم ملك إسرائيل ، وجرم رعاياه الذين حاربوا الله في شخص نبيه ، وأن عنادهم في وثنيتهم جعلهم متهمين بجريمة الخيانة العظمى ضد الله ، وهي خطية جزاؤها حكم الموت بحسب القوانين الإلهية . وبالنظر لمعجزات الدينونة ككل ، ما الذي يمكن أن نقوله بخلاف ذلك سوى « أديّان كل الأرض لا يصنع عدلاً ؟ ».

معجزة نهر الأردن (٢ : ١ - ٨)

إن خدمة إيليا المضحية والمليئة بالحيوية والنشاط قد اجتذبت الشباب في عصره وولّدت في كثير منهم الجرأة في الشهادة (١ مل ٢٠ : ٣٥ و ٣٦ ،ميخا بن يملة في أصحاح ٢٢) ، ولقد انخرط عدد كبير من هؤلاء الشبان في « مدرسة الأنبياء » أو « بنو الأنبياء » كما تم التعبير عن ٥٠ منهم . والمقر الرئيسي لمثل هذا التعليم النبوي كان بيت إيل ، وهي واحدة من مركزين من مراكز الوثنية (٢ مل ٢ : ٣ و ١٦) . وقد تلقى إيليا ، الرئيس المعترف به لمدارس الأنبياء ، إعلاناً إلهياً باقتراب نهايته ، وقد زار بإرشاد إلهي الجلجال وبيت إيل وأريحا والأردن على التوالي . ولا شك أن النبي الشهير قدم نصائح وداعية

لطلبة مدارس الأنبياء في هذه المواضع ، والذين كانوا قد تلقوا أيضاً الإعلان الإلهي بقرب انتقال قائدهم .

والإشارات لأليشع في هذا الموضع لها مدلولها . فقد انطلق أليشع مع إيليا من الجلجال وذهب كلاهما معاً إلى بيت إيل وأريحا ثم الأردن . وقد حث إيليا أليشع في كل موضع من هذه المواضع أن يمكث هناك ليستريح ولكن كان رد أليشع في ثلاث مرات « حي هو الرب وحية هي نفسك إني لا أتركك » (٢ : ٢ ، ٤ و ٦) . لقد أراد إيليا أن يواجه نهايته لوحده ، ولكن أليشع ألزم نفسه بقسم ألا يترك معلمه .

فيا لإحسان الله أن يهب أليشع نفسه لإيليا كصديق حميم في الفترة الختامية من حياته ومهمته . فلقد قضى معظم حياته في عزلة وكان يحتاج لصحبة ، ولذا فقد أعطاه الله أليشع ، تماماً كما أعطى تيموثاوس الشاب لبولس المسن ، وكان أليشع خاضعاً دائماً وأبداً لإيليا معلمه ، وأصبح شريكه وخليفته وسد ما نقص في شخصيته الصارمة .وعندما وصلا إلى الأردن ، قام إيليا ، أمام خمسين من بني الأنبياء وأمام أليشع أيضاً ، بخلع ردائه المشعر وضرب المياه ، وهو عمل رمزي يشبه ما فعله موسى حين مد عصاه وضرب البحر . إن مثل هذا العمل كان العلامة الظاهرة لقوة الإيمان الروحية غير الظاهرة . والمياه ، التي خلقها الله في الأصل ، أطاعت خالقها وانفصلت ، وعبر إيليا وأليشع نحو البرية في الشرق . وكما سنرى حالاً ، تكرار نفس هذه المعجزة ولكن بيد أليشع كعلامة على تصديق السماء على خلافة أليشع . وكآخر معجزة يجريها إيليا ، فقد كانت علامة ظاهرية لبني الأنبياء لتشهد لهم أن قائدهم المبجل كان في الحقيقة نبياً حقيقياً مرسلاً من الله .

معجزة صعود إيليا (٢ : ٩ - ١١)

ما أن عبر إيليا نهر الأردن حتى كان يرغب في أن يبارك ابنه الروحي بركة وداعية (تك ٢٧ : ٤) « اطلب ماذا أفعل لك قبل أن أؤخذ منك » ، وكل ما طلبه أليشع كان نصيب اثنين من روح إيليا . وكان هذا مطلباً تصعب استجابته ، لأن إجابة مثل هذا الطلب لم يكن في مقدور إيليا ، بل في مقدور الله وحده . فأجابه بالقول إنه إذا شهد انتقال إيليا ، فإن أليشع سوف يحصل على البركة حسب النعمة التي طلبها .

وتعبير « نصيب اثنين من روحك » لا يفهم منه هبة إجراء المعجزات أو هبة روح النبوة بمقدار ضعف ما كان يمتلك إيليا نفسه ، فليس القصد الحصول على نصيب يفوق الجميع . إن تعبير « نصيب اثنين » يستخدم في سياق الحديث عن الابن البكر ، الذي كان يرث وفقاً للناموس على نصيب اثنين من ميراث أبيه (تث ٢١ : ٧) ، فأليشع طلب إذن ان يعامل كالابن البكر في « مدرسة الأنبياء » وهكذا يأخذ نصيب اثنين من « روح وقوة » معلمه بمقدار ضعف ما كان يعطي للباقين . فكأن أليشع يطلب قائلاً : « اجعلني بكراً بين أبنائك الروحيين » .

كم كان انتقال إيليا الخارق للعادة مؤثراً ! ففجأة عند ما كان إيليا وأليشع في صحبة مقدسة ، ظهرت « مركبة من نار وخيل من نار وفصلت بينهما ». إن قوة الرب فصلت بينهما ، وأحاطت بإيليا عاصفة من نار ورُفع إلى السماء ، ليس في مركبة نارية ولكن في العاصفة . لقد أجاب الله أيوب من العاصفة ، ويصف حزقيال عاصفة القدير بأنها « سحابة عظيمة ونار متواصلة » (أي ٣٨ : ١ ، نح ١ : ٣ ، حز ١ : ٤) . ففي وسط مظاهر قوته في ومن خلال قوى الطبيعة ، أخذ الله إيليا ليكون معه . وقد كان اليهود القدامى يتعرفون على حضور الله وقوته في ظواهر الطبيعة المرعبة (مز ١٨ : ٦ - ١٥ ، ١٠٤ : ٣) .

رأى أليشع الخيول ومركبة النار والتي صلى فيما بعد أن يراها غلامه (٦ : ١٧)، وكانت هذه علامات لأولئك

الذين قبلوا شهادة إيليا وساروا فى اثر خطواته ، فهى علامات لقبول السماء لحياته ومهمته التى قام بها. إن هذه الإعلانات المعجزية كانت أيضاً علامات لأولئك الذين رفضوا شهادته المؤيدة من الله ، وهى تنذر بعاصفة الغضب القادمة ، والهوان الذى سيلقونه بطرحهم فى النار . بعد أن أدرك أليشع بانتقال معلمه ، صاح فى حزن « يا أبى يا أبى ». لقد فقد من كان بمثابة الأب بالنسبة له ، وفقدت إسرائيل مصدر قوتها الرئيسية . كان إيليا بالنسبة للأمة « كالمركبة وقائدها » . يعيد الترجوم صياغة العبارة هكذا: « معلمى معلمى، كان أفضل لإسرائيل من المركبات وفرسانها بصلواته ».

وكثيراً ما تتم المقارنة بين انتقال إيليا المنظور والفعلى بصعود المسيح ، ولكن مثل هذه المقارنة نادراً ما تجد سنداً لها : لقد اجتاز المسيح فى الموت ، ودفن جسده فى قبر. ولكن إيليا ، كأخنوخ الذى سبقه ، لم يمت . وصعد إيليا بالجسد إلى السماء ، وتجلى ، حيث إنه انتقل بجسد ممجد، حين ظهر على جبل التجلى (مت ١٧ : ٣) . يا لها من خاتمة مجيدة لحياة كانت مليئة بالتجارب والصراع ! ونفس الروح الذى مكّنه من أن ينتقل بسرعة والذى كان ينقله فجأة من مكان إلى مكان فجأة نقله من الأرض إلى السماء فى طرفة عين .

ما أبعد أحكام الله عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء !، فإيليا قد رفع إلى السماء دون أن يموت ، ولكن يوحنا المعمدان الذى أتى بروح إيليا وكان أعظم من نبى ، قد تم ذبحه بناء على انتقام امرأة زانية ومات موتاً مأساوياً(مت ١١ : ١١ ، ١٤ : ٨ - ١١) .

معجزة التجلى (لو ٩ : ٢٨ - ٣٥)

بعد أجيال عديدة ، يظهر إيليا لتراه عيون البشر ، وقد تعرف عليه بطرس فى الحال ، مع أنه لم ير النبى بالجسد من قبل . وتكلم إيليا وموسى مع يسوع عن موته . « إن موضوع هذا الحديث المبارك على الجبل المقدس كان موت المسيح كالمرسل من الله . كان هذا مركز اللقاء بين الناموس (ممثلاً فى موسى) والأنبياء (ممثلين فى إيليا) . فالناموس الذى أعطى بموسى وجد بطله البارز فى إيليا وحديثهما مع المسيح كان متصلاً بالتناغم بين عملهما والهدف المشترك لخدمتهما » . وللبحث عن أدلة تثبت تأثير إيليا حتى فى العهد الجديد ، انظر مت ٢٧ : ٤٧ ، لو ١ : ١٧ ، رو ١١ : ٢ - ٥ ، يع ٥ : ١٧ و ١٨ .

أما عن المدلول الرمزى للظهور المعجزى المشترك لموسى وإيليا- فالأول يرمز للأموات فى المسيح الذين سيقومون أولاً عند مجيئه والثانى يمثل الكنيسة الحقيقية التى سوف تختطف لملاقاة الرب فى الهواء دون أن يرى أفرادها الموت.

١٦ - معجزات أليشع

(٢ مل ٢ : ١٩ - ٥ : ٢٧ ، لو ٤ : ٢٧)

للتأمل فى دعوة أليشع فإننا نعود للاختبار العميق الذى مر فيه إيليا عندما كان فى المغارة فى حوريب . لقد تنبأ الرب أن أليشع سوف يقتل أعداء الله (١مل ١٩:١٧). ثم ظهر إيليا فجأة وبصورة غامضة لأليشع بينما كان يحرث الأرض بثيرانه ، وبعد أن ألقى عليه رداءه الخشن دعاه ليتبعه فى بقية الأماكن التى سوف يذهب إليها . والرداء الذى يمثل الناسك الزاهد كان جزءاً من طقوس تبنى طفل ما ، والذى أدرك أليشع مغزاه الروحى بسرعة (١ مل ١٩ : ١٩). وبمجرد أن قدم إيليا الدعوة ، مضى ، تاركاً موضوع الطاعة لإرادة أليشع الحرة. وبعد الاحتفال بالوداع قام أليشع وتبع إيليا .

عندما نقترب من دراسة معجزات أليشع ، لا يفوتنا أن نقول إنها كانت شبيهة بمعجزات الخروج عندما افتدى الله شعبه من العبودية . فتحت قيادة أليشع ، نرى إسرائيل وهو فى حالة العبودية والعقاب ولم يتبق منه إلا بقية لترفع اسم الله وتمجده ، وفيما بعد عندما يسير الشعب وفقاً

للإعلان الإلهي المتدرج ، يبرز عصر جديد تظهر فيه قوة الله بإجراء مجموعة جديدة من المعجزات ، كما كان الحال في الخروج وبداية العصر المسيحي .

لماذا لجأ أليشع لتأثير الموسيقى المهدئة عندما كان على وشك التنبؤ ؟ إن هذا موضوع لا تصل إليه المعرفة البشرية. فالإله الذي دعاه ليعمل كنبي كان قادراً بالتأكيد أن يمنحه السلام الداخلي والهدوء . وفيما يختص بالمعجزات التي أجراها فقد كانت معجزات محلية وليست علنية ، وقد أجريت لمساعدة الفقراء والمحزونين . كانت معجزات إيليا معجزات للقضاء بينما كانت معجزات أليشع معجزات للرحمة . وبينما لدينا قائمة كاملة بالقوات التي عملها أليشع إلا أنه لدينا القليل جداً عن الرجل نفسه . فالوحي لم يعطنا شيئاً يذكر عن تاريخ حياته سوى سلسلة من المعجزات يربطها عدد قليل من القصص . والتأمل في هذه المعجزات الكثيرة يزودنا بتصور عن أليشع يختلف تماماً عن نبي القضاء الذي سبقه .

معجزة نهر الأردن (٢ مل ٢ :١٢ - ١٤)

إن انتقال إيليا قد أحزن أليشع إلى حد كبير . كم كانت صرخته موجعة حين أخذته المركبة وترك وحيداً « ولم يره بعد » . وكدليل على الحزن المفرط ، شق أليشع ثيابه إلى قطعتين (١٢:٢ ، ١ مل ١١ : ٣٠) . وهناك عند قدميه كان يوجد رداء معلمه الذي رآه صاعداً إلى السماء - الرداء الذي كان علامة في كل إسرائيل على أعمال إيليا العظيمة ، نبي الرب ، الرداء الذي ألقاه إيليا نفسه على كتفي أليشع علامة على أنه قد دعي لنفس المنصب النبوي. وعندما صعد إيليا ، سقط عنه الرداء ، دليلاً على أن عمله على الأرض قد انتهى . وقد أخذه أليشع الآن كرمز وإشارة إلى أن المنصب النبوي قد انتقل إليه .

عند عودة أليشع إلى ضفاف الأردن ، صرخ « أين هو الرب إله إيليا ؟ » ، هل ترك الأرض مع نبيه ؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك فليته يظهر قوته الآن . إن أليشع وهو يطلب الله كالمصدر الوحيد للقوة ، اتبع نموذج إيليا وأخذ رداء معلمه ، وضرب الماء وعبر فوق الأرض اليابسة . ومع أن الله قد اختطف إيليا إلا أنه استمر يعمل عن طريق أليشع ، فقد « استقرت روح إيليا على أليشع » ، والدليل على استمرار القوة كان في تكرار المعجزة . فالقوة التي تجري المعجزات ليست في الرداء القديم ولا في الرجل الذي أجريت على يديه ولكن في الله صاحب القوة . وقد كان بنو الأنبياء يرقبون من المرتفعات ، وقد رأوا في المعجزة ختم السماء على أليشع كخليفة لإيليا ، وقد قدموا له الاحترام اللائق .

معجزة ابراء المياه (٢ :١٩ - ٢٢)

كان على أليشع أن يستمر في استكمال المسيرة التي بدأها إيليا بقوة جديدة أكثر من أي شخص آخر. «ولممارسة مثل هذا العمل المكرم ، فقد عاش أليشع وهو يمارس نفوذاً متزايداً لفترة تربو على الخمسين عاماً بعد أن أجريت معجزة عبور نهر الأردن مرتين . سرت شائعة قوية بأن روح إيليا قد استقرت على أليشع ، وهذا هو السبب في أن رجال مدينة أريحا طلبوا مساعدة أليشع فيما يختص بعدم صلاحية المياه لحاجة مدينتهم .

إن الآثار الضارة للماء المحمل بالجير من الجبال كانت من القوة بحيث تجعل الأشجار تسقط ثمارها قبل الأوان والماشية التي تتغذى على الأعشاب تسقط صغارها قبل الأوان . فقد كانت هذه المعجزة ضرورية لعلاج طبيعة المياه الضارة بالصحة وغير الصالحة للشرب والضارة للأرض ، فطلب صحناً جديداً ووضع فيه ملحاً وذهب إلى نبع الماء وطرح فيه الملح كرمز للنعمة والتطهير والحفظ ، ثم أعلن أن المياه الردية قد شفيت .

في مناسبتين نرى إجراء تغيير كيماوي كبير مع ماء غير صحي . لقد رأينا من قبل أن مياه مارة المرة قد

أضحت ماء عذباً عن طريق إلقاء شجرة فيها (خر ١٥ : ٢٥) ، وهنا نجد مياه أريحا قد شفيت بواسطة الملح ، وهو رمز في الكتاب المقدس لما يمنع الفساد .

وإن كان الملح قد استخدم كأداة ، إلا أن الله وحده هو الذى استطاع شفاء المياه « هكذا قال الرب . قد أبرأت هذه المياه » (٢:٢١) . فليس بقوة أليشع ولا بأى خصائص طبيعية للملح المستخدم شفي النبع بل عن طريق الإرادة الإلهية وحدها . فأليشع والملح لم يكونا سوى الوسيلة التى استخدمها الله . بعد هذا التدخل الإلهى أصبح الماء متفقاً مع قوى وخصائص الطبيعة المضادة .

معجزة القضاء على المستهزئين (٢ : ٢٣ - ٢٥)

إن المعجزة السابقة كانت مفيدة ، ولكن المعجزة التى نحن بصددها الآن عقابية . فليكن معلوماً منذ البداية أن القضاء على الصبيان ليس عملاً من أعمال العنف الشخصى بل دليلاً على قدسية المنصب النبوى وديونة خطية رفض الوسيط النبوى المعين من الله . ففى طريقه إلى بيت إيل ، والذى أصبح منذ عصر يربعام واحداً من أكبر مراكز الفساد ، قابل إيليا عصابة من المراهقين المطبوعين على إلحاق الأذى بالآخرين . وعبارة « صبيان » ليس القصد منها أطفال أبرياء لم يصلوا لسن الرشد بعد ، بل القصد منها أنهم شبان . فالأطفال الصغار لا يستطيعون استخدام أسلوب السخرية المريرة ولا الهجوم كجماعة لإهانة النبى كما فعل شبان بيت إيل هؤلاء .

بعد أن قابل أليشع ، هؤلاء الشبان الاثنى والأربعين الوثنيين والذين يكرهون الله كراهية شديدة ، حاولوا الإساءة لكل ما يمثله هذا النبى ، وكانت سخريتهم دليلاً على غياب أى تأثير لأى قدوة صالحة من والديهم وأى وازع من أى نوع . لقد هجموا على النبى ، وكرروا العبارة التى تنم عن الاحتقار «اصعد يا أقرع» ، وكلمة (اصعد) كانت استهزاء لما كان يردده الناس عن صعود إيليا . «هيا ، اصعد يا من تشبه إيليا» ، وعبارة «يا أقرع» عبارة ساخرة ، إما من شعر أليشع القصير جداً بالمقارنة بشعر إيليا الطويل أو لصلعه قبل الأوان ، والذى كان يدل على الإصابة بمرض البرص (لا ١٣ : ٤٣). فأن تكون أصلعاً فى مؤخرة الرأس ، وهو الجزء الذى رآه الشبان الجبناء ، كان يعد عيباً عند الإسرائيليين وكذلك عند الرومان .

وقد استخدم الشبان هذه العبارة كسخرية ليس من أليشع كرجل ، بل كنبى ، ممثلاً لله .

وفى حالة من الغضب الناتج على ما لحق به من إهانة ، لعن أليشع الشبان باسم الرب . كان هذا رده الوحيد على هذا التجمع المستهزئ . لقد لعنهم «للانتقام لكرامة يهوه ، الذى استهانوا به فى شخصه » (انظر خر١٦:٨، أع ٥ : ٦) . ونتيجة لهذه اللعنة تعرض الشبان لهجوم دبتين من الغابة . وليس لأليشع دخل بالهجوم . فالله المتسلط على مملكة الحيوان ، كان يسيطر على تحركات هاتين الدبتين . وسواء مات كل الشبان المستهزئين أم لا ، فهذا ما لم يخبرنا إياه الكتاب ، فالقصة تقول إن الدبتين قد «مزقتاهم» (NiV) . وهى تعنى أنهم قد عوقبوا عقاباً مخيفاً مستحقاً لاحتقارهم للنبى .

معجزة الجباب (٣ : ١ - ٢٢)

كانت خدمات أليشع للملك والبلد عديدة وذات مغزى . وأول سجل لها كان عندما تدخل الله لإنقاذ بنى إسرائيل من أعدائهم الموآبيين . لقد حاول يهورام أن يعيد إخضاع موآب التى تمردت بقيادة الملك ميشع . فوجدت القوات المشتركة نفسها بلا ماء في برية أدوم ، وكان الموقف يائساً . فلجأ يهورام إلى يهو شافاط ، ولما علم أن أليشع (الذى لكونه كان يصب ماء على يدى إيليا ، فقد عرف بأنه كان المرافق الشخصى لأعظم الأنبياء) كان فى مكان قريب ، فطلب منه المساعدة فى هذه الشدة .

وأليشع الذى كان عنيفاً فى سخطه على الملوك

المرتدين ، رفض مساعدة يهورام لممارساته الوثنية ، ولكنه قبل تقديم المساعدة لأجل خاطر يهوشافاط . ونحن لا نستطيع أن نفهم لماذا استدعى عواداً لتهدئة روحه المضطربة حتى يكون فى حالة ذهنية مستقرة ليتلقى الإلهام الإلهى ، ولا شك أن رباطة الجأش والسكينة كانت ضرورية لأليشع لكى يسمع صوت الله فى أعماقه ولكن كرجل يخاف الله ما كان ينبغى أن تكون روحه مضطربة مما يستوجب استخدام تلك الوسائط الطبيعية كالموسيقى لتهدئته . على أى حال ، فحالما قرب العواد ، كان عليه يد الرب ، فأصدر أمره « اجعلوا هذا الوادى جبابا جباباً » .

لا شك أن العنصر المعجزى ، فعل فعله هنا ، لأنه بدون « ريح » التى تعتبر فى بلاد الشرق ، المسبب المعتاد للمطر ، وبلا مطر الذى يمد الأرض بالماء (تنبأ أليشع) أن الوادى سوف يمتلئ بالماء ، مما يعنى أن مجيئه سوف يكون بفعل وإرادة الله .وحفْر الجباب (الخنادق) قبل قدوم الماء كان عملاً من أعمال الإيمان ، حيث كافأه الله بامتلاء الوادى بالماء . إن هذا الماء الضرورى الذى أتى به الله كان له هدف مزدوج ، فهو لإنعاش المقاتلين وإخافة أعدائهم ، الذين عندما رأوا الماء من بعيد فى ضوء الشمس المحمرة ، ظنوه دماً قد سفك فى مذبحة قامت بها الجيوش المتحالفة ضد بعضها البعض مما أحدث بها هزيمة فادحة . وهكذا فقد استخدم الله الضوء وقوانين الانكسار لخدمة أغراضه فى الإطاحة بالموآبيين . فبعد أن قدم الله اللحم ، نراه هنا يأتى بالماء . إن الماء الذى يعطيه الله لرى ظمأ نفوسنا مقدم لنا نتيجة للذبيحة التى تتمثل فى موت المسيح .

معجزة الزيت (٤ : ١ - ٧)

مازالت المعجزات على يد أليشع تجرى ، وتأخذ خدمته طابع فعل الخير والمواساة والإحسان ، فمعجزاته كأعمال رحمة تشبه معجزات يسوع نبى الناصرة . ففى المشهد الجميل الذى أمامنا نرى أليشع يضاعف من كمية الزيت لأرملة وجدت نفسها فى عوز شديد . ونحن نتنقل من المشهد المرعب للدم والمذبحة فى هزيمة الموآبيين إلى منزل متواضع فى إسرائيل حيث كانت توجد امرأة وجدت نفسها غير قادرة على مواجهة مطالب المرابى لدفع ديون زوجها (يقول يوسيفوس إنه عوبديا) والتى لم تكن بأى حال من الأحوال نتيجة للإسراف والتبذير . وقد هدد المرابى أن يمضى حتى النهاية حسبما يسمح به الناموس للحصول على حقه ، مطالباً بالحق فى أن يأخذ ولديها له عبدين (لا ٢٥ : ٣٩ - ٤٦ ، انظر مت ١٨ : ٢٥) . وفى هذه الحالة فإنهما يبقيان مستعبدين عنده حتى سنة اليوبيل .

وفى احتياجها الشديد ، توسلت الأرملة لأليشع كرئيس للأنبياء ، وطالبت بالمساعدة على أساس تقواها . والمعجزة التى حدثت وقتها ليست قصة خيالية ، بل معجزة إلهية تظهر قدرة الله على سد احتياجات أبنائه المعوزين . وكل ما كان لدى المرأة كان كمية قليلة من نوع ردئ من الزيت يستخدم لدهن الجسم بعد الاستحمام ، «ولكن القليل كثير فى يد الله» ، فقد ضاعف الله من كمية الزيت القليل لصالح الأرملة وأليشع أيضاً . فالقليل فى يد النبى كان كافياً لإثبات قوة الإيمان . لقد عرف أليشع أن هذه حالة تتطلب تدخلاً إلهياً ، واعتقد أن إلهه العظيم سوف يقوم بالمهمة .

أمر أليشع الأرملة أن تستعير كل الأوعية التى يمكن أن تحصل عليها من جيرانها . لقد كان عليها أن تحصل على كل الأوعية التى يمكن للجيران أن يعيروها لها . وكلما زادت الأوعية ، حصلت على كمية أكبر من الزيت بطريقة معجزية ، ثم طلب أليشع منها ومن أبنائها الذين استعاروا الأوعية أن يغلقوا الباب على أنفسهم استعداداً لمعجزة الإيمان . ولما أخذت المرأة تصب كمية الزيت القليلة التى كانت لديها ، بدأت الأوعية المستعارة تمتلئ حتى الحافة واحداً وراء الآخر . وعملية غلق الأبواب كانت تعنى أيضاً تجنب العلنية غير المرغوبة فى مثل هذه المعجزة

(انظر أيضاً لو ٨ : ٥١ و ٥٤) . وكلما استمر الأبناء في وضع الأوعية الفارغة أمام أمهم استمرت في ملئها . وقد أصبح وعاؤها الصغير ينبوعاً متجدداً للزيت كلما استمرت تصب في الأواني الفارغة .

توقف سيل الزيت فقط عندما لم يعد هناك مزيد من الأواني . وكنتيجة لهذا السيل المتدفق من الزيت والذى لا يستطيع أى عالم أن يفسره ، استطاعت المرأة أن تدفع دين مرابيها وتعيش دون أدنى خوف على ثمن الزيت الذى استطاعت أن تحصل عليه من الزيت الفائض عن حاجتها . و«لما لم يوجد بعد وعاء وقف الزيت» .

يعلق فاوست على ذلك قائلاً : إن ذلك أشبه ما يكون بالصلاة ذات «الأبواق المغلقة»(مت ٦ : ٦) ،والتى تأتى لنا بفيض من النعمة طالما كانت قلوبنا مفتوحة لتقبل هذا الفيض (مز ٨١ : ١٠ ، أف ٣ : ٢٠). لقد توقف الله عن استجابة توسلات إبراهيم فقط عندما كف إبراهيم عن الطلب (تك ١٨) .

والمعجزة التى أمامنا لها مغزى روحى أيضاً ، تذكرنا هابرش أن الزيت رمز ملائم للروح القدس ، والمعجزتان اللتان أجراهما إيليا وأليشع والخاصتان بالزيت يقدمان لنا فكرتين عن حقيقة الروح القدس . فكوز الزيت الذى لم ينقص والوعاء الذى ملأ الأوانى الفارغة يوضحان ما جاء فى يو ٤ : ١٤ و يو ٧ : ٣٧ - ٣٩ ، النبع الذى يفيض ولا ينضب أبداً ، وأنهار الماء الحى .لقد استطاعت المرأة أن تسدد ديونها عن طريق المؤونة المعجزية . إن قوة الروح هى الوسيلة الوحيدة التى نستطيع أن نسدد بها الديون التى نشعر مع بولس أننا مدينون بها لمن لا يعرفون الإنجيل .

معجزة ابن الشونمية (٤ : ٨ - ٣٧)

كثيرة هى المعجزات فى حياة أليشع ، فبإعادة ابن الشونمية إلى الحياة مرة أخرى واحدة من أعظم معجزاته (٤ : ٨ ، ٨ : ١). ربما لا توجد فى الكتاب المقدس كله قصة أجمل من استضافة النبى فى بيت الشونمية المضيافة .

إن كرمها وما أظهره أليشع من عرفان بالجميل يكونان صورة جذابة جداً . ومع أن المرأة ثرية إلا أن ما قدمته لأليشع كان بسيطاً - حجرة صغيرة على الحائط تحتوى على سرير وكرسى ومنارة وخوان - وهى الأشياء الأساسية الأربعة فى أثاث البيت الشرقى . وأثناء حديثها مع النبى، كانت تقف فى الباب ، إذ كانت تعرف قداسة منصبه . إن كرامة أليشع تظهر فى موقف الناس منه . كانت أرملة المعجزة السابقة فى ظروف سيئة - أما الشونمية فقد كانت ميسورة الحال ، قادرة على استضافة النبى . .

لقد اعتاد أليشع أن يقبل استضافة تلك المرأة العظيمة ، وزوجها ، وقد تأثرت بقداسته ، وكانا يكرمانه كلما مر عليهما . ولما شعر بامتنانه لكرم ضيافة الرجل والمرأة ، سأل عما يمكن أن يصنع لهذه المرأة المضيافة . وإذ كان لأليشع حظوة لدى الملك سأل إن كان لدى المرأة أى طلبة من الملك . لم يطلبا أى مكافأة دنيوية من النبى ، فقد كانا قانعين بنصيبهما فى الحياة . هنا أسرَّ جيحزى غلام أليشع إلى أليشع أن المرأة كانت لا تنجب ، والعقم أو عدم الإنجاب كان يعد عاراً للزوجة الإسرائيلية (تك ٣٠ : ٢٣ ، مز ١٢٨ : ٣ و٤) . فدعا الشونمية لتدخل وأخبرها أليشع أنه كمكافأة لها لكرمها ، فإنها سوف تلد ابناً ، وفى ظرف سنة تحقق الوعد وأصبحت أماً ففرحت كثيراً .

ولما كبر الولد بما فيه الكفاية ، ابتدأ يساعد أباه فى الحقل ، وفى يوم من الأيام شعر بالألم نتيجة لضربة شمس وصاح « رأسى رأسى » ، فأمر الأب الغلام أن يحمله إلى المنزل فمات بين ذراعى أمه . ولم يدم الحزن طويلاً فقد ركبت حماراً مسافة حوالى ١٥ ميلاً إلى جبل الكرمل . وزاد إيمانها تبعاً لحجم الكارثة ، وعبرت عن حزنها لأليشع قائلة : « هل طلبت ابناً من سيدى » ، فأرسل أليشع جيحزى مع عكازه الذى وضع على وجه الولد دون جدوى . فالعصا التى لا حياة فيها لا يمكن أن تعيد الحياة . فالحياة

لا تأتي إلا من الإله الحي عن طريق شخص حي ، تماماً كما أن الناموس لا يستطيع أن يقيم الميت بالخطايا (رو ٨ : ٣ ، غل ٣ : ٢١) ، فيسوع نفسه يجب أن يأتي ويفعل ذلك .

ولما علم أليشع بفشل جيحزى أسرع إلى بيت الحزن وهو مدرك لشدة وقع الكارثة ، وأغلق الباب على نفسه مع الجثة ، وتمدد على السرير ، فسواء كان الأمر يتعلق بملء أوعية فارغة أو الإقامة من الأموات ، فالله يعمل من خلف الأبواب المغلقة . وقد أجرى عمله بهدوء دون وجود عيون متطفلة (مت ٦ : ٦). وتمدد أليشع على الولد مرتين ، واضعاً فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه (انظر أع ٢٠ : ١٠) . وبهذا الاتصال الشخصي كان العون الإلهي ينتقل من الحي إلى الميت .

لقد استجاب الله لإيمان وصلاة خادمه ، وعادت الحيوية الكاملة للصبي الذي « سخن جسده ». إن الحياة من الله قد سرت بمعجزة من أليشع إلى الولد الذي لا حياة فيه . وعطس الولد سبع مرات ، والعطس المتكرر علامة على استعادة التنفس ، وسُلّم إلى أمه حياً ، والتي سجدت إلى الأرض في احترام عميق لنبي الله . في الحقيقة اختبرت الشونمية معجزة مزدوجة . لقد أزال الله عقمها وأقام ابنها الصغير من الأموات . لقد أثبت كل من إيليا وأليشع قوة الصلاة على الإقامة من الأموات .

معجزة إبراء الطعام المسموم (٤ : ٣٨ - ٤١)

بعض الكتّاب لا ينظرون إلى عمل أليشع هذا بأنه معجزة بالمعنى العصري للكلمة، ولكن كما يقول روس Reuss : « لقد وضع نبات سام في القدر (وليس مراً فقط) عن طريق الخطأ ، وقد استطاع النبي أن يعمل على وقف عمل السم بواسطة ترياق مضاد للسموم ، خصائصه الطبيعية لا تحدث هذا التأثير . فخلال المجاعة المتنبأ عنها إلى الشونمية ، وكان أبناء الانبياء في الجلجال يجدون صعوبة في الحصول على موارد الطعام ، فكان عليهم أن يقتاتوا على ما يجدونه . وفي يوم ما ، بينما كانوا يلتقطون ما يسد رمقهم ، فقد التقطوا قثاء برياً وضعوه في قدر السليقة. وعندما اكتشفوا أن طعمه شديد المرارة وعانوا من تأثيره الذي يسبب الإسهال الشديد صرخوا إلى أليشع « في القدر موت يا رجل الله » وبإلقاء كمية من الطعام الصحي المغذي ، نتج تأثير مضاد للقثاء السامة مما خلص الطعام من خصائصه غير الصحية ، واستطاع الجائعون أن يأكلوا دون خوف من أي ضرر .... لم يلقوا بالطعام ولكن تمت تنقيته من أي تأثير مميت .

في إحدى المناسبات تحول طعام غير ضار إلى طعام ضار . ففي معجزة السلوى ، التهم بنو إسرائيل السلوى بشراهة حتى تحولت إلى سم زعاف ، ولكن الطعام هنا كان ضاراً بسبب القثاء البرية التي جعلت القدر ساماً . ولكن عن طريق الطعام المعجزي ، تحول إلى طعام مغذٍ ، وصحي عن طريق قوة الله التي فعلت فعلها على يد أليشع . هناك الكثير من الأطعمة المهلكة ، ولكن المسيح كالخبز النازل من السماء هو وحده يستطيع أن يخلصنا من تأثيراتها المميتة .

معجزة الطعام القليل الذي أشبع الكثيرين (٤ : ٤٢ - ٤٤)

أمامنا هنا مرة أخرى حادثة يجردها العقلانيون من العنصر الإعجازي وبذلك ينكرون على أليشع أي تدخل في زيادة الطعام بصورة خارقة ، ويؤكدون أن مائة رجل قد اكتفوا بالقليل من الطعام المقدم لهم بل وفضل عنهم . ويقولون ، صحيح أن كمية الطعام كانت لا تكفي لعدد الرجال ، والعنصر المهم في القصة نراه في ثقة أليشع المطلقة في الله وليست في أي أعجوبة أجريت على يديه . ولكن هذا التفسير بعيد عما قصده كاتب السجل المقدس . فمع أن أليشع لم يجر المعجزة إلا أنه قد تنبأ بها ، وهذه المقدرة على التنبؤ شئ خارق للعادة .

أثناء وقت المجاعة التى تحدثنا عنها من قبل ، أحضر شخص من بعل شليشة باكورة حصاده لبنى الأنبياء ، وفى هذا دليل على أن الناس لم تنس الرب حتى بين أهل مملكة الشمال . فعشرون رغيفاً من الشعير وبعض سنابل القمح تعتبر شيئاً قليلاً (لا ٢ : ١٤ ، ٢٣ : ١٤) وغير كاف لمائة رجل يريدون أن يشبعوا . ولكن أليشع قبل التقدمة بسرور لإشباع حاجة ملحة . وأمر خادمه أن يضع التقدمة أمام بنى الأنبياء . وقد اعتبر الخادم أن مثل هذه الكمية لا تكفى ، ولكن أليشع أكد لخادمه المتشكك فى عدم جدوى هذه الكمية أن الرب سوف يجعل هذه الكمية تكفى وتزيد .

والعنصر الخارق لم يتم بإزالة العنصر الضار من مكونات الطعام كما فى المعجزة السابقة بل بانتشار ما فى الطعام من عناصر مفيدة ، ولكن كيف أصبحت المؤونة القليلة كافية ، فهذا ما لا علم لنا به . فسواء جعل الله أرغفة الخبز كبيرة الحجم أو جعل الكمية القليلة كافية لإشباع المائة رجل بطريقة خارقة ، فالكتاب المقدس لا يخبرنا شيئاً بهذا الصدد . كل ما عمله أليشع أن أعلن أن الناس سوف تأكل ويفضل عنها .

والأمر الذى أصدره أليشع « اعط الشعب فيأكلوا » يشبه الأمر الذى أصدره من هو أعظم من أليشع . ومعجزة المسيح فى إطعام عدد أكبر من الناس بعدد أقل من الأرغفة ، قد سبقه عدم إيمان مشابه من جانب التلاميذ (لو ٩ : ١٣ - ١٧ ، يو ٦ : ٩ - ١٣) ، وأعقبه فائض مماثل من الطعام بعد أن شبِعت الجموع . وإطعام أليشع لمائة رجل - صورة باهتة لمعجزتى المسيح فى إطعام الجياع . فالمسيح هو الخبز النازل من السماء ، وفيه الكفاية للجميع ، فهو خبز الباكورة العجيب (لا ٢٣ : ١٠ و ١١) .

معجزة شفاء نعمان (٥ : ١ - ١٩)

يختفى سجل معجزات أليشع المحلية لإفساح المجال للحديث بشئ من التفصيل عن قصة معجزة أحدثت دوياً هائلاً فى السامرة وفى كل أنحاء المملكة . وبالاختصار فإن ملك سوريا والذى كان رئيس جيشه نعمان ، يذكر التقليد أنه هو الذى استل قوسه بجرأة وقتل أخآب . وبالرغم من مهارته وشجاعته ، ومركزه وسمعته ، كان أبرص . ولكن كانت فى داخل بيته خادمة صغيرة قد سبيت وبيعت كأمَة ، واذ كانت تحب سيدها الرقيق القلب والكريم ، فقد حزنت لمرضه الكريه غير القابل للشفاء . وفى يوم ما ، وفى حضور سيدتها تجاسرت وقالت إنه يوجد نبى فى السامرة قادر على إجراء معجزات ، وأنه ربما يستطيع أن يساعد زوجها المتألم . وأخيراً علم الملك بالنبى الذى يجرى المعجزات وأذن لنعمان بالذهاب إليه . وأخيراً ، وبعد الحدث العرضى غير السار ليهورام ملك إسرائيل ، أتى موكب نعمان الفخم إلى المقر المتواضع لنبى الله .

وقد افترض نعمان أنه سوف يعامل وفقاً لمنصبه وأن أليشع سوف يظهر ويعلن بطريقة مسرحية شفاء برصه . وكم كانت خيبة أمل الرجل القوى الشجاع عندما ظهر الخادم جيحزى لذلك الرجل العسكرى المنتظر بشغف هو وبطانته ليصدر الأمر بأن يذهب نعمان ويغتسل فى مياه نهر الأردن المليئة بالطمى سبع مرات فيرجع لحمه إليه ويطهر . لقد كانت هذه إهانة مزدوجة ، فاستدار نعمان وترك المدينة وهو يشعر بغيظ وحنق شديدين .

لماذا عامل أليشع نعمان بمثل هذه المعاملة التى تنقصها الكياسة ؟ ولماذا لم يخرج ليقابل هذا الرجل العسكرى العظيم ؟ هل كان ذلك دليلاً على احتقاره له أو لخوفه من العدوى أو لكونه سيصبح نجساً وفقاً للطقوس لو لمس شخصاً أبرص ؟ كلا . لقد كان على نعمان أن يعلم أن إله إسرائيل لا يتأثر بالمنصب أو الثراء وأن أى شفاء سيكون كاملاً وبالتمام استجابة للإيمان . وعلى افتراض أن نهرى دمشق أبانة وفرفر أنظف ماء للاغتسال منهما ، فقد كان على نعمان أن يعلم أيضاً أن الشفاء ليس فى المياه بل فى

الإيمان والطاعة لكلمة الله . وإذ حزن عبيد نعمان لاحتمال عودة سيدهم لوطنه دون أن يشفى ، اقترحوا عليه بنغمة خاشعة أنه لو طلب منه أليشع أمراً عظيماً لكان قد فعله ، فلماذا يرفض مثل هذا الطلب البسيط بأن « يغتسل ويطهر؟ » .

وعندما اقتنع نعمان بمثل هذا المنطق ، اتجه لنهر الأردن الحقير وأطاع أمر أليشع ، وخرج من الماء فى المرة السابعة بلحم «كلحم صبى صغير» . إن هذا القائد الشجاع الذى كان معتاداً على إصدار الأوامر ، أطاع النبى وأدرك أن هذا الشفاء يرجع كله لقدرة الله . «كان يعرف السوريون والإسرائيليون أن نهر الأردن لا يشفى من البرص » ، وكما سنعرف عندما نأتى إلى معجزات العهد الجديد أن عبارة «اذهب اغتسل » ، كان أيضاً الأمر الذى صدر لشحاذ أعمى (يو ٩ : ٧) . يقول (كيل Keil) إن نعمان غطس سبع مرات «لأن الرقم سبعة يشير للعهد الإلهى مع إسرائيل ، وأن الشفاء كان يتوقف على ذلك العهد أو للدلالة على أن الشفاء عمل إلهى لأن الرقم سبعة يدل على أعمال الله ». والاغتسال فى الأردن يرمز للشفاء الروحى من برص الخطية عن طريق الاغتسال فى «الينبوع المفتوح للنجاسة »(أى ٣٣ : ٢٥ ، زك ١٣ : ١ ، يو ٣ : ٥) .

عاد نعمان لبيت النبى فى حالة مزاجية مختلفة عما كان عليه عندما غادره ، وفى الحال دخل للقاء أليشع . لقد جاء للتعبير عن امتنانه وليعترف أنه علم الآن أنه «ليس إله فى كل الأرض إلا فى إسرائيل » ، كانت تلك أفضل مكافأة ، وليست الهدايا الملكية التى أحضرها نعمان . وقد رفض الهدايا الثمينة بأدب ، لأن علاج البرص لم يتم بقوته الشخصية . وبالإضافة لذلك ، فكنبى الله ، فقد أثبت أليشع أنه لم يتأثر بالربح القبيح حسبما افترض رئيس نعمان (تك ١٤ : ٢٣ ، ٢ مل ٥ : ٥ ، ١ تى ٣ : ٣) . وقد صمم نعمان ألا يعبد إلهاً آخر سوى إله إسرائيل على الرغم من أنه سوف يضطر لمصاحبة ملكه لمعبد الإله الوثنى « رمون » . وقد التمس من أليشع أن يصفح عنه لسجوده أمام رمون ، فأجاب النبى : « امض بسلام ». لقد علم أن نعمان سوف يؤدى عملاً لمصاحبة ملكه وليس لتقديم العبادة لإله وثنى ، ولم يقر أليشع طلب نعمان ، فيبدو أنه ترك قناعاته الدينية تنمو بالتدريج.

معجزة برص جيحزى(٥ : ٢٦ و ٢٧)

إن جيحزى الذى خدم أليشع سنين عديدة خضع لإغراء الطمع وأصبح مثلاً بارزاً تذكارا لهذه الخطية فى سفرى الملوك . ربما راود جيحزى الأمل أن يصبح يوماً ما خليفة لسيده كما خلف أليشع إيليا . وربما شعر بالمرارة قليلاً لأن مرور السنوات لم يجلب له أى مكافأة مادية على الرغم من كل خدماته الأمينة ، وفى لحظة التجربة استسلم لإغراء امتلاك الثروة . ويقف جيحزى بسبب جشعه فى تناقض محزن مع عدم اهتمام أليشع بالمال وأصبح غير أمين ، على النقيض من أمانة عبيد نعمان . فالمتميزون غالباً يسقطون فى الاختبار العملى إزاء أولئك الذين ليس لديهم أى امتيازات روحية » .

فجيحزى ، الذى أظهر معدنه الحقيقى مقدار جشعه وحبه للمال ، جرى خلف نعمان الذى رجع ممتناً ، وكذب ليحصل على وزنتين من الفضة وحلتى ثياب . إن هذا الشخص الذى يبعث على الأسى يحتل مكانة جنباً إلى جنب مع يهوذا وحنانيا وسفيره (انظر ١كو ٧:٢٩-٣١). ولكن بعون من الله ، عرف أليشع خدعة جيحزى ، وما أن علم بفعلته الشنعاء حتى وبخه بقسوة . فإذا كان جيحزى قد حصل على مال نعمان فعليه أن يأخذ برصه أيضاً إلى الأبد . لم يقدم أليشع لجيحزى أى علاج لأن العلاج ليس فى مقدوره . إنه عمل من أعمال الله وحده ، وقد أصدرت العدالة الإلهية مرسوماً بأن البرص يلصق ببيت جيحزى .وهنا قد يثار سؤال : هل كانت هذه القسوة مستحقة أو هل كانت العقوبة المفروضة شديدة ؟ ما يجب

أن ندركه أن أليشع تفوه بحكم ملهم ضد خطية جيحزي، وأن الطمع والكذب لا يمران في الكتاب المقدس بلا عقاب .

لقد ارتكبت خطية جيحزي تحت عباءة الدين . ليس ذلك فقط ، بل إن شراهته للمال كان من الممكن أن تضع أليشع والإله الذي يخدمه في مصاف الكهنة السوريين وآلهتهم . ولذا فقد كان عقاب جيحزي سريعاً « فالذي ابتغى وحصل على المكافأة التي رفضها أليشع أصبح هو نفسه أبرص كالثلج ».

معجزة طفو الحديد (٦ : ١ - ٧)

إن تاريخ المعجزات التي أجراها أليشع تتواصل ، ونرى في الفقرة التي أمامنا معجزة أخرى تظهر قوة الله في العالم المادي . لقد تزايد عدد بني الأنبياء ، وضاق بهم المكان ،وطلبوا مساعدة معلمهم بشأن إيجاد مكان أكبر. واقترحوا أن يذهبوا إلى وادي الأردن الكثير الشجر ويقطع كل واحد منهم شجرة . ولم يسمح أليشع لهم بأن يذهبوا فقط ويحصلوا على كل الخشب اللازم ولكن ذهب معهم أيضاً ، ولكن بينما كان أحدهم يُسقط شجرة ، وقع الفأس في الماء .

وكان البحث عن الفأس المفقود أمراً بالغ الصعوبة في مجرى الماء السريع الجريان والموحل ، ولذا صاح الرجال طلباً للمساعدة من أليشع ، ومازاد الأمر حرجاً أن الفأس كان مستعاراً. وبعد أن رأى أليشع المكان الذي سقط فيه ، قطع أليشع عصا وألقاها في الماء فطفا الحديد نحو سطح الماء وأخرجه الرجل .

إن مثل هذه المعجزة قد تبدو في تناقض مع معلوماتنا عن الحديد ، ولذا فقد حاول كثيرون إنكارها . ولإنكار العنصر الخارق في القصة قالوا إن كل ما فعله أليشع أنه قطع عصا وبعد أن اكتشف المكان الذي سقط فيه الفأس ، أنزل طرف العصا في ثقب المقبض وهكذا رفعه إلى السطح . ولكن الذي كتب القصة أدرك أنها من المعجزات وأنها جديرة بوضعها وسط « الآيات » التي أجراها أليشع . ويعلن اليكوت على ذلك بالقول : *« إن إلقاء أليشع للعصا كان عملاً رمزياً يقصد منه مساعدة الشهود أن يدركوا أن إخراج الحديد ليس حدثاً عادياً بل خارقاً ، تم عن طريق وساطة النبي . وكما في حالة الملح الذي ألقي في نبع الماء في أريحا ، فالرمز كان مناسباً للحدث . لقد دل على أن الحديد يمكن أن يطفو كالخشب عن طريق القوة الإلهية ليهوه . إن خصائص الأشياء المادية تتوقف على إرادته لثبات هذه الخصائص وأنها يمكن أن تتوقف لفترة من الزمن أو تعدل حسب مشيئته . إن الدرس الأخلاقي المستقى من هذه القصة أن الله يقدم المساعدة في المشكلات الشخصية كما في المشكلات الكبرى على النطاق الواسع . وعنايته تهتم بالفرد كما تهتم بالجنس »* .

إن قانون الجاذبية جعل الحديد يغوص لأن الحديد أثقل من الماء أو الخشب ، ولذا غاص الفأس . والعصا التي ألقاها أليشع كانت تحمل داخلها قوة جديدة تعطيها قوة جاذبة أكبر ، ولذا فقد أصبحت قوية كالمغناطيس وتغلبت على قوة الجاذبية ، والقوة الكامنة فيها جذبت الحديد إلى السطح . ألا نجد هنا رمزاً للمسيح ؟ أليس هو «الغصن»؟ (زك ٣ : ٨ ، ٦ : ١٢) الذي قُطع ، والذي لكونه نزل إلى مياه الموت لأجلنا ، قادر الآن أن يرفعنا إلى السماء ويعيدنا للملكية خالقنا لمجده ؟ إن هذا المثل الجميل ، كما يقول(تراب Trapp) : يعلمنا أن الله يمكن بسهولة أن يجعل قلوبنا القاسية والثقيلة والتي غاصت في حمأة العالم ، أن تطفو فوق نهر الحياة وترى السماء ثانية ، وقد عبر جون نيوتن عن المغزى الروحي لذلك في السطور الآتية :

إن أي اهتمام يشغلنا لا يعد تافهاً
لو كنا ننتمي إلى الله
وليعلمنا ذلك ، فإن رب الكل
جعل الحديد يطفو ذات مرة

ومن التطبيقات الأخرى للفأس المفقود أن القوة الروحية للخدمة قد تفقد بسبب العصيان ، وعدم الانفصال والانعزال عن العالم وإهمال قراءة الكتاب المقدس وعدم الصلاة ونقص الإيمان . هل فقدت فأسك ؟ إذن يمكن أن تجده حيث فقدته – هناك وليس في أى مكان آخر . فما أن تعترف بالخطية المسببة للخسارة ، وتحصل على التطهير والغفران ، حتى تجد إله القوة قريباً منك ليرد لك بهجة خلاصك .

معجزة الأعين التى فتحت الأعين التى ضربت بالعمى (٦ : ٨ - ٢٣)

كمواطن وكنبى ، فحياة أليشع وخدمته كانت وثيقة الصلة بتاريخ بلده السياسى والعسكرى . وكعابد حقيقى ليهوه فقد كره الممارسات الوثنية لملوك إسرائيل ، ولكنه كان لايزال يأمل فى إصلاح حال شعبه ، ولذلك فقد وقف إلى جانب شعبه ليساعد أمته دينياً .

في ذلك الوقت كانت سوريا عدوا لدوداً لإسرائيل ، ولأن إسرائيل كانت فى أضعف حالاتها ، فلم تكن قادرة على حماية حدودها ضد العصابات الغازية بدعم من ملك سوريا . وقد نبه أليشع كمواطن ، ملك إسرائيل ، إلى ضرورة حراسة تلك النقاط الضعيفة على الحدود بين البلدين والتى يتسلل منها الأعداء بسهولة ، فتم دحر خطط السوريين ، وشك ملك سوريا فى وجود خيانة فى جيشه . ولكن علم فيما بعد بقدرة أليشع على معرفة الغيب « أليشع النبى الذى فى إسرائيل يخبر ملك إسرائيل بالأمور التى تتكلم بها فى مخدع مضطجعك »(٦:١٢). وهى معجزة خاصة بالرؤيا الإلهية. وبعد أن عرف ملك سوريا بدور أليشع فى الإطاحة بخططه ، حاول أن يكمن للنبى . لقد استطاع أليشع ، بطريقة خارقة أن يخبر ملك إسرائيل بنفس الكلام الذى تكلم به ملك سوريا فى غرفته « عندما تشاور مع عبيده » .

ولكن هناك حقيقة غابت عن الملك وهى أن الإله الذى أشار على أليشع لينقذ إسرائيل كان قادراً أيضاً على حماية خادمه الأمين من أى خطة للقضاء عليه . وعُمل كمين للقبض على أليشع . فقد أحاطت بالمدينة مركبات وخيول وعدد كبير من أفراد الجيش أثناء الليل بهدف القبض على أليشع . وغلام النبى أو خادمه – ليس جيحزى الذى لم يطلق عليه أبداً لفظ خادم أليشع بل كان يذكر باسمه فقط – انزعج خوفاً على سيده ، لأنه من وجهة نظره لم يكن يرى مخرجاً من هذه الورطة .

ولكن النبى صلى، وثلاث من صلواته كانت ذات علاقة بالبصر ، وقد استجيبت كلها بصورة معجزية ، ونحن نجدها أمامنا فى هذا الأصحاح :

أن يكشف الله عن عينى غلامه ، وأن يضرب أعين السوريين بالعمى ، وأن يفتح أعين السوريين .

ولأن أليشع كان يصلى ، فقد استطاع مساعدة أصدقائه وإعاقة أعدائه ، فعندما نكون تحت سيطرة الرب، كما كان أليشع، فإنه يمكننا أن نوجه يد الرب أيضاً. فالصلاة أقوى أوجه الخدمة.

أكد أليشع لخادمه أن جيشاً أكبر كان فى حراستهما معاً. لقد كان أليشع مدركاً لهذه القوى غير المنظورة التي لا يراها الناس العاديون وصلى لكي تتاح لخادمه رؤية تلك القوات غير المنظورة، اللفيف السماوي الذي يحرسهما (٢ أخ ٣٢:٧، مز ٣:٦، ٤:٨، ٣٤:٧، رو ٨:١١). كم كان الغلام مذهولاً شاعراً بالرهبة عندما فتحت عيناه ورأى الجبل مليئاً بمركبات وخيول يهوه– التجسيد المنظور للعين الروحية لقوته وحراسته. كان هناك الحارس السماوي فاصلاً بين أليشع وجيش سوريا. وهكذا كشف الرب عن عيني الشاب، تماماً كما كشف عن عيني أليشع نفسه ليرى رؤية مماثلة للمجد السماوي عندما اختطف معلمه (٢: ١٠و١٢، عد ٢٢:٣١).

ثم كانت هناك رؤيا النار مرة أخرى- الرمز المألوف لحضور الله - بصورة مرئية أو رمز للقوة الرهيبة المهلكة للأعداء منذ الأيام الأولى لعصر الآباء فصاعداً (تك ١٥:١٧، خر ٣:٢ إلخ). كانت المركبات والخيول قوة أعداء إسرائيل، والله قد جعل خادم أليشع يرى أن مركبات وخيولاً أيضاً كانت تحت إمرته- وأنها كانت من نار، إن حجاب الوجود الأرضي قد رفع للحظة واحدة ليتيح للخادم رؤيا واضحة لقوة وسلطان الرب. وبعد أن أدرك أليشع وغلامه الحماية الإلهية نزلا من على الجبل إلى محلة السوريين حيث كشف الله عن قوته مرة أخرى.

صلى أليشع حتى يضرب الله أعداءه بالعمى حتى لا يتعرفوا عليه كالرجل الذي كانوا يبحثون عنه، وحتى لا يدركوا أنهم قد ضلوا الطريق (لو ٢٤:١٦) دون أن يشعروا. لقد أصيب السوريون بالدوار وشعروا بالحيرة. لقد حدث لهم تشويش ذهني يصل لحد الخداع البصري. "لقد رأوا ولكنهم لم يعرفوا طبيعة ما رأوه" (تك ١٩:١١). وبسبب ارتباك حالتهم فقد اقتيدوا بعيداً إلى طريق خاطيء، حيث اتجهوا إلى السامرة ووجدوا أنفسهم تحت رحمة الإسرائيليين. لقد تبنى أليشع منهج المعاملة الرحيمة وصلى لأجل أن يسترد الأعداء بصرهم، وأرجيء الانتقام لفترة من الزمن. في هذا الفعل الرحيم، اقتدى أليشع بروح المخلص الذي حث تلاميذه على محبة أعدائهم (لو ٦:٢٧، رو ١٢:٢). فقد كان من الممكن إبطال الهدف من المعجزة لو أن السوريين كأسرى حرب، قد تم ذبحهم دون مقاومة منهم. إن الهدف من إظهار قوة الله الخارقة أن يجبر السوريين وملكهم على الاعتراف بقوة الإله الحقيقي.

معجزة الحصار (٢ : ٢٤-٣١)

الحادثة التالية في حياة أليشع مأساوية إلى حد ما. فلم يظهر بنهدد ملك سوريا أي شعور بالامتنان بسبب معاملة أليشع الرحيمة للجيش السوري، عندما خطط لحصار السامرة. ولقد حاول الإسرائيليون الدفاع عن عاصمتهم حتى النهاية، ولكنهم وجدوا أنفسهم بلا حول أو قوة بسبب المجاعة- وقد كانت من أشد المجاعات الخمس عشرة في الكتاب المقدس. فقد سادت الأهوال والرعب- لدرجة أن الأمهات طبخن وأكلن أطفالهن، وبذلك تتم اللعنة (لا ٢٦:٢٩، تث ٢٨:٥٥-٥٧). وهذه المجاعة لم يكن لها مثيل في تاريخ إسرائيل حتى الحصار الروماني لأورشليم في سنة ٧٠م. ولقد أقسم يهورام، في رعب وغضب، أن ينتقم من أليشع الذي اعتبر كبش الفداء للكارثة التي ألمت بإسرائيل، وهذا دليل واضح على النفوذ السياسي للنبي. وقد استخدم الملك أسلوباً مشابهاً للأسلوب الذي استخدمته أمه كتهديد ضد إيليا (١مل ١٩:٢، ٢مل ٦:٣١) في تسرعه لإصدار الأمر بقطع رأس أليشع. ولكن أليشع تنبأ بنوايا الملك الإجرامية وتوقع فعلته، وتنبأ بوجود الطعام بكثرة في الصباح. ولكن كان يبدو أنه من المستحيل تغيير الموقف إلا إذا كانت هناك كوى في السماء تُفتح ويمطر الله دقيقاً وشعيراً على تلك المدينة التي ضربتها المجاعة- وكان هذا تعليقاً ساخراً- جعل أليشع ينطق بعقاب فوري على قائله (٢:٧). فأولئك الذين سخروا من النبوة التي نطق بها النبي كانوا على وشك أن يختبروا أن الله لن يسمح بأن يوقف شر يهورام فيض الرحمة الإلهية.

في تلك الليلة أصيب الجيش السوري بالرعب، فقد ظنوا العاصفة الرعدية ما هي إلا هجوم الحثيين وهربوا صوب الأردن. فبدون مساعدة إنسان، أجرى الله في نفس تلك الليلة خلاصاً عظيماً لإسرائيل. وقد حدث كل شيء طبقاً لما تنبأ به أليشع. واكتشف أربعة برص هائمين على وجوههم المحلة المهجورة- وقد خلت ممن فيها بناء على وعد الله- وخبأوا الغنيمة التي وجدوها (مت ١٣:٤٤، ٢٥:٢٥). وفيما بعد، عندما خافوا من وقوع الأذى بسبب أنانيتهم (أم ١١:٢٤)، لم يستطع البرص أن يسكتوا.

فلما أحسوا أنه كان يوم بشارة أخبروا بها بيت الملك.

فأرسل الملك عدداً قليلاً من الناس للتأكد من رواية البرص ووجدوا المحلة مهجورة والأشياء الثمينة ملقاة على الأرض في كل مكان. لقد ملأ الخوف قلوب السوريين فتركوا أمتعتهم ومؤونتهم وراءهم. لقد نسوا كل شيء ولم يفتكروا سوى في سلامتهم الشخصية، وهكذا فقد انتقل أهل السامرة بغتة من أهوال المجاعة إلى امتلاك الشيء الكثير. وقد تحقق سريعاً انفراج الأزمة الذي تنبأ به أليشع، وقد دعم ذلك إيمانه بالله. وكرجل الله فقد ارتفع مقداره في أعين الجماهير، وحتى الملك قد أظهر له احتراماً بالغاً. وترديد العظائم التي فعلها أليشع أصبحت مصدر إلهام (٨:٤). ومع ذلك، فيهورام وشعبه، حتى وإن تأثروا مؤقتاً بمعجزات أليشع إلا أنهم لم ينبذوا رجاساتهم لأجل عبادة الله عبادة نقية مخلصة، وبسبب ذلك كان أليشع مضطراً أن يختتم خدمته الجهرية بطلب عصا الانتقام الإلهي، وكان حزائيل في سوريا وياهو في إسرائيل من الأدوات التي استخدمها الله لعقاب هذا الشعب.

معجزة عظام أليشع (١٣:١٤-٢١)

بعد حصار السامرة، ذهب أليشع إلى دمشق ووجد بنهدد مريضاً، وقد أوحى الرب إلى بنيه أنه على الرغم من أن مرض بنهدد ليس خطيراً إلا أنه سوف يموت (٨:٩و١٠). وحمل حزائيل قائد جيش الملك خبراً إلى الملك بأنه سيشفى، وفي اليوم التالي، قام القائد القاسي الذي لا يرحم بخنق الملك واستولى على الملك (٨:٧-١٥).

ثم نجد سرداً لانتقام ياهو من بيت أخآب من أجل خطاياهم الكثيرة. لقد تم الإطاحة بالبعل، ونصب ملك مقتدر على العرش. وعندما نقرأ الأصحاحات التي بعد ذلك نجد كيف أن أليشع احتفظ بروحه الوثابة والوطنية حتى نهاية خدمته، وكان آخر عمل له يتفق مع حياته الطويلة التي قضاها في أفعال الخير والخدمة الوطنية الأمينة. وفي حين أنه ظل لما يقرب من ستين عاماً القوة الدينية العظمى في إسرائيل إلا أننا لا نجد ما يكتب عنه كثيراً لأكثر من أربعين سنة.

كان مشهد فراش موت أليشع بالغ التأثير، فقد أصيب النبي بمرض خطير، أقعده عن الحركة سنين عديدة. ولما سمع الملك يوآش بخبر مرض أليشع، أسرع إلى جوار فراشه، وعرف من منظر شحوب وجهه أن النهاية كانت قريبة. وقبل رحيله عن الأرض، أعطاه الله بعض اللحظات من الرؤى الفريدة. فعندما بكى يوآش قائلاً : « يا أبي يا مركبة إسرائيل وفرسانها » ، طلب منه النبي وهو قاب قوسين أو أدنى من الموت أن يأخذ قوساً وسهماً وطالبه بالرماية تجاه الشرق- وهذا عمل رمزي ينبيء بالانتصار على سوريا. ومع أن أليشع كان قرب النزع الأخير، إلا أنه كان يستطيع أن يغضب وأخبر الملك أنه بسبب ضربه على الأرض ثلاث مرات فقط بدلاً من خمس أو ست مرات. فإنه سيضرب سوريا ثلاث مرات فقط (١٣:١٤-١٩).

وآخر معجزة لأليشع حدثت بعد وفاته بسبب ما نقرأ من أحداث تؤكد ما له من تأثير لا ينتهي بنهاية حياته. فعدد كبير من معجزاته كان استعلاناً لقوة الحياة، «أو لقوة القيامة التي تتغلب على فساد الموت» ، كما يعبر سدلوباكستر: والآن فبعد موته، فإن عظامه تؤكد مصداقية خدمته التي بعثت الحياة في نفوس المائتين(١٣: ٢٠و٢١). ولكن لا نعرف في أي مكان دفن . وألقي بجسد ميت في قبر أليشع بسرعة وعندما لمس عظام النبي ، عاش وقام على رجليه. يقول التقليد إن الرجل المجهول الذي دبت فيه الحياة قد عاش لمدة ساعة فقط. وهكذا كما يقول (بحر Bahr) إن «أليشع مات ودفن كبقية البشر، ولكن حتى في موته وفي القبر فقد اعترف به كنبي الله وخادمه »، هذه المعجزة الأخيرة من معجزات أليشع كانت تأكيداً لإسرائيل أن إله أليشع لا يزال حي وأنه على استعداد أن يفعل عجائب في وسطهم كما كان من قبل إذا بحثوا عنه ووثقوا

فيه . والمعجزة ترمز لقوة موت المسيح التى تبعث الحياة فى نفوس الهالكين (إش ٢٦:١٩). يقول (هالس Hales) هذه المعجزة الأخيرة كانت أغرب من كل المعجزات التى أجراها أليشع:

« تمت هذه المعجزة نتيجة لتدخل الله المباشر وهى تستوى فى الأهمية مع انتقال إيليا، وتؤكد لجيل غير مؤمن الحقيقة الكبرى عن القيامة بالجسد الذي كان انتقال أخنوخ يهدف إلى إثباتها فى عالم ما قبل الطوفان ، والتى أكدتها تماماً قيامة المسيح بجسد ممجد».

١٧- معجزة برص عزيا

(٢أخ ٢٦:١٥- ٢١، ٢مل ١٥:١-٨)

إن عزيا، الملقب أيضاً بعزريا، يعتبر واحداً من ملوك يهوذا الصالحين. لقد اعتلى العرش فى سن السادسة عشرة نتيجة للاختيار الحر من الناس ، وحكم لما يزيد عن خمسين سنة. وكان ناجحاً فى الحروب التى خاضها فى إخضاع أعداء يهوذا من الأدوميين والفلسطينيين والعرب، وحتى العمونيين كانوا يقدمون هدايا لعزيا الذى « امتد اسمه إلى داخل مصر لأنه تشدد جداً» (٢ أخ ٢٦:٨) . وهذا الملك الشهير استرد أيضاً المدن والموانئ وقوّى دفاعات عاصمته وبلده، وقد أنشأ مراكز حربية وخزانات لتخزين ماء الأمطار. وجاءت انتصاراته بسرعة ولكن فى السنة الأربعين من حكمه ألمت به كارثة شخصية.

لقد حدثت نكسة فى المسيرة الناجحة لهذه الشخصية القوية ، ويدلل على ذلك بالكلمات القائلة «عجبت مساعدته حتى تشدد» (٢٦:١٥). لقد فشل عزيا فى حماية نفسه من مخاطر النجاح والرخاء الاقتصادى. عندما يعتمد شخص على الله دائماً، فإنه يكون مستقلاً عن كل ما عداه. ولكن الملك، للأسف، شعر أنه مستقل عن الله، ولذا فقد اتجه نحو الكارثة. فى الجزء الأول من حكمه ، استفاد عزيا من نصائح زكريا «الفاهم بمناظر الله» (٢أخ ٢٦:٥)، وخلال حياة ذلك الشخص التقى الرائى، كان عزيا يطلب الله، وكان الله يمد له يد المساعدة. ولكن قلبه قد ارتفع بكبرياء يمقتها الله، وقد عصى ضد الله الذي أعطاه نجاحاً وقوة. فلو أدرك التناقض الظاهرى بأن قوة الله فى الضعف تكمل (٢كو ١٢:٩و ١٠، ١٣:٤) لكانت نهاية عزيا مختلفة عن ذلك تماماً (أم ١١:٢).

لقد علم ملك يهوذا أنه من بين ممالك الشرق القديمة، كان بعض الملوك يمارسون المهام الكهنوتية والملكية جنباً إلى جنب، ولما شعر عزيا بعظمته بسبب ما أعطاه الله من نجاح ورخاء، فقد أغوى حتى يقلد الملوك من جيرانه. ولربما اعتقد أنه يمارس امتيازه الملكى فقط فى إيقاد البخور على مذبح الذهب فى الهيكل. وهكذا فى لحظة تغلب عليه فيها شر الكبرياء، دخل المقدس وانتهك حرمة المراسيم الإلهية فيما يختص بتقديم الذبائح. فاجتمع عزريا رئيس الكهنة مع الكهنة الآخرين المنوطين بهذا العمل وقدموا احتجاجاً قوياً ضد هذا الانتهاك ، ولكن عزيا غضب لمثل هذه المقاومة واستمر قدماً فى أداء هذا العمل وفى يده مجمرة للإيقاد.

عندما كان الملك على وشك أن يسكب البخور على الجمرات، ظهرت بقع بيضاء من البرص على جبهته لأن الرب ضربه به فى هذا المكان لأنها مركز غروره وكبريائه. وبعد أن تنبّه ضميره وشعر أنه عبثاً يقاوم ضربة الله، أسرع بالخروج من المكان المقدس ، وقد نال عقابه من الله. لقد عوقبت مريم بالمثل لمحاولتها اغتصاب ما لموسى من امتيازات (عدد ١٢)، ولكن بعد سبعة أيام شفيت من برصها. ولكن عزيا ظل أبرص حتى مات. وكعلامة على قوة العقاب، كان البرص فى عدة حالات مرسلاً من الله. وكون هذا المرض قد أصاب الملك يمكن استنتاجه بسهولة (٢مل ١٥:٥) مع أن حادثة برصه مذكورة فقط فى سفر أخبار الأيام (٢أخ ٢٦).

يقول يوسيفوس المؤرخ اليهودى إن الزلزال العظيم الذى ذكره عاموس (١:١) حدث فى اللحظة التى كان عزيا يهدد فيها الكهنة المعارضين له ، وأن شعاعاً من الشمس كان ساقطاً على وجه الملك من خلال سقف الهيكل الذي تشقق نتيجة الزلزال ، هو الذى أحدث البرص . ويقول الكتاب المقدس إن «الرب ضربه». وكونه عاش فى آخر جزء من حياته سجيناً معزولاً عن أهله، يمكن استنتاجه فى اضطراره أن يسكن فى بيت معزول أو مخصص للبرص حيث أن البُرص كان يتم إبعادهم عن الأماكن المقدسة، ويتم استبعادهم عن العلاقات والواجبات الاجتماعية. إن مثل هذا العقاب الإلهي يقدم مثلاً واضحاً لمبدأ لا يحيد عنه الله أبداً، وسوف يكون مطبقاً تماماً فى يوم الدينونة أن «الله يكرم الذين يكرمونه أما الذين يحتقرونه يصغرون» (١صم ٢: ٣٠). لم يدفن عزيا فى المقابر الملكية لأن الأبرص ينجسها. لقد أدى موت هذا الملك الأبرص إلى الرؤيا المجيدة التى رآها إشعياء (٦: ١).

إن عزيا كشخص قد داس على حق الكهنوت،فضرب بهذا المرض، وهذا تحذير صارخ ضد الكبرياء الروحية التى تؤدى للادعاء الكاذب والتعالى على الآخرين. فمن الشراك التى ينصبها إبليس لخدام الله فى هذه الأيام هناك اثنان أحدهما الكبرياء الروحية والآخر شهوة الجسد. وهناك درس آخر نتعلمه من قصة عزيا وهو أن خطية واحدة يمكن أن تلطخ وتلوث الحياة الناصعة البياض (٢ أخ ٢٧: ٢، جا ١٠: ١).

١٨- معجزة مذبحة اشور

(٢مل ١٨: ١٣-٣٧، ١٩، ٢أخ ٣٢: ٢١و٢٢ ،إش٣٧: ٣٦)

إن سنحاريب الذى خلف والده سرجون كملك لأشور كان قاسياً لا يرحم فى غضبه ضد يهوذا وغزوه لها. وأعظم إنجاز له كان إنشاء مدينة نينوى كعاصمة لامبراطوريته. وقد ارتعب منه الملك حزقيا، وقد استسلم له فى رعب ودفع له الجزية الباهظة التى فرضها. وربشاقى المتحدث الغيور بلسان سنحاريب ، والذى داس على الحق ، كانت نظرته إلى الله باعتباره واحداً من الأصنام التى يجب الإطاحة بها. وفى خطاب مرسل لحزقيا تحدى الله ، وأهان بسخرية ثقة حزقيا به ، ولكن التجديف المباشر على اسم الله لا يمكن أن يمر بدون عقاب.

وعند طريق وحى إلى إشعياء أو قول صادر من الله سامى الفكر والأسلوب ، تم تشجيع حزقيا على تحدى هذه الإهانات . لقد نشر خطاب المجدِّف أمام الرب وترك له هذا الأمر. وكان العقاب المتنبأ به على الأشوريين سريعاً وحاسماً. فالقدير، استجابة لصلاة حزقيا، دحر عدو شعب الله ودمره. ففى نفس الليلة التى صلى فيها حزقيا من أجل خطاب التهديد ، صدرت نبوة إشعياء . فقد هلك الجيش الأشورى وقوامه ١٨٥,٠٠٠ رجل ، نتيجة لانتقام إلهى مروع . لقد قام الملاك المهلك بعمله فى صمت ، وسرية بطريقة مفاجئة ، وهلك جيش سنحاريب فى ليلة واحدة. وهناك مناسبة ثانية عندما أهلك الله بقوته القادرة جيشاً كاملاً (خر ١٤: ٢٨). لا توجد أي إشارة لسبب الموت فى جيش سنحاريب ، وكل ما نعرفه أنه فى الصباح، بدلاً من وجود الغزاة الذين يخشى منهم، كان هناك جيشاً مكوناً من ١٨٥,٠٠٠ جثة . «الرب يميت ويحيى» (١صم ٢: ٦)، فالله هو الذى سبب هذه الكارثة (٢مل ١٩: ٢٥). وإذا كان إلهنا الصانع المعجزات قادراً على إبادة ١٨٥,٠٠٠ شخص بملاك واحد، فما الذي يمكن أن يصنعه بجيش من الملائكة؟ يقول يوسيفوس إن هذا الهلاك السرى والشامل الذى يدل على قوة غير منظورة لا يمكن مقاومتها، كان سببه وباءٌ مميتاً وسريع الانتشار. ويقول كتّاب آخرون إنه كان نتيجة لعاصفة رعدية وزلزال أو ريح شديدة محملة بالتراب. ولكن كما يعلق اليكوت:«إن العلاقة السببية الخارقة متضمنة ليس فقط فى كثرة عدد القتلى فى ليلة واحدة (مز ٩١: ٦) بل فى تزامن الحدث مع نبوات إشعياء

ومع حدوث الأزمة في تاريخ الديانة الحقيقية » ، ولربما كانت المزامير من ٤٦-٤٨، قد كتبت من قِبل إشعياء لتخليد ذكرى هذه المعجزة العظيمة.

وهذا التدخل المباشر لقوة الله والتي نتج عنها هذه الكارثة المروعة للأشوريين لم تحطم قوة سنحاريب الذي استمر يحكم لمدة عشرين سنة وشن العديد من الحروب الأخرى التي انتصر فيها. وأخيراً فقد قتل هذا الملك العظيم على أيدي أبنائه أنفسهم (٢مل ١٩:٣٧).

١٩- معجزة شفاء حزقيا

(٢مل ٢٠: ١-١١، ٢أخ ٣٢:٢٤، إش ٣٨)

ينتهي أصحاح ٣٧ من سفر إشعياء بقصة دمار جيش أشور يتدخل مباشر من الله وقتل سنحاريب على يدى أبنائه . ويقدم لنا الأصحاح التالي قصة مرض حزقيا، ولا شك أن هذا المرض كان سببه غزو سنحاريب. وكانت لحظة انتصار حزقيا وقتاً للتجربة لأنه مرض مرضاً خطيراً لدرجة أن إشعياء أخبره أن يوصى بيته أنه سيموت ولا يعيش. كان حزقيا الملك الثاني عشر من ملوك يهوذا وكان أعظمهم في الإيمان والأمانة «ولم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا... والتصق بالرب» (٢مل ١٨:٥و٦)، وقد سانده إشعياء في كل جهوده الخيرة.

وفي السنة الرابعة عشرة من حكمه مرض حزقيا، وأضيفت إلى حياته خمس عشرة سنة بعد مرضه مما جعل طول مدة حكمه كلها تصل لـ ٢٩ سنة. أما عن طبيعة مرضه المميت فيقترح (Fuairbairn) فيربرن أنه إما أن الإثارة التي خلفها الصراع مع سنحاريب قد كانت أشد من احتمال حزقيا لها فباغتته حمى أنهكت قواه أو أن الوبأ الذي قتل ١٨٥٫٠٠٠ جندي من جنود أشور قد أحدث تلوثاً في محلة إسرائيل حتى وصل للملك نفسه. ويقترح كاتب آخر إن مرض حزقيا كان سببه جمرة وخراجاً نتيجة التهاب شديد، ولكونه بلا وريث فقد كان يخاف من الموت خوفاً لا مبرر له كمؤمن.

ولما وجد حزقيا نفسه وجهاً لوجه مع الموت ، اتجه نحو الحائط وصلى بحرارة. فالحزن يبحث عن مخبأ لا شعورياً. « ويستنكر حزقيا أن يموت موتاً مبكراً- كعقاب للأشرار (أم ١٠:٢٧)- على أساس غيرته من جهة الرب وضد الأصنام. وكما يقول (تينوس Thenius) إنه لا شيء يدعو للدهشة في مديحه لنفسه إذا تذكرنا الفقرات الواردة في مز ٨:٧، ١٨:٢٠، نح ١٣:١٤» ، وكما سنرى فاستجابة لصلاته القلبية وبتدخل إشعياء، نجا حزقيا من مرضه.

وعلامة شفائه كاستجابة لصلاته يزودنا بمعجزة فلكية. فظل الشمس رجع عشر درجات للوراء. لقد كانت مثل هذه المزولة الشمسية في وسط القصر وكان يمكن للملك المريض أن يرى ظلها من الفراش الذي يرقد عليه في حجرته. وهذا التراجع في ظل الشمس ما كان ليحدث سوى بتدخل إلهي « إن التوجيه الجزئي والموجز لأشعة الشمس بعيداً عن ميلها المعتاد في تلك المزولة بالذات كان هو المطلوب فقط لهذه المناسبة. ونحن نستنتج تبعاً لذلك كل ما حدث بالفعل»، فالرب الإله الذي صنع النظام الشمسي استطاع أن يتحكم بسهولة في تحركات الأرض والشمس لدرجة أن الشمس إما أن تقف ساكنة يوماً كاملاً أو أن ظلها يتراجع، وعلامة تحرك درجات الظل في المزولة كان علامة واضحة على أن كلام إشعياء سوف يتحقق. يقول اليكوت:

« حقيقة أن العلامة قد أعطيت وأنها كانت نتيجة مباشرة لتدخل ذاك الذي يأمر كل الأشياء لتسير وفقاً لمشيئته الإلهية، فهذا أمر مؤكد. ولكن كيف حدث ذلك، فهذا ما لا تكشف عنه القصة » .

وكلمة «درجات» الواردة ١٦ مرة في القصة و ٥ مرات في رسالة إشعياء ذات صلة بالـ ١٥ نشيد في المزامير من مزمور ١٢٠ حتى مزمور ١٣٤ . وهذه الإضافة للحياة تذكرنا أن الله هو الذي يحدد طول الحياة. فالمرض والصحة

فى يده ، والوسيلة المستخدمة لشفاء مرض حزقيا وكذلك مسببات هذا المرض وتاريخه أمر جدير بالملاحظة ، فقد قيل للملك أن يضع قرص تين على الدمل، ولا شك أن التين كان يفترض أن له خصائص شافية ، ولكن لصق التين كان علامة أو رمزاً للشفاء كالماء فى قصة شفاء نعمان (٢مل ٥ :١٠). فالله يستطيع أن يستخدم أبسط الوسائل بطريقة فعالة ، وهو أيضاً يستطيع أن يشفى بدون أى واسطة.

واستجاب الله صلاة حزقيا الحارة ولكن بعد ذلك بثلاث سنوات ولد ابنه منسى، وقد أصبح منسى السبب الرئيسى لغضب الله ضد يهوذا، والإطاحة بالمملكة (٢مل ٢٣:٢٦و ٢٧، ٢٤:٣). «إن أمانينا، عندما تتحقق، فإنها تجلب اللعنات فى معظم الأحيان» لقد أسمى حزقيا ابنه «منسى» وهى كلمة تعنى «الناسى» وقد سمىٌ هكذا لأن الله قد جعل حزقيا ينسى متاعبه (انظر سفر التكوين ٤١ : ٥١). يا له من اسم محزن لمن أصبح أردأ ملوك يهوذا!!

وكدليل على امتنانه لشفائه من موت محقق ، فقد كتب حزقيا ترنيمة مقدسة محفوظة لنا، ليس فى الأسفار التاريخية، بل فى سفر إشعياء (٣٨:٩-٢٠). إنه أسلوب إنشائى ذو طبيعة شخصية تماماً. وعلى الرغم من الشفاء الإلهى الممنوح للملك ، فقد اتهم فيما بعد بارتكاب الحماقة والطيش. فقد أظهر ضعفاً أثناء زيارة البابليين بأن أراهم كل كنوز بيته. ولهذا السبب فقد وبخه إشعياء بشدة على ذلك وتنبأ بأن الأشياء التى رآها الزوار سوف يأخذونها أخيراً ويحملونها بعيداً.

(٤) المعجزات فى أسفار ما بعد السبى

(عز ٧ : ٢٧ و ٢٨، ٩، نح ٩ :٦ -٣٣ ، إس ٦: ، ٨ : ١٥ - ١٧)

هناك ستة أسفار فى العهد القديم ذات صلة بعودة اليهود إلى فلسطين بعد سبيهم لمدة طويلة وهى أسفار عزرا ونحميا وأستير وحجى وزكريا وملاخى. وأغلبية الأمراء والشعب المشار إليهم ظلوا فى بابل وأشور،واستمروا فى بحبوحة من العيش. وأسفار ما بعد السبى هذه تصف شوق هذه البقية المستضعفة والذين كانت لهم وحدهم غيرة من نحو الله. وأول ثلاثة أسفار من هذه الأسفار الستة هى آخر الأسفار التاريخية الثلاثة فى العهد القديم وهى تكوّن ثلاثية متحدة فى نغمة واحدة فيما يختص بقدرة الله. ونحن نرى على صفحاتها أدلة قوية دافعة على التدخل الإلهى.

عزرا

يسجل أول أسفار ما بعد السبى عودة البقية الباقية من اليهود إلى فلسطين بقيادة زربابل بناء على مرسوم قورش فى سنة ٥٣٦ ق.م. وأول عمل عظيم قام به عزرا كان استعادة الناموس والطقوس اليهودية، والدلائل العديدة على تسلط العلي فى شئون الأمم والناس يمكن للقارىء أن يدرسها فى الفقرات التالية:

(١) قوة الله المعجزية فى ميدان النبوة والسيطرة على ملك وثنى (١:١و٢، ٧:٢٣).

(٢) وصاية الله على خاصته. وحفظه وعقابه أيضاً لهم (٥:٥، ٦:٢١و ٢٢، ٩:٤ و ٦و ١٣، ١٠:٩-١١).

(٣) قوة الله الفائقة وقدرته الممنوحة لعزرا لإتمام المهمة الإلهية المنوط بها (٧:٢٧و٢٨، ٨:٢٢).

نحميا

بعد أربع عشرة سنة من عودة عزرا لأورشليم، عاد نحميا بالمثل مع جماعة أخرى وأعاد بناء الأسوار والأبواب والسلطة المدنية في المدينة. وكان كل من عزرا ونحميا قد بهرا بعظمة الله، وقد اشتركا في الإعلان الإلهي للشعب بطريقة لا يشبههما فيها سوى موسى وهرون. «إن عزرا كالرئيس الروحي ونحميا كالحاكم المدني للمجتمع الجديد» كانا يتمتعان بقدر متساو من الاحترام وكانا يعتبران في المنزلة الثانية مقارنة بموسى وهرون.

ولفهم الحالة الأخلاقية لليهود في ذلك الوقت ، يجب على المرء أن يقرأ سفر ملاخي. يقدم لنا نحميا إعادة لسرد العنصر المعجزي :

(١) هناك حالات لتدخل الله استجابة للإيمان الفردي بالكلمة المكتوبة (١:٨و٩، ٤: ٩، ١٣:٥، ١٣:١٣. انظر ٢تي ٢) ،واستخدام قوته العظيمة للتأثير على قلب ملك عظيم واستجابته للتوبة والصلاة (٤:١ و١٠و١١، ٢:٤، ٤:٤-٦و٩و١٥، ١٠:٣١).

(٢) يمكن لله أن يكشف عن خططه بطريقة فائقة لعبيده المطيعين ، وأسراره معلنة لأولئك الذين يخافونه (١٢:٢و١٨و٢٠، ١٩:٥، ٩:٦و١٢، ٥:٧).

(٣) عناية الله الفائقة بشعبه أثناء التجارب التي مروا بها في البرية وترديد ما يثبت ذلك (٩:٦- ٣٨، ١٣:٢و٣ انظر قض ٦:١٣).

أستير

قد يظن البعض أنه مضيعة للوقت أن نبحث عن أدلة للخوارق في سفر لا يرد فيه اسم الله، ولا توجد منه أي إشارة واضحة لأي شيء ووحي خارق، وهي سمة يشترك فيها سفر نشيد الأنشاد مع أستير. وفي الإضافات الأبوكريفية لسفر أستير، والمحفوظة لنا في الطبعة السبعينية، يرد اسم الله كثيراً. ولكن على الرغم من أن اسم الله غير موجود في سفر أستير، فلا يوجد سفر آخر في الكتاب المقدس أبلغ منه فيما يختص بحقيقة عنايته ووعده ألا يتخلى عن خاصته.

معجزة عناية الله المهيمنة على كل شيء

من الملامح الفريدة لسفر أستير العناية السرية لله بشعبه المشتت . وفي حين يعترض بعض النقاد على إدخال السفر في الكتاب المقدس إلا أن اليهود أنفسهم يضعونه في المرتبة التالية لناموس موسى. فهو ثمين بالنسبة لهم بسبب عناية الله الخاصة بهم حتى وإن كان لا يوجد فيه سطر واحد بشأن حضوره وعمله، وبسبب الوصف الذي تقدمه أستير للانتقام المدوي من أعدائهم. إن حقائق التاريخ اليهودي وسيل الأحداث غير المسبوقة تعلن عناية الله الخاصة بشعبه طبقاً لمواعيده بأن كل من يمسهم يمس حدقة عيني الله (إش ١٣:٦، ٦٥:٨، إر ٣٠:١٠و١١).

فمن يشك إذن أن الله كان من خلف تلك الليلة التي طار فيها النوم من عيني الملك أحشويرش والتي كانت حلقة هامة في سلسلة هزيمة أعداء اليهود؟ فالله الذي لا ينعس ولا ينام منع أحشويرش عن النوم لكي يثبت كيف أن عنايته تستغل الأمور التافهة والتي قد تبدو لنا أنها شيء عرضي لإتمام مشيئته (٦:١)، وعلى ضفاف نهر أسوس في بلاتاكا، ولحفظ اليهود في أقاليم فارس" ومازال اليهود يحتفلون بعيد البوريم وهو الوقت الذي يقرأ فيه سفر أستير كله في المجامع اليهودية.

(٥) المعجزات فى الأسفار الشعرية

(أى ٥ : ٩، ٩ : ١٠ ، ٣٧ : ٥ ، مز ٧٨ ، أم ٨ : ٢٢ - ٣٤ ، جا ٢ : ٢٥ و ٢٦)

ما يعرف باسم القسم الشعرى فى العهد القديم يشمل أسفار أيوب والمزامير والأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد- وهو قسم غنى بما فيه من مادة تعبدية وتعليمية ، وهذه الأسفار الخمسة تدعى « شعرية » لأنها تتكون فى مجملها من نظم عبرى. وحيث أن هذه الأسفار، باستثناء سفر نشيد الأنشاد غير الدينى ، مليئة بذكر الله ، فليس من الصعب أن نجد فيها إعلانات ومظاهر لقوة الله الخارقة. وسلطان الله على الخليقة والطبيعة والتاريخ نراه واضحاً جلياً فى سفرى أيوب والمزامير. وهذه الأسفار الشعرية الخمسة تعرف « بأسفار الحكمة »، وجزء كبير من قسم الحكمة مكتوب بالشعر، ولذا يمكن استخدام أياً من التعبيرين بصفة عامة. وعلى العموم، فهذه المجموعة من الأسفار تمثل الفكر الروحى للعصر الذهبى للتاريخ العبرى .

أيوب

قال توماس كارليل عن هذا السفر الرائع : «إنه واحد من أعظم ما كتب... فلم يكتب شيء على ما أعتقد يضاهيه فى القيمة الأدبية » . وتقدير فكتور هوجو للسفر أيضاً يستحق الإشادة به فهو يقول: « ربما يعتبر سفر أيوب أعظم تحفة خالدة للعقل البشرى » ، وأيوب نفسه من المفروض أنه عاش قبل موسى وسفره باعتباره أقدم سفر فى العالم، من المفروض أنه يحوى أقدم سجل لديانة الآباء. وليس فى مجال دراستنا أن نحاول تفسير الحوارات الإلهية والبشرية التى يحتوى عليها السفر، كمناظرة عامة فى صورة شعرية عن السلطان الإلهى. وتمشياً مع فكرة المعجزات فى الكتاب المقدس، فإننا نلفت الأنظار لحقيقة أن سفر أيوب واحد من الأسفار البارزة فى الكتاب المقدس عند التعرض لدراسة المعجزة.

فالعبارات العظيمة الآتية تتحدث بأسلوب بليغ عن حقيقة قدرة الله:

{ الفاعل عظائم لا تفحص وعجائب لا تعد } (٩:٥) .

{ فاعل عظائم لا تفحص وعجائب «معجزات» لا تعد} (١٠:٩).

{ يصنع عظائم لا ندركها } (٥:٣٧).

{القدير لا ندركه عظيم القوة والحق وكثيرالبر}(٢٣:٣٧).

{قد علمت أنك تستطيع كل شيء ولا يعسر عليك أمر} (٢:٤٢).

وهذه الإعلانات وكل النغمة السائدة فى السفر تستعرض بصورة جيدة عناية الله وخطة توجيهه الأخلاقى، وتوضِّح بروعة لا مثيل لها مجد الصفات الإلهية، خاصة عندما يخاطب القدير أيوب. ونحن نلفت الانتباه لهذه الجوانب:

(١) يظهر العنصر الخارق فى سيطرة الله على الشيطان الذى هو بمثابة كلب مقيد بسلسلة ولا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بإذن من الله حتى رغم لغز اقترابه من محضر الله (١ : ٦و٧ ، ٢ :١و ٢و٦) .

(٢) تظهر المعجزات فى سلطان الله على مملكة الطبيعة . فهو كالخالق يستطيع أن يأمر أى شئ فى خليقته لكى يتمم إرادته السامية) (٥ : ٩ ، ٩ : ٤ - ١٧ ، ١١ : ٧ - ١١ و ١٢ ، ٢٢ : ١٢ - ١٤ ، ٢٦ :

٧ - ١٤ و ٢٨ ، ٣٦ : ٤ -٣٣ و ٣٧ - ٤١ ، ٣٨ : ٧).

(٣) يظهر العنصر الخارق في قدرة الله على أن يهب الحياة وأن يقيم من الأموات (١٩:٢٥-٢٧ ، ٣٣ :٤، ٣٥: ١٠) .

مثل هذه الإعلانات المجيدة عن سلطان الله في كل الميادين يجب ان تجعلنا متضعين وتقودنا أن نعترف مع أيوب قائلين : « ها أنا حقير فماذا أجاوبك .. لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد » (٤:٤٠ ، ٤٢:٦) . وما نحن إلا ديدان حقيرة في التراب ، غير جديرين بالمرة بإعلانات القوة الإلهية وبكل التدبيرات التي يعملها الله لصالحنا .

سفر المزامير

نحن بحاجة لكتاب مستقل لنشرح بالتفصيل كل مظاهر العنصر الخارق الموجود في هذا السفر البارز الذي يمجد الله في الكتاب المقدس ، والذي يقول عنه جلادستون: « إن كل أعاجيب الحضارة اليونانية مجتمعة أقل روعة من تلك الموجودة في سفر المزامير » ، لقد وصف هذا السفر بأنه ملخص للكتاب المقدس ككل ، وقد تم تعديله بغرض العبادة والتأمل الروحي . ولهذا السبب فهو يعرف بأنه «كتاب النشيد القومي لإسرائيل » ، وهو يحتوي على ١٥٠ قصيدة شعرية ، وضعت لها الألحان الموسيقية بقصد العبادة ، ويطلق عليه في العبرية « سفر الحمد ». ويؤكد لنا آباء الكنيسة الأولى أن السفر كله كان يحفظ عن ظهر قلب ، وأن المزامير كانت تنشد عند تناول الطعام وفي العمل وأيضاً لإحياء المناسبات الاجتماعية وتخفيف أعباء الحياة .

وعندما يحاول المرء أن يستخدم التعبيرات الدالة على الحمد والعبادة وإظهار جلال وقوة وصلاح الله وصفاته الأخرى ، يجد نفسه أمام ثروة روحية تجعله مرتبكاً لا يعرف ما الذي يستخدمه وما الذي يتركه . والتعرف على العنصر الخارق وترديده موجود تقريباً في كل صفحة من المزامير (٥٠ مزموراً) .

(١) لإدراك سلطان الله الكلي فيما يختص بالأمور القومية والدولية ، وتنصيب وتولية الملوك ، اقرأ مزمور٢ ، ٩ ، ٢١ ، ٤٥ - ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٨٤ .

(٢) للتذكير باستعداد الله لممارسة قوته المعجزية لصالح خاصته ، حتى فيما يتعلق بإمداد الطعام والكساء والنوم ، اقرأ مزمور ٣ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ١٤٥ .

(٣) لاستعراض العديد من صفات الله السامية ، والتي تعمل جميعها لتقديم البركات الروحية لقديسيه ، اقرأ مزمور ١٣٩ الرائع .

(٤) للبحث عن أدلة قوة الله وسلطانه كخالق وحقه أن يعطي أو يحجب بركات الطبيعة لتساير عدالته ، اقرأ مزمور ٨ ، ١٨ ، ١٩ ، ١ - ٦ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٦٥ ، ٦٨، ٧٤ : ١٢ - ١٧ ، ٧٧ ، ١٨ - ٢٠ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٥) لسرد تدبيرات الله وحفظه لمختاريه ،اقرأ مزمور ٧٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٥ -١٠٧ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٦ .

وإذ تغمرنا عظمة الله وصلاحه وقوته وغفرانه التي نراها واضحة في هذه المزامير المهيبة ، فما الذي يمكن أن نفعله سوى أن نحتذي مثال المرنم ونقول :

سبحوا الله في قدسه ... سبحوه في فلك قوته ... سبحوه على قواته ... سبحوه حسب كثرة عظمته ... (١٥٠ : ١و٢) .

الأمثال

« هذه المجموعة من الأقوال الجامعة من الحكمة الإلهية التى تنطبق على الشئون الأرضية لشعب الله » ، تحتوى أيضاً على مظاهر للعنصر المعجزى . والأجزاء الأخرى فى الكتاب المقدس تشبه .. منجماً ثرياً .. حيث نجد المعدن الثمين يجرى كنهر متدفق . ومع ذلك فسفر الأمثال مثل كومة من اللآلئ ، والتى على الرغم من كونها متناثرة هنا وهناك إلا أنها ليست أقل قيمة وندرة . وسوف نجد أن قراءة سفر الأمثال تكون أكثر فائدة عندما تُستخدم الأمثال التى فيه لتوضيح حقائقها العامة بتقديم أمثلة من الشخصيات التاريخية للعهدين القديم والجديد. « غباوة الجهال غش » (١٤ : ٨) ، يمكن ضرب مثل لها فى شخصية جيحزى (٢ مل ٥ : ٢٠ و ٢٧) ، والذين اتهموا دانيال (دا ٦ : ٢٤) ، وحنانيا وسفيرة (أع ٥ : ١ - ١١) .

وسفر الأمثال ليس فقط « أفضل مرشد للنجاح يمكن للشاب أن يتبعه » ، بل إنه يسهم كذلك فى الإعلان عن إلهنا القدير مصدر كل حكمة حقيقية .

(١) للتأمل فى عادات وطرق النمل والطيور والخيول والثعابين والناس ، التى زودها الله بها ، اقرأ مزمور ٦:٦ - ١١ ، ٢٦ : ١ و ٢ ، ٣٠ : ١٧ - ١٩ .

(٢) لرؤية المسيح قبل بدء الأزمنة والتأمل فى معجزات قوة الله فى الخلق اقرأ مزمور ٨ : ٢٢ - ٣٤ . وهذا الجزء يشير إشارة واضحة للمسيح الذى جاء كتجسيد للحكمة الإلهية « فبالمسيح قوة الله وحكمة الله » (١ كو ١ : ٢٤ ، كو ١ : ١٥ - ١٧) .

(٣) للتأكيد على أن سلطان الله يمتد إلى قلب الإنسان ولسانه وأذنه ، اقرأ مزمور ١٦: ١٤ ، ٢٠ : ١٢ . أما فيما يختص بالشئون الفردية لحياة البشر « القُرعة تلقى فى الحضن ومن الرب كل حكمها » (١٦ : ٣٣) ، وكفادينا فهو قوى يخلِّص ويحفظ (٢٣ : ١١) . ومجد الله إخفاء قوته وأهدافه (٢٥ : ٢). وفيما يختص بما يعرف بمعجزات العلم الحديث ، فما قاله سليمان صحيح . فالعجائب المنظورة اليوم كالكهرباء والتليفون والراديو والتليفزيون والرادار كانت غير منظورة أو غير معروفة منذ نصف قرن مضى . ومع ذلك فقد أخفى الله كل هذه الاكتشافات فى الكون عندما خلقها . إن العلماء لم يخلقوها ، بل أعلنوا فقط ما خبأه الله فى مجده .

الجامعة

هذا القسم من الكتاب المقدس ، الموحى به من الله (٢ تى ٣ : ١٦) هو سجل لحياة الإنسان « تحت الشمس »: فأفكاره واستنتاجاته عن الحياة معلنة ، ولكن الأفكار الإلهية واضحة . فى هذا السفر يفضح سليمان أخطر الخدع والأوهام الباطلة ، وهى أن البحث عن السعادة هو أفضل امتياز لنا . فالسعادة الحقة يمكن أن توجد فقط فى مخافة الله وحفظ وصاياه (١٢ : ١٣) . وسفر الجامعة ما هو إلا بحث كتب بقصد التحذير من العقاب ، كتبه سليمان قبل موته بوقت قليل ليحذر الآخرين ، عن طريق خبرته المحزنة من العديد من الأشياء التى خلقها الله ، ومن المصير البائس للخطاة هنا وفى الأبدية .

وكشخص عرف شيئاً عن عظمة الله ، فإن سليمان يقدم دليلاً آخر على سلطان الله المهيب على كل شئ .

(١) الإنسان يعتمد تماماً على الخير الذي يحصل عليه من يد الله .

(٢) لا يمكن للإنسان أن يستمتع بشئ سوى حسب إرادة الله (٢ : ٢٥ و٢٦ ، ٥ : ١٨ ، ٦ : ٢) .

(٣) لقد عين الله من قبل الأوقات والمواسم لكل الأحداث البشرية ، ولا يمكن التمتع بالسعادة الحقة سوى وفقاً لإرادة الله العليا . الأصحاح الثالث يمجد سلطان الله.

(٤) لقد أودع الله فى الإنسان بطريقة مذهلة ، يقينية الخلود « جعل الأبدية فى قلبهم » (٣ : ١١ RV).

(٥) تظهر قدرة الله الفائقة على تقويم الاعوجاج ، وتعويج ما هو قويم (١٥:١ ، ١٣:٧و ١٤) . إن سلطان الله كالخالق يجب ألا ينساه الجميع ، ليس الشباب فقط بل الكل حيث أن الله سوف يدين أسرار الناس (١٢ : ١٣ ، ١٤) .

نشيد الأنشاد

لا شئ معجزى فى هذا السفر اللادينى الذى لا يرد فيه من البداية إلى النهاية كلمة واحدة ذات ارتبـــاط بالدين ، ومع ذلك فهو متضمن فى الكتاب المقدس ، ويعتبر جزءاً من الإعلان الإلهى على الرغم من عدم وجود أى عاطفة روحية من أى نوع ، ولا توجد أى إشارة عابرة لأى طقس مقدس أو فريضة ما . وغرضه الوحيد التعبير عن عاطفة الحب .

ولكن ، كما يقول عدد كبير من المفسرين ، إذا كان نمط الحب هذا يرمز للعلاقة المفرحة بين المسيح وكنيسته ، فالفكر الروحى يمكن أن يميز فى لغة السفر المعبرة عن الحب المتوهج شيئاً من معجزة وسر الحب الإلهى . إن مثل هذه المحبة الأبدية سوف تظل معجزة على الدوام .

[٦] المعجزات فى الأسفار النبوية

(لو ٢٤ : ٢٥-٢٧ و ٤٤، أع ١٠ : ٤٣ ، ١ بط ١ : ١٠-١٢، ٢ بط ١ : ١٩ - ٢١) .

هذا القسم الذى يحتوى على الأسفار النبوية فى العهد القديم يمتد من إشعياء حتى ملاخى . هذه الأسفار السبعة عشر تنقسم بين الأنبياء الخمسة الكبار « من إشعياء إلى دانيال » ، والأنبياء الاثنى عشر الصغار (من هوشع حتى ملاخى) . واللفظ « كبار وصغار » ليس له أى علاقة بمحتويات الأسفار ، وإنما له علاقة فقط بحجم هذه الأسفار . فسفر إشعياء على سبيل المثال مكون من ٦٦ أصحاحاً بينما سفر عوبديا يوجد به فقط ٢١ عدداً . وهذه الأسفار السبعة عشر تغطى فترة زمنية تصل لحوالى ٤٠٠ سنة ، بعد إعطاء الناموس فى سيناء بحوالى ٦٠٠ سنة وتنتهى قبل مجئ المسيح بـ ٤٠٠ سنة.

معجزة النبوة

لا يمكن أن نتأمل فى هذه الأسفار النبوية ككل دون أن نتأثر بمعجزة النبوة الخالدة . لقد كان الأنبياء أنفسهـــم « مواطنين » لهم رسالة لشعبهم وزمانهم ، وكباعثين للنهضة والحياة فقد حركوا قلب وضمير الأمة ، وكأنبياء فقد تنبأوا بالأغراض الإلهية تجاه مستقبل إسرائيل والأمم ذات الصلة بإسرائيل. ولقد حاولت المدرسة العصرية التقليل من شأن النبوات ، ومع ذلك فهى تسيطر على الكتاب المقدس وبدون مفتاح النبوة فلا يمكن التوصل إلى الكنوز الموجودة فيه . وبالاختصار ، فإله الأمة العبرية سوف يصبح إله كل الأمم . ومثل هذه النبوة متغلغلة فى نسيج الكتاب المقدس كله من التكوين إلى الرؤيا . والقسم الذى نتأمل فيه الآن

يسمى « النبوات » لأنه على الرغم من الإشارة الطفيفة للتاريخ (إش ٣٦ - ٣٩) ، إلا أن موضوعه الأساسى هو «النبوة » .

تتوقف معجزة النبوة على حقيقة أن الانبياء الموحى إليهم بالروح (١ بط ١ : ١٠ - ١٢ ، ٢ بط ١ : ١٩ - ٢١) قد استطاعوا قبل حدوث الأحداث ، أن يقدموا تنبؤات عديدة ، متنوعة وبالتفصيل ، بما يقف حائلاً دون أى احتمال للصدفة . ولذا فيحق لنا ألا تكف عن الدهشة على هذا الإتمام الحرفى للنبوات .

(١) نبوات بمصير صور وصيدون (حز٢٦ : ٧ -١٤).

(٢) نبوات عن صيدون ، وهى مدينة مجاورة وأقدم من صور(حز ٢٨ : ٢٠ -٢٢،إش ٣٤ : ١١ ، ٤٧ :١).

(٣) نبوات عن مصر العظيمة والقوية(حز٣٠:١٤-١٦) . والعهد القديم يحتوى على العديد من النبوات البارزة بخصوص مصر عامة ، حتى إننا يمكن أن نقول إنها قد سطرت تاريخ قيامها وشعبها وسقوطها (إر ٤٦ : ١١، حز ٢٩ : ١٤و ١٥ ، ٣٠ : ٤ و ٦ و ١٢ و ١٣ ، إش ١٤: ١٧، ١٩ : ٥و٦ ، ٨ - ١٠ ، ١٥) .

(٤) نبوات خاصة بأدوم وساحل البحر فى فلسطين (عد ٢٠ : ١٤ - ٢٧ ، حز ٣٥ : ٣ - ٩) .

(٥) نبوات بانقراض الأدوميين (إش ٣٤ : ١٠ ، إر ٤٧ : ٥ ، حز ٢٥ : ١٥ و ١٦ ، ٣٥ : ٩ و ١٥ ، صف ٢ : ١ و ٥ و ٦) .

(٦) نبوات متعلقة بيهوذا وبابل (إش ٦ : ١١ و١٢ ، انظر لا ٢٦ : ٢٧ - ٣٤ ، تث ٢٩ : ٢٨).

(٧) نبوات خاصة بخراب بيت إيل (عا ٣ : ١٤و ١٥ ، ٥ : ٥) .

(٨) نبوات متعلقة بالسامرة (مى ١ : ٥ و ٦).

(٩) نبوات خاصة بأورشليم (مى٣ :١٢ ، مت ٢٤ : ٢).

(١٠) نبوات مستقبلية خاصة بتاريخ العالم (دا ٢ : ٣٨ - ٤٤ ، مت ٢١ : ٤٢ - ٤٤) .

(١١) نبوات خاصة بتاريخ اليهود (إش ٢ ، ٦: ٩ -١٢ ، ٤٩ : ٤ - ٧ ، حز ٢٠: ٣٢ و ٣٧ ، دا ٩ : ٢٦ ، هو ، زك ١١ : ١ - ٦ ، ملا ١ : ١٠و١١، رو ١١ : ٢٥ ، انظر تث ٢٨ ، لا ٢٦ : ٣٣) .

هذه ليست سوى فقرات قليلة خاصة بمعجزة اليهود . « وكون تاريخ اليهود معجزى فهذا لا يجعله أقل فائدة لنا فى هذا الصدد ، لأن المعجزات لا تغير المبادئ التى يعمل الله بموجبها ، فهى توضح فقط تلك المبادئ بطريقة تدعو للدهشة والانبهار » .

(١٢) نبوات عن الرب يسوع المسيح (إش٧ :١٤-١٦، ٩ :٦و٧ ، ١١ : ١-٥ ، ٢٨ : ١٦ ،٣٢ : ١ و٢، ٤٢ : ١ - ٤ ، ٥٢ : ١٣ - ٥٣ : ١٢ ، ٦١ : ١ - ٣ ، ٦٣ : ١ - ٦ ، إر ٢٣ : ٥ و ٦، ٣١ : ٣٤ ، حز ٣٤ : ٢٣ ، ٣٧ : ٢٤ ، دا ٩ : ٢٤- ٢٦ ، ٨ : ١٣ - ١٥ ، مى ٤ : ٣ - ٥ ، ٥ : ٢ مع مت ٢ : ٦ ، حج ٢ : ٧ - ٩ ،كو ٢ : ٩ ، زك : ٣ : ٨ ، ٦: ١٢و ١٣ ، ٩ : ٩ ، ١١:٢ ، ١٢:١٠، ١٣: ٦و٧، ١٤:٤ ، ملا ٣ : ١ ،٤ :٢).

١ - الخمسة أنبياء الكبار

إشعياء

على الرغم من أن إشعياء نبى بارز قد تنبأ خلال فترة تصل لخمسين أو ستين سنة ، إلا أننا لا نعرف سوى القليل جداً عن تاريخ حياته الشخصية . هناك تقليد يهودى يقول إن الملك منسى قد نشره لأجل أمانته من نحو الله (عب ١١ : ٣٧) . لا يهدف الكتاب المقدس أن يعطى مجداً لأى إنسان ، لأن (الخلاص) أحد الموضوعات الرئيسية فى سفره ، فإشعياء الذى يعنى اسمه خلاص الرب معروف بأنه

« النبى الإنجيلى » . وكون إشعياء كان فيه الفكر الذى كان فى المسيح يسوع (لو ١٩ : ٤١) نراه فى السمات الآتية :

١) كان له قلب منكسر وروح منسحق (٦ :٥ و ٥٦).

٢) حزنه العميق ليس فقط على اليهود بل على الأمم أيضاً ، أعدائه الذين أعلن خرابهم (١٦:٩و٢١:٣).

وبينما لا توجد معجزات فعلية فى سفر إشعياء إلا أن العنصر النبوى فيه له وزن كبير حتى إنه توجد دلائل عديدة وتعبيرات عن إجراء الله لآياته وقواته . والرؤيا الإلهية المذكورة فى الأصحاح السادس رؤيا بارزة ومعجزية . وإشعياء وأولاده يمثلون آيات وعجائب (٨ : ١٨) . وبالنسبة للدارسين الذين يرغبون فى التأمل فى شهادة إشعياء للخوارق ، فيجب قراءة الفقرات التالية : ١٢: ٥ و١٣ ، ١٩ :٢١ و ٢٢، ٢٥ : ٨، ٣١ : ٥، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ : ٢٥ - ٣١، ٤١، ٤٢ : ٥ - ٧ ، ١٥ -١٦، ٤٣ : ١ و ٧ ، ٤٥ : ١-٤، ٤٦ :١٠و١١، ٤٩: ٢٦، ٥٠ :٢و ٣ ، ٥٤ : ١١و ١٢و ١٧، ٥٧ :١٠، ٥٨ : ١٢، ٥٩ :١ و ١٩ و٢٠ ، ٦٤ : ١- ٤، ٦٥ : ١٧، ٦٦ : ٥ مثل هذه الإعلانات الدالة على سيادة الله على كل شئ جعلت أحدهم يصرخ قائلاً : كم عظيم أنت يا ألله ! » .

إرميا

لأن دموعه على خطايا الشعب تبلل صفحات سفره - أحد أصول أسفار الكتاب المقدس - فإرميا معروف باسم « النبى الباكى » . ولأن النبى حساس وعطوف إلى أبعد الحدود ، فدموع النبى الحارة تسقط وهو يعلن الخراب على أمته ويمتزج فيه العطف بالشدة ، ورقته التى تشبه الأطفال تعطى قوة لشدة تحذيراته . كانت مهمته صعبة ، تعرضه للاستشهاد فى كل لحظة. « لقد وُجد لكى يهدم ويدمر ويقوّض ويبنى ويزرع ، كان عليه أن يخاطب شعباً قد نسى الله ، وقدم البخور لآلهة أخرى وعبدوا عمل أيديهم».

ولأجل القيام بمثل هذه المهمة الشاقة ، قد تلقى رؤيا معجزية ، كإشعياء تماماً (١ : ١٠ - ١٩ ، إش ٦) .

وتختلف إرسالية هذين النبيين فى أن إشعياء حاول إصلاح اليهود ، ولكن طبيعة رسالة إرميا تحتوى على إعلانه الدمار الوشيك على أمته التى زادت قسوة نتيجة لعدم التوبة .

إن المعجزات قليلة فى الأسفار النبوية ، فيبدو أن الأنبياء أنفسهم كانوا «آيات» أو «عجائب». وفى عصر الكنيسة الذى نعيش فيه، فشعب الله المفدى هم معجزاته، آياته وعجائبه للعالم من حولهم . وفى حين أن إرميا لم يجر معجزات إلا أنه اختبر التأثير المعجزى لكلمة الله فى قلبه ،وقد تلقى كلمة الله الخارقة وقوته ليعلن رسالته الملتهبة (٢٠ : ٩ ، ١ : ٤ - ١١) . والكلمة الأساسية التى تعين على اعتراف إرميا بالعنصر المعجزى يمكن أن نجدها فى العبارة الرائعة :

« الإله العظيم الجبار ، رب الجنود اسمه .. قادر فى العمل » (٣٢ : ١٨ و ١٩). ونقتبس هنا إطاراً موجزاً لإشارات النبى للمعجزات حتى يتسنى للقارئ أن يدرسها بتوسع :

* معجزات أعمال الله فى الخليقة) ٤ : ٢٣ - ٢٨ ، ٥ : ٢ ، ٨ : ٧).
* المعجزات المتصلة بالقوى الطبيعية (٢٣ : ١٩) .
* معجزات الخروج (٢ : ١ - ٧ ، ٣٢ : ١٩ - ٢٥).
* معجزة الصحة الجسدية (٣٣ : ٦) .
* معجزة النبوات (١٥ - ١٩ و ٣٠، ٤٥ -٥٢)

ومن الملامح المميزة للعديد من هذه النبوات ضد أمم عديدة ، العلنية التى أضفاها إرميا عليها وسط هذه الأمم ، فعلى سبيل المثال بإرسال الربط والأنيار لملوكها (٢٧ :٣) . وفى سفر مراثى إرميا ، يعبر إرميا عن بالغ حزنه برقته المعهودة لأجل خراب أورشليم وسبى يهوذا

ومأساة المجاعة وتوقف كل عبادة دينية ، والكوارث الأخرى طبقاً لنبواته الموحى إليه بها . وإذا جاء الإنقاذ لبنى وطنه ، فهو لا يأتى إلا من الله استجابة لتوبتهم .

والأصحاح الثالث إعلان للسيادة الإلهية . والفقرة الرئيسية فى هذا السفر المؤثر موجودة فى عدد ٣٧ الأصحاح : « من ذا الذى يقول فيكون والرب لم يأمر » (انظر أيضاً ١ : ١٥ ، ٢ : ٥) .

حزقيال

إن حزقيال ، ككاهن ونبى ، كان بين المسبيين الذين حملهم نبوخذ نصر إلى بابل مع يهوياكين ملك يهوذا ، وكانت خدمته لبنى وطنه المسبيين ، الذين تنبأ وسطهم لمدة تصل لحوالى ٢١ سنة . وتتميز شخصيته ونبواته بنشاط متميز والذى يعبر عنه اسمه « حزقيال » الذى يعنى « قوة الله المتمنطقة بالقوة » . ومع أنه حازم وقوى إلا أنه لا تعوزه الرقة .

- وبإيجاز ، فسفر حزقيال يشتمل على ظهور الله المجيد للنبى لأمر يتعلق بالمهمة الموكلة إليه (١ - ٣) ، والاتهامات ضد اليهود والنبوات بالدمار الشامل للهيكل ومدينة أورشليم ، والخراب والتشتت (٤ : ٢٤) ، ونبوات ضد أمم عديدة مجاورة ، أعداء ومضطهدين لليهود (٢٤ - ٣٢) ، وتحذيرات ومناشدات ووعود لليهود بإنقاذ مستقبلى وأخير واسترداد كل شئ (٣٢ - ٤٨) .

والسفر ملئ بالمعجزات حتى وإن أهمل المفسرون هذا الجانب . وهناك الرؤى المعجزية (١: ٢٨ ، ١٠: ٤٧ ، ٤٨ : ٣٥) .

والمخلوقات الحية الأربعة بوجوهها المتميزة ، والأربع بكرات وحركتها المعقدة تمثل مظاهر معينة للطبيعة الإلهية - سلطان الله وجلاله ومجده وعلمه بكل شئ ، وقوته غير المحدودة وقداسته وسيادته المطلقة فى الأمر « منقلباً منقلباً منقلباً » (٢١: ٢٧) . وهذه الرؤى التى تأثر بها حزقيال وكانت مبعث إلهامه ، هى رؤى لمجد الله الكامل ، الذى وصفه النبى بالروح بعبارات مثيرة ومهيبة والتى حتى إلى يومنا هذا نقرأها باحترام عظيم ودهشة بالغة »، وتأثير هذه الرؤى عن المجد المعلن قد جعلت حزقيال ساجداً منبطحاً على الأرض .. فأى قديس لا تغمره هذه الإعلانات الإلهية الخارقة عن رهبة الله ؟

هناك معجزة سيطرة الروح .

يبرز حزقيال بين الأنبياء كالرجل الذى امتلكه الروح القدس . هناك حوالى عشرون إشارة للروح القدس فى السفر . وفى حالات عديدة نجد أن عبارة « يد الرب » مرتبطة بقيادة الروح . فقد امتلك الروح حزقيال (٢:٢، ٢٤:٣) ، وحمله إلى أعلى (١٢:٣، ٢٤:١١، ٤٣: ٥)، وأصعده (١٤:٣، ٣:٨، ١:١١)، ومسحه (٥:١١) ، وأخرجه (٣٧: ١) . والدينونة تقع على أولئك الذين يفشلون فى التنبؤ بالروح ، وهناك الوعد بانسكاب الروح فى الأيام الأخيرة .

- ومعجزات مرتبطة بالكلام (٣ : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٤ : ٢٧) ومعجزات مرتبطة بتاريخ اليهود . وهى تشمل وجود اليهود (أصحاح ٦) ، ومعجزة قيامتهم أو إعادة تجمعهم كأمة (٣٧) .

- ومعجزات مرتبطة بالأنهار والسمك(٢٩ : ٤ ، ٥ ، ٤٧).

- ومعجزات ذات صلة بأحكام متنبأ عنها (٣٧-٣٨)، والقوى الطبيعية التى يستخدمها الله لتنفيذ أغراضه(٥)، والموت والحياة بين يدى الله (٢٤:١٥-٢٧).

وهناك معجزة حزقيال نفسه (٦:١٢ - ١١، ٢٤: ٢٤

و ٢٧). وكان الرجل نفسه علامة للناس تدل على العنصر المعجزى .

دانيال

إن الأحداث الخارقة للعادة التى ذكرت فى هذا السفر الرائع تثبت أمام العالم ما اضطر نبوخذ نصر وداريوس أن يعترفا به ، أن إله دانيال وأصدقاءه الثلاثة شدرخ وميشخ وعبدنغو ، هو الإله الحى ، الملك العظيم فوق كل الآلهة (٣ : ٢٨ ، ٤ : ٣٤ ، ٦ : ٢٦) . ومن بين الشبان الأربعة المسبيين والذين ذكرت أسماؤهم بنوع خاص ، وقد أفرزوا لمدة ثلاث سنوات لتهيئتهم للقيام بواجبهم فى البلاط الملكى ، تبرز شخصية دانيال . فمنذ البداية ، أظهر قوة الشخصية ، وقد رفع ليتبوأ مركزاً عظيماً وسلطة فى بلاط ملوك بابل وفارس (أم ٢١ : ١) .

واشتهار دانيال بالحكمة والتقوى حتى فى مقتبل حياته ، كان مضرب الأمثال (حز ١٤: ١٤ - ٢٠ ، ٢٨ : ٣) . ومات فى سن متقدم جداً بعد أن كان قد تنبأ طوال فترة السبى التى دامت سبعين سنة . وفى وسط التجارب التى مر بها نتيجة لأشد الضيقات ، أو فى أوقات النجاح والمجد احتفظ بتقواه حتى آخر أيام حياته .

ونحن نتعلم من السفر ككل :

(١) الصلة بين الصلاة والنبوة ، فيمكن تعلُّم الكثير بملاحظة المناسبات التى تلقى فيها دانيال نبواته . فعلى سبيل المثال ، فالإعلان المجيد عن عمل الفداء العظيم قد كشف لدانيال ، أثناء صلاته عند ما كان يندب خطيته وخطية الشعب (٩ : ٤ و ٢١، انظر إش ٥٧ : ١٥) .

(٢) النبوة تبشر بالرجاء ، فقد كتب دانيال سفره خلال ظلام أشد أنواع السبى الذى عانت منه إسرائيل (مز ١٣٧) . فى مثل هذا الوقت المأساوى « فإن قيثارة النبوة كانت تعزف أعذب الألحان المفعمة بالأمل ، وقد تم الكشف عن أعظم الرؤى الخاصة بأمجاد إسرائيل فى المستقبل وعن العالم وعن عناية الله المسيطرة على كل الأحداث » .

(٣) سيادة الله ، فحكمة وقوة الله تستخدم عقاب اليهود لنشر معرفة الله وسط الأمم . ويقدم سفر دانيال دليلاً لا يرقى إليه الشك بأن « العالم هو عالم الله » (مز ٧٥ : ٧) . فالله هو القاضى فوق الجميع ، وهو يمارس سلطته فى أن يرفع من يشاء ويذل من يشاء . وهو أيضاً يستعلن مجده فى خلاص الإنسان (٢: ٣٥ ،٩، ٢٤: ٢٤) .

وأحقية الله فى إجراء المعجزات ، ليس فقط فى عصر دانيال ولكن فى أى عصر، موجزة أمامنا فى العبارة الملهمة التالية :

« هو يفعل كما يشاء فى جند السماء وسكان الأرض ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل »(٤ : ٣٥) .

معجزة الاختيار (١ : ٢ ، ٩ ، ١٧)

عند التعامل مع المعجزات فى سفر دانيال فقد جرت العادة على اختيار إلقاء الفتية فى أتون النار ، وجب الأسود كالمعجزتين الوحيدتين الموجودتين فى السفر .. ولكن هناك معجزات أخرى . فعلى سبيل المثال ، فليس من قبيل الصدفة أن يكون دانيال ورفاقه الثلاثة وسط سبايا نبوخذ نصر عندما استولى على أورشليم . فالتخطيط الإلهى كان وراء سبيهم ووراء اختيارهم كخدام خصوصيين للملك . «أعطى الله دانيال نعمة ورحمة عند رئيس الخصيان » « أما هؤلاء الفتيان فأعطاهم الله معرفة وعقلاً فى كل كتابة وحكمة » ، هذه العبارات المحملة بالدلالات تثبت أن العنصر المعجزى كان يفعل فعله فى إعداد دانيال وشدرخ وميشخ وعبدنغو ووصولهم للموقع الذى كانوا فيه . إن تقدمهم كان من الرب .

معجزات الرؤى (٢ - ٣ : ٧ ، ٤ ، ٩ - ١٢)

إن الأحلام الملكية ، وفشل سحرة البلاط فى تفسيرها،

والرؤيا التى أعطاها الله لدانيال عندما أعطيت التفسيرات للأحلام التى أرسلها الله ، كلها تشهد لقدرة الله غير المحدودة فى السيطرة على الأفكار. عندما تلقى نبوخذ نصر التفسير الإلهى لأحلامه ، اعترف بإله السماء وحمده لأن أعماله حق وطرقه عدل . ومهما كنا نميل لشرح النبوات الخاصة بتاريخ العالم كله ونستطرد فيها ، فيجب علينا أن نلتزم بالاتجاه العام للنبوات العديدة فيما يختص بالممالك العظيمة لبابل وفارس واليونان وروما . ولأن الله يعرف النهاية من البداية ، فقد كشف مقدماً لعبده المبجل دانيال نهاية المسيح ، والحكم الألفى المجيد للمسيح .. ونبوات هذا السفر الرائع تمتد من وقت تأسيس امبراطورية فارس قبل ميلاد المسيح بـ ٥٠٠ سنة حتى قيامة الأبرار والأشرار (١٢ : ٢ و ٣) .

معجزة الأتون (٣ : ٨ - ٣٠)

هناك إعلان لقوة الله المعجزية والذى لم يكف عن إبهارنا بهذه القوة منذ نعومة أظفارنا ! مع أن نبوخذ نصر كان مقتنعاً بسلطان الله عندما قام دانيال بتفسير حلمه ، إلا أنه كان مزهواً ومعجباً بذاته وأقام فى سهل دورا تمثالاً ذهبياً عظيماً . وقد أمر كل الشعوب أن ينحنوا ويسجدوا لهذا التمثال .

وقد رفض الفتيان الثلاثة شدرخ وميشخ وعبدنغو أن يحنوا ركبتهم لتمثال من صنع البشر . ومثل هذا الانحناء من جانبهم كأناس يخافون الله كان من الممكن أن يعتبر عملاً من أعمال عبادة الأصنام (خر ٢٠ : ٤و٥). ولقد كانوا يدركون جيداً الثمن الذى سوف يضطرون لدفعه لو رفضوا القيام بهذا العمل ، ولكنهم ألقوا بذواتهم على الله فى بطولة رائعة . ولم يدركوا أنهم بهذا العمل قد شهدوا بطريقة بطولية فذة أمام حشد من حكام وولاة تلك الامبراطورية المترامية الأطراف ، لقوة الله القدير فوق كل آلهة بابل .

والطاعة لناموس ملك الملوك قد أتى بالثلاثة فتية إلى أتون النار . إنهم لم يحتسبوا نفوسهم ثمينة لديهم وقد دافع الله عن إيمانهم . وتم طرحهم فى الأتون المتقد بكامل ملابسهم ، ووقف نبوخذ نصر ليرى نهاية أولئك الذين تجاسروا على تحدى مرسومه . هل يتخلى الله عن عبيده ويتركهم يلاقون الموت ؟ لقد تملك الرعب على قلب الملك لما شاهده ، لأن الثلاثى السعيد كانوا يتمشون دون أن يلحقهم أى أذى بسبب النيران ، ولم يعودوا مقيدين كما كانوا بل أصبحوا أحراراً . وتضيف الطبعة السبعينية فى الهامش أنهم كانوا ينشدون أناشيد الحمد لله . وكتب جيروم عن نشيد الثلاثة : « كان يمكن لله أن يمنع إلقاؤهم فى الأتون ، ولكن هكذا شاءت إرادته أن يلقى بعبيده الأمناء فى النيران حتى يظهر قوته بإنقاذهم من الأتون المتقد .

وتكمن المعجزة فى توقف النواميس الطبيعية فترة محدودة عن العمل ، والجسم البشرى وقود طبيعى للنار ، كما حدث لآلاف الشهداء عندما تحولت أجسادهم إلى رماد. ولكن لأجل مجده ، فقد أوقف الله العمليات المعتادة للنار وفقاً لإرادته ، ولكنه سمح للحرارة الشديدة أن تقضى على الرجال الأقوياء الذين ألقوا بالفتيان العبرانيين إلى اللهب . فالنهاية المريعة التى خططوا لها لأبناء الله قد لحقت بجلاديهم. وقد كانت المعجزة أكثر وقعاً لأنه « لم تكن للنار قوة على أجسامهم وشعرة من رؤوسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير ورائحة النار لم تأت عليهم (٣:٢٧). لم يوقف الله فقط عمل الحرارة الشديدة فى ساعة التجربة ، ولكنه تنازل أيضاً ليصبح رفيقهم فى الأتون متمماً وعده « إذا مشيت فى النار فلا تُلذع واللهيب لا يحرقك » (إش٤٣ :٢ ، مت ١٠ : ٣٠ ، عب ١٣ :٥) .

والشخص الذى رآه نبوخذ نصركان «شبيه بابن الآلهة» ليس مجرد ملاك اصطحب وشد من أزر هؤلاء الفتية المنتصرين ولكنه شخص بهى الطلعة . لاشك أن هذه إحدى تجليات المسيح . « وهكذا فلم يتم انقاذ الثلاثة فقط ، من

الموت الجسدى ، ولكنهم خلصوا مع الحصول على ألقاب شرف متميزة - فقد كانوا «أكثر من منتصرين» ، ومثل هذا الإنقاذ الإلهى كان له بالغ الأثر على نبوخذ نصر لدرجة جعلته يصدر مرسوماً بألا يُسمح لأحد أن يتكلم بالسوء على إله شدرخ وميشخ وعبدنغو الذين حصلوا على مناصب رفيعة فى ولاية بابل .

وتفسير فاوست لهذه المعجزة رائع فهو يقول : « إن الخلاص الذى أجراه الله فى هذه المعجزة يتمثل فى سير ابن الله لأجل الكنيسة فى أتون غضب الله بسبب خطايانا ، ومع ذلك فقد أخرجنا من وسط الأتون دون أن تأتى علينا حتى رائحة النار » .

معجزة اليد التى كتبت على الحائط (٥)

لم يكن الملك بيلشاصر رجلاً مسرفاً ومتهتكاً فقط ولكنه كان معتاداً أيضاً أن يغيظ الله وكل ما هو مقدس يتبجح لأنه أمام عظمائه وزوجاته وسراريه ، قد ارتكب خطية مهينة باستعمال الأوانى المقدسة لهيكل الله فى شرب الخمر بخلاعة . لقد ظهرت شخصية بيلشاصر على حقيقتها فى مثل هذا الاحتفال الصاخب ، وعند اكتمال خطيته ، جاء هذا الإعلان الغريب والغامض لمصيره المحتوم . فقد ظهرت على الحائط تلك الكتابة الإلهية معلنة نهايته ونهاية مملكته . وإذ كانت يد رجل غير منظور تخط الرسالة على الحائط ، أصيب المعربدون بالذعر وارتعدت فرائص الملك .وطلب فى يأس تفسيراً للرسالة التى حملت إليه . وقد عجز الحكماء ، كما حدث فى أيام أبيه ، على تفسير معنى الكتابة (انظر خر ٣٢ : ١٦ ، تث ١٠ : ٤ ، يو ٨ : ٦ - ١١) .

وقد تم استدعاء دانيال ، الذى لم يكن حاضراً تلك الوليمة الدنسة ولذلك لم يعرف ماذا حدث ، وقد استطاع بإرشاد الله أن يفسر الرسالة الغامضة . ولأن دانيال كان مليئاً بالكرامة والولاء البطولى لله ، فقد رفض عطايا الملك ثم اتهمه بارتكاب ذنب عظيم . يقول دكتور كامبل مورجان : «لقد أعلن دانيال أن الله متسلط على مملكة الناس ، وفسر الكتابة بأنها تدل على علم الله التام بأحوال المملكة ، وعلى قراره بأن ينهيها ويقسِّم المملكة بين مادى وفارس» ، وأكرم بيلشاصر دانيال بجعله حاكماً ثالثاً للمملكة ، وهذا يعنى حرفياً أنه اشترك مع نبونيدس وإبنه بيلشاصر فى حكم الامبراطورية . وعبارة «الكتابة على الحائط» قد أصبحت عبارة تطلق على أى نذير بكارثة محدقة أو خراب قادم .

معجزة جب الأسود (٦)

بسبب تفوق دانيال فى النواحى الإدارية على كل الوزراء والمرازبة ، فكر داريوس أن يولى دانيال على كل المملكة . هذا التفوق المقترح لدانيال كان طبيعياً أن يثير الحقد بين الرؤساء والمرازبة الآخرين ، والذين فكروا بمكر فى خطة لسقوط دانيال وموته . وقد اتهم هؤلاء الحكام الفرس دانيال بالتمرد ضد داريوس ، تماماً كما سلم اليهود يسوع لبيلاطس حسداً . فالحسد يبحث عن فرص للاتهامات الزائفة (أم ٢٧ : ٤) . لقد عرف أعداء دانيال أنهم لا يستطيعون أن يجدوا علة ضد شخص أمين واثق فى علاقته بالله .ولذلك فقد حرضوا الملك داريوس أن يوقع على مرسوم أنه لا يصح لأى إنسان أن يطلب طلبة من إله أو إنسان سوى من الملك .

ومثل هذا التحريض الخبيث كان يقصد منه إذلالة الحاكم الضعيف والخليع وأن يوقعوا بينه وبين دانيال . ومع ذلك فلم يتزحزح دانيال قيد أنملة عن ولائه لله . ومع أن أعداء دانيال كانوا يعرفون جيداً عادة دانيال أنه يصلى، إلا أنه على الرغم من ذلك ترك نوافذه مفتوحة نحو أورشليم . ولم يستطع التهديد بالموت أن يعوقه عن الاستمرار فى أداء العبادة فى مواقيتها المعتادة . ولما لم يستطع داريوس أن يتجنب المرسوم الذى تمت صياغته من قِبل مستشاريه

المهرة ، ألقى بدانيال كارهاً فى جب الأسود . ومع أنه نجا من أتون النار، فقد بدا أن موتاً مخيفاً مماثلاً كان ينتظره . ولكن دانيال كان على استعداد أن يضيع حياته ، وبإضاعتها ، فإنه سوف يجدها .

وأمامنا هنا بالفعل ثلاث معجزات . أولاً ، كانت هناك الليلة التى طار النوم فيها من عينى الملك الذى ذهب إلى قصره بعد إلقاء دانيال فى الجب لينام ، وقد ساهم ضميره الذى كان يؤنبه فى حجب النوم عن عينيه . والله الذى يعطى النوم أو يمنعه أقلق الملك لإلقائه مساعده الرئيسى الذى كان بمثابة ذراعه الأيمن فى جب الأسود .وقد ظهر تقدير الملك لدانيال فى تلك الليلة التى مضت بلا طعام أو نوم . وفى وقت مبكر فى صباح اليوم التالى أسرع الملك إلى موضع تنفيذ الحكم ، وفى نبرات تعكس مقدار القلق الشديد نادى على دانيال ليعرف إن كان الإله الذى وثق فيه قد أنقذه من الأسود أم لا . وكم كانت دهشة الملك وارتياحه أيضاً عندما سمع صوت دانيال هادئاً يعلن أن الله قد أرسل ملاكاً ليبقى على حياته !

والمعجزة الثانية ترى فى حقيقة أن دانيال ظل على قيد الحياة دون أن يمسه ضرر من الأسود ، فعن طريق تدخل معجزى لم تستطع الأسود ان تتصرف تلقائياً وفقاً لطبيعتها . وحيث أن هناك ناموساً لمملكة الحيوان مفاده أن الوحوش التى من نفس النوع تمتلك دائماً نفس الغرائز ، فلابد أنه كان هناك ناموس أعلى هو الذى ساد ومنع سريان الناموس المعتاد فى الجب (مر ١ : ١٣).فالإله الذى خلق الأسود كان قادراً على إبطال مفعول وحشيتها وقتياً. فالأسد ملك الحيوانات ، يلتمس من الله طعامه ولا يعصى خالقه أبداً (مز ١٠٤ : ٢١ ، ١ مل ١٣ : ٢٤ - ٢٨، ٢٠ : ٣٦) . ونفس الإله القدير قادر على إنقاذ الذين له من أسد آخر يجول ملتمساً من يبتلعه (١ بط ٥ : ٨) . فدانيال المكرم والمبجل والذى حصل على مركز سام فى امبراطوريتى بابل وفارس ، رجل الدولة الممتاز الذى أكرم الله ، قد كرمته الأسود . لقد قيل إنه كانت لدى دانيال شجاعة لم تستطع الأسود أن تنال منها !

والمعجزة الثالثة لا تقل عن المعجزتين السابقتين روعة ، لأن سيادة الله على كل الملوك والرياسات الأرضية لم تستعلن فقط فى إنقاذ الله لعبده الأمين بل فى القضاء على أعدائه أيضاً . لقد شعر داريوس بفرح عظيم عندما سمع صوت دانيال وأدرك أن الله قد تدخل بصورة معجزية وحفظ خادمه . لقد خرج دانيال من جب الأسود سالماً معافى وهادئاً ، وقد أمر الملك أن يلقى بكل من اشتكوا على دانيال مع زوجاتهم وأولادهم إلى جب الأسود الذى خلا لتوه من دانيال . وقد لقوا جزاءهم فى الحال . فشهية الأسود التى كانت قد كبحت بتدخل إلهى قد استعيدت ، ورجعت للأسود غريزتها الطبيعية فى القتل وسفك الدماء، فالتهمت أعداء دانيال .

وبسبب هذه المعجزات أصدر داريوس أمراً أن الإله الذى أنقذ دانيال هو الإله الوحيد القادر على عمل الآيات والعجائب فى السموات وفى الأرض .فقد كان دانيال وسط الأسود ولكن الله نجاه ولذلك فهو الإله الذى يجب أن يُعبد كالإله الحى القيوم .

قبل أن نترك موضوع المعجزات فى سفر دانيال ، قد تكون هناك كلمة مناسبة بخصوص العلاقة بين الصلاة والإيمان والمعجزات . كان دانيال رجلاً مشغولاً ومثقلاً بأعباء جسام ، ومع ذلك لم تمنعه مشاغله عن الصلاة ، وقد أكرم الله صلواته المؤمنة . فى عب ١١ : ٣٣ ، تنسب معجزة إنقاذ دانيال لإيمانه « الذين بالإيمان .. سدُّوا أفواه أسود ». ومع ذلك فقد أخبر دانيال داريوس أن الله قد أرسل ملاكه فسدَّ أفواه الأسود . وليس هناك تعارض فى ذلك ، فالإيمان جعل الله يجرى معجزات لصالح دانيال . عندما طلب دانيال وقتاً لتفسير حلم نبوخذ نصر ، صلى دانيال ثم ذهب لينام . لقد ترك الأمر بين يدى الله، وكان

ذلك كافياً . وعندما علم دانيال أن السبعين سنة من السبى كانت على وشك الانتهاء ، وجّه وجهه ليطلب بالصلاة إتمام الوعود الإلهية (٩ : ٢ و٣) . « فالصلاة نفسها جزء من معجزة عظيمة تتضمن ممارسة رائعة لقوة الله » .وإذا درسنا صلوات الكتاب المقدس العظمى سوف نجد أنه عندما يسكب عبيد الله قلوبهم فى التضرع وتقديم الطلبات ، كان روح الله يحركهم ويعمل فيهم ، وهو الذى يشفع فيهم (رو ٨ : ٢٦ و ٢٧) .

ظهور المعجزات

حيث أن هناك إشارات متكررة فى سفر دانيال للأحلام والرؤى وظهور الملائكة ، فتلزم هنا كلمة موجزة فيما يختص بهذا الميدان من ميادين المعجزات . ويمكن للقارئ أن يجد فائدة كبرى فى بحث المواضع التالية فى الكتاب المقدس .

١ - « حلم نبوخذ نصر أحلاماً » (٢ : ١) ، وفى العدد الثالث تذكر الكلمة فى المفرد « حلماً » ، مما يوحى بأن الحلم الواحد كان يتكون من عدة أجزاء ، حيث أن صيغة الجمع موجودة فى العدد الأول . يقول دكتور ف.أ تاتفورد (F.A. Tatford) إنه فى «عصر الخرافات ، كانت الأحلام والأشباح تعتبر دائماً ذات دلالات ، ولذلك فقد كانوا يعلقون أهمية كبرى على تفسير مغزاها ، وكون الله يتكلم إلى الأفراد عن طريق الأحلام قريب جداً من أقوال الكتاب المقدس (عد ١٢ : ٦ ، أى ٣٣ : ١٥و ١٦ ، يؤ ٢ : ٢٨) »، ومع أن نبوخذ نصر كان ملكاً وثنياً إلا أنه تلقى إعلانين إلهيين فى الأحلام ، وقد عجز عرافوه عن تفسير حلم الملك لأنه لم يكن قادراً على تذكر الحلم . لقد كان الانطباع الذى خلفه باقياً ، ولكن تفاصيله لم تعد فى الذاكرة .

٢ - « حينئذ لدانيال كشف السر فى رؤيا الليل » (١٩:٢) ، فقد أعطى لدانيال الحلم وتفسيره من الله ، ليس فى حلم ولكن فى رؤيا (عـد ١٢ : ٦) ، ولكن الكتاب لا يذكر كيف كشف هذا السر (٢ : ٢٨) ، ولكن هذه الرؤيا قد عرفها دانيال وهو يشكر ويحمد الله لأجل قدرته بعبارات تعتبر فى الواقع أشبه ما يكون بمزمور رائع .

٣ - « رأيت حلماً فروّعنى » (٤:٥). هذا الحلم المفزع جاء للملك وسط مسراته ومباهجه فى قصره ، ولم يستطع منجموه وعرافوه مرة أخرى أن يفسروا الحلم . واعتراف نبوخذ نصر بقوة الله على إجراء المعجزات يتضح فى صيحته «آياته ما أعظمها وعجائبه ما أقواها»(٤ : ٣) . لقد فسر دانيال الحلم بإلهام من روح الله (٤ : ٨ و ١٨ ، ٥ : ١١) بأن قلب الملك سوف يتغير عن الإنسانية ويعطى قلب حيوان ، وقد حدث هذا التغيير وحدثت تلك المأساة بعد ذلك بسنة واحدة .

٤ - « الساهرين ... القدوسين » (٤ : ١٧) أولئك الذين سوف ينفذون الأمر كانوا كائنات سماوية ، وهم الملائكة الذين كما يقول بوسى (Pusey) « يتوقون لتوقف الظلم ، ويشتركون فى الصراخ الصاعد دائماً وأبداً من المظلومين إلى عرش الرحمة والدينونة ، ويصلون حتى يعمل هذا العقاب على التخفيف من آلام المضطهدين وتجديد قلوب المضطهدين » .

٥ - «رأى دانيال حلماً ورؤى رأسه على فراشه » (٧:١) . هذه الرؤى الإلهية بتفسيراتها والتى يبدأ بها النصف الثانى من سفر دانيال قد أعطيت له خلال حكم ثلاثة ملوك وهى تلقى بنور النبوة على كل فترة . والرؤيا الأخيرة الخاصة بقديسى العلى قد أفزعت دانيال كثيراً ، ولكنه حفظها فى قلبه . إن عمل « الأربع رياح » و «الأربعة وحوش» يكشف أن كل القوى السماوية والأرضية تحت سلطان الله ولا تعمل إلا بناء على مشيئته .

٦ - « القديم الأيام .. ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه » (٧ : ٩ - ١٢) . فى رؤيا وضع العروش ، ظهر مجد ذاك الذى غلب الوحوش والذى له السيادة والمجد والملكوت . «القديم » كلمة تطلق على الله للتعبير عن جلاله كقاض عادل (مز ٥٠ : ١٩، تث ٢٧:٣٣) و«الشعر الذى كالصوف »دليل على طهارته وعدله ، « لهيب نار » يدل على بر الله المؤدى للتأديب والعقاب ، « البكرات » حضوره كإله ذى قدرة غير محدودة . وكل أسلوب هذه الرؤيا يعبر عن الله كلى القوة والعالم بكل شئ ، وأن ألوفاً وربوات تخدمه وتنفذ أوامره . لقد أعطى دانيال رؤيا عن ملك المسيح الألفى وحكمه (٧ : ١٣ و ١٤) ، لأن « القديم الأيام » هو «ابن الإنسان» .

٧ - « ظهرت لى أنا دانيال رؤيا »(٨:١و٢) . هذه الرؤيا الأخرى التى أتت لدانيال فى السنة الثالثة من حكم الملك بيلشاصر كانت مكملة للرؤيا المقدمة فى الأصحاح السابق ، وتقدم تفاصيل عديدة بخصوص الامبراطوريتين الثانية والثالثة اللتين لم تذكرا من قبل .

٨ - « وسمعت صوت إنسان .. جبرائيل »(٨ : ١٦، ٩ : ٢١ ، لو ١ : ١٩ و ٢٦) . بطريقة غامضة ، إما الله أو كائن سامٍ ، كائن ملائكى اتخذ صورة إنسان وصوت بشر . هذه أول مرة فى الكتاب المقدس نسمع عن اسم ملاك . ومن الثابت أن مهمة جبرائيل كانت أن يقف فى محضر الله ويتصرف كرسوله فى مناسبات خاصة . لقد غاب دانيال عن الوعى عند سماعه صوت ورسالة جبرائيل ولكنه عاد للوعى عندما لمسه الملاك . إن السبات أحد علامات الرؤى السماوية لأولئك الذين رأوها (٨ : ١٨ ، تك ١٦ : ١٣ ، خر ٣٣ : ٢٠) . لقد فهم دانيال وحده الرؤيا . عندما يقترب وقت إتمامها ، يمكن حينئذ أن تفهم (٨ : ٢٦ و ٢٧) .

٩ - « فإذا برجل ... فرأيت أنا دانيال الرؤيا وحدى » (١٠ : ٥ - ٢٠). عندما نقارن ظهور هذا الشخص المهيب الطلعة ، الذى يختلف عن جبرائيل (٩ : ٢١) وعن ميخائيل (٢١:١٠) ، برؤيا يوحنا (رؤ ١) ، فلا شك أن هذا الشخص المجيد الذى ظهر لدانيال بجوار النهر العظيم كان هو الرب يسوع نفسه. وهنا نجد واحداً من ظهوراته فى العهد القديم . إن مثل هذه الرؤيا المشرقة فعلت بدانيال كما فعلت بيوحنا (رؤ ١ : ١٧) إذ جعلته ضعيفاً بلا قوة ومع ذلك فقد ملأته بإحساس غامر بالرهبة . ولما كان دانيال منبطحاً على الأرض فى التراب ، شعر بلمسة هذا الشخص المجيد الذى أخبر النبى بتاريخ شعبه فى الأيام الأخيرة . لكامبل مورجان تعليق رائع فى هذا الصدد :

« هناك عنصر غامض يثير الدهشة فيما يتعلق بهذه القصة عن هذا الشخص المجيد الذى يتحدث مع ملوك فارس ، لكونه يحارب الرياسات ، وله السيادة على ممالك الأرض ، ولكون الرئيس ميخائيل يساعده والذى هو بلا شك ذو طبيعة روحية وليس كياناً مادياً » .

إن ميخائيل « واحد من الرؤساء » (١٠ : ١٣ ، ١٢ : ١ و ٥) ، وفى الهامش يقول : « أول الرؤساء »، ويتحدث عنه دانيال بعبارة «الرئيس العظيم »(١٢ :١) ، ويهوذا (٩) يقول عنه إنه « رئيس الملائكة ». هناك ملاكان صالحان فقط مذكوران فى الكتاب المقدس ، جبرائيل وميخائيل . وهذان الرئيسان للعالم غير المنظور يبدو أنهما يتقاسما معاً حكومات هذا العالم وكحارسين لشعب الله . وميخائيل هو الرئيس الملائكى المختص بإسرائيل (انظر أيضاً يهوذا ٩ ورؤ ١٢ : ٧) . يقول بعض الكتّاب إن ميخائيل هو « ملاك الرب ».إن معرفتنا بحقيقة القوى غير المنظورة التى تؤثر على الأمم قليلة جداً. ويقوم جيش من الملائكة بتنفيذ أغراض الله فى العالم الطبيعى (خر ١٢ : ٣٣) والعالم الأخلاقى (لو

١٠:١٥) ، والعالم السياسي . ويعتبر ميخائيل بمثابة البطل والمدافع الروحي عن إسرائيل (١٠ : ١٣) . وقد سمع دانيال الرجل «اللابس كتاناً» يقسم بلغة غامضة بأن كل ما أعلن سوف يتحقق .

***معجزة القيامة* (٢:١٢)**

كون العهد القديم والعهد الجديد هما شيء واحد ، نراه في هذه الرؤيا المستقبلية لقيامة فريقين مختلفين (مت ٢٥ : ٤٦ ، يو ٥ : ٢٩) . هنا نرى المستقبل الأبدي لجميع النفوس . والكتاب المقدس لا ينادي بقيامة عامة. فهناك قيامة الموتى الراقدين في المسيح إلى الحياة الأبدية (١ تس ٤ : ١٦) وقيامة الموتى الأشرار للازدراء الأبدي (رؤ ٢٠ : ١١ - ١٥). ليتنا نحصل على الحكمة لنرد كثيرين إلى البر حتى يهربوا من العار الأبدي والندم !

٢ - الأنبياء الاثنى عشر الصغار

على الرغم من أن المعجزات الوحيدة التي تمت في هذه الأسفار النبوية الاثنى عشر قاصرة على سفر يونان ، إلا أن كلاً من الأسفار الأخرى يضيف لإعلان الكتاب المقدس عن قدرة الله « له يشهد جميع الأنبياء » (أع ١٠ : ٤٣) . إن ربنا قد « ابتدأ من جميع الأنبياء يفسر .. الأمور المختصة به » (لو ٢٤ : ٢٧ و ٤٤) . وكما سنرى ، فقد قدمت الشهادة ليس فقط لعمله الفدائي ومجيئه ليملك ، بل أيضاً لقوته كخالق (كو ١ : ١٦) .

إن أهمية هذا الجزء الأخير من العهد القديم يرجع لكونه نبوياً ، ولذلك فهو يقدم برهاناً مباشراً على السلطان الإلهي للكتاب المقدس وأنه من الله . فالنبوة لا تثبت فقط أن الكتاب المقدس هو كلمة الله المعصومة من الخطأ ولكنها دليل أيضاً على صحة المعجزات . يقول الأسقف : (هورسلي Horsley) في هذا الصدد :

« إن الدليل على صحة النبوة يتمثل في هاتين الخاصيتين ، إن أحداثاً قد تم التنبؤ بها وهي لا تدخل في نطاق البصيرة والحكمة البشرية . وأن النبوات قد تحققت، وهذا الإتمام لا يدخل في نطاق القوة أو الحيلة البشرية ، ولذلك فالنبوة لم يكن مصدرها الحكمة البشرية ، والحدث لم يكن بفضل إرادة الإنسان وتخطيطه . ولذلك فصلاح الخطة ، وتعقيد الوسيلة يكمل البرهان على أن كل شئ من الله » .

هوشع

كان هوشع معاصراً لإشعياء وتنبأ للعشرة أسباط على وجه التحديد تقريباً . وهو يخاطبهم تحت مسمى السامرة التي كانت عاصمة لمملكتهم ، وأيضاً تحت مسمى أفرايم الذي كان من أشهر الأسباط العشرة والذي كان ينتمي إليه يربعام الثاني ملكهم . بدأ هوشع خدمته في مدة حكم يربعام الثاني وقت الرخاء الاقتصادي ، وعندما كان الفساد مستشرياً مما أدى لدمار الأمة . وقد عمل جاهداً لأكثر من ستين عاماً دون تحقيق نجاح يذكر . وقد عاش على الأرجح ليرى تحقق تهديداته المرعبة بسبي الأسباط العشرة . يقول (نيكولس Nicholls) عن هوشع إنه «كان سراجاً منيراً وسط ظلمة جيل خاطئ وعاص ، متمسك بأمانته إلى أقصى حد برغم أقسى الظروف التي تبعث على اليأس من حوله» ، وبرغم كل ما يحيط به ، فإن إشاراته للمعجزات لها وقع بالغ الأثر ، فهوشع يكثر من الأدلة على تدبير الله المعجزي وصبره نحو شعبه الخاطئ .

« **معجزات الديونة الإلهية** » (٢ : ٦ - ٢٣ ، ٩ : ١٤ - ١٧ ، ١٣ : ٧ و ٨) .

« **معجزة الرحمة الإلهية** » (٣ : ١ - ٣ ، ١٤ : ٤ - ٩) .

سيادة الله ترى في قدرته على أن يجعل شعباً ليس شعبه يعترف قائلاً : «أنت إلهي » ، وبالنسبة لهوشع نفسه فالله هو العلي (٧ : ١٦) . لقد نسيت إسرائيل الله أنه

ربه وصانعه (٨ : ١٤) ، ومع ذلك فالنعمة الغافرة من نصيبه .

« **معجزة الإنقاذ والحفظ الإلهى** » (١٣: ٤، ١٤: ١) .

لقد أمر الشعب ألا ينسى الرب إلههم ، الذى لم يخلقهم فقط ، بل حفظهم واعتنى بهم بصورة معجزية منذ أيام تواجدهم فى مصر فى أرض العبودية .

« **معجزة الانتصار على الموت** » (١٣ : ١٤) .

إن هذا الانبثاق المفاجئ للرجاء وفقاً لإعلان إشعياء أن الموت سوف يبتلع إلى غلبة (٢٥ : ٨) ، قد حدا ببولس أن يكتب أنشودة الحمد لانتصار الله النهائى على المـــوت (١كو ١٥ : ٥٤ – ٥٧) .

يوئيل

إن يوئيل الذى وجه نبواته ليهوذا قد وصف بأنه « نبى الروح القدس » كما أن أشعياء هو بحق « نبى المسيا » ويقدم يوئيل بقوة ملفتة للنظر أحكام القضاء الرهيب ضد شعب يهوذا ويحثهم على التوبة مع الصوم والصلاة ، ويعد بوقوف الله إلى جانب المطيعين .

***معجزة ضربة الجراد* (١: ١٥ – ٢٠)**

إذ نتأمل فى إظهار قوة الله للأمم ، ندرك مدى دقة تعليق دكتور تاتفورد الذى يقول : « إن التدخل الإلهى فى الأحوال الأرضية ليس متباعداً حسبما يستنتج أحياناً وخيوط القوة لا تزال متجمعة فى يدى الحاكم المطلق للكون » .

« **معجزة الديتونة الأخيرة** » (٢ : ١ – ١١ ، ٣ : ١ – ١٦ ، رؤ ١٦ : ١٤) .

« **معجزة الإنقاذ** » (٢ : ١٨ – ٢٧) .

« **معجزة إنسكاب الروح القدس** » (٢ : ٢٨ – ٣٢ ، أع ٢ : ١٧ و ٢١) .

« **معجزة المجئ الثانى** » (٢ : ٣٠ – ٣٢) .

عاموس

على الرغم من أن عاموس كراع للغنم وجامع لأثمار الجميز لم يتلق تعليماً منتظماً فى مدرسة الأنبياء ، ومع ذلك ، فقد دعى بالروح لينطق بأحكام خطيرة ضد الأسباط العشرة وضد يهوذا وضد الممالك المجاورة لفلسطين . فالله الذى يختار عبيده من خيام الرعاة كما من قصور الملوك، يعرف كيف يؤهلهم للخدمة التى يدعوهم لها (١كو ١ : ٢٧ و ٢٩) « فلا يوجد أنبياء آخرون قد وصفوا الله بصورة أكثر روعة وبهاء ، أو وبخوا المترفين أو أدانوا الظلم والطغيان بطريقة أكثر عنفاً عداه » .

إن عبارات مثل « الرب يزمجر » (١:٢) و « أرسل ناراً » (١ : ٤ و ٧ و ١٠ ، ١٤ ، ٢ : ١ و ٥) و « لا أرجع عنه (العقاب) » (١ : ٣ و ٩ و ١١ و ١٣ ، ٢ : ١ و ٤ و ٦) ، و « أرد يدى على عقرون » (١ : ٨ ، ٢ : ٣) ، و « وأكسر مغلاق دمشق » (١ : ٥) ، كلها تؤكد أن الله هو المسيطر على مصائر الشعوب ، وله حق محاكمتهم بأى طريقة يراها مناسبة . وبسبب سلطانه فهو يستطيع أن يبيد ثمارهم من فوق وأصولهم من تحت (٢ : ٩ ، ٦ : ١٤ ، ٩ : ١ – ١٢) .

« **معجزة رحلة البرية** » (٢ : ١٠) .

« **معجزة الإعلان الإلهى** » (٣ : ٧) .

« معجزة الخليقة والسيطرة على قوى الطبيعة » (٤ : ٦ – ١٣ ، ٥ : ٨ ، ٧ : ١ و ٢ ، ٨ : ٩ – ١١ ، ٩ : ١٣ – ١٥) .

عوبديا

إن عوبديا الذى أعلن نبوته الموجزة الجادة بعد دمار أورشليم مباشرة على يد نبوخذ نصر ، هاجم نسل عيسو وتنبأ بدينونتهم على الرغم من كبريائهم وعظمتهم الكاذبة.

وحيث أن الله يكره الكبرياء فله طريقته الخاصة فى إذلال أولئك الذين يخدعهم كبرياء قلوبهم (٢ -٤). ولأن الله كلى القدرة فالملك سيكون للرب (٢١) .

يونان

ليس هناك سبب يدعونا للشك فى أن يونان نفسه هو الذى كتب السفر الذى يحمل اسمه . ولا يمكن إنكار صحته . فكلما درس المرء هذه التحفة الفنية ، ازداد اقتناعاً أن الأحداث قد حدثت كما دونت . فلا أحد سوى يونان بإمكانه أن يكتب أو يملى السفر ، لأنه يحوى تفاصيل غريبة جداً لا يمكن أن يعرفها أحد سواه . وصراحة الكاتب والأسلوب المعبر للسفر ينسجم تماماً مع شخصية يونان الوطيدة العزم كما نراها على صفحات السفر . وحيث أن يونان كان من بين أقدم الأنبياء الذين كتبوا، فليس من الصعب أن نقبله كالكاتب «لأجمل قصة كتبت».

ويرفض المعاصرون فكرة أن يونان هو كاتب السفر الذى يحمل اسمه ، ويؤكدون أنه نتاج مصادر مختلفة وأنه هناك شك فى حقيقة أن يونان كان شخصاً تاريخياً ، وهذا يلقى بظلال الشك على قول يسوع بأنه تحدث عن يونان كشخص قد عاش حقيقة . لقد جرت العادة فى دوائر المثقفين على معاملة سفر يونان كقصة خيالية أو كبطل أسطورى ، وأن سفره ما هو إلا قصة رمزية « كتاباً عبرياً لا يحمل اسماً »، ولكن شهادة يسوع تثبت أن يونان كان شخصية تاريخية وأنه قام بدور نبوى ومعجزى ، فيسوع لم يعتبر يونان شخصية خيالية ، وقد اعتبر قصته حدثاً تاريخياً وليس مجازاً (مت ١٢ : ٣٩ - ٤١) .

كل ما نعرفه عن يونان موجود فى سفره ، وفى فقرة أخرى يذكر أنه ابن أمتّاى من جت حافر(٢ مل ١٤:٢٥). والتقليد اليهودى يقول إن هذا الجليلى كان ابن أرملة صرفة ، الذى أقامه إيليا من الأموات ، ويونان نفسه كان نبياً من مملكة الشمال فى إسرائيل ، ومعاصراً لهوشع وعاموس . والعبارة الافتتاحية للسفر والتى تقول: « وصار قول الرب إلى يونان » هى نفس العبارة التى تقدم نبوات إرميا وهوشع ويوئيل وميخا وصفنيا ، وتدمغ السفر بأنه « وحى من الله »، ولذلك فهو يختلف عن الكتب الأدبية الأخرى .

أما عن تفسير سفر يونان ، فهناك أولئك ، كما اقترحنا من قبل ، الذين يعتبرونه « أسطورة » قصة خيالية اتخذت طريقها إلى أسفار العهد القديم . ويتعامل معه آخرون باعتباره سفراً «مجازياً»- كتاباً كتب على شكل قصة لها هدف أخلاقى يهدف إلى معالجة الاتجاه العنصرى لليهود الذين يعتبرون الله إلهاً لهم وحدهم .

وإنى شخصياً أقبل وجهة النظر التقليدية بخصوص السفر والتى تؤكد أن يونان كان شخصاً حقيقياً وأن الأحداث المتعلقة به قد حدثت بالفعل . ونحن نجد فى السفر قصة مثيرة تحكى عن الاختبارات التى مر بها النبى .

إن العنصر المعجزى أو الخارق يميز السفر ككل . فنحن نادراً ما نجد كل هذا العدد من المعجزات فى فحوى قصة وجيزة كهذه . وأولئك الذين ينكرون احتمال المعجزات يقدمون عديداً من التفسيرات لوجود هذا السفر فى الكتاب المقدس . بالنسبة للفكر المسيحى ، فالتاريخ الحقيقى ليونان يستند على شهادة الرب لكون يونان شخصاً حقيقياً كان موته وقيامته علامة على موت يسوع وقيامته .

اما فيما يتعلق بموضوع السفر ، فهو لا يعلم فقط طبيعة وفاعلية التوبة - التوبة الفردية فى حالة يونان ، والتوبة القومية كما فى حالة نينوى . والسفر هو احتجاج أيضاً ضد الأفق الضيق لنبى إسرائيل فى إنكار العالم الأممى والنعمة وصلاح الله. فبالنسبة لليهود ، فالله هو إله إسرائيل ، وقد اشترك يونان فى عدم تسامح أمته وكان

بحاجة أن يتعلم أن رحمة الله تشمل جميع البشر والأمم . فلن ينبذ أحد من الله سوى بسبب الخطية . وهكذا ، فكما سنرى ، فالسفر إعلان بارز لسلطان الله . ومعجزاته تبرزه كالملك المسيطر على كل شئ .

والملاحظة التى أبداها (تشارلس ريد Charles Reade) على سفر يونان ، من أفضل الملاحظات التى قيلت فى هذا الصدد :

« *إن سفر يونان أجمل قصة كتبت فى مثل هذا الحيز الضيق . ففى مجال الكتابة يعتبر الإيجاز أفضل شئ ، فالإطناب والثرثرة لها ميدان آخر ، ولكن القصة الموجزة تعيش إلى الأبد . ويشتمل سفر يونان على ٤٨ عدداً أو ١٣٢٨ كلمة .*

فى اللغة الإنجليزية خذ مثلاً أفضل كتبنا الأدبية المعاصرة ، فما الذى يمكن أن تحمله لك ١٣٢٨ كلمة ؟ إنك لا يمكن أن تحصل على شئ سوى اللغو والثرثرة ، ولكن بالنسبة لسفر يونان فإنك تستمع لعدد كبير من الأحداث وكل الحوار المطلوب لتكملة مسيرة هذا العمل الضخم المتنوع ، وتجد أيضاً الشخصية المتحركة التى تنمو وليست الجامدة كما تطورت شخصية يونان ، وحبكة تصلح لكتابة عدة كتب ، ومع ذلك فهى قد رسمت بنجاح دون تسرع فى ١٣٢٨ كلمة .

فى سفر يونان أمامنا التناسب الصحيح بين الحوار والقصة ».

معجزة العاصفة (١ : ١ - ١٦)

يفتتح السفر بعصيان يونان فى رفضه لأمر الله بالذهاب إلى نينوى وإعلان مصيرها . لقد صمم يونان على العصيان، ولأن هذا العصيان كان متعمداً وإرادياً ، فقد « هرب إلى ترشيش من وجه الرب » ، فبدلاً من طاعة الأمر غير المحبب إلى قلبه ، فقد كره مهمته كنبى وقدم سبباً لهروبه (٤ : ٢ ، تث ١٠ : ٦) . ولعلمه أن الله كثير الرحمة ، فقد توقع أن الله سوف لا يهلك نينوى عند توبتها . ولذلك ، فهو لا يمكن أن يكون رسول رحمة لأولئك الناس الذين حاربوا شعبه .

لقد هرب يونان إذن ، ليس لأنه جبان بل لأنه علم أن الله سوف يرحم نينوى . ما كان يريده هو المزيد من العطف والرحمة لإسرائيل وإمهالها ، ولكن الدينونة السريعة والقضاء الكاسح لنينوى . لقد كانت شخصية الوطنى فيه أقوى من شخصية النبى .

ولفترة قصيرة من الزمن بدا أن كل شئ يسير وفق الخطة التى رسمها يونان ، فبعد أن وصل يونان ليافا وجد سفينة على وشك الإبحار إلى ترشيش ، وبعد أن دفع الأجرة قُبل كراكب . فالخدام الهاربون يمكنهم أن يجدوا سفينة مناسبة ويسيئون فهم المقاصد الإلهية عندما يكون الفكر مصمماً على العصيان . لا شك أن يونان اعتبر تدبير السفينة موافقة إلهية على خط سيره تماماً كما يعتبر المرتد الظروف المواتية كعذر أو مبرر لارتكاب الخطية . ولكن العقاب على عصيان النبى ، جاء فى العاصفة ونتائجها المريعة .

بمجرد أن صمم يونان على بذل الجهد الذى ظنه ناجحاً ، قبض الله على خادمه الهارب بعقابه عن طريق عاصفة مفاجئة هوجاء . لقد ضرب السفينة إعصار مدمر . والقصة لا تقول إنه هبت ريح شديدة بل « أرسل الرب ريحاً شديدة إلى البحر فحدث نوء عظيم ». إن مثل هذه العاصفة الشديدة لا تنسب لعناصر الطبيعة ولكن لتدخل الله المباشر من إله الطبيعة ، فهى تنسب له الذى هو فوق الكل والمتحكم فى كل شئ . فواهب النواميس الكونية نراه هنا وهو يتحكم فى نواميسه (مز ١٠٧ : ٢٣ - ٣١). صحيح أن الرياح والبحر جميعاً تطيعه (مت ٨ : ٢٧) .

إن نزاع الله مع خادمه ، والمعجزة التى أجريت ، قد أدت بكثيرين للتعرض لخطر الموت لأن العاصفة التى

أرسلها الله لم تتعقب وتعاقب يونان فقط ، ولكنها جلبت الكارثة على الآخرين فى السفينة . وسلوك البحارة الوثنيين ، برغم ذلك ، يقف على طرفى نقيض من سلوك النبى الضال . لقد استعاذوا بآلهتهم وبذلوا كل جهد ممكن لإنقاذ السفينة التى هاجمتها العاصفة . كان يونان فى حالة مزاجية سيئة ، يائساً ، ومنهكاً بسبب الصراع الفكرى والتعب الجسدى، وكان لابد من إيقاظه من النوم العميق لليقظة والصلاة بتوبيخ من رئيس النوتية الوثنى . لقد عبر عن سخطه ودهشته للسلوك غير المقبول من يونان (١:٦).

لم يكن يونان فى مأساة أعظم مما كان فيها فى تلك اللحظة ، ومع ذلك فقد نام . « إن الضمير الهادئ ليس دائماً هو الضمير الصالح ». إن نوم ربنا وسط العاصفة يمثل حالة مشابهة ولكنهــا متناقضــة تماماً مع نوم يونـــــان (مر٤:٣٨) . توقفت عاصفة البحر المتوسط فجأة عندما تم إلقاء يونان فى البحر ، وتوقفت العاصفة فى بحر الجليل فوراً عندما استقبل التلاميذ يسوع فى السفينة.ومع أن البحارة كانوا وثنيين ، ففى وسط الخطر والحزن الذى سببتهما العاصفة المرسلة من الله ، اعترفوا بسلطان الله الذى يدير شئون العالم بعنايته ، والذى بين يديه مصير كل البشر وسلامتهم (١ : ٦). لقد صرخوا إلى آلهتهم ثم حثوا يونان على أن يصرخ لإلهه .

إن إلقاء القرعة وتحديد يونان كمسبب للعاصفة ، ثم اعترافه الكامل بكل شئ فيه درس بليغ . يقول (فيلو Philo) « يمكن أن نـــرى فى هذا المشهد محكمة مرعبة ! لأن السفينة كانت بمثابة المحكمة ، والقضاة هم البحارة ، والرياح تمثل الجلادين ، والسجين وراء القضبان هو يونان ، ودار الحجز والسجن هو الحوت ، والادعاء هو البحر الغاضب . »

بعد أن أدرك البحارة أن يونان كان يعبد العلى والإله القدير، وأنه لابد أن يعرف كيف يتوقف غضبه ، سألوه موبخين إياه : « لماذا فعلت هذا ؟ ». «ماذا نصنع بك ؟»، وقدم يونان نفسه للموت يائساً . لقد علم أن عصيانه كان يستحق العقاب . وسواء كان يتصور أن هناك أملاً فى حفظه سالماً وأنه فى ثقة قد اتكل على نعمة الله أم لا ، فهذا ما لا نستطيع أن نراه واضحاً . يقول كالڤن :

« يمضى يونان قدماً إلى حتفه لأنه يدرك وهو مقتنع تماماً أن صوت الله يناديه بطريقة ما ، ولذا فلا شك أنه يتحمل بصبر العقاب الذى جلبه الله عليه » .

عندما تم إلقاء يونان فى البحر المضطرب ، اختفى الخوف الغامض من قلوب البحارة ، واعترفوا بإله يونان كالرب ونذروا له نذوراً . لقد اتضح لهم أن كل شئ مرتب من قبل الله ،لأن البحر كفّ عن هيجانه وتم إنقاذ السفينة. لقد تعرف رجال السفينة على يد الله فى الهدوء العظيم واختبروا السلام العقلى مرة أخرى .

معجزة الحوت : (١:١٧-٢)

بعد أن ألقى البحارة بيونان فى البحر بناء على طلبه ، ابتلعه حوت أعده الله كمقبرة لنبيه العاصى والذى أصبح تائباً الآن . وكلمة (أعد) تعنى «عيّن» أو «خصص» ، وهى نفس الكلمة وفى نفس الزمن المستخدم لليقطينة والدودة والريح الشرقية(٤ : ٦ - ٨). والكلمة مترجمة (عــيّن) فى (أى ٧ : ٣) ، (دا ١ : ٥ و ١٠) و (ولّى) فى (دا ١ : ١١) . يعلق (بيروين Perowne) قائلاً إن كلمة (أعد) لا تعنى بالضرورة أى إعداد سابق أو تجهيز خاص ، ولا «خلق» هذه الوسائل المختلفة للغرض الذى أعدت له ، ولكنها تعنى ببساطة أن هذه الأشياء قد عينت من قبل الله الذى «يخضع له كل شئ» . لقد أرسل الله الحوت هناك لينفذ أمره . إن ساكنى البحر خاضعون لسلطانه تماماً كالمخلوقات الأخرى التى خلقها .

يقول (كالش Kalisch) « بتوجيه مباشر من الله كان (كل شئ) مرتباً حتى إنه فى نفس اللحظة التى ألقى

فيها بيونان للأمواج ، كان الحوت ينتظره فى نفس المكان ليبتلعه : لقد كلف الله الحوت ليقوم بهذه المهمة ، كما « كلمه » أو أمره (٢ : ١٠) أن « يقذف بيونان إلى البر ». هذا هو نفس الإله الذى أعد قبر الرجل الغنى الذى تنبأ إشعياء أن يسوع سوف يدفن فيه (٥٣ : ٩) . لقد كلم الله الحوت ، وصوت الله جعل القبر أن ينفتح .

وإنى أعتقد شخصياً أن العنصر المعجزى فى هذه العملية لم يكن فى حفظ يونان حياً ، وفى وعى كامل لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال فى سجن حى ، ولكن فى قيامته بعد موته . ونحن لا نشك لحظة أنه عن طريق عمل الله القدير ، أن الحوت لم يستطع الاحتفاظ بيونان حياً وبصحة جيدة فى بطنه للمدة المذكورة . ومقارنة ما جاء فى مت ١٢ : ٤٠ ، ١٦ : ٤ بما جاء فى ١ كو ١٥ : ٤ تبين أن مدة بقاء يونان فى بطن الحوت قد رتبت من قبل الله لتكون رمزاً لبقاء المسيح « فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال». وفى كلتا الحالتين كان هناك موت وقيامة .

يقول دكتور (هيو مارتن Hugh Martin) فى كتابه عن يونان :« بتدبير من الله مات يونان كعقاب من الله،ثم عادت له الحياة ثانية » ، كيف يمكن لإنسان أن يظل على قيد الحياة بصورة معجزية لمدة ثلاثة أيام فى قبره المليئ بالمياه ويصبح رمزاً مناسباً لشخص آخر مات ودفن لمدة ثلاثة أيام ؟ ألم يكن يونان الرمز المناسب لموت ربنا وقيامته والعلامة الوحيدة المقدمة لهذا الجيل ؟ كان من الممكن طبعاً أن تكون معجزة لو احتفظ يونان بقدراته لمدة ثلاثة أيام داخل الحوت ثم نجا دون أن يصيبه أذى فى عقله وجسمه ، ولكن مثل هذا الاحتفاظ ما كان يمكنه أن يكون رمزاً للموت الجسدى والقيامة .

ثم إن يونان صلى « من جوف الهاوية » (٢:٢) ، والمعنى الأساسى لكلمة « هاوية » (Sheol) هو مكان أجساد الراحلين (مز ١٨ : ٥) . لقد اعتبر يونان أن الحوت الكبير هو قبره ، والقبر ليس للأحياء بل للأموات . وكل صلاة النبى - لقد صلى على الأرجح قبل أن يفقد الوعى أو من الهاوية كما صلى الغنى (لو ١٦)- تتفق مع استنتاج أنه مات بالفعل . « أصعدت من الوهدة حياتى » (٢ : ٦) . وهذا مرادف للموت . قيل عن لعازر الذى مات لمدة أربعة أيام أنه قد « أنتن » ، ولكن قيل عن المسيح فقط إن جسده لم ير «فساداً» (مز ١٦ : ١٠) . فى نشيد يونان - « للرب الخلاص » (٢ : ٩) نجد أنه يحمد الرب للإنقاذ بمعناه الكامل ، ليس فقط من عصيانه بل من الموت الذى كان يستحقه .

ألا يؤثر خروجه حياً من بطن الحوت على أهل نينوى عندما نادى إليهم بالتوبة ؟ لقد قيل إن أهل فلورنسا كانوا ينظرون إلى دانتى عندما كان يجتاز فى شوارعهم برهبة وكانوا يهمسون لبعضهم البعض قائلين :« هذا هو الرجل الذى فحص الجحيم ». ولابد أن يونان خلق انطباعاً مماثلاً « فها هو نبى قد عاد من قبره الغريب ليبشر برسالة النعمة الإلهية ، وكما كان الرسل فعالين فى شهادتهم عندما كانوا يبشرون «بيسوع والقيامة»،فهكذا كان تبشير يونان مليئاً بالقوة كشخص مات وقام ثانية . إنه لم يحصل على غفران لخطاياه فقط ولكنه عاد للحياة ولمنصبه أيضاً. لقد تم تكليف يونان من جديد وهو الآن على استعداد للطاعة .

لقد نادى يونان بأقصر عظة انتعاشية قد سجلت حتى اليوم - تتكون من بضع كلمات فقط- وهى « بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى » .وشهد يونان معجزة أخرى وهى أن أهل المدينة لبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم . فأهل المدينة من الملك فنازلاً تابوا عن خطاياهم ورجعوا إلى الله، ومثل هذه التوبة القومية ، تعتبر فى حد ذاتها ، معجزة من معجزات النعمة . وكما أن رسالة يونان استمدت سلطانها على أهل نينوى من موته وقيامته . هكذا فقيامة المسيح كانت الدليل القوى على مسيانيته وقدرته على الخلاص .

وفى كلتا الحالتين ، كان الموت والقيامة بمثابة الباب الذى دخلت منه كلمة الله وانتقلت من اليهود إلى الأمم . وقد نقض كل من يونان ومن هو أعظم من يونان حائط السياج المتوسط (أف ٢ : ١٤ - انظر هو ٦:٢ للمدلول الرمزى لموت يونان) .

معجزة اليقطينة (٤ : ٦)

إن صفح الله تجاه نينوى بسبب توبتها لم يسر يونان ، الذى لم يكن حزنه بسبب غضب أنانى . لقد تضايق يونان واغتاظ بسبب عظم رحمة الله ، لأن توقع مثل هذه الرحمة هو الذى جعل يونان عازفاً عن القيام بالمهمة الإلهية الموكلة إليه . لقد كان يفضل العقاب على الرحمة . والآن فهو غاضب لإظهار الرحمة الإلهية ، وبعد أن رجع من المدينة ، انتظر إذا كان الله سوف ينتقم من أهل نينوى أم لا .

وبينما كان يستريح تحت مظلة وهو يراقب مصير نينوى ، أعد الله شجرة سريعة النمو لتغطى المكان الذى كان يستريح فيه يونان بظلها الظليل . وقد سميت هذه الشجرة Palma Christie أى كفة يد المسيح Palmchrist لأنها تشبه الكف الممدودة ، وتنمو بسرعة حتى تصل لحجم كبير فى المنطقة المجاورة لنهر دجلة . وعندما تكون الأحوال ملائمة ، فنموها السريع يجعلها ترتفع لتصل لحوالى ٨ أقدام فى خمسة أو ستة أشهر ، وفى حالتنا هذه ، كان النمو السريع للشجرة يتزايد بصورة معجزية . وكما يحدث فى معجزات أخرى ، فالله الكلى القدرة قد استخدم قوى الطبيعة وجعلها تعمل بصورة متزايدة لتدبير ظل لرأس يونان كوسيلة لإنقاذه من حزنه . وفى هذه الحالة ، فقد سبق الله المسار العادى للطبيعة .

وتحت الظل الممتد لليقطينة ، كان يونان فى حالة مزاجية سيئة ، وفى حالة من عدم الرضا والاكتئاب - وهو شعور حزين تفاقم بسبب شعوره بالإنهاك وانسحاق الروح وأيضاً بسبب سخونة الجو لأن مظلته لم تحجب عنه أشعة الشمس بالدرجة الكافية - وبالتدريج فقد زود الظل المنعش لليقطينة براحة جسدية وجعله يهدأ من حالته الفكرية المضطربة ، وفرح يونان فرحاً عظيماً لأن اليقطينة قد زودته بالراحة التى واسته فى حزنه . ولما سلم نفسه للهدوء الناتج عن الظل الظليل ، ابتدأ يونان يكتسب نظرة أكثر إشراقاً وأكثر صواباً ويستودع نفسه بين يدى الله . يالرقة وحنان الله وعظمة تدبيره عندما نستسلم للاكتئاب والحزن .

معجزة الدودة (٤ : ٦)

ما أن بدأ يونان يستمتع بالظل الظليل لليقطينة الذى أراحه من أشعة الشمس المحرقة حتى جعل الله بعض الحشرات تهاجم الشجرة مما أسقط أوراقها وجعلها تذبل . فاليقطينة تذبل بنفس السرعة التى تنمو بها بعد عاصفة أو أى إصابة تلحق بالساق . ومرة ثانية نرى الله القدير يستخدم الوسائط الطبيعية ، فعلى الرغم من أن دمار الشجرة عن طريق الدودة التى أعدها الله قد يبدو شيئاً طبيعياً ، إلا أن الله قد جعل الدودة تدمر اليقطينة فى تلك اللحظة بالذات . يقول اليكوت إن كلمة « دودة » قد تعنى مجموعة من الفراشات كما فى إش ١٤ : ١١ .

والذبول المفاجئ لليقطينة علّم يونان درساً آخر كان فى حاجة إليه ، فسروره بسبب اليقطينة كان قصير الأمد ، لأن الدودة الصغيرة والريح الشرقية اللافحة عرضتا يونان للشمس المحرقة ، وجعلته يستسلم لليأس مرة أخرى ، «فطلب لنفسه الموت» ، لقد كانت حياة اليقطينة الكبيرة الكثيرة الظل قصيرة الأمد . وهكذا بالنسبة لكثير من المباهج والأفراح الأرضية (مز ٣٠ : ٧) . فالقلب البشرى يلتف حول يقطينته أو مباهجه ، ثم فى لحظة تنتزع منه كل المسرات العالمية .

معجزة الريح الشرقية الشديدة (٤ : ٨ - ١٠)

إن الله الذى أرسل ريحاً شديدة لتلحق بيونان عندما هرب من المهمة الملقاة على كاهله (١ : ٤) ، قد أعد الآن

ريحاً شرقية شديدة لتحرمه من المأوى الذى كان يستظل بظله . وقد تم كلاً منهما مشيئته . وحدوث مثل هذه الريح عند شروق الشمس قد أشار إليه يعقوب باعتباره شيئاً طبيعياً . ونفس الكلمة اليونانية مستخدمة تعبيراً عن « الحر » كما فى الطبعة السبعينية (يو ٤ : ٨ ، يع ١ : ١١) . وأصل كلمة « شديد » يعنى « صامت »، ويشير « للريح الحارة الهادئة » وهى ريح لا تقاوَم وهى أشد من أى ريح صاخبة . وعندما يواجه المسافرون بهذه الريح الجافة الشديدة الحرارة ، فإنهم يفقدون القدرة على الحركة، ويصبح الهواء ضعيفاً جداً لدرجة أنه لا يستطيع تحريك أوراق شجرة الحور الطويلة المتدلية » .

فالشمس الحارة التى تصحبها الريح الحارة كانت أشد مما استطاع يونان تحمله ، فأصيب بالإعياء وطلب الموت . عندما هرب إيليا من غضب إيزابل ، عبر عن نفس الأمنية أن يموت (١ مل ١٩ : ٤) . ربما كـان يونان يفكر فى موقف إيليا عندما أطلق العنان لرغبته فى الموت . فاليد التى تتحكم فى كل شئ قد حركت مجموعة من الأحداث ، الكبيرة والصغيرة ، ليعلم يونان أن الله محق فيما يفعل وله الحق أن يعطف على من يريد . فبالريح العاصفة ، والحوت الذى أعده الله ، واليقطينة ذات الظل ، والديدان المدمرة ، والريح الشرقية ، علّم الله خادمه شيئاً عن قوته ونعمته .

وحُزن يونان على اليقطينة استغله الله لتوبيخ النبى على عدم شفقته على نينوى ،ولتبرير عطفه ورحمته للإبقاء على تلك المدينة العظيمة التى تعج بالبشر والماشـــــية (٤:٨ -١١) . أليس الرجال والنساء والأطفال الأبرياء والبهائم الكثيرة أفضل بكثير من شجرة ؟. إن يونان لم يفعل شيئاً لليقطينة ، فلم يزرعها أو يربها أو يروها ومع ذلك فقد أشفق عليها ، وحزن لذبولها برقة بالغة . لقد خلق الله كل النفوس ، ومراحمه تشمل كل أعمال يديه ، ومحب النفوس رحيم دائماً . وهكذا فلمسة الله العطوفة تصنع المعجزات وكلماته الرقيقة تصل لآذاننا وهى تعبر عن محبتها للبشر بهذه الكلمات :

« أنت أشفقت على اليقطينة التى لم تتعب فيها ولا ربيتها .. أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة ».

وإذ نختتم تأملنا فى واحد من أعمق وأعظم الأشياء المكتوبة ، نفكر فى الله الكلى العظمة والذى يحب بلا حدود ، فالذى يستطيع أن يكيل بكفه مياه المحيطات يستطيع أيضاً أن يقود الحملان ويحمل المرضعات . فهو كلى القوة والرحمة فى آن واحد . وقوته بدون رحمته تسحقنا ، ورحمته بدون قوته تفشل فى أن تخلصنا إذا أرادت ذلك ، فيجب أن نحصل على الاثنين معاً ، وسفر يونان يقدم لنا كلتيهما . إن القدرة الإلهية غير المحدودة تسود على الطبيعة وتتعامل مع عجزنا البشرى ، وعظمته تضفى على وجودنا قيمة ومعنى .

ميخا

أمامنا هنا نبى قادر على الحزن الشديد بسبب المصائب التى طلب منه أن يتنبأ بها ، وأيضاً لديه القدرة على تخفيف وقع إعلانه للعقاب الشديد مع الوعد بالرحمة (١ : ٨ ، ٧ : ١٣) ، وإحدى نبواته الموحى إليه بها أنقذت حياة إرميا (٣ : ١٢ ، إر ٢٦ : ١٨ - ٢٤) . وتمجيد الملكوت الإلهى على كل الأمم يتوقع الإعلان المجيد عن القوة الإلهية والرحمة التى ظهرت تماماً فى العهد الجديد (٤ : ٢ و ٧ مع لو ١ : ٣٣ ، ٥ : ٥ مع أف ٢ : ١٤ ، ٧ : ١٨ و ١٩ مع لو ١ : ٧٢ و ٧٣) .

القوة المعجزية للحضور الإلهى (١:٣ و٤ ، ٣ : ١١ ، ٤ : ١ ، ٥ : ١٠ - ١٥) .

معجزة قوة الروح القدس (٢ : ٧ ، ٣ : ٨).

معجزة النعمة الإلهية (٦ : ٨ ، ٧ : ١٨ و ١٩)

ناحوم

يجب قراءة سفر ناحوم كسفر مكمل لسفر يونان لأن كليهما يحتويان نبوات موجهة ضد نينوى . ويكوّن كلا السفرين مزيجاً من تاريخنا الأخلاقي - « يونان » يمثل إرجاء العقاب الإلهى و « ناحوم » يمثل تنفيذ العقاب. ونتعلم من سفر ناحوم الاستفادة الأخلاقية من النبوة التى لا تحتوى فقط على أشياء متوقع حدوثها فى المستقبل بل تحتوى أيضاً على تأكيد لإيمان المؤمن الحقيقى في الشهادة الحالية . تكون نبوة ناحوم قصيدة شعرية كاملة ، تستهل بوصف رفيع المستوى لعدالة وقوة الله الممتزجة بطول الأناة (١ :١- ٨).

معجزة قداسة الله (١ : ١ - ١٣) .

معجزة الدينونة الإلهية (٢ : ٢ و ١٣ ، ٣ : ٥).

حبقوق

بغض النظر عن إعلان القضاء على الكلدانيين الذين أوقعوا الضرر الشديد باليهود واستكملوا سبى بقية الأسباط ، يمكن ملاحظة سمتين بارزتين : أولهما ، أن سفر حبقوق مشبع بروح الصلاة . فبعد أن يعبر عن غضبه المقدس على الفساد المستشرى بين مواطنيه نراه يصلى لأجلهم بحماس ، والصلاة الختامية التى يصف فيها النبى العجائب التى أجراها الله لإسرائيل فى الماضى كانت مصدر إلهام للأتقياء فيهم وهم يواجهون الكارثة المرتقبة . والسمة الثانية هى أن أهم ما يميز عبيد الله الأمناء فى كل عصر هو الإيمان (٢ : ٣ و ٤ - وهى فقرة اقتبست ثلاث مرات فى العهد الجديد - رو ١ : ١٧ ، غل ٣ : ١١ ، عب ١٠ : ٣٧ و ٣٨. انظر أيضاً عب ١١، غل٢ :٢٠) . ومثل هذا الإيمان يمكننا من أن نسخر من المعوقات ، ونفرح حتى فى الضيقة (٣ : ١٧ - ١٩ ، رو ٥ : ١ - ٣) .

معجزة القدرة الإلهية

« أيها الإله القدير » (١ : ٥ و ١٤ ، مز ٥٠ :١).

« الرؤيا الإلهية » (١:٢ - ٢٠) وبسبب عظمة الله وقدرته على فرض إرادته «اسكتى أمامه يا كل الأرض» (٢ : ٢٠) .

معجزة المجد الإلهى (٣ :١ - ١٦)

أليس رائعاً أن ندرك أن القدير هو قوتنا ؟(٣ : ١٩) .

صفنيا

إن صفنيا المعاصر لإرميا ، نبى آخر من أنبياء الكآبة والحزن تنبأ بيوم سخط وخراب وظلام ، وأعلن أن الخطية هى سبب مثل هذا اليوم المريع (١ : ١٥) . ويعلن النبى غضب الله ضد الأمم التى تضطهد شعبه ، ويتنبأ بالتشتت ثم التجديد النهائى لليهود .

معجزة الدينونة الإلهية (١ - ٢ : ١ - ٣ ، ٣ : ٨ - ١٣).

معجزة القوة الإلهية (٣ : ١٧) .

حجّى

لما كان حجّى قد ولد فى السبى وعاد من بابل مع زربابل (عز ٢ : ٢) ، فقد كان أول نبى خدم وسط اليهود بعد رجوعهم إلى أورشليم . لقد حث زربابل ويهوشع رئيس الكهنة لاستئناف العمل فى بناء الهيكل (عز ٥ : ١ ، ٤ : ٢٤) وكانت خدمته ذات فعالية وتأثير كبير (عز ٦ : ١٤).

معجزة التدخل الإلهى (١:٣-١١، ٢:٦و٧) .

إن تعبير « نفخت عليه » يوحى بهزيمة الأرمادا الأسبانية عندما « نفخ الله ، وتبعثرت السفن » .

معجزة الاختيار الإلهي (٢ : ٢٣)

كل مختاري الرب يشكلون معجزة النعمة الإلهية .

زكريا

يظهر زكريا بعد حجَّي بشهرين ، ويبدو أنه يستكمل نفس المهمة أي أن يشجع اليهود ويستحثهم على إعادة بناء الهيكل واستعادة الطقوس العامة . ويخبرنا عزرا أن مهمة هذين النبيين لم تكن عبثاً (عز ٦ : ١٤) . لقد كان لزكريا هدفان ، أولهما التقديم الرمزي للامبراطوريات العظمى الأربع : بابل وفارس واليونان وروما . وثانياً ، التنبؤ بالحالة المستقبلية لليهود بعد دمار آخر امبراطورية روما . ولقد كانت لزكريا طريقة ملائمة بمزج نبواته بكثير من الدروس الأخلاقية والمناشدات .

والسمة الثانية لسفر زكريا هي إشاراته المتكررة والبسيطة لمجئ المسيح ورسالته وموته . ففي المرتبة التالية لإشعياء ، يقف زكريا بارزاً في نبواته عن مجئ المسيا مختصاً ببعض النواحي التي لم يتطرق إليها إشعياء ، فيؤكد النبي على مجئ المسيح الأول والثاني (٩ : ٩ مع مت ٢١ : ١ - ١١ ، وزك ١٤ : ٣ و٤) .

معجزة الرؤى العشر (١ - ٦) .

معجزة الحماية الإلهية (٢ : ٥ - ١٣ ، ٩: ١٦) .

معجزة الظهورات الملائكية (٣ : ١ ، ٤ : ١) .

معجزة المعرفة الإلهية بكل شئ (٤ : ١٠) .

معجزة الإنجاز الإلهي (٨ : ٦ ، ١٠ : ١ و ٥ و ١٢ ، ١٢ : ١ - ١٠ ، ١٤ : ١٧ و ١٨) .

ملاخي

بما أن سفر ملاخي يحتوي على آخر كلمة من الله قبل صمت نحو ٤٠٠ عام ، يجدر بنا أن نعير الالتفات إلى الإعلان الإلهي السابق لمثل هذه الفجوة، وأيضاً إلى العصر الجديد الذي يليها . مارس ملاخي خدمته تقريباً في نفس الوقت الذي كان نحميا يمارس فيه مهمته الإدارية ، وهو آخر أنبياء العهد القديم ، كما كان نحميا آخر مؤرخيه . يقول « نيكولس » إن عمل ملاخي « كخادم أن يوبخ اليهود على الممارسات الخاطئة العديدة والشنيعة ، والتي حتى بعد عقابهم والمراحم التي حصلوا عليها في أثناء السبي وبعد عودتهم من بابل ، لازالت منتشرة بين الكهنة وأفراد الشعب ».

وملاخي كان أيضاً من الأنبياء الذين قدموا الشهادة للمسيح . وهكذا « فكنبي قد تنبأ بمجئ ربنا ، رسول العهد ، شمس البر ، والممهد لقدومه ، يوحنا المعمدان . وبما أن روح النبوة كانت لتتوقف ، فبعد أن أعلن لليهود عن المسيا بكل وضوح وبالتدريج ، عن طريق قائمة طويلة متتالية من الأنبياء ، يختتم ملاخي مهمته بكل مهابة وتوقير مجد النبوة بوصفه لنبي في العهد الجديد ينطبق عليه (على المسيا) ، والذي يبدأ البشيرون تاريخ الإنجيل بسرد قصته . ولذلك فقد كان ملاخي البشير الشخصي للمسيح وهو يختتم فترة العهد القديم بإنجيل العهد الجديد على لسانه .

فملاخي هو الذي يذكرنا أن الله هو « الملك العظيم رب الجنود » وأن اسمه مهيب بين الأمم (١ : ١٤)، وأنه بسبب مهابته وسلطانه فهو قادر على أن يلعن بركاتنا (٢:٢) ، وقادر أن يظهر فجأة (٣:١) ، وقادر أن يبارك (٣:١٠و١١)، وقادر أن يرسل قبل مجئ يوم الرب العظيم إيليا المجري للمعجزات (٤:٥و٦) .

❀❀❀❀❀

فى حين أن الغرض من دراستنا أن نغطى المعجزات التى فى الكتاب المقدس ،لكن قد يكون من المناسب أن تخصص فقرة أو فقرتين فيما يختص بالمعجزات الزائفة الموجودة فى الأبوكريفا ، التى طبعت من قبل بين العهدين تقريباً فى كل الطبعات البروتستانتية للكتاب المقدس . هذه المجموعة من الكتب ، بدون وحى إلهى ، فهى ببساطة نتاج بشرى مكون من أساطير وروايات ، وقد انتشرت فى الفترة ما بين ملاخى ومتى . واللفظ أبوكريفا نفسه كان يعنى شيئاً مادياً مخبأ أو مخفياً ، ثم بدأ يعنى ما هو غامض ، ويصعب فهمه سوى للراسخين فى المعرفة (كو ٢ : ٣) . وقد أطلق أكليمندس الاسكندرى وترتليان هذا اللفظ على الكتب المزورة التى وضعها الهراطقة باعتبارها تنتمى للكتاب المقدس وبأنها تحتوى على معلومات سرية خاصة .

ولم يكن اليهود يعتبرون كتب الأبوكريفا مقدسة على الإطلاق . ويوسيفوس المؤرخ اليهودي الذى عاش فى وقت المسيح تقريباً رفضها ، وربنا ورسله والذين كانوا دائماً يقتبسون من العهد القديم على الدوام ، لم يقتبسوا أى شئ من كتب الأبوكريفا . ويتصل العهد الجديد بنهاية العهد القديم مباشرة مما يوحى بأنه ليست هناك أى كتابات موحى بهما بين (مـلا ٣ : ١ ، ٤ : ٥ و ٦ ومـر ١ : ٢ ، لو ١:١٦ و١٧) . والكتاب المقدس وحده يبرز فى قدسيته أمام العالم كإعلان الله الوحيد والنهائى للإنسان .

وهناك عينات لما يسمى بالمعجزات فى الأبوكريفا والكتابات الأبوكريفية .

- القصة الرومانسية التاريخية ليهوديت فى وقت نبوخذ نصر .

- قوة الله فى الخلق وتدبير الله المعجزى لإسرائيل فى البرية .

- حكمة سليمان ١١ : ١٧ - ٢٠ ، ١٣ : ١ - ٩ ، ١٦ : ٢٠ و٢٢ ، ١٨:١٧ ، ١٨ : ٣ و١٢ الخ .

- قوانين الطبيعة واستقلاليتها .

- قصص الشفاء عن طريق الصلاة (حكمة يشوع بن سيراخ) (١٦ : ٢٨ ، ٣٨ : ١ - ١٤ ، ٤٢ : ٢٣ - ٢٥ ، ٤٣ : ١١ و ١٢ و ٢٧ - ٣٢).

- بيل والتنين وإضافات أخرى لسفر دانيال .

- رؤى معطاة لأخنوخ ونوح فى سفر أخنوخ .

إن الكتابات الأبوكريفية ، والمعتبر أنها غير موثوق بصحتها ، هى شكل من أشكال الأدب ، زعم فيه الكاتب لنفسه اسم بطل مات منذ مدة طويلة ، وأعاد كتابة التاريخ على «نمط النبوات» .

❀❀❀❀❀

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

الجزء الثانى

العهد الجديد

مقدمة

يبدأ العهد الجديد كما لو كان امتداداً للعهد القديم ، وهو كذلك بالطبع . ليس هناك ما يفصل بينهما ، ولكن كما ذكرنا فى نهاية دراستنا للعهد القديم ، هناك فجوة تصل لحوالى أربعمائة سنة بين العهدين .. ومع ذلك فالسجل الكتابى يتواصل كإعلان الله المتتابع الذى هو الكتاب المقدس .

إن آخر كلمة فى العهد القديم هى « لعن » (ملا ٤ : ٦) ، بينما العبارة الافتتاحية للعهد الجديد هى « كتاب ميلاد يسوع المسيح » (مت ١ : ١) فكأنهما يجب أن تكون هكذا (لعن - المسيح). والكلمة لعن توجز تأثير عصيان الإنسان لناموس الله فى أسفار العهد القديم - « ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به» (غل ٣ : ١٠) . وحسب الوعد ، فالمسيح جاء ليزيل هذه اللعنة وينقذ الإنسان منها (تك٣: ١٥ و١٧ ، تث ٢١ : ٣) . فبموته وقيامته ، قدم المسيح الفداء من هذه اللعنة (غل ٣ : ١٣) .

وسلسلة النسب البشرى اليهودى ليسوع التى يبدأ متى بها إنجيله تبرز أن يسوع يرجع نسبه إلى إبراهيم ، ومن هنا كان ارتباطه بتاريخ شعبه القديم (مت ١ : ٢١). ومع ذلك ، فعلى الرغم من أنه جاء من « سبط يهوذا » إلا أنه يختلف عنه لأنه ولد ليس حسب البشر ، بل بمعجزة . ونرى المعجزات أيضاً فى حقيقة أنه منذ الوعد الأول بمجئ المسيح كنسل المرأة (تك ٣ : ١٥) ، حاول الشيطان أن يقضى على هذا النسل أو السلالة الملكية التى كان المسيح سوف يأتى منها حسب الجسد ، وقد كاد ينجح فى بعض الأحيان . ولكن الله ، الذى فوق الجميع ، حفظ سلالة المسيح دون أن تصاب بأذى . وهكذا جاء معجزة المعجزات ، يسوع مولوداً من امرأة تحت الناموس . ولكن كما يعبر دكتور كامبل مورجان عن ذلك : « إن النظام اليهودى لم يأت بالمسيح ، لقد جاء ليتوج هذا النظام ويغيره . وهكذا جاء الملك ، ولكن اسمه دعى يسوع ، لأن المملكة قد انقسمت وانهارت بسبب الخطية ، وكان على المسيح أن يبدأ بإنقاذ شعبه من خطاياهم .

حقيقة معجزات العهد الجديد

حاول المتشككون والعقلانيون أن يفسروا معجزات العهد الجديد باعتبارها ظواهر طبيعية . ولكن ما لا يمكن إنكاره حقيقة أن المعجزات موجودة فى سدى ولحمة الأناجيل . وينكر العصريون هذا العنصر المعجزى على أساس أن أى قصة مبنية على أحداث معجزية لا يمكن قبولها كقصة تاريخية ، وقد بذلوا مجهوداً كبيراً لتفسير كل معجزة على اعتبار أنها تستند لأسباب طبيعية ، وقالوا إن هناك قوانين تحكم الكون تخضع لها جميع الظواهر ، طبيعية كانت أم روحية ، ومن ثم فأى تدخل فى هذه القوانين ، غير وارد .

أمامنا فى الأناجيل شخص غير عادى ، ميلاده وشخصيته وأعماله ومطالبه وقيامته ، كلها تنتمى لدائرة الخوارق . وهناك معجزة معجزاته ، معجزة قوته ، تلك القوى التى استخدمها والتى لم يستخدمها . ويعترف العصريون بأن هذا الشخص الفريد كان يمتلك موهبة الشفاء ، ولكن معجزات الشفاء التى قام بها لم تكن سوى « شفاء بالإيحاء » وليست معجزية بأى حال من الأحوال . ولكن كل المحاولات التى بذلت لتفسير معجزات المسيح باعتبارها نتاج عمل نواميس طبيعية مجهولة ،تتحطم على صخرة معجزات خارقة كإعطاء البصر للعميان وإقامة الموتى ، والتى تتضمن ممارسة قوة خلاقة مبدعة من قبل شخص له سلطان على القوانين العادية للطبيعة .

فالمسيح قد جاء إلى العالم ليس فقط كالمثل الشخصى لله على الأرض، ولكن كالله نفسه فى الجسد ، ولذلك ظهر كمعجزة تتمشى على الأرض فى شكل إنسان. ولكن لو قبل المرء معجزات ميلاده وحياته التى بلا خطية وقيامته ، فأى معجزة أخرى متعلقة به لا يصعب تصديقها . وبالإضافة إلى ذلك فشخصية يسوع ومطاليبه تتفق تماماً مع ذلك . إن آياته التى أجراها متصلة بحياته فى وحدة لا تنفصم عراها ، وأعماله وحياته متناغمة تماماً . فهو « كالحق » (يو ١٤ : ٦) قد أعلن الحق . وكماله الأخلاقى وعظمته الروحية تجعله أبرز من جميع قديسى البشر . لقد كان بلا خطية ولم يكن ذلك من الممكن تصديقه إلا على أساس معجزة ميلاده .

إن الإنسان مولود بالخطية (مز ٥١:٥ ، رو ١٢:٥)، ولكن المسيح ولد قدوساً ، ولم يسئ لأحد أو يلحق الأذى بأى فرد ،ثم إنه كان بلا شر أو دنس، وقد انفصل عن الخطاة (لو ١ : ٣٥ ، ١بط ٢ : ٢٢ ، عب ٧ : ٢٦) . ولولا ميلاده من عذراء ما كان من الممكن أن نعرف سبباً لحياته الخالية من الخطية ، كما سنعرف عندما نتكلم عن الحبل به من الروح القدس . ولأنه كان مدركاً لطبيعته الخالية من الخطية - « من منكم يبكتنى على خطية » (يو ٨ :٤٦). وبالتالى لانفصاله عن الخطاة ، فقد كان مدركاً كذلك للمهمة التى جاء من أجلها ليبارك الجنس البشرى ويخفف من آلامه بطرق معجزية .

ولأن يسوع كان يعلم بسلطان (مت ٧ : ٢٨ و ٢٩)، وبلا خطية كإنسان فإن معجزاته لم تكن فقط شيئاً لا ينفصل عن تعليمه بل كانت أيضاً براهين واضحة على سلطانه كالمرسل من الله وحياته التى بلا خطية . وبسبب هويته لم يكن بإمكانه إلا أن يجرى المعجزات ، كما عبر (فيربيرن Fairbairn) عن ذلك بالقول :

« إن حياة المسيح وتعليمه تشكل صفاً من الأعمدة ، ومعجزاته تشكل صفاً آخر ، تستند عليهما قبة الكنيسة المسيحية مرفوعة عنانها نحو السماء » . فمعجزات المسيح إذن كانت تعنى ممارسة القوة المبدعة كالله ، وكانت أيضاً وسيلة الآب لإثبات صحة لاهوت ابنه المرسل للبشر .

جانب آخر من معجزات المسيح ، وهو أنها الوسيلة التى عبرت عن شخصيته وبالتالى عن حبه وعطفه على الجنس البشرى المتألم . إن عمل مثل هذه المحبة الباذلة يتضح فى وصف لوقا لهذا الإنسان الصانع للمعجزات كالشخص الذى جال يصنع خيراً ويشفى المتسلط عليهم إبليس (أع ١٠ : ٣٨) ، ومع ذلك فدراسة خدمته المعجزية الدائمة تظهر أنه لم يسمح أبداً للمعجزات التى تدل على محبته للإنسان أن تتدخل فى ممارسته لخلوته الخاصة (مر ١ : ٣٤ و ٣٥) . كانت المعجزات مصحوبة بالصلاة وتقديم الشكر (يو ٦ : ٢١ ، ١١ : ٤١) . والمسيح كان يعتمد كإنسان لا على قوته الخاصة بل على أبيه المقتدر فى السماء .

سمات معجزات العهد الجديد

بعد أن تأملنا فى بعض مظاهر الاختلاف والاتفاق بين المعجزات فى العهد القديم والعهد الجديد (انظر مقدمة العهد القديم) ، فكل ما نريد أن نضيفه فى هذا الصدد ، أن معجزات العهد القديم فى مجملها كانت ذات طبيعة خارجية بينما تلك الخاصة بالعهد الجديد كانت متصلة بحياة البشر وظروف معيشتهم كالقوات التى صنعها يسوع . ولمعرفة مزيد من الاختلافات ، فنحن نلفت الأنظار للفصل الذى كتبه ترنش فى هذا الموضوع . وعلينا أن نبحث فى السمات التى تميز معجزات يسوع فى هذا الصدد.

فى المقام الأول ، نجد أن المعجزات التى أجراها يسوع قد سبق التنبؤ بها (إش ٣٥ : ٥ و ٦ ، ٤٢ : ٧) ، وقد طلبها أيضاً يوحنا المعمدان (مت ١١ : ٢ - ٤) ، وكانت

تشكل الأساس الذى جعل الناس يطلقون عليه لقب « ابن الإنسان » (مت ١٢:٢٣، يو ٧ : ٣١) .

إذن فهدف معجزات المسيح لم يكن لمجرد أن يثير الدهشة فى نفوس أولئك الذين شهدوها ، لأن عدداً كبيراً منها قد أجريت لصالح وعلى مشهد من أناس مغمورين . فعندما طلب منه بعض الناس آية من السماء ، رفض المسيح أن يجيبهم إلى طلبهم (لو ١١ : ١٦) ، فلم يكن ساحراً أو مشعوذاً ، كما ظن هيرودس الذى ظن أنه يمكن أن يطلب منه إجراء معجزة لإشباع حب استطلاعه . ولكن من الثابت أن بعض معجزاته قد أثارت الرهبة فى نفوس الذين شهدوها (يو ٧ : ٤٥ و ٤٦ ، ١٨ : ٦) .

ومن السمات الأخرى لمعجزات المسيح أنه لم يجرِ أى معجزة لصالحه الشخصى ، ولربما تعتبر معجزة استخراج عملة من فم السمكة هى الاستثناء الوحيد الذى استخدم فيه قوته الخارقة ليسد حاجته (مت ١٧ : ٢٧) ،إذ لم يجر أى معجزة حتى بلغ الثلاثين من العمر ، ولم يجر أى معجزة بعد ذلك لتسهل له أى شئ . وحتى الجوع الشديد فى البرية والآلام المبرحة فى **جثسيمانى** أو على الصليب لم تدفعه لإجراء معجزة لتحقيق أى مأرب شخصى دون مجد الله . لقد كانت زمرات الملائكة على استعداد لإطاعة أوامره ولكنه لم يطلب منها أن تقدم له أى خدمة (مت ٤ : ١١) ، وقدم الطعام للجوعى الذين تبعوه، ومع ذلك لم يحوِّل الحجارة إلى خبز ليشبع جوعه (مت ٤ : ١ - ٤، مز ١ : ١٣ ، مر ٦ : ٣٥ و ٤١). وعندما كان يعطش ، لم يظهر هناك أى ماء بطريقة معجزية لرى ظمئه، لقد اعتمد على عطف المارة حين قدموا له إسفنجة مملوءة خلاً (مر ١٥ : ٣٦)

ثم إن المسيح لم يكن يستعرض قوته الخارقة ، فلم تجر معجزاته للاستعراض ، أو حتى لإثبات صحة دعواه . لقد رفض إجراء معجزات كهذه على سبيل الإغراء ، ورفض دائماً إجراء أى معجزة لدفع غير المؤمنين للإيمان به (مت ٦:٤و٧و ٤:١٦) . ولكن عندما تكون هناك حاجة لإجراء معجزة ، كان يجريها . لقد كان الأمر يتطلب إجراء معجزة لقيامة لعازر من الأموات ولكن ليس لكى يدحرج الحجر من على القبر . فقد كان ذلك شيئاً بمقدور التلاميذ أن يقوموا به . إن الأناجيل تكشف عن عدم الإسراف لإظهار القوة الإلهية ، فلم يجرِ المسيح أى معجزة ليخلق نوعاً من التعاطف معه أو ليكسب الأتباع والمريدين . وقد كانت هناك مناسبات شفى فيها المرضى ولكنه أمرهم بحزم ألا يذهبوا ويذيعوا خبر شفائهم على الملأ (مر ١ : ٤٣ و ٤٤ و٥ : ٤٣ ، ٩ : ٩) .

ودراسة خدمة الرب الأرضية يوضح أنه لم يشف كل من كان مريضاً ، ففى حين أنه لم يرفض مساعدة أحد ، إلا أن كثيرين لم يشفوا .وفى إحدى المرات مرَّ على جمع غفير واختار واحداً فقط ليشفى (يو ٥:٣ و٥) . فالكتاب المقدس والتجربة تثبت أن الشفاء لا يكون دائماً هو إرادة الله . وفى حين أننا نصلى للمرضى ونرغب أن يستعيدوا صحتهم ، إلا أننا يجب أن نكون خاضعين لإرادة الله المقدسة ومقاصده السامية ، فإنه قد يشفى البعض ويتعين على الآخرين أن يقاسوا . إن هدفنا الأول لا يجب أن يكون الشفاء بل أن نعرف ونتمم مشيئة الله الكاملة .

خاصية أخرى تميز معجزات ربنا وهى وجود الدافع القوى لإجرائها . فقد كان المسيح لديه عطف شديد دائم تجاه المصابين بأمراض جسدية وعقلية « هو نفسه أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا » (مت ٨ : ٧) ، فنحن نقرأ ١٢ مرة أنه « تحنن على الجموع » (مت ٩ : ٣٦ الخ) ، وهكذا ففى كل معجزات الشفاء التى أجراها لم يكن هناك دافع خفى ، كانت كل دوافعه تتفق مع شخصيته الخيرة ، وحياته وتعاليمه . إننا لذلك لا نستطيع أن نستبعد المعجزات من الأناجيل دون أن نحدث بها ضرراً بالغاً ، لأن أفعال يسوع الرحيمة كانت متداخلة فى نسيج شخصيته

ودعاواه .

ثم إنه فى حين لم يكن يسوع يقدِّر كثيراً الإيمان الذى ينتج بسبب معجزاته (يو ٤ : ٤٨) ، إلا أن الشفاء كان يتوقف على إيمان أولئك الذين يطلبون العون أو إيمان أولئك المقربين من المرضى والمعذبين . فمثل هذا الإيمان الشخصى أو إيمان المقربين كان يمتدح دائماً (مر ٥ : ٢٥ - ٣٤ ، ٧ : ٢٤ - ٣٠ ، ١٠ : ٤٦ - ٥٢ ، مت ٨ : ٥ - ١٣) .

ودراستنا لمعجزات الكتاب المقدس تدل على أن حدوثها لم يؤدِ دائماً للتوبة . فبالرغم من التحذير الذى تلقاه بلشاصر الملك عن طريق كتابة اليد الغريبة على مكلس الحائط ، إلا أنه قسّى قلبه ومات فى خطاياه الجسيمة . والدليل على أن المعجزات لا ينتج عنها دائماً التبكيت على الخطية نراه واضحاً فى قصة الغنى ولعازر(لو ١٦ : ١٩ - ٣١). ولو جاء واحد من الجحيم ليحذر الناس ، لاعتبروه مجنوناً ، لقد أتاهم واحد من السماء ليحذرهم ولكنهم صلبوه . وأقيم لعازر من بيت عنيا من الأموات ولكن القادة الدينيين لم يقبلوا دعاوى الشخص الذى أجرى المعجزة ، بل حاولوا أن يقتلوه .

والطرق التى استخدمها يسوع فى معجزاته تدل على أنه كان يشفى بوسائط خارجية أو بدونها . أحياناً كان يضع يديه على المحتاجين أو يلمسهم . وفى أحيان أخرى كان يشفى دون أن يلمس المرضى . فكلمته وإرادته كانتا تكفيان ، وكان يستطيع أن يشفى من على بعد . وأولئك الذين لمسوا شخصه أو ثيابه قد شفوا . وفى بعض الأحيان كان يستخدم البصاق كوسيلة لحدوث المعجزة .

اتجاه معجزات الإنجيل نحو الله يجب كذلك أن تؤخذ فى الاعتبار . فالرب يكشف فى أعمال الشفاء التى كان يجريها أن ما كان يوجهه لممارسة هذه الأعمال هو مجد الله.وكان تخفيف آلام المتألمين يأتى فى المرتبة التالية (يو ١١ : ٤) . إن معجزات الإنجيل لها قيمتان عظيمتان .

أولهما إنها إعلان لقوة ومجد الله . ثانياً ، فهى تكشف عن حاجة الإنسان الملحة . وهكذا فإن معجزات الشفاء تمثل الخلل الذى أحدثته الخطية ، وقوة الله وإرادته لعلاج هذا الخلل. وفى مواضع عديدة نسبت المعجزات لله باعتبار أنه هو الذى أجراها (مت ٩ : ٨ ، ١٥ : ٣١ ، لو ٧ : ١٦ ، ١٧ : ١٥ ، ١٨ : ٤٣). وفى إحدى المرات نسب المسيح المعجزة لقوة الروح القدس بالإشارة إلى أنه « إصبع الله » (لو ١١ : ٢٠) ، ولذا فلم يكن المسيح هو صاحب المعجزات فقط ولكنه كان أيضاً الواسطة الذى تتم على يديه المعجزة .

ومن الثابت أيضاً أن أعمال الشفاء التى قام بها المسيح لم تكن بقصد التجربة ، ففى روايات الإنجيل لا نجد أى شئ يدل على الفشل فى حدوث أى معجزة أو انتكاسة لمن نالوا الشفاء .

ولكن كم يبدو ذلك مختلفاً بالنسبة للنفوس التى تحررت من الوهم والتى يدَّعى المضللون والمستغلون أنهم قد شفوهم بالإيمان . فإن عمل المسيح قد ثبت أنه ليس له مثيل فى هذا المجال . ففى مجموعة من المعجزات أثبت سيطرته على الطبيعة . وفى مجموعة أخرى أثبت سيطرته على الأمراض النفسية والعصبية . وفى مجموعة ثالثة برهن على سيطرته على عالم الروح .

وهناك سمة أخرى لمعجزات المسيح وهى أنها كانت آيات ، ليست لأحد ، ولكنها تشهد للاهوته (مت ٨ :٤)، لقد كانت « العلامة المميزة على أنه هو الله الإنسان » - الدليل على سلطانه الإلهى (يو ٣ : ٢ ، ٩ : ٣٠ و ٣٣ ، أع ٢ : ٢٢) ، تماماً كما أن معجزات أعمال الرسل قد أقامت صرح الكنيسة كمؤسسة إلهية .

كانت معجزات المسيح أمثالاً فى قالب أعمال ، تماماً كما كانت أمثاله معجزات فى قالب كلمات . فالمعجزات كان القصد منها أن ترمز لقوته على إشباع الحاجات

الروحية والحاجات الجسدية والمادية أيضاً . لقد كانت أدوات للتعليم تماماً كما كانت علامات تدل على سلطانه الإلهى ، وكما قال فاوست فى هذا الصدد . قال وستكوت أيضاً : «إن إنجيلاً بلا معجزات يصبح ، إذا جاز التشبيه ، ككنيسة بلا أسرار مقدسة ، ينقصها التعهد بتقديم العطايا الروحية » .

فى هذه الأيام عندما يكون الشفاء الجسدى والعقلى فى المقدمة فى الأوساط الدينية ، ويا للحسرة ! فإن المشعوذين والدجالين يتاجرون بآلام المرضى والبائسين . فإن الحقائق عن المعجزات فى الأناجيل يجب أن تُستوعب جيداً :

(١) لا يوجد دليل فى الكتاب المقدس على أن الله قصد أن تكون موهبة الشفاء فى الكنيسة مستمرة .

(٢) لو كانت هذه الموهبة باقية حتى الآن ، فلكى تكون كتابية ، يجب أن تنطبق عليها الملامح التالية :

- كل حالة يتم وضع الأيدى عليها يتم شفاؤها .
- جميع المرضى يتم شفاؤهم فى الحال .
- يتم شفاء الجميع تماماً - دون أى أثر للمرض .
- أن تتضمن حالات الشفاء الأطراف المكسورة ومتاعب عضوية أخرى .
- تتسم جميع حالات الشفاء بالاستمرار - فلا عودة للمرض بعد الإبراء منه .
- لا يتم دفع أى مبالغ نقدية أو عينية عند الشفاء.

إن عدداً كبيراً من المعاصرين الذين يدَّعون القيام بالشفاء بالإيمان قد بلغوا حداً مفرطاً فى الثراء .

{١} المعجزات فى الاناجيل

من المستحيل أن نحسب عدد المعجزات التى أجراها المسيح ، فمعظمها يشير إلى مجموعات ، وهى تزيد كثيراً عن عدد الحالات المدونة بالتفصيل . وليس كل ما قاله أو عمله مدون ، والإشارات العديدة للمعجزات الشخصية تدل على أن أولئك الذين شفاهم لابد أنهم كانوا كثيرين (انظر مت ٤ : ٢٣ و ٢٤ ، ٩ : ٣٥ ، ١١ : ٢١ ، مر ٦ : ٥٣ - ٥٦ ، لو ٤ : ٤٠ و ٤١ ، ٥ : ١٥ ، ٦ : ١٧ - ١٩ ، ٧ : ٢١ ، يو ٢ : ٢٣ ، ٣ : ٢ ، ٤ : ٤٥ ، ٢١ : ٢٥ ، أع ١٠ : ٣٨) . ولو أن كل الأمثال التى قالها والمعجزات التى أجراها قد أمكن تتبعها لبلغت قدراً عظيماً . إن المعجزات المسجلة لدينا قد اختيرت من قِبل الروح القدس بنوع خاص لقيمتها الروحية والتعليمية .

أما عن المعجزات المحددة المدونة، فسوف نكتشف أن المفسرين يختلفون فى كتاباتهم بالنسبة لعددها . يقول «فاوست» : «إن الـ ٤٠ معجزة المسجلة للمسيح ما هى إلا عينات تمثل عدداً أكبر بكثير من ذلك » ، ويقول «سكروجى» :« إن عددها ٣٥ معجزة» ، ويشرح «ترنش» : فى كتابه الشهير عن المعجزات ٣٣ معجزة من معجزات المسيح . وسوف نرى أن كل ما حاولنا أن نعمله هو أننا فحصنا الأربعة أناجيل بدقة وأوضحنا كل معجزة وكل حادثة تنتمى للعنصر المعجزى قد سجلها البشيرون - ومثل هذا العمل الدؤوب كان ملهماً ومعجزياً إلى أبعد الحدود . وليس أمامنا المعجزات التى أجراها المسيح نفسه فقط بل تلك التى أجريت لأجله ، وتلك التى أجراها

الآخرون ، ولأجل الآخرين . وقد تعامل بعض الكتّاب مع معجزات المسيح طبقاً لنوعيتها ، كمعجزات استعادة البصر ، والقيامة من الأموات الخ . وما حاولت أن أعمله هنا هو أن أفحص الأناجيل وأتعامل مع المعجزات التي فيها طبقاً لتسلسلها الزمني .

(١) معجزة زكريا (لوقا ١)

القصة التي تتحدث عن ميلاد يوحنا المعمدان ،الذي مهّد الطريق لربنا يسوع ، تقدم سلسلة من المعجزات المبدئية . أول كل شئ تم الظهور والإعلان المعجزي عند ما كان الكاهن البار يخدم أمام الرب . وبينما كان يقوم بواجباته الكهنوتية ، ظهر له ملاك عن يمين مذبح البخور ، وبعد أن هدأ من الخوف ، أكد له أن صلاته لأجل المسيا الموعود به قد سمعت ، وأن زوجته أليصابات سوف تلد ابناً سوف يعد الطريق أمام المسيا .

ولما كان كل من زكريا أليصابات «متقدمين في أيامهما» ، بمعنى أن أليصابات كانت قد تخطت سن الحبل والإنجاب ، فإن إعلان الملاك بدا مستحيلاً ، مما حدا بزكريا أن يعبر عن عدم تصديقه لذلك الخبر ، فتساءل بنغمة الشك « كيف أعلم هذا » مما أصابه بعقاب مؤقت هو عجزه عن الكلام ، وبعد أن شفي من تلك الإصابة التي لحقت به والتي تدل على عدم الرضا الإلهي ، مجّدت الشفتان اللتان كانتا صامتتين ، الله ، ليس فقط لأجل ميلاد يوحنا ولكن لأجل الشخص الذي سوف يشهد له . دعنا نفحص بدقة أكثر العنصر المعجزي في القصة التي أمامنا .

قبل كل شئ نرى ظهور الملاك ذات المرتبة السامية ، جبرائيل ، الذي كان له الامتياز جنباً إلى جنب مع يوحنا المعمدان (الذي جاء من محضر الله ليعلن عن ميلاده) ، ليعد الطريق لمجئ المسيح . ويبدو أن جبرائيل هو النبي الملائكي ، المفسر للكلمة النبوية والكاشف لمقاصد الله ، فهو الذي طار بسرعة إلى دانيال وفسر له كل مسار تاريخ الأمم والذي أعلن أيضاً لمريم أنها ستكون الأم العذراء لمخلص العالم .

ثم هناك العقوبة التي تحملها زكريا بسبب رد فعله تجاه الإعلان الإلهي على فم جبرائيل .والإيماء باليد من قِبل أقارب زكريا واستعمال لوح للكتابة (لو ١ : ٦٢ و ٦٣) يبدو أنه يدل على أن الكاهن التقي كان محروماً من القدرة على السمع والكلام أيضاً ، فكانت حالته أقرب إلى الأصمّ الأعقد ، والله القادر أن يجعل الأصم يتكلم (مت ١٥ : ٣١) يمكنه أن يجعل الناس خرساً لا يتكلمون (لو ١:٢٠ و ٦٤ ، حز ٣ : ٢٦ و٢٧) . إذن ففي عدم قدرة زكريا على الكلام ثم في استعادته للكلام نرى معجزة مزدوجة .

وفي الحبل بيوحنا المعمدان نرى معجزة أخرى . كانت أليصابات عقيمة طوال السنوات التي كان يمكن أن تنجب فيها ، وفي وقت ظهور جبرائيل ، كانت كسارّة في القديم ، قد تخطت الوقت الطبيعي للإنجاب . ومع ذلك فالخالق ، لم يُزل فقط عقم أليصابات بل حدد نوع الطفل الذي سوف تلده - ولداً - وأعلن أيضاً اسمه قبل ولادته - يوحنا (١ : ١٣ و ٦٣) .

ومعجزة أخرى ، قد لا نلاحظها ، ومع ذلك فهي حقيقية ، وهي الطريقة التي ركض بها ابن أليصابات في رحمها عند تحية مريم (١ : ٤٠ - ٤٤) . فلم تعرف أليصابات فقط أن الطفل الذي كانت ستلده مريم سوف يكون ابن العلي، المسيا الذي طالما وعد به،بل أيضاً الطفل الذي كان في بطن أليصابات دبت فيه الحياة، وبحركاته المليئة بالحيوية دلل على معرفته بأن ابن مريم الذي لم يولد بعد سوف يكون أعظم منه . ومنذ تلك اللحظة امتلأت مريم بالروح القدس وتفوهت بتسبيحتها الخالدة التي تحرك أوتار القلب .

وعلى الرغم من أن يوحنا المعمدان كان محاطاً بكل ما هو معجزي ، وعلى الرغم من الخدمة المؤثرة التي قام بها ، إلا أنه لم يحصل على امتياز إجراء معجزة واحدة (يو ١٠ : ٤١) .

(٢) معجزة الكلمة

(يو ١ : ١ - ١٤)

يستهل يوحنا إنجيله بعبارة مذهلة : « في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ». وعبارة « في البدء » في تك ١ : ١ تقدم لنا أول عمل للخلق قام به الله ، ولكن « في البدء » في إنجيل يوحنا تعود بنا إلى ما وراء نقطة البداية في سفر التكوين ، فالإنجيل يؤكد أسبقية وجود الخالق .يعزف موسى لحن بداية الزمن ، ولكن يوحنا يعزف لحن التطلع إلى أبعاد الأزل السحيق فيما وراء الخليقة والذي كان للكلمة أسبقية الوجود فيه.

إن المسيح مقدم لنا كالكلمة - دلالة على خدمته الأزلية « ويدعى اسمه كلمة الله » (رؤ ١٩ : ١٣) . وكالكلمة ، فقد جاء كالمعلن لفكر الآب (يو ١٤ : ٨ و٩) . وكما أن الكلمات تعلن عن حقيقة أفكارنا الداخلية ، فهكذا المسيح كالكلمة قد جعل فكر الله مسموعاً وإرادته مفهومة . إن الكلمات تعبر عن الأفكار ، وقد جاء المسيح ليعبر عن فكر الله . وكالكلمة ، فقد كان المسيح مع الله بمعنى أنه كان دائماً وأبداً في حضن الآب ومنذ الماضي الذي لابدء له ، كان الآب والابن في شركة وثيقة . وبما أن الكلمة المسيح هو الله فهذا يعني وحده الجوهر . « أنا والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠). ولتأكيده عن مساواته مع الآب ، حاول القادة الدينيون أن يرجموه (يو ٥ : ١٨ ، في ٢ : ٦) .

إن الاشتراك مع الله في عملية الخلق المبدع نجد تأكيداً له في الإعلان الذي يقول : «كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان » (١ : ٣ ، كو ١ : ١٥ و ١٦) .إن كلمة «به» هي الفعل «فيه»، وكما يقول دكتور ف. ب ماير ، إن حرف الجر «في» ، يستخدم دائماً للحديث عن مهمة ربنا المبارك في عملية الخلق(١كو ٨:٦، كو ١ : ١٦ ، عب ١ : ٢) ، وهو ذو مغزى عظيم . فالله الآب هو أصل ومصدر كل الأشياء ، فللشيوخ كل الحق في السجود الدائم أمام عرشه (رؤ ٤ : ١١) ، ولكن الله الابن ، ربنا ، هو الأداة التي ينتقل فيها الهدف من الخلق ، ففيه يعبر الله غير المحدود عن نفسه في كلماته ».

إن كلمة (بغيره) تفيد استحالة وجود استثناءات . والترجمة العبرية تقول :« لا شئ »، فوراء معجزة الخلق هناك المسيح صانع المعجزات الذي تقدمه الأناجيل ، فهو الذي خلق العالم الذي كان سيسكن فيه ، والإنسان الذي شكله على صورته .

إن المسيح الذي قال عن نفسه إنه « الحياة » (يو ٦:١٤) كان هو الذي استدعى الحياة للوجود بأشكالها المختلفة - الطبيعية والمادية والحيوانية والفكرية والروحية والدينية . وهو أيضاً كان « النور » ، ومن ثم فالنور الذي يفوق الوصف كان من الصعب أن يتألم ، ولكن المسيح قد أشرق بنوره على كيان منظور بحيث يكشف جماله ، ولكنه يضبط من درجة سطوعه ليجعله يمر في حجاب كلماته المضيئة والمخفية في نفس الوقت ، فمن إحدى معجزات التجسد أن «الحياة» قد أضحت «نوراً» ، إن الحياة الحقيقية مضيئة دائماً .

إن معجزة المعجزات هي أن ذلك الخالق المهوب ، خالق الحياة والنور ، قد صار جسداً ، وإذ عاش بين البشر ، فقد أعلن عن مجده الأبدي الذي لا يمكن أن يتوارى (١:١٤).

يكتب ف . ب ماير قائلاً :

وُلد المسيح من امرأة، ومع ذلك فقد خلق المرأة. لقد أكل وجاع، وشرب وعطش ، ومع ذلك فقد جعل الحبوب تنمو على الجبال وسكب الأنهار من كأسه البلّورية . احتاج للنوم ومع ذلك فهو لا ينام ، وليس بحاجة لتجديد طاقته . لقد بكى ومع ذلك فهو الذي خلق القناة الدمعية . مات ومع ذلك فهو الرب الذي لا يموت . وهو الذي خلق الشجرة التي صلب عليها . لقد ورث كل شئ بموته، ومع ذلك فقد كانت كل الأشياء ملكه من قبل كحق مكتسب . فما الذي يمكن أن نفعله سوى أن ننحني في احترام أمام هذه المعجزة المذهلة ! .

(٣) معجزة الميلاد من عذراء

(مت ١ : ١٨ - ٢٤ ، لو ١ و ٢)

إن تجسد يسوع المسيح سر ومعجزة في آن واحد . كم عظيم هو

سر التقوى – الله ظهر فى الجسد ! فلو حاولنا أن نشرح ميلاده من عذراء فإننا نفقد عقولنا . ولو لم نصدق هذه المعجزة الأساسية للمسيحية فإننا نفقد نفوسنا ، لأنه لا يمكن لأحد أن يكون مسيحياً وفقاً لمقياس العهد الجديد ، ثم يقول إن يسوع كان له أب بشرى كما كانت له أم بشرية . فهو الطفل الوحيد فى العالم كله الذى لم يكن له أب حسب الجسد ، والذين يشكون فى الحبل بالمسيح بلا دنس يقولون إنه من قبيل السذاجة أن نبالغ فى ضرورة الإيمان بمثل هذا المعتقد . ولكن إذا رفضنا الميلاد من عذراء ، فإننا نرفض أيضاً وحى الكتاب المقدس الذى ينمّ عن إعجاز مثل هذا الميلاد . إن الإيمان الحقيقى يستند على الحقيقة المعلنة بأن المسيح قد «حبل به من الروح القدس وولد من مريم العذراء» .

إن أيوب يسأل «كيف يزكـــو مولـــود المرأة ؟»(٢٥ : ٤). لقد ولد المسيح من امرأة (غل ٤ : ٤) ، ومن امرأة مولودة بالخطية وصورت بالإثم كأى امرأة أخرى ، وإدراكها لحاجتها لمخلص شخصى موجود فى تسبحتها الشهيرة « تبتهج روحى بالله مخلصى » (لو ١ : ٤٧) ، ويتساءل أيوب ثانية : « من يُخرج الطاهر من النجس ، لا أحد » (٤:١٤) . ولكن الله استطاع أن يأتى بطفل طاهر من امرأة مولودة بالخطية الموروثة .

كما أوضحنا من قبل ، فنحن لا نستطيع أن نبرر طهارة يسوع إذا رفضنا ميلاده من عذراء بالروح القدس . وحيث أن مريم كانت أمة حقاً ، فقد كان الأمر يستوجب معجزة أخرى لمنع انتقال دنس الخطية عن طريقها ، وقد تمت هذه المعجزة الفرعية فى بطنها . ففى لحظة الحبل به ، سيطر الروح القدس على ذلك الجزء من جسد مريم ، الذى تشكل فيه جسد يسوع ، وتم تطهيره ، كما ينقى الكيميائى معدنه ، حتى يتم قول جبرائيل « القدوس المولود منك » (لو ١ : ٣٥).

مظهر آخر من العنصر الإعجازى فى ميلاد ربنا ، وهو أنه فى لحظة الحبل به ، أخذ الروح القدس اللاهوت والناسوت ودمجهما معاً ، فى شخص الرب يسوع ، الذى جاء كالإله الإنسان . إن الروح القدس يمثل رابطة الحب بين طبيعتى ربنا .ففى هذه المعجزة لم يكن هناك تحدٍ لقوانين الطبيعة بل إدخال لعنصر جديد ، لقد حلَّ الروح القدس بدلاً من يوسف .

لقد كانت مريم ، كسمعان التقى وحنة النبية ، تنتظر فداء إسرائيل . ولأنها وجدت نعمة عند الله ، فقد ارتعبت عند إعلان جبرائيل أنها ستحبل وتلد ابناً . إلى أى حد كانت سوف تتذكر كلمات النبى إشعياء :« ها العذراء تحبل وتلد ابناً » (١٤:٧) . إن ما كان يحير مريم هو الإشارة للحبل وميلاد طفل دون ذكر لزواجها من يوسف. وبعد قبولها لكلمات الملاك بالإيمان ، أخذت تبحث وهى فى حالة من الخشوع عن كيفية إتمام هذا الأمر . وإذ عرفت أن الروح القدس هو مصدر كل خليقة (مز ١٠٤ : ٣٠) كان سوف يظللها ، فقد سلمت جسدها بإرادتها له وهى تقول : «ليكن لى كقولك »، وفى ملء الزمان ، ولدت ابنها البكر ، المشرق من العلاء .

ولم تقدم البشارة الإلهية بميلاد المسيح لمريم ويوسف فقط ، ولكن أيضاً للرعاة البسطاء ، وقد نالوا امتياز سماع أغنية الجند السماوى بمجئ المسيح .

هناك حادثة أو حادثتان ، يمكن أن يكونا تقريباً من الأحداث الغريبة التى قد تكون أو لا تكون بالضرورة من الأحداث الخارقة للعادة ، كظهور النجم فى المشرق فى ساعة ميلاد المخلِّص . يقول هالى « إنها ظاهرة فريدة ، نور خارق للعادة ، إشارة للمكان الصحيح بإعلان مباشر من الله ، إعلان خارق لميلاد معجزى » . إننا نعرف جيداً أن المجوس كانوا دارسين للكتاب المقدس وعلم الفلك ، وقد استخدم الله ذلك الذى كان مألوفاً لديهم ليرشدهم للمولود ملك اليهود ، وبعدأن وجدوه دعوا النجم،«نجمه».

[٤] المعجزة عند نهر الأردن

(مت ٣ : ١٦و ١٧، مر ١:٩-١٢، لو٣:٢١و٢٣، يو١)

بينما لا شئ معجزى فيما يتعلق بعملية نزول ربنا فى نهر الأردن ، إلا أنه توجد ثلاثة أحداث خارقة عندما خضع لطقس المعمودية . والسؤال عن السبب الذى جعله يقدم على « معمودية يوحنا للتوبة »، فى حين أنه الذى لم يخطئ . يمكن الإجابة عليه

باختصار ، فبينما كان من عادة الذين يقبلون على معمودية يوحنا أن يعترفوا بخطاياهم بصوت مسموع أو في صمت ، إلا أن يسوع لم تكن لديه خطايا ليعترف بها . ومع ذلك فقد يكون لديه اعتراف نيابي ، بالاعتراف بخطايا شعبه وقت نزوله لنهر الأردن ، نهر العقاب .

ولما كان يسوع كلي البرارة ، فقد طلب المعمودية على أساس «استيفاء «كل المطاليب ، لقد فعل ذلك « ليكمل كل بر »، وبإخضاع ذاته ، فقد تجاوب مع احتياجات الناس وتوقعهم للملكوت بمطاليبه الأخلاقية . ومن ذلك الوقت فصاعداً ، فقد كرس حياته لمهمة الإتيان بالخلاص المسياني . وما حدث في الأردن كان دليلاً قوياً على تكريسه وإقباله على عمله المسياني . وعزوف يوحنا عن قبوله بأن يعمد مثل هذا الشخص القدوس ، تم التغلب عليه بكلمة ربنا صاحب السلطان مت ٣ : ١٥ « أسمح الآن ».

وفي حين أن يوحنا كان ابن خالة يسوع ولابد أنه عرف عنه الشئ الكثير ، فهل تلقى إعلاناً خاصاً عن شخصية ذاك الذي طلب أن يعتمد على يديه ؟ ، وعندما قال « أنا لم أكن أعرفه » ، فهل كان يوحنا يعني أنه على الرغم من أنه كان يعرف المسيح كقريب له ، إلا أنه لم يكن يعرفه بعد كابن الله أو الشخص الذي يعمد بالروح القدس ؟ وعلى أي حال ، فبالرغم من أن يوحنا قد أُعطي ، علامة مقدسة كان يجب أن يعرف بها إلا أنه لم يعرفها إلا بعد خروج يسوع من الماء ، فقد أعطيت العلامة التي طال انتظارها . ثم اخذ وجهه يشع بالغبطة والانتصار واستطاع أن يعلن قائلاً : «هذا هو الذي قلت عنه ..هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم».

هناك ثلاثة مظاهر لهذه العلامة يمكن التعرف عليها: السموات المفتوحة ، الروح النازل ، والصوت من السماء . وعندما صعد يسوع من الماء وهو إذ كان يصلي (لو ٣ : ٢١) انفتحت السماء أو وفقاً لأسلوب مرقس الأكثر تعبيراً « انشقت السماء » ، هذا التعبير القوي يبدو أنه مرتبط بالسموات المبسوطة كشقة (مز ١٠٤ : ٢ ، إش ٤٠ : ٢٢). إن السموات المفتوحة رمز للنعمة الإلهية (حز ١ : ١ ، أع ٧ : ٥٥ و ٥٦ ، رؤ ٢١ : ١٠ و ١١) .

خرج الروح القدس من السموات المفتوحة واستقر على المسيح ، ونقرأ مرتين أنه « استقر عليه » ، كان هذا استقراراً دائماً - ليس اختباراً عارضاً- وبطريقة معجزية ، جاء الروح القدس على المسيح في صورة جسدية كحمامة . والحمامة في الكتاب المقدس رمز للسلام (تك ٨:١١) ، وهي كطائر مشهورة بهدوئها الملحوظ ورقتها ونقائها ومحبتها ، وهي صفات تجسدت تماماً في المسيح أيام تجسده على الأرض . ونزول الروح القدس كان علامة على الرضا الإلهي بحياة ابنه الحبيب خلال الثلاثين عاماً الصامتة التي قضاها في الناصرة، وكانت رمزاً أيضاً لكل ما سوف يحققه لأجل سلامنا . ونزول الروح « مثل حمامة » كان يتضمن منح قوة غير عادية وحكمة لازمة لإتمام المهمة الموكلة إليه من الله . ولذلك فقد امتلأ يسوع بهذه المسحة بلا حدود (يو ٣ : ٣٤) .

ثم هناك الصوت الغامض الذي يتكلم من السماء وهو ينطق بالبركة على يسوع . فعن طريق الإعلان الإلهي ، أعلن الله عن حضور الملك ووضع ختمه على السنوات التي عاشها . وكابن لمريم العذراء ، فقد أساء البعض فهمه ، ورفضه آخرون ، ولكن كابن الله ، لم يجلب سوى البهجة لقلب الآب ، فقد كان الآب السماوي ينظر إلى ابنه بعين الرضا بلا حدود . ومثل هذه الشهادة قد أقنعت البشر بأن يسوع هو ابن الإنسان الذي مضى قدماً ليتمم قصد الآب . «إن الشخصية الملوكية تخلق المقدرة الملكية ».

وسواء كانت هذه الرؤيا المغبوطة قد شهدها يوحنا ويسوع وحدهما أم لا ، فهذا ما لا يمكن أن نعرفه . وبما أن الرؤيا كانت تخصهما أساساً ، فلربما شهدا لوحدهما السموات مفتوحة وسمعا الصوت السماوي . لقد شهد يوحنا أنه رأى هذه الأحداث الخارقة للعادة عند نهر الأردن (يو ١ : ٣٣ و٣٤). وقد نسجت بعض المعجزات الأسطورية حول هذه القصة البسيطة في الأناجيل . فيقول جوستي « إن ناراً قد أضرمت في الأردن » . وهناك إنجيل للأبيونيين يقول : « إن نوراً عظيماً قد أشرق حول المكان » .

{٥} المعجزة فى البرية

(مت٤ :١-١٠ ، مر١ :١٢ و ١٣ ، لو٤ : ١ -١٣)

يمهد متى لقصته عن تجربة ربنا بالكلمة «ثم» بعد أن فتحت السموات ، فتحت أبواب الجحيم ، وبعد الحمامة جاء الشيطان ، وهما قريبان كل من الآخر ، بعد أى تعامل إلهى ، يأتى وقت العداوة الشديدة . لقد تلت التجربة معمودية الرب فى الأردن مباشرة. فبعد هذا الاختبار الرائع الذى شهده، رغب أن يكون لوحده . ولما كان يسوع مؤيداً من الروح القدس وممتدحاً من الآب ، أصبح يسوع مدركاً لامتلاكه قوى جديدة ، واتجه للصحراء ، المكان الذى كان يمكن أن يجد فيه فرصة للتأمل بتركيز شديد . ثم جاءه الشيطان . وعندما أشرفت التجربة على نهاية أربعين يوماً ، لابد أن يسوع شعر بعدم الانزعاج فى وحدته .

نحن نعتقد أن التعامل بين المسيح والشيطان شئ قد حدث بالفعل وبشكل محدد. لم تكن التجربة مجرد رؤية شاهدها يسوع ثم وصفها بعد ذلك لتلاميذه ، ولم تكن تمثيلاً رمزياً لما كان يعتمل فى إحساسه الداخلى أو أسطورة تجسد فى قالب تاريخى الإيمان المثالى ،كلها أسباب يقدمها أولئك الذين لا يؤمنون بمصداقية الأحداث التى سردت فى التجربة .

وعلى الرغم من أن التفسير الكامل لطبيعة التجربة الذى سوف لا نتعرض له باعتباره بعيداً عن مجال دراستنا ، إلا أنه يكفى أن نقول إنه قبل أن ينقذ يسوع البشر من أغلال الشيطان ، فإنه قد انتصر هو نفسه على قوة ومكر العدو . ويعبر دكتور كامبل مورجان باقتدار عن ذلك بالقول :

« لا يجب على الملك أن يكون فى تناغم تام مع جمال السموات وترتيبها فقط ، بل عليه أيضاً أن يواجه اضطراب وقبح الجحيم . فهو يعرف الصلاح فى أسمى صورة بل هو الصلاح بعينه ، ولكن عليه أن يواجه الشر فى أحط صوره ويتغلب عليه ، وهكذا فهو فى البرية يقف كممثل للبشرية بين الاثنين ، يستجيب لأحدهما ويرفض الآخر . لقد كسب المعركة وسحق رأس الحية ! » .

أما فيما يتعلق بمراحل التجربة الثلاث ، فهى موجهة نحو عدم الثقة والادعاء الزائف والبحث عن السيادة العالمية ، جوانب ثلاثة واجهها المسيح على الدوام ،أن يبحث عن مكاسب شخصية دون أن يتعب نفسه ، وأن يرضى اليهود الباحثين عن آيات ، وأن يبحث عن القوة عن طريق التضحية بالحق . وهذه التجارب تمثل جولة كاملة من الهجوم الشيطانى على الإنسان عن طريق الجسد والنفس والروح (لو ٤ : ١٣ ، ١ يو ٢ : ١٦) .

وإذ نأتى إلى العنصر المعجزى فى تجربة ربنا ، يمكن أن نستشف الجوانب الآتية :

أولاً ، كان على يسوع أن يقرر أن يستخدم قوته التى حصل عليها لتوه لأغراضه الشخصية وأهدافه الخاصة . فلأنه كان بلا طعام طبيعى لمدة أربعين يوماً ، فهل يشبع جوعه بطريقة معجزية ؟ إن القصة توحى بأن يسوع كان بلا طعام على الدوام ، لا يأكل شيئاً ، كما يذكرنا لوقا ، ومع ذلك فقد كان من الواضح أنه لم يكن يشعر بالجوع حتى نهاية الأربعين يوماً . وجاع أخيراً ، توحى بالعودة للإحساس بالحاجات المعتادة للحياة ، فبسبب بشريته ، فقد شعر بحاجات الجسد .

نحن لا نستطيع أن نفسر معجزة تحمل المسيح للجوع وبقائه على قيد الحياة دون طعام لمدة شهر ونصف ، بأن نقول إن الاندماج التام للروح فى الحقائق السامية والوصول لدرجة عالية من الغبطة الفكرية جعلته لا يشعر بحاجات الجسد. فلا يمكن لأى جسد بشرى فى ظروف طبيعية أن يبقى حيا لأكثر من عدة أيام قليلة دون طعام وشراب من أى نوع . لقد بقى المسيح على قيد الحياة بمعجزة تماماً كما حدث لموسى وإيليا لفترة مشابهة (خر ٣٤ : ٢٨ ، ١ مل ١٩ : ٨) .

ثم إن ربنا قاوم تجربة أن يحول الحجارة إلى خبز لإشباع حاجته الجسدية . وفيما بعد ، كان عليه أن يشبع الجوعى ، ولكنه هنا اتخذ موقف الإنسان المتكل تماماً على الله . ونفس المبدأ ينطبق على عدم استعداد ربنا للإطاحة بنفسه من على جناح الهيكل (مت ٤ : ٥) .

ثانياً، هناك معجزة ظهور الشيطان وأعماله . فمن ، الواضح تماماً أن الشيطان قد ظهر ليسوع فى صورة منظورة ، وقد سمح له الله أن ينقل المسيح من مكان إلى آخر حسبما يريد . وعلينا أن نتذكر أن الشيطان ، قبل أن يصبح شيطاناً ، كان هو لوسيفر ، فى أعلى رتبة ملائكية فى السماء « كامل الجمال » (حز ٢٨ : ١٢ - ١٥) ، وأن يسوع كالإله الأزلى يعرفه تماماً . تقول هابرش فيما يتعلق بالسماح للشيطان بالحصول على مثل هذه القوة الغريبة والتى لا نجد تفسيراً لها :

« لقد حدثت أكبر مظاهر ممارسة الشيطان لقوته المذهلة والفائقة والتى لا يدركها العقل أثناء تجربة الرب فى البرية ، عندما سمح الرب لنفسه بأن يحمله الشيطان إلى المدينة المقدسة ويريه كل ممالك العالم ومجدها فى لحظة من الزمان » (مت ٤ : ٨ ، لو ٤ : ٥) ، وهنا نرى معجزة مزدوجة . فالشيطان ما كان بإمكانه الحصول على أى قوة من غير أن يعطيه الآب إياها ، ومن غير أن يكون الابن قد سمح بها وأن يكون الروح القدس قد اقتاد المسيح لعمل ذلك . وهكذا فكل أقانيم اللاهوت قد سمحت للشيطان أن يستخدم قوته ، التى لا نجد تفسيراً لها ».

وبشكل حفظ ربنا من الوحوش المفترسة فى مثل هذه المنطقة القاحلة والمقفرة ، معجزة أخرى (مر ١: ١٣). فوجود هذه الحيوانات ، وعضات الجوع التى كانت تشعر بها ، ووحشيتها القاسية ، وعيونها اللامعة قد زودت من وحشة البرية وأهوالها ، وهذا يخيف أى إنسان . ولكن ليس الرب هكذا ، فقد كان آمناً هناك كما كان دانيال آمناً فى جب الأسود ، ومع أنه كان مع الوحوش فإنها لم تضر خالقها .أليس لديه السيطرة على كل الحيوانات التى صنعها ؟ (أى ١٢: ٧- ١٠) . فى الملك الألفى عندما يملك المسيح على الأرض سوف تتغير طبيعة الوحوش المفترسة ، فلن يكون لديها القوة على الافتراس والتدمير (إش ١١ : ٦ - ٩، ٣٥ : ٩، ٦٥ : ٢٥).

وآخر الكل ، أمامنا المعونة التى قدمتها الملائكة (مت ٤ : ١١ ، مر ١ : ١٣) . فالكتاب المقدس لا يخبرنا كيف جاءت بعد أن ترك الشيطان يسوع ، وخدمته . إن الهدوء الذى شاع ، وجمال حضور الملائكة بعد ذهاب المجرب والوحوش لابد أنه قد أدخل البهجة على قلب يسوع . فعن طريق حضور الملائكة ، أتم الله الوعد فى مزمور ٩١ بطريقته الخاصة وليس كما أراد الشيطان . فقد كلف الله ملائكته للعناية بابنه المنتصر (يو ١ : ٥١) .

{ ٦ } معجزة العلم بكل شئ

(يو ١:٤٧ - ٥١ ، ٢:٢٤و٢٥ ، ٤:٢٩، مر١١:٣)

من المعجزات التى لا نلاحظها فى حياة ربنا يسوع « علمه بكل شئ » ، هى صفة إلهية لم يتخل عنها عندما اتخذ طبيعة بشرية . ومعرفة المسيح المسبقة بنثنائيل كان لها وقع كبير على هذا الرجل الصادق . فالشخص الذى أمامه كان قادراً أن يقرأ حتى أعماق فكره تحت شجرة التين ، ظن نثنائيل أن احداً لم يره ، ولكن قد رآه ذاك الذى لا يخفى عليه شئ . ألم يكن ذلك حضوراً مسيانياً فعلياً فى عمق فكر نثنائيل ؟

ونفس الدليل على علمه بكل شئ نجده فى إعلان يوحنا عن يسوع أنه « لم يكن محتاجاً أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان فى الإنسان » .

وكالعادة فقد قرأ كل ما فى الإنسان ، فالعين التى كانت تنظر للآخرين كانت ترى ما فى الآخرين حتى أعمق أعماق قلوبهم أيضاً وتعرف كل شئ .

والمرأة عند البئر قد ذهلت لمعرفة الرب بكل شئ ، « هلموا انظروا ، هوذا إنسان قال لى كل ما فعلت . ألعل هذا هو المسيا » ، لقد شعرت أنه نبى لأن كلماته كشفت ماضى حياتها.كانت هذه علامة مسيانية المسيح التى لم يستطع السامريون أن يشككوا فيها.

ثم أمامنا حادثة الجحش والأتان فى بيت فاجى (مت ٢١ : ١ ، مر ١١ : ١). لقد علم ربنا يسوع مكان وجود الجحش والأتان الذى كان بحاجة إليهما ، وأطاع صاحبهما أمر الرب دون تردد ، ووجد التلاميذ الجحش والأتان كما قال لهما. ومن المظاهر الأخرى للعلم الإلهى بكل شئ نجده فى المعجزات التالية .

(٧) معجزة قانا الجليل

(يو ٢ : ١ - ١١)

بعد أن أحرز يسوع انتصاراً حاسماً على الشيطان فى البرية ، عاد يسوع إلى الجليل بقوة الروح ، وبدأ خدمته السامية (لو ٤ : ١٨ و ١٩ ، ٧ : ٢٢ ، مت ١١ : ٥ و ٦) .

فيما يتعلق بمكان حدوث هذه المعجزة لخدمة الآخرين - قانا الجليل - نحيل القارئ للملحق الطريف لـ «برشن» عن المواقع الجغرافية لمعجزات الكتاب المقدس . وفى قانا أيضاً تم شفاء ابن خادم الملك .

عندما نبدأ فى دراسة معجزة تحويل الماء إلى خمر ، نتوقف أولاً لنلاحظ مدلول العبارة « بداية الآيات » ، التى يقصد بها أن هذه أول معجزة أجراها يسوع . فعلى الرغم من أنه قد عاش ثلاثين سنة ، كان هذا أول إظهار للقوة المعجزية التى كان عليه أن يمارسها . وهذه الحقيقة تدحض سجلات المعجزات فى أناجيل الأبوكريفا ، والتى استبعدت على مستوى العالم كله من الكتاب المقدس بسبب طبيعتها التى تميل للأساطير والخرافات . فنجد فيها معجزات عندما كان المسيح شاباً فى مقتبل العمر وأوصافاً لهيئته ، وأفعاله فى عالم الروح ومعجزات للعذراء مريم ، كل ذلك نجده فى أناجيل الأبوكريفا والتى كتب عنها الأسقف وستكوت ذات مرة فى« مقالات كمبردج » قائلاً :

« *لا يمكن الصفح أو التغاضى عن ما فيها من أكاذيب وسخف وبربرية فى الأسلوب أو عدم ترابط قصصها* » .

هناك فجوة لا يمكن تجاهلها تفصل بين هذه الأناجيل المزورة والأناجيل الصحيحة . وإليك عينات من هذه الخيالات الجامحة الصادرة عن أولئك الذين كتبوا عن المعجزات المزعومة ليسوع عندما كان صبياً : عندما كانت العائلة المقدسة يهددها عدد من التنانين التى كانت تخرج من كهف ، قفز يسوع من حجر أمه وفرق التنانين قائلاً :« لا تخافوا لأنه على الرغم من أننى لازلت طفلاً، إلا أن جميع الحيوانات المفترسة يجب أن تصبح أليفة فى حضرتى»، وهناك معجزة أخرى تقول إن الطفل يسوع قصر رحلة مدتها ثلاثين يوماً وجعلها يوماً واحداً ، وأنه عندما دخلت العائلة المقدسة مصر ، انقلب ٣٥٥ صنماً على وجوهها إلى الأرض ، وهلم جراً . ننتقل من هذه الأساطير السخيفة إلى المعجزة الأولى التى أجراها يسوع بالفعل عند بداية خدمته القصيرة ذات الفعالية الجبارة والتى بلغت ثلاث سنوات .

بعد أن ترك يسوع البرية حضر عرساً . قبل بداية خدمته الجهرية ، كشف يسوع عن مجده سراً لتلاميذه فى حفل عرس . فى الناصرة كان مجده مخفياً . كان يسوع يعيش لمدة ثلاثين سنة متوارياً عن الأنظار ، خاضعاً لوالديه ، ولم يصنع أى معجزة . والآن فهو يخترق حجب الصمت ويجرى أول معجزة . وحيث أن يوحنا هو الوحيد الذى سجل هذه المعجزة ، لنا أن نتساءل عن الكيفية التى علم بها عن هذه المعجزة . هل كان بين الضيوف الذين حضروا أو هل سمع كل شئ عن المعجزة من مريم التى ذهبت بعد موت يسوع إلى بيت يوحنا ؟ فإن كانت هى التى ردت المعجزة ، فهى لم تخف خطأها .

والمناسبة التى حدثت فيها المعجزة كانت حفل زفاف دعى إليه يسوع وتلاميذه . ربما كان العروسين من أقرباء مريم على عكس يوحنا المعمدان ، الممهد لمجئ المسيح والمبشر بقدومه ، لم يكن يسوع زاهداً أو متقشفاً (لو ٧ : ٣٣ و ٣٤) . جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب ، لقد كان شخصاً ودوداً ومن ألطفهم معشراً ، إن الزواج تشريع سماوى وحضور ربنا يسوع فى العرس كان يعنى تقديره لهذا التشريع . ونظام الزواج الكنسى يقول : « المسيح زين الزواج بحضوره فى أول معجزة أجراها فى قانا الجليل » ، فقد كان من الملائم لذلك ، أن يوجد رب الحياة فى هذا الحفل البهيج لأنه جاء ليقدس كل الحياة البشرية .

وحضور عدد كبير من الضيوف فى حفل زفاف عائلة فقيرة تسبب فى نقص كمية الخمر مما حدا بمريم أن تلجأ ليسوع قائلة : « ليس لهم خمر » . ومع أن مريم لم تشهد أى معجزة أجريت على يد ابنها ، إلا أنها كانت تعلم أن إرساليته من فوق وهى من بين الأشياء التى خبأتها فى قلبها سنين طويلة ، وقد رفض يسوع

الاستجابة لطلب مريم فى الحال . فى مناسبتين نجد مريم تتدخل مقحمة نفسها فى أمور تتعلق بخدمة يسوع - هنا فى يو ٢ : ٣و ٤ وفى مت ١٢ : ٤٦ - ٥٠ ، وفى المرتين لم يستجب يسوع لطلبها .

إن نغمة توبيخ الرب لأمه « مالى ولك يا امرأة » يدل على أنه على الرغم من كونه كان مخلصاً لها كابن نحو أمه ، إلا أنه لم يستطع أن يسمح لهذه العلاقة الطبيعية أن تؤثر عليه . لقد انتهت سلطة مريم عليه كأم ، وليس هناك أى قسوة فى لفظ « امرأة » الذى كان يدل على عظيم الاحترام فى ذلك الوقت وكانت هذه هى الكلمة الرقيقة التى استخدمها عندما خاطب أمه من فوق الصليب قائلاً : « يا امرأة هوذا ابنك ».

كانت الأجران فى الموضع الذى أقيم فيه العرس فارغة ، وبناء على أمر يسوع ملئت الأجران بالماء . ويمكن للواعظ أن يجد مادة تفسيرية رائعة فى العظات الأربع لسبرجون عن المعجزة الأولى ، وبنوع خاص عن هذه النقطة بخصوص الأجران الفارغة . وفى الحال تحول الماء إلى خمر من نوع جيد لدرجة استدعت المديح من رئيس المتكأ الذى دعاها « الخمر الجيدة » ، فمن لم يجر معجزة فى البرية لإشباع حاجته الشخصية ، أجرى هنا معجزة لإشباع ترف ضيوف العرس ، وكم كان تدبيره يتسم بالسخاء !

ويجب أن نلاحظ أن ربنا لم يلمس أياً من الأوانى ، فقد صب الخدام الماء فيها ثم صبوا منها الخمر ، ومثل هذا التحول الفعلى قد تم بفعل القوة الإلهية ، وقد أظهرت قدرة ربنا على ثمار الأرض . إن المعجزة فى قانا انطوت على عملية سريعة استلزمت قدرة إبداعية حقيقية ، فهو الذى دبر عملية إثمار الكرمة وأعطاها القدرة على أن تشرب فى المطر والندى ، وتهضم القطرات لتكون عصير العنب . والآن فى لحظة واحدة ، فقد أراد إحداث تغييرات كيمائية فورية يتحول عن طريقها الماء إلى خمر عتيقة كالخمر التى تتعتق بحفظها .

ويمكن أن نذكر نتيجتين لهذه المعجزة الأولى ، أولاً ، فهى قد « أظهرت مجده » . إن المعجزة قد أظهرت حقيقة أن ممارسة قوة الإبداع والخلق أمر من خصوصيات الله . وهنا نرى أيضاحاً لمجد نعمته الصالحة . لقد بدأ موسى خدمته فى مصر بمعجزة من معجزات القضاء ، فقد تحول الماء إلى دم ، وهذه لعنة قد لحقت بالماء الذى هو ضرورى للحياة العادية للناس . وفى أول معجزة للمسيح ، تحول الماء إلى خمر ، التى ترمز لحلاوة وفرح العلاقات الاجتماعية بين الناس . فمعجزة قانا إذن كانت رمزية ، علامة تشير للتناقض بين العهدين ، القديم والجديد ، ولعمل المسيح كمغير ومثمر وممجد للأشياء الطبيعية بواسطة النعمة والقوة الإلهية .

والنتيجة الثانية للمعجزة أن تلاميذه آمنوا به . لقد كانوا بالطبع مؤمنين به من قبل .. وإظهار قوة ربنا قد ثبّت الإيمان بلاهوته . لقد برهنت المعجزة الأولى على قدرته على أن يجرى أى معجزة . فإذا كان فى مقدوره أن يحول الماء إلى خمر بإرادته ، إذن فهو يستطيع أن يفعل أى شئ وكل شئ . أليس من الطريف أن نلاحظ التشابه بين أول معجزة للمسيح وآخر معجزة له قبل صعوده ؟ فقد ارتبطت كل منهما بوليمة اجتماعية . « بالخمر» «والخبز» ، اللذان يرمزان للاحتفال بذكرى العشاء الذى أسسه هو بنفسه وهو حاضر دائماً فيه .

ويمكن للمرء أن يتأمل طويلاً فى الدروس المستفادة من أول معجزة للمسيح والتى أنشأ فيها ابتهاجاً حقيقياً ، أفضل وأقدس من أى فرح آخر.

(١) إن أتباعه الحقيقيين يرون مجده « فالخدام علموا » ، « وتلاميذه آمنوا » (٢ : ٩ و ١١).

(٢) العالم والخطية يقدمان ما يدعوانه « جيداً » أولاً ، وبعد ذلك يأتى ما هو « ردئ » ، ولكن يسوع يعطى أفضل شئ أخيراً (٢ : ١٠) .

(٣) الشيطان يحوّل الجيد إلى ردئ وأردأ ، والمخلّص يحوّل الجيد إلى شئ أفضل وأفضل شئ .

(٤) حيث أن هذه الأجران قد أنجزت الغرض الإلهى ، فهكذا هو يستطيع أن يستخدم أضعف الوسائط. ما نحن إلا أوان خزفية ، مشققة ومع ذلك فهو يستطيع أن يستخدم الضعفاء ليخزى الأقوياء

(٨) معجزة الميلاد الثانى

(يو ٣ : ١ - ١٦ ، ١ بط ١ : ٢٣ ، يع ١ : ١٨)

فى دراسة الأدب المتعلق بالعنصر المعجزى فى الأناجيل ، من المدهش أن نكتشف كيف أن الكتّاب يحذفون أى إشارة للتجديد كأحد المعجزات الواضحة التى يجريها الله . ولكن يا لها من معجزة أن يأخذ الله خاطئاً مسكيناً ضالاً مستحقاً لجهنم ويجعله خليقة جديدة وارثاً لله ووارثاً مع ابنه .

إن الكلمات الافتتاحية للأصحاح الثالث الشهير من إنجيل يوحنا تقول :« كان إنسان » ذات صلة بالكلمات الأخيرة فى الأصحاح السابق « علم ما كان فى الإنسان »، فبسبب علم ربنا المسبق وعلمه بكل شئ ، علم ما كان فى أى إنسان تعامل معه .

إن نيقوديموس كواحد من أفضل ما جادت به اليهودية إذ كان مخلصاً تماماً ومصمماً على أن يتحقق بنفسه من شخصية يسوع ودعاواه ، كان عينة أخرى من جنس البشر عرفها يسوع جيداً . فكعضو من أعضاء السنهدريم ، فحص نيقوديموس جيداً أوراق اعتماد يوحنا المعمدان إذا جاز هذا التعبير ، والآن فهو يفحص ويتحقق من السلطان الممنوح لهذا المعلم الجديد الذى كان يعلم أنه قد جاء من الله . إن هذا الحاكم اليهودى كان مقتنعاً تماماً بسلطان المسيح المبنى على المعجزات التى سبق أن أجراها .

جاء نيقوديموس ليسوع ليلاً ، ليس لأنه جبان ولكن لأنه كان أنسب وقت لكل منهما لحديث شخصى دون إزعاج من أحد ، يتعلق بالأمور الروحية : « لقد جاء ليلاً بدافع الوداعة والاتضاع ، وهو يخشى أن يتعرض للمهانة ، وربما للخطر . فالخرافات اليهودية كانت تدعو الناس للمكوث بالمنزل ليلاً » . وفى الحوار الذى جرى فى تلك الليلة ، نرى ربنا يسوع يتعامل لأول مرة مع أحد السائلين ، وقد كشف يسوع لإنسان شديد التمسك بالدين ونال قسطاً وافراً من التعليم ، عن ضرورة معجزة الميلاد الثانى ، وأوضح أيضاً أن موته وقيامته هما الطريق الوحيد لإحداث هذا التجديد ، فالفداء أساس لهذا التجديد (٣ : ١٤ - ١٦) .

أولاً ، ذكّر يسوع نيقوديموس بضرورة الميلاد من جديد - « يجب أن تولد ثانية » ، إن مثل هذا القول يعنى الأهمية القصوى للمشورة الإلهية ، فالإنسان المولود بالخطية ، بحاجة لأن يولد ثانية : وهكذا ، فطبيعة القلب البشرى وطبيعة السماء تخلق هذه الضرورة . فإن لم نولد ثانية ، لا يمكن أن نذهب للسماء .يقول ف .ب ماير : « عندما يقول المسيح كلمة «يجب »، فعلينا أن نستيقظ ، فهو رقيق ، وبهيج، ووديع ، وهو دائماً يرحب ويقنع ، ويستعطف ، وهو نادراً ما يستخدم صيغة الأمر . ولذا فعندما يتكلم هكذا ، فعلينا أن نتحرى هذا الأمر الذى يجعله يصرّ عليه بهذا الحماس » .

ومحور حديث ربنا أنه « كما أنه لا يمكن الدخول إلى مملكة الحياة الجسدية سوى بالميلاد الطبيعى ، هكذا فلا يمكن الدخول إلى الحياة الروحية بدون الميلاد الروحى » ، والدهشة التى خلفتها هذه الحقيقة فيما يتعلق بالميلاد الروحى ألحت على عقل نيقوديموس وانعكست فى سؤاله المزدوج إلى يسوع : « كيف يمكن للإنسان أن يولد وهو شيخ ؟ » ، كيف يمكن حدوث هذه الأشياء ؟ فاضطر يسوع أن يوبخ نيقوديموس لعدم فهمه للحقيقة الروحية التى شرحها . ولكن هذا الشخص الباحث عن الحقيقة والذى ذكر ثلاث مرات فى(٣ : ١ ، ٧ : ٥٠ ، ١٩ :٣٩) كان عليه أن يختبر أن « كل شئ مستطاع لدى الله » .

والشئ المعجزى فى الميلاد الجديد تدل عليه كلمات ربنا القائلة : « المولود من الروح هو روح .. الريح تهب حيث تشاء ... هكذا كل من ولد من الروح » . تحدث يسوع عن التجديد كميلاد من فوق أو ميلاد جديد . وهو يختلف عن الميلاد الجسدى فى أنه ميلاد جديد ، ومن فوق لأن الروح القدس من السماء يجعل ذلك ممكناً (١ يو ٣ : ٩ ، ٤ : ٧ ، ٥ : ١ و ٤ و ١٨) . إن فكرة الميلاد من السماء قد أزعجت نيقوديموس أولاً، وإذ كان ينظر للموضوع من الناحية الجسدية فقط قال : «كيف يمكن لرجل أن يولد ثانية وهو شيخ ؟ ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد» ، وفكرة نيقوديموس عن «الميلاد الثانى» ليست هى نفس فكرة يسوع عن « الميلاد الجديد »، فهو لا يفهم الفرق بين الميلادين .

إن الميلاد الجسدى لا يمكن تفسيره ، وكذلك الميلاد الروحى ، فالحياة الجسدية نفسها تتوقف على الميلاد ، وهذا صحيح أيضاً بالنسبة لمملكة الروح . وبينما يمكن للعلم أن يخبرنا الكثير عن الحياة ، إلا أن أصل الحياة نفسها لا يزال لغزاً بالنسبة للإنسان . إن مظاهر الحياة يمكن ملاحظتها ويمكن تصنيفها ، ولكن الحياة نفسها تستعصى على فهم وتحليل الإنسان . وهكذا فى الحياة الجديدة فإن الروح القدس يلد ، وعمله قد رمز إليه المسيح بالريح التى تهب حيث تشاء ولا يمكن مقاومتها وهى غير منظـــورة أيضـــاً . هذا « الريح » السماوى لا تقيده الحدود الجغرافية أو الفوارق العنصرية أو الجنسية . فالله الذى خلق الرياح ويوجهها هو الوحيد الذى يعرف عمل روحه القدوس فى قلوب البشر . نحن لا نستطيع أن نرى الريح المنتشرة فى كل مكان مع أننا نحس بها . والروح القدس لا يمكن رؤيته أيضاً . فى اللغة اليونانية كلمة « ريح » وكلمة « روح» متطابقتان .

إذا كان هذا التشبيه قد توارد إلى عقل يسوع عندما كانت الريح فى الليل تهب فى الشارع الضيق حيث كان نيقوديموس والمسيح يناقشان الحقائق العجيبة عن التجديد والفداء ، فلابد أن نيقوديموس قد فهم أن العمل الخارق للروح القدس كان غير مرئى كالريح ، على الرغم من أن تأثيراته واضحة للعيان (جا ١ : ٦).

مع أن تكوين حياة جديدة فى البطن ليس مرئياً ولكنه يصبح هكذا عند الميلاد ، فميلاد حياة جديدة فى المسيح هو العمل غير المنظور للروح القدس الخالق غير المنظور . ولكن على الرغم من أن التجديد عمل معجزى فإنه يصبح منظوراً فى الحياة الجديدة التى فيها الأشياء العتيقة قد مضت والكل قد صار جديداً ، وعلامات غسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس نجدها فى (تى ٣ : ٥ ، أف ٥ : ٢٦ ، ١ يو ٣ : ٩ و ١٤ ، ٥ : ١ و ٤) . يقـــول (هـ . ويس Wace : «إن عمل النعمة والخلاص عمل معجزى حقاً فى أنه يتطلب التأثير على طبيعتنا من قوة حية تفوق هذه الطبيعة » .

{ ٩ } معجزة ابن خادم الملك

(يو ٤ : ٤٦ - ٥٤)

بعد شفاء نفس مريضة بمرض الخطية فى السامرة حيث قضى يسوع يومين نافعين سعيدين وسط أولئك السامريين الذين آمنوا به وكانوا شغوفين لسماع كلمته ، شق طريقه إلى قانا الجليل ليشفى جسد ابن خادم الملك الذى أصابته الحمى .لقد انتقل من السامرة المتعاطفة معه إلى الجليل غير المتعاطف ، وفى حين أن هذه المعجزة كانت الثانية التى أجراها فى الجليل وهى أول معجزة شفاء قد سجلت ، إلا أن يسوع كان قد أجرى فى أورشليم بعض المعجزات الرائعة التى لم تسجل ولكن لابد أنها قد أحدثت نتائج ملحوظة « آمن كثيرون باسمه إذ رأوا الآيات التى صنع » (٢ : ٢٣ ، ٣ : ٢) .

ألا توجد علاقة ذات مغزى بين معجزتى قانا الجليل ؟ كانت المعجزة الأولى متعلقة بأمر عرس ، والثانية ذات صلة ببيت يسود عليه القلق - الأولى مرتبطة بأفراح الزفاف ، والثانيـة بأحزان عائلة . فى الأولى أضفى المسيح بهجة على الوليمة ، وفى الثانية أزال الحزن من قلوب كثيرين . وبالعودة مرة أخرى إلى المكان الذى أظهر فيه مجده ، جدد الروابط القوية التى كانت قد ربطته بالتلاميذ الذين آمنوا به هناك ، فإشارة يوحنا القائلة «حيث صنع الماء خمراً» تميز أسلوبه لتحديد مكان أو شخص بذكر حادثة معينة ذات أحداث شهيرة (انظر٧ : ٥٠ ، ١٩ : ٣٩ ، ٢١ : ٢٠ الخ) . ثم إن يوحنا هو الوحيد الذى يسجل هذه المعجزة عن ابن خادم الملك ، مما يثبت أنه كان متميزاً فى اختيار تلك الأحداث فى حياة وأعمال الرب الذى أحبه كثيراً . لقد شعر يوحنا أنه يجب أن يتجنب ما قاله البشيرون الثلاثة الأوائل عن خدمة المسيح .إن المعجزات والأحاديث التى انتقاها يوحنا قد اختيرت بسبب الدروس العميقة والمباركة التى كانت تتضمنها . ثم على الأرجح بسبب العديد من الناس المهمين وذوى النفوذ فى الجليل ، سجل يوحنا هذه المعجزة بالتفصيل .

انتقلت أخبار معجزات المسيح بسرعة ، ومن بين الذين أثارتهم هذه الأخبار ذلك الرجل الرفيع المقام أو خادم الملك فى كفرناحوم ،

وقد حاول كثيرون تحديد شخصيته دون جدوى . هذا الأب الحزين ، والذى كان ابنه على فراش الموت ، جاء إلى قانا ليطلب معونة صانع المعجزات ، والذى دوت شهرته فى الآفاق وذاع صيته . وعندما سمع عنه ، انتعش الأمل فى صدر هذا الرجل العظيم ، والذى ازداد إيمانه فتحول من شرارة صغيرة إلى نار متأججة .

أول كل شئ ، كان هناك «البحث» عن الإيمان ، لابد أن بذرة الإيمان كانت موجودة فى قلب هذا الرجل الذى دفعته حاجته الملحة إلى المسيح . لابد أنه كان يمتلك قدراً من الإيمان الذى جعله يعتقد أنه إذا استطاع أن يجذب الشافى إلى بيته فإن ابنه سوف يعافى. لابد أن هذه المعجزة كانت هامة لأنها تؤكد العلاقة بين المعجزة والإيمان ، ولتوضيح هذه الفكرة ، يقول ليدلو Laidlaw :

« فى كل معجزات الشفاء هذه ، يحاول يسوع جاهداً أن ينبر على عنصر الإيمان فى جانب أولئك الذين يطلبون معجزات شفاء أو (كما فى تلك الحالة التى فى قانا) من جانب الذين طلبوا معجزات شفاء لأحبائهم . لاحظ القيم التعليمية التى تزودنا بها هذه القصص عن أنواع وأعمال الإيمان . ففى بعض الأحيان نرى يسوع يوجه صاحب الإيمان الضعيف توجيهاً رقيقاً ، وفى أحيان أخرى ، فعن طريق الرفض الصريح يلفت النظر لقوة الإيمان القوى . وفى مرة أخرى يعلّم بأن المعجزة ليست سبباً للإيمان بل مكافأة الإيمان ، وأن الشفاء الجسدى وسيلة لجلب الشفاء الروحى، وأن الإيمان به كشاف المقصود منه أن يقود الناس للإيمان به كمخلّص ».

على الرغم من أن الحزن فى قلب خادم الملك كان هو مخاض ولادة الإيمان فى داخله إلا أنه كشف عن «محدودية» ذلك الإيمان عندما حدَّ من قوة المسيح وقصرها على وجوده المحلى فقط . فهو لم يستمع لتوبيخ المسيح حين قال له : «لا تؤمنون إن لم ترد آيات وعجائب» ، ولأجل خوفه لئلا يفقد ابنه استحث المسيح قائلاً : «انزل قبل أن يموت ابنى» ، إنه لم يكن يدرك أن الشخص الذى جاء يطلب معونته كان قادراً على الشفاء من بعيد تماماً كما لو كان فى البيت . كان عنده إيمان أنه حيثما يوجد المسيح فإن المرض سوف يهرب ، ولذا فعلى المسيح أن «ينزل» ، حتى يشفى الولد. لم يكن هذا الأب اليائس على استعداد أن يصدق قول المرنم « أرسل كلمته فشفاهم » ، ومع ذلك فمع أن إيمان خادم الملك كان محدوداً وضعيفاً إلا أنه كان حقيقياً . وقد تعرَّف ربنا بدقة لا تخيب على نقطة الضعف فى إيمان ذلك الأب القلق وعالجها .

إن الإيمان بالشئ الخاطئ ، مهما كان قوياً ، لن يخفف الألم ، ولكن الإيمان بالشئ الصحيح ، حتى وإن كان ضعيفاً ، يفعل ذلك . فليس الإيمان نفسه هو الذى يريح ولكن قوة ذلك الشخص الذى نؤمن به . كم يميل الإنسان لمشاهدة الظواهر الخارجية والمادية للقوة الإلهية ! ولكن مع أن المسيح كان يبدو أنه لم يستجب لطلب خادم الملك إلا أن كلماته كانت مصححة للاتجاه وتعليمية فى نفس الوقت.

ونأتى الآن إلى مكافأة الإيمان ، فهذا الرجل الرفيع المكانة لم يشك أبداً فى التأكيد الصادر من فم يسوع . فبدون أى انفعال من أى نوع ، ودون أى علامة أو كلمة أخرى من المسيح ، آمن الرجل بالكلمة التى قيلت ومضى فى طريقه . ومن الواضح ، لأن إيمانه كان مكتملاً (لأنه يبدو أنه لم يسرع الخطى ليعود للمنزل) فقد قبل إعلان يسوع أن ابنه سيكون معافى . فإيمانه جعله لا يسرع، فشرارة الإيمان التى قادته للمسيح أصبحت شعلة من الإيمان عندما تركه . وفى الطريق إلى المنزل بشَّره عبيده بالخبر السعيد أن ابنه قد شفى . وعند الاستعلام منهم ، وجد الأب أن الحمى قد تركت الجسد فى نفس الساعة التى قال فيها المسيح : « إن ابنك حى» .كان الأثر مضاعفاً لمثل هذه المعجزة ، فالابن المريض شفى من الحمى الخطيرة والأب شفى من ضعف الإيمان . وبسبب المعجزة آمن كل بيت خادم الملك . فبدون هذه المعجزة لما آمنوا به . والدرس الذى نستفيده فى هذا الصدد أن الإيمان يدفع لمزيد من الإيمان .

أما عن طبيعة المعجزة نفسها ، فيسوع شفى الولد المائت من على بعد ، فالمسافة بين كفرناحوم وقانا تزيد على عشرين ميلاً ، ومع ذلك فبإرادة المسيح ، شفى الولد بكلمة من فمه . وطبقاً للعلم الحديث ، فالزر الذى يضغط عليه فى مكان ما يدفع بمياه سد جديد ضخم على بعد أميال لتنطلق بسرعة . لم يكن للمسيح طريقة أو

خطة منتظمة . ففى بعض الأحيان كان يأمر بإحضار المرضى إليه (مت ١٧:٧) ، ومع ذلك فقد كان يمكنه الشفاء بكلمة أو لمسة . وأحيانا كان يستخدم وسيطاً ، وفى أحيان أخرى كان الشفاء مباشراً. لقد توقع خادم الملك أن يكون شفاء ابنه متدرجاً وعلى مراحل ، ولكن الحمى تركته ليس بالتدريج بل فى الحال . وأصبح المريض معافى تماماً .

وشفاء ابن خادم الملك فى كفرناحوم سمع عنه سكان الناصرة ، وأرادوا تكرار معجزات الشفاء فى بلدة المسيح (لو ٤ : ٢٣) ، ومع ذلك لم يجرب الرب معجزة واحدة فى المكان الذى عاش فيه ثلاثين سنة . فهناك كان لدى السكان الدليل الكافى على نقاء حياته وقداستها ، وكان ذلك برهاناً كافياً على صدق إدعائه بأنه يقدر على كل شئ .

وبما أن معجزة شفاء ابن خادم الملك ومعجزة شفاء عبد قائد المئة قد تبدو متشابهتين أو أنهما رؤى مختلفة لنفس المعجزة ومن هنا يلتبس الأمر على الكثيرين ، فلى كلمة موجزة قد تكفى لتوضيح الفروق الحادة بين المعجزتين كما ذكرها ترنش وتايلور وآخرون . ونحن نشعر أن اليكوت يقدم أفضل موجز لتلك الفروق :

(١) يطلب خادم الملك شفاء ابنه - ويطلب قائد المئة شفاء غلامه (خادمه) (مت ٨ : ٦ ، لو ٧ : ٢) .

(٢) طلب خادم الملك الشفاء شخصياً - ولكن شيوخ اليهود توسطوا لأجل قائد المئة (لو ٧ : ٣) .

(٣) كان خادم الملك يهودياً - وكان قائد المئة أممياً (لو ٧ : ٩).

(٤) سمع خادم الملك كلمات الشفاء فى قانا - وقيلت كلمات الشفاء لقائد المئة فى كفرناحوم (مت ٨ : ٥ ، لو ١:٧) .

(٥) كان ابن خادم الملك يعانى من الحمى - وخادم قائد المئة كان يعانى من الفالج (مت ٨ : ٦) .

(٦) أراد خادم الملك من المسيح أن يذهب معه إلى بيته - واستنكر قائد المئة ذلك (مت ٨ : ٨ ، لو ٧ : ٧).

(٧) فى قانا قال يسوع كلمة فقط ولم يذهب للبيت - وفى كفر ناحوم من الواضح أنه فعل الأمرين معاً (مت ٨ : ١٣ ، لو ٧ : ٧).

(٨) فى قانا أنّب المسيح ضعف الإيمان وطلب آيات وعجائب - وفى كفر ناحوم تعجب من قوة الإيمان (مت ٨ : ١٠) .

(١٠) معجزة شفاء مريض بركة بيت حسدا

(يو ٥ : ١ - ٩)

إحدى سمات المعجزة التى سوف نتناولها الآن أنها أوجدت شقة الخلاف بين المسيح والقادة الدينيين والتى انتهت بالصليب . فإن المعجزة أجريت فى يوم سبت ، فقد أشعلت فتيل الثورة ضد المسيح . فإذا كان المسيح يتحدث مطالباً مساواته بالله ، فقد وبخ أعداءه لأنهم فتشوا الكتب ولكنهم لم يفهموا أنها تشير إليه .وكان هؤلاء الرافضين للمسيح ودعوته ، ذوى قلوب متحجرة حيث كانوا حريصين على التمسك بحرفية الناموس والتدين الظاهرى .

قبل حدوث معجزة بيت حسدا هذه بسنة ، كان يسوع قد أثبت دعاواه المسيانية بتطهير الهيكل . والآن فهو يجرى معجزة فى يوم السبت عن عمد للقضاء على الأفكار الخاطئة الخاصة بمثل هذا اليوم المقدس . وبسبب هذه المعجزة ، لقيت دعاوى لاهوته انتشاراً كبيراً فى العاصمة حيث لم يُجر سوى قليل من المعجزات بسبب عدم الإيمان . وشرح دعواه أمام السنهدريم قد أثار حفيظة القادة مما ولّد فيهم ميلاً لقتله ، وهو الشئ الذى كانوا أدواتاً لتنفيذه بعد ذلك بعامين . وقد أشار ربنا يسوع لمعجزة بيت حسدا ولإصرار السنهدريم على قتله بعد ذلك بـ ١٨ شهراً ، عندما لفت أنظار القادة والحكام لتناقضهم لإجرائهم الختان فى يوم السبت واعتراضهم على معجزات الشفاء التى أجراها فى ذلك اليوم . فلأجل شفاء الرجل ذى اليد اليابسة فى يوم السبت خطط أعداؤه لقتله كما سوف نرى عندما نأتى لهذه المعجزة (مر ٣ : ٦) .

وكل الذين شفاهم المسيح فى يوم السبت سبعة أشخاص :

(١) مريض بركة بيت حسدا فى أورشليم (يو٥:١ - ٩).

(٢) الرجل الذى ولد أعمى (يو ٩ : ١ - ١٤).

(٣) الرجل الذى به الروح النجس فى كفر ناحوم (مر ١ : ٢١ - ٢٧) .

(٤) حماة بطرس (مر ١ : ٢٩ - ٣١) .

(٥) الرجل ذو اليد اليابسة (مر ٣ : ١ - ٦) .

(٦) المرأة المنحنية (لو ١٣ : ١٠ - ١٧) .

(٧) الرجل الذى كان يعانى من الاستسقاء (لو١٤ : ١-٦).

بيت حسدا ، مكان حدوث المعجزة ، كلمة تعنى بيت الرحمة أو العطف ، وقد وجدها يسوع بيت البؤس لكثيرين . وكانت تقع على الجانب الشرقى من أورشليم حيث كانت توجد ولا تزال عيون مياه معدنية . لقد كانت هذه ولاتزال ذات مياه غير دائمة ، وكان يلجأ إليها المحتاجون فى الشرق كما يلجأ الناس فى الغرب للعيون المشابهة للاستشفاء . والبركة التقليدية لبيت حسدا تعرف الآن باسم « ينبوع العذراء » حيث لا يزال يوجد نبع ماء ، وحادثة معجزة نزول الملاك محذوفة فى معظم الطبعات اليونانية القديمة . وبغض النظر عن الشك فى قصة الملاك إلا أنه من الثابت أن الله له وسائله الخاصة ، المنظورة وغير المنظورة ، لإتمام إرادته . ويوحنا نفسه يصف مرة ثانية نشاط « ملاك المياه » (رؤ ١٦ : ٥) لإتمام المقاصد الإلهية .

وعندما تتحرك المياه بطريقة أو بأخرى فإنها تحدث أثراً فعالاً وسواء كانت المياه لها هذا التأثير الشافى بصورة معجزية بعد تحريك الملاك لها أو أنها تحمل هذه الميزة بصورة دائمة ، فهذا ما لا يمكن معرفته عن يقين . وإذ تروى القصة وجهة نظر هذا الرجل المريض عن المنافع الموجودة فى هذه البركة ، فإن فى هذا دليل كاف يبرر وجوده حولها هذه المدة الطويلة . وتعليق اليكوت الذى اقتبسه تايلور أفضل تفسير قرأته :

« *إن المياه التى تخرج منها الفقاعات وهى تتحرك وكأنها تهب حياة جديدة ، وفى تأثيرها الشافى يبدو أنها تحمل طاقة جديدة للعميان،والعرج وفاقدى القدرة على الكلام ، فقد كانت بالنسبة لهم بمثابة حضور الإله الحى . إنهم لم يعرفوا العناصر التى تتكون منها ، ولم يستطيعوا تتبع ناموس عملها ، ولكنهم عرفوا الله مصدر كل خير ، الذى وهب العقل للإنسان والتأثير الشافى للمادة ، والمهارة للطبيب ، وقبلوا العطية كمنحة مباشرة منه* » .

والأروقة الخمسة المذكورة قد أعدت لاستقبال المرضى الذين كانوا يرغبون فى الاستفادة من المياه .. وبعض آباء الكنيسة الأوائل الذين كان سرورهم إظهار الجوانب الروحية فى الكتاب المقدس ، كانوا يرون فى الأروقة الخمسة رمزاً لأسفار موسى الخمسة - الناموس . وحيث أن المسيح وحده هو الذى يشفى المرضى ، هكذا فالنعمة وحدها يمكنها أن تعود بالنفع على الخطاة . فالناموس ، وهو عاجز ، لا يستطيع أن ينقذ ويخلص . وفيما يختص بوصف أولئك الذين كانوا يطلبون الشفاء بأنهم « مرضى » يعنى أنهم يعانون من أمراض مختلفة أو أنهم بلا قوة . وبعضهم كانوا عمياناً أو عرجاً أو يعانون من الضعف وعدم القدرة على الكلام . وذكر أربع حالات فى حين أن المقصود جميع الحالات ، توجد فى الكتاب المقدس فى (خر ١٤ : ٢١ ، رؤ ٦ : ٨ ، مت ١٥ : ٣١) .

بعد أن وصل يسوع للبركة ، لفت انتباهه شخص مسكين يتألم ، والذى ظل يدفع ثمن الخطايا التى ارتكبها لمدة ٣٨ سنة ، على شكل نوع من العجز الجسدى . وعلم ربنا بكل شئ يتجلى فى معرفته بأن لهذا الشخص العاجز مدة طويلة على هذا الحال . والآن فعند البركة تقابل العليم بكل شئ بهذا الشخص الكسيح . ألم يدهشك السؤال الذى يبدو غريباً والذى وجهه يسوع «أتريد أن تبرأ ؟ » ، إن الوجود اليومى لهذا الشخص المريض عند البركة كان دليلاً كافياً على أن أعظم أمنية له أن يصبح سليماً. يرى «ترنش» أن لسؤال يسوع هدف ، حيث أن الرجل لم تتح له فرصة الشفاء وبالتالى فقد مات الأمل داخله ، وربما دب الذبول فى قلبه كما حدث لأطرافه . ولإشفاق يسوع على حالة الرجل الميئوس منها ، ساعده لتقوية إيمانه الذى كان لابد منه لحدوث الشفاء .

إن عجز هذا الإنسان المقعد المقيم عند البركة يتضح من إجابته على سؤال يسوع : « ياسيد ليس لى إنسان يلقينى فى البركة متى تحرك الماء » ، إن إلقاءه فى الماء كان مطلوباً قبل أن تتوقف حركتها

(مر ٧ : ٣٠ ، لو ١١ : ٢٠). إن وجه هذا المخلوق اليائس كان يحمل نظرة « غاب منها الأمل » .

وننتقل الآن من المريض البائس إلى الطبيب القوى . قال يسوع : قم احمل سريرك وامش » .لقد كان الرجل ينتظر ملاكاً ، ولكن فى ذلك السبت ، جاء سيد الملائكة ، وبعطف غير محدود شفى الرجل. إن أمر يسوع كان يبدو مستحيل التنفيذ ، حيث أن الرجل لم يستطع أن ينهض من ذاته ، ولكن هذا الأمر كان صادراً من القادر على كل شئ ، وأوامره تحمل معها القدرة على التنفيذ « أمين هو الذى يدعوكم الذى سيفعل أيضاً » .(١ تس ٥ :٢٤) . وهكذا فالقوة التى قام بها الرجل لم تكن من عنده . أما عن الشفاء فقد كان فورياً مباشراً كاملاً ومجانياً ، تماماً كالشفاء الروحى الذى يمنحه المسيح . ثم أمر يسوع الرجل الذى شفى أن يحمل سريره أو فراشه المهلهل البائس ويمشى. ليس هناك احتمال لحدوث انتكاسة . عند البركة كان الرجل يضع ظهره على سريره ، والآن فهو يغادرها وسريره على ظهره . فقد كان من المرجح أن يترك الرجل فراشه المهلهل والذى كان يتمدد عليه خلفه ، ولكن المسيح أمره أن يحمل فراشه البائس ويأخذه معه لهذه الأسباب التى يقترحهـا ليدلو Laidlaw :

(١) كبرهان على شفائه التام فهو لا يستطيع أن يمشى فقط بل أن يحمل فراشه أيضاً .

(٢) كدليل على شخصيته ، ليثبت أنه نفس الرجل الذى كان يرقد عاجزاً مدة طويلة عند البركة .

(٣) كامتحان لإيمانه بشافيه وشكره له . وإذ كان الرجل يثق فيه ، فقد فعل كما أمره بالضبط .

على الرغم من أن القدرة غير المحدودة تغلبت على العجز ، إلا أن واحداً فقط قد اختير من بين جمهور المرضى فى ذلك السبت ليصبح متلقياً لقدرة المسيح الفائقة . لماذا لم يشف كل من كان عند البركة فى ذلك اليوم ؟ يقول ترنش « شفى المسيح واحداً فقط ، لأنه لم يأت الآن ليشفى أجساد البشر سوى لكى يلحق بهذا الشفاء الأعظم لنفوسهم وأرواحهم » .

إن أعضاء مجمع السنهدريم ، رؤساء الأمة الدينيين ، لم يفرح قلوبهم الجامدة شفاء ذلك الرجل المقعد .كل ما كان يقلقهم قيام المسيح بإجراء هذه المعجزة فى يوم سبت ، ولقد نسوا أن الله ليس عنده سبت حين تكون الخطية والبؤس موجودين . ونرى الحقد المتسم بالمكر عند الخصوم لأنهم لم يسألوا « من شفاك ؟ » بل «من هو الإنسان الذى قال لك احمل سريرك وامش »، ولكن الإنسان الذى شفى لم يكن يعرف شافيه الرحيم . يقول يوحنا إن « يسوع اعتزل » ، هى كلمة لم تستعمل فى أى موضع آخر فى العهد الجديد . كيف وأين ذهب ، هذا ما لا نعرف له إجابة .

وفيما بعد تقابل الشافى والإنسان الذى شفى فى الهيكل ، فعبر الإنسان الذى كان عاجزاً متألماً عن امتنانه للقدير واعترف بجرأة عن الأعجوبة التى حدثت معه أمام أعداء يسوع. لم يستطع أن يجادل بخصوص حفظ السبت أو عدم حفظه . كل ما كان يعرفه هذا الشخص الممتنّ أن الشخص الذى استطاع القيام بهذا الشفاء العظيم لديه السلطان على أن يقول ما يجب وما لا يجب عمله فى يوم السبت .

ووجود علاقة قوية بين الخطية والألم يمكن أن نجده فى التحذير الخطير للشخص الذى شفى: «لا تخطئ ثانية لئلا يكون لك أشرّ»، ونحن لا نعرف شيئاً عن خطية ذلك الإنسان التى ارتكبها فى ماضى حياته - كان المسيح العالم بكل شئ يعرفها - وكان الرجل مدركاً تماماً لها . وبعد أن شفى من مرضه الجسدى ، يجب أن يشفى من مرضه الروحى «قم وامش»-«لا تخطئ ثانية».لقد منح القوة ثم العفو . وسواء كان «ما هو أشرّ» والذى حذر منه يسوع سوف يكون فى هذه الحياة أو الحياة الأخرى ، فهذا ما لا نعرفه . لا شك أن الرجل الذى شفى والذى تم تذكيره فى لحظة «بال ٣٨ سنة الماضية من حياته. والتى كانت الخطية هى المسببة لكل الآلام التى تحملها كل هذه المدة الطويلة مضى قدماً ليصبح معافى روحياً وجسدياً .

(١١) معجزة اصطياد السمك الكثير لأول مرة

(لو ٥ : ١ - ١١ ، مت ٤ : ١٨ - ٢٢ ، مر ١ : ١٦ - ٢٠ ،

يو ١ : ٣٥ - ٤٣)

لو أن التجارب التى نمر بها تقدس الأماكن ، لأصبح قارب بطرس المعتاد أثمن شئ يمتلكه ، لأن سيده جعل من ذلك القارب المنبر الذى تفوه وهو جالس فيه بأسمى الحقائق ، وأظهر فيه قوته المجيدة الفائقة . فى ذلك الصباح الذى لا ينسى ، كان بطرس فى نفس البحيرة وفى نفس القارب يستعمل نفس الشباك كالليلة العقيمة الماضية، ولكن يا له من اختلاف كبير قد حدث عندما أطاع المسيح ! إن حصاد السمك الكثير قد غير كل شئ لدى بطرس ولوقا ، أسلوبه الأكثر كلاسيكية من البشيرين الآخرين ، هو الوحيد الذى وصف بحر الجليل بأنه « بحيرة جنيسارت » ، وهو وحده الذى يسجل المعجزة المدهشة التى أدت إلى التلمذة الكاملة لبطرس وزملائه . فى حين أن الروايات التى ذكرت من قبل بها العديد من أوجه الاتفاق المشتركة ، إلا أنه قد أثير سؤال عما إذا كانت تشير لنفس الحدث . وعند مقارنة قصص دعوة المسيح لتلاميذه الأوائل ، فيبدو أن هناك أوجهاً مختلفة لنفس الدعوة . ولكن كما يفسر ترنش ذلك فيقول : « نفس الحادثة سوف تبرز من وجهات نظر متباينة لشهود مختلفين .. فلا نندهش أن اثنين أو ثلاثة من الرواة قد أوردوا مراحل مختلفة فى تطور الأحداث ، كثيرة ولكنها ليست متباينة ، وقد تكون هذه المراحل لنفس الحدث » . وعلينا أن نكون شاكرين لأنه يمكننا أن ننظر للأحداث الهامة من جوانب متعددة .

تنبأ إشعياء عن الجليل كالمسرح الرئيسى لأعمال الخير التى سوف يقوم بها المسيا (٩ : ١و٢) ، وها هو المسيح قد جاء ، فقد علّم الناس الذين كانوا يمارسون ضغطاً عليه لسماع كلمة الله ، واقفاً فى قارب مستعار من بطرس ، ثم استدار بعيداً عن الجمهور وخاطب الرجل صاحب القارب الذى كان عليه أن يتعلم من أعمال المسيح أكثر بكثير مما كان على الناس أن يتعلموه من أقواله . قال يسوع مخاطباً صاحب الحرفة الصغيرة : « ابعد إلى العمق وألقوا شباككم للصيد » .

وكانت إجابة بطرس تدل على أنه صياد عريق - « يا معلم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً » بعد ليلة حافلة بالتعب الشديد ، كان يمكن لبطرس أن يجيب يسوع بالقول:« الآن يا معلم ، أنا صياد وأعرف كل طرق الصيد ، وأنت نجار . الليل هو وقت الصيد ، وليس الصباح عندما تكون الشمس مشرقة ». ولكن أمر يسوع ألزم بطرس ، الذى ردَّ على الفور : «على كلمتك ألقى الشبكة »، وهنا نلاحظ التغير من صيغة الجمع لصيغة المفرد . فيسوع قال «شباك» ولكن بطرس قال « شبكة » ، فكما لو أنه قال لنفسه «سوف أطيع أمره مع أنى أعرف أن الأمر لن يختلف فى شئ عن الليلة السابقة . سوف ألقى شبكة واحدة على أى حال ». هل كان ذلك يعد طاعة جزئية ؟ هل كان بطرس يجهل قوة الرب فى أن يأمر حتى سمك البحر حين قال « على كلمتك ؟ » . إن كلمة هذا الملك تحمل قوة فى طياتها .

إن نتيجة إنزال الشبكة فى البحر كان مذهلاً . لقد كانت هناك كمية كبيرة من السمك تفوق قدرة الشبكة على الاستيعاب لدرجة أن بطرس اضطر للاستعانة بزملائه الصيادين فى القارب الآخر لمساعدته فى جذب الشبكة إلى الشاطئ . والمعجزة هنا أن سرب السمك كان بجوار قارب بطرس فى نفس اللحظة التى قال فيها يسوع « ألقوا شباككم » . ليس هناك معجزة فى اكتشاف سرب من السمك ولا فى الهجرات الموسمية له ، وطرقها حين تمر فى مسالك البحار قد تكون عجيبة ولكنها بالتأكيد ليست معجزات (مز ٨ : ٦ و ٨) . والكائنات البحرية تطيع أمر المسيح كالمخلوقات الأخرى التى صنعها . فبناء على علمه بكل شئ ، عرف مكان وجود السمك فى بحر الجليل ، مع أن بطرس لم يستطع أن يصيدها الليلة الماضية ، وقد استطاع بقوته إحضار ذلك السرب الضخم لذلك المكان المعين فى اللحظة المعينة . وهكذا « تحول ما هو طبيعى ليدخل فى نطاق ما هو معجزى بالطريقة التى تم بها التوقيت والغاية التى خلق لأجلها ».

إن المسيح هو رب البحر الحقيقى كما هو رب البر أيضاً . فهو رب السماء والأرض والبحر (مز ٨) - الحاكم المتسلط على كل شئ . وكان فى إمكانه إحضار ١٠٠٠٠ سمكة إلى الشاطئ دون

القفز إلى داخل القارب ، ولكن فى هذه الحالة فقد استخدم الوسيلة ، وهكذا وجه السمك نحو الشبكة . إن مثل هذا العنصر المعجزى أسمى مما يدعوه الناس« قوانين طبيعية أو« علل ثانية »، فالسمك لم يتصادف وجوده بمحاذاة قارب بطرس فى تلك اللحظة ، ولكن السمك أطاع إرادة عليا . ويسجل يوحنا معجزة أخرى لصيد السمك سوف نتعامل معها فيما بعد . وعند هذه النقطة ، فإننا نلفت الأنظار ببساطة لحقيقة أن المعجزة الأولى لصيد السمك كانت عند بداية خدمة ربنا والثانية كانت عند نهاية خدمته . وكلاهما حدثتا فى بحر الجليل بعد ليلة من المجهود الشاق . ولسبرجون عظة رائعة لأوجه الاختلاف والإتفاق بين المعجزتين .

إن معجزة «القوة» التى شهدها بطرس أدت لمعجزة «النعمة»، وهذا الاستعلان للعنصر المعجزى قد أمده بالبرهان المدهش على علم المسيح بكل شئ وقوته غير المحدودة ، ومع هذا الإعلان جاء الاعتراف بحالته الخاطئة « اخرج من سفينتى يارب لأنى رجل خاطئ » ، ولحسن حظ بطرس أن الرب لم يخرج من سفينته . بمشاهدة بطرس لمجد الرب ، رأى قلبه الشرير . ولبعض القديسين الآخرين اختبار مماثل (أى ٤٢ : ٥ و ٦ ، إش ٦ : ٥ ، رؤ ١ : ١٧) .

بالإضافة لذلك ، فمعجزة الجليل أعطت ليسوع الفرصة التى كان ينتظرها لدعوة بطرس والباقين للتلمذة له . لقد تم تصميم المعجزة من قِبل يسوع لاصطياد بطرس فى « شبكته » ، وهذا ما حدث . « من الآن تكون تصطاد الناس » . وبعد أن جاء بطرس واندراوس ويعقوب ويوحنا بالقاربين إلى الشاطئ ، تركاهما وتبعوا يسوع . أما ما حدث لكمية السمك الكبيرة فلا نعـــرف عنه شيئاً .فمن الواضح أنه بعد هذا الاستعلان المذهل للقوة ، علم الصيادون أن الذى دعاهم للتفرغ للخدمة قادر على تلبية كل احتياجاتهم . لقد علمتهم المعجزة أن ينتظروا من يسوع الكثير، وكم كان يسوع مسدداً لكل احتياجاتهم ورحيماً بهم فى السنوات التى تلت تلك الحادثة .

{ ١٢ } معجزة شفاء الرجل الذى كان به روح نجس فى المجمع

(لو ٤ : ٣٣ - ٣٦ ، مر ١ : ٢٣ و٢٤)

أجريت هذه المعجزة فى يوم سبت لا تُنسى ذكرياته . لقد كان يوماً يتميز بنشاط مكثف وأحداث غير عادية . ففى القسم الأول من هذا اليوم المقدس ، ذهب يسوع ، كما كانت عادته ، إلى المجمع حيث قرأ وعلَّم بطريقة مؤثرة ، واستمع الجمهور فى دهشة . وأثناء خدمته ، تمت مقاطعة الخدمة فجأة بصياح رجل عليه روح لجس ، أنقذه يسوع . وبعد ذلك ، فى نفس اليوم ، عندما كان فى منزل بطرس ، أقام حماة بطرس حيث شفاها من الحمى وأصبحت فى كامل الصحة . وفى نفس اليوم ، عند المساء ، اجتمعت المدينة كلها حول باب بيت بطرس ، وشفى المسيح جميع السقماء وسط الجمهور مظهراً قوته غير المحدودة ، فلا بد أنه كان منهكاً فى نهاية يوم كهذا قام فيه بكل هذا النشاط المذهل ! كان يسوع فى كثير من الأحيان يتعب من المجهود الذى يبذله فى عمله ، ولكنه ما أبداً سئم منه (يو ٤:٦). ولسوء الحظ ، فالجزء المتبقى من الليل الذى يستريح فيه كان قصيراً جداً ، لأننا نقرأ أنه قام فى الصباح الباكر قبل طلوع الشمس وذهب إلى موضع خلاء فى البرية للصلاة .

فى ذلك اليوم الخالد ، امتلك يسوع ناصية السبت والمجمع فى آن واحد ، لأنه كان رب الاثنين . فالمادة الجديدة والطريقة الجديدة التى كان يقدم بهما تعليمه ، والمتسم بالسلطان ، والذى كان مختلفاً عن السرد الجاف للتقليد الذى كان يقوم به الكتبة ، قد حوَّل السبت إلى يوم الرب الجديد . وإذ كان يعلّم بكل جلال وقوة ، تم مقاطعة حديثه . لقد وقعت حادثة غريبة وهى صراخ الرجل الذى به الروح النجس - « وهى حادثة قد نقلت من مكانها فى إنجيل لوقا حتى تكون متجاورة مع حادثة أخرى مشابهة حدثت فى الناصرة ، ليظهر الفرق الواضح فى التعامل مع يسوع عن طريق المقابلة بين الحادثتين ، ورفْض يسوع فى يوم السبت من قبل فى الناصرة ، والترحيب به فى يوم السبت فى كفر ناحوم . ومرقس يضع حادثتى الشفاء متزامنتين بعد معجزة صيد السمك الكثير وليس قبله» ،

لقد تم شق حجب الصمت فى المجمع بتلك الصرخة المدوية ، وظهر الرب كسيد عالم الشر السفلى والذى جاء ليدمر مملكة الشيطان .

هناك سؤال متعلق بحضور الرجل ذى الروح النجس فى المجمع . كيف ذهب إلى هناك ؟ من الواضح أنه على الرغم من أن به روحاً نجسة ، إلا أنه لم يكن مستبعداً من العبادة العامة ، وربما لم يكن معروفاً عنه أن به شيطاناً حتى أدرك الشيطان الساكن فيه أنه فى حضرة شخص أقوى من مملكة الشر التى كان ينتمى إليها ، إن الذى صرخ هو الشيطان وليس الرجل الذى كان يسكن فيه . لقد تقابل يسوع مع عديدين بهم أرواح نجسة فى الخارج ، ولكن أن يقتحم هذا الشخص مكاناً فى حضرة الله فهذا أمر غير عادى .

ألا يوجد لدينا اليوم ما يشابه وجود الشيطان فى المجمع ؟ هل التاريخ يكرر نفسه ؟ إنى أعتقد أن هذا صحيح . فعندما يقف بعض الوعاظ فى المبانى المقامة للتبشير من الكتب المقدسة الموحى بها والمعصومة من الخطأ، ويشككون فى مصداقية الكتاب المقدس ، ويرفضون المعجزات ، وميلاد المسيح من عذراء ، ودم الكفارة ، وقيامة المسيح بالجسد ، فما هم بكل ما حصلوا عليه من تعليم وتهذيب ، إلا شياطين فى المجمع ؟ وما داموا لا يمثلون روح الحق ، فلابد أن روحاً آخر قد امتلكهم . إن الرسول يحثنا ألا نشترك فى أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحرى أن نوبخها (أف ٥ : ١١) . إن الملامح المميزة للروح النجس فى المعجزة التى أمامنا هى كالتالى :

(١) وصف هذا الشخص أن به روح شيطان « نجس »

هذه هى الحالة الوحيدة من حالات سكنى الشياطين فى البشر التى يصف فيها لوقا هذا الشيطان بأنه (نجس) ، يقول تايلور : «أن يوصف المغتصب هنا بأنه « نجس » يدل على مقدار الفساد الأخلاقى الذى يتسم به »، ولذا فنحن لا نندهش عندما نجد أنه قد تراجع بعنف من أمام القداسة التى لا تشوبها شائبة التى للمسيح . وقد اضطر للاعتراف بهذه القداسة ولم يستطع تحملها،ولذا فقد صرخ فى خوف .

(٢) الشيطان متجسداً

إن هذا الشيطان قد غزا شخصية الرجل واستخدمها كواسطة للتعبير عن ذاته . وفى حين أن مثل هذا الامتلاك قد لا يمكن تفسيره إلا أنه حقيقة مدونة . فالشيطان ، كما نعلم ، يقلد الله ، ويحاول دائماً أن يحاكيه . ولذا فعندما تجسد الله فى ابنه ، فكَّر الشيطان أن يتجسد هو أيضاً . والشخص الذى به الروح النجس فى المجمع كان الشيطان مجسماً أو فى هيئة بشرية . وقد كان يهوذا الإسخريوطى شخصاً آخر سمح لنفسه أن يمتلكه الشيطان(يو ١٣ : ٢ و ٢٧) . وفى الحالة التى أمامنا ، فقد الرجل شخصيته الواعية ليصبح هو والشيطان كيان واحد ، وقد كان هو المتحدث بلسان الشيطان (مر٥ :٧) .

(٣) لقد اعترف بدعوى المسيح كابن الله

لعلنا نذكر أن كل الأرواح النجسة والشيطان كانوا ذات مرة ملائكة قبل أن يسقطوا ، وبالتالى فقد كانوا فى حضرة مجد المسيح فى الماضى السحيق ، ولذا فليس من المستغرب أن نجدهم يعترفون بلاهوته . إن الروح النجس الذى نحن بصدده ، عرف المسيح ولم يتردد أن يعترف به كالقدوس ، وهو لقب من ألقابه منذ القدم (مز ٨٩:١٩) . وفى حين أن تعليم المسيح قد جعل سامعيه يتعجبون ، إلا أن الروح النجس قد انزعج وصرخ قائلاً : « ما لنا ولك يا يسوع النصرى ». إن المرء ليتساءل كثيراً إن كان وعظنا الحالى يزعج قوات الشر فى الجحيم أم لا ، فلأنه خال من السلطان والقوة والمسحة التى تتسم بها خدمة المسيح ، فهو لا يثير أى حركة بين الرياسات والسلاطين فى جهنم .

(٤) إن شهادته للمسيح مرفوضة

يقول فاوست إن المسيح منع الشيطان من الشهادة له حتى لا يستند إيمان الناس على مثل هذه الشهادة ، مما يدعم من تشهير اليهود بالمسيح (مت ١٢ : ٢٤ ، مر ١ : ٣٤) . إن المسيح لم يقبل الشهادة من الشيطان ، تماماً كما فعل بولس عندما شهدت له جارية بها روح عرافة فى شوارع فيلبى (أع ١٦ : ١٦ - ١٨) . لا يمكن أن توجد أى ألفة أو تجاوب بين المسيح والشيطان ، بل

بالأحرى التنافر الأخلاقى العميق ، « ويل لك إن قال كل الناس فيك حسناً »، عندما يشهد أتباع الشيطان لقديس من القديسين ، فالشئ الوحيد الذى يمكن عمله أن يأمرهم بأن يلوذوا بالصمت . ورفض المسيح قبول شهادة الروح النجس له مواضع أخرى مشابهة فى الأناجيل (مت ٨ : ٢٩ ، مر ١ : ٣٤) .

أما فيما يختص بصرخة الشيطان «ما لنا ولك» فهى مشابهة تماماً لصراخ مجنونى كورة الجدريين (مت ٨ : ٢٩ ، مر ١ : ٣٤) . إن هؤلاء الشياطين كانوا يؤمنون ويقشعرون ! (يع ٢ : ١٩) . والصرخة القائلة «ما لنا ولك يا يسوع ابن الله أجئت إلى هنا .. لتعذبنا »، كشفت عن معرفتهم بمصيرهم المحتوم والمستحق . إن مثل هذه الصرخة الماكرة لم تكن صوت تضرع أو صلاة طلباً للرحمة ، بل إنها ضد الرحمة « ما لنا ولك ! ». ما الذى يمكن للمسيح أن يعمله سوى أن يترك الشيطان وملائكته لحال سبيلهم ؟ إن شخصيتهم الشريرة معروفة وعقابهم المريع قد صدر بالفعل . وصيغة الجمع « مالنا » قد تكون فيها إشارة للرجل وللشيطان الذى يسكن فيه أو لجميع الشياطين . ونحن نفضل الثانية . فالشئ المشترك بين الشياطين والمسيح الذى صرخوا إليه فى اعتراض ورعب ؟

(٥) لقد طرده المسيح واستبعده لفظياً

إن المسيح لم يوبخ الرجل بل الشيطان الذى يملكه وقال: « اخرس » وهى تعنى فعلاً « اسكت أو ابكم » ، وهى نفس الكلمة التى قالها عندما أسكت الرياح والأمواج (مر ٤: ٣٩) . لقد أعطى الروح الشرير أمراً قصيراً مباشراً. لقد تحدث بحدة وقال: « اخرس ! واخرج منه » .إنها الكلمة القاسية التى يستحقها ذلك الشيطان النجس الذى كان يعذب الرجل ، وإطاعة لأمر الصمت ، لم يتكلم الشيطان أكثر من ذلك ، مع أنه صرخ بصوت عظيم ، وهو نطق غير واضح يدل على الغضب والألم . لقد كان الشيطان هو الشخص القوى فى الرجل ، والآن فالأقوى من رئيس الشياطين يدمر مملكته . ولكن الشيطان اغتاظ لفقده السيطرة على من يملكه ، فأحدث كل ما يمكن من ضرر ، ولذا ففى رحيله عن ذلك الإنسان المسكين ، فإن خروجه ألقى بالرجل أرضاً محدثاً به نوبات صرع شديدة وسط الجمهور الحاضر، وترك منبطحاً على الأرض دون أن يمسه ضرر . ليس هناك تعارض بين إنجيل لوقا الذى يقول إن الشيطان لم يضره شيئاً ، والوصف الذى ورد فى إنجيل مرقس بأن الشيطان « مزقه ». فالرجل لم تنله إصابة دائمة مع أنه قد ألقى به إلى الأرض « فمن لا يستطيع الشيطان أن يحتفظ به كخاصته » «فإنه يدمره إذا استطاع ».

إن إخراج الأرواح النجسة أو الشياطين شئ مألوف فى الأناجيل، وكانت الكنيسة تمارسه قروناً عديدة . وعندما نأتى إلى مجنون كورة الجدريين ، سوف نتحدث عن مشكلة حلول الأرواح النجسة، ونتيجة لسلطان المسيح على الأرواح النجسة ، فقد اندهش الجميع . فمثل هذا الاستعراض للقوة الخارقة كان جديداً بالنسبة لهم . ومرقس الذى لم يكن لتفوته فرصة تسجيل التأثير القوى لمعجزات المسيح على المشاهدين ، يحكى لنا عن حيرة الناس عندما دق المسيح مسماراً فى نعش مملكة الشيطان .

(١٣) معجزة شفاء حماة بطرس

(لو ٤ : ٣٨ - ٤٠ ، مت ٨ : ١٤ - ١٧ ، مر ١ : ٢٩ - ٣١)

يربط كل من لوقا ومرقس هذه المعجزة بالمعجزة التى تأملنا فيها لتونا . ففى نفس ذلك السبت ، بعد إخراج المسيح للروح النجس ، دخل هو واندراوس بيت سمعان بطرس ، حيث كانت حماته ملازمة للفراش بسبب الحمى . ولا شك أن المسيح لجأ إلى بيت تلميذه لأخذ قسط من الراحة والترويح عن النفس ، ولكن قبل الحصول على أى قدر من واجب الضيافة ، كان عليه أن يجرى عملاً آخر من أعمال الرحمة . وبعد أن مارس سلطانه على الشر ، يظهر المعلم الآن وهو لا يجد أى صعوبة فى التعامل مع نتيجة الشر فى أى شكل من أشكاله ، فهو ذو سلطان فى كل ميدان ، خاصة المرض ، كما تعلن هذه المعجزة المبكرة من معجزات الشفاء .

ويذكر لوقا بأنها كانت حمى « شديدة » ، وهذه سمة من سمات الطبيب ، فهو يميز بين نوعين من الحمى « الشديدة » و « البسيطة » ، فأنواع الحمى المنتشرة فى تلك البقاع التى تكثر فيها المستنقعات من أرض «تابيجا» Tabiga كانت تنشر فى

وقت الربيع من كل سنة ، وهو الوقت الذى حدثت فيه المعجزة . وقد كان لوقا يعرف ضرورة الاستفسار الدقيق وفحص الدليل فى تقديمه للمادة التى يكتبها . وهكذا فشهادته لمقدرة المسيح المعجزية ذات أهمية عظمى . وإذ كان مدرباً كطبيب ، فإن وصفه يتسم باستخدام الألفاظ العلمية الدقيقة فيقول عن الحمى أنها كانت شديدة . وطبيعة هذه الأنواع من الحمى وشفاؤها كان معروفاً تماماً لديه . وهذه الحقيقة عن لوقا سوف تفيدنا بنوع خاص عندما نتعرض للمعجزات فى سفر الأعمال (لو ١ : ١ - ٤ ، أع ١ : ١ - ٣) .

إن لوقا ، بأسلوبه المعبر ، يخبرنا أنه عندما دخل يسوع إلى الحجرة التى كانت تلك السيدة العجوز مضطجعة فيها « وقف فوقها » ثم يضيف عبارة ملفتة للنظر ويقول إنه « انتهر الحمى » كما لو كان يخاطب قوة معادية (انظر إش ١٣ : ٦) . وفى مناسبة أخرى « انتهر الرياح والبحر » ، فى الحقيقة قد أجريت معجزة مزدوجة فى ذلك السبت بعد الظهر. أولاً ، عندما أخذ المسيح بيد المرأة وأقامها ، تركتها الحمى ، هنا نجد شفاء نتيجة لعمل محدد ، اللمسة أو وضع يده - عمل متكرر للمسيح مما يضفى على معجزات الشفاء سمة الطقس أو السر المقدس . ولقد وضع يده حتى على « البرص » على الرغم من أنه ، حسبما قرأنا ، لم يضع يده على ذوى الأرواح النجسة إطلاقاً . لقد سرت طاقة غير عادية من يده محدثة شفاء مباشراً وفورياً . ويمكننا أن نتفق مع أ. ر مكليم Micklem فى كتابه « المعجزات وعلم النفس الجديد » ، على الرغم من نزعته العقلانية ، أنه من المرجح أن يسوع قد تكلم مع المرأة وأن كلماته كانت « علاجية » ، وعنصر شخصيته التى تتضح فى نظرته وموقفه يجب أن يؤخذ فى الاعتبار . ولا شك أن نبأ المعجزة التى أجراها فى المجمع قد دفعت المريضة للاعتقاد أنه سوف يلبى حاجتها للشفاء .

الجانب الثانى من المعجزة أن المسيح قد منح المرأة قوة كاملة مما مكنها من أن تخدم أهل البيت . لقد سرت صحة مكتملة إلى جسدها البالى ، لم تتركها الحمى فى حالة من الضعف الشديد والإنهاك نتيجة المرض حيث يتعافوا تدريجياً فلم تكن هناك ضرورة لفترة النقاهة ، لأنها نهضت فى الحال وخدمتهم . ولابد أنها قد حظيت بتقدير كبير للوجبة التى أعدتها ! يذكرنا ترنش إن هذا نمط يميز جميع الذين استردوا الصحة الروحية ، فهم يستخدمون هذه القوة فى الخدمة للمسيح وشعبه .

وقبل أن نترك دراستنا لهذه المعجزة ، فمن الملائم أن نلاحظ أنها حدثت فى بيت . إنها « عينة منزلية » جميلة وطبيعية لقوة المسيح الشافية ، كما كان شفاء الجموع فى المساء . إن أفعاله الرحيمة بدأت فى بيت . كم عدد البيوت التى يزورها أدعياء الشفاء بالإيمان المعاصرين ، والذين يستغلون آلام الناس وأوجاعهم لفائدتهم المادية ؟ إن زيارة المنازل لملاقاة المحتاجين يعتبرونه عملاً يبعث على الملل بالنسبة لهم . إنهم يعتمدون على رد الفعل العاطفى الشديد لجمهور كبيرفى قاعة أو خيمة ليقدموا له معجزاتهم المزعومة .

وبالإضافة لذلك ، فليست كل الأمراض هى نتيجة للخطية ، كما ينادى بذلك خطأ دعاة الشفاء بالإيمان الذين يبتزون الأموال من الناس . فمن الخطأ أن نزعم أنه إذا عانى شخص من مرض أو داء فهو يعانى من خطية خاصة فى حياته . لقد كان بطرس واحداً من أتباع المسيح المخلصين الغيورين ، ومع ذلك فقد لحق مرض خطير بحماته المحبوبة ، وقد كانت شخصيتها أيضاً تبعث على المديح . فكثيراً ما يسمح الله بالمرض لأجل مجده ومجد ابنه أيضاً (يو ١١ : ٤). وحتى يسوع نفسه قد « تكمل عن طريق الألم » (عب ٢ : ١٠) .

(١٤) معجزة الشفاء الجماعى

(لو ٤ : ٤٠ و ٤١ ، مت ٨ : ١٦ و ١٧ ،
مر ١ : ٣٢ - ٣٤)

انتهى ذلك السبت التاريخى باستعراض مجيد لقوة المسيح المعجزية ، فقد سرت أنباء عن معجزة الشفاء فى المجمع وشفاء حماة بطرس ، الفورى ، وعند غروب الشمس ، تجمع المرضى عند باب بيت بطرس . وقد شجعت معجزة شفاء الرجل ذى الروح النجس الناس على إحضار جميع الذين تسيطر عليهم الأرواح النجسة ، وقد

شفاهم يسوع جميعاً ، وهو يأمر الأرواح النجسة أن تصمت أمام حضرته كالمسيا . والشفاء الفوري والكامل للمرأة التي أصابتها الحمى قد ألهم الأصدقاء أن يحضروا كل السقماء في المدينة إليه ، حتى إنه ، عند رطوبة المساء مع غروب الشمس معلنة نهاية يوم السبت ، شفاهم يسوع جميعاً . ومع أن يسوع كان متعباً بسبب محدودية الجسد ، إلا أنه بدأ خدمة الشفاء من جديد ، مواصلاً هذا العمل المتعب مع تقدم ساعات الليل حتى « شفاهم جميعاً » ، وكان عطفه يمتد لكل فرد لأن لوقا يخبرنا أنه « وضع يديه على كل واحد منهم » .

لم ير يسوع الجموع أبداً دون أن يعطف على كل واحد فيها ، ولم يتقدم أبداً أي إنسان متألم يطلب الشفاء دون جدوى . يا له من يوم شهدته كفرناحوم ، عندما غمر يسوع المدينة بأفعال الرحمة التي تدل على حبه بنشاط منقطع النظير ! ويالها من معجزة كانت تتمثل فيه هو ذاته ! فإذ نرى استعلان قوته ، نتعجب أكثر لمعجزة قوته الكافية فيه . إن حدوث المعجزات في ذلك السبت كان ينظر إليها باعتبارها إتماماً للكلمة النبوية « هو نفسه أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا » (إش ٥٣ : ٤) . لقد تحمل الآلام من حوله ، وحملها على عاتقه ، لقد التقى فيه كل أنواع الألم حتى يحملها بعيداً .لقد تحمل الأمراض «بنفس الطريقة التي تحمل بها تلك الحياة الفانية الأليمة ، حتى يقضى عليها ، وأخيراً ابتلع الموت ، وكل ما يؤدى للموت ، منتصراً ».

(١٥) معجزة إبراء الأبرص

(مت ٨ : ١ - ٤ ، مر ١ : ٤٠ - ٤٥ ، لو ٥ : ١٢ -١٥)

ليس من السهل التنسيق بين روايات الإنجيل بأي قدر من اليقين . فكل رواية منفصلة عن الأخرى . وهكذا ، فليس هناك دليل مباشر على الترتيب الصحيح للأحداث ، ومع ذلك ، فعندما نضع هذه الروايات جنباً إلى جنب ، فالروايات المتناظرة تجعل أي سجل للحدث أكثر حيوية واكتمالاً . ويبدو أن تطهير الأبرص قد حدث بعد العظة على الجبل . وقد تغاضى متى عن التسلسل التاريخي في تقديمه للمعجزة ، لأن هدفه قد انصب على إبراز التباين الواضح بين الإيمان الضعيف متمثلاً في اليهودي الأبرص والإيمان القوي متمثلاً في قائد المئة الأممي الموصوف في الأعداد التي تلي ذلك مباشرة .

إن الملك ينزل من الجبل مقرباً الملكوت من البشر ومسبغاً على المحتاجين قوته الملكية الرائعة . إن معجزاته قد دمغت تعاليمه بخاتم السلطان ، وبررت أحقيته في أن يتكلم بلغة السلطان التي دأب على استخدامها (مت ٧ : ٢٩) .

تطهير البرص : تم ذكر هذا التطهير كعمل مستقل من أعمال الشفاء التي يقوم بها ربنا ، وفي العهد القديم كان يتم الإعلان عن نجاسة البرص ، ولا تقدم لهم أي وسائل طبية للعلاج . ولذا ، فهذا الجانب من رسالة المسيح الإلهية كان له أهمية مضاعفة . في حين أنه قد تم تطهير عدد كبير من البرص ،إلا أن حالات فردية كالمعجزة التي أمامنا ، والعشرة برص ، وسمعان الأبرص تثبت أن المسيح هو الشافي الأعظم . ومثل هذا الجانب كان أيضاً متضمناً في مهام الرسل .

بالنسبة « للبرص » فقد كان مرضاً مكروهاً مثيراً للإشفاق . ويقدم لنا ترنش الوصف التالي له :

« لم يكن البَرص سوى الموت بعينه ، ففيه موت لكل مباهج الحياة ، وتسميم لينابيع الفرح ، وتحلل تدريجي لكل الجسم ، حتى إن كل أطراف الجسم يدب فيها الفساد وتسقط واحداً وراء الآخر . ثم إن المرض كان غير قابل للشفاء بمهارة البشر وفنونهم - ليس لأن الأبرص قد لا يسترد الصحة لأنه من الصعب الشفاء منه إلا في حالات نادرة . ولكن لأن البرص مرض يترك الإنسان غير قابل للعلاج الطبي ومتوقف على مهارة الطبيب ويصبح الأمر تحت رحمة الله ووفقاً لمشيئته الصالحة » .

كان اليهود يطلقون على البرص عبارة « إصبع الله » ويقصدون بذلك أن المرض كان يعتبر عقاباً مباشراً من الله ، وغير قابل للشفاء إطلاقاً سوى عن طريق القوة الإلهية التي سمحت به . ولوقا يستخدم لفظاً دقيقاً ، يتناسب مع درايته الطبية وممارسته كطبيب ، في وصفه لحالة الأبرص الذي جاء ليسوع إذ يقـــول عنه إنه كان

« مملوءاً برصاً » ، وهو تعبير دائم الاستعمال فى الأوساط الطبية لوصف الحالات الخطيرة . إذن فهذا الشخص كان فى مرحلة متأخرة من البرص . وكأبرص كان عليه أن يعيش بمعزل عن الآخرين ، ويرتدي علي جبينه شيئاً يدل علي عزلته عن الناس ويصرخ بهذه الكلمات محذراً « نجس نجس ! » (لا ١٣ : ٤٥) .

أما عن المعجزة نفسها ، فيقدم لنا مرقس الشئ الكثير عن جو الحادثة أكثر من متى ولوقا . يكتب مرقس عن الأبرص أنه جاء « جاثياً » ، ويقول لوقا إنه « خرَّ علي وجهه »، وهذا يدل على أعلى مراتب التقديس والعبادة فى الشرق ، لقد قدم الاحترام الحقيقي فى حضرة من أسمـــاه « الرب » . فإذ كان يدرك حاجته الملحة ، فقد كان علي الأبرص أن يجد التطهير عند قدمى صاحب القوة غير المحدودة . عندما نقبل حقيقة ربوبيته ، لا نجد صعوبة فى التسليم بقدرته على كل شئ .

الاعتراض القائل إن المعجزات تتعارض مع النواميس الطبيعية هو غير ذى موضوع ، كما أوضحنا فى مقدمة العهد القديم . بما أن المعجزات هى تدخل إلهى ، فهى بمعزل عن النواميس وفوق هذه النواميس .

ربما سمع الأبرص عن معجزات الشفاء التى قام بها المسيح واستمع لأحاديثه الرائعة ، وشعر أنه يستطيع أن يصنع معه معجزة. وسؤال المريض كان يحمل فى طياته نغمة تمزج بين الإيمان والشك فى آن واحد ، فهو لم يكن يشك فى قدرة المسيح على شفائه من دائه - « تقدر أن تطهرنى » ، ولكن الذى كان الأبرص يشك فيه هو إرادة المسيح على شفائه من البرص « إن أردت » ، لقد كان يتساءل عما إذا كان الشافى العظيم على استعداد أن يتوقف ويلمس شخصاً نجساً مثله . وإذ كان يشعر أن مرضه الدنس كان نتيجة للخطية ، فهل كان المسيح سوف يرق له ويخفف عنه آلامه ؟

ويلاحظ أن الأبرص كان يبحث عن التطهير وليس الشفاء ، وذلك بسبب فكرة أن النجاسة كانت وثيقة الصلة بالمرض . ويقول ليدلو :« إن لكتاب المقدس يعتبر البرص رمزاً للخطية ، فهو يشبهها فى التلوث أو الدنس » ، ولذلك ففى الشفاء من البرص لا يقال أبداً إن المريض قد شفى بل تطهر .

وفى إجابة المسيح ، استخدم نفس كلمات الأبرص وأمره بسلطان أن يطهر . ويخبرنا مرقس أنه عندما نظر الرب إلى الأبرص « تحنن » .كان الآخرون إذ يقابلون الأبرص ، يتراجعون فى ذعر ويتجنبوه ، ولكن الرب تأثر للحالة التى كان عليها الرجل مما جعله أن يلمسه . وأول شئ عمله يسوع كان آخر ما يمكن أن يتصور أى إنسان آخر أن يفعله (لا ١٣ : ٤٤ - ٤٦) . فطبقاً لناموس موسى ، فلمْس الأبرص كان يعنى النجاسة والموت الاجتماعى . ولكن الأمر كان مختلفاً مع رب الحياة وقاهر الموت . إنه كالشافى ومخلص البشر ، مد يده ولمس الأبرص .

لو كان يسوع إنساناً عادياً ، فأن يلمس الأبرص يعنى أنه يدنس نفسه ، ولكن لكونه الله الإنسان ، فاللمسة لم تنجسه . إن الشمس تشرق على الأرض بما فيها من تلوث ولكن يظل شعاعها طاهراً ولا ينتقص من بهائه ورونقه شئ بالمرة .

لقد طهر الإنسان الذى لمسه . فعن طريق هذه اللمسة الإلهية فالصحة تغلبت على المرض ، وانتصرت الطهارة على الفساد ، والحياة قهرت الموت . ويقول ترنش مقتبساً من (ثيوفيلاكت Theophylact) : « لمس المسيح الأبرص مظهراً أن جسده المقدس كان يهب القداسة » ، فعن طريق يد المسيح ، حصل الأبرص على الطهارة والقوة . ثم إن مد اليد الإلهية كان دليلاً على إرادة المسيح وقوته على الشفاء .

جاءت اللمسة أولاً ثم الأمر وأخيراً تحقق الشفاء ، فقد صاحب الفعل ، كلمته الملوكية حيث قال يسوع « أريد » ، وسرعان ما تمت الإجابة على سؤال الإرادة ، واختفى عنصر الشك فى عقل الأبرص . تقول الرواية إن الأبرص شفى فى الحال . فى لحظة واحدة اختفى البرص وعاد الجلد سليماً . لقد اختفت التقرحات ، والجسد الذى كان نجساً اتخذ لوناً مختلفاً عن ذى قبل واسترد صحة موفورة .

أمر المسيح الإنسان الذى طهر أن يلوذ بالصمت ولا يتحدث عن المعجزة - « لا تقل لأحد » ، ويقول مرقس إنه حثّه بشدة «انتهره» وقال له « لا تقل لأحد شيئاً » ، لقد أمر الرجل أن يُرى نفسه

للكاهن ويقدم ما أمر به موسى كشهادة . وحيث إن هذه كانت أول حالة لإسرائيلي أبرص يتطهر من برصه منذ تلك الأوامر الصادرة منذ ما يقرب من ١٥٠٠ عام من قبل (لا ١٣ : ٣٤) ، فوجود الأبرص المتطهر عند المذبح ومعه طائران شهادة بأن الله قد افتقد شعبه ، وأنه يشبع احتياجات البشر كلها سواء من جهة الأوامر الكهنوتية أو الطقوس الدينية . فبإظهار نفسه للكاهن ، يكون الأبرص الذي نال الشفاء قد وفّى مطالب الناموس فيما يختص بأهليته للعودة للحياة الاجتماعية من جديد (لا ١٣ : ١٤) .

ولكن يا للحسرة ، فقد كان هذا الأبرص الذي شفي غيوراً دون ترو أو بصيرة ! فإذ كان مزهواً بالصحة الجديدة التي نالها ، فقد عصى أمر سيده وخرج يذيع خبر المعجزة ، معوقـاً بذلك أنشطة شافيه . لقد كان من الأفضل للرجل أن يحتفظ بشعور العرفان بالجميل في قلبه بدلاً من أن يضيع هذا الامتنان بكلماته . لقد اضطر يسوع أن يعتزل في البراري ، لأنه لو سمع كل البرص بشفاء هذا الأبرص ، لجاءوا إلى يسوع ، مما كان يعوق خدمته التعليمية . ثم إن الأبرص كان من المفروض أن يلتزم بالصمت لئلا تزيد حدة الرغبة الشعبية العارمة لجعل يسوع ملكاً وتبلغ حداً يصعب السيطرة عليها . ودون قصد ، فالعصيان لأمر المسيح قد عجل بنهايته على يدي أولئك المعادين لدعوته .

أما عن المثل الكامن في هذه المعجزة ، فالقادر على أن يشفي المرض الذي يرمز للخطية ، يستطيع أن يطهر الخطية نفسها . فمعجزات الشفاء التي قام بها تشير لأعمال المسيح المخلِّص ، لأن الأمراض هي آثار ورموز للخطية . وفي حالة الأبرص نجد برهاناً على إزالة تلوث الخطية ، وفي حالة المفلوج نجد برهاناً على الإنقاذ من قسوة عبودية الخطية . والتقرحات والتقيحات القبيحة في جسد الأبرص كانت العلامات الخارجية الظاهرة للخطية في النفس ، ونرى في معجزة شفاء المسيح رمزاً لقدرته على التطهير والخلاص من الخطية . ومهما كانت دناءة الخاطئ ونجاسته ، فلمسة المسيح لا تزال تهب قوتها القديمة على التطهير .

{ ١٦ } معجزة شفاء المفلوج

(لو ٥ : ١٨ - ٢٥ ، مت ٩ : ٢ - ٧ ، مر ٢ : ٣ - ١٢)

لابد أن المشهد الذي أمامنا كان مثيراً ، والمشاهد الحية في هذه الرواية تسهل علينا تصور ما حدث . فجموع الفلاحين الذين أخذتهم الحمية يتزاحمون حول الباب ، وفي الداخل ، سواء في العلية الكبيرة أو في الفناء المحيط بالدار ، كان المسيح المعلم يعلن للفريسيين والكتبة والفلاحين الحقائق التي كانت تبدو جديدة بالنسبة لهم . ويخبرنا لوقا أن «قوة الرب كانت لشفائهم» ، مما يعني أنه كان موجوداً للقيام بأي عمل من أعمال الشفاء . وصل أربعة رجال متأخرين ذلك اليوم وهم يحملون مفلوجاً على فراشه ، وكان منظره يبعث على الرثاء . ولما أدركوا الموقف ، قام هؤلاء الناس بدافع الحب وعزيمة لا تلين ورجاء في الشفاء ، بحمل مريضهم إلى السطح ثم أنزلوا الفراش أمام المتحدث ، ليثيروا انتباهه ويستدروا عطفه وشفقته .

ومن الطريف أن نلاحظ أن هذه المعجزة قد حدثت في كفرناحوم ، المدينة التي اتخذها يسوع وطناً ثانياً بعد أن ترك الناصرة. ويتحدث متى عن كفرناحوم قائلاً : «وجاء إلى مدينته» ، فبعد ارتحال يسوع من الناصرة التي نشأ وتربى فيها وقضى فيها أيام طفولته ، لم يقل عنها يسوع إنها «مدينته» ، لقد أصبحت كفرناحوم مقراً لإقامته المعتادة (مت ١٤ : ٢٧)، بعد رفض الناصريين له (لو٤ : ٣٠ و٣١). يقول كريسستوم Chrysostom هذه العبارة : « إن بيت لحم قد حملته ، والناصرة ربته ، وكفرناحوم قد آوته على الدوام كأحد سكانها » .

أما فيما يختص بمرض الرجل الذي أحضروه ليسوع ، يستخدم لوقا عبارة تتفق تماماً مع ما يستخدمه كاتبو التقارير الطبية ويقول إنه كان « مفلوجاً » ، والكلمة اليونانية الفنية المستخدمة تطلق على الفالج الظاهر ، وهو من الأمراض التي تصيب جزءاً من الجهاز العصبي .

هناك عدة جوانب يمكن أن نلاحظها تتعلق بهذه المعجزة في كفرناحوم . أولاً ، كان هناك أربعة أصدقاء كانوا عازمين على

إحضار صديقهم العاجز عن الحركة للحصول على الشفاء . وبسبب عجزهم عن الوصول ليسوع بالطريق المعتاد بسبب الجموع التى كانت حوله وفى البيت (يرجح أنه بيت بطرس) ، أخذوا المفلوج إلى السطح ، وعزمهم على أن يضعوه عند قدمى يسوع كان دليلاً على إيمانهم بأنه سوف يشفى . لقد أدركوا جيداً مشكلة عدم تمكنهم من الوصول للمسيح . لقد كانوا مع شخص عاجز بين أيديهم ، ومع ذلك كان المعلم الذى لم يستطيعوا الوصول إليه ، والذى كان يستطيع أن يعيد له الصحة كاملة ، بالداخل . ومع ذلك ولأن الحاجة أم الاختراع ، فقد أدى ذلك بهم لأن يلجأوا إلى وسيلة جديدة لوضع الرجل الملازم للفراش أمام يسوع . لقد كان الإيمان فى داخل قلوب هؤلاء الرجال لا يؤمن بالمستحيلات ، وهكذا فمن فتحة فى سطح المنزل ، أنزل الفراش بالحبال .

ولك أن تتخيل كيف أن الجمهور تطلع فى دهشة إلى هذا العمل الجرئ للرجال الأربعة . توقف يسوع عن التعليم ، وشعر الناس بإثارة بالغة ، ولما كان الكتبة والفريسيون يشكون فيما يمكن أن يحدث ، فقد كانوا فى حالة من الترقب والانتظار . ولكن يسوع مع ذلك لم ينزعج ، فالجسارة التى أظهرها الرجال لابد أنها قد سرته ، « فهو لا يضايقه الإيمان الذى يأتى بالناس إليه ، بل عدم الإيمان الذى يبعد الناس عنه ، لا تزعجه إطلاقاً هذه المقاطعة» ، وكم كان سريعاً فى رد الفعل ! لقد امتدح إيمان الأربعة رجال « فلما رأى إيمانهم » ، الإيمان الذى ينتصر على كل العقبات للوصول إليه – تعامل سريعاً مع المريض . لقد كان الإيمان هو الشئ الذى كان ينتظره قبل أن يجرى أى معجزة ، وفى الحالة التى أمامنا وجده فى أصدقاء المفلوج . لقد امتدح يسوع إيمانهم وليس إيمان المريض . ولما سر من ابتكارهم ومثابرتهم بسبب إيمانهم ، استجاب لرغبتهم .

فأمامنا إذن معجزة مزدوجة ، معجزة النعمة ومعجزة القوة . لقد جاء الغفران قبل الشفاء . كم كانت دهشة الرجال الذين حملوا المريض والجمع على حد سواء عندما سمعوا يسوع يقول للإنسان العاجز أمامه « أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك » . هل كان ذلك هو العمل وكلمة الشفاء التى كان ينتظرها الأصدقاء والجمهور بفارغ الصبر؟ ما علاقة غفران الخطايا بالفالج ؟ ولكن يسوع وضع الجانب الروحى والحالة الطارئة فى الإطار الصحيح لكل منهما ، فمن المفهوم ضمناً أن الخطية كانت مسئولة عن حالة الفالج التى وصل إليها المريض ، ولذا وجب التعامل مع العلة أولاً قبل الأثر الناجم عنها . والعلة الجسدية لم تكن عبئاً لا يحتمل مثل خطية الروح . ولذا فعندما وضع المريض أمام الإله المتجسد ، لم يكن المفلوج يفكر فى أطرافه المتيبسة بل فى ضميره المتعب ، ما فائدة كل الشفاء الجسدى فى العالم إذا لم يكن هناك شفاء من مرض الخطية ؟ .

وإذ مارس المسيح حقه الإلهى ، فقد : غفر للإنسان خطاياه ، متمماً بذلك النبوة القديمة القائلة « الذى يغفر جميع ذنوبك » (مز ١٠٣ : ٣) ، وبغفرانه لخطايا الإنسان ، فقد شفاه المسيح شفاء تاماً بالفعل . وأمر له بالنهوض والمشى كما سنرى ،لا يختلف عن الأمر الأول. وصاح الأعداء المتذمرون قائلين :« يا له من تجديف! ، إنه يزعم أنه يغفر الخطية ، وهو حق لله وحده ! » ، وإذ كانوا يعلمون بحق أن غفران الخطايا حق من حقوق الله ، فإن هؤلاء الكتبة العميان فشلوا أن يروا فى يسوع الله الظاهر فى الجسد . ربما لا توجد فقرة أخرى فى الكتاب المقدس تعلن لاهوته بوضوح أكثر من هذه الفقرة .

ثم إنه أمامنا دليل على علم الرب بكل شئ لأنه «شعر بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم ». لقد كانت لديه المقدرة الإلهية ليدرك فكر قلوبهم وتذمرهم (يو ٦ : ٦١) ويكشف حقدهم . لم يكونوا بحاجة للتعبير عما يجول بخاطرهم ، فقد كانت قلوبهم مفتوحة كدرج لعينى ذاك الذى يستطيع أن يقرأ ما فى قلوب كل البشر . لم يخف يسوع من تذمرهم ولا هادن هؤلاء المكابرين ، بل أعطاهم دليلاً حاسماً على مساواته بالله ، لم يرد على اتهاماتهم وانتقاداتهم بالحجج المنطقية ، بل ببهاء ورونق معجزة الشفاء ، مقدماً دليلاً حاسماً لا يقاوم على سلطانه الإلهى وقوته . فعن طريق بصيرة يسوع النافذة ، تم كشف ما يعتمل فى نفوس هؤلاء الكتبة ، وقدموا له رغماً عنهم المجد الإلهى والمساواة بالله التى كان ينادى بها .

ولكي يوضح يسوع الأفكار الداخلية للكتبة قال : « أيما أيسر أن يقال : « مغفورة لك خطاياك » أم أن يقال : « قم وامش » ، إن العفو كان مختوماً بختم القوة . فقام الشخص الذى غفرت خطاياه فى الحال وحمل فراشه ومشى . فلا عجب أن قال الناس : «إننا قد رأينا اليوم عجائب »، باله من اختبار مرَّ فيه المفلوج الخاطئ - فقد أجريت له معجزتان مرة واحدة ! إن المرض الذى شفاه يسوع هو مرض لا تصلح معه مهارة البشر ، حتى فى الوقت الراهن برغم التقدم العلمى ، ومع ذلك فقد شفى يسوع المفلوج فى لحظة بكلمة واحدة . وعلى الرغم من أن فراشه كان خفيفاً فقد رفعه إلى أعلى وحمله خارجاً. إن علامة مرضه أصبحت علامة شفائه . يقول بنجل :« لقد حمل الفراشُ الرجل ، والآن فالرجل يحمل الفراشَ ، والجموع التى كانت تسد الطريق عندما كان محمولاً إلى المنزل ، تفسح الطريق الآن له لكى يخرج بروح مطهرة وجسد خال من أى داء » .

إن نتيجة الشفاء المعجزى كانت فورية وملفتة للأنظار. لقد تعجب الناس وخافوا وأخذتهم حيرة وأعطوا المجد لله الذى أعطى مثل هذه القوة للإنسان يسوع المسيح ، الذى هو الرأس الحقيقى والنائب عن الجنس البشرى . ولكن يا للحسرة ! فمع أن هذه المعجزة المزدوجة أدهشت الناس ، إلا أنها ضايقت وأعمت الفريسيين ، مما جعلهم أكثر تصميماً على القضاء على هذا الإنسان الذى جعل نفسه مساوياً لله .

ويمكن استخلاص درس أو درسين من هذه المعجزة : أولاً ، إن الفالج رمز مناسب لقوة الخطية التى تشل الجسد وعجز الخاطئ الكلى عن القيام بأى عمل يحصل به على الراحة ، ولكن الصليب قدم تدبيراً رحيماً للجنس البشرى المصاب بفالج الخطية ، لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات فى الوقت المعين لأجل الفجار (رو ٥ : ٦).

وتقدم المعجزة يسوع كالشخص القادر على إبطال عبودية الخطية فوراً وإقامة الخاطئ من وهدة الضعف الأخلاقى . يقول ليدلو : «إنه ما أبداً يترك الذين غفرت خطاياهم لكى يكونوا تحت نير الخطية التى تشلهم ، فعندما يحررنا من الذنب فإنه ينقذنا من أن نستعبد له» .

ودرس آخر وهو أنه فى حين أن المفلوج أخلاقياً لا يمكن أن يخلص بإيمان شخص آخر ، إلا أن ذلك الشخص يمكن أن يحمله شخص آخر إلى المخلص الذى يستطيع وحده أن ينقذه . إذا كنت تشعر أنك مثقل تجاه صديق مصاب بفالج الخطية وهو عاجز ويائس وحالته ميئوس منها ، يمكن إذن لهذا الشخص أن «يُحمل على أربعة أشياء »، حياتك المكرسة ، ومحبتك الصادقة ، وصلاتك التى لا تكل ، وإيمانك الذى لا يرهب شيئاً .

{ ١٧ } معجزة شفاء الرجل ذى اليد اليابسة

(لو ٦: ٦ - ١٠ ، مت ١٢: ٩-١٤ ، مر ٣ : ١ - ٦)

حيث أن حادثتى قطف سنابل القمح وشفاء الرجل ذى اليد اليابسة يضعهما لوقا جنباً إلى جنب ، فمن الضرورى أن نفهم المشهد الذى كان يشكل بادرة لإجراء المعجزة التى ذكرت فى ثلاث روايات من الأناجيل . فبعد عودة يسوع من الجليل بوقت قصير ، كان يبدو أن يسوع قد تداخل فى مشاحنات جديدة مع الفريسيين حول نقطة الخلاف الدائمة بينهما ألا وهى حفظ يوم السبت .

كانت نقطة الخلاف الأولى حول قطف تلاميذه لسنابل القمح وفركها فى أيديهم ثم أكلها وهم يجتازون بين الزروع فى يوم سبت . ومع أن الناموس كان يجيز عمل ذلك ، إلا أن تفسير الفريسيين كانت تشوبه قواعد تهتم بتوافه الأمور والشكليات للدرجة التى جعلت الفريسيين يحولون السبت إلى يوم ذى قيود صارمة . وتراكم الخرافات جعلهم يستبدلون الطاعة المظهرية بالأمور الروحية . كان هناك تظاهر بالتقوى فى التعامل مع السبت دون اعتبار للحاجات البشرية .

وقد دافع يسوع عن تصرف تلاميذه بتذكيرهم بداود وخبز الوجوه (١ صم ٢١ : ٦) ثم أعلن ذاته أنه أعظم من الهيكل وأنه رب السبت أيضاً (مر ٢ : ٢٧ و٢٨) . وأكد أن الضرورة تبطل الشرائع وأن المبادئ العامة التى تنظم حفظ السبت قد جعلت

لأجل الإنسان ، لسعادته الجسمية والعقلية والأخلاقية والروحية . يقول جون ماكلارن John Maclaren : « إن مطالب الرحمة أعظم من كل شئ آخر ، والغاية لا يصح أن يضحى بها على مذبح الوسيلة » .

والصدام الثانى ليسوع مع الفريسيين كان فى سبت آخر فى أحد المجامع (لو ٦ : ٦) عندما كان هناك رجل ذو يد يابسة . وكان خصوم يسوع حاضرين ليصطادوه مرة أخرى بشأن الإبراء فى يوم السبت . لقد راقبوه أو « كانوا يراقبونه » حسب مدلول العبارة ومراقبتهم تتضمن حقيقتين كما يقول اليكوت :

(١) توقع الفريسيون أن ربنا يسوع سوف يشفى هذا الرجل المصاب . لقد علموا أن مجرد رؤية معاناة من هذا النوع كانت تستدعى عطفه ، وأن هذا العطف سوف يتحول إلى فعل .

(٢) إنهم كانوا قد صمموا على أنه إذا قام بالشفاء ، فسوف يتخذوا ذلك ذريعة لتوجيه اتهام محدد له أمام المحكمة المحلية ليصدر ضده « حكم » حسبما ورد فى مت ٥ : ٢١ . إن الإفتاء فى القضايا السلوكية من جانب معلمى اليهود كان يسمح بممارسة فنون الشفاء فى الحالات التى تكون فيها أرواح الناس معلقة بين الموت والحياة ، ولكن « اليد اليابسة » وهى علة مستديمة ، لم تندرج تحت هذا البند.

وقد رد يسوع على التقليديين بطريقته المتقنة المعهودة بأن ذكر ممارساتهم فى السماح بإنقاذ خروف يكون قد وقع فى حفرة فى يوم السبت . ألم يقوموا بهذا العمل من أعمال الرحمة لأن الحاجة لذلك كانت ملحة ؟ وبعد أن أمر الرجل الذى كان محتاجاً للشفاء أن يتقدم ، طرح على الفريسيين هذا السؤال : « هل يحل فى السبت فعل الخير أو فعل الشر ، تخليص نفس أو إهلاكها » ، هل فى ذكر العبارة الأخيرة إهلاك أو قتل ، إشارة للنوايا الإجرامية للفريسيين حتى فى يوم السبت ؟ عندما رأى يسوع الرجل ذا اليد اليابسة ، رق قلبه له ، وعلم أن هذه هى الفرصة لإثبات أن الإنسان أفضل من الخروف وشفى المسيح الرجل ، وغضب مراقبوه من رجال الدين لأنه طبقاً لحساباتهم اعتبروا أن يسوع قد كسر يوم السبت .

إن الرجل الذى شفاه المسيح يقال إن يده يابسة . ولوقا هو الكاتب الوحيد الذى يتميز بالدقة المهنية يخبرنا أن اليد اليابسة هى اليمنى . كان الكتّاب القدامى المتخصصون فى الأمور الطبية يقررون دائماً إن كانت اليد المصابة هى اليمنى أو اليسرى . كانت اليد « يابسة » أو « جافة » مما يعنى أنها مصابة بشكل من أشكال الشلل. لم تكن الذراع يابسة ، ولابد أن الحالة كانت نتيجة لحادثة أو داء ، وكانت تسمى « ضمور موضعى » أو تلف أو انكماش جزء من أحد الأطراف . وإضافة لوقا بأن « يده اليمنى » هى المصابة تزيد التقليد القائل إن الرجل كان أحد البنائين ، وقد جاء ليطلب من يسوع أن يشفيه حتى يستطيع أن يعمل ليأكل لقمة العيش . وعلى الرغم من عجزه ، فقد كان فى مكان العبادة فى يوم السبت وقد وجد هناك ما كان فى أشد الحاجة إليه . والشخص الذى شفى هذه اليد اليابسة ، قد يبّس ذراع شخص آخر (١مل ١٣ : ٤) كمعجزة من معجزات القضاء الإلهى .

عندما جاء يسوع ليشفى الرجل فى المجمع ، نقرأ أنه « نظر حوله » إلى خصومه « بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم ». إن الحزن على هؤلاء الخطاة يمضى جنباً إلى جنب مع الغضب على خطيتهم . هذه هى الحادثة الوحيدة المسجلة عن غضبه ، باستثناء ما نقرأه عندما « اغتاظ » لمحاولة تلاميذه أن يمنعوا الأطفال من المجئ إليه (مر ١٠ : ١٤) ، « إن الغضب الذى شعر به إزاء الخطية تحول إلى إشفاق وعطف نحو الناس الذين ارتكبوها ». ويجب قراءة العظة الجميلة لسبرجون التى عنوانها: « يسوع يغضب من القلوب القاسية » فى هذا الصدد . وبسبب علم يسوع بكل شئ ، فقد استطاع أن يقرأ أفكار ودخيلة قلوبهم الشريرة .

وتفوه يسوع بما كان يبدو أنه أمر مستحيل التنفيذ « مد يدك » ، لقد طلب منه أن يفعل نفس الشئ الذى كان مستحيلاً . ولكن مع الأمر ، كانت هناك القوة ، لأن أوامره تحمل معها القدرة على تنفيذها . وطلب من الرجل أن « يقف فى الوسط » أى أن يخرج حتى يراه جميع الحاضرين ليشهدوا المعجزة ، فأطاع الرجل وشفى فى الحال دون حتى أن تلمسه يد المسيح . لقد أجرى الشفاء فى صمت بإرادته ، وعندما رفع الرجل يده ، لم تعد يابسة بل

صحيحة تماماً كاليد الأخرى . لقد كان هناك دليل إيجابى على أن المعجزة قد أجريت فعلاً .

وكان تأثير المعجزة فورياً لأن الفريسيين « امتلأوا حمقاً » وهو يعنى أنهم امتلأوا بالغضب الأهوج ، تمييزاً له عن الغضب الوقور الذى أظهره يسوع . لقد دفعتهم الكراهية العمياء للتشاور مع الهيرودسيين ليهلكوا يسوع (مر ٣ : ٦) ، ومع أن الفريسيين استطاعوا المماحكة والانتقاد للشفاء الذى أجراه المسيح فى يوم السبت إلا أنهم لم يشعروا بوخز الضمير عند تآمرهم لقتله فى نفس اليوم . مثل هذه النوايا الإجرامية كانت مناسبة لاعتزال المسيح فى الجبال المنعزلة ، حيث يكون بعيداً عن دسائس أعدائه ، وحيث تتاح له فرصة للصلاة والحديث مع الآب ، واختيار الاثنى عشر رسولاً الذين سوف يشهدون له بعد صعوده . إن مرقس وحده هو الذى يدون الإحدى عشرة مناسبة التى اعتزل فيها يسوع عن عمله حتى يهرب من أعدائه أو ليصلى فى عزلة ، ليستريح أو ينهمك فى لقاء خاص مع تلاميذه (١ : ٣٥ ، ٣ : ٧ ، ٦ : ٣١ و ٤٦ ، ٧ : ٢٤و٣١ ، ٩ : ٢ ، ١٠ : ١ ، ١٤ : ٣٢ و ٣٤ و ٣٩) .

والدروس التى يمكن أن نتعلمها من هذه المعجزة واضحة ، «فبإجرائها ، فإن رب السبت قد حفظه وقدسه بإعادة الصحة والقوة لهذا الرجل »، وقدمنا إيضاحاً بارزاً لطبيعة الإيمان « قم قف فى الوسط » أمر امتحن إيمان الرجل وشجاعته ، لقد تغلب إيمانه على الخوف البشرى . والأمر الثانى « مد يدك » قد اختبر نوعية إيمانه أى الثقة الكاملة فى يسوع . لقد شُفى بالطاعة . والدرس الأخير هو أن الكثيرين منا يعانون من أيد يابسة . لقد فعلت الخطية فعلها فى شل حركتنا حتى إننا لا نستطيع أن نفعل الشئ الكثير لأجل المسيح ، الذى أنقذتنا يداه المثقوبتان . ولكن الأيدى اليابسة يمكن أن تشفى وتتقوى لتعمل الشئ الكثير لخدمة شافينا الأعظم فى وسط عالم مثقل بالخطية والألم .

{ ١٨ } معجزة شفاء عبد قائد المئة

(مت ٨ : ٥ - ١٣ ، لو ٧ : ١ - ١٠)

بعد أن تعاملنا مع خطأ الخلط بين هذه المعجزة ومعجزة ابن خادم الملك ، يمكننا أن نوضح أن كلا المعجزتين تتفقان فى إبراز أن المسيح قادر على الشفاء من على بعد فى غياب المرضى بكلمة واحدة . وحيث أن متى ولوقا وحدهما دوناً عن البشيرين الآخرين يسجلان هذه المعجزة ، فمن المثير أن نلاحظ الطريقة التى يستخدمها كل منهما فى شرح المعجزة . ليس هناك تعارض فى التقديم ، فكل منهما كان مقوداً من الروح القدس فى سرده للحادثة . وهناك بعض نقاط الاختلاف :

كتب متى وهو يضع إسرائيل بنوع خاص نصب عينيه ، وهكذا نراه يبرز تحذير ربنا الخطير للأمة من أن كثيرين سوف يأتون من بعيد ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب . وقد كان هذا التحذير ضرورياً جداً لأناس يبنون آمالهم على ما لهم من علاقات وامتيازات دينية مهملين الإيمان الشخصى .

ولوقا ، كأممى ، كتب للأمميين ، ولذلك فهو لا يشير للتحذير الموجه لإسرائيل ، وقدم بدلاً منه ، موقفاً تعليمياً ومشجعاً للأمميين وهو أن قائد المئة كلم شيوخ اليهود أولاً أن يطلبوا لأجله من المخلص أن يأتى ويشفى عبده . إن متى بتحذيره ، أذلّ كبرياء اليهود . ولوقا بإضافته ، قصد قمع غرور الأمميين . ويخبرنا لوقا أن المعجزة قد تمت حالما جاء إلى كفرناحوم ، ويقدم لنا نظرة عن كثب لتفاصيلها وملابساتها .

ورواية متى تقول إن قائد المئة ذهب إلى يسوع شخصياً ، وتروى تفاصيل الحوار الذى جرى بين الرب وبينه .

ويخبرنا لوقا من واقع الأحداث الفعلية أن قائد المئة قبل كل شئ استغل صداقته لعدد من اليهود فى التوسط لصالحه . ورواية متى الأكثر اختصاراً تروى ما دار من خلال الآخرين كما لو كان قد دار بين المسيح وقائد المئة مباشرة .

يصف متى مرض عبد قائد المئة بأنه كان «الفالج» ويقول إنه كان «متعذباً جداً»، مما يتضمن نوعاً خاصاً من الشلل مصحوباً بألم شديد .

ولوقا يخبرنا أن العبد كان «مريضاً ومشرفاً على الموت». فاتجاهه الطبى منعه من التعبير عن الطبيعة الدقيقة لمرض الرجل

الخطير .

وقائد المئة نفسه كان أمير كتيبة أو قائداً لمئة جندي(أع ٢١:٣١) . تركت الديانة اليهودية أنطباعاً قوياً على فكره كأممي . يذكرنا اليكوت في هذا الصدد قائلاً: « إنه وجد فيها طهارة ومهابة وبساطة ونبلاً في الحياة غير موجود في أي ديانة وثنية » ، وقد أحب الشعب اليهودي ، وقد أعاد بناء أحد مجامعهم على نفقته الخاصة ، في المدينة التي كان يقيم فيها . وكان يعرف أيضاً كل شئ عن يسوع كمعلم يمتلك قدرة هائلة . وقد عرف اليهود المقربون منه قدره ، وكانوا على استعداد لتدعيم صلواته ومجهوداته لأجل عبده المشرف على الموت . نرى في قائد المئة هذا إيذاناً بإزالة الحواجز بين اليهود والأمميين - بنوة بالأخوة الروحية في المسيح . هذه النفس المخلصة لم تكن بعيدة عن الملكوت . لقد كان «على عتبة الباب» . وقائد مئة آخر عند الصليب اعترف بدعوى يسوع عن نفسه ، وقائد مئة آخر كان أول من قُبل في الكنيسة المسيحية (أع ١٠) . هناك أربع صفات متميزة على الأقل تتسم بها شخصية قائد المئة يصفها متى ولوقا:

(١) اهتمامه وعنايته بخادمه ... الكلمة التي استخدمها لوقا للخادم هي « عبد» ومع ذلك فلم يكن يعامل كعبد حقير كباقي العبيد . لقد كان أقرب إلى الابن منه إلى العبد . ويضيف لوقا قوله إن العبد « كان عزيزاً عنده » . وبالرغم من وجود رابطة الود بين الاثنين ، إلا أن الإعزاز يرجع للقيمة وليس للحب . لم يكن من المألوف أن يعامل أثرياء الرومان عبيدهم هكذا .

كتب الأسقف هول قائلاً :

« تقدم للمسيح عدد كبير من الناس . أحدهم جاء لأجل ابنه وآخر لأجل ابنه ، وثالث لأجل نفسه . لم يأت أحد لأجل عبده سوى قائد المئة هذا . ولكنه كان رجلاً أفضل من مجرد سيد في علاقته بعبده . إن عبده مريض ومع ذلك فهو لا يطرده من بيته ، ولكن يتركه في بيته ، ولا يجلس بجواره محملقاً فيه ، إنه يسعى لأجله ، ولا يذهب للسحرة أو العرافين بل للمسيح ... فلو كان السيد مريضاً ، لما فعل أفضل العبيد بأكثر مما فعل هو . لا يستحق أي شخص أن تقدم له خدمة جيدة إلا إذا خدم هو أتباعه في بعض الأحيان » .

إن معاناة هذا العبد المتألم جعلت قلب المسيح يرق له . لقد مزج قائد المئة الود بالسلطة . لقد كان معتاداً على إصدار الأوامر ، ومع ذلك فقد اهتم بعبده المريض واعتنى به .

(٢) هناك صفة أخرى جديرة بالإشارة في قائد المئة هذا وهي تواضعه وتحفظه باحتساب نفسه غير أهل كأممي من الاقتراب من يسوع كيهودي ، سواء شخصياً أو عن طريق وساطة الآخرين ، ويعبر لوقا عن هذا التواضع بصورة أوضح من متى ، لم يكن هذا التواضع زائفاً . فكم يتباهى البعض بتواضعهم ! وكم هو كريه ذلك التواضع المتكلف ! ولأوغسطينوس تعليق مناسب على هذه النقطة، لقد حسب نفسه غير جدير بأن يدخل المسيح بيته ، « وحُسب أهلاً لأن يدخل المسيح قلبه » . يقول اليكوت : « إن الإحساس بعدم الاستحقاق يعني ضمناً الشعور بخطاياه ، والاعتراف بقداسة وجلال المعلم الذي وجه إليه الرسالة » .

(٣) ثم هناك الثقة في مقدرة المسيح على الشفاء ...« قل كلمة فيبرأ غلامي » ، إن هذه العبارة تكشف عن دليل قوي على إيمان قائد المئة . لقد عرف أنه لا داع لأي تأثيرات سحرية تحدثها لمسة أو تعويذة ، ولم يطلب كجدعون علاقة أو دليلاً على القدرة الإلهية لإجراء معجزة . ولم يطلب من يسوع أن يأتي لبيته ويزور الخادم المريض ويصلي ثم يقيمه بيده . لقد شعر أن المسافات لا تشكل عائقاً بالنسبة للمسيح ، وأن كلمته على بعد ميل يمكن أن تشفي تماماً كحضوره الفعلي . لقد كان إيمانه عظيماً لا يبحث عن علاقة ظاهرية . واستطاعت عينه الروحية أن ترى غير المنظور ، ولهذا كان قلبه ثابتاً واثقاً في الرب . وكما يقول « سبر جون » في هذا الصدد : « إن إيمان قائد المئة الثابت لم يكن يحتاج لعكاز يستند عليه » ، وكما سنرى فقد أرسل الرب كلمته وشفي العبد .

وبالإضافة لذلك ، فإن هذه الثقة في فاعلية كلمة المسيح لشفاء الإنسان المائت حتى وهو بعيد عنه ، هي التي أثارت مدح المسيح لهذه الثقة . فها هو رجل ذو سلطان يؤمن أن الأمراض لابد أن تطيع

أمر المسيح تماماً كما أن عليه أن يطيع رؤساءه وكما أن على مرؤوسيه أن يطيعوه . إن محور الفكرة التي في ذهن قائد المئة تدور حول وظيفته التي أمدته بتصور عن عظمة وجلال ذلك الشخص الذي هو « الحاكم المطلق في السماء والأرض ، الحاكم الحقيقي الذي لا يمثل قيصر بالنسبة له سوى ظل باهت ضعيف»، كما يقول كمنج Gumming :« وكإنسان لديه سلطان ، وتحت سلطان أيضاً ، فوجوده الشخصي ليس ضرورياً ، لأن بمقدوره أن يرسل جنوده أو عبيده لتنفيذ أوامره . ولذا فقد قال إن المسيح ، بسبب سلطانه ، يمكنه أن ينفذ إرادته عن طريق كلمته ، وهذا فيه الكفاية » .

(٤) وأخيراً ، هناك المكافأة السخية لإيمانه العظيم ... بمجرد أن سمع المسيح بمأساة العبد وشهد تواضع قائد المئة قال :« أنا آتي وأشفيه » ، ولما كان في طريقه لفعل الرحمة ، جرى شخص وأخبر قائد المئة أن طلبته قد أجيبت . « كما آمنت يكون لك » . وفي وصفه للشفاء ، يقول لوقا إن العبد المريض «قد صح »، وهي عبارة تستخدم طبياً للدلالة على الصحة الجيدة أو الحالة الصحية الجيدة ، لم يكن هناك تخفيف من حدة مرض العبد ، بل اختفاء تام للمرض . بمجرد أن آمن قائد المئة ونطق يسوع بكلمته ، تم الشفاء الكامل ، « لقد صدرت كلمة الشفاء من يسوع بصورة طبيعية كما يصدر العبير من الزهرة » .

ومثل هذا الشفاء الفوري الذي حدث لمريض من على بعد شئ نادر بين معجزات الشفاء في الكتاب المقدس . فهذا الشفاء الذي صدر عن طريق التحكم من على بعد أو « الشفـــاء من بعيد » (انظر مت ١٥ : ٢١ - ٢٨ ، مر ٧ : ٢٤ - ٣٠) ، يحير علماء النفس الذين يحاولون أن يجدوا أحداثاً مشابهة من واقع الجرعات العلاجية النفسية الحديثة . ودعاة الشفاء بالإيمان يحاولون ممارسة شفاء الأمراض من بعيد عن طريق المناديل الممسوحة بزيت أو أي وسيلة أخرى تم الصلاة عليها .

وفي الختام ، فمديح المسيح لإيمان قائد المئة يستحق أن نخصص له فقرة . وكون المسيح يتعجب من عظمة إيمانه لدليل على إدراكه التام للبشر . فالإيمان الذي يدعوه يسوع « عظيماً » كان كذلك لأن الرجل لم يطلب علامة ولكنه آمن بقدرة المسيح الفائقة ، ولم يطلب شيئاً آخر . هناك موقفان ذكر المسيح فيهما عبارة « إيمان عظيم » بخصوصهما ، وكلاهما كانا لشخصين أمميين - وهما قائد المئة الروماني والمرأة الكنعانية (مت ١٥ : ٢٨ ، لو ٤ : ٢٦) الأول طلب لأجل عبده - والثانية لأجل ابنتها . والمعجزة في كلتا الحالتين تظهر كيف أن مبدأ الإيمان يسمو على كل الاعتبارات الأخرى كالجنس والميلاد .

يعبر ليدلو عن عظمة الإيمان الذي امتدحه المسيح من النواحي الآتية :

(١) كان عظيماً إذا تأملنا الرجل الذي وجد فيه هذا الإيمان . فهو كأممي ، ليس له الحق أن يطالب برحمة يسوع . كان هذا الجندي الروماني بمثابة نجم الصباح لإيمان الأمميين .

(٢) كان عظيماً في نظرته لقوة المسيح . لقد كان إيماناً وضع تاج الكون على رأس المسيح وصولجان السيادة العالمية في يده .

(٣) كان عظيماً في اعتماده الوحيد على المسيح وإرادته . لم يكن هناك حاجة للاتصال الشخصي ولا للوسائل الخارجية . كان إيمان هذا الرجل فوق كل حدود وقيود ، لم يبال بالصعاب ولا المسافات . فقد تم إجراء المعجزة بفعل صامت من أفعال الإرادة الإلهية .

(٤) كان عظيماً في اتضاعه ونكرانه للذات . ليس هناك أثر للبحث عن الكرامة الشخصية ، أو أي اعتبار للمركز ، في الطريقة التي قدم بها قائد المئة طلبه . ذلك هو هدف الإيمان الحقيقي : «لا شئ سوى المسيح » .

(١٩) معجزة قيامة ابن الأرملة

(لو ٧ : ١١ - ١٨)

شهد اليوم التالي لشفاء عبد قائد المئة معجزة أقوى وأعجب من تلك التي أجراها يسوع في اليوم السابق . ولوقا ، وهو البشير الوحيد الذي يقدم لنا معجزة القيامة هذه ، يقول إنها حدثت بعد أن ترك يسوع كفر ناحوم وجاء إلى «مدينة تدعى نايين »، ولو لم يكن

لوقا قد شهد بنفسه حدوث المعجزة ، فمن المرجح أنه قد سمعها من النسوة الغيورات - (٨ : ٢ و٣) التى كانت وقائع المعجزة لا تزال نابضة مليئة بالحياة فى ذاكرتهن . يستخدم لوقا عبارة «جمع كثير»، مرتين ليصف أولئك الذين تقابلوا خارج المقبرة .« فجمع كثير » قد تصف عدداً كبيراً من التلاميذ وأتباع يسوع المقربين ، والجمع الكثير الذين كانوا يبكون .

لم يكن لقاء الفريقين اعتباطاً أو عرضاً ، ولم يكن التوقف شيئاً طبيعياً عادياً .

فلو كان يسوع والفريق الذى كان معه قد وصلوا إلى المكان الذى تقابلوا فيه متأخرين قليلاً ، لكانت عملية الدفن قد تمت ، وما كان ذلك يعوق القادر على كل شئ ، الذى أقام لعازر من القبر فيما بعد . وهذا اللقاء الذى كان يبدو طارئاً كان مدبراً من قبل فى مشورات العناية الإلهية . يقول سبرجون فى إحدى عظاته عن هذه المعجزة « لنلاحظ جيـداً المصادفات» التى يدعوها المتشككون كذلك ، ولكننا ندعوها (تدبيرات العناية الالهية) . لم يكن هذا إذن لقاءً طارئاً ، ولكن من تدبير وعناية الله وقصده السابق . لقد تقابل الفريقان والله يعمل من خلال ما يبدو أنه ظروف طبيعية . يقول إسحق تايلور :« هذه معجزة كبرى من معجزات العناية والتى لا تتطلب أى معجزات لإتمام أغراضها .

لابد أن لقاء الفريقين خارج مدينة نايين كان مؤثراً ، وعندما تلاقيا انتصرت الحياة على الموت ، وتحول الحزن إلى فرح . أحد المواكب كان يسوده الحزن لأنه كان بقيادة «حصان شاحب» متجهاً نحو المقبرة بزهو عظيم . والموكب الآخر كان بقيادة الرب الحى ، الذى وحده له الخلود ، حيث تقابل الموت مع الحياة ، وكانت المعركة بينهما قصيرة وحاسمة ، فهرب الموت من أبواب المدينة .

فى حين أنه ربما كانت هناك معجزات قيامة أخرى (لو ٧ : ٢٢) ، إلا أنه قد تم اختيار ثلاث حالات فقط لتدوينها فى السجل المقدس ، طفل أقيم من الأموات بعد موته مباشرة ، وشاب أقيم أثناء موكب جنازته ، ورجل كبير كان قد مات لمدة أربعة أيام ! عند إقامة ابنة يايرس ، كان والد الطفلة قد بحث عن يسوع ، وعند باب مدينة نايين لم تطلب الأم إقامة ابنها الشاب ، وفى بيت عنيا لم تكن إقامة لعازر متوقعة من قبل أختيه .

حقيقتان قد ضاعفتا من مرارة حزن المرأة عندما كان موكب الجنازة يتقدم ببطء طبقاً للعادات الشرقية متجهاً نحو مكان الدفن خارج المدينة . أولاً ، كان الشاب الميت هو ابنها الوحيد ، فقد كان العكاز الذى تستند عليه فى رحلة العمر، ورفيقها فى وحدتها ، عمود البيت وقاعدته . وبفقدها لابنها الوحيد تكون قد فقدت السند الوحيد المتبقى لها . والكتاب المقدس لا يسجل خسارة أشد وأكثر إيلاماً من فقدان الابن الوحيد (زك ١٢ : ١٠ ، عا ٨ : ١٠) . «كانت الزوجة اليهودية تشعر أنها كارثة ألا يكون لديها ابن، ولكن الكارثة تكون أشد هولاً عندما يخطف الموت الابن الوحيد الذى هو أمل البيت . وعندئذ فالمرأة الباكية - التى جلبت الموت إلى العالم ، أرملة تفهم مدلول الحزن الكامل الذى يحمله هذا اللفظ ، فعبـــارة « كانت أرملة تبدو مقبضة كناقوس الموت . فكل ما ترك لها قد مات وحمل إلى القبر » .

والاسم الذى يطلقه لوقا على المسيح « الرب » يدل على مقدار الاحترام العميق الذى يكنه له . « فلما رآها » ، إن عينه الثاقبة ميزت الأم التى هدها الحزن خلف التابوت مباشرة . يقول : ابدرشيم Edersheim فى كتابه « الحياة الاجتماعية اليهودية » « لو كانت هذه الجنازة فى اليهودية لكان الباكون الذين يتقاضون أجراً والموسيقيون قد تقدموا النعش ، ولكن فى الجليل فإنهم يسيرون خلفه . فقد كانت النسوة أولاً ، لأنه كما يوضح تعليق يهودى قديم ، فالنساء اللاتى جلبن الموت إلى العالم ،ينبغى ان يتقدمن الطريق فى الموكب الجنازى» .

وهنا كما فى العديد من كثير من معجزات أخرى (مت ٢٠:٣٤،مر ١:٤١ الخ) ، « فإن معجزات المسيح لا تنبع بدافع تقديم ما يثبت إرساليته بل بدافع عطفه غير المحدود تجاه آلام البشر » ، فبمقدار العطف الكامن وراء هذه الكلمة البسيطة ذات السلطان ، «لا تبكى »، ومع ذلك فلم تكن تلك الكلمة مجرد رجاء للأم الدامعة لكى تبتهج ، لقد كانت رؤية مسبقة لقوته وسلطانه .

لقد كان على وشك أن يزيل سبب دموعها ويعطى لأتباعه لمحة من الوقت الذى يمسح الله فيه كل دمعة (رؤ ٢١ : ٤) .

ولما لمس يسوع النعش أو التابوت ، توقف الموكب الجنائزى . إن حضور المسيح المهيب أجبره على التوقف . لم يخف يسوع من النجاسة الطقسية التى تنتج عن لمس الموتى . لابد أن النائحين تعجبوا أن هذا الشخص العظيم ، الذى اشتهر بلقب المعلم صاحب السلطان ، يلمس الميت الأمر الذى كان يتجنبه معلمو اليهود باعتباره يجلب النجاسة ! وهكذا ، « فتوقفهم الفجائى ، أثناء مسيرتهم الجادة إن دلت على شئ فهى تدل على الرهبة والثقة أن اللمسة لا يمكن أن تكون بلا معنى »، ولنا أن نتصور كيف أن أتباع المسيح الذين شهدوا معجزات سابقة قد عقدت الدهشة ألسنتهم مع الذين يبكون وراحوا يفكرون فى أنفسهم قائلين : «ماذا بعد ! لقد رأيناه يدعو الناس عبر الخط الفاصل بين المرض والصحة ، الضعف والقوة ، الجنون والتعقل .ولكن عبر هذا الخط ، فهل سيجرؤ على أن يدَّعى قدرته على دعوة الذين رحلوا عن الحياة للعودة للحياة مرة أخرى ؟

لماذا لا يصدق الناس إن الله قادر على الإقامة من الأموات ؟ (أع ٢٦ : ٨) . إذا كان الله هو المتسلط فى هذا الكون ، إذن فمن السهل أن نؤمن بالقيامة ، على الرغم من أنها معجزة هائلة . فالذى خلق الإنسان من التراب قادر أن يدعوه ثانية من نطاق الموت إذا أراد . فإذا كان هو « الحياة » فهو أيضاً «القيامة» واستجابة لأمره المهيب « لك أقول قم » . سلم الموت فريسته فى الحال . فقد علم بكل تأكيد أنه حيث أنه « رئيس الحياة » فكلمته يجب أن تطاع . ألست متأثراً بالإيجاز المقتدر لكلمـــات المسيح للميت ؟ « أيها الشاب .... قم » « يا صبية قومى »«لعازر هلم خارجاً» .

وبمجرد أن سمع أمر المسيح ، ذو الأثر الفعال فى مملكة الموت ، نهض الشاب الميت وجلس وتكلم . لا شك أنه مات . إنه لم يكن فى غيبوبة أو متظاهراً بالموت كما يدَّعى البعض ، وفى ذلك يقول دكتور بريور Brewer فى كتابه الرائع « قامـــوس المعجزات »: « إن هذا الشاب قد مات وكان فى طريقه للدفن . والآن فعن طريق تدخل إلهى ، عاد للحياة مرة أخرى (فجلس الميت) ، لم يكن هناك داع لأصدقائه الحزانى أن يقيموه . فقد كان مليئاً بالحيوية عندما أقامه المسيح من النعش ، تماماً كالذى يقوم من فراش نومه».

مثل هذا الإعلان المباشر لقوة الرب يأتى بنا للفرق الذى ذكر من قبل بينه وبين الأنبياء والرسل . إن إيليا وأليشع وبطرس وبولس أقاموا أشخاصاً من الموت ولكن بقوة ممنوحة لهم من فوق ، لأنه ليست لديهم قوة خاصة بهم يتحكمون فيها كما يشاءون ، لقد أعاد أليشع بمجهود كبير وبعد فشل جزئى ، الحياة لابن المرأة الشونمية . ولكن يسوع قال ببساطة « هلم خارجاً » فقام الميت (١ مل ١٧ : ٢٠ - ٢٢ ، ٢ مل ٤ : ٣٤ ، مت ١٠ : ٨ ، أع ٩ : ٤٠) . إن قوة المسيح على الإقامة من الأموات أثبتت أنه هو الله (٢ كو ١ : ٩) . لقد كان الأنبياء والرسل مكلفين من الله للقيام بهذا العمل كوسائل فقط ، ولكن الأمر يختلف بالنسبة للمسيح . لقد تم كل شئ باسمه وبطريقة مباشرة ومهيبة . لم تُمنح له القوة ، لأن كل القوة كانت ملكه .

وبمجرد أن عاد الشاب للحياة وجلس « تكلم » . نحن لا نعرف ماذا قال ، ولكننا على الرغم من ذلك نستطيع أن نتصور كيف أن شفتيه اللتين كانتا صامتتين أخذتا تنشدان نشيد الحمد لمن أنقذه وتعرُّفه على أمه العزيزة . فصمت الكتاب المقدس تجاه ما قاله الشاب أو ابنة يايرس أو لعازر عندما عبروا «الهوة العظيمة »، لهو صمت إيجابى مهيب . فعلى قدر علمنا ، إنهم لم يكونوا قد تعرفوا بعد على الحياة بعد الموت ، لقد سلّم المسيح الشاب المقام لأمه . أرسله لدائرة الحياة . لقد أعيد لأمه ثانية لأنه كما يقول: بنجل :« لقد كف عن أن يكون ملكاً لأمه ». يا لها من صورة مجيدة للم الشمل واللقاء العائلى عند مجئ المسيح (١ تس ٤ : ١٣ - ١٨) !

لقد أخذ الجميع خوف بسبب هذه المعجزة ، ولكن هذا الخوف أو الرعب قد انقشع ليحل محله إحساس أعمق وأقدس وهو الشعور بالرهبة والاحترام للرب الواهب الحياة .

وكنتيجة لهذه المعجزة التى ختمت فترة خدمته الأولى فى

الجليل ، اعترف به الناس كالنبى العظيم الذى يحب أن يفتقد شعبه (تث ١٨:١٥، لو ١ : ٦٨ و ٦٩ الخ) ، وقد أيد دعواه كالنبى المتنبأ عنه بإقامة الموتى ، وقد ذاع خبر هذه المعجزة سريعاً مما أوغر صدور رؤساء اليهود الذين رفضوا دعوته فى مساواته بالله . والتطبيق الروحى لهذه المعجزة سهل . فالذى لديه القوة على إقامة الموتى جسدياً قادر بفضل موته وقيامته على إقامة الموتى من خطاياهم ومعاصيهم إلى جدة الحياة .

(٢٠) معجزة إسكات العاصفة

(لو٨ : ٢٢ - ٢٥ ، مت٨ : ٢٣ - ٢٧ ، مر٤ : ٣٥ - ٤١)

حدثت هذه المعجزة فى مساء ذلك اليوم الذى لا ينسى عندما علّم يسوع السبعة أمثال المدونة فى إنجيل متى أصحاح ١٣ (انظر مر ٤ : ٣٥) . وباستخدام مرقس لعبارة « فى ذلك اليوم » فهو يحدد الوقت الدقيق للمعجزة . عند هذه النقطة يسجل لوقا مثل الزارع . وبسبب تزاحم الجماهير حول يسوع ، أمر تلاميذه أن يأخذوه فى قاربهم إلى منطقة ببرية الأكثر هدوءاً على الجانب الآخر من البحيرة . وقبل مغادرة الجماهير ، نطق بهذه الأقوال الثلاثة الفريدة لثلاثة كانوا من بين الجموع المحتشدة حوله (مت ٨ : ١٩ - ٢٢ ، انظر لو ٩ : ٥٧ - ٦٢) . ثم أبحر بالسفينة . وبفحص الروايات الثلاث ، نستطيع أن نميز ثلاثة ملامح للمعجزة التى أجراها المسيح فى تلك الساعة فى المساء .

أولاً ، كان يسوع منهكاً ، والعبارة التى ذكرها مرقس معبرة فى هذا الصدد ، فهو يقول : « وأخذوه كما كان فى السفينة » ، كيف كان فى تلك الساعة ؟ لقد قضى يسوع يوماً منهكاً فى التعليم ، وكان يسوع مرهقاً ومتعباً عقلياً وجسمياً . ووصف مرقس لحالة المسيح توحى بالتعب المفرط بسبب العمل دون انقطاع . ولما رأى تلاميذه أنه منهك جداً ، أسرعوا وأخذوه ليحصل على قدر من الراحة وليبعد عن مجادلات وتساؤلات الكثيرين . وهكذا ، وبدون أى استعداد للإبحار إلى الجانب الآخر من البحيرة ، جدّفوا إلى الجانب الآخر .

وبمجرد أن وضع يسوع رأسه على الوسادة استغرق فى نوم عميق ، فهو الذى ألقى سباتاً على الآخرين (انظر ١ صم ٢٦:١٢) نراه الآن يستمتع هو نفسه بالنوم . يا له من سر عجيب يجمع بين اللاهوت والناسوت نراه فى هذه الفقرة . فبسبب محدودية بشريته ، فإن ذاك الذى لا ينعس ولا ينام ، كان بحاجة للراحة ، لتجديد طاقته . ولكن كإله ، قام من النوم وانتهر العاصفة . وقد كان نومه عميقاً لدرجة أن العاصفة المفاجئة التى أزعجت تلاميذه ، لم تزعجه. لقد كان الخطر حقيقياً ، وقد أحسوا به كصيادين ، وخافوا على أنفسهم وعلى سيدهم . ومع ذلك فقد استمتع بالنوم فى أثناء العاصفة بسبب ثقته التامة فى عناية أبيه السماوى ورعايته . ثم أليس إله الرياح والبحار نفسه هو الذى كان يرقد فى مؤخرة القارب الذى تكاد العاصفة أن تدمره ؟

يا لها من مفارقة مذهلة بين هذه السفينة التى تحمل النبى النائم وتلك السفينة الأخرى فى البحر المتوسط والتى كانت تحمل نبياً كان هارباً من المهمة التى كلفه بها الله ! إن نوم يسوع كان مريحاً لأن ضميره كان خالصاً وطاهراً ، ونوم يونان فى العاصفة كان أشبه ما يكون بنوم شخص مخدّر لأن ضميره كان ميتاً . إن يونان كان سبب العاصفة التى هبت ، ويسوع هو الذى أسكت العاصفة . كان يونان هارباً من الله ، وكان يسوع مرسلاً من الله يعمل أعمال الله بالطريقة التى يريدها الله لمجد الله .

أما عن العاصفة نفسها ، فقد كانت من العواصف المفاجئة فى بحيرة جنيسارت التى هبت على القارب الصغير .كان «نوءاً» قد «نزل» حرفياً من المرتفعات المحيطة بالبحيرة . يتحدث طومسون Thomson فى «كتابه الأرض والكتاب المقدس » عن ريح عاصفة تهب من الوديان العميقة وتكون بمثابة « بؤر ضخمة تجتذب الرياح من الجبال» ، كانت العاصفة شديدة ، وقد ملأت الرياح الشديدة القارب بالماء ، حتى كان التلاميذ فى خطر . ويصف مرقس ، بالتفصيل ، الأمواج وهى تضرب القارب. وينصحنا (فنسنت Vincent) أن نلاحظ النواحى السيئة : أصبحت السفينة تمتلئ بالماء تدريجياً ، «وصاروا فى خطر» ، مقارنة بنزول النوء فجأة والواضح فى كلمة « نزلت »

والآن دعنا نلقى نظرة على التلاميذ القلقين والذين لم يفهموا كيف استطاع يسوع أن يظل نائماً بالرغم من العاصفة . لا شك أن التلاميذ قد امتنعوا عن إيقاظ يسوع فترة قصيرة من الزمن ، ولكن الحاجة كانت ملحة الآن ، ولذا فقد أيقظوه وهم يصرخون :« يا معلم يا معلم إننا نهلك ، أما يهمك أمرنا ». (يقول فريدى Fereday): إن مرقس باهتمامه بالتفاصيل الدقيقة يقول لنا إن التلاميذ قد أيقظوا الرب بطريقة غير لائقة بصياحهم ، فلابد أنهم جرحوا مشاعر المخلّص.. ومع ذلك فقد كان عطوفاً ورقيقاً لدرجة أنه لم تفلت منه أى كلمة توبيخ على جفوتهم فى الحديث . ويذكر لوقا كلمة «يا معلم » مرتين مما يدل على الإلحاح فى الطلب لأنهم يواجهون خطورة الحالة .

ثم نرى إيقاظ المسيح عند صرخة تلاميذه المذكورين ، فكابن الإنسان نام ، والآن كابن الله فهو صاحب القوة ، إنه ليس بحاجة لعصا كموسى أو عباءة كإيليا ليتعامل بها مع المياه . إن أداته التى استخدمها هى كلمته فقط . لقد تكلم فسكت الريح ، وبعد «النوء» العظيم صار « هدوء » عظيم . أليست هذه المعجزة كانت بسبب الفوضى والاضطراب وعدم التناغم الموجود فى الطبيعة والتى لا يهدئها سوى المسيح نفسه ، والذى سوف يريح العالم منه يوماً ما ؟ إنه هو وحده مع الآب الخالق للرياح والأمواج ، وهو يعرف كيف يتحكم فيهما . لقد كتب عنه المرنم قديماً قبل مجيئه بالجسد قائلاً : « أنت متسلط على كبرياء البحر عند ارتفاع لججه أنت تسكنها » (مز ٨٩ : ٩) . وعندما صار إنساناً ، فهو لم يتخل عن قدرته على كل شئ . ولهذا السبب فعند لحظة هيجان البحيرة ، عرفت قوى الطبيعة سلطانه الإلهى واستسلمت صاغرة لكلمته .

وكلمة (انتهر) هى الصيغة المفضلة المستخدمة للتعبير عن بعض معجزات المسيح – كشفاء الحمى ، وإخراج الروح النجس الذى كان يصرع الابن الذى كان به روح أخرس ، وهنا تقال للعاصفة (لو ٤ : ٣٩ ، ٨ : ٢٤ ، مر ٩ : ٢٥) . فكل هذه القوى كانت تعامل كقوى معادية متمردة تحت سلطة طاغية تحتاج لمن يكبحها ، وكلمته كانت تكفى لتهدئة البحر فى عالم الطبيعة ، كما تعاملت من قبل مع الشياطين فى عالم الروح . إن الانقسامات والمشاحنات فى العالم الخارجى يرجع مصدرها لشخص كما يرى ترنش إذ يقول : « وهذا الشخص ليس سوى الشيطان ، مصدر كل اضطراب فى العالم الطبيعى والروحى » . فالشرور المادية سواء كانت فى عالم الطبيعة أو البشر تدخل ضمن أعمال الشيطان والتى ظهر يسوع لكى يقضى عليها .

وعندما خاطب الرب تلك العناصر الغاضبة تلك الليلة ، فيبدو من كلمات مرقس النابضة بالحياة ، أنه لم يكن يكلم مجرد قوة بل شخصاً كامناً فى ومن وراء هذه القوة . «أسكت» تعنى «ابكم» «أو اخرس » كما لو كانت العاصفة مجنوناً يقيد أو يكمم . فهل كانت هناك بالفعل شخصية منذرة بالشر هى التى خططت لتلك العاصفة المفاجئة المؤلمة للقضاء على المسيح ؟ يقدم جورج بمبر George Pember فى كتابه المثير «أقدم عصور الأرض » شرحاً لفكرة أن مياه الأرض هى السجن المظلم لتلك الأرواح الشريرة التى طردت من السماء عندما تمرد الشيطان على الله .

نحن نعلم أن هناك فريقين من أولئك الكائنات الملائكية المتمردة . هناك الشياطين المطلقة السراح والتى تهيم على وجهها حول الأرض وهى ذات الصلة بمعجزات إخراج الشياطين التى تعاملنا معها فى هذه الدراسة . وهناك الفريق الآخر الذى تصفه رسالة يهوذا (ع ٦) بالقول : « والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام» ، وفكرة بمبر هى أن هذه الأرواح الشريرة المقيدة قد طرحت فى البحار ، تبقى فيها حتى يوم « العرش الأبيض العظيم » عندما يسلم البحر الموتى الذين فيه (رؤ ٢٠ :١٣) ، والذى يؤكده بمبر أنهم ليسوا الموتى الأشرار لأنهم ضمن الأموات صغاراً وكباراً (رؤ٢٠ :١٢)، ولكنهم عبارة عن الأرواح الشريرة المقيدة فى البحر ، فهذه سوف تقام وتدان مع الشيطان ومع ملائكته ويلقى بها فى بحيرة النار. فلو قبلنا تفسير بمبر ، فليس من الصعب أن نربط بين النوء العاصف والشيطان ، والذى كانت كراهيته الظاهرة تجاه يسوع وراء كل محاولة لقتله . ربما شعر هذا الذى كان قتالاً منذ البدء أن هذه فرصة سانحة للقضاء على يسوع ، خاصة وأنه كان مستغرقاً فى النوم فى القارب .

وبعد أن نترك انتهار العاصفة ، نتجه لربنا وهو يوبخ تلاميذه لضعف إيمانهم « لماذا كنتم خائفين ؟ أين إيمانكم ؟ هل يمكن أن يحل بكم أي شر وأنا معكم ؟ » ، ربما كان التوبيخ : « لماذا أنتم خائفون يا قليلي الإيمان ؟ ، قد قيل قبل إسكات العاصفة ، وبعد إسكاتها « أين إيمانكم ؟ كيف لا يكون عندكم إيمان ؟» . وعبارة «يا قليلي الإيمان» هي العبارة المناسبة تماماً ، فالتلاميذ لم يفقدوا إيمانهم بالكامل في معلمهم ، ولكنهم لم يتعلموا درس إيمان قائد المئة ، ولم يستريحوا إلا عندما سمعوا صوته ورأوا أنه يرعاهم ويهتم بهم . إن إيمانهم كان بمثابة السلاح الذي مع الجندي ولكنه لا يستطيع أن يقبض عليه ويمسك به في اللحظة التي يكون هو في مسيس الحاجة إليه .

لم يكن التلاميذ فاقدي الإيمان تماماً ، لأن الإيمان الذي كان فيهم برغم ضعفه ، دفعهم لأن يصرخوا « ياسيد نجنا ! » ، لقد علموا بعد كل ما رأوه من قوته الخارقة ، أنه قادر على تهدئة العاصفة . وكان ضعف إيمانهم يتمثل في اعتقادهم أن اليقظة خلاف النوم بالنسبة له ، كان عليهم أن يتذكروا أنه لا يمكن لسفينة تعصف بها الرياح أن تغوص في أعماق البحر وهو موجود فيها . أليس هو الذي حجز البحر بمصاريع منذ القدم قائلاً إلى هنا تأتي ولا تتعدى وهنا تتخم كبرياء لججك ؟ (أي ٣٨ : ٨ - ١١) . إن أتباع المسيح لم يطبقوا إيمانهم عملياً بالكامل . فالخوف قد شلَّ إيمانهم في ذلك الوقت . ولا يمكن للخوف والإيمان أن يجتمعا سوياً .

ونتيجة المعجزة جديرة بالاهتمام . فأولئك الرجال الذين أصابهم الفزع تلقوا إعلاناً جديداً عن جلال سيدهم . لقد تأثروا «بأسلوبه» أكثر مما تأثروا بقوته . فالمعجزة جعلتهم يتعجبون عند قدميه تعجباً ممزوجاً بالخوف ، فتحكّمه في قوى الطبيعة بكل بساطة حرك قلوبهم . ورأوا فيه الله الظاهر في شكل إنسان ، فالعناصر التي تبدو خارج سيطرة البشر كانت برغم ذلك خاضعة لسلطانه .

يتبقى لنا أن نستنتج بعض الدروس القليلة من هذه المعجزة المثيرة . فهو كربُّ العناية الإلهية ، قريب ليدافع عن شعبه ويحميهم من الخطر ، وحضوره الدائم في وسط كنيسته يؤكد حمايتها ونجاتها . والجانب الرمزي والنبوي لهذه المعجزة وكل المعجزات الأخرى من هذا النوع ، لا يصح أن يغيب عن أبصارنا . فالأمثال كامنة وسط المعجزات . ولهذا السبب هناك تطبيق روحي متجدد لإسكات العاصفة دائماً . ونحن إذ نجمع ما بين اقتراحات البكوت وترنش وتايلور ، يمكن تقديم هذه التطبيقات :

(البحر) في الكتاب المقدس يرمز دائماً للعالم القلق الخاطئ (دا ٧ : ٢ و ٣ ، رؤ ١٣ : ١، إش ٥٧ : ٢٠) .

و(الريح) هي لفح الاضطهاد ، ورب الكنيسة يبدو كما لو كان نائماً لا يسمع صراخ المتألمين ، والتلاميذ خائرين وخائفين .

و(القارب) الذي تضربه الأمواج والرياح هو كنيسة المسيح ، وهي تجتاز من محيط تاريخ العالم نحو الجانب الآخر من الحياة فيما وراء القبر . وكما كان نوح وعائلته نواة لجميع البشر ، موجودين داخل الفلك المحاصر بمياه الطوفان ، فهكذا نواة البشرية الجديدة ، والخليقة الجديدة ، هم المسيح ورسله في هذه السفينة الصغيرة . إن أمواج العالم تثور ضد الكنيسة ، ومع ذلك فهي لن تدخل داخلها مبتلعة إياها، وهذا لأن المسيح فيها (مز ٤٦ : ١ - ٣ ، ٩٣ : ٣ و٤) .

أما بالنسبة للخاطئ الذي تهزه أمواج الخطية والشهوات ، هناك رجاء إذا صرخ قائلاً : «يارب نجني ، فإنني أهلك» ، وفي الحال يقدم له الرب سلاماً وهدوءاً وسط العاصفة .

{ ٢١ } معجزة شفاء الأعميين

(مت ٩ : ٢٧ - ٣١)

متى هو الكاتب الوحيد الذي سجل هذه المعجزة والمعجزة التي تليها ، « شفاء الأخرس المجنون » ، وهو يسجلهما بعد إقامة ابنة يايرس من الأموات ، وقد درج متى ، في معظم الأحيان ، على وضع معجزات الرب يسوع في مجموعات دون اعتبار لتسلسلها الزمني . ولكون متى يكتبهما وراء بعضهما، فكثير من المفسرين يسرونهما معاً . ولكن لكونهما معجزتين مختلفتين ، فإننا نفسرهما

كل على حدة حتى وإن كانا « من المعجزات الصغرى » . من المرجح أن معجزة شفاء الأعميين قد أجريت في بيت بطرس الذى أقام فيه المسيح لبعض الوقت فى كفر ناحوم.

وهذه المعجزة من أقدم المعجزات فى مجموعة شهيرة من المعجزات المماثلة فى الأناجيل (مت ١١ : ٥ ، ١٢ : ٢٢ ، ٢٠ : ٣٠ ، ٢١ : ١٤ ، لو ٧ : ٢١ ، يو ٩) . وشفاء العمى كان إتماماً حرفياً للكلمة النبوية فيما يتعلق بخدمة المسيا ، «حينئذ تتفتح عيون العمى» (إش ٢٩ : ١٨ ، ٣٥ : ٥) . لقد كان العمى ولا يزال كارثة أكثر شيوعاً فى الشرق عنه فى الغرب . فالمناخ والتربة والعادات تتسبب فى أنواع شديدة من التهابات العيون ينجم عنها العمى . ويقول سمث فى قاموسه :«إن انتشار متاعب الإبصار فى تلك الأيام فى فلسطين سببها كثرة كميات التراب والرمل المسحوق بسبب حرارة الشمس ، وبسبب الوهج الدائم للضوء ، والفارق الكبير بين الحرارة وهواء البحر البارد على الشاطئ ، وقطرات الندى فى الليل أثناء نوم الناس على أسطح المنازل وبسبب الجدرى ».

والرجلان اللذان فقدا بصريهما نتيجة لنوع معين من مرض العيون ، عرفا عن قوة المسيح الفائقة لأن متى يخبرنا أنهما تبعا يسوع من بيت يايرس وقد صمما أن يعلنا عن إيمانهما به . لقد برهنا على قوة إيمانهما فى قدرة المسيح على شفائهما . لقد صاحا بلجاجة معترفين أنه المسيا قائلين له :« يا ابن داود »، مما يدل على أنهما كانا يؤمنان أنه هو المسيا الموعود به ليهود العهد القديم . وقد نطق بهذا اللقب الملكى المرأة الكنعانية والأعمى فى أريحا (مت ١٥ : ٢٢ ، ٢٠ : ٣٠ و ٣١ ، ٢١ : ٩ ، مر ١٠ : ٤٧ ، لو ١ : ٣٢ ، ١٨ : ٣٨ و ٣٩ ، انظر حز ٣٤ : ٢٣ و ٢٤) .

كان مطلبهما الأول هو الرحمة ، وهذا كان يحمل معه طلب استرداد البصر . ومن الواضح أن يسوع لم يعر التفاتا لصراخهما ولكنه سأل سؤالاً محدداً : « أتؤمنان إنى أقدر أن أفعل هذا ؟ » ، إن إيمانهما بمسيانيته لا يجب أن يقف عند حد الاعتراف المجرد به ، بل يجب أن يُمتحن كذلك » ، ومن ثم وجه لهما ذلك السؤال المباشر . ثم جاء ردهما المكون من كلمتين فقط « نعم ياسيد » ، وبهذه الإجابة علم أنهما يؤمنان بإمكان شفائهما ، ففتح أعينهما . إن دراستنا لمعجزات المسيح تكشف لنا أن الإيمان كان يسبق الشفاء «بحسب إيمانكما ليكن لكما » . إن عنصر الإيمان الذى يعنى الإيمان بقوة المسيح ، وكفايته لأى حاجة خاصة هو أمر جوهرى . يخبرنا ترنش بأسلوبه الوصفى أن مثل هذا الإيمان هو «حلقة الوصل بين فراغ الإنسان وملء الله .. إنه الدلو الذى ننزله فى ينبوع نعمة الله والذى بدونه لا يستطيع الإنسان أن ينهل شيئاً من ذلك النبع ،إنه كيس النقود الذى لا يمكنه لوحده أن يجعل صاحبه ثرياً ، ولكن يمكن أن يثريه بطريقة فعالة عن طريق الكنز الذى يحتويه ».

بلمس أعين الأعميين ، نجد أول حالة مدونة عن الطريقة التى يبدو أن يسوع دائماً كان يستخدمها فى حالة فاقدى البصر . ففى الحالات الأخرى من المرض ، والتى كان أصحابها يتمتعون بنعمة البصر ، كان الناس يؤمنون بقدرة المسيح على شفائهم « عن طريق رؤيتهم لنظرة العطف فى وجه المسيح وإدراكهم لقوته الفائقة الظاهرة فى ملامحه »، ولكن العميان محرومون من تتبع ذلك ، ولذلك فقد استعاض المسيح عن ذلك بأعمال تجعلهم يدركون غرضه فى شفائهم» (مت ٢٠:٣٤، يو ٩ : ٦) . بعد أن اعترفا بإيمانهما وبرهنا عليه ، فقد لمس يسوع أعينهما ، وفى الحال أكرم إيمانهما بسخاء بهبة البصر التى لا تقدر بثمن .

إن لمسة المسيح ودلائل قوته تأتى بنا لموضوع تعدد وسائل الشفاء فى معجزاته ، ففى إحدى المرات استخدام الطين مع البصاق ، بأن تفل فى عينى الأعمى (مر٨ : ٢٣ ، يو ٩ : ٦و٧) ، وفى مرة أخرى ، قال كلمة واحدة (يو ١١ : ٤٣). ولكننا «لا نقرأ عن فتح أعين العميان بأن قال كلمة فقط ، مع أن ذلك بالطبع فى متناول قوته ، فما لم تستطع تلك الأعين الفاقدة للبصر أن تراه ، قد شعرت به ، وأعقب ذلك حصولهما على نعمة البصر .

وحالة الصمت قد فرضت على من تم شفاؤهما ، لأن يسوع أمرهما بالقول : « انظرا لا يعلم أحد » ، ومثل هذا التحذير قد أعقب قيامة ابنة يايرس ولكن ليس عقب شفاء مجنون كورة الجدريين ، فهذان الأعميان اللذان تبعا المسيح وهما يصيحان جهراً

قد تم شفاؤهما سراً فى البيت وقد أمرهما ألا يعلما أحداً بما حدث لهما . إن علانية إجراء المعجزات وسط أولئك الذين سبق أن شاهدوا كثيراً منها ، كان من الممكن أن يدعم الفكرة الخاطئة عن مسيانيته والتى كانت آخذة فى الانتشار »، كما يقول ليدلو : «وكان هدفه أن يمنع الناس من الانقياد الخاطئ وراء مجرد سماع أخبار المعجزات» ، وكان تحذير المسيح أيضاً بعدم الحديث عن المعجزات يستند أيضاً إلى اهتمام المسيح بالجانب الروحى لأولئك الذين تم شفاؤهم . فالترديد المستمر للمعجزة التى أجريت لصالحهم قد يخلق ويدعم روح الفريسية ويجعلهم يعتقدون أنهم أفضل من الآخرين بسبب ما أجرى من معجزات لهم .

ولكن واحسرتاه ! فعلى الرغم من تحذير المسيح القوى الذى يحثهم فيه على الصمت ، ذهب الرجلان وأذاعا الخبر فى الأرض كلها ، والذى بالرغم أن بعض المفسرين قد امتدحوا سلوكهما هذا ، إلا أنه لا يدل إلا على معصية صريحة ، «فالطاعة أفضل من الذبيحة »، لقد علم المسيح ما هو الأفضل لخير الرجلين ، وكان من المفروض أن يحترما إرادته .

والتطبيق الروحى لهذه المعجزة لا يحتاج لكثير من التأكيد . فالخطية موصوفة دائماً أنها إشارة للعمى الأخلاقى والإنقاذ من الخطية بمثابة التخلص من ذلك العمى (تث ٢٨ : ٢٩ ، إش ٥٩ : ١٠ ، أف ٥ : ٨ ، مت ١٥ : ١٤ الخ) .فالخاطئ أعمى فيما يختص بالله ، وعيناه غير المبصرتين لا تستطيعان أن تنظرا كمالات المسيح وأمجاد السماء . ولكن المسيح قادر «أن يفتح أعينهم وأن ينقلهم من الظلمة إلى النور» (أع ٢٦ : ١٨) . ياليت الجماهير فى كل مكان ، والتى أعماها إله هذا الدهر ، أن تختبر الشفاء الذى يمنحه المسيح بلمسة منه ! .

[٢٢] معجزة شفاء الأخرس المجنون

(مت ٩ : ٣٢ - ٣٥)

ليس أمامنا سوى القليل الذى يمكن أن نقوله فيما يختص بهذه القصة المكونة من ثلاثة أعداد فقط ، وهى المعجزة الثانية التى أجراها يسوع بعد مغادرته بيت الرئيس . لقد أحضر هذا المجنون إلى يسوع على الأرجح من قبل أولئك الذين كانوا يعرفونه فى قوته على الشفاء والتى أصبحت أكثر انتشاراً . وإذ كان هذا الرجل به شيطان فقد كان أخرس وأبكم كما تعنى الكلمة المستخدمة . وكلمة به شيطان هى الكلمة المفتاح فى هذا الصدد . والعقل به خلل عضوى . وحالته هذه ليست نتيجة لأى إصابة جسدية أو داء ، كما أنها ليست نتيجة لعيب خلقى بالوراثة . لقد كان الرجل أخرس لأن به شيطان - وليس الشيطان . فهناك شيطان واحد فقط ، ولكن هناك شياطين لا حصر لها .

فحلول الشيطان ، والذى سوف نتحدث عنه بتفصيل أكثر عندما نأتى إلى مجنون كورة الجدريين ، ليس مرضاً جسدياً عادياً . إن حالة هذا المجنون ليست ناتجة عن خلل وظيفى أو عضوى ، ولذا لم يتعامل يسوع مع المرض الظاهرى ، ولكن مع العلة الأصلية بأن أخرج الشيطان . وليس أمامنا أى بيان يوضح العمل الذى قام به المسيح من جانبه . فالقصة تقول ببساطة « فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس » ، ومثل هذا العمل من أعمال الشفاء قد أعاد للرجل عقله بأكثر مما أزال عيباً جسدياً . والمرء يتساءل ما هى أول كلمات نطق بها الرجل الذى استرد الصحة ، لا شك أنها كانت كلمات المديح لشافيه .

لقد كان أثر هذه المعجزة مضاعفاً . أولاً ، لقد تعجب الجموع قائلين لم يظهر قط مثل هذا فى إسرائيل ، فبعد أن شهدت الجموع الرجل الذى شفى ، أعربوا عن تعجبهم ورأوا فى يسوع مخلصهم المتنبأ عنه . فالمثل يقول : «إن القديس الذى لا يجرى معجزات فالذين يحجون إلى ضريحه قليلون» ، ولكن ما كان له التأثير البالغ على الناس ، قد أثار حنق أعداء يسوع الذين قالوا: « برئيس الشياطين يخرج الشياطين » ، إنهم لم يستطيعوا إنكار حقيقة المعجزة . وكمعلمين لليهود ، كانوا يدَّعون المقدرة على إخراج الأرواح الشريرة ، ولكن الذى به شيطان جعله أخرس وأبكم لم يكن فى متناول أيديهم أو كان خارج نطاق أى نفوذ أو تأثير يمكن أن يمارسوه عليه . إن كراهيتهم الشديدة ليسوع تظهر مرة أخرى فى إضافة كلمة « وبيعلزبول » كرئيس للشياطين (مت ١٢ : ٢٤ - ٣٠) .

إن الشافى السماوى يعالج الاضطرابات الروحية بنفس الطريقة التى عالج بها المجنون ، «والتعامل مع الأعراض فقط لن يرضى أى طبيب ماهر ولا يرضى طبيبنا الأعظم . فهو يعد بالقلب النقى أولاً ثم بعد ذلك تصبح الأفكار والكلمات والأعمال نقية » . ويختتم متى قصة المجنون بالمعلومة القائلة إن يسوع كان يطوف المدن كلها والقرى يعلم فى مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وضعف فى الشعب» (٩ : ٣٥) ، وشفائه لكل مرض وضعف فى الشعب يعنى أنه كان يسدد كل احتياج يلقاه فى طريقه ، عندما يرى الإيمان متوافراً فى الشخص المريض .

(٢٣) معجزة شفاء مجنون كورة الجدريين

(لو ٨ : ٢٦ و ٢٧، مت ٨ : ٢٨ - ٣٤ ، مر ٥ : ١ - ٢٠)

إن زيارة الرب يسوع لكورة الجدريين أو الجرجسيين عبر البحيرة ما هى إلا حادثة واحدة ، ولكن يا لها من حادثة مدهشة . فمع أنه لم يتواجد فى جدارة سوى لبضع ساعات قليلة تقابل فيها مع مجنون إلا أنه ترك فيها ذكرى رائعة لقوته كرسول إلى الشعب . ليس هناك تناقض بين «المجنونين» المذكورين فى إنجيل مرقس ولوقا «والمجنون» المذكور فى رواية متى ، والتفسير الطبيعى لذلك أن واحداً منهما كان أكثر شهرة وعنفاً ووحشية من الآخر . وبما أنه كان بمثابة المتحدث الرسمى ، فقد تراجع الآخر إلى الظل . وتعليق متى هنرى البسيط على هذا التناقض الظاهرى أنه « إذا كان هناك اثنان ، فلابد أنه كان هناك واحد» .

ويقدم فريدى تفسيراً مفاده ، إنه بسبب أنه كانت توجد حالة أكثر يأساً من الأخرى ، فمرقس ولوقا يركزان على حالة واحدة فقط ، ولكن متى ، الذى كان يكتب دائماً واضعاً نصب عينيه قادة اليهود ، وقد كان يعرف مدلول وجود شهادتين عند هؤلاء الناس (تث ١٧ : ٦ ، ١٩ : ١٥) كان حريصاً على تسجيل حقيقة شفاء رجلين ، على الرغم من أنه لم يشر لتفاصيل أخرى كثيرة . وفى رواية لوقا ، فى حديثه عن المجنون الهائج ، نرى شخصيته متعددة الجوانب ، فقد كان شخصاً وحشياً ، ساكناً فى البرية ، يجرح نفسه بالحجارة ، عرياناً ، وقذراً ، به شياطين كثيرة ذات قوة فائقة ، وقد كان يصرخ ، ولكن فى النهاية تم إنقاذه من سيادة الشياطين عليه .

هنا نجد أفضل مكان فى دراستنا للخوارق فى الكتاب المقدس لنكتشف الموضوع الغامض الذى يذكر كثيراً فى الأناجيل ، والخاص بحلول الأرواح الشريرة . وبادئ ذى بدء ، يجب أن نؤكد أننا لا نتعاطف مع الرأى القائل إن ربنا يسوع قد وفّق مفاهيمه مع الأفكار السائدة فى عصره . فأى قارئ للكتاب المقدس منفتح الذهن وأمين لا يمكن أن يتهرب من حقيقة أن ربنا كان يؤمن بالشيطان والأرواح الشريرة وأيضاً بتأثيرها الضار فى البشر . ولو لم يكن مؤمناً بقوى الظلمة الرهيبة لما تحدث بمثل هذا الحماس والعمق والشجاعة عن هذه القوى المستترة كما فعل هو . وقد نسب صراحة مظاهر الشر فى أجساد ونفوس البشر إلى قوى شريرة .

يفسر بعضهم وجود حالات سكنى أرواح الشياطين فى البشر فى روايات الإنجيل ، بنسبتها إلى المعتقدات البابلية والفارسية أو الخرافات التى أصبحت جزءاً من معتقدات اليهود ، الذين قالوا إن الاضطرابات الجسمية والعقلية تعزى لشخصية غير عادية . والذين يرفضون حقيقة القوى الشيطانية يمضون إلى القول إن يسوع قد وفّق أقواله مع هذه الفكرة السائدة فى تلك الأيام ، وكجزء من مهمته الإلهية ، فقد قام بدور المصحح للمعتقدات الشائعة بأن أمر تلك الأرواح المزعومة أن تخرج من الذين سكنت فيهم . ولكن التعليم الكتابى الواضح والصحيح يقول إن الشيطان والأرواح الشريرة كائنات حقيقية ، وأن قوة الشيطان تمارس بطريقة ثلاثية مباشرة عن طريقه، وباستخدام الشياطين الخاضعة لرئيسها ، وعن طريق البشر الذين امتلكهم ومارس تأثيره عليهم . ثم إن الكتاب المقدس يقدم دليلاً كافياً على حقيقة الشياطين وهى التى كانت ملائكة من قبل وقد عصت مع الشيطان وطردت من السماء مع رئيسها . وخضوع الإنسان لقوة الشيطان ثمرة من ثمار السقوط ، وهى حقيقة مريعة لا يمكن الإقلال من شأنها .

وما يحدث فعلاً عند حلول الشيطان فى إنسان هو غزو لذلك الإنسان من قبل سكان الجحيم هؤلاء ، إنه احتلال للنواحى الجسمية والنفسية مع ما يستتبع ذلك من تشويش واختلال ، كما يوضح

ترنش فى الفصل القيِّم الذى أفرزه عن هذا الموضوع . فالسيد الذى له الأحقية والسيادة على عرش النفس يطرد ويحل مكانه المغتصب. ومع ذلك فمثل هذا الاحتلال الشيطانى لا يمكن أن يحدث بدون موافقة الإرادة البشرية . لقد دخل الشيطان فى يهوذا (يو ١٣ : ٢٧ ، انظر أيضاً ١ صم ١٦ : ١٤ ، ١ مل ٢٢ : ٢١ - ٢٣) لأنه كان قد فتح الباب للدخيل الشرير بعمله الشيطانى الذى خان به سيده ، «لقد رحب يهوذا أولاً بفكرة من الشيطان قبل أن يدخل الشيطان نفسه »(يو ١٣ : ٢). فعندما يفقد الناس سيطرتهم على ذواتهم ، تنتهز الأرواح الشريرة فرصة الدخول ، ويحدث ذلك فجأة . والفساد الأخلاقى غالباً يسبق حلول الأرواح الشريرة . فالناس يسلمون أنفسهم لإشباع أحط الرغبات الحسية فى طبيعتهم وبذلك يعدون أنفسهم لدخول الأرواح الشريرة . وبعد ذلك يصبحون أسرى للشيطان ، وكعبيد له يغوصون فى أعماق الرذيلة والهوان . فعندما يسلم الناس ذواتهم لشهواتهم ورغباتهم الدنيئة يتجهون للفسق والملذات الحسية ! .

فالكتاب المقدس إذن يصرح بأن الأرواح الشريرة تسكن أجساد البشر وأن الناس أحياناً تدعوها أن تفعل ذلك ويصادقونها . ولذلك فهى تدعى فى هذه الحالة « الجان والتوابع »(١٩: ٣١ ، ٢٠ : ٦ و٢٧) ، ومن كان يفعل ذلك كان يقتل . إن الفساد الأخلاقى قد يسبق حلول هذه الأرواح ، ولكن ما أن يحدث ذلك ، حتى تصبح الشهوانية والعنف أكثر وضوحاً . وما أن يدخل الشيطان ، حتى يصبح الخضوع لإرادته أمراً تصعب مقاومته . ويعقب ذلك الاضطرابات الجسمية والعقلية والروحية ذات الصلة بالأرواح الشريرة .

والكتاب المقدس يؤيد القول بأنه ليست جميع الاضطرابات نتيجة لسكنى الشياطين أرواح البشر (مت ٤ : ٢٣ و ٢٤ ، ١٠ : ١ ، ١١ : ٥ الخ) . فالجنون والصرع والعمى والبكم والحمى الخ كانت أمراضاً مصاحبة لتقمص الأرواح الشريرة أجساد البشر وأعراضاً لها (مت ١٢ : ٢٢ ، ٩ : ٣٢ ، مر ٩ : ١٧ و ٢٥ ، لو ١١ : ١٤ و ١٥ و١٦) ، ولكن ليست بالضرورة مميزة لها . ومع ذلك ففى كثير من الأحيان كانت الأمراض تزيد خطورتها بسبب وجود هذه القوى الأجنبية . لقد كانت هناك معتقدات قديمة تنادى بأن الأمراض ترجع لمثل هذا التقمص ، وأنه يجب طرد الشياطين قبل التمكن من شفاء الشخص الذى تتقمصه هذه الأرواح .

وكون الشخص الذى تقمصه الشيطان فى الحالة التى أمامنا كان يعانى من نوع معين من أنواع الجنون فهذا أمر مفروغ منه . والأعراض المذكورة يسردها الأطباء كأعراض للجنون . ولكن تقمص الأرواح والجنون شيئآن مختلفان (مت ٤ : ٢٤)، ولذا فمن الخطأ القول إن تقمص الأرواح شئ مرادف للجنون ، وبالنسبة لمجنون كورة الجدريين ، فمرضه كان نتيجة لشره ثم أضيف لجنونه العنصر الشيطانى فى أشد حالاته تطرفاً . يقول ترنش :« زد على ذلك ، قد تكون هناك مشكلة ، لو أن رسولاً أو شخصاً عنده موهبة تمييز الأرواح ، دخل مستشفى للمجانين ، فهو قد لا يعرف أن بعض المرضى هناك تتقمصهم الأرواح الشريرة . فبالتأكيد فى حالات كثيرة من الجنون والصرع تكون هناك حالات مشابهة للذين تتقمصهم الأرواح الشريرة » .

ويتعجب المرء عندما يقرأ عن الجرائم المرعبة التى ترتكب اليوم، متسائلاً إن لم يكن مرتكبوها من الذين تتقمصهم الأرواح الشريرة أو من الذين أوحت إليهم تلك الأرواح بارتكابها . وهذا ثابت ، فمبدأ تحضير الأرواح الحديث بما فيه من عواقب خطيرة ما هو إلا نوع من أنواع تقمص الأرواح . وكثير من هذه الأبحاث المزعومة والخفية « مكرهة لدى الرب » .

وبالإضافة لذلك ، فالمرسلون الذى يعملون فى حقل الخدمة لله وسط ظلام الوثنية ، لا يشكون فى القوة الفائقة للشيطان وملائكته . ويتحدث بولس عن أن ما يذبحه الوثنيون إنما يذبحونه للشياطين (١ كو ١٠ : ٢٠ هامش الـ RV . انظر أيضاً لا ١٧ : ٧ ، ٢أخ ١١ : ١٥ ، مز ١٠٦ : ٣٧) . والتقمص بالأرواح لا يزال حقيقة لا يشك فيها أحد فى مناطق عديدة . وقد ذكر مرسلون عديدون تجاربهم المخيفة فى حالات تقمص الأرواح وهم يحكون كيف أن اسم يسوع الذى لا مثيل له لا يزال هو الورقة الرابحة لإخراج الشياطين ، ولا يصح أن يغيب عن أذهاننا هذه الحقيقة الأساسية

وهى أن الشيطان كرئيس سلطان الهواء ، يهيمن على مسار الأشياء فى الوقت الراهن هنا ، وهو يعمل فى أبناء المعصية (أف ٦ : ١٦). وعندما يسلم الناس أنفسهم لسلطته ، فإنهم يصبحون عبيده (رو ٦ : ١٦) . بهذه المقدمة الضرورية ، نأتى الآن لفحص الروايات المتعلقة بمجنونى كورة الجدريين .

فى حين أنه توجد العديد من الإشارات فى الأناجيل لمعجزات عديدة أجريت لأناس كانت تتقمصهم الأرواح الشريرة (مت ٤ : ٢٤ ، ٨ : ١٦ ، مر ١ : ٣٤ ، لو ٤ : ٤١ ، ٨ : ٢ الخ)، إلا أن عدداً قليلاً منها تم فحصه فحصاً دقيقاً ، كالمعجزتين اللتين نحن بصددهما الآن . ومع ذلك ، ففى كل حالة ، هناك تأكيد على أن الحالة هى تقمص أرواح حقيقى وحرفى ، والوصف الدقيق المعبر الذى يقدمه كل من مرقس ولوقا عن مجنون كورة الجدريين ينطبق تماماً على زميله الأقل شهرة والذى يكتب عنه متى .

أولا ، إن الشيطان الذى كان يتقمص هذين الشخصين كان نجساً ، ولنجاستهما الداخلية عن طريق الخضوع الدائم للشر قد زاد من حدته وجود الأرواح النجسة . ثم نقرأ أن المسيح قد استقبله واحد من هذين الرجلين كان خارجاً من القبور التى لا تزال موجودة فى الوديان شرق البحيرة . وهذه القبور محفورة فى الصخور ، يتجنبها اليهود باعتبارها نجسة بسبب عظام الموتى التى فيها . وبالنسبة لأى يهودى عادى ، فإن سكنى القبور كان يعد شيئاً ممقوتاً ، والسكن فى القبور كان يعد دليلاً على الجنون . إن الخطية تفصل الإنسان عن زملائه من بنى البشر !

ولوقا هو الوحيد الذى يذكر أن المجنون لم يكن يرتدى ملابس، وكطبيب يبذل جهداً ليستفسر إن كانت هذه الحالة من الجنون الذى يتسم بالتهيج تشبه حالات أخرى صادفها أم لا. إن الخطية تجعل الناس يفقدون الشعور بالخجل ، وتحرمهم من أى أثر للتواضع . فكلما ابتعدوا عن الله ، أصبحوا مملوئين بالكبرياء . وعندما كان يربط بالسلاسل والقيود ، كانت قوته الشيطانية الفائقة تقطع هذه القيود والسلاسل . «لم يستطع أحد أن يربطه .. أو يروضه ..» لقد حولت الشياطين هذا الإنسان المجنون إلى مخلوق ذى انفعالات شرسة لا يمكن التحكم فيها . لقد بذلت محاولات لربطه دون جدوى (لاحظ الفارق بينه وبين شمشون) . وقد ازدادت حدة شراسته إلى حد بعيد حتى أن المسافرين لم يكن باستطاعتهم الاجتياز من تلك الطريق . إن الخطية تقضى على الصفات الحسنة فى الإنسان كالمحبة والوداعة والرقة .. وكان يصرخ ويمزق نفسه بالحجارة . فبعد أن استسلم للخطية ثم للأرواح الشريرة فقد أصبح عدواً لدوداً لنفسه . فقد جلب على نفسه كثيراً من البؤس والتشويه ، ولوقا هو الوحيد الذى يخبرنا أن هذا الرجل كان « يساق من الشيطان إلى البرارى » . وقد حدث ذلك مع ربنا المبارك ولكن لأنه قد جاء ليقضى على أعمال إبليس ، فقد خرج من البرية منتصراً .

والشئ المدهش أنه عندما رأى هذا المجنون ، الأكثر شهرة من المجنون الآخر ، يسوع آتياً من بعيد ، جرى وجثا له . لابد أن ذلك كان منظراً فريداً ، فمهما عمى البشر عن رؤية مجد المسيح الشخصى ، حتى وإن زعموا أنهم بكامل قواهم الفعلية ، فالشياطين دائماً تتعرف عليه كالرب وترتعب وتجثو أمامه . فالشياطين عرفت أن المسيح ليس إنساناً عادياً قد جرؤ أن يخطو فى تلك المنطقة المقفرة . وإذ كان مدركاً للفجوة الهائلة التى كانت تفصل بينه وبين المسيح ، وأنه فى حالته المنحطة لا توجد بينه وبين المسيح أى علاقة ، ومع ذلك فقد تعرف على لاهوت المسيح « يا يسوع ابن الله العلى » ، (مر ٥ : ٧) .

سوف يأتى الوقت الذى تجثو فيه «كل ركبة» سواء كانت لقديسين أو خطاة أو أرواحاً شريرة أمامه . هذه هى أول مرة يطلق فيها هذا الاسم على المسيح فى العهد الجديد، وهو اسم من أسماء الله يرجع لعصر عبادة الآباء وسجودهم لله العلى (تك ١٤ : ١٨).

خاف الشيطان من العذاب وطلب من المسيح ألا يرسله إلى مصيره المحتوم قبل الأوان.لقد علم أن هناك «موضعاً للعذاب»، (لو ١٦ : ٢٨) وأنه سوف يرسل إلى «المعذبين» (مت ١٨: ٣٤) ولحقاً للدينونة .. إن الشيطان وكل الأرواح الشريرة تعرف أن مصيرها مكتوب فى سفر الحياة وأنه مع التصديق على الأحكام أمام العرش العظيم الأبيض ، فسوف تكون بحيرة النار هى المستقر

الأبدى لهم (رؤ ٢٠ : ١٠ ، ٢١ : ٨) . فلا عجب إن كانت الشياطين تخشى المسيح لأنهم يعرفون أنه القاضى المخوف الذى سوف يرسلهم لمصيرهم المحتوم ! ويضيف متى هذه العبارة قائلاً « قبل الوقت » . فباعتراف الشيطان ، أقرّ ذلك الشيطان المتحدث باسم الشياطين بالانتصار النهائى لمملكة النور على الظلام ، والدينونة النهائية لكل قوات العدو(١كو ٦:٣ ،يه ٦، رؤ٢٠:١٠).

عندما التقى المخلِّص والشيطان ، أمر الروح النجس أن يخرج من الرجل .إن الشياطين تطيعه حتى وإن لم يطعه البشر . ومع ذلك فأمر المسيح لم يطع فى الحال . فالشياطين التى كانت تتقمص الرجل قد احتجت لعدم رغبتها ترك فريستها . ولترنش تعليق يلقى مزيداً من الضوء على هذا الموضوع :

« بلا شك كان فى مقدور المسيح أن يجبر الشياطين على الخروج ، لو أنه أراد ذلك ، ولكن كان من الممكن أن يهلك الرجل فى أثناء ذلك (انظر مر ٩ : ٢٦). وحتى عند أول أمر بخروج الأرواح حدثت نوبة من الصراخ الشديد. ولذلك فبإرادة المسيح الحرة، وبدافع من حكمته كطبيب رقيق القلب كما أنه قوى ، آثر أن يتقدم خطوة خطوة ».

أول كل شئ ، سأل يسوع «ما اسمك» ؟ يصعب أن نفرق بين الحالة الواعية لهذا الإنسان المحطم المشتت الفكر ، وبين الأرواح الشريرة التى تتحدث من خلاله . فعندما سأل يسوع سؤاله ، هل كان يخاطب الرجل نفسه ساعياً أن يستحث تلك النفس المحطمة لكى تحس بكيانها أم كان يخاطب الشياطين ؟. إن نغمة الإجابة على سؤال المسيح توحى بأن الروح الشريرة داخل الرجل هى التى كانت تجيب ، على الرغم من أن ترنش يقول : «إن هذا الرجل البائس ، بدلاً من أن يقدم اسمه الحقيقى ، استخدم اسماً يعبر به عن الدمار الكامل لكيانه الأخلاقى والروحى ، تماماً كما قيل عن مريم المجدلية التى أخرج منها سبعة شياطين »(لو ٨ : ٢).

وسواء كان الشيطان هو الذى تكلم أو الرجل أو الشيطان جاعلاً الرجل يجيب ، فإننا لا نعرف الحقيقة تماماً « اسمى لجئون لأننا كثيرون »، إن القوة التى لا تقاوم والطابور الطويل للفرقة الرومانية المكونة من ٦٠٠٠ جندى ، يقول اليكوت ، تبدو أنها الرمز المناسب للانفعالات الجامحة من الغضب والخوف ، كعواطف لا يمكن السيطرة عليها وغير قابلة للترويض ، وهى التى كانت تعتمل داخل نفس هذا المجنون . لقد وجه الرب له سؤالاً كما لو كان بتقمصه شيطان واحد ، ولكن الإجابة أوضحت أن اسمه لجئون ، يقول مرقس إن الخنازير التى دخلت فيها الشياطين كان عددها حوالى ألفين (٥ : ١٣) . فإذا كان هذا هو عدد الشياطين التى تتقمص المجنونين ، وكل واحد منها له شخصية مستقلة ، وجميعهم يخضعون لإدارة واحدة ، يتحركون لغرض واحد ، مشتركين فى أداء عملية واحدة كما يقول تايلور ، إذن فلابد أن محنة المجنونين كانت بالغة القسوة بما لا يمكن أن يقاس . ويتم الحديث عن هذه الأرواح الشريرة بلغة الجمع « فالشياطين طلبوا إليه » (مت ٨ : ٣١ ، مر ٥ : ١٢) .« الأرواح النجسة» (مر ٥ : ١٣) « شياطين منذ زمان طويل .. شياطين كثيرة دخلت فيه .. ألا يأمرهم» (لو ٨ : ٢٧ - ٣١) .

قدمت هذه الشياطين الكثيرة التماساً غريباً من يسوع فقبل إخراجهم من الرجلين بقوة المسيح ، طلبت الشياطين أن يسمح لها بالدخول فى قطيع من الخنازير ، فأذن لهم . إن عدداً كبيراً من قراء الكتاب المقدس يصابون بالحيرة لإذن المسيح للشياطين بالدخول فى الخنازير ، بما أعقب ذلك من القضاء عليها ، فيجدر بنا هنا أن نفحص هذا الأمر.

دعنا نقول فى البداية إن المسيح لم يرسل الشياطين إلى الخنازير « لقد أخرج الشياطين من الرجلين فقط ، وكل ما تلا ذلك كان بسماح منه فقط »، كما عبَّر الأكوينى عن ذلك بالقول : « إن اندفاع الخنازير إلى البحر لم يتم بمعجزة إلهية ، بل كان بفعل الشياطين بسماح إلهى» .

فلما أصيبت الخنازير بالخوف عندما دخلت فيها الشياطين ، فقدت السيطرة على نفسها وهى فوق الجرف ، وإذ كانت فى وضع الحركة ، لم تستطع التوقف . لقد فضلت الخنازير أن تنتحر على أن تسكن فيها الأرواح الشريرة . بالطبع ، كان هناك عنصر العقاب

على أصحاب الخنازير كمصدر لرزقهم . فمع أن اليهود لم يكونوا معتادين على أكل لحم الخنزير، إلا أن الجنود الرومان كانوا يأكلونه ، ولم يكن اليهود يحسون بوخز الضمير لتقديم لحم غير مصرح بأكله للغير . ولذا فقد كان هلاك الخنازير عقاباً مستحقاً لكسر الناموس الإلهي . ولذلك فالمسيح كان له كل الحق في التعامل مع هذه التجارة المحرمة .

ويمكن النظر للموضوع من زاوية أخرى في مسألة هلاك الخنازير ، إذ نرى فيه إجابة على سؤال المسيح « فالإنسان كم هو أفضل من الخروف ؟ ، لقد أنقذ الرجلان من عبودية إبليس ولكن على حساب ٢٠٠٠ خنزير . فهل تعادل نفسا هذين الرجلين كل هذا العدد من قطيع الخنازير ؟ . لقد ظن أهل كورة الجدريين ، في عماهم الروحي ، أنهما لا يعادلان كل هذا العدد من الخنازير ، ولكن الخالق كان له رأي آخر ، ولذلك فقد طلبوا من المسيح أن يبتعد عن تخومهم . كانوا يفكرون في ممتلكاتهم بدلاً من التفكير في نفوس البشر . لقد كان إخراج الشياطين ضرورياً لشفاء المجنونين شفاءً مستديماً ، وهكذا كان موت قطيع الخنازير باعثاً كافياً لإيقاظ ضمير أهل كورة الجدريين . ثم إن كل حيوانات الحقل والماشية على الجبال ملك للخالق ، فله الحق أن يفعل بها ما يريد .

والكتاب المقدس يخبرنا عن قوى الظلمة التي دخلت في نوعين فقط من الحيوانات الدنيا – الحية والخنازير – والأولى رمز للمكر والدهاء والثانية رمز للنجاسة . ليت الله ينقذنا من الوقوع في براثن هذين الاتجاهين الخاطئين !

عندما طلب الشياطين ألا يأمر بذهابهم إلى العمق the deep (الهاوية) ، فهل كانوا يقصدون أعماق بحر الجليل ؟ إن كان الأمر كذلك ، فهذا له معنى رائع في ضوء رأي « ممبر » عن أن البحر هو المقر الحالي للشياطين . وكلمة (عمق) تعني « هاوية » (رؤ ٩ : ١ و ٢ و١١) ، وقد طلبت الشياطين أن يكون مصيرهم بخلاف ذلك . وعبارتهم التي طلبوا فيها ألا يعذبوا « قبل الوقت» ، جديرة بالالتفات حيث أنهم عرفوا أن المصير النهائي بالعذاب الأبدي سوف يكون من نصيبهم . فالعذاب الأبدي سوف ينتظرهم في المكان المعد لإبليس وملائكته .

طلب أهل كورة الجدريين ، لقصر نظرهم الخطير وخوفهم من المعجزات ، من يسوع أن يمضي من تخومهم . لا شك أن عدداً كبيراً منهم امتلأوا رهبة عندما نظروا إلى هذا الشخص الذي بيده السلطان على القوى الخفية والغامضة التي تتغلغل إلى داخل النفس البشرية وتسيطر عليها . يقول لنا الكتاب المقدس إن أهل المدينة والريف على السواء خافوا عندما شاهدوا المجنونين بعد شفائهما . لم يكونوا قد طلبوا شيئاً من قبل، والآن فقد بدأوا « يطلبون منه»، أن يرحل ، وقد أجاب المسيح طلبتهم لخسارة نفوسهم (مز ٧٨ : ٢٩-٣١) . وأن الله يستمع أحياناً لأعدائه في غضب (عدد ٢٢ : ٢٠) حتى وإن رفض أن يسمع لأصدقائه في حب (٢ كو ١٢ : ٨ و٩) .

ثم نجد وصفاً معبراً عن المجنون الذي شفي – والذي ذهب لأصدقائه أيضاً –أنه كان «لابساً وعاقلاً جالساً عند قدمي يسوع» وطلب أهل كورة الجدريين من يسوع أن يذهب عنهم، ولكن هذا الرجل أراد أن يمكث مع يسوع ، وأن يتعلم منه ، وأن يجلس عند قدميه (لو ١٠ : ٣٩) . يا له من إيمان يجعله يتعلق بمخلصه ! هل كان الرجل يخاف ، كما يقول بعض الكتّاب ، أنه إذا غاب عنه مخلّصه قد تعود إليه الأرواح الشريرة وتعيد سيطرتها عليه، وأنه يجد أمنه الوحيد في الاقتراب من المسيح ؟ إننا نفضل أن نعتقد أنه نتيجة لعرفان قلبه بالجميل ، أراد أن يكون مع الشخص الذي غيّر حياته وأن يستغله لخدمته .

كيف شُفي المجنونان ؟ نحن لا نعلم . فالتركيز منصب على إنقاذهما وليس على الوسيلة التي تم إنقاذهما بها . يقول فنسنت إن الترجمة الحرفية للفعل غير الكامل تدل على أن إخراج المسيح للأرواح قد تم في وقت واحد مع الصراخ الدال على الدهاء الشيطاني بالقول : « لا تعذبني » ، وقد كان التغيير واضحاً ، فبدلاً من القلق والرعب الشديد ، وجدا جالسين عند قدمي يسوع . وكانا لابسين . ولا شك أن التلاميذ قدموا الملابس التي كانت ضرورية لتداري عورتهما .، لقد كانا الآن عاقلين ، يحل فيهما المسيح بدلاً من الشياطين ، وهذا يوضح مقدار التغيير الذي أجراه

المسيح ليجعل ذلك متاحاً ! فعن طريق العمل الذى أجراه لنا ، فنحن الآن عند قدميه ، لابسين ثياب الخلاص ولنا فكر المسيح .

ويصف لوقا الشخص الذى أنقذ قائلاً إنه اتَّبع يسوع نحو القارب بعد أن طُلب من يسوع أن يذهب عنهم ، وهو يطلب أن يكون مع يسوع . ولكن المسيح رأى أن ذلك ليس أفضل السبل الضرورية لنمو ذلك الرجل روحياً . فهناك طريقة أفضل لتلمذة أكثر فاعلية وهى أن يعلن لعائلته وللناس « بكم صنع الله به » . ولنا أن نتصور كيف أصبح كارزاً فعالاً فى مدينة جدارة والعشر مدن (لو ٨ : ٣٩) . « حدث بكم صنع الله بك » هنا نجد الوسيلة الحقيقية للعمل والخدمة لأهل البيت ، طلب يسوع من الأبرص والأعميين ألا يقولوا لأحد شيئاً عن شفائهم (مت ٨ : ٤ ، ٩ : ١٩) . وهنا يخبر المجنون الذى شفى أن يذهب ويخبر الجميع بما حدث معه من إنقاذ . ففى جدارة لم يكن المسيح معروفاً كما فى الجليل حيث كان بعض الناس قد خططوا بالفعل لجعل المسيح حاكماً سياسياً .

« ارجع إلى بيتك وحدث » لم يقل المسيح ، اذهب لكل المجامع وحدث عن معجزة شفائك »،ولكن «ارجع إلى بيتك! » . إن المتجددين من الشباب ، خاصة إذا كانوا قد خلصوا من ماض شرير ، يتجهون لدائرة الضوء ويقدمون شهادة علنية . ولكن المسيح فى حكمته ورحمته ، أراد لهذا الرجل أن يعلن عما صنع به الرب بين أصدقائه وعائلته وأن يقتادهم للتوبة . لقد كان أمراً يصعب إطاعته ، «اذهب إلى بيتك وأصدقائك »، ولكنه أطاع الأمر تماماً ، « ومضى فى طريقه وابتدأ ينشر الخبر فى العشر مدن ويتحدث بكل ما عمل به يسوع »، إن الشهادة القوية لأهل البيت والتى تم التحقق من صحتها لها فاعلية كبيرة ، والكتاب المقدس يقدم حالات يتضح منها الحكمة من إتِّباع هذا الأسلوب . فأول عمل قام به اندراوس أن بشر أخيه سمعان بطرس . وفيلبس أحضر أخيه نثنائيل للمسيح ، وبرنابا لم يكتف إلا بعد أن بشر بالإنجيل فى بلده المحبوب قبرص . وهكذا أنقذ يسوع هذا الإنسان المعذب من القوى الجهنمية ، وكتب عنه فى روايات الإنجيل وجعله كارزاً بالخلاص للعشر مدن ، ذهب يسوع إلى جدارة ووجد مجنوناً ، ولكنه تركها مخلفاً وراءه كارزاً بالإنجيل ، يالها من معجزة للقوة والنعمة ! إن مجنون كورة الجدريين قد اختبر بحق ما تعبر عنه الترنيمة التى يقول مطلعها :

هناك عمل لأجل المسيح

لا يقوم به أحد سواك

{ ٢٤ } معجزة شفاء ابنة يايرس

(مت ٩ : ١٨ - ٢٦ ، مر ٥ : ٢٢ - ٤٣ ،لو ٨ : ٤١ - ٥٦)

إن القصص الكاملة التى أمامنا هى من أكثر قصص الإنجيل إثارة ، وذلك أننا لو أخذناها مجتمعة معاً ، فهى تمثل معجزة داخل معجزة أخرى ، فقد تلقى يسوع والاثنى عشر تلميذاً ترحيباً حاراً عند عودتهم لكفر ناحوم فى الجانب الغربى للبحيرة . وقد كانت المعجزة المذهلة لشفاء مجنونى كورة الجدريين لا تزال ماثلة فى أذهان الناس ، وعندما التفوا حول المعلم جاء أب مهموم جاثياً أمامه متوسلاً يطلب شفاء ابنته التى كانت ترقد بين الموت والحياة. واستجابة لطلبة الرجل ، ذهب يسوع فوراً صوب منزل الرجل ، ولكن فى أثناء سيره ، جاءت إليه امرأة بنزف دم ولمست المسيح وشفيت بمعجزة ، وقد استغرق الحديث معها بعض الوقت . ولذا فأمامنا معجزة داخل معجزة أخرى . « هذه النعمة الفياضة فى المسيح ، رئيس الحياة» ، فبينما كان يسرع لإتمام عمل من أعمال النعمة والقوة ، فإذا به ينجز عملاً آخر ، كما لو كان عن طريق الصدفة ، ولكن دعنا نفصل ما بين المعجزتين ونتعامل مع ابنة يايرس أولاً .

على الرغم من أن مرقس ولوقا يحددان وقت حدوث هاتين المعجزتين بعد معجزة كورة الجدريين ، ومتَّى يضعهما بعد شفاء المفلوج ودعوته هو نفسه ، وبعض الأمثال التى قالها ربنا ، فليس هناك تعارض بين الكتَّاب . فأولئك الذين حاولوا جاهدين تنسيق روايات الإنجيل يمتدحون رواية متى التى تعتبر أكثر الروايات الثلاثة إيجازاً . وحيث أن هذه الروايات تكمل بعضها بعضاً ، فمن الضرورى أن نقارن بين الروايات الثلاث . ويمكن بسهولة تتبع ملامح معجزة إقامة هذه الفتاة .

أولا ، أمامنا الأب الحزين ، يايرس ، الذى قيل عنه إنه رئيس أو من رؤساء المجمع فى كفر ناحوم . واسمه مشتق من أحد قادة إسرائيل ، يائير ، الذى انتصر واستقر فى باشان (عدد ٣٢ : ٤١ ، يش ١٣ : ٣٠) ، والذى «ظل اسمه يتردد حتى العصر المسيحى عندما -وفى نفس المنطقة التى فتحها- نجد رئيساً للمجمع اسمه «يائير » ، من الثابت أنه كان على دراية بكل تعاليم يسوع البارزة ، وبسبب معجزات يسوع اقتنع بقوته وهكذا طلب من يسوع أن يجرى معجزة شفاء لابنته التى وصلت لحالة الموت . واقترابه من يسوع باحترام حيث سجد له يعد دليلاً على التكريم الذى كان يكنه رؤساء اليهود ليسوع .

لقد كان شخصاً متحمساً لأنه خرَّ عند قدمى يسوع وسجد له وطلبه بثقة وإيمان . وباعترافه بالمسيح بأنه صانع المعجزات ، فقد كشف يايرس عن مقدار إحساسه العميق بعجز كل الوسائل الطقسية والناموسية فى مواجهة الموت . فرئاسته للمجمع لم تفده شيئاً ، ومن ثم التجأ إلى ابن الله كلى القوة . وعلى الرغم من أنه عبّر عن إيمان لا يتزعزع فى قدرة المسيح إلا أن إيمانه لم يكن مساوياً لإيمان قائد المئة الذى اعتقد أن فارق المسافات لا يعد عائقاً أمام قدرة المسيح غير المحدودة .كان يايرس يشعر أن وجود المسيح فى بيته أمر ضرورى ، ولذا فقد طلب منه أن يأتى ويضع يديه على الطفلة . ونحن لا نعلم إن كان يايرس قد صار تلميذاً ليسوع قبل هذا اللقاء أم لا . ولكن بلا شك فقد جعلته هذه المعجزة التى حدثت فى بيته تلميذاً ليسوع .

أما عن البنت نفسها ، والتى عرض أبوها مشكلتها أمام المسيح ، فمرقس يقدم لنا لمسة محببة التى يتميز أسلوبه بها فيقول : « ابنتى الصغيرة ». ولوقا يخبرنا أنها كانت طفلته الوحيدة ، فاستخدم كلمة « له بنت وحيدة ». لقد كانت تبلغ حوالى الثانية عشرة من العمر ، ولا يخبرنا الكتاب عن نوعية مرضها ، ويقول متى إنها « ماتت » ، ولكن مرقس ولوقا يسجلان أنها كانت على وشك الموت . ليس هناك تعارض بين هذه الروايات ، فمثل هذا التفاوت الظاهرى دليل على أن كل بشير كان يكتب مستقلاً ومنفصلاً عن الآخر . لم يكن هناك تشاور لكتابة قصة موحدة . فكشهود مستقلين للأحداث ، كانت هناك روايات مستقلة لحدوث تلك الحقائق . وهكذا فما يبدو أنه تعارض ما هو إلا تناغم كبير عندما تفهم الشهادة المستقلة تماماً .

ويمكن تفسير هذا التباين بهذه الطريقة . عندما ترك يايرس ابنته الصغيرة ، كانت تقريباً تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وإذ كان متى يشعر أن البنت كانت قاب قوسين أو أدنى من الموت ، فقد كان واثقاً أنها كانت ستموت قبل أن يصل أبوها إلى يسوع ، ولذا فقد كتب صورة للحدث وهو يغامر بالتخمين أنها لن تكون على قيد الحياة عندما يعود أبوها . وإذ كان يسوع فى طريقه للبيت ، جاء صديق ليايرس بالخبر الحزين « قد ماتت ابنتك » ، وكلمة «ماتت» فى اليونانية موضوعة أولاً للتأكيد ، «ماتت ابنتك» ، ولكن بعدأن قابل المسيح ، فلابد أن اللسعة الأليمة فى مثل هذه العبارة المخيفة قد زالت بالنسبة للأب الحزين .

وهذا يقدم لنا صورة ليسوع كالمشجع الإلهى . إن صرخة الاحتياج الشخصى قد تسببت فى إظهار قوته الفائقة ، والاستعداد الكامل من جانبه لمساعدة المحتاجين . إنه لم يتخل أبداً عن الاستجابة لكل ذى حاجة . وعلى الرغم من أنه رفض استعراض قوته على إجراء المعجزات ، إلا أنه لم يسد أذنيه أبداً عن نداء المتألمين . لقد استرق يسوع السمع للرسالة التى وصلت للأب ، والعبارة القائلة « ابنتك قد ماتت » تتضمن فكرة أن البنت كانت فى نوبة إغماء أو مجرد موت ظاهرى . وأدرك ازدياد عنصر الخوف فى قلب الأب المكسور . وقبل أن يتبخر رجاء الأب ، رد يسوع على الرسالة الحزينة بكلمات التشجيع «لا تخف ، آمن فقط فهى تشفى» . لم يستطع عدم الإيمان أن يضرب بجذوره فى عقل الأب . فقد زود المسيح الأب بكلمة الرجاء ، وبرقته المعهودة وعطفه واساه، وتقديره العميق لساعة التجربة الأليمة يظهر فى رسالته المشجعة . وبسبب علمه بكل شئ ، عرف حقيقة الفتاة الصغيرة حتى مجئ حامل الخبر السيئ ، وكالقادر على كل شئ استطاع إقامة الابنة الميتة . ولما وصل يسوع لبيت الحزن ، قابل يسوع جماعة من الباكين النائحين ، لم يكن عسيراً على الجيران والنائحين المؤجّرين أن يملأوا بيتاً قد زاره الموت ، وفى وسط الاضطراب والضجيج ، قال يسوع :

« لا تبكوا ، لم تمت لكنها نائمة » ، ولهذا السبب ، ضحك الجمهور على يسوع لأنهم كانوا يجهلون استعماله للتشبيه الجميـــــل بين « النوم » والموت . فالمسيح قال نفس الشئ عن صديقه الميت لعازر « لعازر حبيبنا قد نام » (يو ١١ : ١١) .

إن الموت كنوم تشبيه شائع عند كل الأمم ، وقد كان « السمة الجميلة النبوية التى خلعها المسيح على الموتى ، وكان يقصد أن يقول من ورائها :« إنه كما أن نور الصباح يشرق بالتأكيد على النائم فوق أريكته ، فهكذا سوف يشرق نور صباح الأبدية على ساكنى القبور» ، ثم إن «النوم» يستخدم للإشارة فقط لأجساد الراقدين – ولا يشير لأرواحهم مطلقاً – فالكتاب المقدس لا يعرف شيئاً عن نظرية نوم الروح التى ينادى بها بعض الناس خطأ . ولأن المسيح لم يشأ أن يلقى بدرره قدام الخنازير قبل إقامة الميتة ، فإنه أخرج جميع الذين كانوا يبكون خارجاً فيما عدا والدىَ الطفلة . وفى مواجهة الصمت المقدس لحجرة الموت ، نرى السمات الرائعة ليسوع تظهر فى القوة الصامتة وهدوء رباطة الجأش . والآن قد أصبح البيت هادئاً وساكناً ، لأن الذين فى داخله فى حضرة الموت الذى لا يحتمل الصخب أو الحزن المفرط . ومن بين الأسباب التى حدت بالمسيح أن يخرج الجيران وأهل المدينة أنهم قد رأوا كثيراً من معجزاته وآياته ، وكما قلنا من قبل ، فليس هناك ما يدعو لرؤيتهم المزيد منها دون داع ، لأن معجزاته لم تجر مطلقاً لإرضاء حب الاستطلاع أو لمجرد فرض الإيمان به بالقوة أو لإشاعة وبث الرهبة فى قلوب البشر . ومع ذلك فقد كانت تجرى بكثرة « للتخفيف من البؤس البشرى واستنارة البصيرة الروحية»، والخصوصية التى عوملت بها إقامة ابنة يايرس تقابلها العلنية فى إقامة بن أرملة نايين ، فقد تم التعامل مع كل منها حسبما رآه مناسباً لكل حالة ولأغراضه الحكيمة . وعند إخلاء البيت من الباكين الذين يبعثون على السخرية والازدراء ، كتب « بنجل » قائلاً : «سلطان عجيب فى منزل شخص غريب . لقد كان هو بحق سيد البيت » .

أخذ يسوع ثلاثة من تلاميذه إلى البيت وهم بطرس ويعقوب ويوحنا ، لا شك بسبب استعدادهم الروحى . فهؤلاء الثلاثة تلاميذ يمثلون «نخبة النخبة» ، وفى كثير من المرات كانوا يستدعون من وسط الآخرين ليكونوا مع المسيح . يقول ترنش : «إن العمل الذى كان المسيح على وشك القيام به كان غريباً وغامضاً حتى أنه لم يشهده سوى هؤلاء الذين يمثلون تاج الرسل ».

وفى جو مشحون بالإيمان ، وليس فى حضور مشاهدين محبين للاستطلاع ، تمت المعجزة ، لأن المسيح أخذ بيد الجسد الضعيف وقال :« يا صبية قــــومى ». ويقدم لنا مرقس اللغة الآرامية المعبرة :« طليثا قومى » والتى تعنى نفس الشئ . من المرجح أن بطرس بعد أن سمع نفس كلمات يسوع ، أخبر مرقس ماذا حدث عند التفوه بالكلمة ،وعند لمسه يد المعلم . قال رب الحياة كلمة موجزة فدبت الحياة فى جثة « الفتاة التى كانت ترقد هامدة بلا حراك ولا تزال تلبس رداء الموت الأبيض» ، كان هناك أمران آخران لميتين كانا بنفس هذا الإيجاز ، «أيها الشاب لك أقول قــــــم » و « لعازر هلم خارجاً» ، وهكذا يحدث نفس الشئ حتى يقوم موتى الخطية – قد تكون آية من الكتاب المقدس، أو عناية الله الساهرة ، أو حادث عابر يبدو تافهاً ، أو نصيحة صديق يستخدمها المسيح ليوقف بها زحف الموت الذى لا يرحم ، وهكذا فالأشياء العتيقة تمضى وتدب الحياة فى النفس المؤمنة.

ويستخدم لوقا تعبيراً طبياً دقيقاً إذ يقول : «فرجعت روحها» يثبت أن هذه كانت قيامة ، وليس استرداداً للوعى بعد نوبة إغماء . لقد عادت روح الصبية من العالم غير المرئى ، واتحدت بجسدها . يؤمن اليهود بأسطورة قديمة تقول :«بأنه بعد الموت ، تبقى روح الأحياء الراحلين بالقرب من الجسد عدة أيام قبل الوداع الأخير» ومع ذلك فبولس الرسول يعلمنا أنه فى اللحظة التى نتحرر فيها من قيود الجسد نستوطن عند الرب . كيف حدثت المعجزة ، فهذا سر . و لكن ما نعرفه أنه لا قوة سوى قوة المسيح يمكن أن تقيم الموتى ، وهو الذى يعلم ليس فقط وقت حدوث المعجزات ولكنه يعرف أيضاً السبب والكيفية التى تجرى بها. وهكذا فمع كل قيامة روحية – لابد من حدوث عمل إلهى .

بمجرد أن تكلم يسوع ولمس الفتاة ، قامت فى الحال ، ثم نجد رقة يسوع وحنانه متمثلاً فى القول : « فأمر أن تعطى لتأكل» .

فنتيجة لعذوبة يسوع وعطفه البشرى ، فكر فى الحاجة المؤقتة للفتاة ، فهو لم يهمل أدق التفاصيل . إن توجيهه بتغذيتها كان يدل على أن جسدها كان ضعيفاً وعودتها للحياة كانت بحاجة للتغذية ، وهذا يثبت أنها لم تكن شبحاً بل جسداً حقيقياً عاد لوقائع الحياة المعتادة للجسد الفانى . وهذه حقيقة كان من الممكن أن ينساها والداها بسهولة فى غمرة نشوتهم بعودتها للحياة . يقول اليكوت : « إن الحياة المستردة كانت تعتمد ، بعد إتمام المعجزة ، على القوانين الطبيعية ، وكان هناك خطر من استنفاد طاقتها من جديد » ، فقد كان ضرورياً إذن أن تأكل الفتاة ، ليس لإثبات صحة المعجزة ، بل لأنه بعد مرضها المميت ، كانت فى حاجة للتغذية ، وبنصيحة الوالدين بإعطائها وجبة مشبعة ، فإن يسوع قد تصرف كأى طبيب عطوف وحريص فى عمله .

بقيت كلمة ضرورية عن وجوب الصمت ، لأنه على الرغم من شهرة هذه المعجزة التى ذاعت فى كل الأرض ، فقد حذر يسوع ألا يعلم بها أحد أو كما يقول لوقا ، فقد أوصى الوالدين المندهشــين « أن لا يقولا لأحد عما كان »، لقد عرف ربنا أنه « لن يكون فى صالح الحياة الروحية أو الجسدية للفتاة العزيزة أن تكون هدفاً لزيارات المتطفلين ومحبى الاستطلاع » .

ألا تنبئ هذه المعجزة بالمستقبل الذى لن يكون فيه فراق ، عندما يردد لنا المسيح « أعزاؤنا الراقدين » ، هذا إذا كنا نحن وهم من أتباعه ، أليس لنا التأكيد بأن ملك الأهوال سوف لن تكون له السيطرة فيما بعد علينا ؟ نعم ، فالمسيح له الحق أن يقول كلمته الملوكية « قم ! » ، فليس اليوم الذى يسمع فيه «جميع الموتى فى المسيح »، صوته المحيى ببعيد (يو ٥ : ٢٨ و ٢٩ ، ١ تس ٤ : ١٦) .

وعلى الرغم من أننا يجب أن نتأمل فى قيامة لعازر ، فقد يكون من المفيد أن نلاحظ أوجه الاتفاق والاختلاف بين معجزات القيامة الثلاث التى أجراها المسيح . ففى حين ماتت ابنة يايرس ، وابن الأرملة ولعازر ، كانت هناك درجات مختلفة لكل حالة . فالبنت الصغيرة كان العدو قد تغلب عليها وقهرها لتوه ، وكان ابن الأرملة تحت سلطان العدو الطاغى لفترة أطول ، ولعازر كان قد دب الفساد فى جسده وهو فى قبره فى بيت عنيا . ومع ذلك فقد أقام يسوع الثلاثة جميعهم وأثبت أنه توجد حياة فى اسمه لكل واحد.

حدثت قيامة الفتاة بسهولة وهدوء مما يوحى بسهولة استعادة روحها من العالم غير المنظور . وفى حالة الشاب ، وضع يسوع يده ذات السلطان على النعش ونادى الشاب الميت ليقوم . وفى حالة لعازر ، صرخ يسوع بصوت عظيم ، وكانت أعجوبة قيامته أقوى من معجزة إقامة الشاب الذى كان فى الطريق إلى المقبرة . وهذه المعجزات الثلاث للقيامة والتى اختيرت على الأرجح من بين حالات قيامة عديدة ، خصيصاً للسجل المقدس (لو ٧ : ٢٢) ، مليئة بالفائدة الروحية لقلوبنا .

وموت ابنة يايريس ذات الاثنى عشر ربيعاً تذكرنا أن الأطفال يموتون ، ولأنهم مولودون بالخطية فهم محتاجون لمخلّص . ونحن لا يمكننا أن نحدد بالضبط سن المسئولية عن الذنوب ، ولكن ما نعرفه يقيناً أن أصغر طفل فى حاجة لحياة جديدة . إن الصغار لم تتقس قلوبهم بالروح العالمية واللامبالاة ، ولم يظلوا طويلاً تحت أغلال المعاصى والخطية ، ومع ذلك فالمجرب يبث سمومه فى قلوبهم المتفتحة الصغيرة ، وهم بحاجة لصوت يسوع الهادئ الرقيق ليمنع تغلغل الخطية فى نفوسهم الغضة ، وما أن يحصلوا على الخلاص فهم بحاجة للعناية والقيادة الروحية .

وابن الأرملة ، وقد كان شاباً يافعاً قبل أن ينشب الموت أظفاره فيه ، يمثل شباب اليوم الذين ضلوا بعيداً عن الله ، وفقدوا لذلك كل حيوية روحية وقوة ، وحتى إن كان يمتدح من نواح عديدة كالكثير من الشباب ، ومع ذلك فقد كان متحدياً لله كالكثيرين أيضاً . فالشباب يجب تنبيههم ليذكروا خالقهم فى أيام شبابهم . ليت الأعداد الكبيرة من هؤلاء الشباب الصغير القوى الحر تأتى لتختبر قوة المسيح على إقامتهم من قبر خطاياهم وشهواتهم !

ولعازر المسنّ ، وقد مات لمدة أربعة أيام ، فهو يمثل الذين تقست قلوبهم فى الخطية ، والذين يحملون فى حياتهم الآثار المحزنة لوجود الشر وسيطرته عليهم . ومع ذلك وبالرغم من السنوات

العديدة التى قضيت فى الغرور والكبرياء ، فالمسيح يمكنه أن ينطق بالكلمة ذات السلطان « هلم خارجاً » ، فمهما غرقوا فى أوحال الخطية أو كلما طالت سنوات رفضهم له ، فالمسيح قادر مستعد أن ينهى مملكة الخطية ويقدم نفسه كينبوع الحياة .

« فضحكوا عليه ». إن الإنسان الطبيعى ميت بالنسبة لفهم الأمور المختصة بالله . فالجسد يمكنه أن « يُحدث ضجه ويبكى » فى لحظة ثم « يضحك » فى اللحظة التالية . وقد يضحك العالم علينا عندما نعلن أن الجميع قد أخطأوا وأعوزهم مجد الله ، ولكن كلمة الله تعلن أن جميع الخطاة أموات بالذنوب والخطايا وأنه بدون قوة المسيح المحيية فهم عاجزون وبلا رجاء .

{ ٢٥ } معجزة شفاء المرأة نازفة الدم

(مت ٩ : ٢٠ - ٢٢ ، مر٥ : ٢٥ - ٣٤ ، لو ٨ : ٤٣ - ٤٨)

سبق أن أشرنا فى تقديمنا للمعجزة السابقة أن المعجزة التى نحن بصددها الآن كانت معجزة أجريت وهو فى الطريق لإجراء معجزة أخرى ، ونتج عنها شفاء تم بدون أن يتفوه المسيح بكلمة واحدة . ولأن هذه المعجزة تأتى بين جزئى معجزة أخرى ، ولذا يمكن أن ندعوها معجزة بينية . ففى أثناء سير المسيح متجهاً نحو بيت يايرس ، وجد أن عليه أداء عمل من أعمال الرحمة فى الطريق إلى بيت الحزن . والمرأة التى أجريت معها المعجزة كانت على الأرجح من سكان بانياس أو قيصرية فيلبس ، وقد سارت إلى الجليل بحثاً عن شخص يخفف أوجاعها . وفى إنجيل نيقوديموس من أسفار الأبوكريفا (٥ : ٢٦) ، تدعى فيرونيكا ، المشهورة بمنديلها الذى نسجت حوله الأساطير . يخبرنا اليكوت أن يوسابيوس قد ذكر فى « تاريخ الكنيسة » أن المرأة ، لكى تظهر امتنانها بسبب شفائها ، قد أقامت تمثالين من البرونز - واحد لها وهى تصلى ، والآخر للرب يسوع يقف منتصباً وهو يمد يده لها - وقد تم عرض هذين التمثالين فى حياة المؤرخ ، فى الجزء الأول من القرن الرابع .

ومع أنه من المرجح أن المرأة لم تكن قد رأت يسوع من قبل ، إلا أنها لم تفقد الأمل وهى تطلب مساعدة الجليلى صاحب معجزات الشفاء ، فبعد كل ما عانته وأنفقته من أموال ، كانت مقتنعة بقدرته ، وهو اقتناع تدعمه الحقائق لأنها كانت قد «سمعت بيسوع» ، ولابد أن المعجزات كانت من بين الأشياء التى سمعتها عنه . ولابد أن هذه المرأة لمست يسوع بصعوبة بالغة لأن الجموع كانت تزحم يسوع ويضيّقون عليه ، وهى عبارة تعنى أن الجموع كانت تضيّق الخناق على يسوع حتى كادت أن تخنقه . وكان الضغط عظيماً لدرجة أنه كان يصعب عليه أن يتنفس . ولما كانت الجموع مدفوعة بدافع حب الاستطلاع ، فقد كانت تتحرك مندفعة لترى المعجزة التى كان يسوع فى طريقه لإجرائها فى بيت يايرس . والروايات الثلاث التى تسجل هاتين المعجزتين تحمل بصمات الدقة التاريخية .

أولا : دعنا نتأمل فى مرض المرأة التائهة والتى تدفعها الجماهير بالمناكب من كل ناحية ، لقد كانت تعانى من « نزف دم » وقد كان مرضاً يجلب معه نجاسة طقسية والاستبعاد من مجتمع الرجال . وقد دعا مرقس ما تشتكى منه « داء » ، وهذا الداء الجسدى أقرب ما يكون إلى النزيف . يصفه «بيلتشر Belcher» بأنه «نزيف من الرحم بسبب مرض عضوى فى الرحم والقنوات المتصلة به »، كانت هذه المرأة تشكو من دائها طوال اثنتى عشرة سنة . ومن المفارقات أن ابنة يايرس كانت تبلغ من العمر اثنتى عشرة سنة ، فكان حزن الرئيس مفاجئاً بعد مرور اثنتى عشرة سنة مفعمة بالأمل ، أما رجاء المرأة الضعيف فقد تم إرجاؤه على مدى اثنتى عشرة سنة .

يقول (مكلم Micklem) إن ما حدث للمرأة ولمس قلب المسيح ، يلقى كثيراً من الضوء على شخصية ربنا وموقفه من الناموس « لأن المرأة كانت تعتبر نجسة فعلاً ، وبعد أن لمسته ، فقد أصبح هو نجساً أيضاً من الناحية العملية »(لا ١٥ : ٢٥ و ٢٧)، وربما كان ذلك هو السبب فى إحساسها بالخجل ، مما جعلها تخشى الاقتراب من الشافى صراحة والاعتراف بما فعلته فيما بعد .

ويقول الكتاب أيضاً إنه خلال تلك المدة التى تبلغ اثنتى عشرة سنة ، كانت تعانى من مأساة أليمة من مرض عضال ، حتى إنها أنفقت كل ما عندها من مال وهى تبحث دون جدوى عن بارقة أمل فى الشفاء . وما يحدث فى أغلب الأحيان أنه عندما تذهب أموال

أحدهم فإن أصدقاء« يذهبون كذلك ». أنفقت كل ما عندها ولم تنتفع شيئاً بل صارت إلى حال أردأ » ، ونظراً لاعتزازه الوظيفى المعتاد وحساسيته ، فإن لوقا الطبيب يحـذف عبارة « إلى حال أردأ »، إن حالتها إذن كانت أليمة ومحزنه فى نفس الوقت . وطبيعة مرضها ، وطول مدته ، وعدم اجتناء فائدة من التجائها للأطباء مما كلفها أن تنفق كل ماالديها على العلاجات المكلفة ، كل ذلك جعل حالتها يائسة بحق .

ومع ذلك ، ففى حزنها ويأسها كان هناك إصرار . فإذ كانت تشق طريقها وسط الجماهير الزاحفة ، قالت فى قلبها« إن مسست ولو ثيابه شفيت» ، يقول مكلم ثانية :« يمكننا أن نلقى نظرة على الإحباط العقلى الذى كانت تعانى منه من ناحية نظراً لحالتها وفشلها فى التوصل إلى علاج ، ومن ناحية أخرى على الإيمان الذى كانت تتحلى به مما مكنها من أن تتحمل مخاطر نتائج كسرها لعرف مقدس، واحتكاكها عن عمد بمواطنيها ». إننا بحاجة لأن نتذكر فظاعة الجرم الذى ارتكبته باحتكاكها بالجماهير ومزاحمتهم ولمسها ليسوع . فبالنسبة لها ، فقد كانت فى مسيس الحاجة «والضرورات تبيح المحظورات» .

إن إيمان المرأة بالشفاء كانت له نقاط قوة ونقاط ضعف . فمن مظاهر قوته أنها لم تكن تشك للحظة فى حقها فى الشفاء إذا ما استطاعت إليه سبيلاً ، ولذا فقد كان إيمانها بقدرة يسوع على شفائها عظيماً ومبنياً على أساس متين.كان إيمانها لا يخشى شيئاً، فقد كان حاسماً وقوياً ، حتى إنه قبل أن ينطق يسوع بكلمة ، فقد آمنت وقررت وتصرفت . فلم يكن هناك بالنسبة لها « وقت » أفضل من ذلك الوقت . لقد توصلت إلى الاستنتاج بأنه على الرغم من أن جميع الأطباء الآخرين قد خيبوا أملها ، إلا أن الطبيب الأعظم لن يفعل ذلك ، وإذ كانت قد اتخذت قراراً على هذا الأساس معتقدة أنه بلمسها إياه يمكنها أن تحصل على الشفاء الكامل ، فقد تصرفت هكذا . يا له من إيمان رائع .

ومع ذلك ، فقد كان لهذا الإيمان الحقيقى نقاط ضعف . فنظراً لجهل هذه المرأة فقد أعمتها الخرافة . لقد شعرت أن الشفاء متوقف على طريقة فى اللمس أو فى ثياب يسوع كشئ مستقل عن شخصه . لقد اعتقدت أن الفاعلية موجودة فى هدب ثوبه ، العصابة الأسمانجونية التى كان ناموس موسى يعلق عليها أهميـة كبرى (عد ١٥ : ٣٧ - ٤٠ ، تث ٢٢ : ١٢) . ولكن القدرة على الشفاء كانت فى المسيح نفسه « لم تكن تفكر فى الإرادة التى تبارك وتخلّص بل فى تيار جسدى ينتقل من الجسد إلى الثياب ومن الثياب إلى اليد التى كانت تلمسها » ، هذه فكرة مادية عن قوة المسيح الشافية ، إنها الثقة أن تأثيراً سحرياً كان ينساب من ثيابه.

وعلى الرغم من خطأ هذا الاعتقاد إلا أن المسيح لم يحتقر الخرافات المتعلقة بلمستها . لقد علم بكل ما حدث ، وكما سنرى ، «فقصبة مرضوضة لم يكسر وفتيلة مدخنة لم يطفئ» ، ولكنه استخدم ما فعلته المرأة لغرض أسمى مما كانت تفكر فيه . لقد شفاها بإرادته الإلهية وأعدها لإيمان أكثر استنارة . وعلى الرغم من أن إيمانها كان غير مكتمل ، إلا أنه فى جوهره كان صادقاً ، ومن ثم فقد كان فعالاً ، لأنها بمجرد أن لمست هدب ثوبه ، «فللوقت جف ينبوع دمها وعلمت فى جسمها أنها قد بُرئت من الداء». إن إثارة الحياة الجديدة دبت فى جسدها . لقد كان بداخلها ذلك الإحساس الذى لا يمكن التعبير عنـه ، والذى كان يخبرها أنها قد شفيت من مرضها الطويل .

تأتى الآن لرد الفعل الحكيم والرقيق لربنا لما حدث فى جسد المرأة التى ربما تكون قد علمت بصورة خفية شيئاً عن الهبة التى حصلت عليها . والعلم بكل شئ يظهر فى حقيقة أنه بمجرد أن لمس هدب ثوبه ، أدرك يسوع على الفور أن قوة قد خرجت منه . فالذى علم كل شئ عن نثنائيل تحت شجرة التين (يو ١ : ٤٨) ، كان يعرف كل شئ عن الألم الجسدى لهذه المرأة وإيمانها ، الذى كان قناة الاتصال بينه وبين حاجتها البشرية .

وما هى تلك «القوة» التى كانت فيه وكانت تخرج منه ؟ إننا نعلم أن هذه الكلمة قوة مستخدمة بالمعنى الطبى القديم ، بمعنى القوة الفعالة التى تأتى بنتيجة محددة . ولذا فالناس يتحدثون عن القوة الفعالة (فاعلية) لهذا العقار أو ذاك . وهذا اللفظ مستخدم

(مر ٥ : ٣٠ ، لو ٥ : ١٧) بنفس هذه الدقة الفنية للحديث عن القوة المعجزية التى انسابت من المسيح بمجرد لمسة الإيمان . كان يسوع مدركاً لقوته وعلم أن قوة قد خرجت منه . إن « القوة » تعنى ما تعنيه «المعجزات» أو «القوات» ، وتشهد للخوارق . والاعتقاد بأن الأشياء الظاهرية كانت تحمل «قوة» خاصة ، كان سائداً فى عصر بولس عندما كان يؤتى عن جسده بمناديل ومآزر كوسيلة للشفاء (أع ١٩ : ١٢) .

وإذ نظر يسوع حوله ليرى المرأة التى كانت تخفى ذاتها ، سأل «من لمسنى» ؟ ، لقد أراد أن يأتى بالإيمان إلى حيز الوضوح والنقاء عن طريق الاعتراف الصريح به كالشافى والمخلّص . فلا يصح للمرأة أن تحصل على شفاء خلسة ، ولذا فقد أجبرها على الاعتراف الصريح وحياها نتيجة لهذا الإيمان . وإذ كان يتنقل مع هذا الجمهور الجليلى ، كان يشعر بالعزلة ، ثم فجأة اهتز كيانه بالإثارة الناتجة عن لمسة الإيمان هذه ، وعلم أنه فى وسط هذا الجمهور كانت هناك نفساً لها احتياج خاص . واليد التى كانت تكمن فيها طاقة الإيمان الجاذب امتدت وجذبت طاقة النعمة ، وهكذا التقت حاجة الإنسان وملء المسيح .

وجه التلاميذ اللوم ليسوع لاعتقاده أن شخصاً قد لمسه بطريقة خاصة فى الوقت الذى كانت فيه الجموع تزحمه ، ولكنه أخذ ينظر حوله حتى التقى بعينى المرأة التى كانت تحملق فيه ، فجاءت وهى خائفة ومرتعدة . عالمة بما حصل لها «فخرت وقالت له الحق كله» ، كم عدد الأفراد الذين يزحمـون المسيح ، وهم قريبون منه فى الظاهر ، ومع ذلك فهم لا يلمسونه إطلاقاً ! لقد علمت المرأة ، كما يقول كامبل مورجان : إن « اللمسة الشافية يجب أن يعقبها دائماً الاعتراف الذى يمجد الله » ، وعندما شعرت بالتشجيع لرقة معاملة الطبيب الأعظم ، قدمت اعترافها «أمام جميع الناس» . فأكد يسوع شفاءها وجعله دائماً ، وأعلن أنه مصدر شفائها « كونى صحيحة من دائك ». لقد كان يُنظر للوبأ والأمراض كضربة من اليد الإلهية ، وكان التحفظ والحذر غلطة هذه المرأة ، فقد كانت ترغب فى إخفاء أمر شفائها ، وتحرم نفسها بذلك من شرف الاعتراف ، وتأكيد شفائها ، دون أن تقدم لطبيبها الشافى الإكرام اللائق بشخصه .

بعد أن اعترفت المرأة اعترافاً صريحاً بما حدث لها ، أكد لها المسيح قبل أن ترجع لبيتها « ثقى يا ابنة ، إيمانك قد شفـاك ، «اذهبى بسلام » ، لا مثيل لعطف يسوع ورقته ! . فتاة صغيرة قدمت تعريفاً للمعجزة فقالت عنها: « إنها شئ غير عادى يحدث دون أربطة أو ضمادات» ، فعن طريق لمسة هذه المرأة ، حدث شئ غير عادى كما يحدث فى حالات مشابهة .

« إيمانك قد شفاك » لا توجد قوة شافية فى الإيمان نفسه ، فهو القناة التى يمر خلالها الشفاء من نبع الحياة الوحيد . فالإيمان ليس بركة فى حد ذاته ، ولكنه العضو الذى يتلقى البركة . وهذا ما يحدث فى شفائنا الروحى . « بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضاً » (أع ١٥ : ١١) ، «اذهبى بسلام» ، إن هذه العبارة تعنى بالفعل « اذهبى إلى السلام » ، فكما لو أن رئيس السلام قال : « خذى بشكر شفاء الجسد الذى حصلت عليه ، ولكن أثناء ذهابك ، فلتتمتعى بالسلام الذى قد أتيت لأمنحه لجميع الذين يؤمنون بى » ، إنه وعد السلام المحفوظ .

والدرس الذى نتعلمه من معجزة الشفاء هذه ، أن الشفاء من مرض الخطية يكون كاملاً تماماً كالشفـاء من الداء الذى أصاب المرأة . فالمسيح وحده يمكنه التعامل مع فساد حالتنا ، وأنه بموته قد أعادنا إليه تماماً . وكان شفاء المرأة « فورياً » أيضاً . فبعد بحث دام اثنتى عشرة سنة دون جدوى ، شفيت فى الحال .. وهكذا يحدث لنا ، ففى اللحظة التى ندرك فيها خطيتنا ونؤمن بالمسيح ، نحصل على الخلاص . وكان شفاء المرأة «مجانياً» كذلك . لقد أنفقت كل ما عندها من نقود على الأطباء دون جدوى وأخيراً عندما أصبحت «بلا مال أو ثمن» ، حصلت على عطية الشفاء الثمينة . إن دعاة الشفاء بالإيمان الذين تتضخم ثروتهم بازدياد أوجاع الناس وأمراضهم ، عليهم أن يتذكروا هذه الحقيقة الخاصة بمعجزات ربنا التى أجريت « مجاناً » والخطاة لا يمكنهم أن يشتروا الشفاء من إثمهم . فلا المال ولا الدموع ولا العقوبات يمكن أن تجلب الخلاص ، فهو هبة الله المجانية .

هناك ترنيمة قديمة تعبر بقوة وإيجاز عن الجوانب المباشرة والروحية لمعجزة المرأة نازفة الدم :

لقد لمست هدب ثوبه فقط
ودلفت إلى جانبه خلسة

وسط الجموع التى كانت حوله
واصبحت صحيحة تماما من دائها

فتلمس هدب ثوبه
وانت تصبح حرا كذلك

فقوته المخلصة فى هذه الساعة
سوف تمنحك حياة جديدة

(٢٦) معجزة إطعام الخمسة آلاف

(مت ١٤ : ١٣ - ٢١ ، مر ٦ : ٣١ - ٤٤ ، لو ٩ : ١٠ - ١٧ ، يو ٦ : ١ - ١٤)

أهمية هذه المعجزة البارزة تتضح من حقيقة أنها المعجزة الوحيدة من معجزات المسيح التى تذكرها كل الأناجيل الأربعة . وهذه المعجزة المتكررة قد أشير إليها أيضاً مرة ثانية فى إنجيلى متى ومرقس ، مما يعنى أنه تمت الإشارة إليها ست مرات فى الأناجيل . فى هذه المعجزة البارزة من معجزات الطبيعة ، نرى ربوبية يسوع وسلطانه على الطبيعة ونرى عنايته بكل وضوح . فهو يهتم بالحاجات الجسدية كما بالروحية أيضاً ، وهو بالنسبة لنا الكفيل بتسديد جميع أعوازنا . وبسبب سلطانه ، فهو قادر على إجراء المعجزات لصالح المحتاجين .

أما عن خلفية المعجزة ، فهى مرتبطة باعتزال الرب فى مكان صحراوى . والضغوط الناجمة عن حادثة موت يوحنا المعمدان - وهى نذير بموته هو فى العام الذى يليه - قد أجبرته على أن يعتزل سراً لأخذ قسط من الراحة ، ليس فقط لنفسه بل لتلاميذه أيضاً ، والذين كانوا قد عادوا من أول مهمة لهم ، وكان معهم تلاميذ يوحنا الذين جاءوا بالخبر المحزن لقتله . وقد كان الجميع بحاجة لفترة هدوء لتجديد نشاطهم الجسدى والروحى لأن« التآلف مع الجمهور لا يجلب سوى قساوة القلب، ولكن الألفة مع الله ينتج عنها إعادة الحساسية الدائمة إلى القلب مما يمنع قساوته» .

هذه المعجزة الجوهرية إذن تحظى بمكانة مشرفة نظراً لأهميتها ، وكما يقول اليكوت « لا توجد أى رواية لأى معجزة أخرى تقدم دلائل عديدة على التلقائية ، سواء من ناحية وضوح الأسلوب الذى قيلت به أو تطابق وقائعها ، دون تخطيط مسبق . فيصعب جداً أن نتصور أن يكتب أربعة كتَّاب يعمل كل منهم مستقلاً عن الآخر ، وحتى لو استقى اثنان منهم من مصدر مشترك - بهذه الطريقة !.

إن فترة الهدوء التى أرادها المسيح كانت بالرغم من ذلك فترة قصيرة الأمد ، ولكنه لم يتذمر ، فهو كالراعى الصالح ، كان اهتمامه منصباً على الحاجة المزدوجة للغنم التى كانت مطروحة بلا راع . والجماهير التى كانت تطلبه كان يبدو أنها تزداد ولم يستطع أن يحتجب . لقد اكتشف الناس المكان الذى كان يسوع ذاهباً إليه ، ومع أنهم جاءوا من مسافة بعيدة سيراً على الأقدام ، بينما قام يسوع وتلاميذه بالرحلة بحراً ، إلا أن الناس سبقوه حتى أنه عندما وصل إلى الطرف الشمالى للبحيرة ، وجد جمهوراً كبيراً يحيونه . ولم يضايقه إعاقة الناس له ، ومع أنهم لم يتركوا له فرصة لالتقاط الأنفاس والحصول على قدر كاف من الراحة إلا أنه كان مدفوعاً بدافع العطف على الجماهير ، وقد انتهز الفرصة لتعليم الجموع وشفاء المرضى . وقليلون منا من تعلم فن تأقلم النفس مع ما يعطل خططنا وتحويل اليأس والإحباط إلى شئ نافع . لقد كان قلب يسوع على استعداد دائماً أن يذوب عطفاً تجاه الاحتياجات العديدة للبشر ، لقد تغلب العطف على البحث عن العزلة ، ولقد أظهر آخرون قليلاً من الاكتراث له ، أو لأجله ، ولكن فى محبته الكاملة ، فقد كان على أتم استعداد أن يظهر كل الاهتمام بهم .

عندما قارب النهار على الانتهاء ، اقترح التلاميذ على يسوع

أن يصرف الجموع لكى تبتاع طعاماً من المدن والقرى المجاورة ، ولكنه لم يوافق على ذلك ، وكان قد سأل فيلبس عن كيفية إطعام الناس ، وقد سأله ليمتحن مقدار إيمانه ، وأمامنا هنا دليل قوى على علمه بكل شئ ، لأننا نقرأ أنه علم ما هو مزمع أن يفعل ، ويدأ فيلبس يجرى حساباته ليعرف مقدار ما لدى التلاميذ من موارد ، وقد فشل فى إدراك أن ما فعله أليشع على نطاق ضيق ، كان يسوع قادراً أن يعمله على نطاق واسع. ونجد فيلبس وهو يقول: «لدينا خبز بمئتى دينار» ، ولكن ما الذى يمكن لمبلغ زهيد كهذا أن يفعل لإشباع هذه الأعداد الغفيرة من الناس ؟ ليس هناك أى احتمال لإشباع الجماهير بهذا المبلغ الضئيل من النقود ، ولكن الإله كلى القوة كان على وشك أن يبين لهم أن كل شئ ممكن . فعلى الإنسان أن يشعر أولاً بعدم كفايته، ثم عندما يشعر بالضرورة الملحة ، تحدث المعجزة ، ولكنها لا تحدث إلا عندما تشتد الحاجة إليها .

بعد أن حصل يسوع من فيلبس على إقرار بعدم قدرة التلاميذ على تلبية احتياجات الجماهير ، قال يسوع « لا حاجة لهم أن يمضوا». فليس هناك مبرر يدفعهم لأن يصرفوا الجماهير . فالإيمان يجب أن يستند على الموارد الإلهية . ولما كان يسوع مليئاً بالشفقة ، كان يمثل الرقة مجسمة . وبالنسبة له ، ليس هناك شئ اسمه «مستحيل»، ولهذا صدر الأمر «اعطوهم أنتم ليأكلوا» ، فأجاب التلاميذ بلسان واحد (ربما بقليل من التهكم حيث أن عدد الجماهير كان يفوق مالديهم من موارد بما لا يقاس) ، قائلين لـه : « أنمضى ونبتاع خبزاً بمئتى دينار ونعطيهم ليأكلوا ؟» ، ولم يلتفت يسوع لما قالوه وسألهم ، «كم رغيفاً عندكم ؟ اذهبوا وانظروا» ، تقدم أندراوس بمعلومة تقول :« إن غلاماً معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان» ، ولكن ما هذا لمثل هؤلاء ؟ لقد نسوا أنهم كانوا يكلمون خالق الكون ، «الذى يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة» (رو ٤ : ١٧). فى قساوة قلوبهم وعدم إيمانهم ، كانوا على استعداد لأن يصرفوا الجماهير . ولكن الإله الذى أنزل المن والذى قال أيضاً مساكينها أشبع خبزاً (خر ١٦ ، مز ١٣٢ : ١٥) كان موجوداً معهم .

لم يكن الغلام الذى معه القدر الضئيل من أبسط الأطعمة لديه أى فكرة عن الإمكانيات الهائلة للفرص البسيطة ، وكيف أن القدر الضئيل يمكن أن يكون كبيراً جداً فى يد الله . ربما كانت الأرغفة والسمك الذى يحملها قد أعدتها أمه لأبيه وله كطعام لذلك اليوم . وكانت الأرغفة من الشعير ، وهو طعام الفقراء ، بينما كان السمك الصغير نوعاً من السردين المملح الذى يستخدم كفاتح للشهية . ومع ذلك فبهذا المقدار الضئيل من الطعام كان الرب على وشك أن يشبع الجموع ويثبت للجميع أنه قادر على إعداد مائدة حتى فى البرية (مز ٧٨ : ١٩) . وصدرت الأوامر للناس بأن يجلسوا رفاقاً رفاقاً على العشب الأخضر . أمامنا هنا الآن ملاحظتان جميلتان . أولاً ، إن أوائل فصل الربيع كان يجعل العشب مكاناً جذاباً للجلوس ، فحيث كان يجلس الناس كان سهلاً واسعاً مليئاً بالعشب الأخضر ويخبرنا يوحنا أنه كان يوجد عشب كثير فى المكان (٦ : ١٠). يقول : (كمنج Cumming) «إن مجرد شخص يكتب قصة مبتكرة ما كان يمكنه أن يفكر فى استعمال ذلك التعبير إطلاقاً . فالتعبير طبيعى ، وغير مفتعل ، وهذا دليل واضح على أن القصة كتبت فى نفس مكان حدوثها ، وتصف حقائق تمت رؤيتها بالفعل ».

ثم لكى يتم كل شئ بهدوء ونظام ، أمر يسوع أن يجلس الناس رفاقاً رفاقاً ، فأتكأوا مئة مئة وخمسين خمسين ، وهذا يثبت أن « النظام هو قانون السماء الأول » ، كان يفضل التلاميذ الانتظار حتى تكون هناك مؤونة كافية قبل أن تجلس الجماهير ، ولكن الجماهير كانت تنتظر ، وقد جلسوا على شكل دائرة حول يسوع .

لقد كان تقسيم الجموع إلى جماعات منظمة إجراء حكيماً ، فلو لم يحدث ذلك لانتشرت الفوضى ، ولحصل الأقوياء والأشداء على نصيب الأسد ، وتم إهمال النساء والأطفال . فالنظام كان هو السمة المميزة لكل طرقه سواء فى الخليقة أو النعمة « فالله ليس إله تشويش »، ووصف مرقس للتقسيم المنظم للجموع وصف معبر ، فهو يستعمل جمع الكلمة التى تعنى أرض الحديقة ، ويقول إن الناس كانوا يتكئون صفوفاً صفوفاً أو رفاقاً رفاقاً حتى إن المجموعات العديدة المتفرقة كانت تشبه قطعاً متباعدة من أرض

الحديقة . وطبقاً لعادة أهل الشرق ، جلس الخمسة آلاف رجل بالنظام الذى أوضحناه ، وكان هذا العدد ينطبق على الرجال فقط ، ونحن لا نعرف كم كان عدد النساء والأطفال . ولابد أن عددهم كان كبيراً إلى حد ما .

كم كان المنظر مثيراً عندما أخذ يسوع الخمسة أرغفة والسمكتين فى يديه ! ولنا أن نتصور الصمت مع الترقب وقد سرى بين التلاميذ والجمهور على حد سواء . أول عمل قام به يسوع ، كان تقديمه للشكر . ويالها من عادة جميلة لتعبيرنا عن الشكر على النعمة المقدمة لنا قبل الأكل ! يقول ترنش :« إن هذا العمل الأفخارستى (تقديم القربان) قام به يسوع كرب البيت» ، ثم مضى قدماً ليقتبس القول الجميل للتلمود: « من يستمتع بأى شئ دون تقديم شكر فكما لو كان يسلب الله ». إن هذا الشكر العلنى على الطعام الذى كان على وشك أن يقدمه يظهر أنه كان يجمع فى شخصه بين الاعتماد البشرى على الآخرين والقوة الإلهية فى آن واحد . ففى أخذه للطعام وتقديمه للشكر ، فهذا دليل على بشريته ، وفى جعل الخمسة أرغفة تكفى لإطعام خمسة آلاف فهذا دليل على لاهوته .

فالشكر لله هو العنصر الأساسى «لأكسير الحياة» الذى يحوّل كل ما يلمسه إلى ذهب .

وعندما بارك يسوع ، كسَّر الخبز . وحيث أن الأرغفة اليهودية كانت عبارة عن قطع رقيقة من المخبوزات ، يصل سمكها لعرض الإبهام ، كان يسهل كسرها بدلاً من تقطيعهـا . وفى معجزة كهذه من الطراز الأول ، فإن عملية تضاعف عدد الخبز تفوق أفهامنا . فيسأل اليكوت قائلاً :

«هل أشبع كل رغيف ، على التوالى ، ألف شخص ثم نفد ليحل محله رغيف آخر وهكذا ؟ وهل تضاعف السمك بالمثل بما فى كل سمكة من مكونات مثل العظام والجلد والرأس عند كل توزيع للسمك فى هذه الوليمة الكبيرة ؟» ، الكتاب المقدس لا يقدم لنا الإجابة على هذه الأسئلة . كل ما نعرفه أنها كانت معجزة مذهلة من معجزات الخلق ، وأى محاولة لفهم جوانبها والإحاطه بها لا يمكن أن يحولها لحدث عادى يمكن أن نستوعبه» ، وكل معجزة من معجزات المسيح لا يمكن لأحد أن يفهمها سوى من أجريت على يديه المعجزة . وتضاعف عدد الأرغفة قدم دليلاً ناصعاً على لاهوت المسيح . فعن طريق عمل من أعمال قوته المعجزية استطاع بخمسة أرغفة أن يطعم خمسة آلاف رجل . وأشير على القارئ بقراءة إيضاح التشابه بين هذه المعجزة الإلهية ، والمعجزة اليومية التى يتم فيها تزويد الملايين التى لا تحصى من البشر والحيوانات والطيور بقوتها اليومى ، يقول ترنش فى شرح هذه المعجزة التى أمامنا:« إن معجزات الله التى تحدث فى بكور كل يوم تفقد قيمتها فى نظر الإنسان بالتكرار اليومى ».

أجريت المعجزة فى ذلك اليوم على يدى المسيح ووصلت إلى الجموع عن طريق أيدى البشر ، لأنه أعطى الأرغفة التى باركها لتلاميذه ، وهم بدورهم أعطوها للجموع . لماذا أرسل يسوع هبة الطعام لتقدم بواسطة تلاميذه ؟ يقول رتشارد جلوفر فى تعليقه على إنجيل متى إن هناك سببين جعلت يسوع يستخدم تلاميذه :

(١) ليجعل الناس يأكلون الطعام على سجيتهم .

فلو أن الخبز قد قدم مباشرة من يد القادر على كل شئ ، لكانوا قد خافوا أن يأكلوه ، ولكن عن طريق تناولهم له من أيدى التلاميذ ، فقد أصبح الطعام بسيطاً خالياً من التكلف .

(٢) للتعلم من روح المسيح بالمشاركة فى عمله .

لو كان التلاميذ متفرجين فقط ، لانتقدوا الناس المتلقين للهبة وانتقصوا من قدرهم وانتقدوا الحكمة من وراء ذلك العمل ، ولكن بتوزيعهم للهبة استطاعوا أن يتعلموا من كرم المسيح وأن يروا حاجة الناس ، ويشهدوا امتنان الناس وشكرهم ، وأن تكون مشاعرهم أكثر رقة وعطفاً وحباً للآخرين . إن الخدمة المتبادلة هى الخطة الإلهية للعالم . فنحن نتلقى لكى نعطى .

من الطريف أن نلاحظ هذين الفعلين المختلفين « كسَّر » و« أعطى» ، فالأول يتضمن الحدوث الفورى والثانى يعنى الفعل المستمر . لقد كسَّر واستمر يعطى . يقول : (فارو Farrow) إن مضاعفة عدد الأرغفة قد حدث غالباً فى يدى المسيح ، فيما بين

عمليتى الكسر والتوزيع . ويقول الكتاب :« فأكلوا وشبعوا جميعاً » ، ونحن لا نعرف كيف تكونت الأرغفة المعجزية ، ولكن ما يثبت حدوث المعجزة وجود ما يكفى منها ويزيد . فعندما التقى عطف المسيح ، وتقديم الغلام لكل ما كان بحوزته من طعام ، واحتياج الكثيرين ، كان للقوة غير المحدودة ثلاثة أسباب لحدوث البركة واستمرار هذه البركة « اقتصد ولن يكون عندك ما يكفى لشخص واحد ، اشرك الآخرين فيما لديك فيكون لديك ما يكفى الكثيرين ».

ثم إنه ليس هناك شح فى عطايا الرب التى هى كثيرة دائماً . بعد أن شبع جميع الناس ، جمع التلاميذ ما تبقى من الأرغفة والسمك فملأوا اثنتى عشرة قفة .. يا له من كرم إلهى ، وحيث أن الإسراف عدو لهذا الكرم الإلهى ، فلا يصح أن نبدد شيئاً ، علينا أن نهتم بما تبقى من كسر . فى البداية ، فإن ما أعطاه الغلام ليسوع لكى يباركه لم يكن ليملأ قفة واحدة ، والآن وبعد إطعام الآلاف ، كانت هناك اثنتى عشرة قفة مملوءة ، ولكن لا ينبغى إضاعة أى شئ . فهذه الكمية الضخمة والاقتصاد السليم يسيران جنباً إلى جنب . ونحن لا نعرف مصير البقايا والكسر . ربما استخدمت فيما بعد أو وزعت على الفقراء فى المدن المجاورة . ونتعلم من ذلك درساً فى أن الزيادة تسير جنباً إلى جنب مع التوزيع (٢ مل ٤ : ١ - ٧ ، أم ١١ : ٢٤) ، وأن الوفرة لا تبرر الإسراف ، « فحدوث معجزات البركة لا تبطل التدبير والاقتصاد فى استخدام البركات الممنوحة ، ولا تحل محلها » .

ما مكافأة الغلام لعدم حجبه تلك الوجبة ، وتقديمه كل ما لديه ليكون تحت تصرف السيد ؟ لابد أنه شعر بالإثارة وهو يرى يسوع يبارك القليل الذى أعطاه له ! لقد أعطاه المسيح كيلاً ملبداً مهزوزاً فائضاً لأنه رجع إلى بيته بقلب فرح ومعه طعام أكثر مما كان يحمله لأهل بيته . فالخالق لا يمكن أن يكون مديناً لبشر .

والحماس الذى أحدثته المعجزة كان عظيماً . لقد أراد الناس أن يتوجوا يسوع ملكاً فى الحال وأن يقودهم لمسيرة نحو أورشليم فى عيد الفصح . وفى غمرة الحماس ، شعر الناس أن مثل هذا الملك القوى سوف يكون بحق هبة السماء للمطحونين والمظلومين . ولكن يسوع رفض الملكوت الأرضى . لقد عرف أنه سوف يكون ملكاً ولكن ليس على يدى بشر بل من قبل الله . ففى الوقت المناسب ، سوف يؤسس ملكوته وعندئذ يحل جميع المشكلات الاجتماعية والمعضلات التى يقف أمامها أمهر علماء الاجتماع عاجزين فى الوقت الحاضر ، ولكنها سوف تجد العلاج الناجع على يديه .

والدرس العظيم الذى تلقنه لنا هذه المعجزة واضح . فالمسيح هو خبز الحياة لعالم هالك ، وكالخبز الحى يجب أن يُقدم للآخرين من قِبل الآكلين أنفسهم . فلا يصح أن نصرف الكثيرين حولنا والذين يعيشون فى خطاياهم ولامبالاتهم والملايين البعيدين فى ظلام الوثنية ، فارغين . ففى المسيح توجد كفاية لكل واحد وللجميع . وكما استخدم المسيح ما أعطاه الغلام له ، ووزع التلاميذ الخبز الذى باركه المسيح وأعطاه لهم ،وهكذا فعن طريق تسليم حياتنا له ، فهو يستخدمنا حتى يشاركنا الآخرون فى معرفة واختبار كفايته للجميع .

(٢٧) معجزة السير على الماء

(مت ١٤ : ٢٢ - ٣٦ ، مر ٦ : ٤٥ - ٥٤ ، يو ٦ : ١٥ - ٢١)

هذه المعجزة المذهلة يشار إليها بأنها « ملحق » للمعجزة السابقة ، لأنها حدثت فى مساء ذلك اليوم الذى لا ينسى . فأول عمل قام به المسيح بعد إطعام الخمسة آلاف ، كان قد ألزم تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر إلى الشاطئ الغربى لبحيرة جنيسارت . ويجب ألا نخلط بين هذه المعجزة ومعجزة أخرى عندما كان يسوع نائماً فى قارب وأوقظ لتهدئة الأمواج الصاخبة . نجد هنا قصة مألوفة ذات جمال أخاذ ، فيها بعض الحقائق القليلة التى تحتاج للشرح . وتبدو المعجزة مرتبطة بثلاثة جوانب عن صانع المعجزات، وهى صلاة يسوع فوق الجبل ، والمشى على الماء ، والسجود للمسيح فى السفينة .

لماذا ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويعبروا إلى الجانب الآخر من البحيرة . لماذا ألزمهم بذلك ؟ فبسبب محبتهم وإعجابهم بشخصه ، فهل لم يكونوا راغبين أن يتركوه ولو للحظة ؟ أم لأنهم

كانوا يعلمون عن الاتجاه لجعل يسوع ملكاً ، فلم يريدوا أن يتركوه عند قرب تتويجه ومجده ؟. فبالنسبة للتلاميذ ، لم يكن هناك أجمل من هذا اليوم ، والآن فعليهم أن يمضوا أمامه إلى الجانب الآخر ، وقد انتهى اليوم المشرق وجاءت ليلة متعبة . لقد كانوا يريدون أن يستمتعوا بشهرة معلمهم لينالهم قسط منها ، ولكن المسيح علم أن هناك خطراً أكبر يكمن فى إرضاء الجماهير أشد من زئير العاصفة . ولذا فقد أرسلهم يسوع ، وكان للعاصفة أثر كبير على إنقاذهم من الطموحات الخاطئة . لقد كان عليهم أن يعرفوا أن الليلة العاصفة جنباً إلى جنب مع اليوم المشرق عملا معاً لصالحه .

لقد كان عليهم أن يتعلموا أن الذى أطعم تلاميذه بصورة معجزية بالأرغفة والسمك هو نفس الشخص الذى أرسلهم لمواجهة عواصف وأمواج البحر الهائج. لقد كان عليهم أن يعرفوا أنه ما أبداً يرسل أتباعه ليقاتلوا وحدهم ، فقد زودهم بالقوة التى تمكنهم من مواجهة التجربة التى تنتظرهم . ومع ذلك فياللحسرة ، كما سنرى سريعاً ، فقد نسوا معجزات الأرغفة !

أما فيما يتعلق بيسوع ، فبعد الحماس الذى أظهرته الجماهير لتنصيبه ملكاً ، فقد لجأ إلى الجبل للاعتزال ، والعزاء والحديث مع الله . لقد أدرك أن الناس كانت تسعى لتأخذه بالقوة وتجعله ملكاً ، فهاهم قد وجدوا أخيراً الشخص القوى الذى يخلصهم من طغيان وقوة الحكومة الرومانية . وهكذا فقد طلب الاعتزال فى الجبل ، ليس فقط طلباً للراحة ، بل ليتأمل إلى بريق الملك الحقيقى . فبعد ساعات الصلاة ، ظهر فى اليوم التالى وألقى عظة فى المجمع حولت الابتهاج إلى رفض لدرجة أن كل تلاميذه تركوه . فاقترابه من طريق العظمة الأرضية كان من الممكن أن يقتاده بعيداً عن الصليب ، ولعزلته وصلاته كان النصر حليفه .

والذهاب إلى الجبل للصلاة يذكرنا أيضاً كيف أن اللاهوت والناسوت يلتقيان فى يسوع . ففى عصر ذلك اليوم ، نراه إلهاً من إله ذى قوة جبارة - وفى الليل نراه بشراً سوياً فى حاجة للصلاة . لا يستطيع أحد أن يفسر كيفية وجود اللاهوت والناسوت معاً ، ولكن ها نحن نلمسها بصورة واضحة . فكالخالق فإننا نعبده ، وكإنسان يصلى - صلاة خاصة وبلجاجة وحيداً - فهو مثال لنا وعلينا أن نحتذى حذوه . وأما هنا فنجد أيضاً صورة لما كان سيحدث بعد قليل، أى صورة ليسوع عند صعوده ليبدأ خدمته الشفاعية الحالية تاركاً كنيسته لتواجه لجج هذا العالم العاصف فى غيابه .

وفى البحيرة كان التلاميذ فى موقف لا يحسدون عليه لأن إحدى العواصف القوية المفاجئة جعلت التلاميذ يجدفون لمدة ساعات طويلة دون جدوى . فبعد مضى ثلاث ساعات بعد منتصف الليل كانوا لا يزالون وسط البحيرة دون أن يستطيعوا العبور إلى الشاطئ الآخر ، وكما يقول الكتاب «معذبين فى الجذف (مر ٦ : ٤٨) ، ومما زاد الطين بلة أن يسوع لم يكن معهم كما كان فى حادثة أخرى اشتدت فيها الأنواء . كانت الأمواج تلقى بهم هنا وهناك لأن الريح كانت «مضادة» ، وهذه الرياح المضادة يصعب مواجهتها ، ومع ذلك فحين نتقبلها بصبر ، فإنها تنمى الشخصية وتضاعف من فرحنا عندما نصل إلى الأمان .

ما لم يعرفه أولئك الذين تعبوا من التجذيف اليائس أن يسوع فى صلاته على المنحدر الجبلى ، رآهم فى أحلك ساعات التجربة المريرة ، ففى عزلته كان هذا الشخص الإلهى يراقب تلك القوارب الصغيرة ، وكان يدرك حجم المشكلة التى واجهتهم وسبب تعبهم المضنى . ولما حيرتهم تلك الرياح المضادة ، كان على التلاميذ أن يتعلموا من عطف معلمهم ومن استعداده للدخول معهم فى المعمعة . وهكذا فقد جاء المسيح للمجذفين اليائسين بطريقة لم تكن متوقعة - ماشياً على البحر كما لو كان سجادة ناعمة لينة . لقد كان نموذجاً فريداً للسير لم يعرفه التلاميذ . فكل تجربة جديدة ليسوع كانت بمثابة مفاجئة رهيبة بالنسبة لهم . لقد بدا أنه يهملهم تاركاً إياهم ساعة بعد أخرى يصارعون الموج حتى أنهكت قواهم . لقد قام مرة بتهدئة العواصف لأجلهم ، فلماذا لا يفعل ذلك الآن ؟ ولكن الشخص الذى كان يصلى لأجلهم ويراقبهم كان قريباً منهم الآن ومع ذلك لم يعرفوه . كان يبدو أنه يتخطاهم ، فصاحوا وهم منزعجين « إنه خيال » وبسبب ظلام الليل الدامس ، والعاصفة الهوجاء والأعصاب المحطمة ، وعدم توقع حضور المسيح ، ظنوا أن

الشخص الذى رأوه خيال يرحب بهم فى مقر الموتى . لقد كان هناك اعتقاد راسخ عند اليهود أن أرواح الموتى تزور أقاربها بعد موتها بوقت طويل . فلربما ظن أولئك الناس أن روح شخص راحل قد جاءت إليهم ، ولكن كان عليهم أن يعرفوا أن ما ظنوه شبحاً وطيفاً من أطياف الليل المرعبة ،كان هو المخلّص .

لقد تحرك يسوع بسهولة لا نظير لها وبكل مهابة وجلال فوق الأمواج المضطربة محاولاً تهدئة أتباعه الذين كانوا يصرخون بندائه المحبب « أنا هو ، لا تخافوا » ، لابد أن هذا الصوت الملهم قد بعث فيهم الثقة والأمان .« فجلال اقترابه منهم قد اكتمل برقة خطابه» ، فهذه الكلمة فى ذلك الوقت قد ولّدت السلام ، فهى تعنى كما لو أن يسوع قال لهم : كل شئ على ما يرام . لا تخافوا . أنا صديقكم ومخلصكم» ، ولذا وجد الخائفون السلوى . ففى الحال تم انتهار مخاوفهم التى انقشعت عندما وجدوا أنفسهم مع الآخرين وجهاً لوجه مع الشخص القوى بطريقة غير معتادة (انظر تك ١٦ : ١١ ، قض ٦ : ١٣ ، دا ١٠ : ١٢و ١٩ ، رؤ ١ : ١٧ الخ). يقول البكوت تعليقاً على وقع هذه الحادثة على عقول التلاميذ :

« إن سماع رنة الصوت المألوفة والكلمات المشجعة ، حتى وسط زمجرة الرياح واندفاع الأمواج ، أعطاهم الثقة والرجاء . وإننا لا نشك مطلقاً أنهم فى السنوات التالية من حياتهم ، قد استعادوا ذكرى هذه اللحظة ، واستفادوا منها كثيراً ، كما استفادت منها الكنيسة على نطاق واسع بمدلول رمزى .. لقد كان آتياً لهم وسط العاصفة . وأصبحت كلمة « لا تخافوا » هى شعار حياتهم .

وحيث أن لب المعجزة هى فى سير يسوع على الماء ، فعلينا أن نتأمل فى ذلك العمل الذى يدل على السيطرة المباشرة على الناموس الطبيعى . كيف نفسر هذا التناقض البادى للعيان مع قانون الجاذبية ؟. فى الحقيقة ليس هناك تعارض أو تعليق لقانون الجاذبية الذى يتحكم فى الكون ، بل يدل على تأثير قوة أكبر . إن قانون الجاذبية لا يتم التخلى عنه عندما يجذب المغناطيس رقائق الحديد ، ولكن قوة المغناطيسية الأكثر قوة قد تغلبت على قوة الجاذبية . ولذا فإن ما حدث فى تلك الليلة العاصفة هو ممارسة قوة المسيح الكلية حيث أنه وهو الخالق للبحار والرياح قد أظهر سلطانه عليها، ولكونها ملكاً له فقد استطاع استغلالها كما أراد . فإرادته هى التى جعلته يتغلب على المياه . فمثل هذه المعجزة لهى دليل آخر على سلطانه ، وهى تنبئ بالوقت الذى يستطيع فيه ، بجسده المجد ، أن يتغلب على القوانين الطبيعية العادية ، كما حدث حين دخل إلى الداخل برغم الأبواب المغلقة (يو٢٠ : ١٩) .

عندما يتأمل العقل البشرى فى أعمال الله وطرقه يثور سؤال «كيف يمكن أن تحدث هذه الأشياء ؟ » ، ومع ذلك فمثل هذا التساؤل مبعثه عدم الإيمان وليس الإيمان ، فالقلب الذى تعلم أن يثق فى الله ويؤمن بكلمته لا يصح أن يتأثر بأى أعجوبة ، فكل شئ مستطاع لدى الله . وكالإنسان ، صلى يسوع لأجل تلاميذه ، والآن فهو كالإله يمشى على الماء لإنقاذهم . وعلى الرغم من أنه لم يلق بنفسه من على جناح الهيكل لأجل مجد شخصى ، إلا أنه ألقى بنفسه فوق الأمواج ليؤكد لأتباعه أنه قريب .

ولما كان بطرس مقتنعاً أن الشخص الذى سار على الأمواج هو المسيح بحق ، فإن بطرس المحبوب المندفع ، والذى كان المتحدث الرسمى باسم الرسل قال :« يا سيد إن كنت أنت هو فمرنى أن آتى إليك على الماء »، لقد أراد علامة على أن من ظنوه خيالاً كان هو المعلم ، وأن يسير هو أيضاً على المياه . فأجاب يسوع قائلاً : « تعال » ، ولم يقل «إلىّ» إن كلمة «تعال» ، هنا تحوى إذناً يحمل فى مضمونه تعهداً أن بطرس لا تبتلعه الأمواج الثائرة . فأخذ بطرس يمشى على الماء أولاً مدفوعاً بقوة إيمانه عندما «مشى على الماء» مشاركاً سيده فى «عمق الحياة الروحية التى أوقفت فعل النواميس الطبيعية مدة وجيزة عن طريق قوة أقوى منها» .

ومع أن إيمان بطرس الغيور المندفع لم يكن عميقاً بما فيه الكفاية - لم يكن إيماناً نقياً شجاعاً بل كان جسدياً متهوراً - إلا أنه كان على الرغم من ذلك إيماناً مكّنه من مزاولة عمل يستحيل على الإنسان العادى أن يقوم به . وفى توبيخ يسوع له لم يقل له ، لماذا أتيت إلىّ ؟ »، بل قال له «لماذا شككت ؟»، وكما يقول بنجل لم يوجه اللوم إلى بطرس «لأنه خرج من السفينة بل لأنه لم يظل

راسخاً فى الإيمان» ، فكما لو كان بطرس قد قال له ، إن كنت أنت المسيح ، دعنى أشاركك فى الطمأنينة الواثقة التى تجعلنى أتحرك فوق الماء دون أن أتأثر بالعاصفة حولى ودون أن تغمرنى المياه من تحتى » .

والفارق بين دافع الإيمان ، والاختبار الحقيقى ، سرعان ما ظهر، لأنه عندما نظر بطرس إلى الأمواج الهادرة انتابه الخوف وصرخ قائلاً :« يارب نجنى! » ، ففى الصراع بين الرؤية والإيمان ، خرج الإيمان ودخل الخوف . فالقوة الخارقة المكتسبة قد تخلت عنه ، ومع أنه كان سباحاً ماهراً كصياد بدأت المياه تبتلعه . لقد حوَّل بطرس عينيه عن السيد وركز على الأمواج الهادرة ، ولأنه خاف سقط ، ولكنه لم يغرق . وعندما ابتدأ يغرق ، أنقذه يسوع لأنه لن يترك أتباعه ليغرقوا . مسكين بطرس ، فقد رأى شيئاً آخر بخلاف يسوع فى تلك الليلة ، وإذ أخذ بمشورة الجسد والدم ، فقد أظهر ضعفه ونقص إيمانه الحقيقى. ولابد أن بطرس شعر بالمهانة بعد أن أظهر شجاعة فاقت بقية التلاميذ .

وكان توبيخ يسوع فى منتهى الرقة : « لماذا شككت ؟ ». لقد دخل السفينة مع بطرس وفى الحال سكنت الريح . وهى كلمة تعنى كما لو أن الريح إنسان شعر بالإجهاد فسقط مترنحاً من فرط الإجهاد . إن عناصر الطبيعة الغاضبة تخلت عن غضبها أمام سيد الكون حين مارس نفوذه عليها، وفى الحال وصلوا للشاطئ ، فمجرد أن دخل يسوع السفينة تمت الرحلة بسرعة مدهشة .

عبَّر مرقس عن دهشة التلاميذ فى التقرير الذى كتبه فى إنجيله بالقول:« فبهتوا وتعجبوا فى أنفسهم للغاية» ، ولكن لم يكن هناك داع لدهشتهم حتى وإن أتاهم يسوع فى ظلام الليل ماشياً على البحر لنجدتهم . كان عليهم أن يتذكروا معجزة الأرغفة والسمك التى أجريت فى ذلك اليوم . كان يجب أن يفهموا من خلال المعجزات السابقة من إطعام الآلاف بعدد قليل من الأرغفة وإسكات البحر.« فلو فهموا مغزى القوة الإلهية المتضمنة فى معجزة الأرغفة فلا شئ بعد ذلك ، ولا حتى السير على البحر أو إسكات العاصفة كان من المفروض أن يزعجهم» ، فمعجزة الأرغفة كان من المفروض أن تطغى على المعجزة الجديدة الخاصة بسلطان المسيح على عناصر الطبيعة .

ما أن استقر يسوع فى القارب وكل شئ صار ساكناً ، حتى رأى التلاميذ رؤية جديدة تشهد لعظمته ، لقد سجدوا له قائلين « بالحقيقة أنت ابن الله» ، وهذا هو الموقف الذى يجب أن يتخذه جميع الذين تم إنقاذهم بسلطان المسيح . لقد قبل اعترافهم بلاهوته «كابن الله» وسمح لهم بالسجود له . وينتهى سجل المعجزات فى ذلك اليوم بإظهار سلطان المسيح الفائق حين شفى جميع المرضى الذين أحضرهم إليه أصدقاؤهم المخلصون . لقد لمس جميع المرضى هدب ثوب المسيح على طريقة المرأة نازفة الدم وجميع الذين لمسوه نالوا شفاءً كاملاً .

والدرس الثمين الذى نتعلمه من هذه المعجزة معز لنفوسنا ومفيد لنا. فالإيمان يختبر عن طريق عواصف الحياة ، ولا يظهر سوى «من خلال الأنواء والأمطار والعواصف» ، والمسيح قريب منا دائماً . فعلى الرغم من أن أمواج العالم المتعب تلقى بنا هنا وهناك ، إلا أنه قد يبدو كما لو كان قد نسينا ولكن عينه علينا ، وفجأة ونحن فى أحلك ساعات الألم فإنه ينقذنا بطرق تفوق أفهامنا . لقد بدأ بطرس يغرق فى الماء المألوف له، ولكن مخلّصه لم يكن بعيداً . فإن أتت علينا ظلمة الليل وهاجمتنا العواصف الهائجة وابتدأنا نغرق فى يأس وشك ، لتكن صرختنا مع بطرس: « يارب نجنى»، وهو ينقذنا ! (مز ٤٦ : ١ - ٣) .

(٢٨) معجزة شفاء ابن المرأة الفينيقية السورية

(مت ١٥ : ٢١ - ٢٨ ، مر ٧ : ٢٤ - ٣٠)

يبدو كما لو أن هذه المعجزة قد أجريت بعد معجزة إطعام الخمسة آلاف مباشرة طبقاً للترتيب الزمنى .يقول ليدلو إن أول ملامح هذه المعجزة التى أمامنا هو « التغيير فى المشهد والظروف المصاحبة لها » .« لقد بدأ المسيح يقابل بمعارضة ، وأصبحت أعماله عبارة عن رحلات وجولات متعاقبة» ، لقد كان وقت شدة بالنسبة ليسوع ، لأن هيردوس ابتدأ يتشك فيه والفريسيين لم يستطيعوا إخفاء عداوتهم وكراهيتهم نحوه . والناس الذين كانوا يؤيدون

تعاليمه بحماس بالغ ومعجبين بأعماله العظيمة ومعجزاته الباهرة ، بدأوا يظهرون الاستياء من أقواله . ولشعور يسوع بالحاجة للاعتزال ، وضرورة تقديم المزيد من التعاليم للاثنى عشر ، فضَّل يسوع أن يبقى فى بيت أحد الأصدقاء وأن يخفى ذلك عن الناس، ولكن كما نقرأ القول:« لم يقدر أن يختفى » ، فالاختفاء كان أمراً مستحيلاً بالنسبة له . فكلما حاول إخفاء نفسه ، أصبح معروفاً أكثر من ذى قبل . فمن ذا الذى يستطيع إخفاء شعاع الشمس ؟ فهو كالنور لا يستطيع إلا أن ينير عالم الظلام ، وهو كالطبيب العظيم لا يستطيع أن يمضى دون أن يلحظه أحد فى عالم الألم . وكالزهور التى لا يمكن أن تخفى أريجها ، فكيف يمكن لمن اسمه كدهن مهراق أن يختفى ؟ ، فشذى الزهور والدهن المهراق يكشفان عن نفسيهما .

ومع أن يسوع رحل نحو تخوم صور وصيدون ، إلا أننا لا نقرأ أنه دخل بالفعل إلى هذا الإقليم شبه الوثنى . يقول ترنش : «ليس هناك سبب يجعلنا نعتقد أن يسوع خلال خدمته على الأرض قد ذهب إلى أى مكان خارج حدود الأرض المقدسة» ، فقد تحدث منذ مدة وجيزة عن صور وصيداء باعتبارهما من الأماكن القاسية والمتحجرة بنوع خاص (مت ١١ : ٢١) ، ولكن امرأة من تلك المنطقة الوثنية - بعيدة عن عهود الموعد - كانت لتنعش روحه المحزونة. إن خدمته جعلته محصوراً فى نطاق داخل حدود أرض إسرائيل ، ومع ذلك فهنا يذهب إلى تخوم صور وصيداء لأداء عمل من أعمال الرحمة تجاه امرأة خارج الأرض المقدسة . وعندما أرسل الاثنى عشر ، كانت وصيته لهم «ألا يمضوا فى طريق الأمميين» ، ومع ذلك فقد اتجه هو فى هذا الاتجاه . لم يحن الوقت بعد للذهاب إلى العالم أجمع .

أما عن المعجزة نفسها فيقول كامبل مورجان : «إنها من أحلى وأمتع القصص جميعاً، فقلب الأم يذهب إلى يسوع بإيمان واثق غير متزعزع وهو يبثه حاجة ابنتها الملحة» ، والقصة تدور حول الجنس الفينيقى السورى وديانته ومنطقه وقبوله وسعة حيلته ومكافأته. ففى الحقيقة كانت هناك امرأتان فينيقيتان سوريتان حدثت معهما معجزات - المرأة التى نحن بصددها والمرأة الأخرى فى العهد القديم والتى ساعدها النبى عندما أرسل إلى صرفة التى لصيدون (١ مل ١٧ : ٢٤ ، لو ٤ : ٢٦) . وكلاهما فينيقيتان سوريتان لأن فينيقيا كانت تعتبر جزءاً من سوريا .وبالإشارة إلى الفينقية السورية التى جاءت ليسوع ، قيل عنها إنها امرأة كنعانية بمعنى أنها باعتبارها من النسل الأصلى للكنعانيين كانت أممية .. والأمة التى كانت تمثلها قد صدر ضدها العقاب الإلهى وارتفع ذنبها إلى عنان السماء يطالب بالانتقام وحلَّ عليها العقاب . لقد جاءت من النسل الملعون الذى حكم الله بتحريمه ، (تث ٧ : ٢). ولكن تم الإبقاء على بعض فروعه بينما كان يجب القضاء على جميع الفروع . وكفينيقية ، كانت تعبد الإلهة الأم العظيمة « عشتاروث» أو «عشتار» أو« ملكة السماء» ، الواهبة الحياة للنبات والحيوان والإنسان .إن هذه الإلهة كان من المفروض أن تعطي لأتباعها كل شئ طيب ،وقد سمحت لهم بممارسة كل أنواع الشر ، ومع ذلك فمن مثل هذا البلد السيئ السمعة والمشهور بالخطية جاءت هذه المرأة ليسوع ، وهى مدركة بعدم استحقاقها الشخصى ، طالبة الرحمة الإلهية لنفسها ولابنتها التى بها روح نجس .

وقد أشير إليها أيضاً بأنها«يونانية» وهذا يعنى أنها«أممية»، لقد كانت وثنية ، وربما كانت المثال الوحيد لأممية باركها الرب بالجسد بنفسه . وهناك شخص أممى آخر ، وهو قائد المئة من كفر ناحوم ، مدَّ إليه يسوع يد المساعدة ، ولكنه كان من الواضح أنه كان قد اعتنق الديانة اليهودية عندما تقابل مع يسوع ليشفى غلامه . كانت المرأة الفينيقية كزهرة فى صحراء معزولة انجذبت إلى يسوع بحلاوة شخصيته والمعجزات التى صنعها .

وسبب اقترابها من يسوع هو محنة ابنتها التى كان بها روح نجس ، والتى كانت كما يقول متى «مجنونة جداً» ، واللغة المستخدمة توحى بأنه كان بها شيطان . ونحن لا نجد أى ذكر لأى مرض جسدى أو صرع أو أي اضطرابات جسدية أو عقلية أخرى شائعة لدى من تتقمصهم الأرواح الشريرة والذين يعانون من درجات متفاوته من البؤس . لقد دخل أحد جنود الشيطان الساقطين فى جسد هذه الفتاة ونتج عن ذلك عجزها الكامل ، وهى حالة كانت أمها القلقة عاجزة إزاءها عن عمل أى شئ يخفف من ألمها ، فلما

تقابلت مع الطبيب الأعظم قدمت التماسها «ارحمنى ياسيد يا ابن داود ، ابنتى مجنونة جداً » .

من المرجح أن هذه الأم الحـزينة كـانت أرملة ، ولذلك كـانت متلهفـة لمساعدة طفلتـها. وبمخاطبة يسـوع «كالرب» أظهرت احترامها له كالكائن العظيم السامى ، وأن تلقبه «ابن داود» فمعنى ذلك أنها رأت فيه نبى الناصرة ، الذى يذهب إلى ما بعد حدود الجليل . إن هذه العبارة المحورية فى صرختها المزعجة تدعو فيها يسوع كمسيا إسرائيل ليساعدها . وفى ندائها وتوسلها القلبى كشفت عن عاطفتها تجاه ابنتها المحزونة والعزيزة على قلبها . هل من الممكن أن تكون خطيتها قد جلبت على طفلتها هذا البلاء أم أنها توحدت مع حاجة ابنتها ، مما يعنى أن إنقاذ ابنتها كان يعنى رحمة لها ؟إن هذا ثابت فى أن نداءها الذى يحوى عبارة « أعنّى » كان مرتبطاً بتقديم المعونة لابنتها ، وكان إتماماً للناموس الملوكى بأن نحمل أثقال بعضنا البعض . وهنا قد جعلت بؤس ابنتها بؤساً لها . فكما لو أن هناك نفساً واحدة واهتماماً واحداً يربط بينهما . فالاثنتان كانتا مرتبطتين بحب معاً ، ويسوع كان هو الشخص القادر على أن يبارك كلاً من الأم والابنة على حد سواء .

ولكن يبدو أن يسوع قد استقبلها استقبالاً فاتراً عندما أتت إليه فى حاجة ملحّة «فلم يجبها بكلمة» . هل يمكن أن يكون هذا هو المعين والشافى العطوف الذى طالما سمعت عنه والذى على الرغم من أنه كان يعلم احتياجات الآخرين (يو ٥ : ٦) قد تخلى عنها ؟ لكَم أزعجها هذا الموقف من ذلك الشخص الرحيم . وهذا الاستقبال الغريب كان أبعد ما يكون عن الصلاح اللامتناهى الذى سمعت عنه والقوات التى من المرجح ان تكون قد شهدتها . « فالكلمة » لم يكن لديه كلمة لقلبها المتألم . لقد صمَّ أذنيه عن سماع توسلاتها ، ولكنه لم يفعل ذلك بالنسبة لمن جاءوا إليه من تخوم صور وصيدون (لو ٦ : ١٧). هل يمكن أن يكون المسيح مثل آلهتها الكنعانية التى لا تبالى بآلام البشر ؟ أين ذهب عونه الآن « كزوج للأرملة وأب لليتيم ؟ ». إن مرضاه والمتوسلين إليه كانوا عادة يشفون بكلمة واحدة أو كانوا ينالون الشفاء بعبارة واحدة أو سؤال، فلم الصمت المطبق حيالها ؟ نعم ، كان عليها أن تعرف أن وراء محياه العبوس ، فإنه يخفى وجهاً مبتسماً .

ولأنه كـان العليم بكل شئ ، فـقـد علم كل شئ عن المرأة الكنعانية، والسبب الذى جاءت لأجله ، تماماً كما علم أن «تلاميذه كانوا معذبين فى الجذف» ، على الرغم من أنه لم يكن معهم . وكالطبيب الماهر فقد توافق مع حاجة كل شخص . لقد كان يعرف كل شئ عن إيمان إبراهيم قبل أن يمتحنه امتحاناً قاسياً ، وكان يعلم بالمثل عن قوة إيمان هذه المرأة قبل أن يمتحنه على الشاطئ الكنعانى . وكان يبدو أنه بعد مواجهة طلبة المرأة بالصمت فإنه قام وغادر البيت . فإذا كان الحال هكذا ، فإن إيمانها لم يتزعزع لأنها تبعته بتوسلاتها الكثيرة حتى تضايق تلاميذه من لجاجتها وإلحاحها ، وكلما ازداد رفض المسيح لتوسلاتها ، اقتربت منه أكثر وأخذت تطرق بشدة على بابه .

ورجاء الاثنى عشر للمسيح لكى يتخلص من المرأة يكشف أنهم قد تعبوا من توسلاتها المستمرة اللحوحة وهى تصيح وراءهم . «اصرفها» ، اعطها ما تريد واصرفها بسبب لجاجتها . ولكن يسوع لم يستجب لتلاميذه وفقاً لرغبتهم بأكثر مما استجاب للمرأة وفقاً لرغبتها ،« إنه يؤخر الاستجابة بدافع الرحمة الإلهية والنعمة المتزايدة التى قصد أن يباركها بها » ، إن ما قاله المسيح كان يبدو أنه يغلق باب الأمل نهائياً فى وجه طلبة المرأة « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (انظر مت ١٠ : ٥ و ٦) .

وقد كان ذلك بالفعل الهدف من إرساليته فى تلك الفترة «كخادم الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء » (رو ١٥ : ٨) . وهكذا ، فكأممية ، لم يكن للمرأة أى حقوق لدى يسوع من أى نوع.

يبدو لأول وهلة أن هناك تناقضاً حيث أنه قد جاء كالنسل الموعود به ، والذى فيه تتبارك جميع الأمم وليس أمة واحدة (مز ٧٢: ١١ ، لو ٢ : ٣٢ ، رو ١٥ : ٩ - ١٢) . ثم ألم يعلن هو أن خرافاً أخر ، ليست من حظيرة اليهود ، لابد أن تأتى إليه (يو ١٠ : ١٦) ؟ ألم يأت ويموت كمخلّص للعالم ؟ لابد أن هناك غرضاً لذلك فى اقتصار خدمته على اليهودية فقط . يقول أوغسطينوس:

«نفهم من ذلك أنه يليق به أن يظهر تجسده ويعلن عن حقه ويجرى معجزاته ويبين قوة قيامته لذلك الشعب - شعب إسرائيل». ويعبر جيروم عن ذلك بالقول :« لقد كان يستبقى الخلاص الكامل للأمميين بصلبه وقيامته »، وهكذا فقد كانت خدمته محلية حتى تصبح عالمية . إن الغرض النهائى من إنجيله ،كما نعلم من آخر وصية له، أن يذهب أتباعه إلى العالم أجمع ويبشروا بذلك الإنجيل الذى أصبح متاحاً بعد موته وقيامته . فالأهداف عظيمة وحكيمة وبارة ، اقتصرت خدمته الشخصية على اليهودية حيث أجريت أغلب معجزاته ، وألقيت أحاديثه الثمينة ، والحالات المتناثرة هنا وهناك والخاصة بالأمميين الذين نهلوا من صلاحه كانوا باكورة ورواداً للمستقبل العظيم لانسكاب الروح على كل بشر من يهود وأمم على حد سواء. فمنذ يوم الخمسين وحتى الآن فإن ذلك النسيج السرى الذى يعرف باسم « كنيسة الله الحى » يتكون من اليهود والأمم الذين تجددوا بقوته . فكرنيليوس والمرأة الفينيقية السورية يمثلان العهد الحالى ، عهد النعمة (رو ١١ : ١١) . لقد كانا بمثابة القطرات الأولى للغيث المبارك الذى كان ليغمر كل الأرض فيما بعد» (يو ١٢ : ٣٠ - ٣٢)

والجزء التالى من القصة بالغ الأثر .. بعد أن سمعت المرأة ما قاله يسوع لتلاميذه عن محدودية خدمته وأن البنين - اليهود - يجب أن يشبعوا أولاً ، اقتربت من يسوع وسجدت له قائلة : « ياسيد أعنِّى »، فمع تجدد طلبتها الحماسية ، كان هناك السجود. كان المسيح قبل هذه اللحظة يتكلم مع تلاميذه، والآن هو يكلم المرأة بكلمات تعنى « أنت لست من إسرائيل ، وإنى مرسل إليها . لقد أتيت لأعطى الخبز للبنين وأنتِ خارج دائرة العائلة» ، لابد من الإشارة إلى استعمال ربنا يسوع لكلمتى « البنين » و«الكلاب»،طبعاً يقصد بكلمة « بنين » اليهود « بنو الملكوت » (مت ٨ : ٢) ، بينما « الكلاب » رمز للأمم كدليل على النجاسة وكتعبير يستخدمه اليهود للدلالة على اعتزازهم بقوميتهم وأنهم أسمى من جميع الأمم . إن يسوع لم يدعو «الأمم» كلاباً ، بل طبق فقط المبدأ المعمول به فى عصره على الحالة الماثلة أمامه ، فقد كان اليهود يطلقون لفظ « كلاب » على الأمم ، « ومن هو عبدك الكلب حتى يفعل هذا الأمر ؟ » (٢ مل ٨ : ١٣) .

ومن الطريف أن نلاحظ أن الكلمة التى استخدمها يسوع للتعبير عن كلمة « كلاب » لفظ مخفف يعنى «الكلاب الصغيرة» ، ويقترح ليدلو أن الكلمة لا تدل على الكلاب الكبيرة البرية والتى كانت تتجول فى المدن الشرقية، بل الكلاب المنزلية الأليفة التى جلبها الرومان . لقد كانت كلمة للتصغير استخدمها يسوع فى وصفه لعائلة تجلس حول مائدة الطعام والكلاب الصغيرة تجلس تحت المائدة طلباً لكسرة خبز. إن يسوع لم يقصد أن يصف المرأة بهذا الوصف ، لقد كان يردد فقط ما يجول فى خاطر تلاميذه .

ومع ذلك لم يتطرق اليأس إلى المرأة بسبب كلمات يسوع . لقد استنتجت أحلى المعانى من مرارها الظاهر بطريقة منطقية . كان رد يسوع كاف لكى يثبط عزيمة أى إنسان آخر، ولكن هذه المرأة التى كان إيمانها بيسوع راسخاً ، وكانت محبتها لابنتها التى بها شيطان قوية حتى إنها حولت رفض يسوع لها لأن تصبح أكثر اقتراباً منه بثقة أكبر . لقد حولت الرفض إلى استمالة .

لم يكن فى رد المرأة سعة حيلة فقط بل إدراك لما فى قلب يسوع الذى من المرجح أنه أتاح لها الفرصة - عن عمد وعن حب - ليحوِّل الرفض الظاهر إلى قبول مستتر . وهاك الكلمات :« نعم يا سيد . والكلاب أيضاً تحت المائدة تأكل من فتات البنين» ، إنها لم تفعل كما فعل نعمان السريانى وتنصرف غاضبة، ولكنها تمسكت بالصيغة التى خففت من وقع كلمة الاحتقار لكى تحصل على الامتياز المتضمن فيها . لقد اعترفت أنها هى وشعبها كانوا «كلاباً» ، ومن الغرباء تماماً ، ولذلك ليس لهم أحقية فى شئ . إن إحساسها بعدم جدارتها كان متغلغلاً فيها ، ولكن حتى الكلاب تحصل على الفتات ، وما كانت تبحث عنه لا يجعل الآخرين فقراء ولكنه يثريها. إنها لم تطلب أن يحرم الأطفال من أى نصيب لحقٍّ مشروع ، ولكنها اتخذت مكانها وسط الكلاب وهى راضية وقانعة . إنها اعترفت بيسوع كسيد لها وطلبت « فتات » رحمته . واستخدمت نفس الكلمة التى استخدمها ، وطالبت« بالفتات»

لابنتها الصغيرة .

لقد التقطت آذانها كلمة « نعم » وسط النبرات المرتفعة لكلمة « لا » ، ولم تدخل فى جدل مع يسوع . إنها لم تطالبه بتغيير اتجاهه ، لقد قبلت وجهة نظره واعترفت بأنها أممية، ولذلك يجب أن يطلق عليها لفظ « الكلاب » ولكن حتى وإن كانت كذلك فلا يصح أن تحرم من الطعام . إنها لم تطالب بمركز الابنة ، ولكن إن كانت فى وضع الكلاب فكل ما كانت تطلبه هو طعام الكلاب أى الفتات . ولما اعتبرت نفسها من «الكلاب» فقد حُسبت بالإيمان ابنة له (غل ٣ : ٢٦) . كان منطقها صحيحاً وقد انتصر .

فعلى الرغم من كونها خارج دائرة الشعب المختار ، فقد كانت لديها ثقة أن قلب الله به متسع للجميع وأن صلاحه يمتد لأحط خلائقه . يقول مكليم MickIam :« إن يسوع فى النهاية استسلم للمرأة ، ليس فقط بسبب إيمانها العظيم بل أيضاً لأنه سرَّ من بديهتها الحاضرة ».

وكانت مكافأتها مزدوجة ، لقد امتدحت لإيمانها العظيم وحصلت على الشفاء لابنتها . كان رد المسيح مؤيداً لجسارة المرأة وتكريماً لإيمانها الذى كان مصحوباً بإصرارها وانكسار قلبها، فنالت سؤل قلبها .

«فالصلوات الحقيقية لا يمكن أبداً أن تجعل صاحبها يرجع لبيته خاوى الوفاض حزيناً وباكياً » . لقد استمرت تطرق على الباب حتى فُتح لها . وإذا كنا لنتعلم شيئاً من موقفها ، فإننا نتعلم اللجاجة فى الصلاة والمواظبة عليها . دعنا نتأمل فى مدح يسوع لإيمانها ، وكما فى حالة قائد المئة ، فقد وجد إيماناً لم يجده فى كل إسرائيل.

ومع أنه فى البداية كان يبدو موقفها يائساً وأنها سوف تحرم من أى نعمة ، إلا أنه الآن قد فتح لها كنز النعمة الإلهية ، فعن طريق وقوفها فى الصفوف الأخيرة ، فإيمانها بالمسيح قد أكسبها أجمل الثناء من فم المسيح . يقول سبرجون :« لقد امتحن إيمانها بصمته وبردوده الباعثة على اليأس حتى يرى قوة إيمانها، ولكنه سُر به وأيده سراً ، وعندما امتحنه بما فيه الكفاية ، أعلن أنه كالذهب ووضع عليه خاتمه الملكى بهذه الكلمات التى لا تنسى:« يا امرأة عظيم إيمانك . ليكن لك كما تريدين ». لم يكن إيمانها يستند سوى على ما سمعته من المسيح وشاهدته من آياته ، ومع ذلك فقد كان هذا فيه الكفاية ، مع أنها كانت وثنية ، لتطلب الشفاء من المسيح ... إن إيمانها بالمسيح الذى لم يرق لمصافه أحد ، قد أثبت أن صلة الدم وحدها لا تكفى لإثبات النسل الحقيقى لإبراهيم ، بل الإيمان وأنه بنجاحها فى الامتحان ، قد صارت الابنة الروحية لإبراهيم: « وإن كانت أممية فى الجنسية، فهى إسرائيلية الاتجاه ولذلك فقد بوركت ». إن قوة إيمانها تظهر فى أنها لم تتغلب على العائق المادى كما فى حالة المفلوج أو كما فى حالة بارتيماوس الذى مكَّنه إيمانه من التغلب على المعوقات التى فى طريقه ، بل المعوقات التى يبدو أن المسيح قد وضعها بنفسه أمامها .

أما فيما يختص بالعنصر المعجزى بشأن ابنتها المريضة ، فقد قال لها يسوع :« ليكن لك كما تريدين». والتى كانت كلمته الأخيرة دائماً . فكما لو كان هو ، رب المجد « قد استسلم بكامل إرادته للأذرع المقتدرة لإيمان امرأة» ، قالت مريم عند بشارة الملاك لها: « ليكن لى كقولك ». نحن لا نعرف الطريقة التى حدثت بها المعجزة ، والمريضة لم يؤت بها للمسيح حتى تشفى ، إنها معجزة أخرى من معجزات الشفاء عن بعد . لقد أراد المسيح شفاء الفتاة وقد حدث ذلك . يقول مكليم : « إنه ربما حدث الشفاء من قبل عندما قدمت المرأة أول التماس لها ودون علم منها ، استمر يسوع يخاطبها لأنه كان مهتماً بها وقد استمتع ببراعة إجابتها » ، ولكن من الواضح أن المرأة آمنت أن القرب أو البعد لا تأثير لأى منهما على قوة المسيح على شفاء ابنتها ، ولذلك فقد ذهبت لبيتها وهى تثق ثقة تامة أن تجد ابنتها المحبوبة قد شفيت وهى تستريح بعد الاضطراب الذى كان يحل داخلها . يقول ترنش : «إنها قدمت فى إيمانها قناة للاتصال بين ابنتها البعيدة والمسيح » .

فعن طريق إحدى يدى الإيمان أمسكت بالمسيح المذخر فيه كل كنوز الشفاء وأمسكت باليد الأخرى بابنتها المتألمة ، وهى نفسها كانت موصلاً صالحاً سرت فيه قوة المسيح ، كشرارة كهربائية منه إلى موضوع حبها .

كانت المرأة الفينقية السورية من « الخراف الأخر » وليست من حظيرة اليهود والتى قال المسيح إنه سوف يأتى بها . ومن المرجح أنها كانت أول من تجدد من الوثنية ، وما نعرفه بالتأكيد أنه مع إخراج الشيطان من ابنتها ، قد حل روح الله فى قلبها . لقد جاءت إلى المسيح متضرعة . وذهبت إلى موطنها مرسلة .والكنيسة التى بدأت فى صور أخذت فى الاتساع والامتداد فى كل اتجاه فيما بعد. ويمكن تلخيص الدروس التى نتعلمها من المعجزة فيما يلى :

« إن سر البركة تجده عند قدمى ذاك الذى لا نستحق منه شيئاً ، فحيث أننا مولودون بالخطية الموروثة ونحن مدانون شخصياً بارتكابها ، فلا نستحق سوى الدينونة والعقاب الإلهى . و لكن إذا اعترفنا باتضاع بذنبنا وحاجتنا على أساس ما عمله الله لأجلنا، فهو سيعفو عنا ويسامحنا بالتمام .

درس آخر يتعلق بمكافأة الإيمان المثابر ، الإيمان الذى يحول اليأس إلى يقين الرجاء ، الإيمان الذى تغلب على كل العقبات كالصمت والحرمان والتوبيخ العلنى، الإيمان باستعداد المسيح وقدرته على الوفاء بكل احتياجاتنا ، « وهذه هى الغلبة التى تغلب بها العالم إيماننا » .

(٢٩) معجزة شفاء الأصم والأعقد من العشر مدن

(مر ٧ : ٣١ - ٣٧)

إن مرقس البشير هو الوحيد الذى يسجل هذه المعجزة ، يخبرنا أن يسوع ، بعد رحلته الخاصة إلى صور وصيداء لشفاء ابنة المرأة الفينيقية السورية جاء إلى حدود المدن العشر التى كانت تتكون من عشر مدن التى قد منحت امتيازات خاصة من قبل الرومان الغزاة قبل ذلك بقرن من الزمان . وقد وجد المسيح هنا كما فى كل مكان آخر ، حاجة متزايدة لكى يمارس نفوذه الإلهى وأعمال رحمته . يخبرنا متى أنه عندما عاد يسوع من صور وصيداء ، جاءت الجموع ومعهم مرضاهم حتى ينالوا الشفاء - عرج وعمى وخرس وشلّ وآخرون كثيرون فشفاهم (١٥ : ٣٠) .ويختار مرقس المريض الذى نحن بصدده على الأرجح بسبب الأحداث المرتبطة بالمعجزة التى لم تحدث فى أى مناسبة أخرى .

أما بخصوص مرض الرجل الذى نحن بصدده ، فقد قيل لنا إنه كان « أصماً أعقد » (كان يعانى من صعوبة فى الكلام) فإن لم يكن أصمٌ أخرس بالتمام فهو على الأقل كان غير قادر على التفوه بألفاظ واضحة .أولاً، لقد كان الرجل أصمٌ - وياله من بلاء عظيم ! يقول الأسقف هورسلى :« من بين كل المعوقات الطبيعية ، فالصمم يبدو أكثرها مأساوية ، لأنه يعزل المريض البائس عن المجتمع »، فمع أن الرجل كان مبصراً ، إلا أنه كان محروماً من صحبة الآخرين ، لأنه فى تلك الأيام القديمة لم تكن عندهم الوسائل السمعية المعينة التى تستعمل فى عصرنا الحديث . ومن الواضح أن الرجل لم يكن مولوداً وهو أصمٌ ، فلو كان مولوداً هكذا، لما أمكنه الحديث على الإطلاق . والكتاب لا يقول لنا كيف فقدَ سمْعه . ومن المرجح أن ذلك كان بسبب مرض أو حادث مما جعله يعيش فى صمت وعزلة فى سكون تام .

وقد وصف أيضاً بأنه كان يعانى من إعاقة فى النطق . لأنه لم يذكر أنه كان أخرس تماماً، وبعد أن لمسه المسيح استطاع أن يتكلم، «مستقيماً». من الواضح أن الرجل كان غير قادر على التفوه بألفاظ واضحة مفهومة . يقول ترنش : «إن حالته كانت تختلف عن ذلك الرجل الأخرس المذكور فى مت ٩ : ٣٢ ، لأنه بينما كانت مشكلة ذلك الرجل ترجع مباشرة وبصورة واضحة لمصدر روحى ، إلا أنه لا يذكر شئ عن ذلك هنا » ، والكلمة التى يستعملها مرقس للتعبير عن الإعاقة تحل محل الكلمة «أخرس» فى الطبعة اليونانية لما جاء فى إش ٣٥ : ٦ ، والتى ربما كانت النبوة فى مخيلته آنئذ. إن لسان الشخص الأخرس كان ينظر إليه فى المعتقدات الشعبية القديمة باعتباره مربوطاً من قِبل شيطان . يا لها من صورة معبرة هنا عن حالة الخاطئ الأخلاقية والروحية نتيجة للسقوط ! فلم يعد الإنسان يستمع لله بداية من جنة عدن ، ومنذ ذلك اليوم المشئوم ، فهو يستمع لكل الأصوات ماعدا صوت الله « لو سمع لى شعبى » (مز ٨١ : ١٣ ، عب ٢ : ١ - ٣) . إن لسان الشخص غير المتجدد بعيد عن الله كأذنه ، وحتى الخاطئ الأكثر تعليماً وثقافة يظهر إعاقة فى حديثه بمجرد تقديم الحقائق الروحية .

والوسائل التى استخدمها السيد لشفاء هذا «الأصم الأعقد»،

كانت فريدة . فلم تكن وسائل يمكن بها إجراء الشفاء بقدر ما كانت آيات قصد منها أن يفسر لذهن المريض كيف يمكن للشفاء أن يحدث . فاللمسات التصويرية التى يقدمها لنا مرقس تكشف لنا عن إجراءات متنوعة تميز معجزات المسيح ، فلم تكن وسائله التى يستخدمها تسير على نمط واحد . فبعض المرضى تم شفاؤهم وسط الجموع ، وشفى آخرون وحدهم، وشفى بعض الناس بكلمة أو بلمسة أو بالبصاق أو بالطين . وقد شفى بعضهم من على بعد، وشفى آخرون عن قرب . إحدى طرق الشفاء كانت فورية بينما شفى آخر تدريجياً. وبسبب حكمته وعلمه بكل شئ فهو يعمل بالوسيلة التى يراها أفضل الوسائل .

وفى هذه الحالة التى نحن بصددها أخذ يسوع الرجل من بين الجمع على ناحية ، من المرجح أنه كان يرغب فى السرية وليمنع حدوث إثارة وأيضاً ليتلافى أى تقليد غير مقدس لمعجزة الشفاء (٧ : ٣٣) ، وبعيداً عن صخب الجماهير ومقاطعاتها فى عزلة وصمت ، فإن حس المريض يكون مرهفاً . لقد أراد يسوع أن يحيى فى الرجل نفسه رجاء واثقاً ، مع إيمان وطيد بأنه سوف يشفى . وبالطبع فإن أخذ الرجل من بين الجمع ، يعنى ذلك توبيخ موقف الكثيرين الذين يبحثون دائماً عن آية ، والذين كانوا يسمحون للمعجزة الخارجية أن تحجب معجزة النعمة الأفضل والأمجد والتى كان يسعد المسيح أن يجريها . وبالنسبة لنا فالتطبيق واضح ، فجيد لنا أن نكون وحدنا فى الحضرة الإلهية ، بعيداً عن ضجيج العالم الصاخب الذى يعوق أى اتصال أو تأمل روحى . ففى سكون الحضور الإلهى فقط نعرف خطيتنا وذنبنا وحاجتنا الماسة للنعمة الإلهية المتفاضلة .

وبعد أن أبعد يسوع الرجل عن الجموع ، فأول شئ فعله أنه وضع أصابعه فى أذنى الأصمّ . ومثل هذا العمل الرمزى طريقة للتعبير للأصم وتحيى فى نفسه الثقة وتوقظ فيه الرجاء الحى فى الشفاء . ولأنه لم يكن يستطيع أن يسمع شيئاً ، فكان لابد له من شئ من التشجيع ، بلمسة ، «ويوضع أصابع المسيح فى أذنيه ، فكأنه بذلك يتخطى العقبات التى حجبت الأصوات من الوصول لمركز السمع» ، ويقول ترنش أيضاً :« هذا هو أساس المشكلة ، فالرجل لم يكن يتكلم مستقيماً لأنه لم يكن يسمع ، ولذلك وجبت إزالة هذا العيب أولاً». ثم يقول النص بعد ذلك إن يسوع «تفل»، كانت هناك فكرة شائعة أن اللعاب له خصائص طبية . وفى هذه الحالة وحالة الرجل الأعمى عند بركة بيت حسدا (مر ٨ : ٢٢ - ٢٦) نرى الحالات الوحيدة فى الأناجيل الثلاثة الأوائل والتى نجد فيها صورة ليسوع يستخدم وسائل طبية شائعة لشفاء أحد الأمراض. يكتب « وارك Waracck » عن العقائد والممارسات الشائعة بين البتاك Battacks قائلاً : «كان اللعاب عندهم له خاصية طبية لأنه يحتوى على قوة النفس حسبما كانوا يعتقدون ، وكانوا كثيراً ما يضعونه على المرضى . والذين يقدمون الذبائح كانوا يتفلون على التقدمة ليضيفوا إليها جزءاً من أنفسهم . ولم يكن يسمح للعاب المبصوق أن يقع فى أيدى العدو » .

وبوضع البصاق على إصبعه لمس يسوع اللسان الذى يستطيع وحده أن يحرره من القيود التى كبلته(انظر يو ٩ : ٦) . لقد استخدم يسوع لعابه ليس لأى خاصية طبية يمكن أن ينطوى عليها ولكن كرمز مناسب للقوة المعجزية الكامنة فيه والتى تخرج منه . يقول مكليم : إن هذه الأعمال التى قام بها المسيح « تذكرنا جيداً بأن المشهد الحقيقى الذى أمامنا كان بشرياً ولم يكن للسحر دخل فيه » .

ثم « رفع يسوع نظره نحو السماء »، وهى علامة للأصمّ على مصدر قوة المسيح على الشفاء ، وهى إقرار واعتراف على وحدانيته مع الآب وأنه يفعل فقط الأشياء التى رأى الآب أن يعملها (مت ١٤ : ١٩ ، يو ٥ : ١٩ و ٢٠ ، ١١ : ٤١ و ٤٢) . وهناك اقتراح أيضاً بأنه ربما صلى لأجل المعجزة الواجب إجراؤها (يو ١١ : ٤١) ، ومع النظرة كان هناك تأوه لأنه « أنّ » ، ومثل هذه التنهيدة ، لها مقابل فى «الانزعاج بالروح» ، والدموع التى يتحدث عنها يوحنا (١١ : ٣٣ و ٣٥ و ٣٨) . لقد كان يتشابه حزن عاطفى أمام المناظر المؤلمة . وهو كرجل الأوجاع ومختبر الحزن ، والوحدة ، فإن هذا المخلوق المسكين العاجز أمامه كان بمثابة «برهان ساطع على حقد الشيطان بتشويه خليقة الله الحسنة ، وهذا ما انتزع الأنين من قلبه» ، إن المشهد يضع أمامنا المخلّص يقف وحده فى

مواجهة الخطايا والآلام التي يعانى منها الجنس البشرى الهالك ، وكيف أن عطفه العميق كان نابعاً من اتحاده السامى مع الله .

ومن الملامح المميزة لمرقس كمؤرخ ماتراه في تسجيل نفس الكلمة في اللغة الآرامية الدارجة التي استخدمها يسوع للتعبير عن عواطفه وانفعالاته «افثا» بمعنى « انفتح »، إن مرقس لم يكن فقط شاهد عيان على المعجزة ، بل شاهداً أيضاً على ما قيل ، ولذا فهو يقدم لنا الكلمات الحقيقية التي استخدمها المسيح (انظر ٥ : ٤١) . فنظرة إلى السماء ، وأنَّ ثم كلمه وتم إجراء المعجزة ، هذا هو عمل القوة الإلهى لأن الرجل سمع ثم تكلم بوضوح . أولاً ، تم استعادته لأعضاء السمع ثم « انحل رباط لسانه وتكلم مستقيماً »، « والرباط » كان هو «القيد» الذى كان يعوق الكلام. كان اليهود حول الرجل يشعرون أن قيود الشيطان قد انفكت وأن عمل الشيطان قد انحلَّ .

وترتيب حدوث الشفاء ذو مغزى، فالحديث المستقيم عاد مباشرة بعد أن انفتحت الأذن . يقول ليدلو إن ذلك هو الترتيب الطبيعى لأن «استقبال الأصوات الواضحة عن طريق الأذن وعملها فى المخ يحرك ويدرب وظائف الكلام . فعندما نتأمل فى العلاقة بين الصوت والكلام فى ميكانيكية الحواس والمخ يمكن فقط أن نقدِّر طبيعة المعجزة المذهلة التي أجريت ، فقد تم الاتصال بين كل ما يتعلق بتأسيس علاقة بين مراكز السمع والكلام فى لحظة واحدة»، وفى الجانب الروحى يحدث نفس الشئ ، لأن الأذن يجب أن تنفتح لتقبل التعليم الإلهى قبل أن يتمكن اللسان من التحدث لكى يقدم لله حمداً «آمنت لذلك تكلمت»(رو١٠:١٧ ، ٢ كو٤:١٣). فعندما نقبل فى قلوبنا عن طريق الأذن إنجيل المحبة والنعمة التي افتدتنا ، يسرنا أن نتحدث عن معجزات النعمة الإلهية لكل الذين حولنا .

أما فيما يتعلق بنتيجة المعجزة ، فقد حث يسوع أولئك الذين علموا بها ألا يقولوا لأحد عنها ، « ولكن على قدر ما أوصاهم كانوا ينادون أكثر كثيراً »، عاد يسوع إلى المنطقة التي حاول الناس فيها أن يجعلوه ملكاً ، ولذا فقد حذر الناس أن يصمتوا ويتحاشوا إعلان المعجزة على الملأ . ولكن طلب المسيح عدم إذاعة المعجزة ، ثم تجاهله لأن رغبة يسوع فى عدم حدوث أى إثارة شعبية مبنية على مجرد التعجب وحب الاستطلاع كان يقابلها من الجانب الآخر حماس صادق من جانب أصدقاء الرجل الذى شفى حديثاً . لم يكن يسوع يرغب فى أى شعبية رخيصة . وقد صاح الجمهور الذى علم أن يسوع قد جعل الصم يسمعون والخرس يتكلمون قائلين : «إنه عمل كل شئ حسناً»، أى «جميلاً»، بحسب معنى الكلمة الأخيرة. فإذا كانت كلمة المسيح «انفتح» ، تذكرنا بعمل الخالق فى الخلق ، فإن صيحة الناس القائلة « إنه عمل كل شئ حسناً» ، تذكرنا بامتداح عمل الله فى الخلق (تك ١ : ٣١) .

يقول متى فى وصفه الشامل لما حدث عند هذا المنعطف من خدمة الرب : « مجدوا إله إسرائيل ». إن عدداً كبيراً من الناس فى تلك المناطق شبه الوثنية من العشر مدن الذين شهدوا معجزات يسوع كانوا وثنيين ، والذين إذ نظروا قوته المعجزية ، اعترفوا أن الذى اختار شعب إسرائيل ليكونوا شعباً خاصاً له هو الإله الذى يسمو على كل الآلهة .

(٣٠) معجزة إطعام الأربعة آلاف

(مت ١٥ : ٣٠ - ٣٨ ، مر ٨ : ١ - ٩)

نجد هنا مثلاً آخر لما تدعوه هابرشن « المعجزة المزدوجة »، وقد كتبنا كثيراً مما له علاقة بإطعام الخمسة آلاف والتي حدثت على الأرجح فى مكان لا يبعد كثيراً عن نفس المكان الذى شهد المعجزة التي نحن بصددها ،حيث يوجد كثيرمن الشبه بما حدث فى إطعام الأربعة آلاف . فالمعجزة الأخيرة موجودة فى إنجيل متى ومرقس فقط بينما المعجزة السابقة مسجلة فى الأربعة أناجيل . وبسبب التشابه الواضح فى المعجزتين ، فإن العصريين يعتبرونهما نسختين مختلفتين لنفس الحدث أو أسطورة كما يقولون . ولكن بينما هناك العديد من أوجه التشابه بين المعجزتين ، إلا أن هناك العديد من الاختلافات بينهما . وقبل التأمل فى المعجزة نفسها ، دعنا نلاحظ نقاط الاختلاف مما يثبت أن هناك معجزتين مختلفتين .

أولاً ، فالمناسبة والبواعث فى كلا المعجزتين مختلفة . وأيضاً

فى معجزة إطعام الخمسة آلاف تحدث التلاميذ أولاً ، بينما فى معجزة إطعام الأربعة آلاف أخذ يسوع زمام المبادرة .وكان الموقع مختلفاً أيضاً . فإطعام الخمسة آلاف حدث عند أول البحيرة بالقرب من المكان الذى يدخل فيه نهر الأردن البحيرة وفى منطقة بيت صيدا، ولكن إطعام الأربعة آلاف تم على الشاطئ الشرقى من البحيرة فى منطقة العشر مدن . وظروف كل معجزة مختلفة عن الأخرى . ففى قصة الـ ٥٠٠٠ ، عبر يسوع البحيرة لينال قسطاً من الراحة ولكن الجماهير تبعته . وبعد المعجزة أرسل يسوع تلاميذه فى قارب ثم جاءت معجزة السير على البحر. ولكن هنا فى معجزة الـ ٤٠٠٠ ، جاء يسوع من منطقة صور وصيداء وليس هناك أى إشارة لأى عاصفة .

وهناك فروق أخرى واضحة - فعلى سبيل المثال فى معجزة إطعام الخمسة آلاف كان يسوع مع الجموع لمدة يوم واحد ، ولكن فى معجزة إطعام الأربعة آلاف كان معهم لمدة ثلاثة أيام . وبينما جاء الخمسة آلاف من المنطقة المجاورة ، جاء كثيرون من الأربعة آلاف « من بعيد » . عندما كان الخمسة آلاف أمام يسوع لم يمتحن التلاميذ كما فعل فى حالة الأربعة آلاف ، ولكنه أعلن ببساطة عن تعاطفه مع الجماهير وعن حاجتهم للطعام وعن نيته فى إشباع هذه الحاجة . وعدد الناس الذين أطعموا بطريقة معجزية يختلف ، فقد كانوا خمسة آلاف فيما عدا النساء والأطفال ، وأربعة آلاف بالنساء والأطفال . وتم إطعام الخمسة آلاف بخمسة أرغفة وسمكتين ، ولكن فى حالة الـ ٤٠٠٠ وهم أقل عدداً كانت المؤونة أكبر سبعة أرغفة وقليل من السمك الصغير ، بما لا يكفى لتقديم وجبة واحدة للاثنى عشر ، ولكن من الواضح أنها كانت تكفى الغرض الذى أراده السيد مع الـ ٥٠٠٠ ، أمرت الجموع أن تجلس بنظام معين على العشب الأخضر ، فقد كان وقتها وقت الزهور ، وبعد عدة أسابيع ، جلس الـ ٤٠٠٠ على الأرض لأن العشب كان قد حرق ، وبلا شك فقد اتبع نفس الترتيب الذى اتبع مع الـ ٥٠٠٠ ، أى ، أن الرجال جلسوا مئات مئات وخمسين خمسين ، وجلس الأطفال والنساء بمعزل عن الرجال .

ثم إن الكلمة المستخدمة للتعبير عن « السلال» مختلفة ، ففى معجزة الـ ٥٠٠٠ ، فالكلمة المستخدمة للتعبير عن السلة ، مشتقة من الكلمة اليونانية (Cophinus) وهى نفس الكلمة المشتقة منها كلمة « تابوت » (Coffin) ، فقد كانت هذه عبارة عن سلال صغيرة لها أيدى ، كان اليهود يحصلون عليها خصيصاً لحمل الطعام الطاهر وفقاً للطقس اللاوى أثناء السفر فى السامرة أو المناطق الوثنية الأخرى . والكلمة المستخدمة فى معجزة الـ ٤٠٠٠ تعنى سلة تموين كبيرة أو قفة (سلة كبيرة) من النوع الذى استخدم لإنزال بولس من السور فى دمشق (أع ٩ : ٢٥) . وقد احتاج التلاميذ لاثنى عشر من السلال الصغيرة لجمع الكسر فى حالة الـ ٥٠٠٠ ، وسبع من السلال الكبيرة لجمع الكسر فى حالة الـ ٤٠٠٠ . وفى كلتا الحالتين كان يجب عدم ترك أى شئ على الرغم من إشباع حاجة الناس بطريقة معجزية ، وفى حين أن التأملات السابقة كافية فى حد ذاتها لإثبات أن المعجزتين مختلفتان تماماً ، ولكن أى شك محتمل فيما يتعلق بالموضوع يمكن إزالته على أساس أن الرب يسوع قد ذكر معجزتين مختلفتين وأنه أشار لكل معجزة بكلمة مميزة خاصة بكل معجزة (اقرأ وقارن مت ١٦ : ٩ و ١٠ ، مر ٨ : ١٩ - ٢١) . وبعض الكتّاب يقولون إن تكرار المعجزة رمزى أو نبوى أى أن المسيح قد أظهر نفسه كخبز الحياة مرتين - لليهود أولاً وأيضاً للأمم . ومع ذلك فمن الأفضل أن نرى فى تكرار المعجزة ورواية الحادثتين معاً إلزاماً مزدوجاً لنا بوجوب عدم نسيان مراحم الرب «أحتى الآن لا تفهمون ولا تذكرون » (مت ١٦ : ٩).

وإذ ننتقل الآن إلى التأمل بنوع خاص فى معجزة إطعام الـ ٤٠٠٠ ، فإننا نلاحظ الجوانب الآتية : تبع يسوع جمهور كبير من الأمم من منطقة العشر مدن إلى مكان صحراوى ، وإذ جذبهم تعليمه الفريد المدهش بقوا معه لمدة ثلاثة أيام . وفى اليوم الثالث ، الذى فكر فيه أن يصرف الناس لمنازلهم ، فكر أيضاً فى حاجتهم الماسة للطعام الجسدى حتى لا يخوروا فى الطريق. فأى طعام كانوا قد جلبوه معهم قد نفد ولم يكن لديهم ما يكفيهم ليأكلوه فى رحلة العودة ، إذ عرف أن الناس كانوا على حافة الإنهاك ، علم يسوع أنه لابد من عمل شئ ، ولذا فقد قال لتلاميذه : «إنى أشفق على الجمع لأن لهم الآن ثلاثة أيام يمكثون معى وليس لهم ما يأكلون ،

وإن صرفتهم إلى بيوتهم صائمين يخورون فى الطريق» ، يا له من إعلان للعطف الإلهى والاهتمام بالآخرين !.

إن مثل هذا العطف الغريزى التلقائى هو أحد الأمجاد العظيمة للاهوت ، وهو بعكس الفلسفة الجامدة التى تجعل قلوب البشر تتحجر «لئلا يخوروا» ، يا للقلب الأبوى الذى تتحرك فيه مشاعر العطف تلقائياً ! يقول اليكوت : « من الأمور ذات المغزى ، أن نجد هنا كما فى معظم الحالات الأخرى ، بياناً بالقوة المعجزية فى أسمى أنماطها وهى لا تنبع استجابة لتحد أو تقدم كدليل على أن المسيح مرسل من الله بل ببساطة بدافع العطف» ، وكان رد التلاميذ على قرار المسيح بإطعام الجياع اعترافاً بعدم كفاية مواردهم الخاصة للتعامل مع هذه الحاجة . لم يكن لديهم ما يكفى لهذه الحالة الطارئة « من أين يستطيع أحد أن يشبع هؤلاء خبزاً هنا فى البرية ؟». لماذا لم يتذكروا المعجزة السابقة الخاصة بإشباع الـ ٥٠٠٠ ، أو إذا تذكروا مثل هذا الموقف القوى من جانب المسيح فى صف الجماهير ، فهل كانوا يشكون أنه سوف يختار فرصة ثانية ليمارس فيها سلطانه وقوته المعجزية ؟ ، وكما حدث من قبل ، فقد علم فى نفسه « ما هو مزمع أن يفعل » (يو ٦ : ٦) ، ولذا فقد سأل عن الموارد المتاحة فقيل له « سبعة أرغفة وقليل من صغار السمك »، وهذا لا يكفى لوجبة واحدة حتى للاثنى عشر تلميذاً . فأمر يسوع أن يجلس الجموع بنظام وشكر . يقول متى إنه بعد أن أخذ يسوع الأرغفة والسمك شكر . ويقول مرقس إنه شكر أولاً على الخبز ثم بعد ذلك بارك السمك . وفى كلتا الحالتين ، فهو يؤكد شكره لله على المراحم الزمنية . يقول فنسنت Vincent :« وطبقاً للطقوس اليهودية ، كان كبير العائلة يشكر فقط إذا كان سوف يشارك بنفسه فى الطعام ، ومع ذلك فلو كان الجالسون على المائدة ليسوا مجرد ضيوف ولكنهم أبناء أو أهل بيته ، فيمكنه أن يشكر حتى لو لم يشترك معهم فى تناول الطعام » .

وكسر الخبز والأرغفة وتوزيع الطعام على الجالسين من قبل التلاميذ ، وجمع الكسر عند الانتهاء من الأكل يشبه ما حدث تماماً فى المعجزة السابقة . وما أن شبع الناس تماماً بعد تناول الوجبة التى باركها يسوع حتى صرفهم يسوع إلى بيوتهم ، «فهو لم يتركهم . لقد قام بعمل المضيف الذى لا يبرح المكان حتى يذهب الضيوف أولاً مع تقديم التحية الواجبة ، وهذا من أساليب المجاملة الرقيقة ». بعد ذلك أخذ يسوع وتلاميذه السفينة وجاءوا إلى تخوم مجدل ، وكملحق للمعجزة نرى توبيخ المعلم لتلاميذه على عدم تذكرهم ونسيانهم، لقد نسوا أن يأخذوا بعض الكسر للرحلة ، وفهموا ما قاله يسوع « تحرزوا من خمير الفريسيين »، على أنه إشارة لإهمالهم . وبطريقة يسوع المعهودة ، استغل يسوع فرصة خطئهم ، وعن طريق توبيخهم جعلهم يتذكرون تفاصيل معجزتى الأرغفة والسمك (مت ١٦ : ١ - ١٢) . يقول رتشارد جلوفر Richard Glover فى تعليقه على إنجيل متى: « إن أسئلته قد ذكرتهم أنه ليس من المهم إن كان معهم أرغفة مختمرة أو غير مختمرة ، لأنه يستطيع أن يسد كل أعوازهم كما فعل من قبل بوفرة ، ولذا فقد كان تحذيره منصباً على شئ أعمق من أرغفة الخبز ».

أما عن الدروس التى نستفيدها من المعجزة ، فالكتاب المقدس يعدد عدة حقائق روحية ذات مغزى عميق عندما نرى فى السبعة أرغفة والـ ٤٠٠٠ شخص درساً نطبقه فى كل وقت . « فرقم (٧) الذى ذكر مرتين فى هذا السجل الكتابى ، هو رقم الكمال ، بينما الرقم (٤) هو رقم العالم الذى نتعلم منه رمزياً أنه عندما يفتح الرب يده ليداوى جراح البشر ، نجد كمال البركة ليس لإسرائيل فقط بل للعالم كله ».

ثم هناك حقيقة أن «يسوع هو خبز الحياة للقلوب الجائعة» ، فمن الناحية الروحية لا يوجد فى ذواتنا ما يشبع نفوسنا، ولكن فى المسيح هناك الشبع الحقيقى الذى يمكن لجميع الناس الحصول عليه بالإيمان.

والشفقة الرقيقة التى أظهرها يسوع برفضه أن يصرف الجموع خائرين وجائعين ، وإشباع حاجتهم يعلمنا أنه الواهب العطوف الساهر القادر على تلبية احتياجاتنا والتعامل مع ظروفنا مهما كانت .

وهناك أيضاً درس البركة لذوى القلوب الكبيرة . لقد كان على التلاميذ أن يقدموا كل ما عندهم :« فلا شك أن بعضاً منهم تعجب

عن السبب الذى يدفعهم لعمل ذلك ، فعلى الرغم من أننا نرى فى المعجزة التى نحن بصددها القوة الخارقة وعلاقتها بما هو طبيعى ، وأن يسوع كان يمكنه بقوته الباهرة أن يقدم الطعام للجياع بدون الأرغفة والسمك ، إلا أن ما قدموه قد باركه الله كثيراً وتضاعف فى العدد . فكلما قدموا أكثر ، ازداد ما يقدم للآخرين .

وأخيراً ، فعلينا ألا ننسى درس الشكر .. إن يسوع « شكر» «وبارك» الطعام ، وبذلك حوّل الإمكانيات المتواضعة إلى وليمة ملوكية . إن تقديم الشكر بركة لطعامنا اليومى . فالقلب الشاكر يبارك ويضاعف من خبزنا بمعنى أو بآخر ، إن يسوع لم يخجل أن يقدم الشكر علناً لأجل البركات الزمنية . فهل نخجل نحن ؟

{ ٣١ } معجزة شفاء الأعمى فى بيت صيدا

(مر ٨ : ٢٢ - ٢٦)

يسجل مرقس وحده هذه المعجزة التى أجريت فى بيت صيدا ، ليس بعيداً عن المكان الذى حدثت فيه معجزة إطعام الخمسة آلاف . وفى حين أن تفاصيل معجزة شفاء الأعمى قريبة الشبه من معجزة شفاء الأصمّ الأعقد فى العشر مدن إلا أن المعجزتين مختلفتان بالطبع . أتى الأصدقاء بالأعمى من بيته ليتقابل مع الشافى الأعظم ، تماماً كما لم يأت الأصمّ من تلقاء ذاته ولكن آخرين أحضروه لينال الشفاء . يقول مكليم : « من الواضح أن الذين جاءوا به ظنوا أنه من الضرورى أن يلمسه يسوع حتى يستعيد بصره (٨ : ٢٢) . ولكن يسوع ليس جهازاً طبياً يقوم بإجراء المعجزات ، ولكنه تعامل مع الأفراد كأفراد وبطريقة شخصية وليس بطريقة آلية » .

ما أن تقابل يسوع مع الرجل حتى أعطاه وقته واهتمامه . لقد أخذه من يده واقتاده إلى مكان بعيد لكى يتجنب الإثارة العلنية أو حب الاستطلاع الفضولى من جانب الجمهور ، وأجرى معجزة مختلفة عن أى معجزة أخرى أجراها فى الحال . فنحن هنا نرى المعجزة الوحيدة التى أجريت بالتدريج ، لأننا كما سنرى أنها قد أجريت على مرحلتين ، وطريقة الشفاء تشبه شفاء الرجل الأصمّ .

أول مرحلة فى المعجزة كانت تتمثل فى وضع البصاق من فم الرب على عينى الأعمى . وهنا كما يقول داربى : «إنه قد استخدم شيئاً خارجاً منه ، شيئاً يحمل تأثيره الشخصى لإجراء المعجزة» ، ويقدم لنا داربى بعد ذلك هذا الفكر : «إن البصاق نظراً لقداسة المعلمين ، كان شيئاً ذا قيمة كبرى عند اليهود ، ولكن هنا فتأثيره متصل بالشخص الذى استخدمه !» . يقول سبرجون :«إن هذا التصرف الغريب وإن كان من الطقوس المستخدمة إلا أنه جعل يسوع يستخدم وسيلة مكروهة » . ويذكر بلينى إن استعمال البصاق كان أحد العلاجات الشائعة للبشر والتى كانت تستخدم بكثرة فى ذلك الوقت ، وأن مجرد اللعاب كان يعد علاجاً للعمى » .

إن تنوع وسائل شفاء المسيح يثبت أنه لم يكن مقيداً بأى وسيلة معينة للشفاء وأن الإجراء الخارجى لم يكن ذا قيمة فى حد ذاته . فبسبب إرادته السامية فقد كان باستطاعته تغيير الطريقة الظاهرية لإجراء المعجزة . وعندما كان يستخدم وسيلة ، كما هو الحال هنا فى حالة البصاق، أو عندما كان يأمر تلاميذه ليدهنوا بالزيت (مر ٦ : ١٣، انظر يع ٥ : ١٤) ، فقد كان يختفى على الخوارق مظهراً عادياً . فهو كإله كلى القوة كان بمقدوره أن يمنح الشفاء بوسيلة أو بغير وسيلة . لأنه هو نفسه كان المصدر الحقيقى للشفاء والحياة .

وسؤال المسيح للرجل « هل أبصر شيئاً ؟» يدل على أنه من الطبيعى أن تتجه أول محاولة للإبصار نحو مصدر الضوء ، فتطلع الرجل وقال : «أبصر الناس كأشجار يمشون» ، وهذه المحاولة لوصف ما رأى تبين أنه لم يكن مولوداً أعمى ، ومع أنه كان يعلم أن الذى يبصرهم هم أناس، إلا أنه لم يكن يستطيع تمييز شكل وحجم الأشياء التى أمامه . لقد حاول كثيرون تعليل هذا الشفاء التدريجى بأنه يرجع لقلة إيمان الرجل . هل أيقظ يسوع فيه شوقاً لاسترداد البصر تماماً بلمسه لعينيه أول مرة ؟ لا شك أن هذا العمل التدريجى كان شهادة لحرية النعمة الإلهية «غير المقتصرة على طريقة واحدة لإجراء المعجزة ، ولكنها تعمل بطرق عديدة ، فتعمل أحياناً شيئاً فشيئاً ما تعمله فى أحيان أخرى فى لحظة» . إن الطريقة التى استخدمها الرب يسوع توضح بالتأكيد الخطوات المتدرجة فى استنارتنا الروحية . فنحن لا نرى بوضوح فى البداية ، وجزء كبير من العمى القديم يظل موجوداً. ولكن مع اكتمال الإيمان والطاعة ،

يأتي وضوح الرؤية ليس فقط من رئيس الإيمان بل ومكمله أيضاً.

بعد أن لمس يسوع عينى الرجل مرة أخرى ، أمره أن يتطلع، وفى هذه المرة استرد بصره كاملاً ، لأنه رأى كل شئ بوضوح . لم تعد رؤيته غير واضحة ، إن جراحي العيون فى عصرنا اليوم يعرفون معنى شفاء ضعف النظر بالتدريج . فأول كل شئ ، يُسمح لوميض الضوء بالمرور ، لأن العصب البصرى يجب أن يعتاد الضوء قبل أن تستطيع مقلة العين تحمل ضوء النهار الكامل . إن البركات المزدوجة ليديّ يسوع كانت فعالة ، لأن الرجل أبصر بوضوح . فلو كان يسوع قد أعطى الرجل جزءاً من ذاته عن طريق البصاق ، فهل كان قد انتقل التأثير والفاعلية أيضاً من شخصه عن طريق يديه عندما لمس الرجل مرتين ؟ يقدم لنا ترنشن هذا الاقتباس من شيمنتز Chemnitz : « إنه يضع يديه ليظهر أن جسـده هو الأداة التى يتمم من خلالها وفيها الكلمة الأزلى كل أعماله الواهبة للحياة » ، على أى حال فالبصر الذى استعيد تماماً يثبت أن يسوع لا يترك عمله ناقصاً .« أبصر » يعنى أنه «نظر إلى الأمام». مما يدل على أول ممارسته لبصره المستعاد. يفترض سبرجون ، وفقاً لأسلوبه المعبر، «إنه بعد تلك اللمسة الإلهية وبعد أن انفتحت عينا الرجل تماماً ، إن أول شخص رآه كان يسوع لأنه كان قد أخرج إلى خارج القرية ولم ير سوى الناس من على بعد . يا للرؤية المباركة ، أن ينظر إلى ذلك الوجه وأن يبصر جمال محب النفوس الذى لا مثيل له » .

وأمر يسوع له كان واضحاً ، كان عليه أن يمضى إلى بيته وألا يدخل القرية حتى لا يعلن على الملأ حقيقة ما جرى له من معجزة . لم يكن هناك بالطبع داع أن يتحدث الرجل عن هذه المعجزة لأولئك الذين عرفوا أنه كان أعمى ، فحقيقة أنه مضى لبيته مبصراً كان دليلاً كافياً على المعجزة دون كلام، وأمره بالتزام الصمت كان تدريباً روحياً جيداً له ، ففى ذلك إنقاذ له من أى حديث متسرع يلفت به الإثارة مداه بسبب استرداده لنعمة البصر . ولا نعرف إن كان الرجل أطاع أمر يسوع بأفضل مما فعل آخرون ممن شفاهم أم لا (مت ٩ : ٣١ ، مر ١ : ٤٥ ، ٧ : ٣٦). ليت الرجل بسبب عرفانه بجميل يسوع ، لبى رغبته وهو يدرك أنه كان يعلم الصالح بسبب حكمته الإلهية وأيضاً لأن «الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من لحم الكباش» (١ صم ١٥ : ٢٢) . فهو يطلب منا الإيمان والطاعة . ومن الضرورى أن نتّبع إرادته دون مساءلة أو اعتراض .

ودروس المعجزة واضحة ، لأنها مع معجزات أخرى ذات مدلول رمزى ، فقد كانت درساً عملياً على شكل مَثل . قال أحد المفسرين إن الأمر تطلب معجزتى إشباع لآلاف البشر حتى تنفتح أعين التلاميذ تماماً على المجد الكامل لسيدهم . فنحن لا نتقدس تماماً ونستنير فى الحال عن طريق تغيير فورى دون ألم أو معاناة . إذ ونحن هنا فى الجسد ، لا نرى سوى رؤية روحية ناقصة ، حتى وإن انتقلنا من الظلمة إلى نوره العجيب ، وهو قادر على إزالة كل عتامة فى عيون نفوسنا برقته وحكمته . وما أن نجتاز الأبواب اللؤلؤية لأورشليم السمائية ونراه وجهاً لوجه حتى تصبح رؤيتنا الأبدية واضحة كل الوضوح . أما الآن ، فيجب أن تكون طلبتنا اليومية أن يفتح الروح القدس عيون أفهامنا لندرك إرادة الله لحياتنا بشكل أفضل .

{ ٣٢ } معجزة التجلى

(مت ١٧ : ١ - ١٣ ، مر ٩ : ١ - ١٣ ، لو ٩ : ٢٨ - ٣٦ ، ٢ بط ١ : ١٦ - ١٨)

مما يؤسف له أن أغلبية الكتب التى غطت معجزات الأناجيل لا تحوى دراسة فيما يختص بجبل التجلى حيث أظهر الله كيف أنه وضع كنزه فى أوان خزفية . فعلى ذلك « الجبل المقدس» نجد أوجه عديده للعنصر المعجزى ، فهذه الحادثة الشهيرة من حياة ربنا مسجلة بنفس الأسلوب تقريباً فى الأناجيل الثلاثة الأولى ، وكلها تقول بأنها حدثت بعد إعلانه الشهير عن اقتراب موته وقيامته بحوالى ستة أو ثمانية أيام، فمتّى يقول ستة أيام ولوقا يقول ثمانية .فإن إحدى القصص تحسب يوم المشهد الأخير ، واليوم الذى حدثت فيه تلك الواقعة والرواية الأخرى لا تحسبهما . يقول متّى : «وبعد ستة أيام» من الصمت لأنه ليس لدينا سجل بما حدث فيها .لا شك أنها كانت أيام كآبة للتلاميذ ، لأن الإعلان الغريب عن الصليب لابد أن وقعه كان شديداً على قلوب التلاميذ . وما حدث على الجبل تكرر

بعد فترة قصيرة قبل رحيل المسيح النهائى عن الجليل فيما بين أربعة وستة أيام قبل موته (لو ٩ : ٥١) . إننا بحاجة ماسة إلى نعمة خاصة حتى نفهم ونرى صورة مسبقة للسماء تخطها لنا أيدى البشيرين . هنا نجد صورة مصغرة لأرض بعولة بجبالها الرائعة ، ويكون من المفيد أن نتعامل مع الموضوع الهام الذى أمامنا بالتركيز على نقاط ثلاث ، المسيح فى تجليه ، الزائران السماويان، والتلاميذ الذين أخذتهم الرهبة وعقدت ألسنتهم الدهشة .

المسيح فى تجليه :

يخبرنا لوقا أن يسوع صعد إلى جبل عال ، على الأرجح جبل حرمون ، لكى يصلى «فى مكان منعزل - ليصلى» صحيح أنه على الرغم من أنه «لم يكن له مكان ليضع فيه رأسه ، فقد كان يجد دائماً المكان الذى يصلى فيه» ، لقد كان الليل والجبل متاحين ليسوع وقد استغلهما استغلالاً جيداً . وعلى الرغم من كثافة الظلام حوله ، كان ملجأه فى الصلاة ، وإذا كان قد وجد فى الصلاة سر قوته ، فكم وكم يكون لزاماً علينا نحن البشر أن نخصص الوقت والمكان للصلاة . وبينما كان يصلى ، ظللته سحابة من المجد حتى أن وجهه تغير وثيابه صارت بيضاء تلمع ، أو كما قال مرقس : « بيضاء كالثلج لا يقدر قصَّار على الأرض أن يبيِّض مثل ذلك » ، كل شئ يتعلق بالليلة على ذلك الجبل المقدس كان خارقاً للعادة . أولاً ، دعنا نفكر فى تجلى يسوع نفسه ، « فبينما هو يصلى تغيرت هيئته قدامهم» ، والكلمة « تغيرت » لا تعنى فقط التغيير الظاهرى فى الملابس أو التصرف كما تدل على ذلك كلمة «هيئة» ، بل التغيير الداخلى والجوهرى « هيئة هذا العالم تمضى » (١ كو ٧ : ٣١) . إن بولس يريدنا ألا نشاكل هذا الدهر العابر بل أن « نتغير» أو «نتحول» ، وأن هذا التغيير يحدث بتجديد الذهن (رو٨ : ٢٩ ، ١٢ : ٢ ، ٢ كو ٣ : ١٨ الخ). وكما يقول فنسنت فى كتابه Word Studies : « إن وصف المخلِّص وقد تغيرت هيئته لا يشمل فقط وصفاً لتغيير مظهره الخارجى ، بل ظهور بريق طبيعته الداخلية الإلهية بشكل مفاجئ وقوى ». إن هذا التجلى نبوة لرؤياه كما «هو» فى المجد الذى كان له مع الآب قبل كون العالم (١ يو ١٧ : ٥ ، ١ يو ٣ : ٢) . إن اللاهوت يظهر خلال الوجه الممجد والثياب اللامعة للمسيح . إن مثل هذا البريق كان إعلاناً للاهوته المتجسد .

« أضاء وجهه كالشمس ، أو كما عبر لوقا قائلاً : « صارت هيئة وجهه متغيرة » . ففى اتحاد كامل مع أبيه ، ظهر المجد الإلهى فى لمعان منظور . ومثل هذا الظهور الفائق ، قد اختبره موسى ، بدرجة أقل ، حين كان وجهه يلمع حين نزل من الجبل ، واختبره استفانوس الذى صار وجهه «كوجه ملاك» (خر ٣٤ : ٢٩ ، أع ٦ : ١٥). يكتب اليكوت عن «قوة الصلاة المغيرة التى تكسو الملامح التى بلا شكل أو جمال بهيام النشوة الناجمة عن الورع والتقوى» ، كان يُعرف وليم بينيفاذرWilliam pennefather وهو قديس من حقبة ماضية ، بأنه الرجل ذو « الوجه الممجد » . يقول فنسنت إن الكلمة «تضئ» أو «تلمع» ، تطلق على الضياء الناتج عن السطوح المصقولة ، كالأذرع ، والخيول الملساء ، والماء المتحرك ، والنجوم المتلألئة والبرق .

إن ثيابه أيضاً تشربت بمجده المحجوب (يو ١ : ١٤) ، محولاً إياها إلى ضياء يخطف الأبصار : لقد صارت « بيضاء كالنور » ، أو «كالثلج» ، وهو تعبير مجازى يرجع لخيال مرقس النشط وتصوره لثلوج جبل حرمون المجاور ، ثم هناك أيضاً «السحابة النيرة التى ظللتهم» ، والتى كانت فوق الجبل عند ما كان يسوع يتكلم مع موسى وإيليا . كانت هذه «الشكينة» التى تلف المسيح ، نفس «شكينة» المجد التى ظهرت فوق خيمة الاجتماع التى عملها موسى، والله الآن وقد صار جسداً وحلَّ بين البشر فى صورة جسدية ، جعل خيمته الجسدية مغطاة بنفس المجد (خر ٣٣ : ٩ ، ١ مل ٨ : ١٠) . بالنسبة لليهود ، كانت هذه الشكينة وهى تمثل حضور الرب وسكناه ، رمزاً لوجوده مع شعبه . وظهوره فى هذه اللحظة يشهد لحقيقة أنه لم يكن هناك داع لأى خيمة مصنوعة بالأيادى لأن المسيح كان هو خيمة الله الحقيقية، ففيه، كان حلول الله مع الناس، يقول بطرس « ونظرنا مجده مجداً » ، فى إشارة للتجلى . عندما ترك يسوع بيت الآب وظهر فى صورة الناس ، فهو لم يتخل عن مجده ولم يتركه خلفه بل أتى به معه . وهكذا فأمامنا فوق الجبل ضياء ذلك المجد الكامن فيه .

وبالإضافة للعنصر المعجزي في هذه المناسبة ، نرى صوت الآب يتكلم من السحابة قائلاً :« هذا هو ابني الحبيب الذ به سررت . له اسمعوا »، ونفس الصوت سمع عند معمودية ربنا (مت٣ : ١٧)، فالصوت السماوي كان يؤكد وقتها عظمة المسيح كابن الإنسان ، والآن فنفس الصوت الرهيب يؤيد تكريس المخلّص ذاته في إظهار نفسه طائعاً حتى الموت ، ففي وسط آلامه الرهيبة ، وتضحيته المقبلة ، فقد كان « يُرضي » «مسرة الآب الصالحة» ، كالذبيحة الوحيدة الكاملة . كانت هذه هي أعظم شهادة مباشرة من السماء بأن يسوع هو المصدر الوحيد لنبوات العهد القديم والذي تحققت فيه هذه النبوات ، وقد أكد هذا الإعلان لمجد المسيح اعتراف بطرس السابق « أنت هوالمسيح ابن الله الحي » ، وهنا حين يدعو الله ابنه بكلمة « الحبيب » فقد استخدم كلمة تعني «الجدير بالإعزاز» .

وهناك حقيقة لا يصح أن ننساها عندما نتأمل في تجلي ربنا وهو أن هذا التجلي يمثل رفضه العظيم للمجد الأرضي لأنه لو كان قد أراد لكان بإمكانه أن يخطو إلى السماء من فوق الجبل مباشرة . وكما يعبر كامبل مورجان عن ذلك في « آلام المسيح »: «كان المسيح كاملاً في تكوينه ، كاملاً في تجربته وكان على استعداد أن يتكمل في المجد» ، ولكنه تحول عن المجد ، ونزل إلى وادي الحاجة والعوز ، وثبَّت وجهه نحو أورشليم حيث مات على الصليب حتى يأتي بأبناء كثيرين إلى المجد (عب ٢ : ١٠) . إن المجد على الجبل كان يوازنه إعلان موته .

فلا عجب أن ارتعب التلاميذ بما يدعوه متى « رؤية »، وفي الأيام التالية ، عندما كانوا يتذكرون ذلك المشهد كانوا يقولون : «كنا معاينين لعظمته» ، إن مثل هذه الرؤيا الخارقة قد دعمت إيمانهم بلاهوته لمواجهة صدمة الأيام العصيبة المقبلة . إن الثلاثة المحظوظين لم ينسوا هذه اللمحة من المجد . لقد أعطتهم إحساساً بالأمان عندما أتى الوقت الذي استشهدوا فيه لأجله (٢ بط ١ : ١٤ - ١٨) .

الزائران السماويان :

مما يدل على الرؤيا الخارقة وجود زائرين سماويين ، وهما موسى وإيليا ، واللذان على الرغم من كونهما في صورة ممجدة ، إلا أن بطرس تعرف عليهما مع أنه لم يراهما في الجسد. وسواء تعرَّف عليهما بالبديهة أو بالإعلان فهذا لا يغير من حقيقة أن هذين القديسين من قديسي العهد القديم قد احتفظا بشخصيتهما ، والموضوع الوحيد الذي دار الحوار حوله بين المسيح في تجليه والقديسين الممجدين كان هو الجلجثة .« لقد تحدثوا عن موته - خروجه (نفس الكلمة المستخدمة في ٢ بط ١ : ١٥) - الذي كان عتيداً أن يكمله في أورشليم » . ياله من منظر رائع أن يقف هذا الإنسان الكامل الطاهر بلا دنس في مجد هذا الضوء النقي ويدخل في حوار تسوده الألفة مع أرواح هذين الشخصين البارين ! ، ويمكن أن نقول إن موسى وإيليا كانا البطلين اللذين واسيا المسيح لأنهما سبق أن عرفا أوجاع المخلّص . إن بطرس قد حثَّ المسيح ألا يتحدث عن موته ولكن موسى وإيليا أتيا من السماء خصيصاً ليتحدثا عن هذا الموضوع وليس سواه ، وكانا يناقشانه بكل حماس وفرح غامر . ألم يأت إلى العالم ليموت عن الخطية وأن يبطل الخطية بذبيحة نفسه ؟ (عب ٩ : ٢٦) . لقد ولدنا نحن لنعيش ، وولد يسوع ليموت .

لماذا اختير هذان البطلان من العهد القديم دوناً عن آلاف من قديسي السماء لينزلا على الجبل ويحتفيا بابن الله ؟ لقد اختير كلاهما بسبب صلة كل منهما بالآخر ولأنهما كانا الممثلين المناسبين لفترة العهد القديم التي كانت على وشك الانتهاء بموت وقيامة المسيح . كان موسى الممثل العظيم للناموس الذي تلقاه من الله على جبل آخر وأعطاه لإسرائيل ، وقد عاش الناس تحت هذا الناموس من موسى إلى المسيح . وإيليا كان الممثل المناسب للرابطة الحلوة التي تجمع الأنبياء وكممثل للنبوة . ياله من مدافع غيور عن الناموس ! وقد كان أيضاً القائد المتحمس للإصلاح عندما ابتعد الناس عن الناموس ، والمصارع العملاق الذي عرض حياته للخطر ليهزم الذين حرَّفوا الناموس ويحفظ للأجيال تراث بركته . ولذلك ظهر موسى وإيليا ليشهدا انتهاء النظام القديم والترحيب ببداية فترة العهد الجديد . لقد كانا يمثلان الناموس والنبوة ، وهما يجتمعان معاً في المسيح .

التلاميذ الذين أخذتهم الرهبة :

مع أنه كان للمسيح اثنى عشر تلميذاً إلا أنه أخذ ثلاثة فقط معه إلى الجبل ، مما يدل على أن الباقين لم يكونوا مؤهلين لتحمل مثل هذه الرؤيا الفائقة . هل وجود النفوس المتعاطفة كان يقدم له العون ؟ باختيار بطرس ويعقوب ويوحنا فقد ثبّت يسوع هؤلاء الثلاثة ليكونوا فى المرتبة العليا بين الاثنى عشر حتى لا يفقدوا إيمانهم بسبب آلامه التى سبق أن أخبر عنها (مت ١٦:٢١ و ٢٧ ، ٢٨) . إن مثل هذا الاختبار المجيد كان مقصوداً منه أن يثبت إيمانهم فى بنوة المسيح للآب ومجده ، وأيضاً ليعدَّهم للأيام السوداء المقبلة والتى كانت قد ألقت بالفعل ظلالها عليهم .

يقول لوقا إنهم كانوا :« قد تثقلوا بالنوم . فلما استيقظوا رأوا مجده » (٩:٣٢) . ويتضح مع ذلك من رواية متَّى أنهم لم يكونوا فى حالة نعاس عندما ظهر بهاء المسيح السماوى ، ولكنهم ذهلوا تماماً عندما شهدوا هذا المنظر الذى يخطف الأبصار . كانوا خائفين خوفاً شديدا أو «مذعورين من شدة الخوف لمثل هذا الظهور اللاهوتى» ، ولكن عندما لمستهم اليد الإلهية ، فتحوا أعينهم ورأوا يسوع – يسوع الذى كانوا يعرفونه قبل التجلى ، وشعروا بالراحة والاطمئنان.

ولما غمر هذا المجد بطرس وذهل لرؤية القديسين الممجدين على الجبل ، ارتكب خطأ واحداً ، لقد أراد أن يثبِّت ما هو عابر وأن يضحى بالمستقبل لأجل الحاضر . لقد أراد للنشوة أن تستمر ، ولكن لم يسمح له ببناء المظال الثلاث لأن الأرض ليست سماءً . إنه لمن باب الاحترام ومراعاة المشاعر أن يبنى تلك المظال من أغصان الأشجار القريبة لأن الوقت كان ليلاً ، وقد يفضل الزائران السماويان أن يستريحا بعد تلك المقابلة ، ولكن السماء مكان أفضل لهما . أما بالنسبة ليسوع ، فمثل هذا الكوخ ما هو إلا مسكن حقير لساكن الأزل ومع ذلك يتوق أن يسكن فى قلب منسحق . لقد نسى بطرس ، كما أننا معرضون أيضاً للنسيان ، أن لمحات المجد السماوى تُقدم لنا ، ليس لكى تثنينا عن القيام بالواجب المفروض علينا أن نعمله على الأرض ، بل لتعدنا للتجارب المرتبطة بها ، كما سوف يظهر ذلك التأمل فى المعجزة التالية .

وكما رأينا ، فبولس يعلمنا أن اختبار « الجبل المقدس» هو للعبد كما أنه للسيد . لأن كل من فى المسيح قد اختبر تغييراً فى وجهة النظر والموقف والشخصية والحياة والنظرة والرجاء . وذات يوم سعيد سوف «ينظر وجهه فى البر» ، ونشبع تماماً إذا «استيقظنا بشبهه ».

(٣٣) معجزة شفاء الولد الذى به روح شيطان

(مت ١٧ : ١٤ – ٢١ ، مر ٩ : ١٤ – ٢٩ ، لو ٩ : ٣٧ – ٤٣)

يا للمفارقة التى تشهدها فى المقارنة بين المعجزة السابقة وهذه المعجزة ! فقد كان المسيح للتو فى شركة مع أبيه ونزل من الجبل ليواجه الشيطان ! والفرق واضح بيِّن ، لأن فى القمة كل شئ سام رفيع ولكن فى الوادى هناك التشويش والأشياء المحزنة . لقد نزل المسيح من قمة تناغم الشركة مع موسى وايليا ليواجه أبشع وأشرس صراعات الأرض : من كرامة ومجد الآب ليواجه النوايا التى تنم عن الكراهية والقتل للقادة الدينيين ، المتعطشين لدمه . على الجبل نرى الملك فى بهائه الفائق ، وأسفل الجبل نرى التلاميذ متحيرين مهزومين ، كائنات سماوية فوق الجبل ، وشياطين وتلاميذ ضعاف الإيمان فى سفح الجبل . ومع ذلك فرسالة الجبل موجهــة لوادى الحاجة . ونفس العطف الذى جاء بيسوع من السماء للأرض أتى به الآن من جبل الفرح والنشوة إلى وادى الألم والخدمة . هنـــاك كثيرون ، كبطرس ، يريدون أن يبنوا مظالهم بعيداً عن أرض الخطية والألم . ولكن إذا كنا نريد أن ننقذ الهالكين علينا أن نتواجد حيث هم . إن أول معجزة لربنا بعد التجلى كانت شفاء الولد الذى به شيطان ، وقد كانت تتميز بسمات خاصة كالأب المحزون ، والابن المجنون والمسيح كلى القدرة ، والتلاميذ غير القادرين .

الأب المحزون :

إذ نقارن الروايات الثلاث عن المعجزة التى أمامنا ، نلاحظ أن مرقس ، كالعادة ، يمدنا بتفاصيل أكثر . إن الأب الحزين اقترب من يسوع بكل تذلل واحترام « جاء جاثياً له » ، وكواحد من الجمهور ،

تقدم ليقدم طلبة لأجل الحالة البائسة التي كان عليها ابنه الوحيد ، ولا شك أنه جاء فى الاتجاه السليم ليتسلم بركة من الشافى وقدم طلبته بدموعه . لابد أن قلبه كان حزيناً ، فحبه وعذابه لأجل ابنه المجنون جعله جسوراً . وهكذا بينما ارتبك الكتبة عند ظهور المسيح ، واكتأب التلاميذ بسبب فشلهم ، أظهر الأب الحزين قلقاً عميقاً حتى يضمن تقديم المسيح المساعدة له . وفى حين أنه لم يستطع أن يخفى خوفه من أن تكون حالة ابنه يائسة لدرجة تستعصى على الشفاء إلا أن إقراره بحالة ابنه الحرجة كان يقترن بلجوئه إلى كلى القوة .

اتجه الأب اليائس إلى يسوع نفسه لأنه يأس من التلاميذ الذين كان المفروض أن يستفيدوا من اسم يسوع « فقلت لتلاميذك أن يخرجوه فلم يقدروا » ، ووجه التلاميذ التسعة الذين كانوا أسفل الجبل بينما الثلاثة الآخرون كانوا فوق الجبل ، بطلبة الأب ، وأصابتهم الحيرة . لقد حيرهم هذا الاختبار الجديد وشعروا بالمذلة والخجل أمام الناظرين ، خاصة أمام الكتبة الذين من المرجح أنهم استهزأوا بالتلاميذ لعدم استطاعتهم أن يشفوا الولد . ولذا اتجه الأب القلق المهموم اليائس إلى يسوع وقال : « إن كنت تستطيع شيئاً فتحنن علينا وأعنّا » ، يا له من موقف لا يليق يواجه به رب الكل ! كم كان أسلوب الرجل باستخدام عبارة مثل «إن كنت» ، غير لائق ، ومن الخطأ أن توجه لمن خلق الكون وكل ما فيه ، ولمن سبق أن أظهر قوته على الشيطان وملائكته .

« ورد المسيح وضع كلمة - إن كنت - فى موضعها الصحيح قدموه إليّ .. إن كنت تستطيع أن تؤمن ... » ، لقد أنعش رد المسيح إيمان الرجل الضعيف فقال :« أؤمن يا سيد ، أعن عدم إيمانى »، وسرعان ما أدرك «أن كل شئ مستطاع للمؤمن» .

الولد المجنون :

حتى نفهم عظمة شفاء المسيح ، دعنا نجمع كل ما ورد فى الأناجيل عن الأعراض المرضية الرهيبة التى كان يعانى منها الولد - فقد كان يتشنج تشنجات شديدة ، وكان يزبد من فمه ، ويصر على أسنانه، وكان ييبس نتيجة لتصلب جسده . وبسبب تلك النوبات المفاجئة غير المتوقعة ،كان يقع مراراً كثيرة فى النار وفى الماء . وهناك شئ آخر أصيب به الولد بسبب الروح الشرير ألا وهو الصمم والخرس ، والخرس بمعنى أنه لم يكن ينطق بكلمات مفهومة واضحة . لم يكن نقصاً طبيعياً يشوب أعضاء الكلام ، فكل هذه المصائب جاءت كنتيجة لحالته البائسة وقد تركته هزيلاً لدرجة كان يبدو معها كما لو أن ينابيع الحياة قد جفت فيه .

وكلمة مجنون (lunatic) المستخدمة لوصف حالته تعنى « أن القمر ضربه» لأن الكلمة اللاتينية (luna) تعنى «القمر» ، والصرع الذى كان يعانى منه الولد ، كان يعتبر مرضاً شائناً ، وكان يفترض أنه يصيب الأشخاص الذين أخطأوا ضد القمر ، وكان يعتقد أن التغييرات فى القمر تتحكم فى فترات الإصابة بنوبات الصرع . وكان يُنظر للمرض أيضاً باعتباره مرضاً « مقدساً » أو «إلهياً» ، لأنه يأتى كنتيجة لإصابة إلهية مباشرة . وكون النوبات كانت مفاجئة وتدوم لفترات طويلة يتضح فى العبارة « وبالجهد يفارقه » أى الشيطان . ونوبات المرض اشتدت عنفاً أمام يسوع ، عندما سقط على الأرض ، وأخذ يتمرغ ويزبد كما يخبرنا مرقس بالتفصيل . وقد جاءت نوبة التشنج عندما رأى الولد الرب « فلما رأى يسوع » الخ ، يالها من تجربة قاسية يمثلها هذا الابن المجنون ، الابن الوحيد ، بالنسبة للأب كسير القلب ! .

المسيح كلى القوة :

على الرغم من ذلك لا توجد حالة مهما كان فسادها أو مهما كان الشيطان سببها تصعب على المسيح المسلم له كل سلطان . بعد توبيخ المسيح للجيل غير المؤمن والفاسد ، هذا التوبيخ الذى كان موجهاً لكل من الكتبة والتلاميذ ، انتهر يسوع الشيطان أو الروح النجس فى الولد آمراً إياه أن يخرج منه « فشفى الولد من تلك الساعة ». بعد أن استفسر يسوع عن حالة الولد من الأب ، أصدر يسوع أمراً حازماً للروح النجس أن يخرج من الولد ولا يدخله أيضاً . ونتيجة لذلك ، صرخ الولد وصرعه الشيطان شديداً حتى صار المريض كميت ، فظن الناس أنه مات « أنا آمرك » ، ولم يجرؤ الروح أن يعصى الأمر ، وأى عودة للولد كانت ممنوعة « ولا

تدخله أيضاً ».

في الفصل الذي كتبه عن هذه المعجزة ، قال الكانون جاي كنج Guy King :

كان الولـــــــد مجنـــوناً .·. والأب مهمومـــــــاً

ولكن الشيطان كان مجنوناً .·. وكان الجمهور سعيداً

لقد شهد الأب نوبات صرع كثيرة جداً ، فلابد أن الشفاء التام والدائم قد أفرح قلبه . بعد أن أخذ يسوع بيد الولد ، رفعه يسوع إلى أعلى وسلّمه لأبيه وهكذا توّج عمله بنعمة الشفاء « حل الهدوء والسلام وتمالك الولد نفسه بدلاً من عذاب الصرع » ، إن القوة الروحية للشافي قد تغلبت على قوة المرض أو قوة الشيطان التي كانت سبباً في آلام الولد .

ألا يعتبر من الأمور الرائعة والمطمئنة أن نعلم أنه لا يوجد أي ضعف في المسيح وأن كل ألم يعتري القلب البشـــري خاضع لسلطانه ؟ فالشيطان والبشر يعرفون سلطانه.

التلاميذ غير القادرين :

قبل أن نتأمل في هذا العنوان ، هناك جانبان للمعجزة علينا أن نتحقق فيهما وهما ، دهشة الجمع وحالة الخجل التي أصابت التلاميذ . عند رؤية كل الجمع ليسوع « تحيروا » ، يرى بعض الكتّاب أن هذه الحيرة سببها لأن وجه يسوع كان لا يزال يلمع ، فبعض المجد الذي كان يشع منه على الجبل كان لا يزال عالقاً به وكما كان الحال مع موسى فجلد وجهه كان لا يزال يلمع . ومع ذلك فكما أوضح ترنش ، فتأثير الوجه المضيء كان مختلفاً . عندما نزل موسى من الجبل ، خاف الناس أن « يقتربوا منه »، لأن مجد وجهه كان مجداً يبعث على التهديد والوعيد ، فقد كان يمثل الضياء الرهيب للناموس الذي لا يرحم . ولكن مجد الله الذي يشع من وجه يسوع على الرغم من أنه كان رهيباً أيضاً ، إلا أنه كان مجداً جذاباً مليئاً بالنعمة والجمال ، إنه يجذب البشر إليه ولا ينفرهم منه .

أما فيما يختص بالتلاميذ ، فلنتأمل أولاً في سؤالهم :« لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه ؟ » ، هذا السؤال الذي سأله التلاميذ الذين كانوا أسفل الجبل بينما كان يسوع بعيداً عنهم مع بطرس ويعقوب ويوحنا ، يوحي بأنهم لم يستطيعوا أن يروا أي سبب لهذا الفشل . وكان رد المسيح مباشراً وأكيداً « لعدم إيمانكم ...هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم» ، إنه يؤكد هنا على ضرورة الإيمان وقوته والحاجة للصلاة وإنكار الذات . ما كان ينقصهم هو الإيمان ، لم يكن ينقصهم القبول الذهني لكل ما نادى به المسيح ، ولكن كان ينقصهم ذلك الإيمان الحي بالقدرة الإلهية غير المحدودة . فحيثما كان هناك مثل هذا الإيمان حتى وإن صغر كحبة خردل ، فالجبال تصبح سهولاً .

«لم يقدروا» ، يا لها من عبارة محزنة ، تحمل معها لدغة ، « فلا يزال المسيح يتألم ويُجرح أن يرى كنيسته تقف عاجزة ومكتئبة وسط الآلام التي كان يمكن أن تشفيها لو بحثت عن القوة الكامنة فيها ». لقد كان من الطريف أن الاحظ ، بينما كنت أعد العدة لهذه الدراسة ، تقريراً في الصحف اليومية عن مؤتمر لمجلس العلمانيين لكنيسة انجلترا كان قد عقد في داخل كنيسة وستمنستر بلندن في اليوم السابق . وكان أحد المتحدثين ، آرثر ماكميلان ، أخو رئيس الوزراء البريطاني هارولد ما كميلان ، أعلن عن إيمانه بالشيطان والأرواح الشريرة . وذكر أنه قال :« أولاً إن الأرواح الشريرة أو الشياطين موجودة وهي تؤثر على البشر في أحوال معينة . ثانياً ، إن إخراج الأرواح الشريرة جزء من وصية ربنا لكنيسته ».

كان مستر ماكميلان يختلف مع رجال الكنيسة العصريين الذين يفسرون الإشارات الكتابية للأرواح الشريرة بأنها تعبير آخر عن الاضطرابات العقلية ، ثم حضّ على التفكير في إخراج الأرواح الشريرة ، وقد تم تنفيذ قراره على يد أغلبية الأساقفة الحاضرين ، ألا نطلب من الرب أن يمنحنا بالإيمان كل القوة التي لديه والتي هو على استعداد أن يهبنا إياها ؟

أما فيما يتعلق بالدروس التي نخرج بها من المعجزة ، فأحد هذه الدروس قوة الإيمان الممنوحة لنا ، قوة الإيمان المنتصرة .« إن نجاح الأب بالنسبة لابنه يمثل ما قام به ربنا من أعمال رحمة هكذا يقول ليدلو:«ونصف حالات الشفاء المدونة في الإنجيل أجريت بناء على صلاة الأصدقاء، ويظل هذا الأب مثلاً على الإيمان ، الذي وإن

كان جباناً إلا أنه كان حقيقياً ، لأن حسبه لابنه جعله كذلك» ، فعبارته القائلة :« تحنن علينا أعنا ، كصلاة الأم الوثنية ، (ارحمني) ، قد قدرها يسوع تماماً » ، هل لنا مثل هذا الإيمان الذي يريح الحزانى ؟

وهذه المعجزة كباقي معجزات الشفاء التي أجراها الرب ، لها مثلها الروحي . فالخطاة عبيد للشيطان ، وصمٌ تجاه الحق الإلهي ، وخرس تجاه تقديم الحمد لله ، ولا يمكن لقوة أرضية أن تحررهم من فسادهم . ولكن عندما يتحركون ليدركوا حاجتهم الماسة ويصلون قائلين :« أؤمن ياسيد »، تحدث معجزة النعمة في قلوبهم .

{ ٣٤ } معجزة العملة في فم السمكة

(مت ١٧ : ٢٧)

أثناء إقامة يسوع في كفر ناحوم ، على الأرجح في بيت بطرس ، كان يقضي وقته في الحديث مع تلاميذه عن موته وقيامته المزمع حدوثهما . لقد أراد أن تستقر أقواله في قلوبهم . ومع أنهم لم يكونوا ينظرون لموته كمن يحاول منع كارثة وشيكة الوقوع إلا أنهم كانوا « حزانى للغاية » لأنهم لم يفهموا تماماً كل ما كان يسوع على وشك أن يحققه بموته . كم كان حزنهم خاطئاً ! أليس الموت الذي كانوا يخشونه سبباً في القضاء على كل حزن وينبوعاً لكل الأفراح ؟ بالمقدار الانتصار الذي كان سيصبح من نصيبهم لو أن قوله عن نفسه « سوف يقوم ثانية » قد امتلك عليهم قلوبهم !

المعجزة التي أمامنا ليست لافتة للنظر في حد ذاتها فحسب ولكن ما يلفت النظر أيضاً أن متّى ، الذي كان جامعاً للضرائب في يوم ما ، هو الوحيد الذي سجلها . ثم إن إنجيله يتحدث عن الملك وملكوته . فلماذا يجب إذن أن يخضع ابن الملك وملك الهيكل لأي ضريبة ؟ عندما جاء جامع الضرائب إلى كفر ناحوم قابل بطرس ووجه إليه سؤالاً« أما يوفي معلمكم الجزية ؟»، والكلمة « جزية » هنا ليست هي نفس الكلمة المستخدمة في عدد ٢٥ ، حيث تمثل ضريبة يؤخذ عن كل رأس (شخص) . فالكلمة في عدد ٢٤ هي « درهمان» أي« نصف شاقل» حوالي ٣٥ سنتاً . لقد كانت مبلغاً يدفع للهيكل ، وكان مفروضاً على كل إسرائيلي ذكر فوق العشرين من عمره (خر ٣ : ١١ - ١٦ ، ٢ أخ ٢٤ : ٩) ، فالمكوس هي رسوم على البضائع - والجزية على الأفراد : هذه الضريبة أو فضة الكفارة كانت تجمع من اليهود في الدول الأجنبية ويوضع في خزانة الهيكل ويستخدم للإنفاق منه على خدمات الهيكل ، وجمع هذه الضريبة الدينية لم يكن ينظر إليه نظرة الكراهية والاحتقار التي كان اليهود ينظرون بها إلى العشارين الذين كانوا يجمعون الضرائب للرومان .

جاء المسئولون عن جمع الشواقل لخدمة الهيكل إلى بطرس وسألوا إن كان معلمه دفع الدرهمين ، ربما اعتقد هؤلاء الناس أن نبي الناصرة قد تهرب من دفع هذه الضريبة أو أنكر ضرورة دفعها أو ربما يكونون قد شعروا أنه ليس سوى مبشر متجول ولذا فعليه أن يدفع كالآخرين . إن أعداء المسيح هؤلاء والنشطين في محاولة اصطياد المسيح ، كانوا شغوفين لمعرفة إن كان المسيح قد عصى الناموس في هذا المجال أم لا ، وسؤالهم إن كان المسيح قد دفع نصف الشاقل تم توجيهه بصيغة مخففة . فلو كان جامع الضريبة يسأل عن الجزية التي تدفع لقيصر لاستخدم أسلوباً أكثر حدة .

أخطأ بطرس حين أجاب على السؤال بالإيجاب . ولأنه كان يهمه أن ينظر لمعلمه كيهودي صالح ، ودون أن يستشيره ، قال : « نعم» ، مقراً بذلك خضوعه للضريبة كما لو كان مجرد ابن ليعقوب . وقد تضمن رد بطرس أن يسوع قد دفع الضريبة وسوف يستمر في دفعها كما يجب أن يفعل كل يهودي غيور . والآن جاء الدور على يسوع ليسأل سؤالاً وجهه لبطرس عندما دخل بطرس إلى المنزل بعد الإجابة على سؤال جامع الضرائب .

ماذا تظن يا سمعان . ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية والجزية أمن بنيهم أم من الأجانب ؟ هنا نجد العبارة «سبقه يسوع» ، وكلمة «سبقه »، أو« منعه »، تعني « توقع» بمعنى أن يسوع لم ينتظر بطرس حتى يخبره عن سؤال جامع الضرائب . لقد توقع أن يحدثه بطرس عنه ، وعرف كل ما يتعلق بالسؤال وإجابته مظهراً بذلك علمه بكل شئ ، وهو خاصية من خواص اللاهوت . لقد أثبت المسيح لبطرس علمه كإله بما حدث بعيداً عنه . لقد أجاب الرسول المخطئ

على سؤال يسوع بالطريقة الوحيدة الممكنة «من الأجانب» . ثم قال يسوع له إذاً فالبنون أحرار .

لقد تحدث عن بطرس وعن نفسه كرعايا من رعــايا ملك الهيكل ، وبالتالى فهما معفيان من دفع الجزية ولكن لعدم الإساءة لأحد رتب يسوع دفع المبلغ بطريقة معجزية « لئلا نعثرهم » . إن المسيح المراعى لمشاعر الآخرين « يفضل أن يدفع أى مبلغ ، سواء كان غير عادل أو مثير للاعتراض ، بدلاً من تعريض الشهادة لله للخطر بإثارة تعليقات مثيرة للبغضاء من قبل الرجعيين . إن مثاله قليلاً ما يحتذيه المسيحيون حين يشعرون بوخز الضميرفى حالة إحساسهم بارتكاب ذنب ما ! » .

ننتقل الآن للحديث عن معجزة العملة فى فم السمكة ، التى قيلت بصددها عدة تفسيرات . هناك أقوال « ليدل »و الذى يؤكد أن القصة التى يقدمها لنا متى لا تعتبر سرداً لمعجزة بالمعنى الدقيق بالمرة ، لأن العنصر الإعجازى لم يكتب عنه شيئاً بالفعل ، فالقصة لا تخبرنا إن كان بطرس وجد المبلغ المذكور أم لا . يقول ليدلو إن الدروس التى نخرج بها من القصة مزدوجة : فهى « تعليمية » لأننا نتعلم مركز يسوع فى ملكوت السموات - مركز البنوية بحق سلطانه على الطبيعة - و « أخلاقية » ، فالمبدأ الأخلاقى المراد ترسيخه هو أن أفضل طريقة لإثبات العظمة فى ملكوت السموات يكون بالخدمة والتواضع . فالمبدأ القائل « لئلا نعثرهم » ، يقدم درساً فى التواضع والحكمة .

ويقدم العقلانيون الذين يفرغون المعجزة من العنصر الإعجازى فيها ، تفسيراً سخيفاً قائلين إن الرب قد أمر بطرس أن يذهب ويصطاد أكبر كمية ممكنة من السمك ليبيعها وفاء للمبلغ المراد دفعه كضريبة . ونحن أيضاً نرفض هذا التفسير الرمزى الخالص للمعجزة . فأمر يسوع لبطرس أن يذهب ويصطاد سمكة يدل على معجزة تنم عن العلم المسبق والتخطيط ، فذهب بطرس للبحر وألقى صنارة - وهى المناسبة الوحيدة فى العهد الجديد التى تستخدم فيها صنارة لصيد السمك . لم يتم اصطياد سوى سمكة واحدة ، ولم يحدث قبل أو بعد ذلك أن اصطاد بطرس سمكة واحدة كهذه السمكة . وبعد أن اصطاد السمكة ، وجد بطرس فى فمها قطعة النقود التى قال يسوع إنه سوف يجدها . ولا حاجة بنا للمغالاة فى العنصر الإعجازى بالقول ، دون ما سند ، إن قطعة النقود قد خلقت خصيصاً لهذه المناسبة . فمن طبيعة معظم الأسماك أن تمسك بأى شئ لامع ، وهذا هو السبب فى الحالات العديدة التى تم فيها الإبلاغ عن وجود قطع معدنية ثمينة فى الأسماك .

والمعجزة التى أمامنا لا تشتمل فقط على علم ربنا السابق بأن السمكة سوف تسلّم المبلغ المطلوب ، بل تتمثل أيضاً فى حقيقة أن السمكة الأولى التى أتت لصنارة بطرس كانت تحتوى على المبلغ المبين بالضبط . لقد كان الهدف من إرادة المسيح - وهى الإرادة التى يجب على كل الخليقة أن تطيعها - هو الذى اقتاد هذه السمكة بالذات دوناً عن آلاف السمك فى البحيرة إلى صنارة بطرس . يذكرنا المرنم أن الرب يسيطر على كل شئ حتى« سمك البحر» ، ثم لأن « الفضة والذهب ملكه » ، فقد كان قادراً فى ذلك اليوم أن يأتى بالسمكة والعملة معاً . ولذا فهو مع أنه يعلم بكل شئ ولكنه يستطيع أيضاً كل شئ ، « فكل الأشياء قد صنع به ولأجله» ، ولذلك فعن طريق ممارسة سلطانه اللاهوتى جعل يسوع السمكة تخرج المال الكافى لدفع المبلغ المطلوب للهيكل .

ويستتبع ذلك بالطبع أن عدم مقدرة يسوع على أداء هذه الضريبة بدون حدوث معجزة يدل على حالة الفقر التى فرضها يسوع على نفسه متحملاً إياها . والكميـة الصغيرة المطلوبة ، شاقل واحد ، حوالى ٧٠ سنتاً لم تكن فى حوزته . فكان على الخليقة لذلك أن تقدم له هذا المبلغ الضئيل حسب أمره . عاد يسوع وتلاميذه من رحلتهم التى استغرقت حوالى ثلاثة أو أربعة أسابيع وكانوا مفلسين للدرجة التى لم يكن معهم إستاراً واحداً- شاقلاً- فيما بينهم « غنى ولكنه افتقر لأجلنا ». يقول رتشارد جلوفر تطبيقاً لذلك :« إن الذى أصبح مفلساً حتى نغتنى نحن يمكنه أن يحصل على ما يريد من مال لقضاء حاجاته بأغرب الطرق » . ومع ذلك ، فلا يجب أن نعتقد أن المسيح لجأ لمعجزة بسبب فقره . فمثل هذه الطريقة لدفع المبلغ المتعين عليه دفعه قد تعنى إجراء معجزة لمصلحته الخاصة، وهذا - كما سبق أن أوضحنا- مخالف لطبيعة

معجزاته وأعماله الخارقة .. إن ضريبة الهيكل قد تم دفعها بمعجزة ليوضح لتلاميذه الحقيقة المجيدة بأنه ابن الله صاحب القوة ، وقد دفعها بالطريقة التى تثبت أنه صاحب السيطرة العليا على كل الخليقة .

وقطعة النقود التى وجدت فى فم السمكة كانت ، كما يعبر عنها اليونان ، إستاراً ، أو شاقلاً « درهمين » ، نصف شاقل للمسيح ونصف شاقل لبطرس ، « لى ولك » ما وجد كان كافياً ، للمطلب الضرورى وقتها ، لا أكثر ولا أقل ، وقد وضع يسوع نفسه جنباً إلى جنب مع بطرس كشريك له فى المركز والعلاقة . يا لعجب نعمته ! فلسنا بعد عبيداً بل أبناء لله بيسوع المسيح (غل٣ :٢٦). إن يسوع شريك لتابعيه فى كل شئ ليس تحت ضغط الحاجة بل بسبب نعمته الغنية المضحية . فالفادى والمفديون هم من واحـــد « إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » (يو ٢٠ : ١٧) .

لقد دفعت الضريبة بطريقة كما لو كان دفعها عملاً من أعمال التنازل الإلهى من جانب ابن الملك . كما يقول «فاوست»،«كابن لملك الهيكل ، كان بإمكانه أن يطالب بإعفائه من جزية الهيكل ، ولكن كرامته زاد بريقها بخضوعه» ، وهكذا فالدافع للمعجزة كان لتجنب إلحاق الأذى بلا داع . ويعلمنا درس طاعة الوصية الرسولية القائلة: « إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالمـــوا جميع الناس » (رو١٢ : ١٨) .

(٣٥) معجزة شفاء الرجل المولود أعمى

(يو ٩)

هذه المعجزة التى يسجلها يوحنا وحده ، لها خلفية مدهشة . لقد كانت إيضاحاً للقول الشهير الذى قاله يسوع فى اليوم السابق « أنا هو نور العالم »، (٨ : ١٢). إن نور الخلاص الإلهى فى وجهه كان ليتغلب على الظلام الروحى المسبب لعمى الإنسان الأخلاقى والمادى . وهكذا فهو كالنور كان من المفروض أن يمنح البصر للأعمى . ويقول ترنش فى ملاحظاته الافتتاحية على هذه المعجزة : «كان من المرجح أن يتوج هذا العمل من أعمال النعمة والقوة يوماً من أيام الحوار والجدل مع أعدائه من اليهود ، والذى ابتدأ فى يو ٧ : ٣٤ ، ووصل حتى نهاية أصحاح ١٠ - وقصة المرأة التى أمسكت فى ذات الفعل لم تكن سوى حدث يقطع تسلسل أحداث ذلك اليوم ويعتبر بمثابة حدث دخيل» .

وآخر عدد فى الأصحاح السابق يقول إن أعداءه رفعوا حجارة ليرجموه ، ولكنه مضى وسط أولئك الذين كانوا يحاولون قتله . هذه الحجارة كانت «آخر حوار مع أعدائه »، هل اختفى يسوع بمعجزة ؟ مع أنه كان مضطراً ليهرب لحياته بسبب غضب أعدائه ، إلا أنه كان متمالكاً لنفسه تماماً لدرجة أنه لاحظ بؤس الأعمى وحاجته وهو على جانب الطريق فتوقف عن عمد وشفاه على مهل . نجد فى سياق الكلام عبارة «مجتاز » مرتين (٨:٥٩ ، ٩:١) ، بمعجزة اجتاز يسوع فى تحد لأولئك الذين حاولوا أن يرجموه . ثم اجتاز ، مقابل الأعمى ملاحظاً بؤس الرجل وفاقته ، تأخر ليشفيه دون تقديم التماسات من جانب الرجل . لقد عرف ربنا أنه على الرغم من الكراهية القاتلة لأعدائه ، كان باق حتى يتمم عمله « ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى» ، ولم يستطع الشيطان ولا الأرواح النجسة ولا الأشرار إحباط ذلك العمل المقدس . لم يستطع أحد أن يمسه بأذى أو « يخترق بكلمة أو بحجر سياج الوجود الإلهى حوله ، وإذ كان آمناً فى ظل هذه الحماية ، استطاع أن يذهب ويأتى دون خوف أو أذى ، هادئاً واثقاً ومستريحاً آمناً ، مباركاً ومبارَكاً .

إن معجزة يوم السبت هذه والتى سببت غيظ قادة اليهود بسبب آرائهم المشوشة عن يوم السبت ، يمكن أن تنقسم إلى عدة أجزاء ، محنة الرجل الأعمى ، وسؤال التلاميذ ، وإجابة يسوع ، وشفاء الأعمى الشحاذ ، والانقسام بين الفريسيين .

محنة الرجل الأعمى

أولاً ، أمامنا المحنة الأليمة التى تبعث على اليأس للرجل الذى يصفه يوحنا . لقد ولد أعمى ، الأعمى الوحيد فى الأناجيل المشار إليه بهذه الطريقة . وهذه الحقيقة أعطت هذه الحالة طابعها الخاص لأنه « منذ ابتداء العالم لم يُسمع عن أى إنسان فتح عينى شخص ولد أعمى» (٩ : ٣٢) . ثم إنه بسبب هذه الكارثة اضطر أن يستعطى للحصول على لقمة العيش» ، إن الجلوس والتسول يدل

على الموقف المعتاد بالنسبة له ، مما جعله معروفاً للجماهير التى تعبر الطريق . حيث كان يطلب صدقة . ومن المرجح أن هذا الرجل كان يجلس بجوار الهيكل لأن المتسولين كانوا يتواجدون بالقرب من أبوابه طلباً للصدقة (أع ٣ : ٢) .

سؤال التلاميذ :

إن منظر هذا الشحاذ ومعرفة أنه ولد أعمى قد أثار سؤال التلاميذ «من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى ؟ » إنهم يربطون فكرة الخطية بمعاناة هذا الرجل ، والتى كانت مسئولة إلى حد ما عن ألمه - وأن آلامه الخاصة كانت نتيجة لخطية معينة (لو ١٣ : ١ - ٤) . وشعر التلاميذ أن هناك سبباً من اثنين قد تسبب فى محنة الرجل : إمـا أنه هو الذى أخطأ أو أبواه . ومع ذلك فـلابد أن السائلين قد شعروا بتناقضهم مع أنفسهم فى الجزء الأول من السؤال من أجل حقيقة أن محنة الرجل الأعمى والتى بدأت منذ مولده تستبعد وتشجب هذا الشك الذى ليس فى محله بأن خطيته الشخصية هى المسئولة عن حالة العمى التى كان يعانى منها . كانت هناك فكرة سائدة بين اليهود تنادى بوجود سابق ، وهو نوع من انتقال الأرواح إلى ما وراء هذا العالم، وبسبب ذلك فكأنى بالتلاميذ يقولون :« هل أخطأ هذا الرجل فى وجود سابق حتى أنه جاء إلى هذا العالم وهو أعمى ؟ ».

وبما أن أى خطية سابقة فكرة غير مقبوله وغير ممكنة ، فالجزء الثانى من السؤال لا يصعب فهمه - «أم أبواه» ، كان هناك اعتقاد يهودى شائع أن مزايا الوالدين تظهر فى أبنائهم وأن أفكار الأم يمكن أن تؤثر على الحالة الأخلاقية المكتسبة لذريتها . ومن المعلومات الشائعة أن أمراضاً معينة تصيب الأبناء بسبب خطية والديهم . والوصية الثانية تشير لافتقاد ذنوب الآباء فى الأبناء . وفى حين أن القاعدة العامة بموجب الحكم الإلهى أن الألم نتيجة للخطية ، إلا أن يسـوع قد أوضح أن هناك استثناءات لهذه القاعدة .

إجابة يسوع :

إجابة يسوع كانت صريحة أنه فى هذه الحالة لم يخطئ هذا الرجل ولا أبواه ، ومثل هذه الإجابة لا تعنى أن ربنا لم يقل إن الرجل الأعمى أو أبويه كانوا بلا خطية على الإطلاق . كل ما قاله أن ضربة العمى لم تصبه بسبب خطية (خر ٢٠ : ٥) ، ولم ينكر أيضاً أن الضربات غالباً تكون عقاباً للخطية (تث ٢٨:٢٢، ١كو ١١ : ٣٠ ، يع ٥ : ١٥) . لقد أوضح بجلاء أن السبب الحقيقى لعمى المتسول هو: « لتظهر أعمال الله فيه» ، حتى وإن بدا ذلك غامضاً ، إلا أن ربنا بإجابته هذه قد أعلن أنه ليس كل الألم الموجود فى العالم هو نتيجة للخطية . لقد سمح الله لهذا الرجل أن يولد أعمى حتى أنه من خلال هذا العمى تستعلن قوة المسيح للآخرين فى إزالته . ولد الرجل أعمى حتى أنه بقوة إلهية على هذا الرجل وفيه ، يمكنه أن يرى ليس جسدياً فقط بل روحياً كذلك ، « ولد أعمى لفائدته الروحية والأبدية حتى يُقتاد لإدراك وقبول يسوع كابن الله ، ويصبح بدوره بسبب اختباره ، قناة لتوصيل النعمة الإلهية للآخرين ». وعندما نأتى للعازر سوف نرى أن مرضه لم يكن نتيجة لأى خطية بل سمح به حتى « يتمجد ابن الله به » . قد لا نستطيع أن نفهم معنى دموعنا هنا على الأرض ، ولكن عندما نكون معه ، مع ذاك الذى لا يجعل أى ابن من أبنائه يذرف دمعة لا لزوم لها ، سوف نفهم أسبابه الحكيمة والصالحة التى تجعله يسمح بالتجارب . وعندئذ سوف :

نبارك اليد التى أرشدت .'. والقلب الذى خطط

فعمى هذا الرجل إذن يرجع للمشورة الإلهية ، وإن كان بسماح من الله ، إلا أنه مرتب من قبله لأجل مجده ولأجل المنفعة الكلية للرجل الأعمى (انظر يو ١١ : ٦ ، رو ٥ : ٢٠ ، ٨ : ٢٨ ، ٩ : ١٧ ، ١١ : ٢٥ و ٣٢ و ٣٣) .

العناية بالأعمى المتسول :

إن التفاصيل المقدمة لشفاء الأعمى توحى بأن الذى كتبها هو شاهد عيان للمعجزة . أول كل شئ عمله يسوع أنه تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً . إن أطباء ذلك العصر قد اتبعوا هذه الوسيلة فى حالات العمى الذى يحدث بعد الميلاد ، أما العمى الخلقى كان ينظر إليه باعتباره غير قابل للشفاء . وكما بينا من قبل ، لم يُسمع

عن أى حالة من هذا القبيل . ومن السمات البارزة لحالة هذا الرجل أنه لم يطلب أبداً شفاء ولا قام أحد بإحضاره ليسوع ليشفيه ، كما فى حالة أعمى بيت صيدا . وفى حالة العمى الكلى هذه وإذ لم يكن على دراية بخدمة يسوع لشفاء الناس ، لابد أنه كان مندهشاً عند ما بدأ يسوع يشفيه من عماه !

أما فيما يتعلق بالخصائص الطبية للعاب قديماً ، يمكن أن نضيف قصص فنسنت عن منافعه الفريدة ، ليس فقط كعلاج لأمراض العيون بل عموماً كسحر، حتى أنه كان يستخدم كتعويذة . ويصف بيرسيوس امرأة عجوز وهى تتعامل مع طفل فيقول :«إنها تأخذ الطفل من المهد ، وبسبابتها ترطب جبهته وشفتيه بالتفل لتبعد عنه العين الشريرة : يقول بلينى :« علينا أن نؤمن أنه باستخدام لعاب الشخص الصائم أى قبل الأكل ، كل صباح ، يمكن الوقاية من التهابات العيون ».

إن عملية طلاء عينى الأعمى بالطين تبدو غريبة ، فالطين يمكن أن يجعل الشخص البصير أعمى لا أن يحول الأعمى إلى شخص مبصر ، فنحن نعتقد أن هذا الخليط يمكن أن يغلق العينين تماماً . فما الهدف إذن من وضع الطين ؟ يرى بعض المفسرين فى استخدام الطين رمزاً للخليقة عندما تكوَّن الإنسان من تراب الأرض ، والفكرة هنا أن الله سوف يمارس قوة الخلق التى جبل بها الإنسان ، وسوف يكمل ، عن طريق هبة البصر ، الإنسان الذى شوهته الخطية وأصبح بدون العضو الرئيسى فى الحواس .

والسبب الأساسى لوضع الطين على عينى الأعمى أن ينعش فيه الأمل والتوقع . إن قوة الإيمان الكامنة يجب أن تثار ، وأن يدرك الأعمى حقيقة أن يسوع الذى لا يستطيع أن يراه ولكنه يقدر أن يلمسه هو الشافى . ولذا فقد امتدت اليد الإلهية ولمست العيون غير المبصرة . مما حدا بالأعمى أن يتوقع شفاء ، وهذا ما دفعه لطاعة أمر الرب . سبب آخر لوضع الطين ربما يكون لإقناع الواقفين أن الفاعلية ليست فى الوسيلة بل فى الشافى نفسه .

وفى حين أنه استخدم وسائل طبية طبيعية كقنوات تحمل نعمته (٢ مل ٤ : ٤١ ، إش ٣٨ : ٢١) ، إلا أنه كان قادراً على إظهار قوته الإلهية بدون وسيلة ، كما فى حالات عمى أخرى (مت ٩ : ٢٧ - ٣٠ ، ٢٠ : ٣٠ - ٣٤) . ففى ذلك السبت أدرك كل من الأعمى والواقفين بجانبه حقيقة أنه على الرغم من أن يسوع استخدم وسيلة الطين إلا أن القوة الفعلية على الشفاء كانت فيه وحده . فباستخدام وسيلة عادية ، علَّم الناس أن قوى الطبيعة الشافية هبة منه وأنها يمكن أن تزاد بناء على إرادة المعطى .

والأمر للأعمى أن يذهب ويغتسل فى بركة سلوام بعد ذلك شجع الرجل الذى لم يستطع أن يرى نظرة العطف فى عينى يسوع، ولكنه شعر أنه بوضع طبقة الطين وإصدار الأمر الذى التقطته أذنه ، فيسوع هو الذى سوف يُقدم له يد المساعدة . ومثل هذا الأمر كان امتحاناً آخر لإيمان الرجل ، ليثبته ويقويه . يقول هايرشن : «لقد كان الأمر يبدو عديم الفائدة بالنسبة لإنسان ولد أعمى أن يفعل هذا الشئ البسيط لكى يحصل على البصر ، ولكن بعد أن أطاع ، شفى . فالبركة تأتى عن طريق الطاعة» ، وهكذا كان الحال مع نعمان :« لقد أطاع الرجل الأعمى بلا تأخير أو تردد الأمر الإلهى ، وذهب واغتسل ورأى : إن طاعته الفورية تستحق المديح حقاً .

لقد حدث الشفاء فوراً ، والدهشة التى لابد أنها اعترت الرجل معبر عنها فى هذه العبارة البسيطة الرائعة:«اغتسل وأتى بصيراً». كان الاغتسال ضرورياً لإزالة الطين من عينيه . عادة عند استعادة البصر ، تكون الرؤية شيئاً بحاجة للتعلم ويكون هذا بطيئاً ، ولكن « المدركات البصرية المكتسبة » لم تكن ضرورية هنا ، لأن يسوع أعطى الرجل بصراً تاماً حتى يمكنه أن يرى بوضوح بمجرد أن تتفتح عيناه . ولقد أفاض المفسرون فى السمة الرمزية للوسيلة التى استخدمها يسوع لاستعادة الرجل لبصره . فالطين على سبيل المثال يرمز لإنسانية ربنا ، وماء البركة يرمز لعمل الروح القدس ،« وهكذا فعندما يدرك إنسان بمعونة الروح القدس الحقيقة الخطيرة بأن الله القوى صار إنساناً لخلاصه ، وأن الذى سار هنا على الأرض حقيراً كان هو (المرسل) من الآب ، فإن عماه الروحى ينقشع إلى الأبد .

يقول ترنش : «إن مياه سلوام التى اغتسل فيها الأعمى وأصبح بصيراً ، ربما اعتبرها يوحنا رمزاً لمياه المعمودية (١ بط ٣ : ٢١)

أو بالحرى رمزاً لكل أعمال النعمة التى تنفتح بها العيون العمياء روحياً ، لذلك كان اسم البركة لها مدلول سابق عنده ، وبهذه العبارة لا يكون اختيارها شيئاً من قبيل المصادفة البحتة ».

الانقسام بين الفريسيين

كان وقع المعجزة على الآخرين متناقضاً كما يظهر ذلك دراسة السؤال والمناقشة الودية فيما بين الجيران والانقسام بين أوساط الفريسيين . والأسئلة الواردة فى الأصحاح تصلح لدراسة مفيدة:

« كيف انفتحت عيناك ؟ » (١٠)

« من هو ؟ » (٣٦)

« أين ذاك ؟ » (١٢)

« ماذا تقول أنت عنه ؟ » (١٧)

« أتؤمن بابن الله ؟ » (٣٥)

« ألعلنا نحن أيضاً عميان ؟» (٤٠)

نجد فى فحص الرجل بعد استرداده للبصر حالة من أشد حالات المعارضة للمسيح التى أظهرتها السلطات اليهودية مع التناقض فيما بين « نحن نعلم » التى قالها الفريسيون ، و« أعلم» التى قالها الرجل (٢٥). يعوزنا فصلاً بأكمله للتعليق على الكبرياء المظهرية ، والنظم الجامدة ، والتحيز المتعمد والزيف المطلق من جانب أولئك الذين تعمدوا أن يرفضوا المسيح . لقد انقسم الفريسيون إلى معسكرين :« بعضهم يقول إن يسوع لا يمكن أن يكون من الله لأنه كسر السبت - الاتهام القديم . وآخرون كنيقوديموس يستندون على حقيقة أن الإنسان الخاطئ لا يمكن أن يفعل مثل هذه الأشياء» . ومع ذلك ففى وسط كل هذه المشاحنات ، نجد الأعمى الذى نال بصره يطبق منطق الإدراك السليم « لو كان هذا الرجل ليس من الله لما استطاع أن يفعل شيئاً» . وإذ تخلى عنه والداه ، ونبذه المجمع من قبل الفريسيين ، قد نال الرجل بركة ذاك الذى كان يعلم مقدار الألم الذى يحتمل فى قلب من تخلى عنه المجتمع . ومن الطريف أن نلاحظ تقدم الرجل فى معرفة من شفاه تدريجياً . فهو يتحدث عنه كإنسان (١١٠) ونبى (١٧) ومن الله (٣٣) وابن الله . هل معرفتنا به تزداد عمقاً على مر الأيام ؟ ، هل لنا هذا الاعتراف « كنت أعمى والآن أبصر » . إن هذا الرجل آمن واعترف وسجد ، كم كان إيمان الرجل الوطيد عظيماً ، وكذلك كان اعترافه الجسور بشفائه ، لجيرانه، للفريسيين أعداء المسيح ، وعظيم أيضاً تغاضيه التام عن عواقب طرده من المجمع واعترافه الجسور وبساطته التى استطاع أن يخزى بها الحكماء ، وكذلك إيمانه بابن الله وسجوده له ! ليت الله يهبنا نعمة ليكون عندنا مثل هذه الميزات !

(٣٦) معجزة شفاء المرأة التى عندها روح ضعف

(لو ١٣ : ١٠ - ١٧)

هذه القصة التى يسردها لوقا وحده ، والذى لا يخبرنا عن زمان ومكان حدوث المعجزة ، يخبرنا ببساطة أنها أجريت فى أحد المجامع فى يوم سبت .ووصفه يدل على تقرير مراقب مدرب ، وهذا ينطبق على لوقا كطبيب ومؤرخ موهوب . والكاتب لا يذكر لنا أى مجمع حدثت فيه المعجزة .فالمجامع كانت فى كل مكان وفيها كانت الصلوات ترفع كل يوم سبت ، ويُقرأ العهد القديم ويُفسَّر (٤ : ١٦ و ١٧، أع ١٣ : ١٤ و ١٥ و ١٥ : ٢١) .

لم يكن ربنا يُراقب من قِبل خصومه فى أى يوم من أيام الأسبوع إلا يوم السبت على أمل أن يصطادوه فى أى مخالفة للناموس حيال السبت . وما لم يفهمه أولئك القادة العميان بسبب عدم إيمانهم وضلالهم أنهم كانوا يدينون نفس الشخص الذى أعطى الناموس من فوق الجبل الذى كان يضطرم بالنار ، وقد كانت خطيتهم مضاعفة لأنه من المفروض أن يكونوا هم القادة الدينيين لشعب الله المختار . ومن الملامح الأخرى لشهرة المعجزات التى أجراها السيد فى يوم السبت هو شهرتها وكثرة عددها لأنه يعمل معجزات كثيرة فى ذلك اليوم ، فقد كرسه لأغراض إنجيله . ومن السمات البارزة للمعجزة التى نحن بصددها ، المرأة المنحنية وشفاء المسيح لها ورئيس المجمع المكابر والجمع المعترف بالجميل .

المرأة المنحنية :

كانت الحالة الجسدية للمرأة تدعو للرثاء ، فقد ظلت طيلة ثمانية عشر عاماً وهى تتحمل هذا التشويه الموصوف قبل كل شئ بأنه:«روح ضعف»، وهذا لا يعنى أن روحها كانت ضعيفة واهنة . فالعبارة تدل على خلل غامض فى الجهاز العصبى ، وهذا الخلل يكثر فى العقل عنه فى الجسد ، فانحناؤها الجسدى كان نتيجة لانحرافها العقلى ، مما جعلها تعانى من الاكتئاب الشديد . ولذلك فمرضها الغريب كان جسدياً وعقلياً فى آن واحد . «كانت منحنية ولم تقدر أن تنتصب البتة ». وكلمة منحنية « كلمة لا توجد فى أى موضع آخر فى العهد الجديد ، وهى تدل على عدم وجود فقرات العمود الفقرى فى مكانها الصحيح . يا لها من صورة معبرة عن الحالة الروحية لكل إنسان فى الخطية - الانحناء يعنى عدم القدرة على التطلع إلى وجه إلهه وأنه بلا قوة تساعده على علاج حالته السيئة (مز ٤٠ : ١٢ ، رو ٥ : ٦). ووصف المسيح للسيدة أنه « قد ربطها الشيطان » ، يتضمن أنها كانت حالة من حالات تقمص الأرواح الشريرة . يتحدث بولس عن شوكته فى الجسد بأنها من الشيطان ليلطمه (٢ كو ١٢:٧) « لقد دأب إنجيل لوقا كعادته على إبراز أوجه التباين حيث يعطيها مكانة بارزة » . إن مثل هذه العبارة تبين بالطبع أن كارثة المرأة لها جذور أعمق من النواحى الجسمية .

ثم يتحدث يسوع عن هذه المرأة بأنها « ابنة إبراهيم » التى هى أفضل فى نظره من ثور أو حمار ولذلك فقد وبخ الفريسيين . إن هذا اللقب المعطى لها يدل على أنها كانت من الدوائر المقربة لأتقياء الإسرائيليين «الذين ينتظرون تعزية إسرائيل» (٢:٢٥ ، ١٩:٩). وكابنة لإبراهيم ، فقد كانت تنطوى على إيمان إبراهيم، ومثل هذا الإيمان لم يكن لينتظر لأنه كان يوم سبت . فالإيمان ، وليس أعمال الناموس ، هو الذى يمنحنا بركة من الله (رو ٤ :٥ - ١٦). إن هذه الوارثة لإبراهيم كانت فى المكان الصحيح لشفائها ، فحالة العجز التى كانت تعانى منها لم تمنعها من الذهاب لبيت الله . وفى المجمع ، كما كانت معتادة ، كانت حاضرة فى ذلك اليوم عندما حضر يسوع للعبادة ، فلو كانت غائبة فى ذلك اليوم ، فكم وكم مقدار البركة التى كانت ستخسرها! ، «كم يحق لأولئك الذين يشقون طريقهم بثبات إلى بيت الله بالرغم من ضعفهم الجسدى واضطرابهم الذهنى أو أثقالهم المنزلية ومتاعبهم ، كم يحق لهم أن يفرحوا ويتهللوا ».

المسيح الشافى :

إن حالة المرأة لفتت أنظار المسيح الذى رق لها بروحه وهو يراها منحنية ودعاها وقال :« يا امرأة أنت محلولة من ضعفك »، نحن لا نعلم إن كانت قد علمت أن يسوع سوف يكون فى المجمع فى ذلك السبت أم لا ، وهى لم تأت إليه طالبة الشفاء ، ولم ينتظر يسوع كذلك حتى يُطلب منه . لقد رآها يسوع وبرزت محنتها كموضوع خاص فى حاجة إلى رحمته . كما يعبر ليدلو عن ذلك بالقول :

« إن إنحناءها ووجهها المتغضن كانا بالنسبة له بمثابة كتاب مفتوح قرأ فيه قصة عبوديتها لمدة ١٨ سنة وكفاحها الدؤوب لتحتمل ضعفها . وانتظامها فى الحضور لعبادة الله ، وربما كانت هناك سمات أخرى لا نعرف عنها شيئاً ، قد أظهرت له طبيعتها الروحية والدينية الأصيلة ».

إن تكريسها المعتاد ومن ثم إيمانها ، جعلاها جديرة بقبول قوة يسوع الشافية . يقترح ترنش :« إن حضورها فى المجمع كان سبب حصولها على ذلك العون » .

لقد وضع يسوع يده على المرأة وفى الحال انتصبت . إن مثل هذه اللمسة قد ساعدت إيمان المرأة (انظر مت ٩ : ٢٩) . يقول يوحنا فم الذهب «إنه يضع يديه عليها أيضاً حتى نتعلم أن الجسد المقدس يمتلك قوة وطاقة كلمة الله» . « أنت محلولة » هذه هى الفقرة الوحيدة فى العهد الجديد التى تستخدم فيها هذه الكلمة عن مرض و« يستخدمها المتخصصون فى الكتابات الطبية للتعبير عن التحرر من المرض ، واسترخاء العضلات وخلع الضمادات» ، وقد صحب كلمة السيد المانحة للقوة حياة جديدة دبت فى المرأة جعلت قيودها الروحية والجسدية تنفك .« انتصبت » الكلمة استخدمت هنا لوصف اعتدال قامتها الفورى بعد ١٨ سنة ، وهذه الكلمة قد استخدمت أيضاً بشأن إقامة خيمة داود وعن تقويم الأيادى المرتخية

(أع ١٥ : ١٦ ، عب ١٢ : ١٢). يقول «هو بارت» عن المعجزة :

«بالإضافة للكلمات الطبية المستخدمة لوصفها ، هناك أثر للكتابات الطبية ، فبعد ذكر طول المدة التي تحملتها المرأة وهي في حالة الضعف ، يذكر لوقا المراحل العديدة لعملية الشفاء - أولاً استرخاء عضلات الصدر المنقبضة ، وهذه في حد ذاتها ليست كافية لتمنحها قواماً منتصباً بسبب تصلب العضلات على مدى سنين عديدة ، والجزء الثاني من العملية وصف بأنه إزالة للانحناء والقوة على أن تقف منتصبة » .

وبسبب هذه الأعجوبة الفورية التي لم تطلب المرأة إجراؤها ، شعرت بالامتنان و«مجدت الله » (مت ٩ : ٨ ، ١٥ : ٣١). وقدمت شكراً لمن قام بشفائها وحمداً له أمام جميع الناس .

رئيس المجمع المكابر :

ولكن المعجزة كان لها تأثير مختلف على رئيس المجمع (انظر مت ٢١ : ١٥و١٦) . فالمرأة المباركة قدمت عبادتها لمن شفاها ولكن رئيس المجمع صب جام غضبه عليه ،« فأجاب رئيس المجمع وهو مغتاظ» : إن في الأسبوع ستة أيام أخرى للإبراء دون تدنيس السبت ، ولو كانت هناك شرارة روحية من البصيرة في ذهن الرئيس المغتاظ لتذكر المزمور القديم الذي يدعو الناس أن يباركوا الرب ، «« الذي يشفي كل أمراضك» (مز ١٠٣). ولكن بدلاً من ذلك استشاط غضباً وأثار سؤالاً فسره «اليكوت» بهذه الطريقة :

« إن القانون التقليدي لعمل الطبيب اليهودي أنه يمكنه أن يعمل عند استدعائه في حالات الطوارئ ، في حالات ما بين الحياة والموت ، ولكن ليس في الأمراض المزمنة كهذه . وهذا القانون أراد رئيس المجمع أن يفرضه كتصحيح لعمل الطبيب الأعظم هنا .. إننا لا يمكن إلا أن نفكر في (الطبيب المحب) وهو يمارس دوره لصالح البشر ، إخوته ، في يوم السبت كما في الأيام الأخرى .. بالنسبة لشخص كهذا كان يكون من دواعي سروره وارتياحه أن يشير لكلمات يسوع وأعماله باعتبارها مساندة ومصادقة على ممارساته الخاصة ».

رد يسوع على خصمه بقسوة غير عادية حتى أنه أخجله لدرجة لم يستطع معها أن يتكلم ، ولعدم جرأته على مهاجمة الرب نفسه أو حتى المرأة تحدث بطريقة مستترة تدل على الجبن موجهاً كلامه إلى الجمع (١٣ : ١٤) . ولكن يسوع رد عليه بطريقة ممتازة أخرست خصومه ، وكسبت إعجاب سامعيه « يا مرائي ! ». إن الفريسيين أنفسهم لم يترددوا في حل ثيرانهم وحميرهم من المذاود والمضي بها حتى يسقونها في يوم السبت ، فلماذا ينتقدون المسيح لتحرير يهودية من العبء الرهيب الذي كانت تنوء تحته ، وهي ابنة إبراهيم ، ولذا فهي أفضل من ثور أو حمار ؟ .إن كل كلمة قالها المسيح في رده كان لها مدلولها العميق وهو يفضح رياء هؤلاء الفريسيين . عندما جعل الله السبت لأجل الإنسان ، ناهياً إياه عن أن يعمل فيه ، ولذلك فهو لم يقيد يديه وهو الرب محرِّماً على نفسه القيام بأفعال الرحمة في ذلك اليوم . وكرب السبت ، فلا شئ يستطيع أن يمنعه ، ولا حتى مثل هذا اليوم ، عن القيام بخدمته ، خدمة النعمة والقوة .

الجمع المعترف بالجميل :

في حين هاجمه خصومه ثم شعروا بالخجل ، فإن الجمع « فرح بجميع الأعمال المجيدة الكائنة منه» ، والعبارة « الكائنة منه » تعني التي يفعلها على الدوام ، ولابد أن مثل هذه الكلمات الشاكرة قد أسعدت قلب الشافي ، وفي نفس الوقت أوغرت صدور ناقديه غير المعترفين بالجميل .

ما الدرس الذي يمكن استخلاصه من هذه المعجزة ؟ هناك أرواح كثيرة مقيدة بالضعف! فالخطية قد جعلتها منحنية وهي تتطلع إلى الأرض بدلاً من التطلع إلى السماء . إنها بحاجة ماسة لمن يحل قيود الإثم والمسيح وحده يمكن أن يجري معجزة الرحمة ويجعلها تمشي منتصبة أمامه وأمام الناس . فإن كانت حالة المرأة قد جعلت قلب يسوع يرق لها ، فكم وكم يتأثر بحالة ملايين البشر الذين ربطهم الشيطان ! والسؤال هو ، هل نحن نشارك رؤياه وعطفه ، وهل نحن نحاول جاهدين أن نأتي بالذين ربطتهم الخطية إلى ذاك الذي « لا يزال هو الحق الذي يحرر ويعتق من عبودية إبليس ؟ »

[٣٧] معجزة شفاء الرجل المستسقى

(لو ١٤ : ١ - ٦)

إن هذا الشفاء الذى أجراه المسيح فى آخر يوم سبت يسير على نفس المنوال فى المعجزة التى تأملناها حالاً . هنا نجد حادثة يوم سبت آخر ، ليس فى مجمع هذه المرة ، بل فى منزل أحد رؤساء الفريسيين الذى كان يحتل مركزاً مرموقاً أمام الفريسيين.

ألم تفكر فى التساؤل عن السبب الذى دعا الفريسيين لدعوة يسوع لحضور الوليمة فى هذا السبت ؟ هل كانوا مدفوعين بدافع العداء ؟ فنحن نقرأ أنه بينما كان الضيوف يأكلون كان الفريسيون « يراقبون » يسوع ، وبسبب هذا المسلك المريب ، لا حاجة لأن يقال شئ فيما يختص بمثل هذا الموقف للمضيف وأصدقائه تجاه ضيفهم . لقد كانوا يجلسون على المائدة مع الله الظاهر فى الجسد ، وكانـــوا « يراقبونه » ، ومع ذلك كانوا عمياناً لدرجة أنهم لم يعرفوه . لقد قبل يسوع الدعوة فى محبة ، حتى ولو لم تُقدم بإيمان وثقة ، لأن مراقبتهم للمسيح عن كثب كانت بغرض البحث عن أدلة اتهام توجه ضده .

يقترح بعض المفسرين أن الرجل المستسقى أحضر للوليمة عن عمد - حتى وإن لم يكن يدرك هو ذلك . إن خصوم يسوع الأشرار نصبوا شركاً ليسوع لأنهم كانوا على دراية بشفقة المسيح وعطفه . فعندما يرى الإنسان المريض ، هل سيدنس السبت مرة أخرى بأعمال الشفاء التى يجريها ؟ ونتيجة هذه المؤامرة ، التى لم يكن الرجل المستسقى طرفاً فيها ، قد أدهشت المدعوين . وسواء كان المسيح مدعواً بدافع الاحترام (٧ : ٣٦) أو بدافع حب الاستطلاع أو لغرض ماكر ، فإنه انتهز الفرصة ليخجل أعداءه .

كانت ولائم السبت هذه جزءاً لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية عند اليهود ، حيث كان ذلك اليوم مخصصاً لاستضافة الناس وإقامة الولائم . قال بلوتارك عن هذه الولائم : « كان العبرانيون يكرمون يوم السبت أساساً بدعوة بعضهم البعض للشراب والسكر » ، وعلى الرغم من تدينهم ، لم يمارس الفريسيون نوعاً من الصرامة فى حفظ السبت ، ولكنهم حوّلوه إلى يوم من العربدة والإفراط ، ولم يشعروا يوخز الضمير لإقامة الولائم فى ذلك اليوم ، ولكن شفاء المرضى كان إثماً لا يغتفر (مر ٣ : ١ - ٦) . ولأن يسوع كان يأكل ويشرب مع العشارين والخطاة ، فقد قبل الدعاوى للولائم (١٥ : ١و٢) وهو يعلم جيداً أن بإمكانه أن يستخدمها جيداً كمنابر يظهر فوقها نعمته وقوته .

وهذا الرجل الذى لم يطلق عليه اسم والذى رآه يســوع فى الوليمة ، «إنسان مستسق» . وهذه هى الطريقة المعتادة لوصف مثل هذا الشخص المريض بلغة طبية . إنها حالة الاستسقاء الوحيدة المشار إليها فى الأناجيل . وسواء كان حاضراً كضيف مدعو ، دعاه أحد الفريسيين الأثرياء ليستعرض كرم ضيافته أو جاء لكى يُشفى، فهذا ما لا يذكره البشير . واللفظ الذى استخدمه لوقا لوصف حالة الرجل لفظ فنى دقيق . فمهنة لوقا كطبيب أثرت على أسلوبه ولغته فى إنجيله وفى سفر أعمال الرسل ، وكلاهما يذخران بالمصطلحات الفنية . ولهذا السبب، فهو دوناً عن سائر الكتّاب الآخرين ، قدم أبحاثاً خاصة بالأمراض التى شفاها يســوع . أمـــا عـــن مـــرض «الاستسقاء» ذاته ، فقد كان ولا يزال يعتبر عرضاً لمرض عضوى . فهو عادة مرض فى القلب أو الكليتين . يقول مكليم إن الرجل الذى شفاه يسوع كان يعانى من نوع من الأمراض التشنجية ، وما ندعوه « استسقاء» يظهر على شكل ماء تحت الجلد أو تورم فى أجزاء مختلفة من الجسم .

أمسك يسوع الرجل ، « وأبرأه وأطلقه » ، وقد تم الشفاء عن طريق لمسه ، وعندما لمسه يسوع ، هرب المرض وسمح للرجل الذى شفى أن يغادر الوليمة قبل أن يستأنف يسوع حديثه مع ناقديه المكابرين . لم يطلب أحد الشفاء ولكنه قُدم بعطف وعن طريق إجرائه قدم يسوع تعليمه لأنه أشار إلى أفعال الخير التى قام بها منتقدوه لإنقاذ حيواناتهم فى يوم السبت . والحجج التى ساقها تشبه تقريباً تلك التى ذكرها فى مناسبات أخرى (٦ : ٦ - ٩ ، مت ١٢ : ٩ - ١٤ ، مر ٣ : ١ - ٦) .

أخذ يسوع هنا زمام المبادرة فى الجدل . فوجّه هو الأسئلة أولاً ، وليس الفريسيون ، ولأن أسئلته كانت واضحة جداً ، وعلى حق فيما

قاله ، لم يستطع خصومه الإجابة عليها « لم يقدروا أن يجيبوه » والتزموا الصمت ، أو عجزوا عن الإجابة » حسب ما جاء في الأصل ». ولكن مثل هذا الإفحام أمام الناس أغضبهم ورسَّخ عداءهم للمسيح . لقد صمتوا وتحينوا الفرصة (مت ١٢ : ١٤) . إن المدخل الذي استخدمه كان مستقيماً لأنه أصاب كبد الحقيقة ، وفتح موضوع الحوار بنفسه ، وتوقع اعتراضات مراقبيه، ثم وضعهم وجهاً لوجه أمام ضمائرهم ، وأعمال الخير . والديانة - النقية الخالية من أي إضافات بشرية لا معنى لها كما قصدها من أعطى الناموس (١٤ : ٣) .

في المعجزة السابقة ، قارن بين حل ثور أو حمار من المذود ، وشفاء امرأة مؤمنة من انحناء دام ١٨ سنة . وهنا ، فالحيوان الذي سقط في بئر هو المقابل المناسب لرجل في خطر الموت من الاستسقاء ، والإنسان أفضل بكثير في كلتا الحالتين ، مما أفحم الفريسيين ، عبر جروتياس Crotias عن ذلك القول : «لقد قارن يسوع الرجل المستسقي بحيوان يغرق ، والمرأة المنحنية بحيوان مربوط» ، وبشفاء الرجل المستشقي ، أثبت يسوع أن الشفاء في يوم سبت كان عملاً من أعمال الرحمة، وبالإيضاح الذي قدمه عن الحمار أو الثور فضح منطق الفريسيين الملتوي . إن مثل هذه الحجج القوية أغلقت أفواه أولئك الذين كانت قلوبهم خالية من الرحمة تجاه البشرية المتألمة !

هناك طريقتان لتطبيق هذه المعجزة الأخيرة من المعجزات السبع التي أجراها المسيح في أيام السبت . فبهذه المعجزات في يوم السبت أكد « العنصر الإنساني في إنشاء يوم السبت من الأساس كيوم راحة ، منقذاً إياه من مبالغات الفريسيين ، وقد صدَّق عليه أيضاً كيوم من أيام العبادة العامة . فبهذه الأعمال الخاصة بالشفاء قد كرَّمه بنوع خاص كيوم لإظهار الرحمة . إن يوم الرب مكرَّس بروحه لخدمة الإنسان وعبادة الله .

والتطبيق الآخر للمعجزة هو أن عطف المسيح الدائم تجاه الألم البشري مرآة لقلبه العطوف تجاه الخطاة . لقد عاش ليريح المتألمين والمضطهدين . لقد مات ليحرر الرجال والنساء من مرض أردأ من أي مرض جسدي . وبدمه المسفوك ، يمكنه أن يأخذ بيد الخاطئ ويشفيه ويطلقه ليمشي في جدة الحياة .

{ ٣٨ } معجزة إقامة لعازر من الأموات

(يو ١١ : ١ - ٤٦)

لشرح كل جوانب تلك المعجزة العظيمة الخاصة بالقيامة في هذه القصة شرحاً تفصيلياً ، والتي سردها البشير نفسه ببساطة لا نظير لها ، فإن ذلك يتطلب كتاباً مستقلاً ، « فالظروف المحيطة بهذه القصة الجميلة تشهد لصحتها التاريخية بطريقة لا يمكن دحضها . والاعتراضات المثارة من قِبل النقاد تتركز في معارضتها للعنصر المعجزي في قصة كهذه» .

فقبل موت يسوع وقيامته بحوالي شهر ، زار بيت عنيا وأجرى ثالث معجزة قيامة له - أشهر كل معجزاته ، والتي كانت تبشر بقيامته هو ، وقد تركت أيضاً انطباعاً عميقاً في أورشليم ، ولكنها جعلت السنهدريم يتوصل إلى قراره النهائي بمحاولة القضاء على المسيح. بعد المعجزة اعتزل يسوع في برية أفرايم لينتظر في هدوء مع تلاميذه الاثني عشر ، الفصح وساعاته الأخيرة . كانت هذه آخر معجزة من سبع معجزات سجلها يوحنا . وإذ كان يوحنا على علم بكل المعجزات الأخرى التي سجلها متى ومرقس ولوقا ، فإنه كان يدرك أن هناك معجزات أخرى كثيرة لم يرد عنها أي بيان ، لقدكان يعلم أنه من المستحيل إعطاء بيان كامل بكل معجزات المسيح ، ولكنه يختار معجزات نموذجية ، ويقر بهذا الإقرار الرسولي عن مدى اتساع معجزات يسوع بتلك الكلمات :

« *وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب .. وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة* » (٢٠ : ٢١ و ٢١ : ٢٥) » .

وفي حين أننا لا نعرف كم مرة زار يسوع بيت مريم ومرثا ولعازر في بيت عنيا ، إلا أننا نعلم أنه كان مكاناً جميلاً وأحد الاماكن القليلة على الأرض حيث كان يسوع يُحَب ويقدَّر ، وحيث

كانت تجد روحه المتألمة شيئاً من الراحة . من المرجح أن والدهم قد مات وكان لعازر وأختاه يكوِّنون عائلة بهيجة ، فقد كان الثلاثة يحب كل منهم الآخر، وكان كل منهم يؤمن بالمسيا المحتقر المرفوض، وكان المسيح يحب كلاً منهم على قدم المساواة . والزيارات السابقة لمثل هذا البيت الذى تظلله المحبة قد سجلها البشيرون الآخرون (مت ٢١ : ١٧ ، مر ١١ : ١١ و ١٩ ، لو ١٠: ٤١و٤٢) . والآن فقد غزا المرض البيت وبحث الأختان فى احتياج عن يسوع . لقد كان عليهما أن يتعلما أن حكمة المحبة الإلهية لا تحمى دائماً الأشخاص المقربين من الألم والحزن والموت . إن هذه الأسرة التى كانت تجمعها أوثق روابط المحبة ، والتى قد شرفتها صداقة المسيح الفريدة ، قد سُمح لها أن تختبر المرض والكرب . هذه الفقرة التى تتحدث عن أشهر المعجزات التى أجراها المسيح من أكثر فقرات الكتاب المقدس تأثيراً فى النفوس ، وهى تمهيد رفيع المستوى للبرهان المذهل لقوته المعجزية ، والتى كانت لتظهر بعد ذلك فى قيامته من الأموات .

لا يتحدث الإنجيل عن طبيعة مرض لعازر ، فمن الثابت أنه كان خطيراً بالدرجة الكافية التى جعلت الأختان تطلبان عون الصديق الشافى الذى أحب ثلاثتهم حباً أثيراً لديه ، لقد شعرت كل منهما أن المرض سوف يهرب فى حضرته . إن حقيقة المرض قد صيغت فى كلمات ذات بساطه مؤثرة ، لقد شعرت الأختان القلقتان أن الرسالة المحزنة ليست فى حاجة إلى إضافات ، وأنه ليست هناك ضرورة لتقديم صلاة لطلب المساعدة (١١ : ٢١) . يعبر «بنجل» عن ذلك القول : «أنهما لا يقولان تعال » ، فالذى يحب لا يحتاج سوى للمعرفة» ، والمعلومة التى أرسلتها الأختان معبر عنها فى هذه العبارة « ياسيد هوذا الذى تحبه مريض ».

وقبل أن نتحدث عن تفاصيل أخرى ، هناك كلمة يمكن أن تقال عن محبة يسوع بنوع خاص : « لقد أحب مرثا وأختها ولعازر » ، هذه المحبة لأصدقاء مختارين تثبت أنه يحب شخصيات مختلفة . لقد أحب مرثا ، مدبرة المنزل النشيطة العملية الحريصة على العناية بضيوفها والعمل على راحتهم . فمن الثابت أنها كانت امرأة قوية وصحيحة البدن ، قوتها أكثر من عواطفها. أما مريم فقد كانت تختلف عن الطبيعة القلقة غير المستقرة لأختها . لقد كانت من النوع الكثير التأمل الروحانى ، موهوبة بكل ما حبا الله به المرأة من حدة البصيرة والعطف الرقيق ، وكان لعازر قليل الكلام ، هادئاً غير فضولى . كان الثلاثة مخلصين للمعلم وكانوا يقدرونه كل بطريقته الخاصة . كما يقول « دكتور جريفت توماس» : «بالنسبة للعازر كان هو الرب القوى ، ولمرثا الحياة الأبدية، ولمريم الحب المتجسد» ، وهكذا فقد تعامل مع كل واحد طبقاً لتكوينه الخاص ، بمحبة تتصف بالشفقة والحكمة والكفاية والتمييز والإشباع .

عندما تلقى يسوع خبراً عن مرض لعازر ، فقد كان يعلم بالفعل عن ذلك لعلمه بكل شئ . فقال لمن أوصلوا هذا الخبر ولتلاميذه إن هذا المرض ليس للموت بل سمح به لأجل شيئين وهما: إتمام غرض ومجد الله وأيضاً ليتمجد يسوع به . ولكن ما يصعب فهمه هو تأخير يسوع . فمع أنه كان يحب لعازر ، فهو لم يسمح فقط بالمرض بل سمح له أن يستمر وينتهى بالموت ، ومع ذلك فقد كان على هاتين الأختين ان تفهما أن تأخيره لا يعنى تخليه عنهما . فكثيراً ما تسمح المحبة بالألم ، وهناك صفات لا يمكن أن تنمو وتكتمل سوى بالألم الشديد ، ويسوع نفسه « تعلم الطاعة مما تألم به ».

كانت مريم ومرثا متأكدتين أن يسوع سوف يأتى ، ولكن لأنه أحبهما فقد « مكث حينئذ فى الموضع الذى كان فيه يومين » ، وفى هذين اليومين مات صديقه . هل يدهشنا أن هاتين الأختين ، وقد كانتا متحيرتين إزاء تأخيره الغريب ، أنه عند مجيئه أخيراً قالتا: « يارب لو كنت ههنا لم يمت أخى ؟» ، كم كان عليهما أن يتعلما أن الأمر ليس إهمالاً ، فالمحبة كانت كامنة وراء هذا التأخير المحزن ولابد أن الأمر كان مؤلماً حتى بالنسبة لمشاعر يسوع أن يجرح مشاعر مريم ومرثا بالسماح للعازر أن يموت ، ولكنه أراد أن يبين لهما ، ولنا أيضاً ، أنه مهما كانت قوتنا على مساعدة أصدقائنا أو ميلنا لتقديم تلك المساعدة ، يجب أن نهتدى فى ممارسة تلك القوة باعتبار مجد الله وفائدتهم الروحية ، بأكثر من إشباع مشاعرهم الحالية .

بينما كان يسوع متجهاً لبيت الحزن في بيت عنيا ، قدم للذين حوله وصفاً جميلاً للموت . لقد علم أن لعازر قد مات وقال : «لعازر حبيبنا قد نام . لكنى أذهب لأوقظه »، فظن التلاميذ أنه يشير للنوم الطبيعى وأن لعازر بعد نوم مريح ، سوف يشفى من مرضه . حينئذ قال يسوع علانية : «لعازر مات ». على المسيحيين أن يروا الموت بعينى المسيح . إن ما ينام هو الجسد وليس الروح التى فى داخل الجسد . فالتغرب عن الجسد والاستيطان عند الرب حالة واعية تنم عن الغبطة والسعادة ، ولكن الجسد ينام فى التراب منتظراً القيامة.

عندما وصل يسوع أخيراً إلى بيت عنيا ، كان لعازر فى قبره لمدة أربعة أيام . لقد كانت فكرة يهودية شائعة أن الروح تحلق فوق الجسد حتى اليوم الثالث عندما يدب الفساد فى الجسد فتأخذ فى الطيران ، قالت مرثا ليسوع :« ياسيد قد أنتن ». لقد دب فيه الفساد .ولكن معجزة باهرة كانت على وشك أن تحدث . إن عملاً مشبعاً بالقوة الإلهية كان ليدوم فيقلب الموازين ويوقف عملية الدمار الذى عاث فى الجسد فساداً . إن يسوع قام من الأموات قبل اليوم الرابع لأنه كان متنبأ عنه أنه لن يرى فساداً (مز ١٦ : ١٠).

كم كانت الرسالة مشجعة « سيقوم أخوك » والتأكيد أن يسوع « هو القيامة والحياة» ، لقد اعترفت مرثا بالإيمان بمسيانيته :« نعم يا سيد ، أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالم »، ولأنها آمنت فقد علمت أنه قادر أن يعيد أخاها إلى الحياة . ومريم التى كانت تجلس على طريقة النائحين فى البيت ، أتت بسرعة استجابة لدعوة مرثا لها لمقابلة يسوع . ولكن تحية مريم للمسيح بالكلمات « ياسيد لو كنت ههنا لم يمت أخى» ، جعلت يسوع ينزعج بروحه ويضطرب . وهذا الانزعاج يعنى أنه قد تأثر مهتاجاً بروحه ومضطرباً ، أى كان هناك إعلان لمشاعره القوية ليس فقط تجاه بكاء اليهود الذى يتسم بالنفاق ولكن أيضاً تجاه الانتصار الوقتى للشيطان الذى له سلطان الموت .

نأتى الآن لأقصر وأحلى عدد فى الكتاب المقدس « بكى يسوع» إن بكاء الأختين المتألمتين لمس قلبه ، وليس ذلك فقط ، بل إنه بموت لعازر قد فقد صديقاً كان يحبه ، «إن التعاطف مع الحزن البشرى لا يشكل جزءاً أقل فى طبيعته من القوة الإلهية »، إذ كان يسوع يمشى قدماً تجاه قبر صديقه ، انسابت دموعه مما حدا بالواقفين للقول : «انظروا كيف كان يحبه »، إن حزن الأختين استدر عطفه ، وانتابته نوبة من الحزن العميق لم يحاول مقاومتها ، إن دموعه الحارة تشكل إنجيلاً كاملاً ! إننا نفكر فى مصدرها وأصلها ، ومداها وقوتها وانسيابها . على جبل الزيتون ، بكى على مدينة عظيمة محكوماً عليها بالدمار، وبكى على خطاياها ، ولكن تلك الدموع انسابت فى الموت الكفارى على الصليب . على جبل الزيتون ذرف دموعه لأجل خطايا أورشليم ، على الجلجثة سفك دمه لأجل تلك الخطايا . وهنا هو يبكى لأجل صديق أحبه وفقده ، لأجل شخص لا يحتمل فراقه ، ولكن تلك الدموع المباركة نتج عنها حياة جديدة للعازر.. كما يقول دون Doone :« إن الدموع فى آيتنا هذه كينبوع ، كبئر يخص أسرة واحدة ، أختا لعازر ، والدموع على أورشليم كنهر ، ينتمى لدولة بكاملها ، أما الدموع على الصليب فهى كالبحر الذى ينتمى للعالم أجمع» (انظر أيضاً عب ٥ : ٧).

فى كل هذا الأصحاح أمامنا شهادة قيِّمة عن تلقائية عواطف يسوع الإنسانية . إننا مندهشون لمعجزة بشريته ، لقد أحب واحتاج لنوال قسط من الراحة فى بيت ، كان يفرح ويسر ، وكان ينزعج ويبكى وكان محتاجاً للصلاة ، ومع ذلك فاللاهوت والناسوت متحدان معاً فى هذه المعجزة . فكإنسان بكى- وكالله صرخ قائلاً: « لعازر هلم خارجاً »، كالإنسان تعاطف معنا فى أحزاننا وفراقنا للأحباء ، وكالله فقد أزال هذه الأحزان وحوَّلها إلى أفراح .إن الآلهة الوثنية لا تتأثر لمشاعر الضعف البشرى ، فلكونها أسطورية فهى بعيدة كل البعد عن كل مشاعر الحزن أو الاهتمام.

ولأن المعجزة التى كان على وشك أن يجريها كانت من أعمال الآب ، فقد صلى يسوع وبارك الله للاستجابة التى كان يعلم أنها سوف تأتى سريعاً . ومجال العمل البشرى متوفر أيضاً فى المعجزة ، لأن يسوع قال لتلاميذه « ارفعوا الحجر » و«حلوه ودعوه يذهب» ، فهذه الأعمال لم تكن تتطلب معجزة ، فقد كان بإمكانه أن يستخدم إرادته بدون كلمة ويجعل الحجر يتحرك من مكانه وأن يخرج

الشخص المقام بدون الأكفان . ولكن يسوع لم يكن يبالغ فى إجراء معـجزات لا لزوم لها . إن دراسـة العنصـر الإعـجازى يقنعنا بالاقتصاد فى استخدام القوة الإلهية . بعد أن تحدث مع الله صرخ بصوت عظيم مخاطباً لعازر ، و«كقيامه الأموات» و «حياة الأحياء» ، فهو لم يأت بالقيامة فقط فهو القيامة نفسها ، وهو لا يعطى الحياة فقط ولكنه الحياة ذاتها .

والذى قـهر الموت وكل سلطان له « دوى صوته فى عـرين الموت» ، وبدون وجود فترة فاصلة بين النداء والحياة ، خرج لعازر . لقد حصل على الحياة ولكنه كان بحاجة للتحرر من الأكفان ، ولذلك نادى يسوع إلى المقربين منه لكى« يحلوه ويدعوه يذهب »، كل ما عمله يسوع أن كرر اسم الرجل الميت مرتين ، وأضاف كلمتين تحملان أمراً ، قال أحد اللاهوتيين القدامى إن يسوع اضطر لدعوة لعازر بالاسم ، فلو لم يفـعل ذلك ، لقـام كل القـديسين الراقـدين من الأموات . إن نبرة صوته ذات السلطان اخترقت صمت القبر العميق، وأطيعت فى الحال ، وتم تسليم لعازر لأحبائه . أليس نفس هـــذا « الصوت العالى » عربون لبوق رئيس الملائكة عندما يأتى ليعلن قيامة الأموات فى المسيح ؟ .

ليس لدينا سجل بالأسرار التى أتى بها لعازر من عالم ما وراء القبر . فهناك أولئك الذين قاموا بتخمينات لا جدوى منها عما كشفه من أسرار . هناك أسطورة قديمة تقول إن أول سؤال سأله لعازر بعد قيامته هو إن كان لابد أن يموت مرة أخرى وعندما تمت الإجابة على سؤاله بالإيجاب ، لم يبتسم مرة أخرى .

وللمعـجزة نتائج عديدة كما تبين خاتمة الأصحاح . وكنتيجة لقوة قيـامة المسيح ، آمن به عـدد كبـير من اليـهود ، ولكن هذه المعجزة ومعجزات أخرى أغضبت الفريسيين وحدهم ، وجعلتهم أشد تصميماً على قتل يسوع . واقترح قيافا رئيس الكهنة ، وهو من روما وصدوقى - لم يكن يؤمن بالقيامة - اقترح على المجمع أنه يستحسن أن يموت يسوع على أن يفقدوا مراكزهم . إن أعمال يسوع ككلماته ، كانت الحد الفاصل بين النور والظلام ، الإيمان وعدم الإيمان. وصحيح أنه لا يزال هناك « انشقاق بشأنه » .

وحيث أن الكلمة التى يستخدمها يوحنا بدلاً من «معجزات» فى إنجيله هى « عجائب »أو « علامات » أو « آيات » ، وليـس « قوات » ، لذلك يلزم تقديم تفسير أوضح لهذه الكلمة المميزة عما كتب فى مقدمة العهد القديم . إن الاصطلاح الذى يستخدمه يوحنا ١٣ مـــرة (٢ : ١١و ٢٣ ، ٣ : ٢ ، ٤ : ٥٤ ، ٦ : ٢ و ١٤ و ٢٦، ٧ : ٣١ ، ٩ : ١٦ ، ١٠ : ٤١ ، ١١ : ٤٧ ، ١٢ : ١٨ و ٣٧) ، وفى سفر الرؤيا أيضاً كما سنرى عندما نصل للمعجزات فى هذا السفر ، يعنى حسب قول بولنجر Ballinger ما يأتى :

«إن الإشارة والشعار والراية هى آية أو علامة تدل على الشئ ، تميزه أو تجعله معروفاً ولذلك أطلقت الكلمة على معجزات المسيح لكونها علامات يُعرف بها أنه مسيح الله ، علامة تؤكد صدق إرسالية المسيح ، علامة تشير لما تدل عليه هذه الإرسالية» .

وهكذا يتحدث يوحنا عن المعجزات « كآيات » وهى الكلمة المستخدمة فى الـ RV وتتضمن أنها كانت رموزاً وبراهين ورسائل ودروساً هادفة توضح الحقائق الروحية المجسمة فى الأعاجيب نفسها. لقد كانت أمثالاً حية لعمل المسيح ، وتجسيداً للحق فى العمل، وبالنسبة ليوحنا ، تكن معجزات السيد ، مجرد آيات ذات طبيعة خارقة بل إشارة معبرة عن الهدف من خدمته ، وعن شخصيته المحبة ، وشفائه الروحى ، الذى كان هدفه الأساسى ، المعلن فى أعمال القوة والرحمة الظاهرة .. وفى هذا الصدد ، من الطريف أن نلاحظ أن المعجزات فى إنجيل يوحنا مقدمة لغرض تعليمى ، وهى عادة يعقبها درس ما ، أو مناقشة أو حديث .

والدرس الذى نستخلصه من هذه المعجزة الهائلة واضح . فالمسيح هو الذي يقيم من الأموات روحياً وجسدياً ، وهو قادر على إقامة نفوس الأموات بالذنوب والخطايا . وكما استعاد جسد لعازر من الفساد ، هكذا فهو قادر وعلى استعداد ليخلِّص الناس من خطاياهم الكريهة ، فمعجزة النعمة الواهبة للحياة فائقة بحق تماماً كمعجزة القوة المحيية . وفى الساعة المعينة سوف يقيم جميع المفديين بدمه للمجد معه فى بيت الآب ، وعند الانحلال النهائى لكل الأشياء سوف يقيم كل أعدائه لقيامة الدينونة .

وهناك التأكيد لقلوبنا أنه إذا لم يأت المسيح ثانية مدة حياتنا على الأرض ، ولابد لنا أن ننتقل لوطننا السماوى عن طريق القبر ، فإنه سيكون أقرب إلينا من أجسادنا أو العالم أو الأصدقاء فى ساعتنا الأخيرة ، فلنردد إذن تلك الكلمات المعزية للمرنم والقائلة : « إن سرت فى وادى ظل الموت فلا أخاف شراً لانك أنت معى » .

{ ٣٩ } معجزة شفاء العشرة البرص

(لو ١٧ : ١١ - ١٩)

فى آخر رحلة له لأورشليم حيث كان مقرراً أن يموت خارج أسوار المدينة ، اجتاز يسوع فى وسط السامرة والجليل والتى كان يعرفها جيداً وأظهر فيها قوته .

عادة عندما كان اليهود يذهبون إلى أورشليم كانوا يتخذون الطريق الأطول عبر الأردن حتى يتجنبوا المرور فى أرض السامريين المعادية ، والذين لم يكن اليهود يتعاملون معهم (يو ٤ : ٩) ، ولكن هذه الاختلافات التافهة بين الناس لم يكن يعترف بها يسوع من جاء ليخلّص العالم . فلم يكن يمارس أى نوع من التفرقة العنصرية .

والمعجزة التى أمامنا لها خصائصها المميزة ، فالعشرة البرص كانوا متحدين معاً فى بؤس مشترك مما أنساهم خلافاتهم القومية . ومع أن واحداً كان سامرياً والتسعة الآخرين كانوا يهوداً إلا أنهم كانوا جميعاً مساكين منبوذين لهم احتياج مشترك (٢مل ٧ :٣) . وقد كونوا معاً « جماعة تدعو للرثاء بثياب مشقوقة ورؤوس منحنية وشعر أشعث وقطعة قماش مربوطة بشكل غريب على الجزء السفلى من الوجه والشفة العليا » ، إن مرضاً مشتركاً وضعهم جميعاً فى مستو واحد وكانوا يدركون جميعاً حاجتهم المشتركة . لقد سوت الخطية بينهم جميعاً والذى يعتبر البرص ، كما رأيناه ، فى الكتاب المقدس ، رمزاً معبراً عنها« لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا » (رو ٣ : ٢٣) .

وفى معجزة الأبرص الذى طهره يسوع (مت ٨ : ١ - ٤) ناقشنا طبيعة مرض البرص الكريه . ونتوقف هنا لنلاحظ عدد الناس الذين شفاهم يسوع فى هذه المناسبة ، عشرة . إن رقم عشرة يدل على كمال نظام الله كما نرى فى الوصايا العشر . وهنا فالرقم عشرة يشير لكمية الاحتياج البشرى وفقدان الأمل . وقف العشرة من « بعيد » إنهم لم يجروا ويقعوا عند قدمى يسوع ولكنهم لاحظوا المسافة القانونية وهى مائة خطوة . لم يجرؤوا على الاقتراب من الطاهرين بأكثر من هذه المسافة كما أوصى الناموس (لا ١٣ ، ٤٦ ، عد ٥ : ٢ ، ٢ مل ٥ : ٥) . والمسافة لم تكن ضرورية فقط بسبب العدوى ، ولكنها كانت ترمز أيضاً للانفصال العظيم الذى كانت تخلقه الخطية .

ولإحساسهم العميق ببؤسهم وعلى أمل أن الشافى العظيم يسمع صراخهم ويساعدهم على رفع البرص رفعوا أصواتهم وصرخوا من بعيد «يا معلم ارحمنا » لقد عبَّروا عن رغبتهم فى الشفاء بكلمة «ارحمنا »،« هناك مهارة فى شفاء مرض، وقد يكون هناك اهتمام ، يجب أن نشكر عليه ، ولكن توجد أيضاً رحمة فى شفاء كل مرض ، رحمة لغفران الخطية التى هى أصل لكل معاناة ، ومنتهى الرحمة شفاء الأمراض التى هى أيضاً تعبير عن الخطية ونتاج لها » . من المرجح أن معرفة الحالات السابقة لبرص ثم شفاءهم قد شجعهم على تقديم النداء ليسوع (مت ٨ : ٢ ، ١١ : ٤٥). تعليقاً على أصوات البرص ، يقول ترنش :

«كل من درسوا هذا المرض المريع يقولون لنا إن احتباس الصوت هو أحد الأعراض المصاحبة له . ولذلك فليس من قبيل المصادفة أن نجد القول إن واحداً من الذين تم شفاؤهم قد عاد يمجد الله «بصوت عظيم »، وهنا نجد أن الحماس الذى دفعهم لطلب منحة الشفاء يظهر جلياً فى حقيقة أنهم (رفعوا صوتاً) حيث أن مثل هذا الصوت كان يبدو قبلاً شيئاً يصعب عليهم أن يخرجوه ».

إن موقف وعلاج الطبيب الحنون مؤثر ، إنه لم يلمسهم كما فعل مع الأبرص الذى أشرنا إليه للتو . عندما رأى وسمع العشرة البرص قال ببساطة :« اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة» ، وفيما هم منطلقون « طهروا » ، لم ينطق المسيح بكلمة الشفاء ، ومع ذلك فقد كان البرص واثقين أنه عندما قال المسيح « اذهبوا » كان هذا الأمر يعنى

الشفاء ، فذهبوا فوراً إلى الكهنة . إن المسيح لم يقدم لهم تعهداً أو أى وسيلة خارجية للشفاء . ولم يشعروا بأى تغيير فى أجسادهم المريضة ، ولكن بينما هم يسيرون معاً بثبات فى أسمال بالية وفى بؤس ونجاسة ، فبطريقة معجزية حدث ما كانوا يتوقون إليه . ألا نستطيع أن نتصور نبرة الفرح خارجة من واحد ثم من آخر ثم من ثالث عندما دبت حياة جديدة فى أجسادهم الهالكة وعندما شاهدوا التغيير العجيب يحدث فيهم ؟ ولكن شفاءهم لم يحدث حتى أثبتوا إيمانهم بالطاعة . وبعد ذلك فسواء حدث ذلك مرة واحدة أو بالتدريج ، فقد عاد لون البشرة إلى ما كان عليه واختفى التلوث، وأصبح لحمهم على ما كان عليه عندما كانوا مكتملى الصحة .

بإرسال يسوع لهم إلى الكهنة فقد أظهر أنه لم يأت لينقض الناموس بل ليكمله، لم يكن بمقدور الكهنة تطهير البرص ، كان فى مقدورهم فقط إعلان أنهم قد شفوا وطهروا من داء البرص . ومن الطريف أن نلاحظ كيف أن يسوع قد غير من أسلوب علاجه طبقاً للحاجات المختلفة لمرضاه ! فقد كان علاجهم متضمناً فى اختبار إيمانهم بأن يذهبوا للكهنة كما أوصى الناموس (لا ١٤ : ٣ و ٤) دون أى علاقة على الشفاء من المرض .

يقول سبرجون فى هذا الصدد :

« قبل أن يشعروا أن دمهم النجس قد تطهر ، وقبل أن يختفى الجفاف المريع الذى خلفه البرص ليحل محله العرق الصحى ، كان عليهم أن يذهبوا للبيت الذى كان يعيش فيه الكاهن لكى يفحصهم ويعلن طهارتهم ».

يا للمغزى العظيم فى العبارة « وفيما هم منطلقون طهروا » ، ألا نجد هنا دليلاً واضحاً لا يخفى على أحد عن لاهوت المسيح؟ ، ومضى البرص وبطريقة ما وفى مكان ما فى الطريق ،« فالهواء الذى تنفسوه أصبح أداة للقوة الإلهية ، وكان صلاح المسيح غير المتناهى يصحبهم طوال الطريق ، ورحمته كانت عليهم ولم تخطئهم أو تتخلى عنهم» ، أليس هو نفس الرب الصانع المعجزات اليوم ؟ إن قوته لم تفارقنا عند صعوده، وهى لا تُفقد فى مسارها اليومى إلى الأرض ، ولكنها لا زالت تصنع المعجزات .

ونتيجة هذه المعجزة لها جانبها المضئ وجانبها المظلم أيضاً . فقد رجع واحد فقط من العشرة ليشكر المعطى على عطيته ، والتأكيد فى المعجزة على الشخص الذى عاد ليقدم الشكر . والعبارة توحى بأن عمل الشفاء لم يتم حتى غاب الجميع عن بصر المعلم، وأنه بمجرد شفاء الأبرص فإنه لم يواصل رحلته إلى الكاهن ولكنه قفل راجعاً ليبارك رئيس الكهنة العظيم على شفائه . لقد استعاد قدرته على الكلام لأنه مجَّد الله بصوت عظيم وخرَّ على وجهه أمام يسوع معبراً عن امتنانه القلبى ، وذهب التسعة الآخرون فى طريقهم لأول كاهن يجدونه .

لقد جاء الشكر ليسوع من مصدر غير متوقع لأن الأبرص الذى طهر وعاد كان«سامرياً» و«غريب الجنس» ، والتسعة الآخرون كانوا يهوداً وعلى الأرجح انفصلوا عن السامرى بمجرد تطهيرهم . لم يعد «سوى» هذا «الغريب الجنس» .أحياناً نتلقى معاملة أكثر كرماً من الغرباء عنه من أصدقائنا وأقاربنا . ونقتبس أقوال سبرجون مرة أخرى :

« على الرغم من ضعف أصواتهم بسبب المرض ، إلا أنهم رفعوها فى الصلاة واتحدوا فى الصراخ قائلين :(يا يسوع يا معلم ارحمنا)، لقد اشتركوا جميعاً فى ترديد الابتهال : (يا معلم ارحمنا، يا يسوع ارحمنا) ، ولكن عندما وصلوا لنشيد الشكر لتعظيم وحمد الله ، واحد فقط هو الذى أخذ على عاتقه إنشاد هذا النشيد» .

ألا نجد نبرة من اليأس الحزين فى سؤال ربنا ،« أليس العشرة قد طهروا فأين التسعة ؟ لماذا سُلب من عبادة وامتنان الذين شفوا ؟ إن عدم عودتهم تدل على أنهم كانوا أكثر تفكيراً فى أنفسهم عنه فى من شفاهم - وهذا رمز مناسب للجموع التى تستفيد من مراحم المسيح من الظاهر . وما لا يجب أن ننساه أنه على الرغم من أن المسيح وجه سؤاله للأبرص الذى عاد ، إلا أنه صمت حيال التسعة الآخرين . إنه لم يوبخ التسعة القساة غير الشاكرين ، وكان الأبرص منكباً على شفائه الخاص وعبادته الشخصية وامتنانه لهذا الشفاء.كان لدى التسعة الآخرين إيمان بالشفاء، ولكن إيمانهم فشل

فى أن يعلن عن نفسه فى الامتنان والمحبة . لماذا اندفعوا فى طريقهم غير مكترثين أو شاكرين ؟ يقول كلفن إنهم: « هربوا لكى يبعدوا ذكرى مرضهم »، ويقول برنارد: « كانوا لحوحين لكى ينالوا الشفاء ، قلقين حتى نالوه ، غير شاكرين عندما نالوه ».

ربما لم يرجع التسعة لأنهم عرفوا خطر أن يقدموا أنفسهم ليسوع ، لأن أعداءه كانوا يعتبرون أن من ينال شفاء منه يرتكب ذنباً . وربما كانوا خائفين أن يطالبهم الشافى بأشياء ويبدأ فى الضغط عليهم بتنفيذ مطالب معينة . فبعد أن أعطاهم حياة جديدة فقد يطلب ولاءهم . وعلى الأرجح فقد اعتقدوا أنهم حصلوا على ما كان حقاً لهم ، لأن برصهم كان ظلماً وإهانة لهم ، والصحة كانت من حقهم ، فلماذا يشكرون ؟ يا للحسرة ! فبعدم تقديرهم دللوا على أن الذى أحسن إليهم لم يعد ضرورياً بالنسبة لهم . لقد انتهت الحاجة الملحة . لقد حصلوا على كل ما كانوا يطلبونه، وانتفاء حاجتهم شكل فرقاً كبيراً. لنطلب من الله أن ينقذنا من خطية عدم الامتنان.

أما عن الذى لم ينس ما حصل عليه من خير عميم فقد نال بركة أخرى من الرب « قم وامض . إيمانك خلصك ». لقد دعَّم يسوع شفاءه وأضاف إليه شفاء أخلاقياً، خلاصاً صريحاً . يقول اليكوت : «كان لدى التسعة إيمان كاف لاستعادة صحة أجسادهم ، وأما العاشر فقد ذهب إيمانه إلى مدى أبعد وأعطى حياة جديدة أكثر نقاء لروحه ».

لو حصلنا على كلمة الرحمة والصفح وعرفنا أن خطايانا القديمة قد أزيلت (٢ بط ١ : ٩). ليتنا لا نفقد الإحساس بالدهشة لشفائنا الروحى . ليتنا نعبر عن امتناننا لنعمة الرب المخلِّصة وقوته ليس فقط بالكلمات ولكن بحياة التكريس له ! نعم ، وحيث أنه يمنحنا كل يوم بركات جديدة مادية وجسمية وروحية ، ليت حمدنا يصعد لذاك الذى تنهمر منه كل البركات .

{ ٤٠ } معجزة شفاء بارتيماوس الأعمى

(مت ٢٠ : ٢٩ - ٣٤ ، مر ١٠ : ٤٦ - ٥٢ ، لو ١٨: ٣٥ -٤٣)

إذ نقارن الروايات التى تحتوى على قصة هذه المعجزة ، نجد نفس التناقض الظاهرى الذى وجدناه فى معجزة شفاء مجنون كورة الجدريين (المشار إليه) . يقول متى إنه كان يوجد أعميان وأن المعجزة أجريت عندما غادر يسوع أريحا . ويقول مرقس ولوقا إنه كان هناك أعمى واحد . يقول لوقا إن المعجزة حدثت عندما اقترب يسوع من أريحا ومرقس هو الكاتب الوحيد الذى أسمى واحداً من الأعميين . لم يكن لوقا شاهد عيان لهذه الحادثة . وحيث أنه كان هناك كثيرون من الشحاذين العميان على الطريق ، فربما كانت هناك حادثتا شفاء ، فالبليَّة تجد ارتياحاً فى الشركة . يقترح «بنجل» أن رجلاً واحداً صرخ إلى الرب عندما اقترب إلى أريحا ومع ذلك فلم يشفه وقتها بل فى اليوم التالى وهو خارج من المدينة ، شفاه مع الرجل الآخر الذى كان قد انضم إليه وقتها . هذه هى الحادثة الثالثة فى إنجيل متى التى يذكر فيها مريضين بينما الأناجيل الأخرى تتحدث عن واحد فقط . وتفسير فاوست لذلك : «إن الفرق بين المدينتين الجديدة والقديمة قد يحل الخلاف الظاهرى بين متى الذى يجعل معجزة شفاء الأعميين عندما كان يسوع مغادراً أريحا ولوقا الذى يقول إنها تمت عندما كان يسوع مقترباً إلى أريحا » ، إننا فى اتفاق تام مع تايلور عندما يقول إننا إذا وضعنا أيدينا على كل الحقائق كما حدثت تماماً ، فمن المرجح تماماً أننا يجب أن نرى فى الحال كيف أن جميع الروايات الثلاث متفقة مع الحقيقة ومع بعضها البعض .

حيث إن مرقس يسمى واحداً من الرجلين ألا وهو بارتيماوس ، فربما كان أكثر شهرة ، ومعروفا أكثر من الآخر . ومن المرجح أنه كان أكثر نشاطاً وذا صوت أعلى فى طلب الرحمة ، التى عندما مُنحت قد شملت كلا الرجلين . ولهذا السبب فإننا نأخذ بارتيماوس وحده ، والذى كان شفاؤه مثالاً على ما كان يعلم به يسوع أى أنه جاء إلى العالم لا ليُخدم بل ليخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين . وإذ كان يسوع فى صحبة تلاميذه وجمع غفير فى موكب منتظم ، كان يسوع ذاهباً إلى أورشليم للمرة الأخيرة ، ففى أقل من أسبوع سوف تنتهى آلامه ، سوف ينتهى الموت بما فيه من عذاب وعار إلى الأبد . ومع أن روحه الحساسة كانت تشعر بعبء ما كان ينتظره ، إلا أن هذا العبء لم يكف يده الرحيمة عن فعل الخير . إن البؤس البشرى

والحاجة استدرت عطف قلبه الرحيم .

غادر أريحا بعد أن كان فى ضيافة زكا (لو ١٩) ، وحقيقة أن هذه المدينة كانت تحت لعنة مدة طويلة لم يمثل عائقاً بالنسبة لذاك الذى كان على وشك الموت ، وبالموت يمحو لعنة الخطية . وهذا يأتى بنا للقصة التى أمامنا . فيما كان يسوع سائراً فى الطريق ، سمع متسول أعمى وقع أقدام جمع غفير واستفسر عن سبب هذا التجمع. فأخبروه أن يسوع الناصرى كان ماراً من هناك . وقد كان مرقس كالعادة حريصاً على الأسماء ويخبرنا أن الشحاذ الشهير اسمه بارتيماوس ابن تيماوس . وقد ذكر فى بعض المخطوطات القديمة أنه « الأعمى » مع أنه كان معروفاً بالاسم وظاهراً بسبب وجوده فى نفس المكان على قارعة الطريق ليستعطى . فلكونه أعمى ، لم يكن بمقدوره أن يفعل شيئاً سوى أن يتسول .

وبالرغم من عدم قدرته على الرؤية إلا أن سمعه كان مرهفاً، وكان يرغب فى معرفة سبب الضجيج الذى كان حوله . ولاعتماده على سمعه ، أدرك بارتيماوس أن هناك شيئاً غير عادى ، وسأل المارة نيابة عن زميله الأعمى الآخر ، والذى لم يذكر فى قصة لوقا ومرقس ، عن سبب هذا التجمع وقيل له إن يسوع الناصرى كان مجتازاً فى طريقه إلى أورشليم . كان بارتيماوس يسمع حديث المدينة عن كلمات النعمة الخارجة من فم يسوع وعن أعماله العجيبة وشارك الآخرين توقعهم وانتظارهم المثير لابن داود الذى طالما انتظروه كالمسيا الموعود به والآتى ليؤسس ملكوته . عندما سمع أن يسوع قد اقترب انتهز الفرصة ونادى عليه . كانت هذه فرصته الأولى والأخيرة ليطلب من يسوع ما كان فى حاجة ماسة إليه ،وقد استغل الفرصة جيداً . رفع صوته قائلاً: « يا يسوع يا ابن داود ارحمنى ».

وكمتسول ، كان من المفروض أن يسعى بارتيماوس لجمع الأموال من الجمهور ، فالمزيد من المارة كان يعنى المزيد من المال فى الصندوق الذى كان يضعه أمامه . ولكن حيث أن البصر كان أهم من المال ، فقد ضحى عن عمد بالفائدة المادية فى سبيل نوال البصر . ولو فعل غير ذلك لأثبت أنه غبى . ألا ليت الكثيرين اليوم والمنهمكين فى جمع المال يفكرون فى أمر خلاص نفوسهم ويدركون أنهم بذلك يضحون بكنز ثمين .

فى صراخ بارتيماوس ، جمع بين اللاهوت والناسوت لأنه دعاه يسوع الناصرى وأيضاً « ابن داود » . ومثل هذه الطريقة فى الحديث كانت تعنى الاعتراف بمسيانيته ، كملك إسرائيل فى المستقبل .« ابن داود » كانت تعبيراً عن النبى العظيم المنتظر(حز ٣٤ : ٢٣ - ٢٤ ، مت ٩ : ٢٧ ، لو ١ : ٣٢) . ها هو الشخص الموعود به فى القديم ، والذى عند مجيئه تنفتح عيون العمى (إش ٢٩ : ١٨ ، ٣٥ : ٥) ، وقد كان لبارتيماوس إيمان بشخصه وقوته . والفارق الكبير بين المسيح وبينه لم يكن يشغل بال بارتيماوس ، ولم يخذله يسوع لمخاطبته له بهذا اللقب الجليل ، ولأنه إسرائيلى ، فقد كان على حق أن يدعو ذلك الملك من نسل داود ليمنحه البصر . والبؤس أيضاً ، قد أعطاه الحق لطلب العون الإلهى ، ووصفه ليسوع كان فيه توقع لصياح الجماهير وهى تحمل السعف فى صحبة يسوع إلى صهيون ، ، عاصمته ، كوارث لداود .

وبُخت الجموع السائرة وراء الرب بارتيماوس ورفيقه لصياحهما وندائهما ليسوع فقد اعتبروا هذا النداء نوعاً من التطفل وإقحام نفسيهما فى سير الموكب . أليس النبى العظيم فى طريقه للمطالبة بملكوته الموعود به ؟ فلماذا التعطيل ؟ ولربما حاول الجمع إخماد صراخ الأعمى لأنهم افترضوا أن التفاوض والحديث مع المتسولين فيه مساس بكرامة ابن داود أو ربما من المرجح أن القادة الدينيين الذين كانوا وسط الجموع لم يكن بمقدورهم أن يتحملوا سماع الأعمى يقدم ليسوع ألقاب الشرف المهيبة التى لم يكونوا هم أنفسهم على استعداد لمنحها له . يقول هيلارى : «أخيراً يوبخهما الجمهور ، لأنهم شعروا بمرارة أن يسمعوا من الأعميين التأكيد الذى أنكروه ، بأن الرب كان هو ابن داود» .

ولكن المتسولين لم يمكن إسكاتهما بهذه الطريقة . فقد كانا يطلبان من يسوع وليس من الجمهور ، ولا يمكن أن يقبلا الإجابة سوى منه ، ذاك الذى لم يرفض أبداً أن يلبى حاجة المحتاجين . صرخ بارتيماوس الأعلى صوتاً أكثر كثيراً « يا ابن داود ارحمنى ».

وصرخة الاحتياج هذه لا يمكن إخمادها . وتوبيخ الجموع زادهما إصراراً . إننا مدينون بأكثر مما ندرك للمعارضة . فمن تلك الصرخة التى لم يستطع أحد إسكاتها « ارحمنا ياسيد » أخذت الكنيسة نشيدها الشهير « يارب ارحم » .

إن الصراخ لطلب الرحمة والذى كان باعثه حالة اليأس وصلت فوراً لقلب الرحمة ، وإذ تجاهل يسوع جهود الجمع لإعاقة المتسول ، توقف يسوع وأمر باستدعائهما . كانت هذه وقفة مفاجئة فى الخطوات المسرعة ، وتغيير فى الأصوات . يخبرنا مرقس بأسلوب معبر: «ثق .قم . هوذا يناديك»، فقفز بارتيماوس ، وطرح رداءه الذى كان يستخدمه للوقاية من الطقس ، وبنغمة الإيمان الواثق المبصر جاء إلى يسوع . وأخيراً انتهى التوتر ، وإذ أخذ بارتيماوس يصيخ السمع أحس بالارتياح فى صوت يسوع الرحيم . إن الجماهير اليوم بحاجة أن تطرح ثياب البر الذاتى الذى تلتف به إذا كانت تريد الوصول لقدمى يسوع (رو ١٠ : ٣) . إن الذين يدعوهم يسوع عليهم أن يطرحوا كل ثقل والخطية المحيطة بسهولة (مت ١٣ : ٤٤ - ٤٦ ، فى ٣ : ٧ ، عب ١٢ : ١ - ٣) .

يخبرنا لوقا أن الأعميين قدما إلى يسوع واستخدم عبارة مألوفة لديه يستخدمها عند تقديم المرضى إلى يسوع . يقول فنسنت إن لوقا استخدم « الفعل المركب والذى كان صيغة طبية معتادة لتدل على تقدم المرضى لطبيب سواء كان المرض متعلقاً بالبصر أو بالحواس الأخرى» (انظر ٩ : ٤١ ، أع ١٦ : ٢٠ ، ٢٧ : ٢٤).

إن سؤال ربنا يسوع محير إلى حد ما، فهو كالعليم بكل شئ ، كان يعلم ما يحتاجانه . ألا تكونان هاتان العينان اللتان لا تبصران سبباً كافياً لصراخ الأعميين ؟ إن يسوع كان يسأل فى معظم الأحيان أولئك الذين يريدون الشفاء ، فيجب أن يعبر المحتاجون عن حاجتهم وإيمانهم . ولمعرفة بعضاً من أسئلته انظر مت ٩ : ٢٨ ، يو ٥ : ٦ ، ٢١ : ١٥.«ماذا تريدان أن أفعل بكما»؟، لقد أراد يسوع أن يتكلم الأعميان عما يريدان حتى أنه بممارسة الإيمان التام يكونان على استعداد لنوال البركة المطلوبة . يقول ترنش إن سؤال الرب كان يعتبر جزئياً «تعبيراً عن استعداده لتقديم المساعدة ، تطبيقاً على كلماته التى نطقها منذ مدة قليلة من قبل» ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم (مت ٢٠ : ٢٨) ، وكان يُقصد به أيضاً أن يقوّى الإيمان فى نفسى السائلين (مت ٩ : ٢٨).

لم يكن هناك تلعثم أو رجعة أو تردد فى ردهما ، لأنهما كانا يعرفان ما أرادا وبتحديد قاطع بسبب حماسهما نطقا بطلبتهما ذات الأربع كلمات :« يا سيد أن تنفتح أعيننا »، إن مثل هذه الطلبة كانت بمثابة موسيقى لأذنيه، وكانت تعبيراً عن الإيمان ، ومصدر فرح له ، كم لمس موقف الرجلين قلبه ! فلا عجب إن كان قد «تحنن» عليهما ، لقد كان يتنصل من المطلب الشعبى لإجراء آياته ، ولكن العطف كان يدفعه لممارسة سلطانه. فحيثما يكون العطف الإلهى تكون القوة لمنح البركة . كم كان يسوع هادئاً وقوياً وغنياً فى الرحمة - لقد «أبصرت أعينهما» .

كيف حدثت معجزة الشفاء ؟ لا أحد يعلم ، يقول متى :« لمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما » ، ويقول مرقس إن يسوع أخبره: « اذهب .. فللوقت أبصر »، ورواية لوقا تقول : «أبصر» بغض النظر عن الطريقة التى حدث بها الشفاء سواء كان بلمسة أو بكلمة ذات سلطان أو بكلتيهما ، فقد حدث الشفاء فوراً وكان تاماً . لم يكن تدريجياً كما فى حالة الأعمى الآخر الذى رأى الناس «كأشجار يمشون».

« إن حيوية الإيمان المتشبث قد ظهرت فى هذه الحالة وقوبلت بمكافأة فورية وتامة »، وقد عبرا عن الامتنان لشفائهما لأنهما مجدا الله (لو ١٠ : ١٧ ، ١٧ : ١٥) . إن يسوع لم يقل « إن قوتى قد خلصتك » بل« إيمانك قد شفاك ». صحيح أن المعجزة قد أجريت بممارسة القوة الإلهية ، ولكن يسوع أراد أن يؤكد للذين شفيا قيمة التحلى بالايمان .

وكلمة « خلّص » وإن كانت مرتبطة أساساً بمعجزة استرداد البصر ، إلا أنها تحمل معها ، كما يقترح اليكوت ، فكرة الخلاص أو « سلامة البصيرة الروحية ، الذى يعد استرداد البصر الجسدى رمزاً وعربونا له » (لو ٧ : ٥٠). إن الامتنان للشفاء يظهر فى استعداد من تم شفاؤهما أن يتبعا يسوع ، لقد انتهزا فرصة شفائهما

لكى يصحبا شافيهما الذى لم يأمرهما بالسكوت كما حدث مع الأعميين اللذين شفاهما قبل ذلك (مت ٩ : ٣٠) . كان المسيح على وشك أن يقدم نفسه أمام الملأ فى أورشليم كملك إسرائيل الذى طال انتظاره ، وكان من المستحسن أن تقدم هذه الشهادة عن استعادة البصر ، عند هذا المنعطف ، لشخصه ولقوته . ثم حدث أن الأعميين اللذين كانا مضطرين من قبل أن يمكثا فى بقعة واحدة ، قد استطاعا أن يبصرا وقد استخدما هذه القدرة الجديدة على الحركة فى الانضمام للجموع الزاحفة نحو أورشليم. فى إنجيل نيقوديموس الأبوكريفى يظهر بارتيماوس كواحد من شهود الدفاع فى محاكمة ربنا .

يضيف لوقا قائلاً : «وجميع الشعب إذ رأوا سبحوا الله» ، فالذين شهدوا المعجزة أعطوا حمداً لله (لو ١٣ : ١٧ ، ١٨ : ٤٣ ، أع ٣ : ٨ - ١٠).

لا حاجة بنا أن نقول الكثير عن الدرس الذى يمكن أن نستنبطه من هذه المعجزة وهو الاستعداد والقوة للعمل . يقول لانج : «إن القصة حدثت فى الماضى ، ولكنها تنطوى على حقيقة أبدية ». إن بارتيماوس هو روح الإنسانية فى كفاحها لأجل النور . إن يسوع الناصرى هو نور العالم النابع من الله الذى هو نور وليس فيه ظلمة البتة ، والعمى يشبه عادة فى الكتاب المقدس بجهل الإنسان وظلامه (إش ٤٢ : ٧ و ١٨ ، مت ٢٣ : ٢٦ ، رو ١١ : ٢٥ ، ٢ كو ٤ : ٤ ، أف ٤ : ١٨ RV ، رؤ ٣ : ١٧) . إن تأثير العمى فى الإنسان يكشف عن نفسه بطرق عديدة :

فى عدم معرفة أين يمضى (١ يو ٢ : ١١). والوقوف فى طريق الآخرين وقيادتهم قيادة خاطئة (لو ٦ : ٣٩) ، وفى افتقاد جمال النور والسير فى الظلام (يو ٨ : ١٢) ، وفى عدم معرفة شئ عن الأشياء المجيدة التى فوق وحولنا (٢ مل ٦ : ١٧).

كان يعلم بارتيماوس معنى التسول وقد التجأ إليه لحاجته الماسة. وإذا قام الخطاة بدور المتسولين وطلبوا الرحمة فإنهم يجدون أن عيونهم التى لا تبصر تنفتح ليروا أن يسوع هو النور والمخلص .

[٤١] معجزة شجرة التين التى يبست

(مت ٢١ : ١٧ - ٢٢ ، مر ١١ : ١٢ - ١٤ ، ٢٠ - ٢٤)

هذه المعجزة التى أجرها يسوع قبل موته تنفرد وتتميز عن بقية معجزات المسيح فى أنها المعجزة الوحيدة من معجزات القضاء . بكل معجزة أجراها على الأرض كانت عملاً من أعمال الصلاح والرحمة باستثناء هذه المعجزة التى تتميز وحدها بأنها خالية من عنصر الرحمة والخير . يوجد أولئك الذين يؤكدون أنها كانت رمزاً أو نبوة عن الدينونة ، ولا يمكن اعتبارها داخلة فى نطاق المعجزات . لقد كانت مثلاً عملياً ، ومع ذلك فكما سنرى فهى معجزة ومّثل أيضاً . فالذى جاء « لا ليهلك » ، يبدو فى تناقض ظاهرى بإجراء هذه المعجزة ، وعلى الرغم من أنها أجريت على شجرة ، فهى مع ذلك معجزة للتدمير .

وخلفية المعجزة مثيرة. كان يسوع يجد السلوى والراحة والسلام فى بيت أفراد من بيت عنيا كانوا أعزاء على قلبه ، وذلك لم يجده فى المدينة المزدحمة . وفى افتقار يسوع لأجلنا ، أصبح يعتمد على الآخرين . لقد ولد فى مذود أحد الناس ، وكان يأكل على مائدة شخص آخر ، وينام على سرير مستعار ، وقد دفن فى قبر مستعار أيضاً . لقى فى أورشليم الكراهية والمؤامرات لقتله مع أنه كان مشتاقاً لخلاصهم، ولكن فى بيت عنيا وجد الحب والامتنان والسلام . هل يمكننا أن نقول إن قلوبنا هى بيت عنيا المسيح التى يستريح فيها بينما حولنا عالم يكن له العداء ويضمر له الكراهية ؟ وبالنسبة لنا ، فمن البركة أن نجد شيئاً من الهدوء حيث يمكن أن نستريح ونصلى حتى فى أيام الصراع والتوتر.

وهذه المعجزة أيضاً تقدم لنا دليلاً دامغاً على طبيعتى ربنا - اللاهوت والناسوت . فكالإله جعل الشجرة تيبس ، وكالإنسان احتاج للنوم الذى وجده فى أحد بيوت بيت عنيا وأيضاً للطعام الذى كانت الشجرة تقدمه ، ولهذا السبب نقرأ القول :« إنه جاع » . من الواضح أنه بدأ يومه صباح يوم الاثنين هذا مبكراً فى طريقه لأورشليم دون أن يتناول ما يسد رمقه . يقول جلوفر : «لقد كان مستغرقاً فى التفكير فى الخطايا التى كان عليه أن يدينها وأحكام

القضاء التى كان عليه أن يتنبأ بها ، وقد حاولت مريم جاهدة أن تجعله يأكل بلا جدوى ، ولكن إذ مضى يسوع فى مسيرته ، فإن المشى سمح للجوع أن يفرض نفسه ، وازدادت الشهية للطعام وبرؤيته لشجرة تين رأى الطريقة المناسبة لإشباع جوعه .

أليس عجيباً أن الذي أجرى المعجزة لإشباع الآلاف الجائعة لم يجر معجزة لإشباع جوعه الجسدى ؟ لقد ذكرنا من قبل فى المقدمة لهذه الدراسة ، الضوابط التى وضعها يسوع لنفسه لإجراء المعجزات . ولقد أفرد لاثام Latham فصلاً عن «قوانين إجراء الآيات فى كتابه Pastor Pastorium والذى يذكر فيه خمسة :

(١) إن ربنا لا يقدم بالمعجزة ما يمكن أن يقدمه المجهود البشرى أو بعد النظر البشرى .

(٢) إن ربنا لا يستخدم قوته الخاصة لإشباع حاجاته الشخصية أو حاجة أتباعه المقربين .

(٣) لا تجرى معجزة لأجل المعجزة دون أن يكون هناك هدف كعمل من أعمال الخير أو التعليم .

(٤) لا معجزة تجرى لتأييد سياسة أو قوة بشرية .

(٥) لا تجرى معجزة تكون قاهرة من ناحية الرهبة حتى أنها تخيف الناس فتجبرهم على القبول والتسليم أو تكون مؤكدة بما لا يفسح أى مجال للشك فتسد الأفواه .

ويقدم بروس Bruce فى كتابة « العنصر المعجزى فى الأناجيل » عدة نقاط مشابهة. ومع ذلك فحتى وإن كان الجوع هو الذى أتى بيسوع لشجرة التين ، فإن منظرها جعله ينسى الجوع سريعاً ، لأنه رأى فى الشجرة العقيمة رمزاً لعناد وعقم تلك المدينة التى كان قد بكى عليها وكان ليموت فيها . « إن الشفقه حركته ليقدم نبوة عملية ، مثلاً عملياً ». هناك جانب أو اثنان من خيبة الأمل التى انتابته تستحق التأمل . لقد جاء إلى الشجرة «لعله يجد فيها شيئاً» (مر ١١ : ١٣) ، بالنسبة لهذه الشجرة بالذات فالأوراق تأتى بعد الثمار . وفى أوائل الربيع قبل ظهور الأوراق كانت شجرة التين الفلسطينية تنتج ثماراً خضراء طعمها مستساغ للفلاحين . فإذا لم يكن هناك تين أخضر على الشجرة عندما يبدأ موسم الأوراق فى الربيع فلن يكون هناك محصول فى أواخر الصيف (تش ٢ : ١٣، لو ٢١ : ٢٩ و ٣٠)، فالشجرة المورقة كانت إعلاناً صامتاً بأن بها ثماراً لأن الثمار كانت تظهر قبل الأوراق .ولكن يسوع وهو يبحث عن ثمار التين الخضراء لم يجد سوى الأوراق. وأشجار التين هذه كانت تزرع على قارعة الطريق بسبب فكرة أن التراب كان يناسبها أفضل ما يكون .

نصادف هنا مشكلة ظاهرة عندما نتذكر أن ربنا كان عليماً بكل شئ ، ولذلك كان من المفروض أن يعرف قبل أن يقترب من الشجرة أنها عديمة الثمر . فلماذا إذن ، وهو العليم بكل شئ ورب الحق المطلق ، توقع أن يجد تيناً فى حين أنه كان يجب عليه أن يعرف أن الشجرة لم تكن تحتوى على أى ثمر ؟ يقدم كل من ترنش وكمنج *التفسير الآتى لهذه المشكلة :*

« *اقترب الرب من الشجرة ، مظهراً أنه يتوقع ثمراً عليها ومع ذلك فقد كان يعرف أنه لن يجد شيئاً ، وقد خدع ذلك العمل أولئك الذين كانوا معه . ويكفى أن نلاحظ أن اتهاماً مماثلاً يمكن أن يوجه ضد كل التعاليم المجازية ، سواء بالكلمة أو بالفعل ، لأنه فى كل هذه هناك العبادة الحقيقية بالروح وليس بالحرف . فهناك مثل قيل باعتباره حقيقى ، ومع أن الأحداث التى وردت فيه مختلقة وليست واقعية ، والأشخاص كذلك ليسوا حقيقيين ، ولكنهم وردوا لأجل الحقيقة الأخلاقية أو الروحية التى تشكل الإطار الخارجى للقصة . وحتى وإن كان العمل رمزياً مع أنه لا يعنى الشئ الظاهرى ، فليس فى هذا خدعة لأنه يعنى شيئاً أعلى وأعمق بما لا يقاس من الشئ الذى يعتبر العمل الأدنى رمزاً له والذى يذوب فيه العمل الأدنى . فماذا كان يحدث إذن ، على سبيل المثال ، لو أن المسيح لم يقصد حقاً أن يبحث عن الثمار على تلك الشجرة لأنه كان يعلم أنها خالية منه ؟ ومع ذلك فهو لم يقصد ساعتها أن يبين كيف يحدث لرجل أو أمة ، عندما يأتى الله ليبحث عن ثمار البر ولا يجد شيئاً سوى أوراق الافتخار الزائف والأجوف .*

يقتبس ترنش اقتباساً مطولاً من أوغسطينوس فى سطورمماثلة،

ويسرد هذه العبارة من فوللر « من تحدث كثيراً هنا أجرى مثلاً ».

عندما لم يجد يسوع ثمراً على الشجرة جعلها تيبس وحكم عليها بعدم الإثمار . لماذا لعن الشجرة ؟ (وتذكر أن الذى حكم عليها بهذا المصير ليست سوى شجرة) . هل كان من المفروض أن يعامل الشجرة بهذه المعاملة ، حيث أنها لا تستطيع أن تفعل خيراً أو شراً ولذلك فهى ليست مؤهلة لأن يحكم عليها بالدمار أو المكافأة ؟ إن مثل هذا العمل ليس ظالماً حتى وإن كانت الشجرة ليست سوى شئ لأنها قد استخدمت استخداماً مشروعاً كوسيلة لأغراض عليا . إن المسيح لم ينسب مسئوليات أدبية للشجرة عندما ضربها لعدم إثمارها ، ولكنه نسب إليها الصلاحية لتمثيل الصفات الأخلاقية . فكل الأساليب التى نستخدمها فيما يتعلق بالشجر كأن نقول شجرة جيدة ، و شجرة رديئة ، وشجرة ينبغى أن تثمر تحمل نفس فكرة أن ننسب إليها صفات أدبية وشهادة لملاءمة الألفاظ التى استخدمها ربنا .

والكرمة مستخدمة فى الكتاب المقدس لتمثيل الجمال والخير، ولكن شجرة التين نادراً ما تستخدم سوى كرمز لما يبدو رديئاً . هناك أسطورة يهودية تقول إن شجرة معرفة الخير والشر كانت شجرة تين . واليونان كانوا يطلقون على الرجل الشرير إنه شجرة تين . وهكذا فالكلمة Sychophant (منافق ، أو رجل يتصرف بعدم أمانة) ، عندما تترجم حرفياً ، تعنى رجلاً يثمر تيناً .

يرى بعض الناس صعوبة فى فهم الكلمات التى ذكرها مرقس « لأنه لم يكن وقت التين » ، هل تعفى هذه الكلمات الشجرة من أى اتهام حتى ولو كان مجازياً ؟ ألا يضيع بذلك الرمز ويصبح متناقضاً مع نفسه ؟ ألا يحيرنا أن المسيح يبحث عن التين مع أنه لا يمكن أن يكون موجوداً فى ذلك الوقت ، ثم يغتاظ لعدم وجوده ؟ إن الإجابة على هذا السؤال أنه في ذلك الوقت من السنة ، مارس - أبريل ، لا ينتظر أحد وجود أوراق أو ثمار ، ولكن إخراج الأوراق كان يعنى أن الشجرة مختلفة عن الأشجار الأخرى،وأن عليها ثمار ، حيث أن الأثمار تظهر قبل الأوراق . ولذلك فالشجرة قد عوقبت ليست لأنها بلا ثمار بل لأنها أعلنت عن طريق هذه الأوراق أن بها ثماراً ، ولعنت ليس لأنها بلا ثمر بل لادعائها الزائف . وهذا هو ذنب إسرائيل ، وهو ذنب أكبر بكثير من ذنوب الأمم الأخرى (انظر حز ١٧ : ٢٤ ، رو ٣ : ١٧ - ٢٤ ، ١٠ : ٣ و ٤ و٢١ ، ١١ : ٧ و ١٠) .

إن القضاء على شجرة التين على قارعة الطريق (مت ١٩:٢١) - فهى ليست ملكاً لأحد - كان بالتأكيد درساً عملياً للتلاميذ لا يمكن أن ينسوه. إنهم لم يعتقدوا أن ربنا يعامل الشجرة كرمز أخلاقى أو أن دمار الشجرة كان إتلافاً غير مسئول للممتلكات ، ليس له ما يبرره . لقد رأوا فى المعجزة كراهية الله للرياء . إن لعن شجرة التين التى كانت تتفاخر بثمار ليست فيها ، نراه فيما بعد فى الموت المفاجئ لحنانيا وسفيرة (أع ٥ : ١ - ١١) . فهناك ادعاء كثير وعمل قليل .

ثم إن المسيح له مطلق الحق أن يستغل ما يراه باستخدام قوته لتعليم الحقائق التى يريد أن يوصلها للأفهام . وهذا الحق لا ينازعه فيه أحد « هو الرب ما يحسن فى عينيه يعمل (١ صم٣ : ١٨) . وكما تعبر «هابرشون» عن ذلك بالقول :«عندما لعن الرب شجرة التين العقيمة ، وحكم عليها بعدم الإثمار مرة أخرى ، كان يمارس السلطة التى كثيراً ما مارسها قبلاً . فالأشجار التى كانت مثمرة قبلاً كفت عن الإثمار ، أو إذا نضج الثمر ، كانت الأشجار تسقط ثمارها بناء على أمره »، فالثمار كانت تدمر حسب أمره (تث ٢٨ : ٣٨ ، ٤٠ - ٤٢) .لقد سبق أن أعدَّ يسوع تلاميذه لفهم وتفسير ما قام به من عمل ، واستخدام العهد القديم لهذا الأمر عن الشجرة كان ماثلاً فى أذهانهم (هو ٩ : ١٠ ، يؤ ١ : ٧ ، انظر رو ١١) . وهكذا ، « فمثل شجرة التين غير المثمرة يفسر المعنى المستتر وراء لعن الشجرة فى طريق بيت عنيا . وفى كل من المثل والمعجزة ومع القصاص على شجرة التين . فى المعجزة لعنت ، وفى المثل كان يجب أن تقطع بعد أن استنفدت الفرص دون أن تثمر (مت ٢١ : ١٩و ٣٤ ، لو ١٣ : ٦-٩) . وتصريح المسيح الخطير :« لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد» يثبت أن العناية الإلهية لا تبقى سوى على ما هو مفيد . فحينما لا يوجد سوى الادعاء والتظاهـــر ، تحل الدينونة . لقد فتش يسوع عبثاً عن التين ليشبع جوعه ، كرمز

لشعب الله الذى لم يعد مثمراً الآن بعد أن حصل على امتيازات كان يتفاخر بها سابقاً (عب ٤ : ١٦ ، ٦ : ٧ و ٨) . وكان العقاب سريعاً ، لأن الشجرة يبست فى الحال من الأصول . إن الهلاك المفاجئ جاء نتيجة للادعاء الكاذب ، كرمز لافت للنظر لبنى إسرائيل المتدينين ظاهرياً ولكنهم فقراء روحياً . إن هذه الشجرة اليابسة كانت عبرة لكل من يمر بها ممثلة لبنى إسرائيل ، مرفوضين ومحتقرين من العالم ،« فاليهودية ديانة ميتة بلا ثمر ، وصورة مجسمة للعقاب الإلهى » .

إن معجزة شجرة التين هى بالفعل إضافة لشجرة التين العقيمة التى نقب حولها ووضع زبلاً (لو ١٣:٦-٩) ، وهى مَثل ونبوة ومعجزة فى آن واحد . إن لعن شجرة التين كان عملاً رمزياً لأن الشجرة كانت تمثل إسرائيل تحت العهد القديم ، والتى كانت سترفض كلية لعدم إتيانها بثمر كحالة ميئوس منها . عندما يجمع الله الثمار سوف يكون ذلك من أناس غيرهم تحت عهد النعمة .

والحكم « لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد » لا يتضمن عدم الإثمار الأبدى ، لأن « إلى الأبد » هنا تعنى ، «حتى ينتهى العصر ، العهد» ، إن شجرة التين التى يبست باللعنة سوف لن تكون يابسة إلى الأبد بل حتى انتهاء عصر الأمم الذى يصنعه بولس لنا فى الرسالة إلى رومية (رو ١١) . وحين ينتهى عصر الأمم ، فإن شجرة التين سوف تخرج أغصانها ، ومن قبل الرب يوجد ثمرها (هو ١٤ : ٨ ، مت ٢٤ : ٣٢ و ٣٣) .

والحكمة من المعجزة يمكن أن نجدها فى استخدام ربنا للمناسبة لكى يؤكد على قوة الإيمان وقوة الصلاة . إن مرقس ، الذى يذكر وحده بطرس كالمتحدث يضيف قائلاً: «ليكن لكم إيمان بالله» ، وعندما اجتازوا من ذلك الطريق فى صباح اليوم التالى ، بعد حدوث المعجزة ، لفت بطرس نظر الرب للشجرة التى يبست ، مما جعل يسوع يقدم عظته . ليس هناك تناقض بين الجمع بين الدينونة والصلاة والإيمان . والحكم الوحيد الذى يمكن للتلاميذ أن يوقعوه يجب أن يكون حكماً باعثه المحبة. فالشجرة قد يبست نتيجة لإيمان المسيح بالله ، ولو مارس التلاميذ إيماناً مشابهاً لحصلوا على القوة التى تجعلهم يحققون أعمالاً أعظم (مت ٢١ : ٢١ و ٢٢) ، فلو كان لهم إيمان بالله ، فكل ما يريدونه حين يصلون ، ينالونه عند مجرد التعبير عن الرغبة ، وما يطلبونه يجب أن يكون متفقاً مع إرادة الله وقوانينه (مت ٧ : ٧) .

إن إزالة الجبال ترمز لإزالة العقبات . فمعلمو اليهود ، بسبب قدرتهم على التعامل مع العقبات ، كان يطلق عليهم « محركو الجبال» ، إن الإيمان يمكنه أن يزيل العقبات الأساسية من طريق الرحمة . لا توجد كلمة «مستحيل» فى قاموس أولئك الذين يتمسكون بالله . إن الثقة تضع رغباتها أمام الله فى إيمان ، عالمة أنها سوف تتحقق فى الوقت الذى يريده الله وبالطريقة التى يختارها. الإيمان يضحك على المستحيلات قائلاً : سوف يتحقق الأمر

هناك درس أو اثنان للمعجزة يمكن أن نذكره عند ختام هذه الدراسة . ألا يقدم لعن شجرة التين درساً للمسيحية الاسمية اليوم ، كما يقدمه لإسرائيل الذى يعد تاريخها مرآة يرى فيها الناس فى كل مكان صورتهم ؟ إن المسيحية الاسمية اليوم (النصرانية) غير حقيقية وغير مثمرة لله كما كانت إسرائيل فى الماضى . هناك الكثير من أوراق الأنشطة الدينية والاحتفالات ، ولكن هناك القليل من الثمار لحساب مجد الله . إن الرب لا يزال ينظر للأرض يفتش عن ثمار عملية ، وهى ثمر الروح (غل ٥ : ٢٢)، فلا شئ غير ذلك يشبع جوعه .

أما بالنسبة لقلوبنا ، فالرسالة الخطيرة هى أن الفشل فى استغلال الامتيازات الممنوحة لنا يؤدى لإزالة الامتيازات نفسها . فإذا فشل الغصن فى حمل الثمار فإنه ينزع (يو١٥ : ٢ - ٦) ، والمصباح الذى لا يضئ فإنه ينقل من مكانه (رؤ٢ :٥). والأشجار التى لا تثمر تقطع وتحرق (مت ٧ : ١٩) . إن ما يريده رب الحصاد هو العمل والقول معاً ، الجوهر والمظهر الثمار والأوراق أيضاً .

{ ٤٢ } معجزة شفاء أذن ملخس

(مت ٢٦ : ٥١ - ٥٦ ، مر ١٤ : ٤٦ و ٤٧ ،
لو ٢٢ : ٥٠ و ٥١ ، يو ١٨ : ١٠ و ١١)

هذه المعجزة الأخيرة للشفاء التي أجراها يسوع قبل موته لها خلفية محزنة ، فقد حدثت في الليلة الأخيرة قبل صلب المخلّص ، فقد كان الصليب يلقى بظلاله أمامه بكل ما يمثله من ألم وعار. لقد خرج لتوه من جثيماني بكل ما فيه من ويلات وصلاة أليمة حيث كان العرق يتساقط كقطرات الدم . ألا توجد مادة هنا للتأمل في « المعجزة في جثيماني » ، لقد كانت هناك قوة خارقة حملها إليه ملاك ، وقد استخدمها الرب في صراعه في الصلاة الذي وصل إلى مدى قطرات الدم نازلة إلى الأرض. إن نقص الخدمة البشرية من جانب تلاميذه كان ليسده ملاك وهو يحتمل الصراع المجرد من العطف البشري ولوحده . وإذ نام التلاميذ الثلاثة كان هناك صراعه المثلث مع الله حتى تم الحصول على النصر واسترد الهدوء واستطاع أن يقول لخاصته « قوموا ننطلق من هنا » .

حالما خرج يسوع من جثيماني قوبل بجمهور كبير بسيوف وعصي جاءوا من دار رئيس الكهنة ليقبضوا عليه . كم كان المشهد مخيفاً - جمهور مسلح تسليحاً جيداً ليأخذوا رجلاً لا حول له ولا قوة ! وقد أرتهم قبلة الخائن الشخص الذي كانوا يفتشون عنه . وإذ تقدم أعداؤه ، سأل بهدوء : «من تطلبون ؟» فأجابوا «يسوع الناصري »، فأجاب « أنا هو ». بالنسبة له لم تكن هناك مشكلة حيث اختار أن يسلم نفسه لحقد الذين قبضوا عليه.

لقد قهرهم صوته المهيب ، وعزة النفس البادية في سلوكه وسطوع قوته ، إذ تراجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض . «أليست هذه معجزة من المعجزات الصغرى ؟ فإذ كانوا يعلمون أن يسوع كان يمتلك قوة عظمى ، فلربما كانوا يتساءلون فيما بينهم عن نوعية المعجزة التي يمكن أن يجريها حتى يتجنب القبض عليه . وإذ تأثروا كثيراً بهدوئه الواضح وعدم خوفه ومهابته الملكية الظاهرة ، فقد هزموا مؤقتاً ولم يستطيعوا أن يلقوا عليه الأيادي . إحدى ضوابط استخدام يسوع لقوته المعجزية التي ذكرناها من قبل رفضه استخدام قوته لكي يخفف عن نفسه الألم . وهنا إيضاح آخر لهذه الحقيقة . فلا شئ كان أسهل بالنسبة له من أن يمضي بعيداً لو أراد ذلك . ولكن لكونه قد ولد ليموت كذبيحة كفارية فقد أخضع ذاته باتضاع لأعدائه .

ثم إنه لم يسع لأي دفاع عنه ، لأن مبدأه الثابت أنه كان حين يتألم «لم يكن يهدد » ، بل يشرب الكأس التي سمح بها الآب . تقول الرواية إنه كان بإمكانه أن يحصل على «اثنى عشر جيشاً من الملائكة» لحمايته لو أنه طلب ذلك . ولكنه برغم ذلك لم يطلب مساعدة الملائكة بل إتمام خطة الله . كان حوله اثنى عشر رجلاً ضعيفاً ، واحداً منهم كان خائناً ، وآخر كان على وشك أن ينكره ، والباقين كانوا بالمثل جبناء، ومع ذلك فقد رفض اثنى عشر جيشاً من الرب . لقد كان معجزة المعجزات ، ولايزال .

ومع أن حادثة الأذن التي شفيت موجودة في كل الأناجيل الأربعة ، إلا أن يوحنا وحده هو الذي يعطينا اسم العبد الذي فقد أذنه أي ملخس . كان يوحنا يعرف رئيس الكهنة وكان على دراية بأهل بيته . وقد ذكر ملخس بنوع خاص كعبد رئيس الكهنة ولذا فقد كان مرافقه الشخصي الذي كان يُنادي عليه دائماً باسمه في كل أرجاء القصر. ولذا فقد كان من الطبيعي بالنسبة ليوحنا أن يقدمه باسمه . ويوحنا أيضاً هو الكاتب الوحيد الذي ذكر أن بطرس هو الذي قطع أذن ملخس. ولا شك أن البشيرين الثلاثة الآخرين كانوا يعرفون من سدد الضربة . ولوقا الطبيب هو الوحيد الذي سجل شفاء أذن ملخس . ومن السمات الفريدة للمعجزة أنها الوحيدة من نوعها من بين المعجزات التي أجراها المسيح التي شفى فيها جرحاً نتيجة للعنف.

فيما يختص بدفاع بطرس عن سيده ، ففي حين أننا نحيي الحماس الصحيح ، إلا أننا يجب أن نحمي أنفسنا من خطر التهور والاندفاع . إن بطرس لم ينتظر ليسمع الإجابة على السؤال :« يارب أنضرب بالسيف ؟» ، وكجليلي فقد كان بطرس محباً للمشاكسة وسدد ضربة لعبد رئيس الكهنة لتجاسره على وضع يديه الدنسة على سيده .

وكما يقول ترنش : «كان هو المتحدث بلسان بقية التلاميذ ، وقد أثبت حين سنحت الفرصة أنه حامل للسيف أيضاً ، وعمله يثبت أنه كان المحرض والأكثر جرأة وإقداماً عنهم جميعاً ، «استل» بطرس سيفه . لم يكن هناك سوى سيفين مع التلاميذ الاثنى عشر (لو ٢٢ : ٣٨) وواحد منهما كان في حوزة بطرس كالقائد للجماعة كلها .

إن الضربة التي سددها بطرس كانت تدل على أنه كان غيوراً ومغتاظاً . لقد صوّب نحو رأس ملخس بشدة ، ولحسن حظ ملخس فقد أخطأت الضربة الهدف ولم تنقطع سوى أذنه . قد يبدو أن بطرس كان شجاعاً بهذا العمل حيث أن جمعاً كبيراً بسيوف وعصى أحاطه . ولو توقف هذا التلميذ المندفع لحظة ، لأدرك أنه من المستحيل على إحدى عشر رجلاً ليس معهم سوى سيفين أن يدافعوا عن يسوع ضد فرقة جنود مسلحة . ولكن لأنه لم يكن معتاداً على تقدير الأمور جيداً قبل أن يتصرف فقد ضرب العبد . ربما تذكر بطرس افتخاره الأجوف عند ما قال إنه مستعد أن يموت لأجل سيده إذا اقتضى الأمر والآن فهو يبدأ في الوفاء بهذا العهد. من أي زاوية ننظر إلى هذا العمل ، فقد كان عملاً خاطئاً . كان بطرس متهماً بغيرة غير مقدسة . وكان سيده مستسلماً ، ولكن بطرس أظهر اندفاعاً جسدياً . بعد ساعة أو اثنتين من ذلك الحدث عندما وقف يسوع أمام رئيس الكهنة يقدم اعترافه ، كان بطرس ينكره أمام الخدم وهو يقسم أنه لا يعرفه ويسبه (لو ٢٢ : ٥٤ - ٦٢ ، ١ تى ٦ : ١٣) . أين كانت شجاعته التي كان يفتخر بها عندما خجل من سيده أمام جارية ؟

نأتي الآن لتوبيخ الرب لبطرس لحدة طبعه ولاستخدامه للأسلحة الجسدية للدفاع عن الأشياء الروحية . فإذا كانت هذه المعجزة تثبت شيئاً ، فهي تثبت أن يسوع كتجسيد للسلام ضد العنف وسفك الدماء . فالوداعة والرحمة والحنان هي أسلحته القوية المنتصرة . ولكن يا للحسرة !، لقد كان لدى بطرس في ذلك الوقت معرفة ناقصة بطبيعة ملكوت المسيح . فحماسه الذي دفعه لاستخدام السيف قد أثبت أيضاً بطئه في تقدير الطبيعة الروحية للصراع المقبل .

قال يسوع : « لم آت لألق سلاماً على الأرض بل سيفاً » ، وإذ فشلوا في فهم ما ترمز إليه كلماته والمعنى الروحي الكامن وراءها قالوا : « هوذا هنا سيفان» ، وفض هو الحديث بالقول « يكفي » ، بهذه الإجابة فهو لم يقصد أن سيفين يكفيان للحاجة إليهما . ما قصده كان حسبما يقترح جوديت : « نعم ، لأجل الفائدة التي تريدون أن تحصلوا عليها من مثل هذا النوع من الأسلحة ، فهذان السيفان يكفيان » ، وفي توبيخه قال لخاصته « هل إلى هذا الحد » كان يقصد بالفعل « ، اسكتوا الآن ، لقد ذهبتم في المقاومة إلى حد بعيد ، ولكن هذا يكفي » .

أما عن الشفاء الذي أجراه يسوع بيده شبه المقيدة ، يقول لوقا كطبيب ، والذي كان مهتماً بنوع خاص بكل حالات الشفاء هذه وهو الوحيد الذي يذكر لنا عن إظهار الرب لقوته الخارقة في نعمة الشفاء . وإذ طلب تحرير يده للحظة، لمس ربنا وشفى الأذن المضروبة - وكانت هذه هي معجزته الأخيرة قبل الصليب حيث كان عليه أن يشفي جرح الخطية لعالم هالك .ويذكر اليكوت أن من سمات الدقة الفنية والمهنية للوقا تتضح جلياً في استعماله لصيغة التصغير من كلمة (أذن) ليوضح أن جزءاً فقط هو الذي قطع» . وفي (تث ١٥ : ١٧) يبدو أنه ينطبق بنوع خاص على شحمة الأذن .

ومع أن الكتاب لا يذكر كيف شفيت أذن ملخس ، إلا أننا نعرف أن هذه واحدة من المعجزات القليلة التي أجراها يسوع دون أي تعبير للمريض عن رغبته في الشفاء أو إعلان إيمانه . إننا لا يجب أن نغفل هذا الجانب ، فقد جاء يسوع ليضع حياته نيابة عن الخطاة ، وفي إجرائه لشفاء جرح ملخس جسّد مبدأه الخاص بمحبة أعدائه .وهذه المعجزة الأخيرة له قبل موته قد أجريت لعدو . يا للنعمة المذهلة ! حقاً إنها بلا حدود . ها هو عدو صريح يشفى ويبارك ! أليس هذا هو جوهر الإنجيل الذي بشر به بولس (كو ١ : ٢١ ، ١ تى ١ : ١٢ - ١٥) ؟ فكل طرقه هي طرق النعمة المتفاضلة ، ويا ليت ملخس عن طريق اختباره لقوة المسيح الشافية قد أدرك شخصية يسوع الحقيقية ومسيانيته وأصبح تابعاً حقيقياً له . ولابد أن الجمهور تعجب لعمل نعمة الشفاء . أما عن

بطرس ورفاقه ، فبعد شجاعة جسدية وجيزة ، تركوا يسوع ليواجه موتاً مريراً - وحده .

أما عن الدروس المستفادة من المعجزة ، فما الذى يمكن أن نستفيده أكثر من كلمات ربنا عن وضع السيف فى غمده لأن « الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون » ، سوى أن المكان الصحيح للسيف هو الغمد ، ألا يتنصل هو هنا من القوة والسياسة والغضب باعتبارها أسلحة قذرة لمقاومة الخطأ ؟ إن طريقته لهزيمة القوة كانت بالخضوع ، والعنف بالتواضع ، والخطية بالصليب . إنه يكسب معاركه ليس بالسيف ولكن بجروحه.

ثم إن المعجزة ترينا أنه مهما كانت الأسباب التى تجعل استخدام الأسلحة الجسدية قانونية ، فليس من الصواب أن نستل السيف لأجل المسيح وحقه (٢ كو ١٠ : ٤) . فالسيف لا ينبغى أبداً أن يستخدم لامتداد أو مهاجمة أى آراء دينية أو لنشر ما يعتقد أنه الحق . لقد ارتكب الصليبيون خطأ الدفاع عن قضية دينية بأسلحة جسدية .« فكل عنف يستخدم فى الديانة عن طريق المحققين أو رجال قد نفد صبرهم لإعلاء كلمة الحق مثل غلطة بطرس. وكان كراهية لمرتكبى الخطأ وكل ذم فيهم شبيه بسيف بطرس » .

إن يسوع يدعوهم لحمل صليبه لا أن يستلوا السيوف لأجله . إن وسائل العنف تفشل ولكن « المحبة لا تسقط أبداً » . يقول تايلور إن «المسيحية تنقذ البشر ليس بسفك دمهم بل بسفك دماء أتباعها » ، ويقدم لنا تاريخ الكنيسة أمثلة عديدة لأولئك الذين كانوا على استعداد أن يهلكوا بالسيف بدلاً من أن يدافعوا عن أنفسهم به ، وعن أولئك الذين كانوا أشرف قديسى الكنيسة ، صحيح إن «دم الشهداء هو بذار الكنيسة ».

{ ٤٣ } معجزات شفاء عدد كبير من الناس

(يو ٢٠ : ٢٠ ، ٢١ : ٢٥ ، أع ١٠ : ٣٨)

بعد أن تأملنا فى كل المعجزات الفعلية المسجلة التى أجراها يسوع فى أيام تجسده ، نريد أن نثبت فى هذا القسم أن المعجزات العديدة التى تأملنا فيها لا تنهى القائمة ، فلم يدون من معجزات ربنا سوى العدد القليل . وما عندنا يقدم كعينات للعدد الكبير من الآيات التى أجراها يسوع أمام تلاميذه . أما القائمة الكاملة بكل ما أجراه فإنها تملأ كتباً كثيرة كما قال يوحنا . فنحن نلحق القائمة الثانوية الآتية بالمعجزات الموصوفة جزئياً لأسباب ظاهرة . فمثل هذه المعجزات واسعة النطاق تثبت كم كانت قوة ربنا عظيمة ، «ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب» (مت ٤ : ٢٣) ، فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة والمجانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم ، (مت ٤ : ٢٤) . «ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب » (مت ٩ : ٣٥) .«قوات كثيرة» (مت ١٣ : ٥٤ و ٥٨) .

« شفى مرضاهم .. وأحضروا إليه جميع المرضى» (مت ١٤ :، ١٤ و ٣٥). «وتبعته جموع كثيرة فشفاهم هناك»(مت ١٩ : ٢)، « وتقدم إليه عمى وعرج .. فشفاهم» (مت ٢١ : ١٤).«قدموا إليه جميع السقماء والمجانين» (مر ١ : ٣٢ - ٣٤ و ٣٩) ، « شفى كثيرين» (مر ٣ : ١٠و ١١) ،« تجرى على يديه قوات مثل هذه » (مر ٦ : ٢ و ٥) ، «وكل من لمسه شفى» (مر ٦ : ٥٥ و ٥٦) ، « جميع الذين كان عندهم سقماء بأمراض مختلفة قدموهم إليه فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم» (لو٤ : ٤٠ و ٤١) ، وجمهور كثير من الشعب من جميع اليهودية وأورشليم وساحل صور وصيدا الذين جاءوا ليسمعوه ويشفوا من أمراضهم والمعذبون من أرواح نجسة وكانوا يبرأون »(لو ٦ : ١٧ - ١٩) ،« وبعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض» (لو ٨ : ٢) ، «والمحتاجون إلى الشفاء شفاهم» (لو ٩ : ١١) ، « آمن كثيرون باسمه إذ رأوا الآيات التى صنع »(يو ٢ : ٢٣) .

لم يكن هناك تقصير أو شح فى توزيع بركاته ، لقد شفاهم جميعاً . فحينما وحيثما واجه حاجة ، كان يمارس قوته الإلهية كالشافى لأمراض البشرية .

يفرد ديفز فى دراسته القوية عن «معجزات يسوع» فصلاً

يحتوى أدلة قوية لتأييد مصداقية معجزات السيد يمكن توضيحها لفائدة القارئ . هناك عدد كبير من الإشارات غير المباشرة للمعجزات التى قام بها يسوع ، ففى الأناجيل توجد ٤٢ إشارة . وأغلبها موجود فى إنجيل واحد فقط ، وبعضها موجود فى اثنين من الأناجيل وبعضها فى ثلاثة . وهناك ١٩ إشارة غير مباشرة فى إنجيل يوحنا. وهاك ترتيب غير دقيق لهذه الإشارات :

يسوع : هناك ١٤ إشارة غير مباشرة على فم يسوع نفسه (مت ١١ : ٥ و ٢٠-٢٤، ١٦: ٩و١٠، مر ١١: ٢٩و ٣٣ ، لو ٤ : ٢٢و ٢٥ - ٢٧ ، ١٠ : ١٣ و٢٣ و ٢٤ ، ١٣ : ٣٢ ، ٢٠ : ٨ ، يو ٤ : ٤٨ ، ٥ : ٢٠و ٢١ و ٢٦ ، ٦ : ٢٦ ، ٧ : ٢١ ، ١٠ : ٢٥ و ٣٢ ، ١٤ : ١٠ - ١٢ ، ١٥ : ٢٤) .

البشيرون : يذكر البشيرون تقارير قام بها آخرون تحتوى إشارات للآيات التى صنعها يسوع ، وفى كل الحالات تقريباً ، يفسرون سلوك الآخرين بالإشارة إلى معجزات المسيح . وهناك إشارات كثيرة من هذا القبيل (مر ٣ : ٨ و ١٠ - ١٢ ، ٥ : ٢٧ ، ٦ : ٥٢ ، لو ٥ : ١٥ ،٧ : ٣ و ١٨ ، يو ٤ : ٤٥ ،٦ : ٢ ، ١٢ : ١ و ٩ و ١٧ و ١٨ و ٣٧ ، ٢٠ : ٢٠ و ٣١).

نيقوديموس : (يو ٣ : ٢)

الناس : هناك ست إشارات غير مباشرة منسوبة للناس لمعجزات يسوع (مت ١٣ : ٥٤ ، مر ٦ : ٢ ، لو ١٩ : ٣٧ ، يو ٧ : ٣١ ، ١٠ : ٢١ و ٤١ ، ١١ : ٣٧).

الكهنة : الإشارات من هذا النوع توجد فى (مت ٢١ : ٢٣ ، ٢٧ : ٤٢ ، مر ٣ : ٢٢ و ١١ : ٢٨ ، ١٥ : ٣١ و ٣٢ ، لو ٢٠ : ٢ ، ٢٣ : ٣٥ ، يو ١١ : ٤٧).

هيرودس : (مت ١٤ : ١ و٢ ، لو ٩ : ٧ - ٩ ، مر ٦ : ١٤).

معجزات طلبها الناس : (مت ١٢ : ٣٨ ، ١٦ : ١ - ٤ ، مر ٨ : ١١ و ١٢ ، لو ١١ : ١٦ ، يو ٢ : ١٨ ، ٦ : ٣٠ و ٣١ ، ٧ : ٣) .

الإصرار على الصمت فيما يختص بالمعجزات : (مت ٨ : ٤ و ١٢ و ١٦ ، مر ١ : ٣٤ و ٤٣ و ٤٤ ، ٣ : ١٢ ، ٥ : ٤٣ ، ٧ : ٣٦ ، ٨ : ٢٦ ، لو ٥ : ١٤ ، ٨ : ٥٦) .

الإشارة لمعجزات العهد القديم : إننا نعرف كيف أن العهد الجديد مستتر فى العهد القديم . فهناك لفت الأنظار إليها والاستفادة منها : إيليا ، لو ٤ : ٢٤ - ٢٦ ، موسى ، يو ٣ : ١٤ ، يو ٦ : ٣١ ، ٤٩ ، امرأة لوط ، لو ١٧ : ٣٢ ، يونان ، لو ١١ : ٢٩ - ٣٢ ، الخ)

معجزات أجراها الرسل فى الأناجيل : (مت ٢٨ : ١٨ ، مر ٣ : ١٥و ٧٦ ، ١٦ : ١٧ - ٢٠ ، لو ٩ : ١ و ٢ ، ١٠ : ٩و ١٧و ١٩ . سوف نضطر للإفاضة فى القوة الخارقة التى منحت لهم عندما نأتى إلى معجزات سفر أعمال الرسل .

{ ٤٤ } المعجزات فى الجلجثة

(اقرأ رواية كل إنجيل)

إن المعجزات تحيط بالصليب تماماً كما أحاطت به الظلمة عندما مات يسوع . إن المعجزات كثيرة ونحن نقلب صفحات روايات الإنجيل عن الصلب . يقول أرنولد رجبى فى إحدى مواعظه لأولاده فى الحديث عن دليل موت ربنا وقيامته مشيراً للمرات العديدة التى حلل وفحص فيها ماكتب عن الحقائق الرئيسية فى الإيمان بالمسيح، وكيف أنه توصل هو نفسه لهذا الاستنتاج :

« لا أعرف حقيقة واحدة فى تاريخ الجنس البشرى وجدت دليلاً يدعمها ويثبتها لدى المحقق المنصف ، أكثر من الآيات العظمى (أو المعجزات) التى أعطاها الله لنا ليثبت أن المسيح مات وقام ثانية من الأموات ».

هناك معجزات« فى » الصليب ، ومعجزات «من» الصليب ومعجزات «على» الصليب ،أما عن المعجزات التى فى الصليب فإننا نحتاج لمجلدات لتوضيحها . فأعظم المعجزات كنتيجة لذلك الصليب المكوّن من خشبة قديمة خشنة كانت إتمام الخلاص الكامل للجنس البشرى المذنب والغارق فى حمأة الخطية «فقد كان الأمر» يتطلب معجزة« النعمة لتقديم الفداء » لعالم من الخطاة الهالكين

بالسقوط ». وعلى الجلجثة ، نشاهد تجسيداً حياً لهذه المعجزة . إن الغرض من هذه المعجزة الفريدة للتجسد كان إجراء المعجزة العظيمة المماثلة ألا وهى تحرير الإنسان من عقاب الخطية وسطوتها . فكل المعجزات التى أجراها عندما كان فى الجسد لم تكن سوى مرايا ، تعكس كل منها زاوية واحدة ، من عمله كالفادى والوسيط . وخلق العالم لم يكلفه سوى نسمة منه ، ولكن فداءه كلفه دمه .

لقد كان شيئاً عظيماً أن يدعو العالم من لا شئ ، وأنه لشئ أعظم أن يفتديه .

والجلجثة Gologotha هى كلمة عبرية تعنى « مكان الجمجمة » كان مكاناً مناسباً ليموت عليه يسوع . وفى معقل الموت سدد رب الحياة ضربته المميتة للموت . «فبموته قد أباد الموت» (عب ٢ : ١١). لقد كان الموت على صليب مقصوراً على العبيد والأشرار من أحط الأنواع. والذين كان يحكم عليهم بالصلب كانوا عادة يجلدون ويضربون بالسياط، ومع ذلك فالمعجزة أن الصليب ، مع كونه من أحط الأشياء، وأكثرها كراهة فى حد ذاته ،قد أصبح فى عقول المؤمنين رمزاً لكل ما هو مقدس وثمين . كان المسيحيون الأوائل ينظرون لصليبه كشعار للنصر والرجاء . ولولا معجزة الخلاص التى تمت فى الصليب ، لظل فى حد ذاته ما كان عليه دائماً وأبداً - شيئاً حقيراً يدعو للأزدراء ، غير قادر على منح الحياة أو البركة . ولكن المسيح بموته على صليب قد حوّل دناءته إلى انتصار.

يقول دكتور. ج . كامبل مورجان إن « قصة الصليب يجب أن تُقرأ فى هدوء خاشع وتأمل . ونحن نرى كل قوات الشر متمثلة فى كهنة اليهود الذين اتحدوا معاً ومع بيلاطس ليضمنوا قتل يسوع» وكما قال الكسندر ماكلارن Alexander Maclarn «إن هناك شيئاً مؤثراً فى تتابع العبارات الواردة فى رواية لوقا والتى تترى الواحدة تلو الأخرى يربط بينها حرف الواو كأمواج البحر الميت التى تتكسر بشدة فى تتابع كئيب . ولذا فعلينا أن نقف على شاطئ بحر ذلك الألم الذى يعتصر القلوب ،وأن نتذكر أن غوص يسوع فيه كان لإنقاذنا» ، هناك ملايين حاشدة فى السماء وعلى الأرض تبتهج بمعجزة النعمة الإلهية التى ظهرت فوق الجلجثة . قال سبرجون إن لاهوته يمكن إيجازه فى ثلاث كلمات :« هو مات لأجلى » . كم نكون مباركين وآمنين إذا استطعنا أن نصيح مع يوحنا بنيان قائلين :

أيها الصليب المبارك ! أيها القبر المبارك

كم هو مبارك بما لا يقاس ، ذلك الإنسان الذى احتمل الخزى لأجلى !

وإذا تركنا جانباً الابتهاج بمعجزة الخلاص عن طريق عمل المسيح الكامل ، هناك جانب مذهل آخر للصليب ألا وهو المعجزات المرتبطة به، وهو يبرز كظلال قاتمة تحت قبة السماء المعتمة . فى هذا الإطار ، تشير لتلك التحفة الأدبية للأسقف نيكولسون « معجزات الجلجثة ». لنبدأ بذلك الحلم الغريب غير العادى لزوجة بيلاطس عند محاولة إلحاق الأذى بيسوع . فالحلم العادى يكون معروفاً ،ولكن هذا لم يكن حلماً عادياً . لقد كان نوراً من السماء يعلن براءة ذلك الشخص الذى كان على وشك أن يُصلب . فالله له طريقته الخاصة لإعلان إرادته بطريقة مباشرة حتى لوثنيين كبيلاطس وزوجته (تؤكد إحدى الروايات أن زوجة بيلاطس اعتنقت الديانة اليهودية)، هذا الحلم المزعج لم يكن مجرد انعكاساً لأحداث اليوم ، مجرد أفكار لامرأة حساسة ، ومخلصة ، ولكنه تحذير إلهى قصد به إنقاذ زوجها الذي كان يؤمن أيضاً ببراءة المسيح، من الذنب الذى كان على وشك أن يُتهم بارتكابه .

المعجزة التالية التى أجريت على الصليب كانت معجزة النبوة التى تحققت باقتسام ثياب المسيح وإلقاء القرعة عليها والمطابقات العديدة بين ما ورد فى ما ذكره المرنم (مز ٢٢ : ١٨) ، وبين حقائق الصلب المذهلة (مت ٢٧ : ٣٥ ، يو ١٩ : ٢٤) . وقد تم المكتوب أيضاً عندما صرخ يسوع قائلاً : «أنا عطشان» (مز ٦٩ : ٢١ ، يو ١٩ : ٢٨) . ولقد رفض المشروب المخدر المعتاد فى لحظة الصلب . وكان ذهنه صافياً وهو يقدم نفسه كبديل لأجل الخطية ، ولكن عندما تم الكل وعندما اقتربت لحظة انطلاقه من الموت ، حاول أن يستريح من عذاب العطش الجسدى الناجم عن جروحه . وبرغم كل الأحداث القاسية فى ذلك اليوم ، فإن عقله كان

يتفكر فى الكلمة النبوية . ففى ناموس الله كان يلهج نهاراً وليلاً ، والآن فهذا الناموس كان يعزى قلبه المكسور .

وهناك أدلة أخرى تثبت صحة النبوة نراها فى المسيح الذى أحصى مع أثمة (إش ٥٣ : ١٢ ، مر ١٥ : ٢٨). هذه إحدى الحالات القليلة التى يلفت مرقس فيها الانتباه لإتمام النبوة . ثم هناك النبوة عن عظامه التى لم تكسر (خر ١٢ : ٤٦ ، عد ٩ : ١٢ ، مز ٣٤ : ٢٠ ، يو ١٩ : ٣٦) .وكسر السيقان ، إحدى التفاصيل التى يسجلها يوحنا وحده ، كانت تتم بضرب السيقان بمطرقة خشبية ثقيلة للتعجيل بالموت . وكان أحياناً يجرى كعقاب للعبيد . فلأن المسيح كان قد مات ، فقد أعفى من هذه المعاملة القاسية ، وبذلك تمت النبوة . ونبوة كتابية أخرى تمت عندما كان الذين حول الصليب يتفرسون فى ضحيتهم « فينظرون إلى الذى طعنوه » (زك ١٢ : ١٠). الجميع سواسية ، سواء كانوا من حكام اليهود أو الجنود الرومان ، الأقارب وأصدقاء يسوع والمارة، وقفوا ونظروا إلى الصليب كما يعلق اليكوت قائلاً : « إن ذلك المشهد رمزى، فهو سيجذب كل الناس إليه ، والقوة الأخلاقية التى ستؤثر على قلوب البشر هى قلب المحبة الذى يحب ولذلك يخلّص من طعنه مراراً وتكراراً «إذ ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » .

وهناك معجزة أخرى فى الجلجثة وهى الظلمة التى غطت الأرض من الظهر حتى الثالثة بعد الظهر. إن صالبى المسيح نزعوا عنه ثيابه ، آخر ما تبقى من الممتلكات الأرضية ، ورفضت الشمس أن تشرق بضيائها على خالقها وهو يتلوى ألماً جسداً وروحاً ، وهذه الظلمة غير المعتادة كانت عزاء الطبيعة لربها المتألم ، وكان ذلك إتماماً آخر للنبوة (عا ٨ : ٩) .

ومن خلال ظلام الجلجثة أشرق الضياء البهيج لغفران السماء ، لأن هذه المعجزة كانت شهادة أخرى من الله على الطبيعة السامية لعمل ابنه الذى تممه بموته . عند ميلاده استحال ظلام الليل إلى مجد ساطع، والآن فإن سطوع النهار استحال بطريقة خارقة إلى ظلام دامس لا أول له ولا آخر . يقول هالى : «إن الطبيعة الجامدة قد غطت وجهها خجلاً أمام شر الإنسان الذى يصعب التعبير عنه ، وربما كانت تحاول أن تعبر عن مواساتها لابن الله فى صراعه النهائى مع جحافل الجحيم المظلمة، لقد قصد الله أن يكون الظلام هو العويل الرمزى للخليقة لأجل يسوع عندما كان يقاسى من الآلام الكفارية كبديل عن الهالكين »، لقد كان واضحاً أن الظلمة الخارجية قد أوقفت وأنهت تهكم الأشرار وتصدت لمباهجهم . وإظلام الشمس كان إيذاناً لمجئ « يوم الرب العظيم المخوف» (يو٢ :٣١ و٣٢) .

ومع ذلك فالظلمة الخارجية كانت رمزاً للظلمة الداخلية التى كان يجتاز فيها يسوع لأن الآب حجب وجهه عنه لحظتها . فلا أحد منا سيكون بإمكانه أن يعرف ما تحمله فى تلك الليلة المظلمة التى اجتاز فيها عندما مات كبديل عن الخطاة ،« ياالهول الظلام الرهيب الذى غشى روحه» عندما صرخ قائلاً : «إلهى إلهى لماذا تركتنى؟» ولكن هذه الرهبة المظلمة لم تكن سوى ظل عابر»(تك ١٥ : ١٢). فى رعب الظلام والهجر ، كان ابن الله يتحمل آلام مخاض الفداء والقطع من أرض الأحياء فى منتصف أيامه ، «هكذا يقول نيل فريزر Neil Fraser فى كتابه « عظمة الجلجثة ».

نأتى الآن لمعجزة شق حجاب الهيكل عندما كان رئيس الكهنة العظيم على وشك أن يدخل بدم كفارته إلى الهيكل غير المصنوع بيد . إن المغزى الهام هنا أن الحجاب قد شق «من أعلى» وليس «من أسفل» ، وهذا يعنى بالطبع أنه قد شق من قبل الله وليس الإنسان . لقد كان يقدر سمك الحجاب بمقدار عرض كفة اليد، وكان منسوجاً من ٧٢ طية « ضفيرة » ، وكل طيــة تتكون من ٣٢ خيطاً . وكان طوله ستين قدماً وعرضه ثلاثين قدماً . وكان يصنع اثنان كل عام ، ويقوم أربعمائة كاهن بصناعة حجاب واحد، ولذلك فيستحيل على إنسان أن يشق الحجاب بقوته الذاتية . إنها لحقيقة روحية عميقة نجدها ها هنا ! لقد تم القضاء على الحاجز بين الله والإنسان ، ولم يعد هناك داع للهيكل ولا للشكل الطقسى القديم من أشكال العبادة ، فقد افتتح المسيح طريقاً حياً جديداً إلى محضر الله . ومنذ تلك اللحظة فصاعداً ، أصبح الصليب يؤدى بالبشر إلى المكان المقدس أو يحرمهم منه ، وفقاً لعلاقتهم بالمسيح (عب ٩ : ٨ ، ١٠ : ١٩ - ٣١). ولقد عبر أمبروز عن ذلك فى ترنيمة قديمة قائلاً :« عندما تغلبت أنت على سلطان الموت فإنك فتحت

ملكوت السماء لكل المؤمنين ».

وهناك تحية أخرى للمخلص المنتصر فى الزلزال وتشقق الصخور ، ومع أن المنطقة حول الجلجثة لم يكن من المفروض أن تكون بركانية إلا أن قوى فاتحت الأرض كانت تحت الطلب إذا أراد إله الخليقة استخدامها كما حدث . فعندما يأمر بزلزال ، فإن الأرض تنفتح فى نفس المكان الذى يختاره وليس فى مكان آخر (مز ١٨ : ٧ ، ١٠٤ : ٣٢ ، مت ٢٧ : ٥٢) . وعند دراسة الزلازل الكتابية ، فمن الضرورى أن نميز بين الزلازل الفعلية والزلازل المرتبطة بإظهار القوة الإلهية . وللبحث عن إشارات عن الأخيرة انظر مت ٢٤ : ٧ ، ٥٧ : ٥١ و ٥٤ ، مر ١٣ : ٨ ، لو ٢١ : ١١ . والزلازل فى سفر الرؤيا . وبالرغم من الزلزال الذى حدث فى الجلجثة فقد ظل الصليب قائماً .

صحبت معجزة الزلزال معجزة أخرى ، فقد تفتحت القبور وقام عدد كبير من أجساد القديسين الراقدين . لم يقم كل القديسين . فاللفظ « قديس » قد استخدم تقريباً منذ بداية جماعة التلاميذ (أع ٩ : ١٣ و ٣٢ و ٤١) ، وكما استخدمه متى فهو يوحى بأن أولئك المؤمنين بيسوع أثناء خدمته والذين ماتوا قبل موته كانوا أولئك الذين قاموا فى ذلك الوقت . فعند دخول يسوع القبر ، قد فجره ، وهذا التفتح للقبور وافتقاد الممجدين كان الباكورة ، والبوادر لما سيكون ، والعربون والوعد بقيامة كل الموتى فى المسيح .

وهناك معجزة الدم والماء الذى سال من جنب يسوع المطعون . إن يوحنا يربط هذه الحادثة مع التأكيد الخطير وبين مصدر شاهد عيان . فلو أن انفجاراً قد حدث فى قلبه لسال الدم فى التامور أى الغشاء المحيط بعضلة القلب - على شكل تجلطات دموية ومصل شبيه بالماء . لم تكن هذه ظاهرة طبيعية نتيجة لانفجار القلب ولكنه شئ عجيب وغير متوقع تماماً . لقد مات المسيح بالفعل بسبب قلب مكسور على خطية العالم . دم وماء ! وهما رمز لشفاء «مزدوج» ، فموته أتى بالدم للتكفير والماء للتطهير (١ يو ٥ : ٦) .

هناك رواية تقول إنه عند موت يسوع ، فإن مداً هائلاً فى البحار قد اكتسح العالم كله وجعل الأمواج ترتفع فى الأنهار والأخوار ، ولو كان هذا حقيقياً فإنه يرمز للنعمة المتفاضلة التى ارتفعت يوم مات يسوع فوق العقبات الناتجة عن خطية البشر وقربت العالم كله لله ، والذى بالصليب سوف يصالح كل الأشياء لنفسه ، سواء فى السماء أو على الأرض .

نأتى الآن لفحص بعض المعجزات التى تممها يسوع عندما مات على الصليب لأنه مارس سلطان لاهوته حتى فى نزع الموت . هناك معجزة إنكار الذات لأنه لم يمت فقط عن الخطية ، لقد مات عن الذات أيضاً ، «لم يخلِّص نفسه» ، لقد كان بإمكانه أن يخلِّص نفسه من أوجاع الموت ، ولكن لأنه كان ابن الله لم يخلِّص نفسه . ولو فعل ذلك ، لما كان لنا خلاص . إننا لا نستطيع أن نخلص ذواتنا والآخرين أيضاً فى نفس الوقت . فعندما نهلك الحياة نجدها . لقد وضع يسوع أمام تحد أن ينزل من على الصليب ، ولو مارس سلطانه لأثبت أنه هو الله ، ولكن قد عُيِّن له أن يموت ، وكالفادى كان عليه أن يشرب الكأس حتى الثمالة .

ويمكننا أن نتأمل ملياً فى معجزة وسر ترك الله لنا ، ونفكر فى عمق يأسه فى تلك اللحظة من الوحدة القاسية «الله المخذول من الله» ، كما عبر مارتن لوثر عن ذلك . وهناك أيضاً معجزة عطفه العظيم على أمه العزيزة ، الذى اهتم بسعادتها حتى وهو يجتاز هذا الألم البدنى المريع . إنه لم يجر معجزة لراحتها المستقبلية لأن ذلك كان يمكن ترتيبه بالوسائل المعتادة . ثم هناك أيضاً إعلان قوته الإلهية فى عفوه عن اللص التائب الذى قدر له أن يكون أول تذكار لفاعلية دمه المسفوك . وفى لحظة ضعفه الشديد استطاع أن يخلِّص إلى التمام النفس التائبة التى التجأت إليه طلباً للغفران .

وعند ختام هذا الجزء ، نرغب أن نلفت الانتباه للمعجزة الفائقة التى أجراها يسوع عندما أسلم روحه . يقول أوغسطينوس :« لقد أسلم حياته لأنه أراد ذلك عندما أراد وكما أراد». إن حياته لم تؤخذ منه ولكنه وهبها . لقد قال هو نفسه أن له سلطاناً أن يضع حياته وسلطاناً أن يأخذها أيضاً ، وكلا الموت والقيامة كانا طوع أمره . لقد علم أن كل شئ قد أكمل» وهذا دليل على علمه بكل

شئ»، ولذا تنازل عن مهمته على الأرض ليستأنف مهمة جديدة فى السماء . ولأنه استودع روحه لله (مز ٣١ : ٥) فإن هذه النعمة يمكن أن تكون لنا لنستودع أرواحنا أيضا علـــى رجاء خروجنا النهائى . ليكن موتنا كموت الأبرار !

فى سلام دعنى أستودع روحى

وأرى خلاصك

إن خطاياى كانت تستحق الموت الأبدى

ولكن يسوع مات لأجلى .

لقد كان لهذه المعجزات العديدة أثر غامر على قائد المئة الرومانى الذى اعترف أن الشخص الذى مات على ذلك الصليب الأوسط كان بالحق شخصاً فريداً ، «حقا كان هذا ابن الله» (مت ٢٧ : ٥٤)، وعلى الرغم من أنه كان وثنياً إلا أنه وصفه بأنه شخص جدير بالعبادة والطاعة . وفى حين صمت التلاميذ فإن هذا الجندى الوثنى الذى لم يستطع قبلاً أن يمارس الضغط على رجاله فى سخريتهم اللاذعة بالمخلّص ، فإنه يقوم الآن بالشهادة له ولأجله . صحيح أن صليبه يجذب إليه الجميع . والعبارة « مجّد الله » استخدمها لوقا عن قائد المئة . إن موته المهيب نتج عنه أن عديداً من الناس قرعوا على صدورهم ، لقد حزنوا حزناً عميقاً لهذا المشهد المؤلم .

{ ٤٥ } معجزة قيامته

(مت ٢٨ : ١ - ١٠ ، مر ١٦ : ١ - ١١ ، لو ٢٤ : ١ - ١٢ ، يو ٢٠ : ١ - ١٨ ، ١ كو ١٥ : ٤ - ٨)

فى حين كانت قيامة ربنا يسوع المسيح المعجزة التى توجت فترة وجوده على الأرض ، إلا أنه كانت هناك معجزتان صغيرتان مرتبطتان بهذه الحقيقة الرئيسية للمسيحية لفتت الأنظار إليهما كمقدمة للمعجزة الكبرى نفسها .

أولاً : كانت هناك الزلزلة الكبرى المصاحبة. فالأرض اهتزت عند موت يسوع (مت ٢٧ : ٥١) ، والآن فهى تهتز مرة أخرى حين يغادرها ، ولكن كما أن الزلزلة الأولى لم تحرك الصليب من مكانه فهكذا الزلزلة الثانية لم تحرك الحجر الكبير من على قبره . إن الطبيعة فى قوتها الجبارة ، كرمت المسيح المنتصر . وبالنسبة للذين كانوا حول القبر ، فقد ذكرهم هذا الزلزال الآخر بسيطرة الله على كل القوى الطبيعية .

وثانياً : هناك ظهور وعمل وإعلان ملاك الرب المهيب . وقد أكد كل كاتب من كتّاب الأناجيل تفاصيل معينة عن القيامة . فمتىُ ، على سبيل المثال ، ذكر ملاكاً واحداً فقط ، كان منظره كالبرق . ومرقس يشير إليه « كشاب جالس داخل القبر ... جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاء » ، ويتحدث لوقا عن« رجلين فى ثياب براقة» ، ويشير يوحنا «لملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً». إن هذه الازدواجية فى الظواهر الطبيعية لاحظناه فى دراستنا عن المجنونين (مت ٨ : ٢٨) ، والرجل الأعمى فى أريحا(٢٠ : ٣٠)، ففى مثل هذا الوقت من الانفعال العظيم والرعب والدهشة ، لا تكون التفاصيل الصغيرة واضحة تماماً فى الذاكرة والإدراك . فظهور الزائر الملائكى أو الزائران يشد انتباهنا ، حيث نجد القول « وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج »، والعبارة الأخيرة نجد ما يماثلها فى قصة التجلى ورؤيا القديم الأيام (مر ٩ : ٣ ، دا ٧ : ٩) . وهذا الظهور غير العادى والثوب الناصع البياض جعل الجنود ينبطحون أرضاً وبسبب الخوف من الملاك «ارتعد الحراس وصاروا كأموات». ولهذا وجدت النسوة الضعيفات عند القبر أنصاراً لهن وهم الملائكة .إن المعونة غير المتوقعة جاءت من مصادر غير متوقعة.

وكم كانت الخدمة التى أسداها الملاك أو الملاكان عظيمة ! فالحجر العظيم الضخم« الذى يزن ما لا يقل عن ألف رطل ، حوالى طن ، والذى يحتاج فى الغالب إلى قوة رجلين أو ثلاثة رجال لتحريكه »، قد تدحرج بسهولة كما لو كان حجراً صغيراً . فمثل هذا الحجر الثقيل جداً بدا للتلاميذ أنه كاف لمواراة الجسد الثمين لمعلمهم إلى الأبد . ولكن هذا الحجر القوى الثقيل لم يتدحرج فقط عن الباب ، ولكنه أصبح أيضاً مقعداً للملاك ! وحيث أن ربنا بجسده المجد قد اجتاز من الأبواب المغلقة ، فقد كان يمكنه أن يمر بسهولة من تلك الكتلة الصماء التى تسد باب القبر . فدحرجة

الحجر لم تكن ضرورية لكى يترك يسوع القبر ، وكانت دليلاً على هزيمة قوة روما التى ختم بها القبر ، وتأكيداً على القبر الفارغ .

ثم هناك الإعلان المجيد للملاك « ليس هو ههنا : لأنه قام كما قال ، هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعاً فيه » ، ليس الموضع الذى يضطجع فيه بل الذى كان مضطجعاً فيه. لقد أكد الملاك للمرأة التى جاءت لتبكى مسيحاً ميتاً بنبرات مشجعة أنه حى إلى الأبد ، وفى لحظة تغير عالمهن كله . فالموت لم يكن يقادر على الاحتفاظ بفريسته ، لقد قام الإيمان من القبر واستعاد ثقته بالله . وقام الرجاء والعزاء أيضاً من القبر . إن المسيح حى !

وهناك معجزة ثانوية نراها فى أكفان يسوع ، فقد كانت « موضوعة وحدها » ، أو ملفوفة بعناية ، مما يعنى ترتيب كل شئ فى القبر ، وهذا يدل على غياب عنصر السرعة والاندفاع فى قيامة الرب من الأموات . يقدم لنا يوحنا قدراً كبيراً من التفصيلات فيما يتعلق بالأكفان المذكورة ما لا يقل عن ثلاث مرات ، كما لو أنها ذات مغزى هام . و « المنديل الذى كان على رأسه كان ملفوفاً ، فى موضع وحده » ، فحقيقة أن المنديل كان ملفوفاً لم تخطئها عين يوحنا ، ولم تهرب من ذاكرته . لماذا كل هذا الوصف الدقيق للأكفان التى كان جسد يسوع ملفوفاً فيها ؟ فلو كان جسده قد سرق ، لما تُركت الملابس الثمينة المشبعة بالأطياب غالية الثمن فى مكانها ، ولما أتعب اللصوص أنفسهم هكذا لطى الملابس بكل عناية. ولو تناثرت الملابس بطريقة غير منظمة ، لاستنتج التلاميذ أن القبر قد عبث به أناس خارجون على القانون .

والمعجزة هنا نراها فى الحقيقة الناصعة أنه فى صباح القيامة قد وجدت هذه الأكفان موضوعة بدقة فى نفس المكان التى كانت فيه فى الليلة السابقة . فجسد ربنا ، كان فى حوزة قوى جديدة تماماً ، قد اخترق الملابس التى كانت لا تزال محتفظة بشكل جسده. وشكل هذه الملابس والمنديل الملفوف بعناية قد أقنع التلاميذ أن شيئاً رائعاً وغير مسبوق قد حدث خلال ساعات الليل الصامت داخل جنبات هذا القبر الجديد . لقد مضى معلمهم تاركاً وراءه هذه المخلفات التافهة المرتبطة بالموت .

وعندما نقترب من القيامة ذاتها ، فبسبب ضيق المساحة لا يمكننا أن نتحدث باستفاضة عن كل جوانب هذه المعجزة المذهلة .

وللبحث فى هذه الجوانب ننصح القارئ أن يدرس الموجز الرائع الموجود فى دائرة المعارف الكتابية « لفيربيرن Fairbairn » والتى تخبرنا أن :

« *من المستحيل أن نبالغ فى تقدير أهمية قيامة ربنا سواء فى حد ذاتها أو فى أهميتها بالنسبة للحياة المسيحية ، وليس من قبيل المبالغة أن نقول إن الاقتناع الراسخ بحقيقة هذا الحدث يمكن أن يطرد كل المصاعب المرتبطة بصحة إيماننا المستند على العنصر المعجزى ، ويقدم شهادة شاملة لإعلانات العهد الجديد ، ويمنح لكل أتباع يسوع قدراً أكبر من الامتياز المسيحى، ومقياساً أسمى للحياة المسيحية التى يمارسونها* » .

لا شئ أكثر وضوحاً فى العهد الجديد من قيامة المسيح ، والتى ذكرت مع القيامة عموماً أكثر من ١٥٠ مرة تقريباً . لقد عاد المسيح ، كما كان بشخصه إلى هذا العالم . وغادرت روحه الفردوس ودخلت جسده وقام من القبر . هناك ثلاث حقائق مسجلة بوضوح تام وبساطة لا يمكن أن ينكرها شخص أمين ألا وهى أن المسيح مات على الصليب ، ودفن فى قبر يوسف الرامى وبعد ثلاثة أيام قام من القبر . هذه الحقائق الثلاث تكوّن الإنجيل الذى لم يخجل بولس أبداً من التبشير به (١ كو ١٥ : ١ - ٣) .

فعندما نقبل الله الكلى القدرة ، فكل شئ يصبح مستطاعاً . « لماذا يعد عندكم أمراً لا يُصدَّق إن أقام الله أمواتاً » (أع ٢٦:٨). إن أقانيم اللاهوت الثلاثة قد اشتركت فى القيامة ،« الله أقامه من الأموات» (كو ٢ : ١٢) . وقال يسوع: « أضع نفسى لآخذها أيضاً » (يو ١٠ : ١٧ Rv) ثم نقرأ أن الروح القدس أقام يسوع من الأموات (رو ٨ : ١١ ، ١ بط ٣ : ١٨) .

إن قيامة ربنا هى الأساس وإحدى الحقائق المركزية للمسيحية ، « إنها منسوجة بعمق فى نسيج العهد الجديد وخيوطها متداخلة فى سدى ولحمة هذا النسيج ، وأن تنتزعها يعنى أنك تدمر كل النسيج» ، لقد تنبأ المسيح نفسه بقيامته (يو ٢ : ١٩ Rv) ،وقد

أظهر قبره الفارغ إتمام نبوته . لم يقل أحد عن أى قائد دينى عظيم آخر «إنه قام» ، لقد حُرق جسد جوادا ما مؤسس البوذية بعد موته ، ودُفن جسد كونفوشيوس فى قريته . وليس هناك أى تأكيد بقيامة أى مؤسس عظيم لديانة ما .إن التاريخ فتح صفحة جديدة عندما قام يسوع منتصراً من قبره .

وقد بنى كتاب العهد الجديد مناداتهم بأن يسوع ابن الله على أساس قيامته (رو ١ : ٤) ، وبالتالى فأقوالهم موحى بها لأنه إن لم يكن المسيح قد قام فكرازتهم باطلة (١ كو ١٥ : ١٤) . لقد بشر الرسل بالقيامة فى نفس المكان الذى حدثت فيه وأمام نفس الأشخاص الذين صلبوا يسوع والذين كانوا يدركون أنه سوف يقوم ثانية (مت ٢٧ : ٦٢ و ٦٣) . لقد ولدت الكنيسة نتيجة للقيامة . ففى يوم الخمسين تجدد ٣٠٠٠ شخص ، منهم عدد كبير اشتركوا فى موت المسيح فأصبحوا تلاميذاً له ، مما يقدم دليلاً جديداً على قوة قيامته (أع ٢ : ٣٦) ، وفيما بعد انضم آلاف آخرون إلى الكنيسة (٤ ، ٢١ : ٢٠) . وتجديد بولس ، فى حد ذاته ، دليل لا يقاوم على معجزة القيامة . وبالتالى فقد قدم الرسول العهد «الأعظم للقيامة» ولقيامة المسيح وقيامتنا كما نجده فى ١ كو ١٥ . ويستخدم بولس أيضاً القيامة كمثل لبداية وإعلان وهدف الحياة الجديدة فى المسيح (رو ٦ : ٤) . ويذكرنا بولس بالمثل بأن ملك المجد الذى أزال مرارة الموت بدخوله القبر « قد أبطل الموت» (٢تى١ : ١٠) . إن القوة على التجديد فى الرسالة التى بشر بها قد دعمت صحة القيامة . فقد اختبر فى خدمته المثمرة « قوة قيامته ! » .

وعلى الرغم من كل الإشارات التى أعطاها يسوع لتلاميذه عن قيامته ، إلا أنهم لم يصدقوه . فلو أنهم آمنوا أنه سيقوم ثانية ، لما أنفقوا المال وبذلوا الجهد لتحنيط جسده . ولذلك فمن أكثر الدلائل البارزة على القيامة تغيير الحالة الذهنية والسلوكية لمحبيه وأصدقائه. قبل موته تركه أتباعه وهربوا، لقد شعروا بالخذلان فى يأسهم والقساوة فى عدم إيمانهم بالرغم من كل النبوات التى سمعوها(مر ١٠:٣٤ ، لو ٩ :٢٢ ، يو ٢ :١٩ و٢١ ، ١٠ :١٧). وحتى عندما أخبرهم بعض النسوة المقربات ليسوع عن رؤيتهن للملاكين اللذين أعلنا أن يسوع حى « تراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن » (لو ٢٤ : ١١ و ٢٣) . ولكن حالما اقتنعوا بحقيقة قيامة معلمهم أنشدوا نشيداً جديداً مفعماً بالثقة والفرح .لاحظ الفرق فى سلوكهم وهم يشهدون للقيامة، وراقب توهج الفرح المقدس الذى أظهروه حتى فى وسط الآلام المريرة والتى بينت أنهم أكثر من منتصرين (أع ٤ : ١٣ ، ٥ : ٤١ ، الخ). اقرأ رسائل بطرس ، الذى يعرف الجميع أنه هو الذى أنكر سيده بأقسام وشتائم ، والذى عرف أيضاً أنه إذا كانت المسيحية صادقة فعليه أن يموت مصلوباً (يو ٢١ : ١٨ و ١٩) ، ثم اسأل نفسك من أين حصل على تكريسه وولائه التام للمسيح ، وآماله وفرحه سوى فى « قيامة يسوع المسيح من الأموات» (١ بط ١ : ٣). فبالنسبة لبطرس وبقية الرسل ، أصبحت القيامة عربوناً وأساساً لقبول الآب لذبيحة المسيح وبالتالى أصبحت عربوناً وختماً للفداء التام ، وبينما كانوا يبشرون بهذه الحقيقة ، خلص الآلاف إذ آمنوا أن يسوع قام من الأموات (رو ١٠ : ٩و١٠) ، ولذلك فمن غير المتصور أن هذه الشرذمة المتفرقة واليائسة عند الصليب يمكن أن تجد « نقطة انطلاق وإنجيلاً يذكرها بشخص حُكم عليه بالموت كمجرم ، لو لم تكن قد آمنت أن الله قد أقرَّ به وصدق على المهمة التى قام بها بإقامته من الأموات »، ونحن بالمثل نبتهج بحقيقة أن قيامته هى عربون ومقدمة لقيامتنا نحن . فعن طريقه ، نحصل أيضاً على قوة لحياة لا نهاية لها . « المسيح باكورة ثم الذين للمسيح فى مجيئه » ، فإذا شاء الرب فى عنايته ، أن نعود للوطن السماوى عن طريق القبر ، فلنا الرجاء أن « هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت ». كتب الكسندر سميللى Alexander smellie عن أولئك الذين يعتبرون قيامة المسيح «فكرة لا أساس لها »،قائلاً: «لو لم يكن المسيح قد قام يكون الإله الذى وضعت فيه ثقتى قد خذلنى. ولكن دعنى أتوقف هنا ، فأنا لا أستطيع أن أتحمل الاسترسال فى هذا الافتراض البائس، ولا حاجة بى لذلك لأن يسوع قد قام، وكل شئ على ما يرام بالنسبة لى، إنه الآن وعلى امتداد الأبدية » (انظر لو ٢٠ : ٢٧و ٢٨ ، يو ٥ : ٢٨ و ٢٩) .

{ ٤٦ } معجزة صيد الدفعة الثانية من الأسماك

(يو ٢١ : ١ - ١٣)

بعد عدة ظهورات بعد القيامة لتلاميذه ، أظهر يسوع نفسه للعديدين منهم عند بحر طبرية . كان قد طلب منهم أن يسبقوه ويقابلوه في الجليل (مت ٢٨ : ١٦). وهذا هو المكان الذي وجدهم فيه في مستهل الأصحاح . وهذا الأصحاح الأخير من إنجيل يوحنا يعتبر تذييلاً للجزء الرئيسي في هذا الإنجيل وهو مدمج معه . يقول ترنش : « إذا اعتبرنا يو ١ : ١ - ١٤ بمثابة الاستهلال فهذا الجزء (٢١ : ١ - ١٣) يعتبر خاتمة لهذا الإنجيل » .

المعجزة التي نحن بصددها الآن تعتبر آخر معجزة أجراها يسوع قبل صعوده وتختم سلسلة الآيات الرمزية التي اختتم بها يسوع خدمته . في حين لم يكن تلاميذه الذين شهدوا العديد من تلك المعجزات بحاجة لدليل آخر لإقناعهم بلاهوته ، إلا أنهم كانوا بحاجة لبرهان على أنه قام حقاً من الأموات ، وقد أثبت في هذه المعجزة بطريقة رائعة ، على أنه هو يسوعهم الذي يحبونه كثيراً وأنه حي إلى الأبد . لقد وجه حديثه ليستنهض ذاكرتهم وإيمانهم ، وقد عمل مرة أخرى ما سبق أن عمله من قبل في نفس البحيرة وقام بنفس الأعمال التي لا يستطيع إنسان آخر أن يقوم بها . وقد قدم لهم أقوى برهان على هويته حتى اعترف تلاميذه اعترافاً قلبياً بأنه الرب .

بينما كان بطرس والباقون ينتظرون مجئ يسوع شعروا أنه لا يجب أن يضيعوا وقتاً ، فلا يصح أن يتأخروا ، ولذا فحالما وجدوا قارباً، ذهب التلاميذ ليتصيدوا وكأنهم بذلك يقولون : «عندما يأتي سوف يجدنا وسط أجهزة صيد السمك» ، لقد أرادوا ببساطة أن يملأوا الفراغ بأداء حرفة ما . لقد كانوا يتبعون «القاعدة الحكيمة لمعلمي اليهود الذين كانوا معتادين دائماً على أداء عمل يدوي أو مزاولة مهنة يقومون بها في وقت الحاجة» ، ومهارة بولس في صناعة الخيام كانت في متناول يده في الوقت الذي لم يكن فيه مرتبطاً بالعمل المرسلي (٢ تس ٣ : ٨). ولذا لا يصح أن نفهم من عبارة بطرس : « أذهب لأتصيد » كما لو كان بطرس يتنازل عن مركزه الرفيع كرسول أو أنه كان يشك في أن يفي يسوع بوعده فيما يختص بلقائه في الجليل . فلم يتخل بطرس أو الباقون بأي حال من الأحوال عن الرجاء المسياني القديم ليعودوا بصورة دائمة لحرفتهم السابقة . وعندما ظهر يسوع أخيراً ، لم يوبخ تلاميذه عندما وجدهم يصطادون . ومع ذلك فقد كان صيد تلك الليلة بلا جدوى لأن التلاميذ لم يمسكوا شيئاً . وكلمة « يمسكوا » مختلفة قليلاً عن تلك المستخدمة في أول معجزة لصيد السمك (لو ٥ : ٥) وهذه الكلمة الخاصة لا تظهر في أي إنجيل آخر ولكنها الكلمة المفضلة في إنجيل يوحنا (٧ : ٣٠ و ٣٢ و ٤٤ ، ٨ : ٢٠ ، ١٠ : ٣٩ ، ١١ : ٥٧ ، ٢١ : ٣ و ١٠ . انظر رؤ ١٩ : ٢٠)، وهي الكلمة التي استخدمها للتعبير عن القبض على المسيح من قبل السلطات . ونفس الكلمة استخدمت للتعبير عن القبض على بطرس وبولس (أع ١٢ : ٤ ، ٢ كو ١١ : ٣٢) ، والإمساك باليد (أع ٣ : ٧)، والقبض على الوحش (رؤ ١٩ : ٢٠) .

لماذا لم ينجح التلاميذ في بحثهم عن السمك الضروري لهم حتى يأكلوا ؟ يجيب ف . ب ماير عن هذا السؤال بطريقته الفريدة في التأمل فيقول : «كانت تلك الليلة من أنسب الليالي للصيد ! فقد كان هؤلاء الناس يعرفون البحيرة جيداً وكان لديهم خبرة كافية في هذه الحرفة . لقد بذلوا أقصى ما في وسعهم ولكنهم لم يحكوا شيئاً ! لماذا حدث هذا ؟ هل هي صدفة ؟ كلا ، إنها العناية الإلهية لقد كان ذلك مرتباً بإحكام ، على الرغم أنه كان مخيباً للآمال ومؤلماً ، من قبل إله حكيم لا يخطئ ، وطبيب لا يمكن أن يقسو، وكان يستعد لتلقينهم درساً يفيدهم ويفيد الكنيسة كلها إلى الأبد» .

وقف الفشل عائقاً يمنعهم من مواصلة حرفة مؤقتة . ولو كانوا قد نجحوا في تلك الليلة لكان من الصعب عليهم أن ينبذوا هذه الحرفة إلى الأبد ، ولكن عدم نجاحهم جعلهم أشد رغبة في التنازل عنها وتحويل أفكارهم لتبشير العالم .

وعندما عادوا في الصباح الباكر دون أن يصطادوا شيئاً ، كان

يسوع واقفاً على الشاطئ ولكن فى غبش الغسق لم يستطع التلاميذ أن يتعرفوا عليه (٢٠ : ١٤) . فقدم دليلاً على حضوره ، ولكننا لا نعرف متى وكيف جاء . وفى جسده المقام لم يكن مقيداً بقيود التنقل البشرى« فجسده بعد القيامة كان يُرى فقط عن طريق عمل من أعمال إرادته » . فقد كان المسيح قادراً على الظهور والاختفاء بطريقة مفاجئة غامضة ،« لأنه لم يعد خاضعاً لقوانين النظام المادى الذى كان متوافقاً معه فى حياته الأرضية السابقة » ، يقول الأسقف وستكوت : «إن الاستمرارية والمودة والألفة البسيطة للوصال السابق قد ولّت . فهو يرى ويمكن التعرف عليه فقط وفقاً لإرادته وقتما يريد» ، فالتلاميذ لم يعرفوه عندما وقف على الشاطئ ، ومثل هذا التغيير الفائق فى الإعلان عن وجوده كان ليغير كل شئ فى سلوك أتباعه .

وسؤال الرب لهم :« يا غلمان ألعل عندكم إداماً ؟» لم يكشف عن شخصيته. وكلمة « غلمان » لا تعبر عن المودة الرقيقة كما استخدمت من قبل (١٣ : ٣٣) ، إنها تعنى يا سادة ، أو يافتيان ، مما يدل على خطته أن يخفى هويته مدة أطول . ومن المرجح أن التلاميذ شعروا أن السائل ما هو إلا شخص غريب مجتاز من هناك أراد شراء بعض السمك وكان عليهم أن يجيبوه بطريقة لا تنم عن الألفة « لا ». كأن تجار السمك عادة يذهبون لتحية صيادى السمك عند عودتهم من عناء الصيد طوال الليل لكى يشتروا منهم سمكاً . يرى بعض الكتّاب فى هذه الإجابة صورة لعدم إثمار إسرائيل الحالى « لقد تم توجيه السؤال بالفعل ليستخلص ذلك الاعتراف من شفاههم : لأن الاعتراف بفقر الإنسان يجب أن يأتى قبل انهمار فيض عطايا الله ونعمه » (انظر يو٥:٦ ، ٦:٧ - ٩).

كانت عيون التلاميذ لا تزال مغلقة ولم يستطيعوا التعرف على المسيح . ولكن عندما قال :«ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا » فكروا أنه ربما رأى هذا الرجل سمكاً على الجانب الأيمن دون أن يلاحظوه هم . ولكنهم أطاعوا فأمسكوا كماً كبيراً من السمك. لقد عرف القدير مكان وجود السمك واستطاع أن يوجه السمك نحو الشبكة ، وحيث أنه خالق السمك ، فقد أطاع أمره (مز ٨) .كشف هذا العلم بكل شئ ، والقوة البادية فى هذا العمل ليوحنا ، الذى كان يسوع يحبه ، هوية الشخص الذى مكنهم من اصطياد السمك الكثير . فصاح قائلاً لبطرس ببصيرة نافذة « هو الرب » . كان عليهم أن يلقوا بالشبكة على الجانب الأيمن من السفينة - فالجانب الأيمن يدل على الفأل الحسن والخير . هناك طريق واحد فقط للعمل مع الرب - الطريق الصحيح .

بمجرد أن سمع بطرس أنه الرب ، اتزر بثوبه وألقى بنفسه باندفاع فى البحر وسبح إلى الشاطئ - وكان أول من قدم الاحترام عند قدمى يسوع كان يوحنا الرائى ، رجل الإيمان ، وكان بطرس رجل الأعمال ، ثم جاءت السفينة ، تجر الشبكة المليئة بالأسماك ،ولكن يا للمفاجـــأة السارة التى كانت تنتظرهم ذلك الصباح الباكر على الشاطئ . فقد كان إفطار السمك والخبز معداً لهم - وكان الطاهى والمضيف هو يسوع !

كيف أعدت هذه الوجبة الصباحية ؟ هل تم الحصول على السمك والخبز وأوقدت النار بطريقة طبيعية أو أن يسوع بطريقة معجزية أوجد النار والطعام كما فى بعض معجزات العهد القديم ؟ الكتاب المقدس لا يقدم لنا الإجابة . يقول هابرش : «بالنسبة لمن يؤمنون أن الشخص الذى وقف ذلك الصباح على شاطئ البحيرة كان هو بالحق ابن الله ، فالدهشة هنا ليست فى الشبكة المليئة بالأسماك بل فى الجمر والسمك الذى عليه .إن الخالق كان بإمكانه ان يستدعى المخلوقات التى صنعها، ولكننا نتعجب أنه ينحنى ليوقد ناراً . هل الأيدى المثقوبة بالمسامير جمعت الخشب وأعدت النار أم أنه بكلمة واحدة جعل النار تظهر ؟ نحن لا نعرف ولا نستطيع أن نقول أيهما هى المعجزة الأعظم» ، طلب يسوع من تلاميذه أن يأتوا بالسمك الذى أمسكوه ليضعوه على النار . لقد كان بإمكانه أن يخلق سمكاً بما فيه الكفاية لإطعام الجائعين ، ولكن لم تكن هناك ضرورة لذلك حيث كان لديهم ١٥٣ سمكة كبيرة.« إن المسيح على استعداد أن يكثر من المعجزات بسخاء طالما كانت هناك ضرورة لذلك ، ولكنه غير مستعد لإجراء أى معجزة دون ضرورة تدعو لذلك . إنه لا يجرى معجزات بلا حساب» .

أما عن العدد الصحيح للاسماك الكبيرة التى أمسكت (١٥٣

سمكة) ، فالبعض يثبت أن ذلك ليس صيداً معتاداً . ولكون السمك كبيراً سهل عده . والرقم ١٥٣ يدل على عدد أنواع السمك الموجود في بحر الجليل ، فقد كانت الشبكة تحتوى على سمكة من كل نوع . يعلق سبرجون على السبب الذى جعل بطرس يعد الأسماك قائلاً :«أعتقد أنى أعرف لماذا جعله الرب يفعل ذلك ، لقد كان ذلك ليبين لنا أنه على الرغم من استخدام الوسائط الخارجية لجذب الناس إلى الكنيسة إلا أن عدد المخلصين يبدو بالنسبة لنا أمراً لا نعرف عنه شيئاً محدداً ، ومع ذلك فقد عدهم الرب سراً وبطريقة غير ظاهرة دون أن يفلت واحداً من العد . فهو يعرف تماماً كم عدد الذين سوف تجذبهم شبكة الإنجيل .. وكم عدد الذين تضمهم الكنيسة غير المنظورة ؟ لقد عدهم وسبق فعينهم وثبتهم وشددهم . والرقم ١٥٣ يبدو أنه يمثل عدداً كبيراً محدداً». إن كثيراً من آباء الكنيسة الأوائل كان لهم تفسيرات غامضة للرقم ١٥٣، فبعضهم قد اقترح أن الرقم يشير رمزياً لاسم سمعان بطرس .

يا لها من دعوة حلوة تلقاها التلاميذ من معلمهم ! « هلموا تغدوا » ، وبوجود كل هذا االسمك الكثير فياله من إفطار استمتعوا به ! لقد كان السمك يكفى ويزيد بمثل هذا الصيد الوفير.يقول بنجل Bengel : لقد مسكوا السمك كهبة من الرب، ومع ذلك فهو يجاملهم بالقول: « بأنه السمك الذى أمسكوه » ، ولا نعرف إن كان يسوع اشترك معهم فى الأكل أم لا . فلم تكن المادة بذى أهمية بالنسبة لجسده المقام . وأفخم ما فى هذه الوليمة البسيطة هو وجود ربهم ، ولذا فإذ كانوا ممتلئين بالرهبة والاحترام لمنظر ذاك الذى قام من الأموات ، فلم يجسر أحد منهم أن يسأله من أنت ، فقد علموا أنه يسوع . وإذ أخذ الخبز والسمك وبارك ، ظهرت الجروح التى فى يديه .« لم يجسر أحد أن يسأله من أنت ؟» لقد علم جميعهم أنه الرب . كانت هذه الوجبة المبكرة أشبه ما تكون بإعادة للعشاء الأخير . كان هناك شئ غامض ومهيب يتعلق بهيئته - شئ يُحس ولا يُرى.

إن هذه الوجبة التى كانت من إعداد وتوزيع الرب - على الشاطئ - هى بالتأكيد رمز للوليمة الكبرى فى السماء والتى يعدها لأتباعه . إن شاطئ البحيرة هذا بمثابة ضياء يسطع مسبقاً ليعلن عن الوقت الذى يعود فيه المسيح بعبيده التعابى حين يجعلهم «يتكئون ليأكلوا ويأتى ويخدمهم» ، يا له من يوم عندما نسمع صوته الحلو يقول: « هلموا تغدوا » :

فالمسيح سوف يصنع الوليمة	بيــده الملكيـــــة
ويرفع رأس عبده الأمـــين	وسط الزمرة الملائكية

قبل أن نترك هذه المعجزة الأخيرة من معجزات المسيح قبل صعوده إلى العلاء ، يستحسن أن نقارن بين معجزتى صيد السمك الكثير. كان الصيد الأول للسمك فى بداية خدمة ربنا (لو ٥ : ٤ - ٧) ، والصيد الثانى فى نهاية مدة وجوده على الأرض . وبينما حدث كلاهما على شاطئ بحر الجليل بعد ليلة من المجهود الضائع وقد سجد فيها بطرس عند قدمى سيده ، إلا أنه فى المعجزة الأولى فقد أوصاه الرب أن يكون صياداً للناس، وفى الثانية أن يكون راعياً للغنم . المعجزة الأولى أقنعته بحاجته الماسة للقداسة والثانية بحاجته للمحبة . فى المعجزة الأولى أعلن يسوع عن مجده وآمن به تلاميذه وليس آخرون . وفى هذه المعجزة ، آخر معجزة له أعلن عن ذاته ، لقد ظهر وفقاً لمشيئته ، والإيمان ساعد التلاميذ على استيعاب ظهوره .

توجد معان أخرى فى هاتين المعجزتين كما يأتى : كانت معجزة صيد السمك الأولى مثلاً ومعجزة فى آن واحد . لقد أهّلت التلاميذ للخدمة وهم فى صحبة الرب ، وهى أيضاً تمثل الكنيسة المنظورة التى تحتوى على الأخيار والأشرار ، وفى أحيان كثيرة تتخرق الشبكة ويهرب كثيرون . ومعجزة صيد السمك الثانية كانت رمزاً للعمل المستقبلى للتلاميذ والذى كانوا على وشك القيام به بعد ترك يسوع لهم ، شهادة أكدها حلول الروح القدس وقوته . إن هذه المعجزة ترمز لمختارى الله الذين سبق فعرفهم . كل من فى هذه الشبكة أخيار وسوف يؤتى بهم إلى الشاطئ مع الشبكة دون أن تتخرق (يو ١٧ : ١١ - ١٣) .

ألم يستشعر التلاميذ فى أعماق قلوبهم المعنى الحقيقى لهذه المعجزة المتكررة من ربهم المقام ومضيفهم المجيد ؟ ألم يدركوا أنه فى ساعاته الأخيرة معهم كان يعدهم لتنفيذ وصيته بالذهاب للعالم

أجمع والتبشير بإنجيل الفداء الذى أصبح متاحاً بموته وقيامته ؟ منذ ذلك الوقت فصاعداً كان عليهم أنه يلقوا بالشبكة على الجانب الأيمن من السفينة ، والنجاح العظيم فى العمل المرسلى كان ليصبح حليفهم ، ولهذا الهدف تركوا سفنهم وشباكهم ومهنة الصيد إلى الأبد .

وفى الحديث الذى دار عقب الوجبة الهامة التى يقول عنها ترنش : «إنها كانت أشبه ما تكون بالعشاء الربانى وليس لها علاقة بإسكات جوعهم وقتئذ ، سأل يسوع بطرس هذا السؤال الثلاثى عن المحبة . وعندما قال له : «أتحبنى أكثر من هؤلاء ؟»، (سواء كان يعنى بكلمة «هؤلاء» التلاميذ الآخرين أو السمك والسفن والشباك) ، فإن بطرس الذى أنكر الرب ثلاث مرات يعلن الآن محبته للرب ثلاث مرات ، وفى هذه المرات الثلاث يعهد إليه القيام بخدمته . وقد تلقى بطرس مع الوصية التى أخذها من الرب نبوة بموته هو ، وخرج ليخدم سيده بأمانة حتى اختتم شهادته بدمه .

[٤٧] معجزة ظهورات ما بعد القيامة

لقد ارتبط بتقديم الأدلة الدافعة على قيامة المسيح ظهوراته العديدة لتلاميذه قبل صعوده . يقول لوقا إن المسيح أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة (أع ١) . ونحن لا نستطيع أن نعرف كيفية ظهوره أو الهيئة التى ظهر بها ، وهل كان ظهوره مصحوباً ببهاء ومجد ، كما حدث على جبل التجلى أم لا (مت ١٧ : ١ - ١٣). يقول فاوست :« إن التجلى قبل صلبه أظهرأن جسده المقام كان يمكن أن يصبح نفس الجسد، ومع ذلك فهو جسد متغير حتى يمكن لناظريه أن يتعرفوا عليه . وعملية التحول إلى جسد ممجد قد بدأت على الأرجح منذ قيامته وأخذت فى الازدياد حتى صعوده » . لقد وضع جسده الممزق والمكسور فى قبر، ومع ذلك ففى اليوم الثالث دبت فيه الحياة وتحول إلى جسد من لحم ودم، يمكن أن يجس ويأكل ويشرب . لم تكن ظهوراته خيالات ذات طبيعة روحية ولم تكن حياته أيضاً حياة معتادة فى الجسد . لقد كان وجهه مختلفاً وكذلك هيئته بطريقة ما ، فقد كان فى إمكانه أن يظهر فجأة ويختفى فجأة كذلك (لو ٢٤ : ٣١ ، يو ٢٠ : ٢٦) .

فمن الواضح كما يقترح جراهام سكروجى أن «جسد يسوع لم يكن خيالاً أو طيفاً سماوياً ، ومع ذلك فقد كان خارقاً للطبيعة» ، وبينما كان يعيش مع البشر ، كان يظهر قوة فريدة غريبة عنا . فقد كان بإمكانه أن يجتاز وسط أعدائه ويمضى فى طريقه أو يخفى نفسه حينما يريد ذلك (لو ٤ : ٣٠ ، يو ٥ : ١٣ ، ٨ : ٥٩) . ويذكرنا سويت Swete أنه «قبل الصلب كان لإرادة الرب البشرية المعصومة من الخطية سيطرة على جسده بطريقة لا يستطيع إدراكها أو اختبارها» .

نأتى الآن لفحص ظهوراته الخارقة ، والتى تحمل كل منها دليلاً على أنه قد هزم الموت (لو ٢٤ : ١٥ ، يو ٢٠ : ٢٠ ، أع ١٠ : ٤١) «لم تكن قيود الجسد فيما يختص بالزمان والمكان موجودة بالنسبة له ، وهذا التحرر مما هو وقتى ، جعل وجوده يسمو عن الاختبارات التى نمر بها فى الحياة العادية» ، ويمكن أن نضع قائمة بأماكن هذه الظهورات وعددها والفروق التى بينها بالترتيب الآتى :

لقد ظهر ربنا ...

(١) لعدد من النسوة - « مريم الأخرى » وسالومة ويونا وأخريات ، عند عودتهن من القبر بعد أن رأين الملاك الذى أخبرهن أن المخلّص المصلوب الذى دفن قد قام .كانت أولئك النسوة أول من نادى بمعجزة قيامته ، ويعطينا متى وحده الرواية الكاملة عن هذا الظهور (٢٨ : ١ - ١٠) ،ولكن بعض التفاصيل المتعلقة بجماعة النسوة والزيارة التى لا يذكرها متى موجودة فى مر ١٦ : ١ - ٨ و لو ٢٤ : ١ - ١١ .

(٢) لمريم المجدلية عند القبر ، على الأرجح عند زيارتها الثانية له ذلك الصباح وبعد أن جرت وأخبرت بطرس ويوحنا بالخبر السار عن القبر الفارغ . وهذا الظهور ، المدون بالتفصيل فى (يو ٢٠ : ١١ - ١٨) يذكره أيضاً مرقس (١٦ : ٩ - ١١) . هذا الظهور يدعو للتساؤل عما كان يلبسه يسوع حيث أنه قد ترك أكفانه فى القبر . ومن خلال عينيها المغرورقتين بالدموع ، لم تتعرف مريم على ربها ، ومع ذلك فقد كان هو بعينه بشكله وملامحه وملابسه المعتادة . وبما أنها ظنت أنه البستانى ، فهل كان قد تنكر فى هذا

الشكل حتى لا يخيفها ؟ لقد تحدث إليها بلغتها ومع ذلك لم تعرف صوته ، ولكن عندما ذكر اسمها فقد كانت هناك نبرة ما في ذلك الصوت الذي أحبته كثيراً ، كشفت عن هوية المتحدث . إن النبرة التي ذُكر اسمها بها ذكَّرتها بكل الارتباطات القديمة فصاحت قائلة :«يا معلم» ! وسجدت عند قدميه . أرادت مريم أن تتعلق بوجوده المنظور في الجسد ، ولكن كان عليها أن تعرف أنه لم يعد إلى الأرض ليبقى مع تلاميذه على الدوام ، ولكن كان من الأنسب أن يمضي حتى يأتي(الباراقليط)(الروح المعزي).

(٣) لبطرس الرسول في مناسبة ليس لدينا أي تفصيلات عنها . ويبدو أن هذا الظهور قد حدث في اليوم الأول من القيامة وقبل حلول المساء (لو ٢٤ : ٣٣ ، ١ كو ١٥ : ٥) ، وكم كان هذا الظهور عاملاً هاماً لتذكير بطرس بإعلانه عن محبته لربه ، ولابد أن هذه الرؤيا كان لها أثر كبير على توثيق روابط تلك المحبة.

(٤) لتلميذي عمواس ، قرب حلول مساء اليوم الأول للقيامة (لو ٢٤ : ١٣ - ١٥ ، مر ١٦ : ١٢و ١٣) ، ونحن نقرأ أنه قد «أمسكت أعينهما عن معرفته» ، فهل يعني ذلك أنه ظهر بهيئة مختلفة ؟ هذا ما لا نستطيع أن نحدده . يقول بعض الكتَّاب القدامى إن في ذلك إشارة للباس يسوع ، وحيث أنهما ظناه شخصاً غريباً عن تلك الأماكن ، فهل يدل ذلك على تنكر آخر ؟ لقد كانت حواسهما تحت تأثير فائق حتى لا يعرفاه . إن حلته ونبرته كانت توحي أنه لم يكن سوى رجل تنتابه نفس المشاعر والأحاسيس مثلهما تماماً .

(٥) لعشرة رسل ، حيث أن توما كان متغيباً ، وكانوا مجتمعين « هم والذين معهم » لم تذكر أسماؤهم(لو ٢٤ : ٣٣). كان هؤلاء التلاميذ مجتمعين معاً في مساء اليوم الأول للقيامة (مر ١٦ : ١٤ - ١٨ ، لو ٢٤ : ٣٣ - ٣٦ و ٤٩ ، يو ٢٠ : ١٩ - ٢٣ ، ١ كو ١٥ : ٥) .بعد هذه الزيارة ، مضى أسبوع دون ظهور للمخلِّص المقام . ومع ذلك فقد تواصلت ظهوراته في الأحد التالي .

(٦) للأحد عشر تلميذاً ، وقد كان توما حاضراً ، عندما سمح له يسوع أن يضع إصبعه في أثر المسامير ، مما حدا به للاعتراف قائلاً : « ربي وإلهي » .وقد حدث هذا الظهور أيضاً في أورشليم ، وعلى الأرجح في نفس المكان الذي ظهر فيه يسوع للعشرة رسل.

وفيما يتعلق بهذا الظهور الفائق ، هناك بعض المعجزات الثانوية التي لا نستطيع أن نغفلها. فنحن نقرأ أنه لسبب الخوف من اليهود ، أغلق التلاميذ الأبواب بإحكام. لم يكن قصدهم بالطبع أن يمنعوا يسوع من الدخول ، فحتى ذلك الوقت لم يكونوا قد حصلوا بعد على قوة يوم الخمسين. ولم يحصلوا بعد على روح عدم الخوف. ففي أي لحظة كان يمكن لنفر من اليهود الأعداء أن يطرقوا على الباب فكانوا خائفين . ولكن على الرغم من أن الأبواب كانت مغلقة ، دخل يسوع من خلال الأبواب المغلقة دون أن يطرق طرقاً خفيفاً على الباب ، ووقف في وسطهم . نحن لا نعرف كيف دخل .. لقد كان ينتمي لمملكة أخرى .

يقدم لنا العالم جون بست تفسيراً طريفاً ومحتملاً لهذه المعجزة ، إن السائل يمكن أن يخترق جسماً صلباً كما يحدث عندما ينفذ الماء من قطعة من الإسفنج أو مرشح ، والمادة الصلبة يمكن أن تنفذ في السائل كما يحدث عندما يقع شخص في بركة ماء ويغوص إلى الأعماق ، ولكن كيف يمكن لمادة صلبة أن تخترق مادة صلبة أخرى ؟ لقد استطاع يسوع أن يجتاز العوائق التي لا يمكن النفاذ منها بالطبيعة كالأكفان والأحجار والأبواب المغلقة . ويتحدث بولس عن « الجسم الروحاني » (١ كو ١٥ : ٣٥ - ٤٥ ، ٢ كو ٥ : ١ - ٤) ، الجسد ، وعن الهيكل غير المصنوع بيد لكنه أبدي ، وأنه كان يشتاق أن يلبس شيئاً كهذا . فما هو هذا الجسد «الروحاني» أو الأثيري ؟ هل هو جسد يتكون من مادة لطيفة لا نعرفها في الوقت الحاضر، ولكنه على أي حال جسد مادي ربما يتكون من عدد من الأجزاء المرتبطة بعضها ببعض ؟

لو قبلنا ذلك ، إذن فيسوع كان له « جسد روحاني » مع اختلاف واحد ذي أهمية كبرى ، فبفضل قواه الفائقة كان يمكنه أن « يظهر في صورة مادية» في أي لحظة وأي مكان ، وبعد ذلك «يتخلى عن المادة» ، كلما أراد ذلك . ويمضي بست إلى القول إنه

عندما ظهر يسوع لتلاميذه فى العلية فى عشية ذلك اليوم ، فالأبواب المغلقة لم تشكل بالنسبة لجسمه الروحانى أى عائق، وقد استطاع أيضاً أن يظهر فى صورة مجسمة وقتها ويقدم نفسه فى هيئته المألوفة المحبوبة لتلاميذه .

وهناك بيان آخر للعنصر المعجزى لهذا الظهور يعلن عن نفسه فى المزج بين ما هو طبيعى وخارق . فقد كانت ملامحه الطبيعية وآثار المسامير ظاهرة ، ثم كان سؤاله عن شئ يأكله ، كيف يكون مستغنياً عن الطعام ومع ذلك يتناول منه ، ويصبح ظاهراً أو غير ظاهر حسبما يريد ، فتلك أشياء لا يمكن لمعلوماتنا الحالية أن تصل إليها .

(٧) لعدة تلاميذ كان أربعة منهم رسلاً على الأقل ، وعلى الأرجح كان الباقون كذلك ، عند بحر الجليل عندما كانوا يصطادون . ويوحنا وحده هو الذى سجل هذا الظهور عندما أعد يسوع طعاماً للصيادين المنهكين .

(٨) للرسل ولأكثر من خمسمائة أخ دفعة واحدة على جبل قد عينه لهم فى الجليل، ويشير كل من متى (٢٨ : ١٦ - ٢٠) وبولس (١كو ١٥ : ٦) لهذا الظهور .

(٩) ليعقوب فى مناسبة ليس لدينا تفصيلات عنها (١كو ١٥ : ٧) . ومهما كانت المناسبة ، فهذا الشاهد المقدام لابد أنه حصل نتيجة لهذا الظهور على دافع قوى ليخدم الرب بإخلاص أكثر .

(١٠) للرسل فى أورشليم قبل الصعود مباشرة عندما كانوا فى صحبة يسوع من أورشليم إلى جبل الزيتون حيث شهدوا صعوده المجيد إلى السماء حتى أخذته سحابة عن عيونهم (مر ١٦ : ١٩ ، لو ٢٤ : ٥٠ - ٥٢ ، أع ١ : ٣ - ٩) .

(١١) للرسول بولس فى طريقه إلى دمشق لقتل شعب الرب . كان ذلك بلا شك إعلاناً خاصاً عن يسوع بعد صعوده ، وكان نتيجته تجديد شخص يعد أبرز تذكار لعمل نعمة المسيح (أع ٩ : ٣ - ٩ و ١٧ ، ١كو ٩ : ١ ، ١٥ : ٨) .

وفى حين أننا قد ذكرنا ١١ مناسبة مختلفة ، أظهر يسوع نفسه فيها بعد قيامته ، إلا أن يسوع أظهر ذاته لتلاميذه ، إلا أننا لا نعلم إن كانت تلك هى المناسبات الوحيدة التى ظهر فيها أم لا . ويبدو من إعلان لوقا أن يسوع «أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله» (أع ١ : ٢ و٣) ،كما لو أنه كانت هناك مناسبات أخرى عديدة أتيحت فيها الفرصة للرسل على الأقل أن ينظروا ويتحدثوا مع المعلم الذى أحبوه كثيراً . ولكننا نعلم جيداً أن الدليل الذى يبرزه رؤية العديدين له كبرهان كاف على معجزة القيامة المذهلة .

(٤٨) معجزة الصعود

(مر ١٦ : ١٩ و ٢٠ ، لو ٢٤ : ٥٠ - ٥٢ ، أع ١ : ٤ - ١١)

إن الصعود المجيد لربنا المبارك قد صادق على دروس الأربعين يوماً فى شكلها النهائى، وهو متضمن فى هذه الدروس . يا له من خاتمة مباركة لرسالته على الأرض ! «فقد صعد إلى السماء» ، وقيامة المسيح وصعوده جنباً إلى جنب مع حياته وموته ، تؤكد أحقيته بالعبادة وبمقامه السامى . فالإيمان يقودنا لعدم الشك فى صعوده بشكل منظور إلى السماء . يقول هابرش :« إن أحداث الأربعين يوماً فيما بين القيامة والصعود مليئة بالآيات الجديدة ، وتثبت بوضوح أنه الرب الذى أجرى بجسده المقام آيات جديدة ، حتى نؤمن بقصة الصعود دون أن نحاول تفسير كيفية حدوثها من وجهة نظر بشرية ، فشهود الصعود يمكن الاعتماد عليهم كشهود القيامة تماماً ، وشهادتهم تدعمها حقيقة أن الرب نفسه قد شوهد فى المجد من قبل اسطفانوس وبولس ويوحنا » .

وبعد وصية المسيح بأن يكون تلاميذه شهوداً له من أورشليم حتى أقاصى الأرض ، كانت آخر مرة رأوه فيها حين مد يده وباركهم تماماً كما بدأت عظته على الجبل ببركته لهم (لو ٢٤ : ٥١ ، أع ٣ : ٢٦) . هذه البركة الطقسية كانت رمزاً للخدمة الدائمة التى كان مقدماً عليها فى السماء حيث يشفع فينا على الدوام. كان رئيس الكهنة يمنح بركته للشعب عندما كان يخرج من الهيكل فى مناسبات

خاصة (مز ١١٠ ، عب ٧ - ٩) . وكم تمتلئ قلوبنا بالطمأنينة أن نعرف أن يديه الكهنوتية مرفوعة دائماً لصالحنا .

المعجزة في حد ذاتها :

تتطلب إشارات العهدين القديم والجديد للصعود أن ندرسها بعمق ، وأن نلاحظ التعليم الذي يقدمانه لنا بعناية . وفي حين أن هذه الحادثة الكبرى غير مدونة في إنجيل متى ، ولم يرد عنها الشئ الكثير في إنجيلي مرقس ولوقا ، إلا أنه توجد توقعات كافية لها لا يمكن تجاهلها . يذكر قاموس الكتاب المقدس لها أنها ستنجز ما يلي :

« إن القيامة في حد ذاتها أقوى شهادة على حقيقة الصعود كالميلاد من عذراء ، ولا يمكن لأي منهما أن يُقبل بدون الإيمان الجوهري بأن يسوع قد قام حقاً من الأموات » .

لقد أنبأ المرنم بصعود المسيح وتمجيده (مز ٦٨ : ١٨ ، ١١٠ : ١ و ٥) . وأثناء خدمته الأرضية ، أشار المسيح لمجيئه في المجد . لقد كان هذا الحدث ماثلاً على الدوام أمامه ، وكان يتوقعه بشوق ، وفي حين ، كما يقول هورت : « إن الصعود ليس مكانه الصحيح في الأناجيل » .. بل في أول سفر أعمال الرسل ، إلا أن الأناجيل تقدم دليلاً كافياً على صحة هذا الحدث . وفيما يتعلق بإشارات الإنجيل للصعود ، يجب استخراج الفقرات التالية ودراسة أسلوبها بدقة - مر ١٦ : ١٩ ، لو ٩ : ٥١ ، ٢٤ : ٢٦ ، ٥٠ و ٥١ ، يو ٣ : ١٣ ، ٦ : ٦٢ ، ٧ : ٣٣ و ٣٤ ، ١٢ : ٣٢ ، ١٣ ، ٣ : ١٤ : ٢ - ٤ و ١٢ و ٢٨ ، ١٦ : ٥ و ٧ و ١٠ و ١٦ - ١٩ و ٢٨ ، ١٧ : ١١ ، ٢٠ : ١٧ . ولنا شهادة بعد ذلك في بقية العهد الجديد - لأقوال لوقا في أع ١ : ٩ - ١١ ، وبطرس في أع ٢ : ٣٢ - ٣٤ ، ٣ : ١٥و ٢٠ و ٢١ ، ٥ : ٣٠ و ٣١ ، ١بط ٣ : ٢١ و٢٢ ، وبولس في رو ٨ : ٣٤ ، أف ١ : ٢٠ ، ٢ : ٦ ، ٤ : ٨ ، كو ٣ : ١ ، ١ تي ٣ : ١٦ ، عب ١ : ٣ ، ٤ : ١٤ ، ٨ : ١ ، ٩ : ٢٤ ، ١٠ : ١٢ ، ١٢ : ٢ ، واستفانوس في أع ٧ : ٥٥ و ٥٦ ، ويوحنا في رؤ ١ : ١ ، ١٠ - ٢٠ ، ٥ : ٥ - ١٣ ، ٦ : ٩ - ١٧ ، ١٤ : ١ - ٥ . .

إن دراسة هذه الفقرات تظهر بوضوح أن المسيح الحي الذي هو في السماء يعمل بنشاط لأجل كنيسته وسوف يكون معها حتى عودته إليها . وبتلخيص التعليم المتضمن في الشواهد السابقة نتفق مع جريفث توماس « أن الصعود يعتبر نقطة الاتصال بين مسيح الأناجيل ومسيح الرسائل . فقد قيل إن هبة الروح جاءت من المسيح بعد صعوده ، والصعود هو قمة مجد المسيح بعد قيامته وبعد ضرورياً لتمجيده في السماء ، إن الصعود تثبته وتتطلبه القيامة على الرغم من أنه لا حاجة للتبشير به كجزء من رسالة الكرازة . وكالميلاد من عذراء ، فالصعود يتضمن تعليماً للمسيحيين وليس لغير المسيحيين . إنه ذروة التجسد ، ومكافأة لعمل المسيح الفدائي ، والدخول لمجال عمل أوسع في حالة ممجدة ، كرب وككاهن لكنيسته وكان لها » . (يو ٧ : ٣٩ ، ١٦ : ٧) .

إعجاز المعجزة :

قد استخدمت مالا يقل عن ١٣ كلمة لوصف رحيل المسيح من الأرض إلى السماء ، وتوضع هذه الكلمات جنباً إلى جنب فهي تعكس المعاني المتضمنة في مثل هذا الحدث المذهل . لقد وصف بأنه « أخذ » ، « أصعد » ، « انطلق » ، و« ارتفع » ، وهي عبارات تدل على الطريقة التي صعد بها كانتقال من مكان إلى آخر كما هو انتقال من حالة لأخرى . وفي حين أنه لا أحد من تلاميذه رأى يسوع يقوم من الأموات إلا أن جميعهم قد شهدوا صعوده إلى السماء . لقد كان من الضروري أن يروه صاعداً حتى يتأكدوا أنه قد صعد بالفعل .

وفي حين أن هذه الحدث الخارق قد يكون غير قابل للبحث العلمي إلا أن الحقيقة البسيطة تقول : « إن الذي جاء إلى هذا العالم خرج منه . ولم يعد يوجد فيه بالجسد مرة أخرى . وليس هناك صعوبة أكبر في قبول الصعود بأكثر من قبول التجسد أو القيامة . فقد تم تخطي قوانين الطبيعة في كل هذه الأحداث الثلاثة ، فبطريقة خارقة رفع جسد يسوع الممجد حتى اختفى . وكرب الطبيعة فهو ليس خاضعاً لكل القوانين المادية أو قوانين الجاذبية ، التي يستحيل بالنسبة لنا حالياً أن نفلت من قبضتها ونرتفع عن الأرض . لقد كان

الصعود ، آخر مرة يتخلى فيها المسيح عن المادة أو يختفى فى العالم الروحى . و سوف تحدث نفس المعجزة لكل شعب الرب عندما يخطفون لملاقاة الرب فى الهواء »، وعندئذ سوف ننسحب نحن أيضاً من عالم القيود لذلك الوجود الأسمى الذى يوجد فيه الله ، وبدون أن ننشغل بأى تفسير علمى لصعود الأجساد ، فنحن نقبل الحقيقة الأساسية أن يسوع قد رحل واختفى ، ونحن أيضاً سوف نتابع صعوده إلى السماء .

معنى المعجزة :

يلخص المعنى الحقيقى للصعود دكتور جريفث توماس بطريقة رائعة فى «دائرة المعارف الكتابية الدولية» ، فيقول : «إن الصعود ليس فقط حقيقة عظمى فى العهد الجديد ، ولكنه عامل هام فى حياة المسيح والمسيحيين ، ولا يمكن أن نكوّن فكرة متكاملة عن يسوع المسيح ما لم نأخذ فى حسباننا الصعود ونتائجه . إنه تتويج لعمله الفدائى . ومسيح الأناجيل هو مسيح التاريخ ، ومسيح الماضى ، ولكن الصورة الكاملة للمسيح فى العهد الجديد هى صورة المسيح الحى ، مسيح السماء ، مسيح الاختبار ، مسيح الحاضر والمستقبل ».

والرسالة الداخلية للصعود أن الذى كان من البدء يسكن فى مجد إلهى مع الآب يعود الآن إليه فى صورة بشرية ممجدة ، وأن صعوده كان بالنسبة له ، الدليل النهائى أنه كان بالحق المسيح ، ابن الله ، وفى نفس الوقت الإله القدير صاحب القوة لإتمام مواعيده .

وجلوس المسيح عن يمين الله يعنى لذلك أن هذا الحدث المجيد هو :

(١) دليل الانتصار (أف ٤ : ٨ و ١١ ، مز ٦٨ : ١٨).

(٢) مركز الكرامة (مز ١١ : ١ ، فى ٢ : ٩ - ١١).

(٣) مكان القوة (أع ٢ : ٣٣ ، ١ بط ٣ : ٢٢).

(٤) مكان السعادة (مز ١٦ : ١١).

(٥) مكان الراحة (عب ١ : ٣ ، « جلس »).

(٦) مكان الدوام .. « إلى الأبد » (عب ١٠ : ١٢).

(٧) مكان الشفاعة (رو ٨ : ٣٣ و ٣٤ ،عب ٧ : ٢٤ و٢٥).

إن صعود المسيح إلى السماء نقطة الالتقاء بين الإنسان يسوع المسيح كما نراه ونعرفه فى الأناجيل والمسيح الممجد فى الرسائل ، وهو يعمل على التواصل بين الطبيعة التاريخية للأناجيل وشمولية الرسائل . لقد مكّن التلاميذ من التعرف على موهبة يوم الخمسين فى موعد الروح القدس والذى كان مرتبطاً بذهاب المسيح وتواريه عن الأبصار وعودته لأبيه.

ونتيجة لصعوده ، أصبح حضوره فى كل مكان فى الكنيسة أمراً ممكناً ، وقد تحقق ذلك بفضل موته وقيامته وصعوده .

وعندما دخل يسوع إلى السماء ، غادرها رجلان وحضرا إلى نفس البقعة التى تركها يسوع فى بيت عنيا . وقد أكدا لرجال الجليل الذين كانت أعينهم لا تزال شاخصة إلى أعلى أن الذى تركهم للتو سوف يعود بنفس الكيفية التى ذهب بها إلى السماء، وهى بالطبع نفس الحقيقة التى أوضحها بولس (١ تس ٤ : ١٣ - ١٨). ترك لنا الأسقف هوك ، ذلك المفسر الروحى القديم هذه الفقرة النيرة والصلاة :

« يوجد ثلاثة أشخاص فى السماء ، فى هيئة جسدية وهم أخنوخ وإيليا ومخلصنا المسيح :

الأول قبل الناموس والثانى تحت الناموس والثالث تحت الإنجيل ، والثلاثة نقلوا بطرق مختلفة . فمخلصنا المبارك ارتفع بنفسه إلى السموات وفوقها بقوته الخاصة والمباشرة ارتفع كابن الله ، وأما الآخران كعبدين من عبيد الله ، هو كالله وأما هما كمخلوقين بشريين صعد إيليا بواسطة ملائكة منظورين وصعد أخنوخ بطريقة مدركة ».

ويعقب تلك الفقرة صلاة الأسقف العزيز :

«لماذا فعلت يا الله ذلك ، هل لتعطينا لمحة لما سوف يحدث ، لترينا أن السماء لم تغلق أبداً فى وجه الأمناء ، ولتعطينا تأكيداً للتمجيد المستقبلى لهذا الجسد الفانى والفاسد ؟ حتى وإن كان هكذا ، يا مخلّص عندما تنزل من السماء بهتاف ، بصوت رئيس ملائكة ، وبوق الله ، فنحن الأحياء الباقين سنخطف ونكون مع قديسيك الذين أقمت أجسادهم فى سحب السماء لملاقاتك فى الهواء لنكو ن معك فى المجد . آمين .

{ ٢ } المعجزات فى سفر أعمال الرسل

يقدم السفر الخامس فى العهد الجديد شيئاً من أكثر الكتابات وضوحاً فى الكتاب المقدس كله أو فى كل الكتابات الأدبية فيما يختص بهذا الموضوع . فهو سفر مشبع بالمعجزات . انتزع المعجزات من سفر أعمال الرسل ولن يتبقى بعد ذلك شئ يذكر كما ستبين ذلك دراستنا للمعجزات التى فيه . وقد أجريت معظم معجزات السفر على يد بطرس وبولس ، الشخصيتين البارزتين فى التاريخ الرسولى . واسم السفر لا يتفق بالفعل مع محتويات السفر لأن ما يسجله ليس أعمال بعض الرسل بقدر ما هو أعمال الروح القدس عن طريق الرسل .

وبسبب الأعمال العديدة للروح القدس ، والذى ذكر بالتصريح ٦٠ مرة ، والتى تتخلل كل جنبات السفر ، فقد سمى «أعمال الروح القدس عن طريق الرسل» ، ففى كل مكان فيه نجد إعلاناً لقوته ، وفى التعامل مع عمل الروح القدس ، يجب أن نفرق بين تأثيره «المعجزى» وتأثيره «المعتاد» ، وفى هذا السفر فتأثيره المعجزى هو الأكثر وضوحاً . ولقد أطلق يوحنا ذهبى الفم على سفر الأعمال « إنجيل الروح القدس » .

وقد كتب السفر نفسه « لوقا الطبيب الحبيب كشاهد عيان على كل ما هو مكتوب فيه وفى مقدمته (لو ١ : ٣) . يذكر لوقا هذه الكلمات ،« رأيت أنا أيضاً إذ تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق أن أكتب .. إليك أيها العزيز ثاوفيلس ، وعبارة «من الأول» مترجمة فى مواضع أخرى « من فوق » (يو ٣ : ٣١ ، ١٩ : ١١ ، يع ١ : ١٧ ، ٣ : ١٥ و١٧) ، وهى تدل على أن فهم لوقا الكامل لكل الأشياء كان نتيجة للوحى الإلهى وليس مجرد نتيجة لترتيبه الدقيق للأحداث بكل عناية .

ثم إن لوقا يذكر أن سفر الأعمال يهتم بكل « ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلّم به »، وهكذا فالسفر استمرار لخدمة يسوع فى إجراء المعجزات والتعليم . ويذكر روترهام Rotherham هذه المذكرة فى كتابه القيم Emphasized Bible أن الرواية الأولى (إنجيل لوقا) تذكر لنا كل ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلّم به حين كان على الأرض ، والرواية الثانية (أعمال الرسل) تحكى لنا عن كل ما استمر يسوع من السماء يفعله ويعلّم به. إن هذا البيان القوى مفتاح للقصة التالية ، ذكر يسوع أنه سوف يبنى كنيسته (مت ١٦ : ١٦)، وأن موته وقيامته هما أساس تلك الكنيسة ، فقد اشتراها بدمه ، وفى يوم الخمسين ، وعن طريق حلول الروح القدس اندمج التلاميذ كأفراد فى ذلك النسيج السرى الذى يعرف باسم كنيسة الله الحى . وبإتمام الوصية الإلهية ، نمت الكنيسة بسرعة عن طريق خدمة الرسل . وهكذا ، يمكن إيجاز قصة سفر الأعمال : صعود الرب ونزول الروح القدس ، وخروج الكنيسة ، وعندما خرجت باسم وقوة ربها المقام ، حدثت أشياء عظيمة وآيات قوية .

تختتم الأناجيل بإشارة نبوية لعدة حقائق مدونة فى سفر الأعمال مع وعد من الروح القدس والتى يقدم لنا هذا السفر إتماماً لها (مر ١٦ : ١٧ ، لو ٢٤ : ٢٧ - ٢٩ ، يو ١٤ : ١٢ - ١٧).

وتعلن الرسائل أيضاً أن تلك الحقائق التى ذكرها سفر الأعمال قد حدثت بالفعل ، ومن ثم تأتى أهمية هذا السفر كنوع من التذييل للأناجيل وكمقدمة للرسائل ، فالقصد منه أن يلقى الضوء لاستنارة المسيحيين فيما يتعلق بالأصول التاريخية للمسيحية . إنه يحوى وصفاً لتاريخ الكنيسة الأولى ، وتأسيس الكنيسة فى أورشليم وامتدادها إلى السامرة وكل أرجاء الامبراطورية الرومانية .

وإذ نأتى للجزء المحتوى على المعجزات فى سفر الأعمال ، يتضح أنه فى هذا السفر المثير والحيوى ، استخدم الله المعجزات بكثرة لإعطاء المسيحية بداية قوية فى العالم . وسوف يتذكر القارئ ما بيناه من قبل عن مجموعات المعجزات المرتبطة بأزمات معينة أو أوقات خاصة .

وإذ نقترب من دراسة معجزات معينة فى سفر الأعمال ، يجب أن نلفت الانتباه لحقيقة أن المعجزات فى الكتاب المقدس يمكن تقسيمها إلى نوعين كما يوضح هابرشن :

(١) تلك التى أظهر فيها الله قوته ، وعمل وحده ، فأجرى أشياء بدت أسمى من الطبيعة ، أعمالاً غير مألوفة لـــدى البشر (إش٤٤ : ٢٤) ، هذا النوع من المعجزات لم يتوقف تماماً .

(٢) تلك التى عمل فيها الله مستخدماً وسيلة منظورة . وفى هذا النوع من المعجزات ، نجد تفويضاً للقوة – فالقوة تنتقل خلال عامل بشرى . ومعظم هذه المعجزات كانت معجزات لتقديم البراهين والأدلة ، فهى مقدمة كأوراق اعتماد لرسل الله فى بداية عصر جديد . وعلى سبيل المثال ، فلاهوت المسيح كابن الله تم التصديق عليه بالمعجزات ، والمعجزات من هذا النوع قد توقفت مع بداية عصر الرسل و. سفر الأعمال يسرد كلا هذين النوعين من المعجزات المباشرة وغير المباشرة .

١ - معجزة قيامة المسيح

(١ : ٣)

بسبب الأهمية المعطاة لقيامة ربنا فى التبشير الرسولى ، فقد أطلق على سفر الأعمال « إنجيل القيامة ». إن التأكيد على هذه الحقيقة الرئيسية فى المسيحية قد جعل الرسل مليئين بالحيوية والنشاط وناجحين فى خدمتهم . بعد أن تحدثنا عن الانتصار على الموت ، نتوقف لحظة لنلفت الانتباه للكلمة التى يستخدمها لوقا لوصف البراهين الدامغة على القيامة « أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة أو براهين دامغة Infallible أو «منزهة عن الخطأ »، ولا يستخدم كاتب آخر فى الكتاب المقدس هذه الكلمة ، التى يقول عنها اليكوت :« لا توجد صفة فى اللغة اليونانية تماثلها » ، ومع ذلك فالاسم « يستخدمه الكتاب أو الخطباء للدلالة على البراهين التى تحمل يقين الاقتناع بها تمييزاً لها عن تلك التى كانت مرجحة فقط أو متوقفة على الظروف »، ويستخدم أفلاطون وأرسطو الكلمة اليونانية المرادفة لكلمة «دافعة أو معصومة » للدلالة على« أقوى برهان يتأثر به موضوع ما » .

فالإيمان بالقيامة إذن لا يستند على أمانى قابلة للخطأ بل على أدلة منزهة عن الخطأ ، ولا يستند على توقعات ورعة بل على أدلة واضحة . ويحصر لوقا الأدلة على خدمة يسوع فيما بين قيامته وصعوده قائلاً : « وهو يظهر لهم أربعين يوماً »، ومثل هذه المدة لها مثيل فى مدة التجربة التى بلغت أربعين يوماً (لو ٤ : ٢) ، وفى اختبارات أنبياء العهد القديم (حز ٢٤ :١٨ ، ١ مل ١٩ :٨). ويعلق اليكوت على ذلك قائلاً :

« كان هناك توافق رمزى أكيد بين وقت الانتصار على الأرض ووقت التجربة الخاصة ، والصراع . وفى حالة تساؤلنا عن طبيعة حياة ربنا المقام فى الفترة التى كان يظهر فيها للتلاميذ ، فإن تاريخ الأربعين يوماً السابقة تكشف لنا جزئياً عن الإجابة . وكما كان من قبل ، فنحن نعتقد أن حياته كانت تتسم بالوحدة والعزلة والشركة مع الآب ، فلم يعد يُجرَّب ، كما كان من قبل ، بالاتصال بقوى الشر ، كانت حياة الشفاعة كما عبر عنها فى صلاته الشفاعية العظيمة فى يوحنا ١٧ » .

٢ - معجزة الصعود

(١ : ٩ - ١١)

حيث أننا تأملنا فى هذه المعجزة البارزة ، فلا يلزمنا هنا سوى كلمة عابرة بصددها إذ نلتقى بها فى سفر المعجزات هذا . لقد ارتفع من بيت عنيا التى كان يحبها كثيراً إلى السماء ، تاركاً تلاميذه ، «وأخذته سحابة عن أعينهم» ، وكم تأخذنا الحيرة إذ نحاول أن نفهم كيفية صعوده المجيد ! فنحن هنا فى موضع لا يُسمح فيه لنا بأن نتجول بأفكارنا بحرية . ولنقتبس قول اليكوت مرة أخرى :

« بفكرنا البشرى عن العلاقة بين الأرض والفضاء والكواكب المحيطة ، يصعب علينا أن نتتبع تلك الحركة صعوداً إلى أعلى، ونتساءل عن اتجاهها ومتى انتهت . فنحن لا نستطيع أن نذهب بفكرنا أبعد من السحابة : وأن تلك السحابة كانت دليلاً على مجد حضور الله الدائم ، كما كانت الشكينة فى الماضى تملأ الهيكل (١ مل ٨ : ١٠ و١١ ، إش ٦ : ١ - ٤) ، ويكفينا أن نعرف أنه حيثما يوجد الله يوجد المسيح أيضاً ، فى مجد الآب ، وهو لا يزال محتفظاً ، حتى وإن اختلفت الأحوال والقوانين ، بالطبيعة البشرية التى جعلته مشابهاً لإخوته » .

٣ - معجزة المجئ الثانى

(١ : ١٠ و ١١ . انظر ١ تس ٤ : ١٣ - ١٨ ، رؤ ٢٢)

من الطريف أن نلاحظ أن ربنا يستخدم نفس الكلمة عن اختطافنا كتلك التى يستخدمها لوقا هنا لوصف صعود المسيح ، «أخذته سحابة »، فهو سيأخذنا إليه ، «وآخذكم إلىّ » (يو ١٤ : ٣) ، والمرادفة بالطبع لملاقاته فى الهواء (١تس ٤ : ١٦ و ١٧) .

وعندما نأتى إلى الرسائل فيما بعد سوف نتحدث بإفاضة أكثر عن موضوع مجئ الرب ونتأخر قليلاً هنا لتوضيح ما حدث بالضبط فى تلك اللحظة . فبمجرد أن ترك يسوع الأرض ودخل السماء ، ترك رجلان بلباس أبيض السماء متوجهين إلى الأرض ليؤكدا للتلاميذ الذين أخذتهم الرهبة أن المسيح الذى تركهما لتوه سوف يعود ، هكذا كما انطلق إلى السماء .

أولاً ، رسالة هذين الرجلين ، اللذين من المحتمل أن يكونا موسى وإيليا ، قد أكدا إعلان يسوع الخاص بعودته (يو ١٤ : ٣) « آتى أيضاً » - « سيأتى هكذا » ، ثم اللفظ « هكذا » يوحى بأن نزوله من السماء سيكون مشابهاً لصعوده . فلو أدركنا كيف انطلق ، لعرفنا أن مجيئه ثانية سيكون بالمثل . نعم ، فقد انطلق يسوع فى وجود أتباعه - بصورة شخصية - منظورة - مفاجئة - فى سحابة ، ومجيئه الثانى سوف يكون بنفس هذا المنوال كما أكد الزائران السماويان .

٤ - المعجزات فى يوم الخمسين

(٢ : ١ - ٤٧)

إطاعة للأمر الإلهى ، لم يبرح التلاميذ أورشليم لينظروا حلول الروح القدس (١ : ٤ و٥) ، ليملأهم بقوته . ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن الروح القدس قد حل عليهم ليس لأن التلاميذ لبثوا هناك بل لأن هذا هو موعد الآب والابن (لو ٢٤ : ٤٩) . ومع ذلك ، ففترة الانتظار قد أعدت التلاميذ روحياً ليقبلوا الروح القدس عند حلوله ليفتتح عصر الكنيسة . وقد أشير ليوم الخمسين بأنه « عيد ميلاد الكنيسة » - وهذا صحيح تاريخياً.

وكل شئ يتعلق بذلك اليوم الذى لا ينسى كان خارقاً للعادة . ألم يتم اختياره من الله كاليوم الذى يقبل فيه التلاميذ الروح القدس الموعود به ، والذى كان عليهم أن يتمموا الوصية الإلهية بالشهادة للرب بقوته (مت ٢٨ : ١٨ - ٢٠ ، أع ١ : ٨) ؟ أما فيما يتعلق بالجوانب المختلفة للعنصر المعجزى ، فلدينا أولاً ، تحديد تاريخ ذلك اليوم والملاءمة الرمزية له .. فقد كانت هناك ثلاثة أعياد سنوية كبرى كان يجب فيها على كل ذكر فى إسرائيل أن يصعد لأورشليم ، وهى عيد الفصح أو عيد الفطير ، وعيد العنصرة (الخمسين) أو عيد الأسابيع ، وعيد الباكورات ، وعيد الحصاد لأن باكوارت الحصاد كانت تقدم لله ، وعيد المظال .

وعيد الخمسين (لا ٢٣ : ١٥ - ١٧) كان يبدأ صباح أول يوم بعد سبت الفصح عند ترديد حزمة باكورات الحصاد أمام الرب (كرمز للمسيح الباكورة) . ومن ذلك اليوم ، كان اليهود يحسبون سبعة سبوت كاملة ثم يأتى عيد الخمسين . وفى هذا العيد كان مطلوباً من الشعب أن يخرجوا من بيوتهم رغيفى ترديد يخبزان خميراً « باكورة للرب ». وفيما بعد ، وكل الأجيال المتعاقبة بعد موسى ، كان هذا العيد يرمز بصورة رائعة للمعجزة التى أمامنا ، لأن هذين الرغيفين كانا يمثلان قسمى العائلة البشرية ، اليهود والأمم . وقد صار بطرس رسولاً لليهود ، وبولس رسولاً للأمم ، وعن طريق خدمة هذين الكارزين البارزين فى أعمال الرسل ، خلص الآلاف من اليهود والأمم وكونوا أساس كنيسة الله .

بعد الانتظار لمدة عشرة أيام حل الروح القدس على أولئك المجتمعين معاً بنفس واحدة فى مكان واحد ، واعتبر ذلك اليوم الخطير تاريخاً جديداً للعالم ، وخليقة الله الجديدة ، وكنيسته ، وفجأة تم افتتاح عصر جديد ، ومنذ ذلك الحين والعالم يعيش فى عصر النعمة الذى يجمع الله فيه من العالم شعباً لأجل اسمه. لقد أنشئت الكنيسة بمعجزة ، واستمرت على مر القرون بمعجزة ، واكتمالها عند الاختطاف سوف يكون معجزة . وكما أن عيد الخمسين كان يخلد ذكرى إعلان الناموس على جبل سيناء ، فمن الملائم أن يُفتتح عصر الكنيسة فى يوم الخمسين ، لأنه عن طريقها كان الإنجيل سوف يُعلن وكان سيتم جمع حصاد النفوس للفادى .

إن الظروف الخاصة بمعجزة يوم الخمسين تقدم أدلة قوية على حكمة ورحمة ذاك الذى كل الأوقات والمواسم مرتبة والذى يأمر كل الأشياء فى السماء وعلى الأرض . إن وقت ومكان حدوث هذه المعجزة قد حسب بدقة ليقدم إعلاناً مباشراً لحلول الروح ، والذى كان عمله الفورى والعجيب بحيث يأتى بتبكيت لا يقاوم .

أولاً ، كان هناك صوت مفاجئ من السماء كما من «هبوب ريح عاصفة» ، فالذى خلق الرياح ، يفهم طبيعتها ويمكنه أن يأمرها لتطيع إرادته (أى ٢٨ : ٢٣ - ٢٨) ، فالريح أو النسمة (نفس الكلمة) هى إحدى تشبيهات الكتاب المقدس للروح القدس (حز ٣٧ ، يو ٣ : ٨) ، وكما أننا نرى فى وقت إجرء المعجزة إتماماً للعلامات ، فإننا نرى فى إجراء المعجزة نفسها ايضاحاً للتشبيهات أو الرموز . فقد أدركت العيون والآذان فى ذلك اليوم العظيم أن الريح العاصفة هى عمل روح الله فى أفكار البشر بطريقة فعالة لا يمكن تفسيرها . فتلك «الريح العظيمة والشديدة »، التى شقت جبال حوريب (١ مل ١٩ : ١١) ، يحس بها الآن وتسمع كالروح القدس ، الذى كان يرف على وجه المياه وأوجد الخليقة (تك ١:٢) ، وهو يخلق خليقة جديدة الآن ألا وهى الكنيسة التى يسكن فيها الروح (أف ٢ : ٢٠ - ٢٢) .

أعد يسوع تلاميذه لنفخة الروح القدس عندما « نفخ فيهم وقال ، اقبلوا الروح القدس » (يو ٢٠ : ٢٢) ، والآن فإن عاصفة قوية ملأت كل البيت حيث كان التلاميذ جالسين - وكان هذا رمزاً لتدفق الروح بصورة معجزية إلى كل الكنيسة ، بيت الله (١ تى ٣ : ١٥) . إن قصة سفر الأعمال تثبت كيف حُمل هؤلاء التلاميذ الذين سكن فيهم الروح القدس بقوته التى لا تقاوم والباعثة على الحيوية والنشاط .

والإعلان الثانى لحضور الروح واستعلان القوة نراه فى الألسنة المنقسمة كأنها من نار ، والتى استقرت على التلاميذ وقد كانوا وقتها نحو ١٢٠ شخصاً (أع ١ : ١٥) . لاحظنا فى تأملنا لمعجزات العهد القديم أن النار ترمز للقوة الإلهية ، ومن بين خصائص النار الإضاءة والدفء والتطهير . وقد كان ذلك من تأثيرات انسكاب الروح الذى ألهب التلاميذ بالمحبة لربهم وحولهم ليكونوا على صورته ، وقد زودهم الروح أيضاً بالقوة ليشعّوا نوراً وفهماً على العالم . كانت النار إعلاناً مرئياً خارقاً يدل على حضوره وقوته، وقد تمت فيهم النبوة لأنهم عمدوا بالروح القدس ونار (مت ٣ : ١١) . كانت الألسنة منقسمة أو منفصلة واستقر لسان على كل تلميذ وهذا رمز لأن تنطق ألسنتهم برسالة المخلّص المقام ، الذى صعد ، والشفيع ، والذى سوف يأتى ثانية .

كانت الريح والنار رمزاً لعلامات خارجية لمعجزة روحية أعظم . وامتلأ الجميع من الروح القدس ، أى أن الروح قد تغلغل فى كيان شخصياتهم محفزاً كل ملكة من ملكاتهم وكل إحساس فيهم ليشعروا بمعنى جديد وعميق للحياة ، لقد سكروا بخمر الروح ، وكانت حالتهم تدل على نشوة غامرة من الفرح الكثير لدرجة أن الذين حولهم قالوا : « قد امتلأوا سلافة » ، وتحت التأثير القوى للروح القدس ، « ابتدأ التلاميذ يتكلمون بألسنة أخرى (٤:٢، ٤٦:١٠ ، ٦:١٩). ليس هدفنا أن نتكلم عن كل طور فى هذا الموضوع الصعب والغامض ، موضوع التكلم بألسنة لو استطاع القارئ الحصول على تعليق اليكوت على الكتاب المقدس - وهو أفضل تعليق من نوعه - فإننا نلفت الانتباه لأفضل موجز مفيد عن « الألسنة » يتحدث فى هذا الجزء الذى نتأمله .

إن الألسنة أو اللغات التى استخدمها التلاميذ كانت ألسنة مختلفة عن لغتهم الأصلية وكانت ألسنة مختلفة أيضاً تحدثها رسل مختلفون (أع ٢ : ٤) . لم تكن « الألسنة » رطانة منتشية غير معروفة شبيهة « بحركة الألسنة » اليوم ، بل كانت استعمالاً للغات الأمم الممثلة فى أورشليم وقد فهموها بوضوح . كلمة « ينطقوا » هى الكلمة التى استخدمها لوقا فقط ، وهنا فى القصة يقول فنسنت إنها كلمة غريبة وقد اختيرت بهدف بيان النطق الواضح العالى الصوت تحت تأثير المعجزة .

يا لها من معجزة عظيمة أجراها الروح فى ذلك اليوم ! وهنا نجد معجزة السمع من جانب المستمعين كما كانت فى الكلام من جانب المتكلمين ، فكر فى اللهجات العديدة التى يمثلها الجمهور ،

ومع ذلك فكل واحد سمع وفقاً للغته ، « فرتيون ومساديون وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وآسيا وفريجية وبمفيلية ومصر .. وليبيا والرومانيون »، وفي التعليق على هذه الظاهرة الفريدة يقول اليكوت :

« *لا يمكن أن نفسر بأمانة أقوال لوقا دون افتراض أنه إما أن التلاميذ تحدثوا باللغات المذكورة أو أنهم بالتحدث بلسانهم الجليلي فإن كلماتهم جاءت لأسماع أولئك الذين استمعوا كما لو كانت قد قيلت باللغة التي كانت مألوفة لكل واحد منهم . والرأي الأول ، لأول وهلة هو التفسير الأكثر قبولاً ، ولغة المؤرخ ، وإذا أمكننا استخدام مثل هذه الكلمة مما يعد في حد ذاته معجزياً وغامضاً ، فهو الرأي الأكثر معقولية* » .

يستشهد بريوير Brewer في كتابه « قاموس المعجزات» بتجربة القديس برتاردين ، ١٣٨٠ - ١٤٤٤ ، الذي اضطر في إحدى المناسبات أن يعظ لليونانيين ، ولكن لعدم معرفته باللغة اليونانية ، وعظ بلغته الإيطالية ، وقد فهمه السامعون كما لو كان قد تكلم باليونانية بأقوال الله العجيبة .. وإننا نؤمن مع ذلك أن الله ، لكي يدعم ويثبت المسيحيـة ، قد سر بأن يمنح الرسل قوة فائقة ، وأن يؤيدهم بالعلامات والمعجزات ، حتى يستطيع الأجانب أن يسمعوا رسالة النعمة « كل واحد لغته » ، وكنتيجة لهذه المعجزة اللغوية ، دهش الأجانب وتعجبوا حين سمعوا بلغاتهم عن أعمال الله العجيبة.

في بابل ، « بلبل الله لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض »، قبل ذلك لم يكن هناك بلبلة ألسنة ، لأن الأرض كانت « لساناً واحداً ولغة واحدة »، وبسبب هذه البلبلة ، ضاعت معرفة الإله الحقيقي ، وفي يوم الخمسين ، لم يحدث استعادة لوحدة اللسان بين الأمم ولكن حدث شئ معجزي مكّن عبيد الله المختارين من مخاطبة كل الناس بلسانهم . أليست هذه معجزة مذهلة مكنت عدداً من الصيادين الأميين من مخاطبة أجانب ذوي جنسيات متعددة ، والذين لم يسبق لهم أن سمعوا لغاتهم من قبل ؟ ، لا شك أنهم أعلنوا الرسالة بكل سهولة وطلاقة ولباقة كما لو كانوا يستعملون لغتهم الخاصة . كانت هذه «الألسنة » ، إذن رمزاً لشمولية العصر المسيحي ، الذي يخاطب كل لسان ، وهكذا فإنه يعمل بصورة مضادة لانقسامات البشر التي حدثت عن طريق بلبلة الألسنة في بابل » .

ليس هناك دليل على أن هذه القوة على التحدث بألسنة أخرى كانت دائمة . « لقد أتت وذهبت بانتهاء فترة الانسكاب الخاص للروح القدس ، واستمرت فقط مدة هذا الانسكاب بعمق » . لقد أعلن بولس بوضوح أن الألسنة ستنتهي (١ كو ١٣) ، ولم يعد عمل الروح يسمع بأصوات أو يرى في ألسنة من نار . واليوم فإن المرسلين لا يخاطبون الأجانب بدون دراسة مسبقة للغة الأصلية للناس الذين يودون أن يعملوا بينهم ، والجمعيات التي تترجم الكتب المقدسة باللغات واللهجات المختلفة للناس لا تزال تواصل هدف يوم الخمسين ألا وهو أن يقدموا لكل واحد بلغته .. عظائم الله .

والدهشة المستمرة للناس إزاء المعجزة قد أعدتهم لسماع عظة بطرس المتميزة في يوم الخمسين ، والتي بدأ فيها بأن اقتبس أقوال النبي يوئيل (٢ : ٢٨) ، والذي لم تستنفد نبوته غرضها بانسكاب الروح في يوم الخمسين . فهذه المعجزة كانت مجرد بداية أو نموذجاً لاستعلان للقوة الإلهية أكثر تأثيراً في النفوس في المستقبل (دا ١٢ : ١ ، زك ١٤ : ٢ ، مت ٢٤ : ١٥ - ٣١) .

أما عن فحوى عظة بطرس ، فقد اتهم الرسول سامعيه ، ليس بالخطايا عامة ، بل بخطية الخطايا برفض يسوع وقتله والذي كان قد قدم لهم أوراق اعتماده الإلهية دون جدوى ، وكان تأثير مثل هذه العظة المبجلة للمسيح كاسحاً . فكدليل قاطع على قيامة يسوع والتبشير بها أن حوالي ٣٠٠٠ شخص تبكتوا على خطيتهم وتابوا وعُمِّدوا ، وقد تم ضمهم إلى الكنيسة ، يا له من استعلان مجيد للكرازة الجماعية !

يختتم السرد التاريخي لمعجزة يوم الخمسين بجوهرة جميلة ذات نقوش بارزة تتحدث عن الشركة الفريدة للمجتمع الجديد الذي تكون في ذلك اليوم . فجميع الذين خلصوا ظلوا مواظبين في تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلاة . كان المؤمنون يحبون بعضهم بعضاً

وكانوا مبتهجين فى المسيح حتى إن العالم لم يكن يمثل بالنسبة لهم شيئاً يذكر ، وكانت الأملاك والمقتنيات لا تمثل شيئاً ذا قيمة فى نظرهم سوى خدمة المحتاجين والإخوة الفقراء :« كان التسبيح يملأ قلوبهم ولهم نعمة لدى جميع الشعب ، وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون . لقد كانت الشركة فى تلك الأيام ذات علامات سائدة - خوف صحى (غير مرضى) ، وخدمة قوية ، ومهمة مشتركة وعبادة دائمة ، وابتهاج عظيم ، وتأثير طيب ، ونمو دائم » ، يا ليت هذه السمات تميز الكنيسة اليوم !

إن كنا لا نعيش فى عصر المعجزات كما كان فى يوم الخمسين ، ولم نعد تأخذ مواهب خارقة من الروح ، إلا أن نفس الروح الصامت القوى معنا ، وعلينا التزام أن نتعاون معه وهو يعمل من خلال الإنجيل أن يأتى بالناس من جميع الأمم لمعرفة المسيح الذى فيه الخلاص وحده .

٥ - معجزة شفاء الرجل الأعرج

(٣ : ١ - ٢٦)

عندما نأتى إلى سرد وفحص المعجزات التى أجريت على يد الرسل ، يستحسن أن نتأمل فى المعجزات التى أجروها عموماً . إن القوة لإجراء المعجزات كقوة الأنبياء كانت قوة منتدبة (ممنوحة) لهم . وقد أعلن بطرس ، فى معجزة الرجل الأعرج ، أنه لم تكن لديه قوة خاصة به مقارنة بمعلمه الذى لم يتردد أبداً أن يجرى المعجزات باسمه ويتقبل الحمد بالتالى . وإذا كان الإنجيل يقدم حياة يسوع فى الجسد ، ويقدم سفر الأعمال حياته فى الروح ، فمثل هذه الحياة كانت تُنقل للآخرين بواسطة إعلان رجال مزودين بقوة الروح القدس ، وحين كان يسوع وسط تلاميذه منحهم هذه القوة على إجراء المعجزات (لو ٩ ، ١٠ : ٩ ، ١٧ - ٢٠ ، مر ٦ : ١٣ ، مت ١٠ : ٨) . وقد وعدهم باستمرار تلك القوة معهم بعد صعوده (مت ٢٨ : ١٨ ، مر ١٦ : ٢٠) ، وقد ظهرت تلك القوة خلال أعمال الرسل (١ : ١ ، ٢ : ٤٣ ، ٥ : ١٢ الخ) ، ومع ذلك لا يجب أن يغيب عن بالنا أنه فى حين أن المعجزات كانت مصادقة على أمر إلهى (١مل ١٧ : ٢٤) ، إلا أنها ليست فى حد ذاتها دليلاً على التلمذة الحقيقية (مت ٧ : ٢٢ و ٢٣ ، انظر يو ١٠ : ٤١) .

يقدم لنا لوقا قصة نابضة بالحياة لمعجزة من طراز فريد ، لأن الرجل قد ولد وهو أعرج وكان عمره قد تجاوز الأربعين عندما نال الشفاء (٣ : ٢ ، ٤ : ٢٢). إننا نقول عادة: «نحن لا نعلم ما يلده لنا اليوم ولا الساعة »، ولا شئ كان أبعد عن توقعات هذا المقعد أو توقعات الأصدقاء الذين أتوا به ذلك الصباح إلى مكانه المعتاد عند باب الهيكل من حدوث معجزة ذات نتائج بعيدة الأثر . ربما كان كل ما يتوقعه ذلك اليوم استجابة سخية من صدقة المارة . أما الشفاء الكامل لحالته ، بكل المزايا المصاحبة لهذا الشفاء فى جسده وروحه كان بعيداً جداً عن أفكاره . وعندما اقترب بطرس ويوحنا أيضاً من الهيكل ، لم يكن يدور فى خلدهما أن يمنحا هذه القوة للرجل الأعرج حتى أوحى إليهما الله بالروح القدس أن يعملا ويتكلما مثلما حدث . يا للتأثير العميق الذى أحدثته هذه المعجزة الأولى للرسل !

والرابطة التى كانت تجمع بين بطرس ويوحنا فى المعجزة تؤكد أواصر الصداقة وعمق الشركة بينهما بعد صعود معلمهما ، ونحن نجدهما يذكران معاً فى معظم الأحيان فى الأناجيل (لو ٥ : ١٠ ، ٨ : ٥١ ، يو ١٨ : ١٥ ، ٢٠ : ٢ الخ) ، وها هما معاً ذاهبان إلى الهيكل ساعة الصلاة ، « مباركة تلك الرابطة التى تجمع » .

كان « باب الجميل » ، حيث كان الأعرج يرى عادة ، كان هو الباب الخارجى لهيكل هيرودس ، وكان مصنوعاً من نحاس كورنثى وكان ثمنه يفوق التسعة أبواب الأخرى للساحة الخارجية والتى كانت مغشاة بالذهب والفضة . كان هذا الباب الخارجى ثقيلاً لدرجة أنه كان يتطلب أن يغلقه عشرون رجلاً . وكان الباب يتكون من العتبة العليا والعتبة والقائمتين (خر ١٢ : ٧ و ٢٢) . ويخبرنا يوسيفوس أن هذا الباب الضخم قد وجد مفتوحاً على غير العادة قبل دمار أورشليم بوقت قصير على يد تيطس . كانت مداخل الهيكل مليئة عادة بالمرضى من جميع الأنواع (يو ٩ :٨) . وهكذا عندما جاء بطرس ويوحنا إلى الباب نظرا الرجل الكسيح « وتفرسا

فيه » أو « شخصا إليه » ونجد نفس هذه الكلمة فى مواضع أخرى (١ : ١٠ ، لو ٤ : ٢٠) ، وهى كلمة تدل على النظرة التى عرفت طبيعة التعبير المرتسم على وجه المقعد وتفحصت فيها إيمانه بالشفاء (٣ : ١٦) . وقد نظر المقعد بدوره « إليهما حتى يقرأ فى نظراتهما المشفقة ، ليس فقط رغبتهما أن يشفياه ، ولكن لكى يقرأ فيهما أيضاً الإحساس بالقوة على تحويل هذه الرغبة إلى واقع » .

أولا ، دعنا نتأمل فى حالة الرجل - أعرج من بطن أمه ، كان عرج مفيبوشث نتيجة لحادثة فى الطفولة أنتجت نوعاً من مرض العظام مما كان يستوجب معه العناية المستمرة بهما (٢ صم ٤ : ٤ ، ١٩ : ٢٤) ، وكان عرج يعقوب ناتجاً من ضرب الملاك لحق فخذه (تك ٣٢ : ٣١) . وكان الأعرج لا يصلح أن يكون كاهناً (لا ٢١ : ١٨) . شفى المسيح كثيراً من العرج (مت ٢١ : ١٤) ، وهنا نجد رجلاً آخر مولوداً أعرج من بطن أمه وقد عانى من ذلك طيلة أربعين سنة ، كان على وشك أن يأخذ من الرسل شيئاً أعظم من الصدقة التى لم تكن لديهما ليعطياها للفقراء المحتاجين بسبب فقرهما . « ليس لى فضة ولا ذهب » (انظر مت ١٠ : ٩)

وجد الرجل المحتاج فى المكان الصحيح أن فى بيت الصلاة ، والذى يقول عنه دكتور كامبل مورجان إنه يقدم إيضاحاً لهذه الحقيقة الخالدة « الاقتراب من الله عادة درجت عليها الإنسانية فى احتياجها . والمتسولون لا يوجدون عادة عند أبواب الأماكن التى يلقى فيها الملحدون محاضراتهم » ، وفى حديث بطرس إلى الرجل أوضح له المعنى الجوهرى للمسيحية ، لم يكن قادراً أن يخدم الرجل بتقديم أشياء مادية له كالفضة والذهب ، ومع ذلك كان قادراً أن يهبه شيئاً يجعله يتغلب على عجزه .

أما عن شفاء الرجل ، فقد تم دون أن يطلب الرجل شيئاً ، وكان مفاجئاً وكاملاً ، ففى لحظة واحدة وثب ووقف وصار يمشى ، ويمثل هذا التغيير أظهر أعمال الله العجيبة (٣ : ٨ و ٩) . ألا توضح هذه المعجزة إجابة الله الواضحة على الصلاة ؟ ، وبدلاً من الفضة والذهب وجد المقعد شفاء . لقد أعطاه الله أكثر مما طلب أو افتكر . فالرحمة التى لم يفكر فى طلبها قد منحت له دون أن يستجديها . لم تكن هناك أى وسيلة طبيعية بقادرة على منحه هذا الشفاء الفورى ، ومع أنه كان كسيحاً لمدة أربعين سنة ، إلا أن الشفاء لم يخلف أى ضعف أو تيبس فى الأطراف . وفى الحال أظهر قوة وحيوية وكأنه لم يكن كسيحاً بالمرة .

ما الذى حدث بالضبط عندما تفرس فيه بطرس وأمسكه بيده اليمنى وأقامه :

أولاً ، لقد تشددت عظام المفصل ، وهذه عبارة فنية خالصة يستخدمها لوقا وحده بلغة طبية فيما يختص بالعظام بالذات. والكلمتان «تشددت» و« متانة » (أع ١٦ : ٥ ، كو ٢ : ٥) مرتبطتان بنوال « القوة» ،« والوثب » ، اصطلاح طبى آخر وهو مستخدم هنا فقط فى العهد الجديد ويوحى « بالحركة المفاجئة للعظمة من المفصل ، عند القيام من النوم أو الدق المفاجئ للنبض» . ثم بدأ الرجل الذى شفى فى المشى مختبراً قوته الجديدة المكتسبة . وهنا نرى الخطوات المتدرجة للشفاء - وثب ووقف ومشى . أولاً ، هناك فقر الرجل ثم نوال القوة ، ثم الحمد . وإذ أخذ الرجل الذى شفى يقفز كالإيل (إش ٣٥ : ٦) مليئاً بالفرح الغامر لإحساسه بالقوة دخل الهيكل ، حيث امتلأ جميع المصلين عند تقديم ذبيحة المساء بالدهشة عندما رأوا المتسول الكسيح والذى كان معروفاً للجميع يمشى بقوة ، وقد تخلص إلى الأبد من العكاكيز التى كان يستخدمها .

وإنها لحقيقة جديرة بالملاحظة أن يؤكد بطرس مراراً وتكراراً أن شفاء الرجل لم يتم بقوته بل بقوة يسوع المسيح فقط (٣ : ٦ و ١٢ و ١٦ ، ٤ : ٩ - ١٢ انظر ٩ : ٣٤) . « باسم يسوع المسيح الناصرى قم وامش » .لابد أن الرجل كان أمام امتحان عندما طُلب منه أن ينهض ويمشى باسم الناصرى المحتقر ، ولكن هذا «الاسم» كان يمثل حقيقة شخصية يسوع ، وكان يمثل بالنسبة للمقعد قوة مصاحبة لهذا الاسم .

أما بالنسبة لبطرس فقد كانت هذه المعجزة استمراراً لممارسة قوات مشابهة (مر ٦ : ١٣ ، ١٦ : ١٨) . لقد ذكر الكثير عن هذا ا « الاسم » فى كل أجزاء سفر الأعمال ، فالإيمان بهذا الاسم ،

فوق كل اسم ، كان هو النهج الذى أجرى الله من خلاله الكثير من العجائب . وكون هذا الاسم الثمين الذى لا نظير له لم يفقد شيئاً من قوته بغيابه المنظور عن الأرض ثابت من المعجزة التى أمامنا . أعلن بطرس باتضاع أنه لا فضل له فى إجراء المعجزة، فقد أشار إلى المسيح كمصدر لكل قوة ولا فضل يمكن أن ينسب للإنسان الذى شفى حيث أنه لم يمارس الإيمان على الإطلاق (٣ : ١٣) . أما عن أثر هذه المعجزة الإلهية ، فالناس الذين رأوا الرجل الذى كان يستعطى عند الباب طوال سنوات عديدة امتلأوا دهشة ورهبة . وقد أعطت المعجزة لبطرس ويوحنا فرصة عظيمة للتبشير بعظة قوية أمام السنهدريم كما يوضح ذلك أصحاح ٣ ، ٤ . لقد فُتح الطريق للشهادة الأمينة لحكام اليهود الذين نتج عن كراهيتهم للمسيح وتلاميذه اضطهاد عظيم عصف فى وجه التلاميذ .

لقد كشفت هذه الحادثة عن التغيير العظيم الذى حدث لبطرس؛ فمنذ مدة ليست طويلة كان يقف خائفاً أمام تعيير جارية . أما الآن فهو يقف ليواجه كل أعضاء السنهدريم بجسارة متهماً إياهم بقتل المسيا . وفيما بعد استطاع بطرس أن يعلن عن سبب الرجاء الذى فينا« بوداعة وخوف » (١ بط ٣ : ١٥). وهنا لم يكن لديه أى خوف دون مبرر . لم يكن خائفاً من الدفاع عن قضية سيده ، فلا عجب إن تعجب الناس عندما رأوا جرأة بطرس ، لقد تذكروا إنكاره .

أما عن الدرس المستفاد من المعجزة : فباب الجميل فى الهيكل وكل ما فيه من طقوس لم يستطع أن يقدم للأعرج أى فائدة تذكر ، ولكن اسم المسيح أعطاه قوة فورية وفرحاً . إن هذا المقعد المسكين يمثل تماماً حالة كل إنسان مولود فى هذا العالم .

يقولس تشارلس سمعان : «كان الرجل غير قادر من بطن أمه على ممارسة حركة الأطراف التى خلقت أصلاً لهذا الغرض ، وهكذا بالنسبة للبشر الساقطين فى مجال القوى الروحية فهم عاجزون . إنه لا يستطيع أن يسير أمام الله كما فعل آدم فى الجنة ، ولا كقديسى الله وخدامه حتى فى حالتهم الساقطة . ولكن باسم يسوع المسيح من ذا الذى لا يُشفى ؟ من ذا الذى لا تستطيع قوة النعمة الإلهية أن تجدده وتجعله خليقة جديدة مهما كانت حالته ميئوساً منها ؟» .

إن آلاف المقعدين ، أخلاقياً ، والمكبلين بقيود تشل إرادتهم وتبعدهم عن ممارسة الأنشطة الروحية ، مقعدون بسبب خطايا الآخرين وبسبب خطاياهم ، وهم يملأون كنائسنا المفتوحة أبوابها . ولكن يا للحسرة ، فعدد قليل جداً من هؤلاء المقعدين ينالون الشفاء . إن السواد الأعظم من هؤلاء العاجزين من الرجال والنساء يظلون عاجزين . لماذا ؟ إن الكنيسة بها وعاظ مثقفون ومتعلمون وكهنة ، وقائمة بأسماء القديسين والطقوس ، ولها مبان فخمة مزينة وأنشطة عديدة ، ولها شهرتها وثراؤها ، ولكنها للأسف خالية من القوة لتقول للعالم الكسيح المكبل بأغلال الخطية والقلاقل والخوف من الحروب « باسم يسوع الناصرى قم وامش » . ألا ليت انتعاشاً قوياً يعيدها لقوتها التى كانت عليها فى سفر أعمال الرسل عندما كان يُخشى منها « كجيش بألوية » .

٦ - معجزة يوم الخمسين الثانى

(٤ : ٣١ - ٣٣)

إن الأصحاح الرابع من سفر الأعمال استمرار للأصحاح السابق؛ فلا يصح أن نعير التفاتاً للفواصل هنا ، لأن تقسيم الكتاب المقدس إلى أصحاحات وأعداد من تدخل البشر وغالباً لا يكون معداً بحكمة . لا يزال بطرس أمام السنهدريم يتهم ولاة اليهود بتجاهل الحجر الوحيد الذى يستند عليه كل هيكل بناء الخلاص مركباً معاً ، بالرغم من ادعائهم بأنهم البناؤون . فلا يمكن أن يتم خلاصهم بأى اسم آخر . فلما رأى رؤساء الشعب مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع . إن هذا الاعتراف لا يعنى ببساطة أنهم تذكروا أنهم رأوهما من قبل مع يسوع . إن الأسلوب يوحى بأن المسيح كان لا يزال مع هذين الرجلين وأنه كان من خلالهما ، لقد سمع هؤلاء الشيوخ صوت يسوع من خلال صوتى بطرس ويوحنا ، وقد أظهر لهم عن طريق بريق التحدى فى عيونهما . ها هنا رجلان عديما العلم وصيادان محتقران ولكنهما أعلى قدراً من منتقديهم وكان اتكالهما الكلى على قوة الروح القدس .

بعد استجواب بطرس ويوحنا أطلقاهما وأوصوهما ألا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع ، ولكنهما كانا أكثر تصميماً على طاعة الله أكثر من البشر ، وعند إطلاقهما أتيا «إلى رفقائهما» أي إلى بقية التلاميذ ، وأخبراهم بكل ما جرى في السنهدريم . ثم نرى صلاة الرسل القوية التي شكروا فيها الله لأجل الآيات والعجائب التي أجريت باسم يسوع ، فلا عجب أن نتج عن هذه الصلاة افتقاد إلهي آخر . وفي حين أنه لا يوجد سوى يوم خمسين واحد ، إلا أن هذا التزعزع للمكان كان استعادة لذلك اليوم دون هبوب الريح العاصفة والألسنة المنقسمة كأنها من نار . لقد أيد الروح القدس الوعي الروحي الداخلي للرسل ، فقاموا بدورهم بالتبشير بالكلمة بكل مجاهرة . ومع امتلاء الرسل بالروح ، لم يبق مكان للجسد ليعلن فيه عن حضوره ، ولازال هذا هو سر القوة (أع ١ : ٨ ، يو ٧ : ٣٨ و ٣٩ ، ١٥ : ٧) ، إن يوم الخمسين الثاني هذا كما أطلق عليه لهو برهان خارجي على القوة الداخلية ، فلا عجب «أنه بقوة عظيمة أدى الرسل الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم » .

ويختتم الأصحاح بصورة جميلة للمحبة الأخوية والوحدة في هذا المجتمع المسيحي الأول . كان التلاميذ بقلب واحد وفكر واحد سعداء بإحساسهم أن المسيح معهم . كانت الممتلكات الأرضية ذات قيمة زهيدة في تقديرهم ، وأن قيمتها تكمن في خدمة احتياجات القديسين حتى صار كل شئ بينهم مشتركاً . كم بعدت الكنيسة عن هذا التصور المبكر للوحدة المسيحية والأخوّة ! .

٧ - معجزة حنانيا وسفيرة

(٥ : ١ - ١١)

سرعان ما تحرك الشيطان ليفسد أعمال الله العجيبة . حدث هكذا في بدء الخليقة ، عندما جاء كالحية ، وخدع أبوينا الأولين ودخلت الخطية لتشوه عمل الله ، عند التجسد كان الشيطان هو المحرض على ارتكاب المذبحة الجماعية للأبرياء على أمل أن يكون الطفل يسوع وسط هذه المذبحة الوحشية . فالجو السلمي الذي كان يسود الكنيسة الأولى سرعان ما اضطرب وتخلخلت وحدته . إن الخطية المحزنة لحنانيا وسفيرة يجب قراءتها في ضوء ما قبلها . كان التلاميذ الذين يملكون أرضاً أو بيوتاً يبيعونها ويضعون أثمان البيع في خزانة مشتركة لاستخدامها عند الحاجة . وقد ذكر اسم برنابا كشخص باع كل أملاكه ووضع كل النقود التي أخذها في الرصيد المشترك . وبسبب هذا الفقر الاختياري عمل برنابا فيما بعد كما فعل بولس حتى يكسب لقمة عيشه (١ كو ٩ : ٦) . ومن الواضح أن برنابا قد نال مديحاً وشهرة بإنكار الذات هذه ، وفكر حنانيا أن بإمكانه أن يحصل على نفس النتيجة ولكن بثمن أرخص . ولكن هبة برنابا السخية المخلصة والتلقائية مع آخرين ألقت بظلال قاتمة على الخديعة المحسوبة لحنانيا وسفيرة ،« فكلما كان الضوء باهراً أصبحت الظلال أكثر سواداً » .

كان حنانيا تلميذاً ، إنساناً متجدداً ، ومخلصاً إلى حد ما لأنه اختار قرعته مع زمرة «الناصريين» المحتقرين ، ولكنه رغب في الحصول على شهرة كبرنابا بأن يبدو بأنه قد وضع في الخزانة كل ما كسبه ببيع أملاكه . لم يكن مضطراً أن يضع كل ما لديه في الصندوق المسيحي المشترك ، كان بإمكانه أن يحتفظ بأي جزء من نقوده . « ولما بيع ألم يكن في سلطانك ؟ .» ولكن خطيته المريعة تركزت في ادعائه أنه أعطى كل شئ في المال المشترك ، في حين أنه يعلم أنه احتفظ بجزء من الثمن . دخل الشيطان قلبه وفكر في الجمع ما بين مدح المسيحيين له ومحبة العالم . كان متهماً بأنه رجل ذو رأيين . لقد افتعل الكذب . وهكذا فعلى الرغم أنه كان عيد الخمسين عندما كانت تقدم الباكورات للرب ، كان الشر هناك ويرمز له بالرغيفين المخبوزين خميراً (لا ٢٣ : ١٧) .

إذا كان اسم حنانيا كما يقترح باجستر Bagster يعني «سحابة الرب » فهو قد جلب بالتأكيد سحابة مظلمة على الجو الهادئ لتلك الجماعة المسيحية الأولى ، لقد كان بمثابة « عخان » في المحلة ، ولو لم تكتشف خطية خداعه فوراً وأدينت لأصبحت آثارها مدمرة كالشر الذي جلب على إسرائيل بسبب غضب الرب (إش ٧) . كان لحنانيا قلب مدرب على الطمع ، وكان متعلقاً بممتلكاته المفضلة سراً لديه ، وقد مزج ذلك برغبته في الحصول على شهرة مما حدا به للتضحية بالحقيقة ، ولكنه علم بعد خسارة مأساوية

أن « لسان الكذب إنما هو إلى طرفة العين » (أم ١٢ : ١٩) .

وكانت سفيرة فى اتفاق تام مع زوجها فى ريائه . وكلام بطرس يتضمن أنهما كانا متفقين فى اتخاذ قرارهما ، « اتفقتا على تجربة روح الرب » (٥ : ٩). اتفق الزوج والزوجة أن يكذبا فيما يتعلق بثمن الحقل دون أن يفكرا كثيراً فى ذلك الشخص الذى يمكنه أن يفضح خدعتهما ويعاقبهما لكذبتهما التى أصبحت عبرة على مر العصور . كانت تهمة الزوجين أنهما «أخفيا الحقيقة من باب عدم الأمانة ، وقد عانيا نتيجة لذلك . والخديعة بالكلمة والفعل شائع جداً اليوم حتى إنه يمكن أن يقال إنها عادة من عادات العالم . ومع ذلك فعلى المسيحى أن يتجنب الرياء أو الخديعة بأى شكل من الأشكال ، والتظاهر بما هو مخالف لحقيقتنا أو بأننا سنفعل أشياء لا ننوى أن نعملها . ليتنا نتسم بتلك « البساطة والإخلاص الورع » ، المرضيان عند الله .

وهنا يثور سؤال : كيف تسنى لبطرس أن يعرف على الفور رياء حنانيا وسفيرة ؟ من الواضح أن اتفاقهما السرى لم يكن معلوماً لباقى التلاميذ ، والذين لذلك لم يبلغوا بطرس بتلك الخديعة ، إن الإجابة الوحيدة على هذا السؤال هى أن الروح القدس الذى صار واقعاً ملموساً بالنسبة لبطرس ، والعليم بكل شئ ، عرف كل ما يتعلق بهذه الأكذوبة المصطنعة وكشف لبطرس حقيقة الأمر (انظر ١ مل ١٤ : ٥).

وجانب بارز آخر متصل بهذه المعجزة هو التأكيد على شخصية ولاهوت وقوة الروح القدس . فبالكذب عليه فقد كذبا على الله (٥ : ٣ و ٤). فالمرء لا يمكن أن يكذب على مجرد تأثير غير شخصى . عرف بطرس أن الروح حضر يوم الخمسين ليس فقط ليقدم مواهب فائقة ، ولكن ليكون كهبة دائمة تستقر على التلاميذ وفيهم ، ويزود الكنيسة بالقوة حتى نهاية فترة وجودها على الأرض . « ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم » (١ : ٨) . وفى الحادثة التى أمامنا نرى بوضوح حضور وسيادة الروح القدس فى الكنيسة فى كل جزئية من سفر أعمال الرسل .

فخطية حنانيا وسفيرة إذن كانت نتيجة للتعامل غير الأمين مع الروح القدس وكان العقاب سريعاً ومريعاً . ودمغ بطرس فعلتهما بأنها كذب على الروح القدس الذى كان فى الرسل والذى ظنا أنهما يمكن أن يراوغاه . كانت الخطية بالفعل ضد علم الروح القدس بكل شئ . يكتب سيمون فقرة بهذا الصدد فيقول :« إن بطرس يدعو خطيتهما بأنها« كذب على الروح القدس »،تجربة الروح القدس ، لأنها كانت محاولة لخداع الرسل الذين زودهم الروح القدس بمواهب فائقة ، لقد كانت محاولة لتجربة الروح القدس حتى يعرفا إن كان الروح القدس كائن عليم بكل شئ ،قدوس وعادل أم لا .

وفاحص القلوب ، الذى لا تخفى عليه خافية ، لم يكشف فقط علمه بكل شئ ، ولكنه برهن أيضاً على قوته . فبمجرد أن أعلن بطرس شناعة الذنب سقط حنانيا ميتاً . يا له من إعلان خطير للعقاب الإلهى ضد الرياء ! وشدة مثل هذا العقاب يمكن تبريره على أساس أن هذه الفعلة المشتركة من حنانيا وسفيرة كانت « أول تجاسر علنى من قبل الشر المتعمد داخل الكنيسة ، ولذلك كان العقاب المفاجئ المأساوى « عملاً مثيراً للرهبة من إجراءات العقاب الكنسى الإلهى ».

وينبغى أن نلاحظ أن بطرس لم يعلن المصير المحتوم لحنانيا كما فعل بعد ذلك بثلاث ساعات بشأن سفيرة . فبطرس لم يكن يرغب فى هذا الموت الرهيب بإرادته ، ولم يكن هو المنفذ للعقاب العمدى ، على الرغم من أن فضحه للرياء كان سبباً لذلك ، ولم يمت حنانيا أيضاً نتيجة للإثارة الطبيعية بسبب افتضاح خطيته على يد بطرس. لا شك أن « الخزى وألم هذا الافتضاح وعذاب الضميرالذى لم يكن قد مات بعد كانت أشياء تكفى لإصابة قوى الحياة بالشلل» . إن حكم الموت قد نفذه الله الذي يميت ويحيى (١ صم ٢:٦). كان «العقاب الإلهى» هو سبب الموت ، ولم يكن بطرس سوى الأداة لتنفيذ العدالة ، ففى أى لحظة يمكن لله أن يستدعى النسمة التى أعطاها ، وبهذه الطريقة ضرب نابال ويربعام وهيرودس (١ صم ٢٥ : ٣٨ ، ٢أخ ١٣ : ٢٠ ، أع ١٢ : ٢٣). والعبارة « أسلم الروح » نادرة ، وهو تعبير استخدمه لوقا فقط . لفَّت أحداث الكنيسة جسد حنانيا فى كفن ودفنوه ، فالدفن العاجل يحتمه الطقس الحار وأيضاً بسبب النجاسة الطقسية التى يكون مصدرها لمس الجثة (عد ١٩ :

١١ - ١٦) .

لابد أن سفيرة شعرت بالصدمة عندما سمعت نبأ وفاة زوجها الذى كان قد حدث منذ ثلاث ساعات ! لم يكن لديها أى معلومات عما أشيع . يقول بنجل عنها : « إنها كانت المرأة التى كان دخولها إلى جماعة القديسين أشبه ما يكون بأسطورة ، وقد أعطاها سؤال بطرس فرصة للتوبة عن دورها فى الأكذوبة ، ولكن كما يعلق اليكوت: « لقد كان فى مقدورها أن تنقذ زوجها بكلمة تحذير واحتجاج ، والآن واتتها الفرصة لتريح ضميرها بالاعتراف . وضاعت منها الفرصة الوحيدة الباقية كما ضاعت الأخرى . إن الكذبة التى وافقت عليها خرجت بسهولة من شفتيها ولكن كلمة القضاء الذى لا يرد صدرت أيضاً ».

نطق بطرس بالمصير المحتوم بشأن سفيرة . فوقعت ميتة فى الحال والأحداث الذين عادوا لتوهم من دفن حنانيا حملوا سفيرة خارجاً ودفنوها بجوار زوجها . وعلى قدر علمنا ، كانت تلك الحادثة أول حالتى وفاة فى ذلك المجتمع المسيحى الأول – وكم كان موتهما مأساوياً ! ونتيجة لهذا العقاب الإلهى ، صار خوف عظيم على جميع الكنيسة ، والتى كان قادتها متسربلين بثياب القوة الفائقة . جاء هذا العقاب فى بداية مسار الكنيسة كعبرة مخيفة لحماية إخلاصها وأمانتها من كل فساد عالمى . ومع أن حنانيا وسفيرة فقدا حياتهما إلا أنهما لم يفقدا أرواحهما لأنهما كانا مؤمنين .

والدرس المستفاد من هذه الحادثة المرعبة واضح تماماً . فالله لا يمكن أن يُسخر منه . ولأنه يرغب أن نكون صادقين مع أنفسنا فى الداخل ، فهو يأمرنا أن نتحفظ من الطمع ، وطريقنا للأمان سبيله الإخلاص القلبى الحقيقى . وإنه لمن رحمة الله ألا يتصرف اليوم بمثلما فعل مع حنانيا وسفيرة ! ولو ضرب شعب الكنيسة وأماتهم بسبب الرياء الدينى لمات عدد كبير فى كنائسنا على الدوام . فكم هو رحيم أو مع ذلك دعنا لا نتلاعب برحمته ، فهو صبور وطويل الأناة تجاه ما نتظاهر به من ادعاء كاذب وطمع . ولكن فى النهاية إذا لم نتب ، فهذه الأشياء سوف تأتى بنا للعقاب المستحق.

٨ - معجزة ظل بطرس

(٥ : ١٢ - ١٦)

كم تذكرنا هذه الفقرة بخدمة ربنا والمعجزات التى أجراها ، فقد « تبرهن من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده » (أع ٢ : ٢٢) . وترى هنا استمراراً لآياته الفائقة لأنه جرت على أيدى الرسل آيات وعجائب كثيرة فى الشعب » ، والمرادفات الثلاثة تعبر عن مظاهر مختلفة لنفس الحقائق .

- معجزات – القوة الظاهرة فى العمل .

- عجائب – أعجوبة العمل كفأل حسن أو نذر بالويل.

- آيات – طبيعته كدليل أو علامة على شئ آخر خلاف العمل نفسه.

إن الأعمال الفائقة التى أجراها الرسل جعلت الناس يدركون أنه لأمر خطير أن تكون جزءاً من تلك الكنيسة التى أنشأها الروح القدس كلى القوة . ولهذا السبب نقرأ أن عدداً كبيراً من الناس لم يجسروا أن يلتصقوا بالتلاميذ ، حتى وإن كانوا يعظمونهم والتأثير الصحى لمعجزاتهم نراه فى خوف الناس من الانضمام للجماعة الجديدة ، فقد أحجم غير المؤمنين عن الانضمام للكنيسة ومن أن يظهروا بمظهر زائف فيصيبهم ما أصاب حنانيا وسفيرة . وكلمة « يلتصق» ، تعنى وحدة مفروضة وغير طبيعية أو غير متوقعة ، ويتضح معناها فى ١ كو ٦ : ١٦ . وبرغم المأساة التى لحقت بالكنيسة ، فقد امتد العمل واستمر فيض البركة لأن جماهير أكثر انضمت ليس للكنيسة فقط بل للرب (٥ : ١٤) . والعقاب الفورى لإخماد الشر الذى بدأ يطل برأسه فى الكنيسة تسبب فى حدوث النهضة .

كان رواق سليمان ، المكان الذى شهد معجزات الرسل رواقاً كبيراً فى أحد مبانى الهيكل . وقد ذُكر ثلاث مرات فى العهد الجديد ، فقد أعلن فيه يسوع الضمان الأبدى لتابعيه (يو ١٠ : ٢٢ – ٢٨) ، وفيه ألقى أول عظة فى الإنجيل بعد يوم الخمسين لشرح أول معجزة فى العصر الجديد (٣ : ١١) ، وكان هناك

مكان التجمع المعتاد للمؤمنين ومكان تجمع المحتاجين . يا له من منظر حين كـان الناس يحـملون المرضى خـارجـاً فى الشـوارع ويضعونهم على فرش وأسرّة حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو بظله على أحد منهم فيشفى !.

واستعمال الفعل فى الاستمرار يقصد به لوقا أن المرضى كانوا يوضعون فى الشوارع لعدة أيام وأسابيع ، وكان ينجح التلاميذ فى شفاء المرضى وإخراج الأرواح النجسة تماماً كما لو كان المسيح معهم فى الأيام السالفة (مت ١٧ : ١٤ - ٢١ ، مر ٩ : ١٨ و ١٩ ، لو ٩ : ٤٠ و ٤١) . وعن طريق إيمانهم المتزايد ، كان المسيح أقرب للرسل مما كان عندما كان حاضراً معهم بالجسد . ثم يجب أن نلاحظ أن المرضى كانوا يبرأون جميعهم .

إن مدعى الشفاء بالإيمان العصريين يمارسون عملية اختيارية قبل القيام بجلسات شفائهم ويختارون أولئك الذين لا يشكون من أمراض عضوية بل المرضى بأمراض عصبية فقط ، وهم من يستطيعون السيطرة عليهم .

فيما يتعلق بظل بطرس ، ليس هناك شئ يوحى بأى تعارض مع نواميس المعجزات . فقد كان بمقدور المسيح أن يشفى مباشرة دون أى لمس للمريض أو عن طريق وسائط مادية ، مثل هدب ثوبه أو الطين . وظل بطرس كـان يؤدى نفس الغـرض الذى تؤديه «المناديل والمآزر المأخوذة عن جسد بولس أو ما يمكن للزيت أن يؤديه ». إن الوسيلة المستخدمة كان لها قوة شافية تتحد بها صلاة الإيمان ، نقرأ أبداً عن أى مريض أحضر إلى الشوارع حتى يخيم عليه ظل يسوع . مبارك الرب ، فهو دائماً طيب وعند وعده ، وفوق ما نطلب أو نفتكر.

٩ - معجزة فتح أبواب السجن

(٥ : ١٧ - ٤٢)

علم الرسل معنى« التقدم برغم العاصفة »، فبعد عاصفة السنهدريم ، كـان هناك تقدم (٤ : ١٣ - ٣٧) ، ثم حدثت عاصفة أخرى بارتداد وموت حنانيا وسفيرة أعقبه تقدم آخر (٥ : ١ - ١٦) . ثم نأتى الآن إلى عاصفة ثالثة من المعارضة من قِبل السلطات اليهودية نتيجة لمعجزات الشفاء الواسعة الانتشار على يد الرسل ، وهذه المعارضة تتيح تقدماً آخر (٥ : ٤٠ - ٤٢) .

لما كان الصدوقيون ، فئة الماديين القدامى بين اليهود ، غيورين من تزايد شعبية الرسل ، فإنهم وضعوا الرسل فى حبس العامة . ولكن القضبان والمتاريس ليست شيئاً بالنسبة لمن دحرج الحجر من على القبر وأقام يسوع من الأموات ، «ولكن ملاك الرب فى الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم وقال اذهبوا قفوا وكلموا الشعب فى الهيكل بجميع كلام هذه الحياة» ، ولم تكن مهمة الملاك أن يبشر لأن كنز الله فى أوان خزفية (٢ كو ٤ : ٧). ولما أقبل الصبح وجدت أبواب السجن مغلقة ولكن المساجين ذهبوا ، وفيما بعد ، كما سنرى ، فتحت أبواب السجن بصورة خارقة ، ولكن المساجين الأتقياء كانوا داخل السجن (أع ١٢ : ٢٨) . إن هؤلاء الرجال لم ينقذوا من يد الزمرة الشريرة التى كانوا فى موضع الاتهام أمامها .

أولئك الذين يرفضون أى تدخل معجزى لصالح الأتقياء يؤكدون أن « الملاك » الذى يشير إليه كان تلميذاً غيوراً وشجاعاً ، وأن الرسول فى ظلام الليل وإثارة إطلاق سراحه ، نسب لنجاته لتدخل ملاك . ولكن مجرد تلميذ ما كان ليأمر الرسل بالذهاب إلى الهيكل وإعلان رسالة الحياة ذات السلطان . لم يكن مجمع اليهود يشك فى حدوث معجزة سمحت بهروب المساجين ، وكان هذا الإنقاذ علامة ذات تأثير على القرار التالى لذلك المجمع وعلى شجاعة الرسولين .

بعد أن أطلق المجمع الرسل أوصوهم ألا يعلّموا باسم المسيح، كان هؤلاء الكهنة يشعرون بوخز الضمير بسبب جريمة صلبه . ومع ذلك فقد أعلن الرسل أن الله يجب أن يطاع وواصلوا خدمتهم بكل همة ونشاط لمجد المسيح فى تحد مقدس لتلك الوصية. لقد شعروا بفخر لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه العزيز ، وبالرغم من كل معارضة واجهوها لم يكفوا عن التعليم والتبشير بيسوع المسيح فى بيت الله وفى بيوت الناس ، وتكاثر عدد التلاميذ (٦ : ١) .

١٠ - معجزات استفانوس

(٦ : ١ - ١٥)

كانت مسيرة الكنيسة تلتقي باستمرار تارة بالمعارضة من الذين هم من خارج وتارة أخرى تثار صعوبات من داخل نطاق الكنيسة ، ولكن بالرغم من كل شئ « كانت كلمة الله تنمو » ، لقد شكا التلاميذ الذين كانوا يهوداً يتحدثون اليونانية (تمييزاً لهم عن العبرانيين ، الذين كانوا من سكان الأرض المقدسة) من التفرقة الظالمة التى كانت تمارس ضد أرامل الأجانب فى توزيع صدقات الكنيسة ، فتم اختيار سبعة رجال مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة للقيام بهذا العمل . وكان السبعة المختارون ، كما تدل أسماؤهم ، من أصل يونانى أو ينتسبون لأصل يونانى ، مما يدل على الحكمة والنعمة التى أرشدت التلاميذ لهذا الاختيار .

ومن بين السبعة كان استفانوس ، رجلاً مملوأ من الإيمان والروح القدس . وكان يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب . والكتاب المقدس لا يذكر نوع وعدد معجزات استفانوس . ولكن ما نعلمه أنه نتيجة لتلك المعجزات حدث هياج من الشعب مصدره الشيطان وقُبض على استفانوس بتهمة التجديف ، وجاءوا بشهود زور للشهادة ضد استفانوس الذى عندما جلس أمام المجمع كان وجهه يلمع بمجد ملائكى ، فهذا المتهم زوراً كان فى شركة مقدسة مع ربه فلم يستطع أى شئ أن يزعج سلامه الداخلى، وبالتالى فقد كان وجهه كوجه موسى من قبل ، يلمع ببريق المجد السماوى (خر ٣٤ : ٣٩).

يا له من أصحاح مثير! فالمتهم أصبح فجأة هو الذى يوجه الاتهام ، السجين وراء القضبان ظهر كالقاضى الصارم . وقرأ استفانوس من العهد القديم قائمة اتهام مطولة وهائلة للأمة اليهودية، وإذ غضب قادة اليهود نتيجة لهذه الشهادة التى تدينهم فقد صروا بأسنانهم عليه وأدرك استفانوس أنه لم يتبق له سوى أن يختم شهادته بدمه ، ويكسب شرف أن يكون هابيل العصر المسيحى .

كل ما يتعلق بالموت القاسى لاستفانوس كان معجزياً ، فقد كان يشخص إلى السماء ، ورأى السموات مفتوحة تمد يدها عبر الحدود لترحب به . وربنا بعد صعوده يصوَّر دائماً بأنه جالس (عب ١ : ٣ ، ١٠ : ١٢ ، أف ١ : ٢٠ و ٢١ ، كو ٣ : ١) . ولكن هنا نراه واقفاً ! هل يعنى هذا أنه من باب التكريم لاستفانوس الذى كان أميناً حتى الموت ، وقف يسوع ليرحب بأول شهيد له فى السماء ؟ وأثناء رجمه حتى الموت لم يظهر أى شكل من أشكال التذمر تجاه قاتليه المحتقرين ، وصلَّى للمسيح ليقبل روحه ، وبذلك فهو يقلد سيده عندما مات (لو ٢٣ : ٤١) وبموته فقد رقد . ألا تقدم لنا هذه صورة مشجعة عن استقبال المسيح لنا عندما نترك الصراع هنا على الأرض ونذهب للسماء ؟

إن موت استفانوس بانتصار لم يكن عبثاً، لأن شاباً شهد موته وسمع صرخته وهو يطلب الصفح لقاتليه، وعلى الرغم من أن وجه استفانوس الملائكى المخضب بالدماء قد زاد من حدة كراهية الشاب شاول للمسيح إلا أن هذا المنظر الذى لا ينسى قد ترك بصمات لا يمحوها الزمن على نفس شاول . إن رسالة موت استفانوس كان لها أثر عميق على نفس شاول، وقد مهدت الطريق لرؤية دمشق . إن استشهاد استفانوس كان الثمن الذى دفع لشراء نفس شاول ، ويا له من تذكار عجيب لعمل النعمة !

١١ - معجزات فيلبس

(٨ : ٥ - ٨ و ١٣)

كان شاول يسطو على الكنيسة غاضباً حيث أنه « اضطهد هذا الطريق حتى الموت» (٢٢ : ٤) وحيث أن المسيح هو«الطريق» ، فقد كان اضطهاده منصباً بالفعل عليه كما سنرى عندما نأتى لتجديده المعجزى. كانت تلك الأيام سوداء بالنسبة للكنيسة الوليدة ، ومع ذلك فيد الله القوية كانت ترى بوضوح لأنه فى حين أن القديسين قد تشتتوا إلا أن عددهم كان يتزايد . وهكذا فإن فيلبس ، أحد الشمامسة المختارين حديثاً ، انحدر إلى السامرة متمماً دوره فى طاعة الأمر الإلهى (١ : ٨) «فى السامرة» ، وهناك استخدم الله خادمه بقوة عجيبة . وكان الناس يصغون بنفس واحدة إلى ما يقوله فيلبس عندما كان يبشر بأخبار الكلمة السارة .

كانت تصحبه أيضاً قوة من فوق لأنه أجرى معجزات ، وتم إنقاذ كثيرين من الذين بهم أرواح نجسة ، وشفاء المفلوجين والعرج . وتجدد سيمون الساحر نتيجة للمعجزات والآيات التى أجراها فيلبس . ويلاحظ أن كثيراً من السامريين « قد آمنوا بدون أى آية سوى شخص الرب يسوع وتعليمه . لم تكن المعجزات هى الأساس ، بل لتقوية إيمانهم ، وربما أيضاً لتقويم التأثيرات المعادية لسيمون الساحر » ، الذى أدهش شعب السامرة .

ولما علم الرسل فى أورشليم بالنهضة العظيمة فى السامرة ، ذهبوا إليها وصلوا لأجل المؤمنين هناك ليقبلوا الروح القدس وينالوا منه هبة القوة التى أعطيت للرسل فى يوم الخمسين . لقد وضعت الأيدى على أولئك المؤمنين المعمدين ، وهو عمل يرمز لقناة اتصال فورية للمواهب الروحية والمناصب الكنسية، كما نرى فى رسامة الشمامسة السبعة (٦ : ٦) .

قبل أن نترك فيلبس، هناك دليل آخر على العنصر المعجزى فى خدمته يجب أن نلفت إليه الانتباه . عندما رجع بطرس ويوحنا إلى أورشليم ، وهب فيلبس نفسه من جديد للقيام بعمله العظيم ، ويوماً ما زاره ملاك الرب الذى أمره أن يترك النهضة فى المدينة ويذهب إلى منطقة صحراوية على بعد ٣٠ ميلاً ليكلم إنساناً عن نعمة المسيح المخلِّصة . وبناء على الإرشاد الإلهى ، ذهب فيلبس إلى الصحراء وقدم الحق لأول ملوَّن فى أفريقيا ، وإذا صحت الرواية ، فإن الحبشى عاد لبلده ، ولم يقتد الملكة كنداكة إلى المسيح فقط بل أصبح أسقفاً لأول كنيسة مسيحية فى أفريقيا . يا لها من معجزة من معجزات النعمة !.

والعبارة التى نجدها محيرة إلى حد ما هى « أما فيلبس فوجد فى أشدود » ، (٨ : ٤٠) . فهل تم نقل البشير بمعجزة ، وتم ذلك فجأة ، من مكان إلى آخر ، كما حدث مع إيليا حين انتقل فجأة من مكان إلى آخر بسرعة (١ مل ١٨ : ١٢) . فحيث أن المسافات لا تمثل عائقاً بالنسبة لله ، فهو يستطيع أن ينقل الأشياء أو الأشخاص فى الحال من مكان إلى آخر حسبما يريد (يو ٦ : ٢١) ، كما سوف تحدث المعجزة العظيمة حين يخطف القديسون فجأة من الأرض إلى السماء .

١٢ - معجزات عقاب سيمون الساحر

(٨ : ٩ - ٢٤)

مع أن فيلبس كاستفانوس ، لم يكن رسولاً إلا أن آيات الرسول قد جرت على يديه . وبينما كان فيلبس يبشر بالإنجيل ويجرى معجزات كثيرة فى السامرة (نفس المدينة التى اضطر يسوع أن يجتاز فيها ليقدم الخلاص طوعاً لامرأة ساقطة وتعيسة هنــــاك (يو ٤) ، بدا أن أحد سكان المدينة المشهورين قد تأثر كثيراً برسالة فيلبس ومعجزاته . كان رجلاً اسمه سيمون . وفى حين أن الكتاب المقدس لا يطلق عليه كلمة ساحر ، إلا أن هذا الوصف المعتاد ، والذى اشتقت منه كلمة « سحر » يدل على حرفته ألا وهى السحر أو الشعوذة . ويظهر سيمون كطبقة كانت شائعة كثيراً فى ذلك الوقت ، ألا وهى عينة من اليهود الذين يحترفون الاتجار بالكرامة والهيبة المخلوعة على جنسهـــــم ، ويستغلون سذاجة الوثنيين ، زاعمين أنهم يمتلكون قوى خارقة عن طريق ممارسة السحر والتعاويذ .

يشار لسيمون بطرق مختلفة . فقد استخدم أولاً سحره وأدهش أهل السامرة ، وكلمة « سحر » ترد هنا فقط فى العهد الجديد وهى تدل على إنسان يستغل سلامة نية الناس عن طريق الشعوذة والدجل والعرافة أو كان يلقى القرعة لأغراض التنجيم . وكان ينيس ويمبريس من نفس هذه النوعية (٢ تى ٣ : ٨) . وهناك عينات أسطورية من سحر سيمون سوف نلقى عليها الضوء فى ختام هذه الدراسة . فبسبب سحره « أدهش » سيمون الشعب ، وهذا يعنى حرفياً أنه جعلهم فى حالة من الذهول والسبات .

أعلن الشعب الذى أصابه الذهول أن سيمون «شئ عظيم» وأنه «قوة الله العظيمة» ، وكانت هذه الألقاب تعكس افتخاره واعتزازه بنفسه . لقد اعتبروه تجسيداً لقوة الله ، أسمى قوة ، ولذلك لقب بأنه شئ «عظيم» ، كان يقلِّد« قوة الله» (لو ٢٢ : ٦٩). تقول الروايات إن الجماهير قبلوه «كقوة الله العظيمة »، وكانوا يسجدون فى رهبة أمامه ويقبلون ثيابه. يتحدث عنه جوستن مارتر بأنه زار روما حيث تم تكريمه لحيله السحرية بعمل تمثال له يحمل نقوشاً

مثل :

«إلى سيمون الإله القدوس »، ويذكر جوستن مارتر أيضاً «أن كل السامريين تقريباً ، وبعض الأمم الأخرى كانت تسجد له كإله» .

ويخبرنا لوقا أن السامريين و«من الصغير إلى الكبير» يتبعون هذا المشعوذ الذي كانوا يكنون له تقديراً كبيراً ، ويبدو هذا الساحر المشهور كأقدم نمط لأولئك الذين سوف يأتون بآيات كاذبة وعجائب لتضل المختارين إن أمكن (مت ٢٤ : ٢٤ ، ٢ تس ٢ : ٩) .

وكان من الطبيعي بالنسبة لشخص يفترض بأنه يصنع آيات كسيمون أن يخضع لتأثير المعجزات الإلهية التي أجراها فيلبس . في الحقيقة كان تأثير تبشير فيلبس ومعجزاته عظيماً - فقد كانت معجزات أعظم من أي شئ مارسه هو - على سيمون لدرجة أنه آمن واعتمد .

هل كان سيمون مؤمناً حقيقياً ؟ حقيقة أن بطرس أخبره أنه لا يزال في «مرارة المر ورباط الظلم» ، يوحي بأن سيمون لم يكن قد تجدد حقاً ، وأن إيمانه لم يكن سوى اقتناع فكري . لقد رأى في فيلبس قوة أعظم بكثير من قوته ، وأن هذه القوة التي كانت لفيلبس والمختلفة عن قوته « أذهلته » ، فبعد أن أدهش الناس بحيله ، «اندهش» و«تعجب» هو، وهي نفس الكلمة المستخدمة للدليل على تأثير فنونه من معجزات وآيات فيلبس واستسلم لما هو أقوى منه . وهكذا إذ وجد نفسه في حضرة قوة تفوقه ، قبل سيمون رسالة فيلبس وآمن . ومع ذلك فقد كان إيمانه يستند على معجزات خارجية ، والفرق بين هذا السامري والسامريين الذين آمنوا كانت بالنسبة للأخيرين أن المعجزات كان هدفها فقط تثبيت الإيمان الذي كان يستند على الكلمة النبوية التي قالها ابن الإنسان (يو ٤ : ٤٢)، أما سيمون فقد بهرته الأدلة التي كانت تستند على الاقتناع العقلي فقط .

بعد معمودية سيمون اصطحب فيلبس واعتبر تلميذاً جديداً ، ولكن سرعان ما اكتشف الرياء القلبي ووجد أنه بالرغم من ادعائه التجديد والنعمة فقد كان لا يزال كما كان في حالته الطبيعية دون تغيير . وكما كان يهوذا بين الرسل هكذا كان سيمون الساحر بين المتجددين على يد فيلبس . وقد جاء افتضاح سيمون نتيجة لزيارة بطرس ويوحنا إلى السامرة . فبعد أن سمع الرسولان بما جرى على يد فيلبس من عمل عظيم جاء الرسولان ليصليا للسامريين حتى يشتركوا في عطية يوم الخمسين ويقبلوا بوضع الأيدي مواهب الروح القدس .

وفي حين أن سيمون كان في حالة من الشك عند قبوله الإيمان المسيحي ، إلا أنه توقف عن ممارسة فنون السحر ، ومع ذلك فرغبته في الكسب وحبه لمدح الناس لم يمت ... لقد فتحت موهبة الروح القوي المعطاة للسامريين آفاقاً للمجد الذاتي أمام سيمون ، وهكذا عرض أن يشتري من بطرس السلطان بأن يمنح الروح القدس للناس « قدم لهما دراهم » ، فوبخ بطرس في الحال سيمون لطلبه الجرئ والشرير بلهجة صارمة جعلته يتوسل لبطرس حتى لا يحل به العقاب الذي هدده به بسبب خطيته وإثمه ، أدرك بطرس أن سيمون أراد مواهب الروح القدس ، لا ليمجد الله أو لفائدة القديسين بل لفائدته الشخصية وذيوع صيته .

عندما قال بطرس ،« لتكن فضتك معك للهلاك» ، كان يعني حرفياً « أن نقودك معك للهلاك» ، والكلمة الأخيرة مرادفة ، «لابن الهلاك» (يو ١٧ : ١٢ ، عب ١٠ : ٣٩) ، ولا يمكن لهذا التعبير أن يصف شخصاً مولوداً ثانية بحق .« ليس لك نصيب ولا قرعة في هذا الأمر لأن قلبك ليس مستقيماً أمام الله» ، فبسبب دوافع وأغراض أخرى ، لا يمكن لسيمون أن يكون له نصيب في المواهب الروحية ولا المناصب الروحية في الكنيسة ، فالسلطان الممنوح للرسل أو التلاميذ الحقيقيين ليست شيئاً يباع ويشترى . وتدليلاً على مقدار فظاعة خطية سيمون نراها في أن جريمة بيع وشراء المناصب الروحية بالمال يطلق عليها - «السيمونية» .

دعا بطرس سيمون ليتوب عن شره لأن كلمات الرسول القاسية كان القصد منها أن تُخلّص لا أن تُهلك . إن باب الرحمة كان مفتوحاً لذلك المغامر الذي كان يتاجر بسرعة تصديق الخرافات ، حتى يتوب عن خطيته التي كانت أقرب ما يكون لخطية التجديف على الروح القدس التي «لن تغفر للناس» (مت ١٢ : ٣١) . لقد

على الروح القدس التى «لن تغفر للناس» (مت ١٢ : ٣١) . لقد علم بطرس أن الله وحده ، وليس هو ، يمكنه أن يغفر ذنب سيمون . وعندما أخبر الرسول سيمون أنه «فى مرارة المر ورباط الظلم » فقد استخدم أنسب التعبيرات . « فى مرارة » تعنى « إنك سقطت فيها (المرارة) ولازلت » ، والكلمة « مرارة » مستخدمة فقط هنا وفى مت ٢٧ : ٣٤ . و« مرارة المر » هى العداوة المريرة ضد الإنجيل ، أما عن «رباط الظلم» فهذه العبارة تعنى أن شر سيمون قد قيده كما لو بسلاسل حديدية من قيود عادة لا يستطيع الفكاك منها . وكلمة « رباط » تدل على رباط متين وثيق ، وهى مستخدمة للحديث عن رباط السلام المسيحى (أف ٤ : ٣) ، والرباط الوثيق الذى يربط الكنيسة بالمسيح (كو ٢ : ١٩) والمحبة كرباط للكمال (كو ٣ : ١٤ ، انظر إش ٥٨ : ٦) .

وفى توسله لطلب صلاة بطرس فقد ارتكب سيمون خطأ آخر لأنه لم يطلب النجاة من قيود الاثم التى كانت تكبله وقتها بل للنجاة فقط من الرعب المجهول الذى سيصحب عقابه المستقبلى على خطيته ، ثم أن سيمون « لم يتجه كما قال له بطرس ، للرب الذى كان على استعداد للصفح عنه بل التجأ لوسيط بشرى ، إن بطرس لا يجب أن يصلى لمن ليس لديه إيمان ليصلى لأجل نفسه »، وسواء تاب سيمون حقاً وأصبح تلميذاً مخلصاً أم لا فهذا ما لا نعرفه . عند هذه النقطة يختفى سيمون من الكتاب المقدس .. ربما فضّل الروح الذى أوصى بالكتاب المقدس أن يترك موقف سيمون أمام الله فى غموض متعمد حتى يتجنب الذين يدعون أنهم مسيحيون الطريق الشائن الذى سلكه (مت ٥ : ١٣ ، ١٢ : ٣١ و٣٢ ، كو ١ : ٢٣، ٢بط ٢ : ٢٠و ٢١).

تقول التقاليد المتأخرة لتاريخ سيمون إن سيمون كالخنزيرة قد عاد لمراغة الحمأة وأصبح « بطل الرومانسية والهرطقة ». لدى ابريناوس الكثير ليقوله عن سيمون ، فقال إن سيمون الساحر هو مبدع « الغنوسية » وإن أتباعه أصبح يطلق عليهم « الغنوسيون» وهى كلمة يونانية تعنى «معرفة» استناداً إلى معرفة الله السامية التى يدعون العلم بها . وكان أتباع سيمون يطلق عليهم أيضاً لفظ « السيمونيانيون » وهى طائفة دينية تؤمن بالوثنية واليهودية والصوفية معاً . وإحدى هذه الروايات تؤكد أن سيمون لقى حتفه فى روما بعد مقابلة مع الرسول بطرس . وخلال هذه المقابلة الأخيرة مع بطرس ، رفع سيمون نفسه فى الهواء بمساعدة الأرواح الشريرة واستجابة لصلاة بطرس وبولس وقع على الأرض وقتل . وقبل ذلك كان سيمون قد أمر تلاميذه بدفنه فى قبر وهو يعدهم أنه سوف يقوم فى اليوم الثالث ، وقد استجابوا لرغبته ولكن لم تكن هناك قيامة .

إن السحرة من بين الذين « سيطرحون فى بحيرة النار» (رؤ ٢١ : ٨ ، ٢٢ : ١٥).

١٣ - معجزة تجديد شاول

(٩ : ١ - ٢٢)

إن سفر أعمال الرسل الذى هو دليل الخلاص ، لا يحتوى على دليل عن نعمة الله المخلّصة أعظم من شاول الطرسوسى مضطهد الكنيسة والذى أصبح أشهر الرسل فيها.فى حين كان فيلبس نشيطاً فى نهضته فى السامرة ، وهو يبنى الكنيسة، كان شاول نشيطاً فى عزمه على تدمير الكنيسة . وكان يفخر بانتمائه لسبط بنيامين (فى ٣ : ٥) ، وكان يحمل اسم بطله الملك العظيم ، ونحن نراه فى مقدمة هذا الأصحاح يمثل سمة مميزة للسبط « فى الصباح يأكل غنيمة وعند المساء يقسم نهباً » (تك ٤٩ : ٢٧). كوّن شاول تحالفاً مع رئيس الكهنة أن يقضى على كل تلاميذ الرب الذين يجدهم . وبالرغم من أن شاول كان يهدد بقتل المسيحيين ، إلا أنه أنقذ عن طريق العناية الإلهية من سفك الدم البرئ ، فبينما كان فى رحلته المخططة لتدمير أولئك الذين يتبعون المسيح « كالطريق» ، اقترب شاول من دمشق ، واحدة من أقدم مدن العالم. وعندما اقترب من المدينة تلألأ جمالها الشهير «فى عينى المضطهد المتعصب»، ولكن مشهداً أبهر جمالاً أشرق فى عينى شاول الداخلية .

إن أول ذكر للشاب شاول كان عند رجم استفانوس ، حيث مات ميتة همجية وافق عليها شاول (أع ٢٢ : ٢٠).وقد كان فى طريقه لقتل المزيد من المؤمنين . وتجدد شاول بمعجزة كانت أهم حدث فى حياة شاول نريد أن نركز عليها فى هذه الدراسة . وتاريخ شاول

بإيجاز كما ذكره هو بنفسه كما يأتى : كان يهودياً من طرسوس ، مدينة فى كيليكيا ، وكان مواطناً رومانياً حراً ، فريسياً وابن فريسى ، عبرانياً من العبرانيين ، وقد تربى على يدى غمالائيل ، وتعلم وفقاً لناموس آبائه بالتمام ، ملماً لا بالأدب اليهودى فقط بل بالأدب اليونانى أيضاً ، وعضواً من أعضاء السنهدريم ، وكانت له أخت متزوجة فى أورشليم ، وكان مضطهداً ، ومجدفاً ومفترياً ، وقد تجدد بمعجزة وفرز رسولاً من قبل الرب الذى لقّنه التعليمات ، وغيّر اسمه إلى بولس ، وجعله إناءً مختاراً ليحمل اسمه أمام اليهود ولكن بنوع خاص أمام الأمم ، وقد نال الكثير من المواهب الروحية كموهبة النبوة والرؤى والإعلانات وهى علامات الرسول ، والقوة لإجراء المعجزات ، وممارسة وضع الضوابط الكنسية ، وقاسى كل أنواع المصاعب واجتاز فى كل الأخطار. وهكذا تميز شاول دوناً عن باقى الرسل بأنه الإنسان المتعلم والمثقف ، وظل يعمل طوال ثلاثين سنة حتى - حسبما يعتقد- قطع رأسه بأمر نيرون فى روما حوالى ٦٠م.

ولكن حيث أن تجديد بولس كان أهم شئ فى حياته دعنا نستجمع العناصر المعجزية فى هذا التجديد . إن رسالة واستشهاد استفانوس تركا أثراً لا شعورياً على ذهن شاول .وعلى الرغم من أنه بعد الموت القاسى الذى شهده أصبح عدواً عنيداً للمسيح وتابعيه ، إلا أن النضال ضد طريق المسيح كان فى عقله الباطن ، فقد كان هناك بركان على وشك الانفجار ، وقد انفجر هذا البركان بالفعل .

إننا لا نؤيد بالطبع أولئك الذين يحاولون أن يفسروا العنصر المعجزى فى تجديد شاول على أسس طبيعية بقولهم إنه « نوبة صرع وأنه لقى ضربة شمس ، وأنه وقع من حصانه على الأرض ، وأنه رأى حلماً مفزعاً ، وأنه فقد بصره نتيجة لوميض البرق ، وأنه تخيل رؤية يسوع نتيجة للحالة العصبية التى كان عليها ، وأنه نبذ اليهودية عامداً بسبب اقتناعه المتزايد أن التلاميذ كانوا على صواب » ، فمثل هذا التحيز ضد العنصر المعجزى يبدو مهتزاً بلا أساس فى مقابل الروايات الحقيقية لهذا التجديد الشهير الذى يقدمه المؤرخ المدقق لوقا .

هناك ثلاث قصص لما حدث فى ذلك الطريق إلى دمشق ، القصة الأولى يسردها لوقا فى أصحاح ٩ وتحتوى على السرد الشخصى للمؤرخ لما حدث ، وهناك رواية بولس لأحداث تجديده أمام السنهدريم (٢٢ : ٦ - ١١) ، وتكرار نفس الحدث أمام أغريباس (٢٦ : ١٣ - ١٨) . وفى حين أنه توجد فروق طفيفة فى هذه الروايات ، إلا أنها تكمل بعضها البعض بصورة طبيعية ويجب أن تدرس معاً . والشهادة الموحدة التى تقدمها أن الله قادر أن يجعل غضب الإنسان يتحول إلى مديح وشكر لشخصه .

أول جانب معجزى فى التغيير الإلهى لحياته كان الوهج المفاجئ للنور السماوى الذى أضاء حوله مثل « لمعان الشمس »(٢٦ :١٣). لم يكن هذا عاصفة رعدية كما يقول بعض النقاد . ولو كان الحال هكذا لكان الظلام التدريجى والسحب القاتمة الاسطوانية الشكل قد هيأت المسافر لوميض البرق » ولكن ما اختبره بولس كان إعلاناً معجزياً مفاجئاً . وبالإضافة لذلك كان هناك لمعان شمس الظهيرة فى ذلك المناخ الشرقى مما جعل بولس مع رفاقه يسقطون على الأرض مبهورين فاقدى القوة وبلا قدرة على الكلام (٩ : ٧ ، ٢٦ : ١٤). هل كان ذلك هو ضياء المجد الساطع لذلك الشخص الذى ظهر لبولس ؟ فى جميع الظهورات اللاهوتية المدونة فى العهد القديم - لهيب النار فى حوريب ، وعمود النار فى البرية وقدس الأقداس ، كان الضوء هو الرمز الرائع المختار للقصد الرهيب والأنسب لمن هو ساكن فى نور لا يدنى منه .

ثم سمع صوت يسوع المهيب يقول: « شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟ » ، وبعد تأثر شاول البالغ بالرهبة العميقة لرمز الحضور الإلهى لقدوس إسرائيل ، فإنه يسمع الآن صوت ذاك الذى تهتز أمامه أساسات الأرض ، أنا يسوع الذى أنت تضطهده ، صعب عليك أن ترفس مناخس ». تقول إحدى الروايات إن المسافرين مع بولس وقفوا صامتين ، «يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً » ، وتقول رواية أخرى إنهم لم « يسمعوا الصوت الذى كلمنى» (٩ : ٧ ، ٢٢ : ٩) كلا العبارتين صحيحتان . لقد سمعوا الصوت ولكنهم لم يسمعوا الألفاظ الواضحة التى وصلت لقلب بولس ، إنهم سمعوا صوتاً ولم يسمعوا الكلمات المنطوقة ، سمعوا صوتاً ولكنهم

لم يفهموا معناه . لقد رأى إسرائيل ابنى يوسف ومع ذلك فقد قيل:«وأما عينا يوسف فكانتا قد ثقلتا من الشيخوخة لا يقدر أن يبصر» ، أى أنه استطاع أن يرى ولكن ليس بوضوح ، لم يستطع تبين الملامح إلا إذا اقتربا (تك ٤٨ : ٨ و١٠، انظر أيضاً يو ١٢ : ٢٨ و ٢٩) ، وتعليق هابرش على هذا الجانب من تجديد شاول مناسب فى هذا المقام :

«إن أسرار الصوت عظيمة كالضوء تماماً ، وهناك حوادث عديدة فى الكتاب المقدس ترينا أن الله لا يضع فقط قوانين ثابتة ، ولكنه يستغل الصوت كما يريد .. فالله لا يجعل البشر يسمعون أصواتاً بمعجزة فقط ، ولكنه يستطيع أيضاً ترتيبها حتى لا يسمعها سوى أولئك المعنيين بسماعها . وفى الطريق إلى دمشق ، سمع شاول وحده صوت الرب يسوع ، على الرغم من أنه فى إحدى الروايات نقرأ أن المسافرين مع بولس سمعوا الصوت ، وفى الرواية الأخرى نقرأ إنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى ، لقد سمعوا صوتاً ولكنهم لم يفهموه» .

بالإضافة لذلك ، فلا حاجة بنا لنؤكد أن هذه ليست رؤية بل ظهور حقيقى من يسوع لبولس ، كما أوضح هو نفسه فى بيانه العظيم عن القيامة ، و« آخر الكل ظهر لى أنا أيضاً»، وبينما كان بولس يشير للرؤى المتعاقبة والاختبارات المثيرة (١كو ١٤:١-١٩ ، ٢كو ١٢: ١- ١١ ، غل ٤ : ١٣ و١٤). فقد أوضح أن ما اختبره فى تلك الظهيرة لم يكن رؤية بل ظهوراً حقيقياً مرئياً ليسوع . صحيح أنه يشير لاختباره باعتباره الرؤيا السماوية (٢٦ : ١٩) ولكنه يؤكد بصورة قاطعة أنه قد رأى الرب (١ كو ٩ : ١ ، ١٥ : ٨) .كان بولس قد استمع لكلمات استفانوس وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، أرى السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله ، والآن فالمضطهد نفسه يراه ويختبر القوة المغيرة للرؤيا الشخصية للمسيح .

إن سؤال بولس من أنت ؟ كان الرد عليه: « أنا يسوع الذى أنت تضطهده» ، فى لحظة أدرك المضطهد أن كراهيته الدفينة ليست ضد المسيحيين الذين لا حول لهم ولا قوة ولكنها ضد المسيح الذى يخدمونه . لقد قصد المسيح أن يعبر عن تعاطفه مع آلام شعبه وأحزانهم ويعلن أنه على الرغم من أنه فى السماء ، فهو يدعم تلك الرابطة القوية التى لا تنفصم عراها بينه وبين الكنيسة الصامدة على الأرض ، وهذه الوحدة وحدها تعطى للكنيسة القوة والحيوية والحياة التى تحتاجها . فالمسيح وكنيسته كل لا يتجزأ (يو ١٧ ، مت ١٠ : ٤٠). وكل ضربة موجهة لأضعف عضو فى جسد المسيح تصل للرأس الحى ، وكل خطأ إلى الإخوة الصغار المؤمنين به خطأ إلى المسيح نفسه (١ كو ٨ : ١٢ ، أف ٥ : ٣٠ ، مر ٩ : ٤١) ، ثم ذكّر بولس أنه من الصعب عليه أن يرفس مناخس بمعنى أن مقاومة قوة أسمى بما لا يقاس من قوته تجربة فاشلة وخطرة ، « فالمنخس يؤلم بشدة أكثر كلما قاومه الثور ».

هذه « المناخس » ، التى كان بولس «يرفسها» ، كانت لجديد صديقه ورفيق صباه برنابا (٤ : ٣٦) ،والنصيحة التحذيرية لغمالائيل الذى تعلم بولس على يديه (٥ : ٣٤ - ٣٩) ، والوجه الملائكى لاستفانوس وصلاته عند موته (٦ : ١٥ ، ٧ : ٦٠) ، والمشهد اليومى لأولئك الذين كانوا على استعداد للذهاب إلى السجن بل وحتى الموت على أن يتبرأوا من الرب الذى أحبوه ، كانت هناك مقاومة عنيدة للنور والمعرفة ، ولكن سرعان ما سقطت من يديه الأغلال وحصل على غفران مجانى حتى وإن كان لا يستحقه (١ تى ١ : ١٢ و ١٣) .

لازال هناك عنصر معجزى آخر للتأمل ، ألا وهو ، العمى الذى أصاب بولس « لا يبصر أحداً ». ظل بولس لمدة ثلاثة أيام وليال فى حالة العمى هذه ،وعند انقضاء تلك المدة وقع من عينيه شئ كأنه قشور » ،كما رقد يسوع ثلاثة أيام فى ظلمة القبر ، فقد بولس بصره ثلاثة أيام ليتعلم المعنى الكامل للموت نفسه والناموس وكل ما كان يؤمن به . وفى فترة العزلة هذه ، انقطعت صلته بالعالم المنظور ، وتوقف تعامله مع الناس ، وأصبح يعتمد على الآخرين لاقتياده . ومثل هذه الحالة من العمى لم تكن فقط نتيجة طبيعية لرؤيا المجد الإلهى ولكنها كانت مرتبة من قبل الله ، ولا شك أنها كانت تمثل بالنسبة لبولس مغزى روحى . كانت رمزاً لحالة العمى الروحى التى كان عليها بالطبيعة وللنور الذى كان على وشك أن

يوجد فيه . كان يفتخر بالنور الذى عنده وأنه « قائد للعميان » (رو ٢ : ١٩) . والآن فبالرغم من حالة العمى المؤقت ، سطع عليه نور خارجي وأشرق في داخله نور . فبالرغم من معرفته بالكتب المقدسة كيهودي ، إلا أنه كان أعمى بالنسبة للحقائق المجيدة المتضمنة فيها. والآن ، قد فتحت عيون ذهنه ، ومع أن بولس لم ير الشمس إلى حين (١٣ : ١١) ، إلا أنه رأى شمس البر وأصبح خادماً مكرساً للرب ، كان بولس فى اتحاد روحى مع غير المنظور ، وأصبحت حياته كلها فى تناغم مع غير المحدود .

أول من قدم يد المساعدة لبولس فى مساره الجديد كان حنانيا ، أحد التلاميذ في دمشق ، والذي كان الرب قد أظهر له فى رؤيا الحقائق عن بولس ، وأين وكيف يمكنه أن يجده . ونلاحظ هنا رؤيتين . الرؤية التى رآها حنانيا عن بولس (٩ : ١٠) والأخرى التى رآها بولس عن القصد الإلهي والدور الذى سيقوم به حنانيا (٩: ١٢). وكم هو جميل أن نجد المتجدد منذ ثلاثة أيام وهو يصلى ! وبدلاً من أن ينفث قتلاً ، نراه الآن ينفث حمداً للرب على إنقاذه العظيم . والخوف الذى أبداه حنانيا من زيارة بولس بسبب كل ما سمعه عنه ثم التغلب عليه حين أكد له الرب أنه قد خلّصه ودعاه بولس ليكون إناءً مختاراً . وكم كان مشجعاً لقلب بولس حين أتته التحية من حنانيا عندما لاقاه بالقول : «أيها الأخ شاول» ، لقد أصبح المجدف أخاً الآن ، والغريب أصبح فرداً من أفراد العائلة . لقد تقوَّه حنانيا ببشرى مزدوجة - بشّره بأنه سوف يبصر وأنه سوف يمتلئ من الرو ح القدس لأجل الخدمة والمعاناة المقبلة .

سقطت القشور من عينى بولس ، وفى حين أنه لا يذكر العمى فى شهادته أمام أغريباس ، إلا أنه يشير للعمى واستعادة البصر عندما وقف أمام السنهدريم . وقد استخدم لوقا كطبيب اللغة التى يستخدمها المتخصصون فى الطب عند سقوط القشور من الجلد والجزئيات من الأجزاء المصابة في الجسم . يقول اليكوت :« إن الوصف يوحى بفكرة أن العمى كان سببه القشور الناجمة عن التهاب حاد يشمل إنسان العين أو يغلق الأجفان »، والآن يستطيع بولس أن يبصر «بهاء ذلك النور» (٢٢ : ١١)، ولكن روحياً فإله هذا العالم لا يمكنه أن يعميه مرة أخرى . لقد رأى «إنارة مجد الله فى وجه يسوع المسيح »(٢ كو ٤ : ٦) ، وفقد كل شئ آخر بريقه بالنسبة لبولس، وكان خضوعه للمسيح فورياً وكاملاً ،« يارب ماذا تريدنى أن أفعل ؟ » . لقد قدم نفسه بلا تحفظ لربه الذى وجده لتوه ، وكان على استعداد أن يصبح خادماً وشاهداً له .

إن إيمان بولس النشط المؤسس على قناعة لا تقاوم هو الذى جلب ذلك الخضوع الكامل للذات وغيَّر المضطهد العنيد ليصبح «رئيساً للرسل» ، وإذ نتأمل فى خدمته فيما بعد نرى اختبار النعمة الذى مرَّ فيه . وكما يقول دكتور جيمس ستوكر James Stalker «إن لاهوت بولس كله ما هو إلا تفسير لقصة تجديده» ، إن حياته المتغيرة كانت سلسلة من التجارب ، لأن المضطهد قد أصبح مضطهداً . وكنتيجة لتجديده المعجزى ، تنفست الكنيسة الصعداء من الاضطهاد ، ولكن كان على بولس أن يختبر معنى الاضطهاد لأجل اسم الرب (٩ : ٢٤) . وعندما جاء أخيراً إلى أورشليم كان التلاميذ خائفين منه ولكن حنانيا وبرنابا وقفا بجانبه ، وقدما له يد التشجيع عندما حاول جاهداً ليكون الإناء المختار لنشر الإيمان الذى جاهد من قبل للقضاء عليه .

١٤ - معجزة إينياس

(٩ : ٣٢ - ٣٥)

فى حين أننا لا نجد سجلاً يدل على أن بطرس قابل بولس فى أورشليم بعد تقديم برنابا للمتجدد حديثاً إلى الرسل ، إلا أنه من شبه المؤكد أنهما التقيا كل مع الآخر، وأن بطرس اغتبط كثيراً لتجديد مثل هذا الفريسى الشهير والمعادى للإيمان . وعندما كان بولس فى أورشليم يدخل ويخرج وهو يجاهر باسم الرب يسوع (٩ : ٢٨ و ٢٩) ، لابد أن بطرس ابتهج لانضمام مثل هذه الشخصية الشهيرة لعدد القديسين المتزايد . وبسبب تجديد بولس الشهير فإن الضغط الواقع على المسيحيين قد قل إلى حد ما ، وكان بطرس يتحرك بمزيد من الحرية فى خدمته التبشيرية والتعليمية .

كانت المسيحية تنتشر فى مناطق ما وراء أورشليم ، ورحلات بطرس « هنا وهناك » كانت تدل على اتجاه تقدمى لانتشار الإنجيل على يد الرسل فى وسط أورشليم ، وبتقدم أعمال الرسل نجد أن

المجال يتسع ، وهكذا نجد أن بطرس قد جاء إلى لدة ، وهو الإقليم الذى بشر فيه فيلبس بنجاح ، ولذلك نجد تزايداً فى عدد القديسين الذين زارهم بطرس وشجعهم فى لدة . ولفظ « قديسين » الذى يظهر لأول مرة كوصف للتلاميذ فى عدد ١٣، وهنا فى عدد ٣٢ ، ظهر ليصف أولئك الذين كرسوا أنفسهم للمسيح ، والذين تعهدوا بروحه ، أن يعيشوا حياة مقدسة ومكرسة . ويبدو أن إينياس كواحد من قديسى لدة قد قبل المسيح بفضل مجهودات فيلبس . ويقول اليكوت إنه بسبب اسم إينياس اليونانى ، فقد كان ينتمى للقسم الهلّينى (اليونانى) من الكنيسة .

ومن الملامح المميزة لمختلف أنواع المعجزات فى سفر الأعمال نرى طبيعة أسماء الذين أجريت معهم المعجزات - حنانيا وسفيرة وسيمون الساحر وعليم وإينياس وطابيثا وأفتيخوس وبوبليوس . ومن الملامح الأخرى كما يقول هابرشن ، إن أغلبية المعجزات حدثت ثنائية فى طبيعتها .

معجزات القضاء : حنانيا وسفيرة (على يد بطرس) ، الموت للكذب على الروح القدس ، عليم (بيد بولس) ، العمى ، حاول أن يشترى قوة الروح .

الإقامة من الأموات : طابيثا (على يد بطرس) ، أفتيخوس (على يد بولس).

شفاء العرج : الرجل الذى كان يستعطى عند الباب (على يد بطرس) ، المقعد فى لسترة (على يد بولس) .

شفاء المرضى : إينيـــاس (على يد بطرس) ، أبو بوبليوس (على يد بولس) .

معجزات خاصة : ظل بطرس ، المناديل والمآزر عن جسد بولس.

الإنقاذ من السجن : فى أورشليم (إنقاذ بطرس بيد ملاك) ، محاولة سجان فيلبى أن يقتل نفسه (على يد بولس) عن طريق زلزلة ، الحياة للسجان .

وذكر طول مدة مرض إينياس وحقيقة أنه كان ملازماً للفراش لمدة ثمانى سنوات سمة من سمات دقة الطبيب فى تسجيل الحقائق الطبية (٣ : ٧ ، ٩ : ١٨ ، ٢٨ : ٣). والكلمة المستخدمة هنا لذكر « سرير » المفلوج هى نفسها المستخدمة لوصف فراش الطبقة الدنيا فى المجتمع «مما يوحى بفكرة أن المريض كان يعانى أيضاً من الفقر إلى جانب أوجاعه» . وهناك تشابه ملفت للنظر إلى حد ما بين وصف هذه الحالة وحالة مفلوج كفر ناحوم . فلوقا يذكر أربعة أعداد فقط - أقصر سجل بالتأكيد لمعجزة ما- ليخبرنا كل ما يمكن أن نعرفه عن إينياس .

ورسالة بطرس للمفلوج عن شفائه - وهو شفاء تم دون تقدم بطلب للشفاء- تعد بالمثل نموذجاً فى الإيجاز . فثلاث كلمات فقط كانت كافية لإنهاء العجز الذى دام طيلة ثمانى سنوات، يا إينياس، « يشفيك يسوع المسيح »، لا شك أن ذلك كان خبراً ساراً فى عبارة مركزة .

يقدم لنا بطرس ثلاث جواهر سوف تتلألأ إلى الأبد . ألا نرى ثراء فى المعنى فى كل كلمة من هذه الكلمات ؟

يسوع : «أنا يسوع» ، هذا هو الإعلان الذى وصل لسمع بولس المتجدد حديثاً . إنه اسمه المفضل ، الذى يحمل الدلالة الإنسانية التى تربطه بالبشرية التى صار جزءاً لا يتجزأ منها والتى جاء ليخلصها ، وهو أيضاً الاسم الذى ارتبط به فى إجراء معجزات الشفاء العظيمة فى أيام تجسده . وهذا هو السبب فى أن هذا الاسم الذى هو فوق كل اسم حلو فى أذن المؤمن لأنه يذكره بأن يسوع قد شاركه طبيعته كقريب له - الفادى ، رجل الأوجاع الذى يفهم حزنه تمام الفهم .

المسيح : فهو ليس فقط Christos « الممسوح» ولكنه أيضا Chrestas« الصالح»(١ بط ٢ : ٣) وأهليته كصانع للمعجزات أساسها حقيقة أنه جاء كالممسوح من الآب ، والوسيط المفوض للقيام بهذا العمل. كان له كل القوة ولا يزال ، وقوته راجعـــة لأنـــه « المسيح ، ابن الله الحى » ، كما دعاه بطرس ذات مرة .

يشفيك : يستخدم بطرس الفعل فى صيغة الاستمرار ليصف هبة الشفاء التى لم يطلبها المفلوج ، ويجب أن نلاحظ قوة هذه الصيغة . إن تعليق الكسندر سميلى على ذلك يعد تعليقاً رائعاً:

« يا للاستمرارية المباركة لعمله الفدائي ونعمته ! فمع أنه صعد ومع أن عيني لا تراه ، إلا أنه لم يفقد شيئاً من قوته في الماضي . فهو يحيا ويعمل ويشفي ويحكم . هو هو اليوم كما كان بالأمس وما عمله لاينياس المفلوج في لدة عندما كانت الكنيسة فتية يفعله معي في أواخر الدهور من عصر الكنيسة » .

يشفيك : إن هذا الضمير الشخصي يذكِّره بأنه على الرغم من أنه كان قديساً متألماً ، فالرب لم ينسه في عجزه الجسدي . لقد كان يعرف كل ما يتعلق بحالة إينياس والموضع الذى كان يوجد فيه سريره ووجه بطرس إليه . ألا نباركه لتوجيه الكلام له في أسلوب المخاطب للمفرد ؟ إنه يميزك عن كل من هم حولك . إنه يعرف كل شئ عنك . لقد استطاع بولس أن يقول : « ابن الله الذي أحبني » (غل ٢ : ٢٠) ، ولذا فهو يعرف احتياجك ويستطيع أن يتمم شفاءك ، وهو يهتم بك في تفردك عن الآخرين ، ويعرف ضربة قلبك وإمكانيات حياتك . كان الشفاء الذى قدم تاماً وشاملاً . لم يكن شفاءً متدرجاً ، ففي الحال قام إينياس من سريره وقام بترتيبه « قم وافرش لنفسك ، فقام للوقت » ، ظل هذا الرجل العاجز طيلة ثماني سنوات وهو يعتمد على الآخرين ، حتى في ترتيب سريره . والآن تغير كل شئ لأنه يؤدى لنفسه ما كان يقوم به الآخرون . إن ترتيب سريره كان دليلاً على استعادته للصحة ، فقد كان ذلك من قبل رمزاً لضعفه . ألا يذكرنا أمر بطرس بالطريقة التى أجرى بها يسوع معجزات الشفاء في حالات مشابهة من ملازمة الفراش؟ (مت ٩ : ٦، يو ٥ : ٨).

لقد نسب بطرس هذا الشفاء ليسوع المسيح وليس لأى قوة أو قداسة كان يمتلكها (٣ : ١٢) ، لم يكن بطرس سوى أداة للشفاء ، ونفس القوة تقدم فى الحال حياة أبدية للخاطئ العاجز الذى يؤمن .

هل نحن نتمتع بهذه الصحة الروحية في الروحانيات ؟ إن المسيح يعطى السلامة والصحة والقداسة والقوة . إنه يطرد آخر شراذم الخطية بعيداً ويعطينا القوة والصفح كذلك ، وهو يتمم ما بدأه من عمل صالح فينا ويكمله حتى نصير مثله .

إن شفاء إينياس جعل كل المنطقة التى كان يقطن فيها تؤمن بالرب الذى شفاه « ورآه جميع الساكنين فى لدة وساروا الذين رجعوا إلى الرب». هل لحياتنا المتجددة والمقدسة نفس التأثير ؟ هل الذين يعيشون حولنا حيث نعيش ونعمل أكثر اهتماماً بالرب بسبب الطريقة التى نمثله بها في الشخصية والسلوك ؟ إن كثيرين من اليهود ، عندما رأوا لعازر الذى أقيم من الأموات ، «كانوا بسببه يذهبون ويؤمنون بيسوع (يو ١٢ : ١١).

١٥ - معجزة إقامة طابيثا من الأموات

(٩ : ٣٦ - ٤٢)

أسرع بطرس وذهب من لدة إلى يافا المجاورة بناء على الطلب العاجل من تلميذين حزنا لموت تلميذة كانت موضع تقدير الجميع . وقد كان شفاء إينياس فى لدة سبباً فى استدعاء أصدقاء طابيثا المؤمنين للرسول ، على أمل أنه بقوة الله يمكنه إقامة المرأة الميتة قبل دفنها . ونرى هنا مرة أخرى فى هذه المدينة الساحلية عمل فيلبس الكارز الذى من المرجح أن يكون هو مؤسس الكنيسة الوليدة هناك .

إن الاسم المزدوج لتلك الأرملة التى مرضت وماتت والتى كان من الواضح أنها كانت تقود عملاً من أعمال الرحمة ، يتطلب تفسيراً. إن «طابيثا» ، اسمها الأرامى يعنى ، «غزالة» ، وهو رمز فى الشرق يمثل الجمال (نش ٢ : ٩و ١٧ ، ٤ : ٥ ، ٧ : ٣). والاسم اليونانى Dorcas هو المرادف اليونانى للاسم السابق . جرت العادة فى تلك الفترة أن يكون لليهودى اسمان ، أحدهما عبرى والآخر يونانى أو لاتينى . وحيث أن يافا كانت مدينة أممية ويهودية ، فمن المألوف أن يكون للناس اسمان . وكلا الاسمين للمرأة المتوفية لهما صلة بالقسمين العبرى والهلِّينى للكنيسة . ولا شك أن هذه التلميذة كانت معروفة بهذين الاسمين.

ونلفت الانتباه أيضاً إلى حقيقة أنه قد ذكر عنها أنها «تلميذة» ، قبل أن يُذكر أنها كانت «ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات» ، فبدون الإيمان بالمسيح كالمخلِّص ، فإن أفضل الأعمال ما هى إلا أعمال ميتة . ومن ناحية أخرى فكل إقرار دينى غير مصحوب بأثمار من أعمال صالحة يعد باطلاً (مت٧ :٢١ ،يع٢ : ١٣ - ١٧) .

إن لوقا وهو يصف سمعة طابيثا يقول : «إنها كانت ممتلئة أعمالاً صالحة» ، والكلمة «ممتلئة» ، تصف ، «أفضل عبارة يستخدمها الطبيب المؤرخ للتعبير عن فكرة صفة يمتلكها شخص فى أفضل صورة ممكنة » ، وهكذا نجد عبارة لوقا ، « مملوء برصاً » ، (٥ : ١٢) ، «ومملوا من الإيمان» ، ومملوأ إيماناً وقوة ، (أع ٦ : ٥ و ٨ و انظر ١٣ : ١٠ ، ١٩ : ٢٨) . «إن أعمالها الصالحة» كانت تتمثل فى عمل أقمصة وثياب للأرامل والمحتاجات (انظر أى ٣١ : ١٩ و ٢٠).

نحن لا نعرف شيئاً عن حالتها المادية ، ربما كانت فى حالة متوسطة بين الفقر والثراء .ولكننا نعرف تماماً كيف استغلت وقتها ومواردها . لقد وضعت نفسها فى خدمة احتياجات الفقراء الذين كانت تضعهم دائماً نصب عينيها ، كم كانت تسير على منوال سيدها الذى « جال يصنع خيراً »، وهى توزع المشاعر الخيرة على كل من حولها ! إنها لم تعمل أعمالاً صالحة فحسب ، ولكنها كانت ممتلئة أيضاً بالفرح ، وكانت تقوم بفعل الخير وتصنع الإحسان على سبيل« الممارسة» المعتادة ،كما تتضمن ذلك المعنى الحقيقى للكلمة اليونانية . انظر (١ يو ٣ : ٩) حيث تحمل الكلمة الأصلية نفس الفكرة . وقد حفز مثالها الآخرين على عمل نفس الأعمال الصالحة . من المرجح أنها قامت بدور كبير فى حياكة الملابس أكثر من أى شخص آخر فى التاريخ ، ويقول لكوك Luccock عن طابيثا إنها كانت« المؤسسة لاتحاد عمال دولى لصناعة ملابس السيدات كأكبر الاتحادات العمالية لكل العصور ، وهو اتحاد كان له فروع فى جميع البلاد » .

ومع أن طابيثا كانت تشتهر بالتقوى والمواظبة وإنكار الذات إلا أنها لم تكن محصنة ضد المرض والموت . وإذ كانت قديسة بارزة ، إلا أنها استنفدت كل قوتها فى مرض أفضى لموتها ، وبفقدها بكتها كل كنيسة يافا ، وبعد أن سمع تلميذان عن بطرس الذى كان قد شفى رجلاً كان ملازماً لفراشه لمدة ثمانى سنوات بكلمة ، طلب منها أن يهرعا إليه على بعد ستة أميال ويطلبا منه وساطته لدى الله لأجل طابيثا ، وبوصول بطرس لبيت الحزن ووجه بحزن الأصدقاء الذى عبروا عنه بطريقة مؤثرة ، فالأرامل وقفن باكيات. من الواضح أن هؤلاء الأرامل التقيّات اللاتى كن موضع رعاية خاصة (انظر ٦ : ١) قد كونّ منظمة لفعل الخير والإحسان ، وقد استعرض أمام بطرس ثمار المثابرة وفعل الخير مما ترك أثره الطيب فى نفس الرسول . إن طابيثا خير إيضاح للمثل القديم « ذكر الصديق للبركة » (أم ١٠ : ٧).

صرف بطرس جميع الباكين من الحجرة التى كان فيها جسد طابيثا ، فلم يكن يريد مقاطعة فى تضرعاته لذاك الذى يستطيع وحده الإقامة من الأموات . وقد تذكر على الأرجح نفس العمل الذى قام به المعلم فى إقامة ابنة يايرس من الأموات (مت ٩ : ٢٣ - ٢٥). فلم تكن لبطرس أى قوة فى ذاته لإعادة طابيثا إلى الحياة. وفى سكون وعزلة الشركة مع الله ، كان عليه أن يعرف إرادة الله فيما يتعلق بطابيثا ويمارس قوة صلاة الإيمان . جثا «بطرس على ركبتيه وصلى» ، إن المسيح صلى ولكنه ما أبداً جثا لإجراء أقوى معجزاته . وفى حين أن المعجزة قد أجريت باسم الرب وبكلمة من روح الله فقد أجريت أيضاً استجابة لصلاة الإيمان .

بعد أن صلى بطرس التفت إلى الجسد ونطق بكلمة القوة ، «يا طابيثا قومى» ، وهو نداء مماثل للنداء ، «طليثا قومى» ، (مر ٥ : ٤١). إن نطق الكلمات يتضمن تأكيداً داخلياً على أن الصلاة فى صمت قد استجيبت . فتحت طابيثا عينيها ولما أبصرت بطرس جلست ثم أخذ بطرس بيدها وأقامها من فراش الموت، ثم استدعى التلاميذ والأرامل إلى الحجرة وأحضرها حية . وهكذا أصبحت طابيثا سابع معجزة للقيامة ذكرت فى الكتاب المقدس باستثناء قيامة المسيح . ويمكن أن نتصور كيف استعادت عاداتها السابقة عند ما كانت حية مع احتفاظها بنفس الاستعداد للاستمتاع بصحبة من أحبوها ولتزداد فى كل عمل صالح . ونتيجة لعودتها للحياة «آمن كثيرون بالرب» والكلمة ، «آمن» ، هنا مستخدمة بالتحديد عن الرب يسوع كموضوع إيمانهم .

إن هذا الأصحاح الشهير بما فيه من معجزات يُختتم بإشارة لمعجزة حدثت فى فكر بطرس ، فقد مكث أياماً كثيرة فى يافا عند سمعان ، رجل دباغ . وقد كانت حرفة «الدباغة» ، منفرة بنوع

خاص لليهودى ، لأنها كانت تجعله يحتك بأجساد وجلود الحيوانات الميتة فيتعرض بذلك للنجاسة الطقسية . ولكن حقيقة أن بطرس كان على استعداد أن يمكث فى بيت سمعان كان علامة روحية تدل على أن بطرس قد تعلم الدرس بأن مجرد الانغلاق القومى قد انتهى وفقاً للمفهوم المسيحى.

اكتشف بطرس ، حتى ولو جزئياً ، الدرس الذى علمه يسوع فيما يختص بما ينجس الإنسان بالفعل (مر ٧ : ١٧ - ٢٣) . أما الاستنارة الأكمل فقد وصلت لبطرس، كما يتضح من المعجزة القادمة .

١٦ - معجزة غيبة بطرس

(١٠ : ١ - ٤٨)

حدثت معظم أحداث هذه الأصحاح فى بيت سمعان ، دباغ جلود الخنازير، وهى حرفة غير شرعية من وجهة النظر اليهودية . وإقامة بطرس فى بيت هذا الرجل المضياف دليل على أن الحزازات والضغائن القديمة التى تبعث على الانعزال عن الآخرين قد بدأت تختفى . فقد كان على بطرس أيضاً أن يتخذ فى هذا المنزل أحد القرارات المصيرية فى حياته . ثم إن يافا كانت هى المكان الذى جرت فيه الأحداث التى أمامنا . وحيث كان الله قد كشف ليونان عن قصده قبل ٨٠٠ سنة من وقوع هذه الأحداث ، فيما يتعلق بمباركة أمة غير يهودية ، وعن قصده كذلك تجاه الأمة اليهودية التى كان يونان واحداً منها .

وهذا الاصحاح من أشهر الأصحاحات فى سفر أعمال الرسل لتركيزه على العنصر المعجزى فى كل من الإعلانات السماوية وتحقيق الغرض الإلهى ببركة جميع الناس بغض النظر عن جنسياتهم . فقد جذب الله كرنيليوس وهو أممى بواسطة رؤيا نحو الكرازة المجيدة ، وعن طريق رؤيا أخرى أعد بطرس ، وهو يهودى ، لإعلان تلك الكرازة بالإنجيل. إن الطبيعة المعجزية لهاتين الرؤيتين تُرى فى الطريقة التى تساند بها كل منهما الأخرى ، واتفاقهما الكامل يثبت أنهما من الله .

أولاً ، كانت هناك الرؤيا المقدمة لكرنيليوس وقت الصلاة فى الهيكل أثناء تقديم ذبيحة المساء . وحيث أنه كان قائد مئة (أى قائداً لقسم صغير من الجيش الرومانى) ، فمن الطريف أن نلاحظ أن كل قواد المئة فى العهد الجديد كان موقفهم ناصع البياض ولا غبار عليه . فهناك قائد المئة الذى نال مدح المسيح لإيمانه العظيم ، وقائد المئة الذى شهد موت المسيح وتأثر معترفاً بلاهوته . وفى سفر أعمال الرسل «يظهر قواد المئة فى حالة جيدة ، وهذا ينطبق على كرنيليوس تماماً» ، ومع أن كرنيليوس كان جندياً رومانياً فظاً ، إلا أنه كان رجلاً متديناً مهذباً . وإذ كان متعبداً وتقياً ، فهو مثال بارز على حاجة الكل للمعرفة الكاملة بالمسيح والاستماع لكلمة الله التى يكرز بها . ومع أنه نبذ وثنيته واشترك بإخلاص فى عبادة الإله الحقيقى ، وقد وصف بأنه يعرف المسيح كما بشر به لإسرائيل إلا أنه لم يدرك أن المسيح للأمم أيضاً .

لقد أعطى الله لهذا الرجل المتعبد الذى كان يخاف الله مع جميع بيته وجنوده وعبيده ، والذى كان يصنع حسنات كثيرة للمحتاجين ويصلى إلى الله فى كل حين ، أعطاه إعلاناً محدداً استجابة لصلواته وصيامه وأعماله الصالحة ، وكان هذا الإعلان لكرنيليوس بلغة - وليس حلماً (مت ١ : ٢٠ ، ٢ : ١٣) أو غيبة (أع ١٠ : ١٦ ، ٢٢ : ١٧) . ولكن ظهور رسول من السماء وصف بأنه « ملاك من الله » «ملاك مقدس» ، وأنه «رجل بلباس لامع» ، (١٠ : ٣ و ٢٢ و٣٠) رؤية استخدمت لوصف ثياب الملائكة وعروس الحمل (رؤ ١٥ : ٦ ، ١٩ : ٨). كان مضمون هذا الإعلان الفائق رسالة مباشرة خاصة ببطرس باعتباره معيناً من الله ليكون معلماً لكرنيليوس فى طريق الحياة . كان بطرس بمثابة سفير من الله لروح كرنيليوس . وقد كشف الملاك فى رسالته الفائقة كيف أن السماء لها دراية دقيقة بحياة البشر لأنه أخبر كرنيليوس باسم بطرس بالكامل وأين ومع من كان يقيم . ياالجود الله أن يعد القلب البشرى لقبول المسيح وخلاصه ! ولذلك فقد كانت روح كرنيليوس معدة من قبل لقبول البركة الإلهية المقدمة لها .

وبناء على هذا الإعلان الإلهى وهذه الرسالة ، استدعى

كرنيليوس اثنين من خدامه وعسكريًا تقياً كان قد اعتنق الديانة اليهودية مثل كرنيليوس ، وأمرهم أن يذهبوا إلى يافا على بعد حوالى ٣٠ ميلاً رومانياً لكى يقابلوا بطرس . وفى طريقهم إلى يافا أعد الله بطرس لاستقبالهم .وهنا نأتى إلى رؤيا بطرس الإلهية والإعلان المقدم له . فأثناء فترة صلاة بطرس وصيامه وقعت عليه «غيبة» ، وهى كلمة ينتج عنها« نشوة » ، كانت هذه حالة تتعطل فيها الحواس عن العمل لفترة معينة كما فى حالتى بلعام وبولس (عد ٢٤ : ٤ ، ٢ كو ١٢ : ٣.) . ويفسر فاين Vine الكلمة باعتبارها تعنى « حالة يمتنع فيها الوعى المعتاد وإدراك الظروف الطبيعية وتصبح الروح خاضعة فقط للرؤيا المعطاة من الله ، وفى الرؤيا التى تلقاها بطرس فى صورة رمزية إعلان عن الإرادة الإلهية والقصد الإلهى .

كانت الرؤيا عبارة عن ملاءة عظيمة تحوى كل دواب الأرض والوحوش وطيور السماء ، وسمع بطرس الصوت الإلهى ثلاث مرات يأمره أن يقوم ويأكل كل الحيوانات الطاهرة والنجسة ، ولكن امتناع بطرس ظهر فى رده « كلا يارب لأنى لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً » ، وجاء التوبيخ الإلهى « ما طهره الله لا تدنسه أنت» ، يقول فارار Farrar عن هذه الحادثة :«بهذه السذاجة والثقة المفرطة بالنفس مع الجرأة التى تصل لدرجة الوقاحة والتى كانت بالنسبة لبطرس حالة فريدة ، ممتزجة بنوبات من الجبن والاكتئاب ، يصحح بطرس الكلام الذى سمعه مراجعاً إياه ويذكر المحدِّث الإلهى بأنه لابد أنه قد ارتكب خطأ ما » .

وكون هذه الحيوانات نازلة من السماء وفيها الطاهر والنجس فى مستوى واحد ، يعنى أن بطرس قد نسى قصد الله أن يجمع الأمم «النجسين» واليهود «الطاهرين» فى حظيرته (تك ٢٥ : ١ ، ٤١ : ٤ و٥ ، إش ١١ : ٩ الخ) ، والآن كان عليه أن يتعلم أن الله لا يحابى بالوجوه وأن عليه أن يتخلى عن تعصبه اليهودى وأن المفاتيح المعطاة له تفتح الباب لكل من اليهود والأمم على حد سواء . وهكذا فكما أعطى الله لكرنيليوس إعلاناً خاصاً عن «عمق الشركة» ، أعطى لبطرس أعلاناً عن الشركة «الشاملة» ، وتكرار الصوت الإلهى ثلاث مرات كان يعنى أن يؤكد لبطرس المصادقة التامة على النبوة القديمة التى تقول:« وتتبارك فى إبراهيم جميع قبائل الأرض» (تك ١٢ : ١ - ٣) .

بعد أن عاد بطرس لوعيه ، تساءل عن المغزى الكامل لهذه الرؤيا السماوية وأصبح مستقبلاً مرة أخرى لرسول سماوى . وهذه المرة كان الروح القدس (١٠ : ١٩) الذى أخبر بطرس عن الرسل القادمين والذين كان الروح نفسه هو الذى أرسلهم . وبعد أن سمع بطرس بخبر قدومهم ، ترك يافا متجهاً لقيصرية وقابل كرنيليوس والذين معه . وأخبر كرنيليوس بطرس بما رآه ، ثم تلى ذلك حديث بطرس العظيم بما فيه من موضوعات ذات أهمية كبرى ، فتحدث عن السلام فى يسوع المسيح وحياته ومعجزاته وموته وقيامته ، وذكر أن جميع الأنبياء يشهدون لذلك التعليم العظيم الذى ينادى بغفران الخطايا بالإيمان باسم المسيح (١٠ : ٤٣) . ونتيجة للتبشير بهذه الحقائق العظيمة للإنجيل تعمد عدد كبير من الأمم بالروح القدس، وبذلك شاركوا فى هبة يوم الخمسين . وبعد ذلك وكعلاقة على المعمودية الإلهية عمدوا بالماء . وكدليل على أن ذلك كان من الله أنهم منحوا موهبة التكلم بألسنة وبها مجدوا الله .

فى المعجزة التى أمامنا يجب أن نلاحظ عمل الروح القدس ، فهو لم يحل فقط على الأمميين ولكنه حل « بدون وضع أيدى الرسل» ، وفى هذه الحالة كان حلول الروح القدس سابقاً للمعمودية لإقناع بطرس والباقين بوضوح أنهم مقبولون من الله .. والدرس واضح ، فعمل الروح مستقل عن الاعتراف أو المعمودية (حقيقة يجب أن يلتفت إليها كل من يعلمون بالتجديد عن طريق المعمودية) ، ولا ضرورة كذلك لفسحة من الوقت بين قبول المسيح وقبول كل ملء الروح . لقد أصبح هؤلاء الأمميون مسيحيين أولاً وعمدوا بعد ذلك . « فعمل النعمة قد سبق علامة هذه النعمة، وحقيقة أن هؤلاء الأشخاص قد أصبحوا أعضاء الكنيسة «غير المنظورة» قبل الانضمام للكنيسة «المنظورة» يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن طقس المعمودية ضرورة إنجيلية متعلقة بالكرازة وليس ضرورة مطلقة» .

ما هى الأحداث المعجزية الفائقة المتضمنة فى هذا الأصحاح

والتى كشف عنها بالتفصيل ؟ على الرغم من عظمة الرؤى السماوية ، إلا أن أعظم حدث تم ذلك اليوم هو معجزة النعمة التى تم بواسطتها دخول مسيحيين ممتلئين بالروح إلى كنيسة يسوع المسيح دون أن يدخلوا من باب اليهودية الضيق (١١ : ١ - ١٨). أخيراً ، وضح كل شئ . فالمسيح جاء ليخلّص الخطاة سواء كانوا يهوداً أم أمماً . لقد تحررت المسيحية من إطار اليهودية والكنيسة المسيحية ليست تابعة للمجمع. فهى خليقة الله الجديدة التى تتكون من اليهود والأمم المتجددين (أف ٢) .

١٧ - معجزة إنقاذ بطرس من السجن

(١٢ : ١ - ١٩)

معجزات النعمة فى أنطاكية كنتيجة للقصد الإلهى بمنح التوبة للأمم ونبوة أغابوس بالروح بخصوص حدوث مجاعة واسعة الانتشار تحتل الأصحاح الحادى عشر من سفر أعمال الرسل . والآن نأتى إلى الاضطهاد الذى أثاره حكام اليهود بسبب المجتمع الجديد المكون من اليهود والأمم والذى تمثله الكنيسة . أصبح هيرودس من الحكام الحاقدين على الكنيسة وانطلق يكبح أنشطة الرسل الذين أدركوا الآن معنى أن يعتمدوا بمعمودية الروح القدس (مت ٢٠ : ٢٣) ، وأصبح يعقوب أخو يوحنا ثانى شهيد بين التلاميذ ، وفى حين ذكر استشهاد استفانوس بالتفصيل ، إلا أن استشهاد يعقوب أول شهيد بين الرسل ذكر فى كلمة واحدة «السيف» ، وكان يعقوب هذا واحداً من ثلاثة من أقرب المقربين ليسوع ، ثم لأن هيرودس علم أن ذلك « يرضى اليهود » ، قبض على بطرس ووضعه فى سجن وقرر أن يقطع رأسه بعد انتهاء سبعة أيام عيد الفطير.

ألا نواجه هنا غموض الغرض الإلهى عندما نفكر فى موت أحد الرسل وإنقاذ الآخر ؟ . يناقش كامبل مورجان هذه النقطة فيقول : « قد تظل هذه النقطة بالنسبة لنا مشكلة محيرة : لماذا قتل يعقوب وأنقذ بطرس ؟ ليس هناك تفسير، ومع ذلك فالكشف عن الحقائق يبعث فينا الاطمئنان . فكون الله أنقذ بطرس يثبت قوته على إنقاذ يعقوب . ولكونه لم ينقذ يعقوب يثبت أن موت يعقوب تم فى حدود الإرادة الإلهية . ونحن نعلم أنه عند كشف المخطط الإلهى سوف يظهر أن كل شئ كان فى محله . إذ كانت السلطات تعلم بهروب بطرس السابق من السجن ، فقد كانت مصممة أن تتخذ جميع الاحتياطات لمنع أى هروب من سجنه الثانى هذا ، فتم وضعه تحت حراسة أربعة أرابع من العسكر فى حراسة دائرية حتى ينتهى عيد الفطير . وهذا يعنى أن بطرس كان مقيداً بسلاسل تشده إلى جنديين ، واحداً عند كل رسغ ، يحرسه ١٦ جندياً ، كل أربعة منهم سوياً ، فأى أمل له فى الهروب هذه المرة مع وجود الحراس داخل زنزانته والحراس عند الباب ؟ وبالرغم من كثرة أصدقاء بطرس ، فأى قوة لديهم لإنقاذه ؟ كانت هذه آخر ليلة له قبل تنفيذ حكم الموت ، ولم يكن هناك أحد فى بلاط هيرودس يدافع عنه . كان يبدو أنه لابد أن يموت كما مات يعقوب . ومع ذلك نأتى إلى هذه العبارة «وأما الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة إلى الله من أجله» ، لم تكن هناك فائدة ترجى من التدخل البشرى ولكن التلاميذ الفقراء المرتعدين لم يستسلموا لليأس . إن اتصالهم الدائم بالخوارق جعلهم يعتقدون أن غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله . ولذا فقد لجأت الكنيسة لصلاة مستمرة وعميقة وحارة . توجه أصدقاء بطرس يحدثون الله بلجاجة مضاعفة . ولو كان الحراس يعلمون بخبر تلك الصلوات لاعتبروها وسيلة حمقاء لإنقاذ بطرس من حكم الموت الذى أصدره هيرودس ، ولكن الصلاة المقتدرة تجرى الكثير من الأشياء التى لا يمكن للعالم أن يحلم بها ، إن هؤلاء المصلين قد قرأوا وعلموا أن صلاة الإيمان فتحت السماء وأغلقتها وقهرت الجيوش، أنقذت ممالك وأقامت من الأموات ، ولذلك فقد ظلوا يصلون ساعات عديدة .

كان بطرس نائماً أثناء صلاة القديسين دون أن ينزعج من خوف الاستشهاد القريب . نجد أمامنا هنا صورة للراحة الهادئة لشخص أعطاه الله النوم الذى يعطيه الله لحبيبه (مز ١٢٧ : ٢). وحتى النور الذى أتى من السماء وأضاء السجن لم يقلق نومه . فى الحقيقة ، كان نوم بطرس عميقاً حتى إنه لم يستيقظ حتى ضربه الملاك، ولكن السماء استجابت بسرعة لاجتماع الصلاة المستمرة الصاعدة من الكنيسة ، لأن الأبواب الحديدية للسجن فتحت تلقائياً ثم اقتاد الملاك بطرس إلى خارج السجن . إن الملاك لم يأت فقط

إلى السجن بل إلى الزنزانة التى كان بطرس محتجزاً فيها .

والجوانب العديدة لهذه المعجزة واضحة . فقد كان هناك النور العجيب الذى أدركه بطرس ولكن لم يحس به الحراس الذين بصورة معجزية أصبحوا غير واعين لما يجرى، ولذلك كانوا غير قادرين على المقاومة . لاحظ أن بطرس كان مقيداً بين عسكريين مربوطاً بسلسلتين ومع ذلك سقطت السلسلتان . وتصرح الكنيسة الرومانية أنها تحتفظ بالسلسلتين فى حوزتها كآثار . ثم أمر الملاك بطرس أن يلبس نعليه ورداءه واقتاده من حجرته الداخلية مجتازاً الحرس حتى باب الحديد الكبير عند مدخل السجن والذى فتح من تلقاء ذاته . كم كان عجيباً ذلك التدخل الإلهى لصالح شاهده الأمين ! أفلا أحد كان بمقدوره أن يقف فى طريقه لإتمام غرضه .

وانفتاح الباب الحديدى ربما يعد من أشهر الحالات التى تحركت فيها الأشياء الثقيلة إطاعة لأوامر غير منطوقة ، وهو مثال على سهولة ممارسة الله لقدرته على الجماد بجميع أشكاله . إن سلطانه يتخلل كل أجزاء المادة لأنه هو الذى خلقها . نهض بطرس فجأة من النوم وأسرع خارجاً من السجن ووجد نفسه حراً فى عرض الطريق، وعندما حدث ذلك ظن إنها رؤيا ، ولكنه سرعان ما أدرك أنه لم يكن يحلم ولكنه كان تكراراً لتجربة مماثلة (٥ : ١٩) .

بعد أن عاد لوعيه بعد ذهول المفاجأة الناتجة من إيقاظه المباغت من النوم وبعد أن وجد نفسه وجهاً لوجه أمام ملاك ، أدرك بطرس أنه حر طليق وهو فى الشارع ، وعرف أن عليه أن يذهب إلى مكان ما وأين يستطيع أن يجد مكاناً أفضل من بيت مريم حيث كان متأكداً أنه سوف يجد الأصدقاء ، وحيث كان اجتماع الصلاة منعقداً لأجله دون أن يدرى. طرق الباب وجاءت الجارية رودا لتفتح الباب . لابد أن بطرس قد تكلم وقد قال على الأرجح « أنا بطرس » وعرفت رودا صوته ولكنها لم تفتح الباب من الفرح ، وجرت نحو المصلين ، وقاطعتهم قائلة إن بطرس واقف فى الخارج ، لقد أذهلت استجابة الصلاة الصبية .

أما عن التلاميذ الذين صلوا طويلاً لإنقاذ بطرس ، فقد كان ينقصهم الإيمان بأن الله سوف يستجيب تضرعاتهم الحارة ، لأنهم قالوا لرودا إنها تهذى أو ربما رأت «ملاك» بطرس ، وهو الملاك الحارس فى صورة بشرية والذى كان يعتقد اليهود أن كل إسرائيلى حقيقى مخصص له واحد . ولكن بطرس ظل يطرق ، وجاء الباقون من الداخل إلى الباب ودهشوا لرؤيتهم استجابة صلواتهم ماثلة أمام أعينهم . وما أن دخل بطرس إلى داخل البيت حتى أخبرهم بما أجراه الرب لأجله .

أما فى السجن كانت هناك رواية أخرى ، فالعسكر الذين كانوا يحرسون بطرس قد عقدت الدهشة ألسنتهم ، ولأنهم لم يستطيعوا تقديم سبب لإطلاق سراحه ، فقد حكم عليهم بالموت .

إن الدروس المستفادة من هذه المعجزة ثابتة ،« هل يصعب على الرب شئ ؟ ». ليس هناك موقف معاكس لا يستطيع الرب أن يخرج أولاده منه ، ثم إنه لا يكفى أن نصلى طويلاً وبحماس . فالصلاة لله يجب أن تكون مصحوبة بالإيمان . إنه يستطيع استجابة أى صلاة وفقاً لمشيئته ، ثم إذا حدث ما يقاطع صلاتك لا تنزعج ، فالمقاطعة قد تكون استجابة لصلاتك .

١٨ - معجزة موت هيرودس المأساوى

(١٢ : ٢٠ - ٢٥)

هذا العضو من عائلة هيرودس يعرف باسم هيرودس أغريباس الأول الذى كان عصره يتسم بالبذخ الشديد ، وكان لبقاً فى معاملاته مع اليهود ، وعندما كان يضطر للانحياز فى الصراع المرير بين اليهودية والكنيسة المسيحية السريعة الانتشار لم يتردد أبداً فى اضطهاد الأخيرة. فنتيجة لدوره كألد عدو مضطهد للكنيسة قتل يعقوب الرسول . وأثناء حكم هيرودس هذا ، وصلت قوة عائلة هيرودس إلى أوجها بالفعل ، وأثناء حياته شهدت اليهودية عصرها الذهبى ، وحتى الفريسيين ، ألد أعداء المسيح والمسيحية ، كانوا يحسنون به الظنون . عندما كان فى القصر الامبراطورى فى روما، كان يعيش كشخص ملمّ بكل ما فى روما ، وعندما كان يأتى إلى أورشليم وكان يرتدى اليهودية كلباس قد عمل خصيصاً لأجله .. ولكن النزعة الوثنية فيه كانت أكيدة ، وسرعان ما افتضح أمره ، كما سنرى بعد قليل .

إن هيرودس ، كفرعون العهد الجديد ، كان لايزال متحيراً وغاضباً لهروب بطرس المعجزى ، وذهب إلى قيصرية ، وقد عمل احتفالاً شعبياً له للمناداة به كإله . تقول الرواية إنه كان ساخطاً على أهل صور وصيدون وكان يفكر فى شن الحرب عليهم ، ولكن عن طريق بلاستس رئيس حجابه عفا عنهم .ونأتى الآن إلى جانبين من تاريخ حياة هيرودس قدمهما لوقا وهما كبرياؤه وعتابه .

ظهر هيرودس فى الحلة الملوكية فى المسرح العظيم الذى بناه هيرودس الكبير وجلس على عرشه ، ويحكى لنا يوسيفوس المؤرخ اليهودى ،أن هيرودس كان يرتدى رداء من نسيج فضى كان يلمع ببهاء يخطف الأبصار تحت أشعة شمس الصباح ، وعندما جلس هيرودس ألقى خطاباً وكان حديثه على الأرجح يتعلق بموضوع صفحه عن أهل صور وصيدون . وإذ بهر أفراد حاشيته ببريق مظهره وقوة بلاغته ، ورغبة منهم فى استرضائه بالتملق ، نادوا به كإله جرياً على العادة الرومانية فى تكريم الملوك والأباطرة ، وتوسلوا إليه لذلك أن يمنحهم بركة .

فى حين أن هيرودس لم يطالب بالشرف الذى منح له إلا أنه سرّ به وأذعن للهتاف التجديفى للمعجبين به بدلاً من أن يوبخه . عندما قُدم لبولس وبرنابا تكريماً إلهياً مزقا ثيابهما ووجها اللوم لمن كرموهما بأقوى الألفاظ (١٤ : ٩ - ١٥) .

كانت الكبرياء وهى الخطية التى يكرهها الله ، إحدى خطايا هيرودس البارزة ، ولهذا السبب فإن مسحة التملق من المديح البشرى قد سرته كثيراً ، فلم يستطع أن يكره تلك الرذيلة الخطيرة المرتبطة بحب العظمة ألا وهى «الكبرياء» ، ولكن كان على هيردوس أن يتعلم أن الكبرياء ، دوناً عن سائر الخطايا ، تجلب سخط الله الذى لا يعطى مجده لآخر ، وكل خليقته تقف متأهبة للدفاع عن كرامة جلالته المفترى عليها .

إن عقاب هيردوس لأجل الكبرياء كان معجزياً ومفاجئاً وقاسياً. «ففى الحال ضربه ملاك الرب» ، فالملاك الذى أنقذ بطرس من مضطهده يتعامل الآن بطريقة مأساوية مع المضطهد نفسه بسبب عدم تقواه ، والسبب المقدم لضربة الملاك هو«لأنه لم يعط المجد لله» ، كان هيردوس يتفاخر أمام جمهور خاضع كما لو كان أحد القياصرة الصغار ، إلهاً على الأرض ، ولكن ملاكاً أنهى بسرعة ألوهيته المدعاة بمرض فى أحشائه كان من الحدة والقوة ، لدرجة أن يوسيفوس يخبرنا أن هيردوس قد اضطر أن يعترف أمام الجمع فى المسرح أن الله عاقبه لعدم رفضه لهتافاتهم الفاجرة ، ولذا فقد شهدوا إلههم وهو يلقى حتفه .

يخبرنا الكتاب المقدس أن هيردوس«صار يأكله الدود ومات» ، وهكذا فقد كان إذلاله ظاهراً كما كان كبرياؤه وقحاً. وكما كان فى ضربات مصر حين أمر الله الضفادع والبعوض أن تصب العقاب على فرعون ، الملك القاسى القلب ، فهكذا الآن فإن الله أمر أعداداً كبيرة من الدود لتضرب ضربتها ضد هيردوس الذى لابد أنه قد مات تحت وطأة عذاب شديد ، لم يمت بأسباب طبيعية بل فجأة نتيجة لعقاب إلهى .

ووصْف لوقا للمرض الذى أودى سريعاً بحياة هيردوس ينمّ عن دقته الطبية . إن هذا المرض ، بسبب طبيعته الكريهة إلى حد كبير ، قد اعتبر وسيلة من وسائل العقاب الإلهى . يقول هيرودوت عن فريتيما ملكة القيروان ، والمشهورة بالفظائع التى ارتكبتها ، أنها بعد الانتقام من شعب باريا ، لحق بها موت شنيع ، فقد امتلأ جسدها بالدود الذى أكل جسدها وهى على قيد الحياة ، ومات أنطيوخس أبيفانس عدو اليهود اللدود بميتة مماثلة .

يخبرنا يوسيفوس أنه عندما كان العقاب على وشك أن ينزل بهيردوس ، فقد تطلع هذا الملك لأعلى ورأى بومة تقف على حبل وراءه ، مما كان يعد فألاً سيئاً سينذر بموته القريب وأن هذا الفأل كان إتماماً لنبوة قالها لهيردوس أحد زملائه حين كان محتجزاً معه فى روما . وبعد معاناة شديدة ، مات بعد خمسة أيام. ولكن لاحظ بدقة العبارة الواردة بعد قصة الكتاب المقدس عن موت هيردوس المريع . فهى تقول :«وأما كلمة الله فكانت تنمو وتزيد»، وظل الحال هكذا على مدى القرون المتعاقبة .

إن أعداء المسيح قد تم اكتساحهم إن آجلاً أو عاجلاً ، ولكن مسيرة كلمته المنتصرة لم تتوقف للحظة واحدة .

إن الدرس المستفاد من خطية هيرودس وموته هو كالآتى : احذر التملق الذى وإن كان مسراً للفكر الجسدى إلا أنه مدمر لسلام المسيحى الداخلى وتقدمه فى مسيرته الروحية. فما أسهل أن ترتفع بالكبرياء ثم تسقط فى دينونة إبليس ! .

إن الزهو والافتخار الجسدى محنة يتحملها القليلون ، ومن يستغلها فإنه بإطرائه لصاحبه « يبسط شبكة لرجليه » (أم ٢٧ : ١ ، ٢٩ : ٥).

١٩ - معجزة عقاب عليم الساحر

(١٣ : ٤ - ١٠)

بدءاً من هذا الجزء فى هذا الأصحاح ومروراً بباقى سفر الأعمال، نجد سرداً للانتشار السريع للمسيحية بين الأمم الوثنية مع انتشارها كذلك بين اليهود والأمم الذين تمت هدايتهم . لأول مرة يسمى شاول بولس ، وهو اسم رومانى يتفق مع شهادته القادمة للمسيح فى عاصمة الامبراطورية . هذا ومن قبيل الصدفة الخالصة أن اسمه الجديد «بولس» ، مماثل لاسم الرجل الذى تجدد عن طريق تبشيره له .أما القول ، كما ينادى بعض الكتّاب ، بأن بولس اتخذ اسمه احتراماً لسرجيوس بولس أو كتذكار لتجديده ، فيدل على «نوع من السوقية والابتذال لا يتفق مع شخصية بولس» . من هذه النقطة فصاعداً ، يبرز دور بولس . ومع ذلك فبطرس اليهودى الذى آمن بالمسيحية ، عمل كرسول لليهود وفتح باب الكنيسة أيضاً للأمم . والآن فإن بولس ، وهو يهودى متجدد أيضاً أصبح رسولاً للأمم وأسس كنائس فى أماكن عديدة .

كان كل من سرجيوس بولس وباريشوع ، الاسم اليهودى لعليم الساحر ، قد سمعا عن تعليم ومعجزات الرسل، مما أثار حب استطلاع سرجيوس وخوف عليم . وعندما جاء برنابا ويوحنا مرقس وبولس إلى بافوس بعد تبشيرهم بكلمة الله فى سلاميس ، استدعى سرجيوس الرسل وأراد أن يسمع منهم عن الرسالة الجديدة والمدهشة التى كانوا يبشرون بها . لقد وصف سرجيوس بأنه رجل «فهيم» ، فكمفوض عن بلده ، أظهر ذكاء وبصيرة وهكذا عرف أن الرسل كانوا رجالاً ذوى أخلاق سامية . كانت هناك صلة تجمع ما بين هذا الوالى القبرسى وعليم الذى حاول أن يفسد اهتمام الوالى بالإيمان المسيحى ، ومن الواضح أن هذا الدجال كان يخشى ضياع التأثير الذى كان يمارسه بقوه على عقل سرجيوس .

قاوم عليم الرسل لأنه استطاع أن يتبين أن سرجيوس كان يتحول من الباطل إلى الحق ومن الشك إلى الإيمان . يقول فارار: «كانت صلة هذا العراف بالوالى الرومانى ، حتى وإن لم تدم سوى عام واحد ، صلة مميزة ومريحة له حتى إنه لا يمكن أن يتخلى عنها دون صراع »، ولقد أحس بولس بالشر الكامن فى عليم ولم يكن تحت تأثير انطباع سيئ عنه عندما تحدث معه وهاجمه كما فعل . كان ممتلئاً بالروح عندما خاطب الساحر ، والتحدث معه بقسوة لا يفسد اللباقة أو المحبة اللذان يتطلبهما منصبه كرسول . فعن طريق فيض الروح القدس داخل بولس نفذ إلى دخيلة عليم ، وفضح شره وأعلن حكمه ، وكيهودى مرتد عن الدين ، قدم عليم كل الأدلة التى استطاع أن يحشدها ضد المسيحية . ولكنه وجد فى الرسول الممتلئ بالروح أكثر من ند له . إن شر عليم وخبث شخصيته كان مبرراً لقسوة الرسالة التى وجهها بولس إليه ، فمثل هذا النبى الكاذب والمدعى استحق العقاب المعلن .

ولأن عليم كان ممتلئاً بكل خديعة ومكر لم يتردد بولس أن يدعوه « ابن إبليس» ، كان مملوءاً غشاً ليس من باب الحكمة . و« باريشوع» ، والتى تعنى «ابن يسوع» ، قد أصبحت «ابن إبليس» ، قد « أفسد سبل الله المستقيمة » ، دون هوادة ، وفى هذا إشارة لاعوجاج عليم ، الذى كان رجلاً معوجاً لا يمكن تقويمه (إش ٤٠ : ٤) .

أما عن معجزة العمى التى لحقت بعليم ، فقد بدأ بولس ، كموسى ، خدمته العلنية بمحاربة ساحر كاذب. واقتصر موسى فى أنشطته الخارقة على الطبيعة الخارجية ، فى حين أن بولس اتجه لعليم نفسه وضربه بالعمى . وإذ كان بولس ملهماً بروح القوة ، فقد أجرى أعجوبة على صانع العجائب المزيف،وهكذا أظهر لسرجيوس، الذى كان واقعاً بالفعل تحت تأثير عليم ، القوة الإلهية الممنوحة للرسل . إن إظهار مثل هذه القوة لم يكن عملاً من أعمال بولس بل

من الله . وكانت أول معجزة من معجزاته - من معجزات الدينونة - تشبه أول معجزة علنية لبطرس والتى كانت بالمثل معجزة من معجزات الدينونة (٥ : ٥ و ١٠) . يقتبس فنسنت قول جلواج Gloag فيقول : «إن أول معجزة أجراها بولس كانت توقيع عقوبة، وكانت هذه العقوبة شبيهة بنفس العقوبة التى حلت به فى الطريق إلى دمشق». وبسبب قدرة الله غير المحدودة فهو يستطيع أن يفتح أعين العميان فى الحال (يو ٩ : ٣٢) ،كما أنه يمكنه أن يعمى العيون المبصرة فى الحال أيضاً . لقد امتزجت النعمة بالعقاب لأن العمى المفاجئ كان « إلى حين » ،مما يعنى أن القصد منه كان علاجياً وليس تأديبياً فقط . لكان كان الله يقصد إنقاذ عليم من « قتامة الظلام إلى الأبد» (يه ١١و ١٣) . كانت هذه فرصته ليتوب حتى « ينجو بنفسه من فخ إبليس ».

ويضيف لوقا بدقة الطبيب المتمرس هذه اللمسة فيقول ، إن عليم التمس مساعدة الآخرين« ملتمساً من يقوده بيده» .. يعلق اليكونرت على ذلك بالقول ، إن عليم بعد أن استغل معرفته لقيادة الآخرين لتحقيق منفعته الخاصة ، فإنه يسعى الآن ملتمساً من الآخرين قيادته . ويقول هذا المعلق أيضاً إن « زمن الفعل فى اليونانية ، ملتمساً ، يوحى أن عليم حاول أن يجد من يقوده ولكنه لم يجد، لم يكن له أصدقاء لمساعدته وقد ترك لمصيره دون أن يشفق أحد عليه» ، لقد ظل هذا العمى رمزاً كئيباً يدل على عماه الروحى .

ونتيجة لمعجزة الدينونة هذه ، فقد تجدد الوالى ، إذ انتابته الدهشة عندما رأى ما جرى لعليم فآمن بالإيمان المسيحى الذى بشر به بولس . ودون اعتبار لجهود عليم لمقاومة هذا التعليم ، فقد أصبح سرجيوس تلميذاً مخلصاً للمسيح ، ولو كان قد أجل تبكيته كما فعل فيلكس لهلك فى خطاياه ، ولكن النعمة كان لها اليد العليا ، والعمى الجسدى لشخص قد أدى للبصر الروحى لشخص آخر .

أما عن الدرس المستفاد من المعجزة ، فنعود إلى تشارلس سيمون الذى يقول :« ليحذر أولئك الذين لا يقبلون الإنجيل من مقاومتهم لإيمان الآخرين، فإذا كان لابد أن يهلكوا فليهلكوا وحدهم، فهذا أفضل لهم من أن يتحملوا وزر هلاك نفوس الآخرين أيضاً » .

٢٠ - معجزة شفاء المقعد فى لسترة

(١٤ : ١ - ١٨)

بعد المعجزة التى حدثت لعليم ، فإن بولس ورفيقه ذهبا إلى أنطاكية بيسيديه ، حيث قدم بولس فى المجمع خطاباً عن تاريخ اليهود وعظّم الله لأجل معجزاته مع شعبه . وفى حديثه أكد الرسول كذلك حقيقة قيامة المسيح ، وكان تأثير رسالته عظيماً لدرجة أن الأمم حرضت بولس وبرنابا أن يعظا مرة أخرى السبت الذى يليه ، ولما جاء السبت ، كان على الرسولين أن يواجها مقاومة عنيفة من اليهود الذين كانوا معادين للحق . وكان هناك المتهاونون الذين قال لهم بولس :« تعجبوا واهلكوا ». إن هؤلاء اليهود الحاقدين برفضهم لرسالة بولس أجبروه على أن يرفضهم ويتجه للأمم الذين كانوا يشتاقون للنور . ترك بولس وبرنابا سواحل أنطاكية وإطاعة لوصية المسيح نفضا الغبار عن أرجلهما (مت ١٠ : ١٤) وأتيا إلى أيقونية . ومع ذلك فأى مقاومة لم تكن لتخيف هذين الرجلين اللذين كانا على استعداد للتضحية بنفسيهما لأجل المسيح ، لقد كانا ممتلئين من الفرح والروح القدس .

وفى أيقونية ، كان الاستقبال أيضاً مختلطاً . فكثير من اليهود والأمم آمنوا ، ولكن اليهود غير المؤمنين أثاروا البغضاء ضد الرسولين اللذين لم يشهدا فقط لكلمة نعمته ، ولكنهما حصلا على قوة لإجراء المعجزات لتثبيت الإيمان (١٤:٣) . وبعد أن هوجما ورجما أتيا إلى لسترة حيث حدث معهما اختبار فريد . وهنا نجد خلفية المعجزة التى نحن بصددها الآن . كانت لسترة نفسها مدينة بها حامية وكانت مركزاً للثقافة الرومانية . ولعدم وجود مجمع هناك ، كان الأمم الذين تعامل معهم بولس وبرنابا وثنيين ، وقد اتضحت وثنيتهم من محاولتهم السجود لبولس وبرنابا كإلهين ، ومن محاولتهم رجم بولس لرفضه أن يُسجد له . وزار بولس لسترة أربع مرات (١٤ :٦ و ٢١ ، ١٦ :١ ، ١٨ :٢٣) ووجه لها حديثاً فى رسالته إلى غلاطية . وكان تيموثاوس مواطناً من هذه المنطقة .

إن الرجل المسكين الذى قابله بولس فى لسترة كان عاجزاً وغير قادر على استعمال رجليه لأنه كان عاجز الرجلين بمعنى أنهما كانتا ضعيفتين ، والكلمة « ضعيف » وردت هنا وفى (رو ١٥ : ١) وكان مقعداً من بطن أمه بما يدل على وجود عيب فى جسمه أثناء الحمل . ويقترح مكليم :« أن هذه الاصابة العضوية الشديدة مرجعها شلل أطفال » ، والعبارة « لم يمش قط » هى لمسة الطبيب لوقا الذى يشدد على طول مدة المرض وأيضاً على عجزه التام ، كان على الأصدقاء أن يحملوه .

إن عددين فقط ، مع ذلك ، كافيان لإيضاح اهتمام المقعد بالشفاء الإلهى ، فهذا الإنسان المسكين كان قد سمع بولس يتكلم ، وكان ضمن من سمعوا الرسول وهو يبشر بإنجيل شخص المسيح المصلوب والمقام من الأموات وكيف أنه فيه الكفاية ليسدد كل احتياج ، وحيث أن «الإيمان بالخبر» ، فقد آمن المقعد بينما كان بولس يعظ بأن المسيح قادر على شفائه من عجزه . ومن الواضح أن بولس قد تأثر بالتفات هذا الرجل إليه وهو مستغرق فى التفكير لأنه « شَخص إليه » أى أنه نظر إليه نظرة قوية مثبتاً عينيه عليه (١٣ : ٩) ، ومع هذه النظرة الفاحصة لأعماق هذا الرجل أدرك أن الرجل لديه إيمان ليشفى . إن نظرته إلى أعلى بشغف أقنعت بولس أن الرجل كان على استعداد لنوال ما كان محروماً منه - القدرة على المشى - « فهنا ، كما هو الحال فى معظم الحالات ، كما لو كان شيئاً عاماً وإن لم يكن شاملاً لجميع الحالات ، فإن قانون إجراء المعجزة ، كان يستند إلى الإيمان كشرط أساسى» (مر ١٠ : ٢٣) .

نجد هنا أربع كلمات كانت كافية لشفاء الرجل. قال بولس بصوت عظيم :« قم على رجليك منتصباً ». ومن الطريف أن نقارن هنا بين طريقة الشفاء مع المعجزات المماثلة (مت ٩ : ٦ ، يو ٥ : ١١، أع٣ : ٣) . لقد جاءت القوة على الطاعة مصاحبة لأمر الرسول . فما يأمر به الله يجعله ممكناً . يقول اليكوت : « إن الأمر الذى كان يمكن أن يبدو مثيراً لسخرية الشخص الذى لم يختبر من قبل كيفية النهوض ، قد تمت طاعته بالإرادة التى كانت قد ألهمت من قبل قوة الإيمان الجديدة .

كان الشفاء فورياً وكاملاً لأن الرجل الذى كان مقعداً من بطن أمه « وثب وصار يمشى » ، وهذا عمل مزدوج شبيه بالمقعد الذى أقامه بطرس (٣ : ٨) . أبرز المفسرون الفارق فى المعنى بين هذين الفعلين « وثب » كان عملاً مفاجئاً بسيطاً ، فبوثبة واحدة ترك فراشه وانتصب واقفاً على قدميه ، وهو شئ لم يستطع القيام به من قبل ، ثم « صار يمشى » وهذا يدل على فعل مستمر . «وثب» توحى أنه كانت هناك أزمة -و«مشى» تدل على «عملية مستمرة»، والتأثير التلقائى لهذا الشفاء كان رائعاً . فمن الثابت أن عدداً كبيراً من أهل لسترة شهدوا المعجزة ، وأعلنوا أن «الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا » .

كان بولس يتحدث باليونانية ولكن أهل ليكأونية أعربوا عن إعجابهم بالرسل بلغتهم، وهذا يفسر السبب الذى جعل الرسل يقفون صامتين دون اعتراض عندما رأوا الاستعدادات تجرى لتقديم ذبيحة ، فعدم فهم بولس وبرنابا للغة الليكأونية جعلهم لا يدركون ما يقوله الناس بشأن نسبتهما للآلهة ، وصراخهم بأن الرسل ما هم إلا آلهة فى شكل بشر يكشف عن الاعتقاد الوثنى بأن الآلهة قد زارت الأرض فى صورة بشر .

فدعى بولس« ميركورى »أو « هرمس » الاسم اليونانى للإله، وكان هرمس إله المهارة فى استخدام الحديث وفى البلاغة عموماً باعتباره المتحدث باسم الآلهة . فعندما استمع أهل لسترة لبولس ، أعجبوا بموهبة فصاحته . ودعى برنابا «جوبيتر» أو « زفس » الإله الحارس للسترة وكانوا يمثلونه بأنه رفيق « ميركورى » فى زياراته للأرض . كانت قامة برنابا الطويلة ومظهره المهيب يختلف عن البنية الضعيفة لبولس (٢ كو ١٠ : ١ و١٠) مما أوحى للناس بالتشابه بين برنابا والقامة المهيبة « لجوبيتر » باعتباره رب الهواء الذى يوزع الرعد والبرق والمطر والبرد والأنهار والعواصف .

وعندما أحضر كاهن زفس الوثنى أكاليل الزهور لتزيين رقبتى الرسولين وثيراناً لتقديم ذبيحة للإلهين ، أدرك بولس وبرنابا ما كان الناس على وشك أن يفعلوه ، نتيجة للمعجزة التى أجريت ، فاحتج الرسولان فى الحال على نسبة الألوهية لهما ، وأوقفا عملية تقديم

الذبيحة ومزقا ثيابهما تعبيراً عن رغبهمـا من هذا التجديف المتعمد ، وأكدا للجماهير الوثنية أنهما ليسا سوى بشر مثلهم . وحتى حديث بولس المؤثر فيما يختص بالله كلي القدرة لم يمنع الناس من القيام بهذا العمل . ولكن المعجزة التي أجريت للمقعد كان مصدرها الله ، وهو وحده يستحق كل المجد .

٢١ - معجزة شفاء بولس من الرجم

(١٤ : ١٩ - ٢٨)

مع أن مواطني لسترة هتفوا لبولس وبرنابا كإلهين ، إلا أنهم قد غيروا رأيهم عندما تم توبيخهم لنسبة الألوهية للرسولين . وتبدل التكريم إلى كراهية ، وتقديم الذبيحة إلى الرجم . كم كان ثناء الجماهير سريع التقلب عندما تحول بسرعة من المديح إلى الاضطهاد بإيعاز اليهود الغاضبين من أنطاكية وأيقونية . لقد كان الانتقال من النقيض إلى النقيض سريعاً حتى أن أولئك الذين أوغرت صدورهم كانوا على استعداد أن يرجموا الشخص الذى سجدوا له كإله منذ مدة وجيزة باعتباره محتالاً ، فبالنسبة لبولس لم تكن هناك سوى خطوة فيما بين التأليه والتدمير ، وفي هذا الصدد ، سار على درب سيده الذى هتفت له الجموع « أوصانا ، مبارك الملك الآتى باسم الرب » ثم بعد أيام ثلاثة سمعوا وهم يقولون « ليصلب (مت ٢١ : ٩ ، ٢٧ : ٢٢) . وكما سنرى فقد واجه بولس تغييراً مفاجئاً بالمثل في مليطة (٢٨ : ٦) .

إن رجم بولس ، كما هو مخطط ومنفذ من قِبل اليهود ، قد دل على أنهم اعتقدوا أنهم يوقعون عقوبة على مجدف ، فإذا لم يكن بولس وبرنابا من «الآلهة التى تشبهت بالبشر» ، فلابد أنهما من العرافين أو الشياطين ، واليهود أنفسهم نسبوا لبعلزبول رئيس الشياطين عمل الآيات والعجائب (مت ٩ : ٣٤ ، ١٢ : ٢٤) .

وفي حين كانت الضربات الموجعة تنهال على بولس لا يذكر أي اضطهاد وقع على برنابا - فلابد أن الرسول قد فكر في استفانوس عندما رجم حتى الموت ، وهي ميتة كان لبولس نصيب في التخطيط والإعداد لها . ولكن الآن « فالشهيد قد كفر عن ذنب المضطهد ». وكان رجم بولس هو حالة الرجم الوحيدة التى اختبرها (٢كو١١: ٢٥). وكل ما تحمله هنا في لسترة « يبرز في ختام حياته في مشهد السنوات الماضية في وضوح رائع »(٢تى ٣:١١).

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال : هل رجم بولس حتى الموت ثم قام في الحال مرة أخرى ؟ . إن الناس الذين قاموا بهذه الفعلة الشنعاء ظنوا أنه قد مات ، والتلاميذ الذين كانوا بلا حول أو قوة لم يستطيعوا تقديم المساعدة أثناء رجمه ، فانتظروا ، وعندما انتهى كل شئ ، تسللوا بهدف دفن الجسد الملطخ بالدماء . فهل مات الرسول المحبوب بالفعل أم أنه فقد الوعي فقط ؟ يقول هابرشن : « نحن لا نستطيع أن نعرف إن كان بولس قد مات بالفعل وأقيم ثانية أم لا ، فمن المرجح أنه لم يعرف هو نفسه ،لأنه من المعتقد أنه أشار لهذه المرة عندما كتب يقول : « في الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم ، الله وحده يعلم»، وبينما كان جسده يرقد وسط التلاميذ الحزانى ، من المرجح أن تكون روحه قد اختطفت إلى الفردوس حيث سمع كلمات «لا ينطق بها ولا يسوغ له أن يجاهر بها » .

سواء مات بولس أم لم يمت ، فلابد أن معجزة عظيمة قد أجريت له ، لأنه بعد أن رجم وترك باعتباره ميتاً ، نهض مرة أخرى وعاد إلى المدينة . لقد شفي بصورة مفاجئة وشفي شفاء تاماً حتى أنه سافر في اليوم التالي إلى دربة . وبدأ يبشر في الحال دون أي ألم ظاهر أو تعب كان من المفروض أن يكون قد ألمّ به نتيجة لهذا الحادث . إن بولس كان يمارس ما كان يبشر به عملياً (أع ١٥ : ٢٥ و ٢٦)، وعند العودة للسترة وأيقونية وأنطاكية ليشجع التلاميذ ، أخبرهم أنه بضيقات عظيمة ينبغي أن يدخلوا ملكوت الله (١٤ : ٢٢). وفيما بعد كتب قائلاً : « وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون» (٢ تى ٣ : ١٢) .

هل يمكن أن يكون تيموثاوس الشاب ، الذى من المرجح أن يكون قد شهد الاضطهادات التى حلت بالرسول ، قد تأثر بها ؟ وحيث أن بولس يدعوه « ابنه الحبيب » ، فلابد أنه اقتاده للمسيح ، وحيث أنه أمامنا في سفر الأعمال كمسيحى(١٦ : ١)،

فقد تكون شجاعة بولس المقدسة واجتيازه الألم ، فى حين أنه كان من الممكن أن ينال التكريم والسجود لو أنه ضحى بالمبادئ ، قد اقتاد هذا الشاب ذا الأم التقية ، ليقبل المسيح الذى استطاع أن يفعل الكثير من خلال بولس ولأجله (٢ تى ٣ : ١٠ و ١١) .

٢٢ - الرؤيا المعجزية فى ترواس

(١٦ : ٦ - ١٥)

إن المقاطعة الإلهية لخطط بولس نراها فى منع الروح القدس لبولس أن يبشر بالكلمة فى آسيا ، وفى رفضه السماح لبولس بالذهاب إلى بيثنية . فالسيطرة على أنشطة بولس عن طريق الروح نتج عنها مجيئه إلى ترواس، وعرف عن طريق الصلاة أين يجب عليه أن يبشر بالأخبار السارة للمسيح فى المرة التالية . وفى رؤيا جاء تفسير إلهى للحث على الذهاب لمكان ما والإعاقات عن الذهاب لأمكنة أخرى. لقد فتح أمامه باب فرصة عظيمة ، لأن الإنجيل كان يجتاز من آسيا إلى أوروبا . إن الدعوة المكدونية كان سينتج عنها أن الإنجيل سوف يعطى لكل العالم الغربى ، فطاعته لرؤيا رجل من مكدونية ذهب بولس وبشر فى أول دولة أوروبية تسمع رسالة محبة المخلّص ونعمته .

وهذه الرؤى فى سفر الأعمال (٩ : ١٠ - ١٦و ١٢، ١٠ : ٣ و ١٧ - ١٩ ، ١١ : ٥ ، ١٦ : ٩ و ١٠ ، ٢٢ : ١٨ - ٢١ ، ٢٧ : ٢٣ و٢٤) جلبت كثيراً من العزاء والدعم معها ، وتلقى مستقبلوها تأكيدات بأن هناك «مركبات من نار وخيول من نار» حولهم فرؤيا الرب « وقوات من الملائكة» قد شجعت الرسل . لقد شعروا أن قوات سماوية كانت تحيط بهم ، وأن أيد غير منظورة قوية ترفعهم لأعلى .

والرؤيا نفسها، والتى يوجد منها رؤى عديدة فى سفر الأعمال، لم تكن مجرد حلماً بل إعلاناً سماوياً للغرض الإلهى لعقل بولس المتلقى للرؤيا . ولم تسمح هذه الرؤيا بشئ من التأجيل بل كان يجب أن تطاع فوراً . ولذلك أخذ بولس سفينة وجاء إلى فيلبى حيث اكتشف أن رجل مكدونية «ما هو إلا إمرأة» ، كما ذكر أحد الكتّاب ، ففى مدينة عسكرية كفيلبى ، لم يكن هناك مجمع ، ولذا ذهب بولس عند النهر ، «حيث ألقى خطابه» ، وهنا وجد عدداً قليلاً من النساء- ولم يكن معهن رجال- وبشر لهن بالكلمة . ففى وسط الوثنية المنحطة ، كان سيشرق نور ساطع . فليدية، بائعة الأرجوان، من ثياتيرا كانت من النساء الشريفات فى الأمم (أع ١٧ : ١٢) وكانت قد تهودت ، جاءت للصلاة وقراءة الكتاب المقدس عند النهر ، واستمعت بشغف لبولس وأصبحت أول أممية قد تجددت فى أوروبا .

كان تجديد ليدية معجزياً لأن الرب لم يطرق فقط على باب قلبها ولكنه فتحه . وعلى الرغم من أنها كانت متعبدة ، فإن قلبها الذى كان وثنياً من قبل كان مغلقاً أمام حق الإنجيل وكان بحاجة لأن يفتح لقبول هذا الحق . لقد خضعت لطاعة الإيمان وآمنت واعتمدت ، وتبعها أهل بيتها فى الحال فى الخضوع لمطاليب الإنجيل . ومن الدلائل على التغيير المعجزى فى قلب ليدية حسن ضيافتها وكرمها وقد قبل الرسل ضيافتها واستمتعوا بها فيما بعد (١٦ : ٤٠).

٢٣ - معجزة إخراج الروح النجس من العرافة

(١٦ : ١٦ - ٢٤)

إن هذا الأصحاح مليء بالمعجزات - معجزات النعمة والقوة ! فهو يمجد قوة الله المخلّصة ! فهو يستطيع أن يخلّص الشبان كتيموثاوس (١٦: ١)، والشخص المثقف المتدين كليدية ، والمرأة الذليلة كالمرأة التى بها الروح النجس والتى سوف نتحدث عنها فى هذا الجزء ، والوثنى الفظ القاسى القلب والهمجى كالسجان ، فقوة الله تستطيع أن تغير جميع الطبقات والأحوال . كانت ليدية على قمة السلم الاجتماعى والمرأة الذليلة فى أسفله ، ولكن الله يستطيع أن يخص أفضل الناس وأردأهم .

كانت المرأة سيئة الحظ والتى نحن بصددها (ضحية وثنية جاهلة مظلمة ، وكانت خاضعة تماماً للشيطان وبعض الأشرار وهم أدوات الشيطان . وتتحدث بطريقة غير مفهومة) ، كانت تنطق بأقوال العرافة المستلهمة من الأرواح الشريرة ، وكان مواليها يكسبون من وراء أقوالها المفروض أنها مستوحاة لتقدم للناس هداية شيطانية فيما يحيرهم ويقضّ مضاجعهم من شئون حياتهم . لم تكن حيل هذه

المرأة مؤامرة بينها وبين مواليها لخداع الناس عن طريق الاحتيال والنصب . ولكن كان يسكنها روح شرير كانت تستمد منه القوة ، ولذلك كانت مختلفة عن بقية البشر .

فى أثناء سير الرسل للصلاة والتعليم عند النهر ، اقتربت هذه المرأة المستعبدة للشيطان وتعرفت عليهم كعبيد الله العلى . وبما أن الشياطين تعرفت على لاهوت وسلطان يسوع ، فالروح النجس الذى فى المرأة تعرّف على قوة وسلطان الرسل الممتلئين بالروح القدس . وباعترافها أنهم قادرون على المناداة بطريق الخلاص فهل كانت بذلك تعبر عن رغبة دفينة فى النجاة والسلام والهدوء الداخلى ؟ هل رأت فى هؤلاء الرجال شيئاً يختلف عن أولئك الذين كانوا يكسبون من وراء بؤسها ؟ .

إن الصرخات المستمرة للمرأة أعاقت عمل بولس وهو يحاول أن يعلّم أولئك الذين تجمعوا حول النهر بالرغم من ضجيجها وصياحها المستمر .. لماذا سمح بولس لها أن تكدره أياماً عديدة ؟ لماذا انتظر فترة من الزمن قبل أن يحررها من عبوديتها القاسية ؟

ربما لم يكن يعرف حتى لحظة معينة من الإعلان الإلهى أنه سيمنح قوة لتحرير المرأة ، أو ربما كان يتساءل إن كان يحق له أن يفعل كما فعل سيده فى إخراج الشياطين (مت ٨ : ٢٨ - ٣٤) ، «ويعيد للمرأة طبيعتها الحقيقية بأن يعلّمها أن تفرق بين اشتياقها للنجاة والانفعالات الجامحة التى كانت تعوقها عن الحصول عليها».

حزن بولس لأنها كانت تعوقه عن أداء خدمته ، وبسبب عبوديتها ، وإذ كان مزوداً بالقوة على إجراء المعجزات فقد أمر بولس الروح الشرير أن يخرج من المرأة وأطاع الشيطان المسيح الذى كان يمثله بولس . لقد تحررت المرأة فى الحال من عبوديتها القاسية وإلى هنا تنتهى قصتها . ويمكن أن نؤكد أنه فيما بقى من حياتها فالنعمة الإلهية منعتها من الانزلاق فى هاوية الجهل وعدم الإيمان ، ولا شك أن النسوة اللاتى كن يعملن مع الرسول (فى ٤ : ٢) قد اعتنين بها، ومن المرجح أن امتنانها على تحريرها من عبودية الشر ، كان ضمن الهبات التى أرسلت للرسل من هذه المنطقة (فى٤ :١٥).

لقد مضى بغير رجعة عمل موالى هذه المرأة وروح العرافة أيضاً عندما «خرج» الشيطان « خرج » رجاء مكسبهم - فنفس صيغة الفعل مستخدمة فى عددى ١٨ و ١٩ ، ومع ذهاب مصدر كسبهم الفاسد ، فقد صمم هؤلاء الاستغلاليون على الانتقام من بولس لتحرير المرأة والقضاء على ثرائهم غير المشروع ، فحرضوا قادة الرومان ضد الرسل . ولأن لوقا وتيموثاوس كانا أقل شهرة فقد نجيا بجلدهما ، أما بولس وسيلا فقد وضعا فى السجن . إن الأعمال السيئة عادة تكون سبباً فى إصدار أحكام بالسجن ، ولكن بولس وسيلا وضعا فى السجن لأعمالهما الصالحة .

٢٤ - معجزة الزلزلة العظيمة

(١٦ : ١٩ - ٤٠)

كان يمكن لبولس كمواطن رومانى أن يطالب بإعفائه من الضرب بالعصى. ومع ذلك لم يستطع بولس أن يظهر هذا الحق ليترك سيلا يجلد وحده ، ولذا فقد تألم بولس وحده ، لقد عانى هذا المرسل الأول الشجاع من الضرب ثلاث مرات (٢ كو ١١ : ٢٥) ، ولكن بالرغم من الدم الذى كان يسيل من ظهريهما وأقدامهما التى كانت فى المقطرة كان بولس وسيلا يصليان ويسبحان الله فى منتصف الليل . يقال إن البلابل تغنى عندما تتألم . نعم فالله كان هو المؤتى بالأغانى للرسولين فى ليل المصائب . سمعت مرة الجنرال وليم بوث مؤسس جيش الخلاص يقول إن : « الله قد سر جداً بصلوات وتسبيحات بولس وسيلا حتى إنه قال « آمين » بزلزال قوى سمع المسجونون تلك الصلوات والتسبيحات ، وهكذا الله أيضاً . تتنوع طرق الله فى الإتيان بالخطاة لنفسه . فلم تكن ليدية تتطلب أى خوف أو رعب لتوجه قلبها نحو السماء ، لقد فتح قلبها فى صمت كبرعم يتجه نحو شمس الصباح . أما بالنسبة للسجان القاسى القلب ، فقد كان المطلوب الكثير من الإجراءات العنيفة لتجعله يشعر بذنبه ومأساته ، ولذا فحيث أنه تعامل مع عبيد الله بطريقة وحشية ، فقد أظهر الله له قوته وغير حياة ذلك المتوحش ليصبح مؤمناً . أرسل الله زلزلته فنجا عبيده بمعجزة ، وخلص السجان بمعجزة أيضاً . لقد نجا بطرس من السجن على يد ملاك، ولكن

بولس وسيلا قد أطلق سراحهما بزلزلة . فلم يأت ملاك لسجنهم العمومى .

لقد اختبر الرسل فى نصف الليل المظلم حقيقة كلمات المرنم القائلة: « الناظر إلى الأرض فترتعد » (١٠٤ : ٣٢) ، وهو الذى يستطيع أن يجعل غضب الطبيعة ، الذى لا يقل عن غضب الإنسان ، يمجده ، ففتح أبواب السجن بقوته ثم فتح قلب السجان . لقد أيقظت هذه الزلزلة حارس السجن من نومه وأيقظته أيضاً ليدرك حاجته للخلاص . وقد تحكم الله فى قوة الزلزال ، فلم يدمر السجن على الرغم من اهتزاز أساساته . لقد كان الغرض من إظهار القوة الإلهية فتح الأبواب المغلقة بإحكام وفك قيود المسجونين .

ويبرز هنا الهدوء والشجاعة اللذان اتسم بهما بولس وسيلا فى هذه الحادثة . فلما اعتقد السجان أن المساجين قد هربوا فكر فى الانتحار ، وبكلمات قليلة وبسيطة هدأ بولس من روع الرجل الذى أدرك بإعلان إلهى حاجته كخاطئ وطلب معرفة الطريق إلى الخلاص ، ليس من ظلمة السجن بل من ظلام روحه الداخلى . وقبل الخاطئ الذى شعر بالتبكيت المسيح مخلصاً شخصياً له وفى الحال اقتاد كل أهل بيته إليه. ويبرز الدليل على توبته وتجديده فى تغير موقفه . فقبل الزلزلة كان وحشياً لدرجة أنه كان يجلد المسجونين ولا يهتز قيد أنملة عندما كان يشاهد الدم ينبثق من ظهريهما . والآن ، فبمجرد أن خلص أخذ ماء ، وغسلهما من الجراحات ، وهو نفسه قد تطهر من جروح أردأ وأشد وقعاً من تلك التى أحدثها بعصاه . فأقل ما كان عليه أن يفعله أن يغسل جراحات مسجونيه ، ثم وضع طعاماً أمام بولس وسيلا ، وياله من وليمة! فلا عجب أن تهلل هو وأهل بيته .

٢٥ - معجزة الرؤيا المشجعة

(١٨ : ٧ - ١١)

إن وجود معتنقين بارزين للمسيحية ثابت من ذكر يوستس الذى كان متعبداً غيوراً لله ، وكريسبس رئيس المجمع اللذان عمدهما بولس (١ كو ١ : ١٤). كانت تنتظر بولس فى كورنثوس خدمة عظيمة ، وكانت هناك فرص عظيمة ومقاومة أيضاً ، وكان بحاجة لأن يتحصن ليمكنه تحمل الـ ١٨ شهراً من التعليم والمحاكمة. إن الرؤى الكثيرة المذكورة فى سفر الأعمال تأتى فى نطاق المعجزات لأنها كانت إعلاناً واضحاً للفكر الإلهى ، وهكذا نجد تكرار هذه الرؤى عند كل أزمة كبرى فى حياة بولس (٩ : ٤ - ٦ ، ٢٢ : ١٧). فى هذه الرؤيا الليلية «عندما يحل السبات العميق بالبشر» ، انتقل بولس من «الجهاد بالكلمات إلى حضرة صديقه السماوى » .

وعندما نقرأ الأصحاح الذى أمامنا ، نرى كم كان بولس فى حاجة ماسة إلى ذلك الصوت الإلهى « لا تخف » .كان هناك اليهود الغاضبون الذين كانوا يدبرون مؤامرة ضده ليأتوا به إلى كرسى الولاية الرومانية ، وكانت أفسس وأعمال رائعة تنتظر الرسول فى تلك المنطقة المحورية ،فإنه لم يستسلم للخوف والاكتئاب ولم يشعر بقسوة تجربة الفشل الظاهرى والعزلة ولذلك كان فى مسيس الحاجة إلى التشجيع الإلهى ، وكونه مضى قدماً موشحاً بالجسارة الربانية ثابتاً مما كتبه إلى تيموثاوس ، أحد المتجددين فى لسترة على يديه « لأن الله لم يعطنا روح الفشل ، بل روح القوة والمحبة والنصح » (٢ تى ١ : ٧) .

لقد أطاع الأمر الإلهى « تكلم ولا تسكت » طاعة كاملة ، فلابد أن هذه الرسالة الإلهية قد ملأت قلب الرسول بالشجاعة والحماس . إن تجارب مماثلة حلت بإيليا وإرميا (١ مل ٩ : ٤ - ١٤ ، إر ١ : ٦ - ٨ ، ١٥ : ١٥ - ٢١). وكان هناك أيضاً وعد الرب عقب الأمر « لأنى أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك. لأن لى شعباً كثيراً فى هذه المدينة» ، فبعد أن رجم بولس وترك كميت ، فإن هذا التأكيد بألا يمسه أحد بسوء لابد أنه شرح قلبه . فإذا أراد الرب ، فكل آلة تصور ضدنا لا تنجح .

لقد ظن إيليا أنه يقف لوحده فى شهادته ومع ذلك كان هناك ٧٠٠٠ شخص فى إسرائيل كانوا يحبون الله كما فعل النبى . وعندما شعر بولس بأنه يقف وحيداً فى شهادته القوية ، فإنه سرعان ما اكتشف أنه «حتى فى شوارع كورنثوس الآثمة ووسط هؤلاء

الناس الغارقين فى حمأة الخطية (١ كو ٥ : ١٠ و ١١) كانت هناك نفوس تتوق للخلاص ولم يمت فيها الضمير ، وكانوا ينتظرون فقط الدعوة للتوبة » .

أتاحت مدة السنة والنصف التى قضاها بولس فى كورنثوس ، الفرصة له ليكسب كثيرين لحظيرة الرب الذى جاء فى رؤيا ، وليؤسس كنيسة هناك باسم الرب .

«إن التقدم المستمر لتلك الفترة جاء« إتماماً لوعد الرب له ، وأعده للاضطهاد التالى » .

٢٦ - المعجزات فى أفسس

(١٩ : ١ - ٢٠)

أكمل بولس « أروع عمل فى حياته الرائعة » فى أفسس حاضرة آسيا الصغرى ، وهى مدينة هامة وجميلة . هنا تحقق وعد الرؤيا السابقة تماماً . لقد ظل طيلة ثلاث سنوات يعلّم فى مجامع المدينة وقد علّم لمدة سنتين فى مدرسة الفيلسوف تيرانس الشهيرة . وكانت أفسس أيضاً مركزاً عظيماً للعبادة الوثنية وقد أصبح عدد كبير من المتعبدين لدينا مسيحيين مما مكّن بولس من تأسيس كنائس فى مجتمعات تبعد عن أفسس بحوالى مائة ميل . وبسبب استعلان القوة الإلهية بالنعمة أصبحت أفسس محور العالم المسيحى . لقد كتبت هنا العديد من الرسائل واستقر هنا يوحنا عندما كبر فى السن.

وبسبب الأهمية الكبرى لانتشار الإنجيل فى أفسس وحيث كانت جماهير غفيرة تمارس شعائرها الوثنية ، فقد أتاح هذا لبولس فرصاً متميزة لكى« يتكلم ولا يسكت» (١٩: ٨)، وأعطى الله الرسول قوة على إجراء معجزات خاصة . فعلى سبيل المثال كان هناك أولئك الأفسسيون (حوالى اثنى عشر) (١٩: ٧) ، الذين تابوا وآمنوا عمدوا ثم نالوا مواهب روحية ، فعن طريق وضع يدى بولس حلّ عليهم الروح القدس ثم نالوا موهبة خاصة ألا وهى التكلم « بلغات » ، وقد كانت هذه الموهبة تستخدم لتقديم الحمد لله وللتبشير . لقد كانت تعبيراً طبيعياً لحماسهم الجديد وعمق فرحهم الروحى . وكون هذه الموهبة الخارقة كانت مؤقتة فقط قد أعطيت لتثبيت الكنيسة كمؤسسة إلهية واضح من رسالة بولس إلى أهل كورنثوس بأن الألسنة ستبطل (١ كو ١٣ : ٨) .

وعندما كان بولس فى أفسس أجرى الله معجزات خاصة على يديه ، وكان بولس يمارس هذه القوة الممنوحة له من آن لآخر . ولم يرد ذكر أى معجزات أجريت فى دمشق وأورشليم وطرسوس وأنطاكية وبيسيدية ودربة وأثينا أو روما . ولكن الرب سمح لبولس بإجراء معجزات فى قبرص وأيقونية ولسترة وفيلبى وكورنثوس وأفسس ومليطة فقط.

ولم تكن المعجزات فى أفسس قوات عادية ، فلوقا الذى سجل الحادثة قد استخدم لغة طبية لوصف معجزات من نوع خاص . ولهذا تراه يؤكد على الظواهر المختلفة المستخدمة عن طريق موهبة الشفاء المعجزى الممنوحة لبولس ،« وكان الله يصنع على يدى بولس قوات غير معتادة حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة منهم» (١٩ : ١١و ١٢) ، لم يكن هناك أى فضل فى المناديل والمآزر التى أعطاها بولس للمرضى والذين بهم أرواح شريرة ، حتى وإن احتفظ بها الذين شفوا باعتبارها من المخلفات الثمينة ، فهى لم تكن سوى «وسائل» لموهبة الشفاء المعجزى التى مارسها بولس فى ذلك الوقت . يقول اليكوت :« إن فاعلية مثل هذه الوسائل (الوسائط) تماثل تماماً هدب ثوب الرب (مت ٩ : ٢٠ و ٢١) ، وظل بطرس (أع ٥ : ١٥) والطين لشفاء الأعمى (يو ٩ : ٦) . والوسائل ليست حتمية لأن الله ، عن طريق ابنه والرسل ، أجرى معجزات بوسائل وبدون وسائل.

فى مدينة وثنية كأفسس ، حيث كانت تنتشر عبادة ديانا وطلاسم الشفاء المزعوم ونماذج النهر الصغير التابعة للإلهة الوثنية ، ثم تعديل معجزات بولس لجذب الفكر الوثنى المتعلق بالخرافات ، «فقد كان يكفى أن يعرف أهل أفسس أن صلاة الإيمان والمنديل الذى لمس جسد الرسول كان لهما قوة أعظم على الشفاء من الطلاسم التى كانوا يضعون ثقتهم فيها من قبل» ، كان الإيمان يأتى بالمتألمين مـــن

أمراضهم لبولس طلباً للراحة ، وكانت تخرج منه قوة من الأعالى لشفاء أمراضهم ولجاتهم من الأرواح الشريرة . إن تقليد منديل الشفاء من قبل دعاة الشفاء الكاذب أمر يدعو للأسف . إن المناديل والأدوات الأخرى والمفترض الصلاة عليها من قبل دعاة الشفاء ، يزعم أن لها قدرة على توصيل الشفاء لأولئك المخدوعين والذين أرسلوا نقوداً ثمناً لهذه الخرق عديمة القيمة .. أليس من الغريب أنه على الرغم من أن بولس كانت لديه القدرة على شفاء الكثيرين فى ذلك الوقت ، لم يستطع أن يشفى صديقه المحبوب وشريكه فى الخدمة ؟ (٢تى ٤ : ٢٠) . فوفقاً لإرادة الله السامية ، فإنه يمنح أو يمنع هذه المواهب الروحية .

٢٧ - عقاب السبعة معزمين الكذابين

(١٩ : ١٣ - ٢٠)

معجزة أخرى حدثت فى أفسس كانت لها نتائج مدوية وهى تتعلق بالسبعة يهود الطوافين الذين ادعوا أن لهم قدرة إلهية على طرد الأرواح الشريرة ، فقد اتخذوا من إخراج الأرواح عن طريق التعزيم مهنة لهم وادّعوا أنه بطلاسمهم وتعاويذهم يمكن شفاء أولئك الذين بهم أرواح شريرة . كان هؤلاء السبعة الذين قاموا بممارسة هذا العمل أبناء سكاوا ، الشخص اليهودى الوحيد الذى يحمل هذا الاسم فى الكتاب المقدس . لقد ذكر أنه رئيس كهنة ولم يذكر على أى أساس كان يشغل هذا المنصب . لقد ارتكب هؤلاء الأبناء السبعة حماقة الاعتقاد بأنه حيث أن الذين شهدوا معجزات ربنا لطرد الأرواح الشريرة قد نسبوا قوته هذه لاتفاق بينه وبين الشيطان ، وحيث أن البعض كان يعتقد أن طرد الرسل للأرواح الشريرة باسم الرب كان يتم بتعاويذ سحرية ، فاعتقدوا لذلك أنه باستخدام اسم يسوع ، يمكنهم أن يحققوا نفس النتائج .

وفى هذه المناسبة الخاصة ، وإذ كانوا يعلمون شيئاً عن قوة المسيح الذى كان يكرز به بولس ، فإن هؤلاء السبعة المعزمين أخذوا على عاتقهم إخراج روح شرير من أحد الأشخاص ، وأقسموا على الروح الشرير باسم المسيح أن يخرج منه . كان الروح يقر بعجزه عن مخالفة أمر المسيح نفسه حين يتفوه به رسول حقيقى يستخدم هذا الاسم ، ولكنه لا يطيع المزيفين . والرجل الذى كان عليه الروح الشرير والذى حاول السبعة إخراجه ، قال نتيجة لإلهام خارجى « أما يسوع فأنا أعرفه وبولس أنا أعلمه وأما أنتم فمن أنتم ؟ » لقد كانوا فى موقف الاتهام بأنهم مغتصبون للقوة الإلهية .

وقفز الروح الشرير باستخدام الإنسان الساكن فيه ، على الرجال السبعة بقوة شديدة. «إن سكنى الروح الشرير كان يجلب معه كما فى حالة مجنون كورة الجدريين ، قوة خارقة للشيطان»، وطرد المحتالون من قبل الإنسان الذى به الروح النجس، عرايا ومجروحين، وقد سعدوا بأن ينجوا بحياتهم . ونحن لا يمكننا سوى أن نعتقد أنه فيما بعد تقابل بولس مع ذلك الرجل الذى به الروح النجس وأنه كان أحد الذين خرجت منهم الأرواح الشريرة (١٩ : ١٢). هذه الشهادة العظيمة على قوة المسيح وسلطان بولس كان لها وقع شديد على عقول الجماهير . وقد مهدت هذه الأحداث لانتشار الإنجيل وأججت الرغبة لسماع بولس يعظ .

نتيجة لمعجزات بولس وحادثة أبناء سكاوا ، اكتسحت نهضة غامرة كل أنحاء أفسس ، ووقع خوف على اليهود والأمم ، وكان اسم المسيح يتعظم . آمن كثيرون وأقروا بأفعالهم ، وكدليل على التغيير القلبى جمعوا كتب السحر وأحرقوها . كانت هذه الطلاسم والتعاويذ وكتب العرافة وتفسير الأحلام تساوى مبلغ ٥٠٠٠ دولار، ولم يستفد أصحابها منها ببيعها واستخدام النقود فى أغراض تعود عليهم بالنفع . إنهم لم يظهروا أى اعتبار للمجد العالمى والمنافع العالمية وأكرموا الله بتدمير ما هو مكروه له . وحيث أن الفعل الذى يستخدمه لوقا يدل على صيغة المضارع ، يبدو أن عملية الحريق كانت عملاً متكرراً أو عملاً دام عدة ساعات .

ونحن لا نتعجب حين نرى أنه نتيجة لمعجزات القوة الشافية ومعجزة النعمة «كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة» ، وكما عبر اليكوت عن ذلك بالقول : « فى ظل هذا الرفض الكامل للماضى القديم الشرير ، يمكننا على الأرجح أن نرى سر القدرة على اكتساب المزيد من المعرفة السامية والتى اعترف بولس بأنها تنتسب لكنيسة أفسس أكثر مما تنتمى لمعظم الكنائس الأخرى» ، فمن رسالته إلى

أهل أفسس نعرف كيف تحول القديسون بسرعة من الوثنية إلى الفهم الروحى العميق . ولكن فيما بعد ، تم توبيخ الكنيسة لأنها تركت محبتها الأولى (رؤ ٢ : ٤) .

٢٨ - معجزة إقامة افتيخوس

(٢٠ : ١ - ١٢)

اجتمع فى ترواس عدد كبير من الناس لاستقبال بولس والاستماع لرسالته . وفى المساء كان كسر الخبز فى يوم الرب ، وكان جوع الناس للحق قد شجع بولس لكى يعظ ويعظ حتى منتصف الليل . وبينما كانت المصابيح تنير تلك الغرفة العلوية ، كانت هناك استنارة روحية أكبر لأولئك الذين كانوا يستمتعون بكلمات الحياة المباركة . ونعاس أفتيخوس نتيجة للحرارة والرائحة المنبعثة من المصابيح العديدة فى الغرفة المزدحمة وطول العظة وتأخر الوقت سمات لرواية طبيب (انظر لو ٢٢ : ٤٥) .

إن أفتيخوس الذى وجد مكاناً يجلس فيه فى النافذة قد غلبه النوم وسقط إلى الأرض ومات نتيجة لكسر فى الرقبة أو ارتجاج فى المخ نتيجة لسقوطه من الطابق الثالث . أنهى بولس عظته الطويلة فجأة ونزل واحتضن الشاب الميت كما فعل إيليا وأليشع من قبل (١ مل ١٧ : ٢١ ، ٢ مل ٤ : ٣٤) ، وبقوة إلهية أقامه من الأموات .لا شك أنه كانت هناك إقامة معجزية . والقول « إن نفسه فيه » ، فالمعنى المتضمن هنا يشبه ما قاله المسيح « لم تمت الصبية ولكنها نائمة ».

إن إقامة الشاب جلبت التعزية للتلاميذ الذين لم يتركوا بولس حتى طلوع النهار ، عندما رحل لمواصلة رحلاته التبشيرية ، يقول دكتور جون هـ جرستنر Gerstner فى تعليقاته على سفر الأعمال فى« المفسر الكتابى » بأسلوب فكاهى :« فى حين أن عدداً كبيراً من الناس والأقل شأناً من بولس استطاعوا فى وقت أقل أن يجعلوا عدداً كبيراً من الشبان كأفتيخوس يستغرقون فى النوم ، إلا أنهم لم ينجحوا دائماً فى إيقاظهم .

٢٩ - معجزة إنقاذ بولس من الكمين لقتله

(٢٣ : ١ - ٢٤)

كم من تجارب وضيقات ألمت ببولس فى أسفاره التى قام بها دون ملل ، وهو يبذر البذار الجيدة على طول الطريق ، ويفرح حتى فى ضعفاته ! فقد كانت له قيود مزدوجة ، «كان مقيداً بالروح» ، وهذا لا يعنى العنصر الأسمى فى طبيعته ، بل إنه كان محصوراً بروح الله ، فلم يكن بولس بإمكانه أن يطيع إرادة أخرى سوى إرادة الله. إذ كانت الضرورة موضوعة عليه كى يتبع التوجيه الإلهى (١ كو ٩ : ١٦) ، وهناك أيضاً القيود الجسدية التى تنبأ بها أغابوس (٢١ : ١١)، وهذا يأتى بنا للمؤامرة الشريرة لقتله فى الأصحاح الذى أمامنا . فكنتيجة للشغب الذى حدث فى الهيكل ، ضُرب بولس ثم قيد بالسلاسل (٢١ : ٣٣) وحُمل إلى المعسكر ، حيث وقف على الدرج وسرد قصة تجديده المعجزى .

ولكن جمهور المستمعين فاقدى الصبر طالبوا بموت بولس ، فقد قال الناس إنه لا يستحق أن يعيش ، وتعطشهم للدماء دعاهم للمطالبة بقتله فوراً دون محاكمة ، فأمر الأمير أن يُذهب به إلى المعسكر ، ثم ضربه وقيده . ومع ذلك فقد طالب الرسول بحقوقه كمواطن رومانى ، فتم حله من الرباط وأتوا به أمام مجمع اليهود ، وفى المجمع حدثت منازعة وهياج مما أدى لاقتياد بولس إلى الحبس مرة أخرى فى المعسكر حيث زاره الرب الذى كان يتألم لأجله .

يا للحفظ الإلهى الذى منح لبولس ! لقد أراد الذهاب إلى روما ولكنه تساءل إن كان سيمكنه الخروج من أورشليم حياً (رو ١٥ : ٣٠ - ٣٢) ، ولكن عين الرب كانت على خادمه الأمين ، الذى ثبت وجهه كالصوان للمضى قدماً إلى الأمام . ومع أن بولس كان لا يعرف سوى النذر اليسير عن طريق الألم الذى أمامه إلا أنه كان هناك ما يذكره به فى كل خطوة - مليتس (٢٠: ١٥) ، صور (٢١:٤) ، قيصرية (٢١ : ١١و ١٦) . والآن وهو فى سجن المعسكر ، يأتيه يسوع ليطمئن خادمه الشجاع وأنه سوف يرى روما.

لم يكن بولس يخشى الألم أو الموت . كان قلقاً لئلا يستطيع استكمال مسيرته العظيمة . هل سيقع فريسة لليهود ، وبذلك يفشل

فى تحقيق رغبته المنشودة بالتبشير بالإنجيل فى روما ، العاصمة الشهيرة للامبراطورية (رو ١ : ١٣ ، ١٥ : ٢٣) ؟ وبعد يوم مضن أمام المجمع ، عاد لزنزانته وجد الراحة فى الصلاة التى استجيبت برؤيا رأى فيها الرب ، الذى لم يرسل ملاكاً ليعزى ويقوى خادمه ولكن ظهر بنفسه ليشد من أزر الرسول ويبهج قلبه .

إن رسالة الرب له بالقول : «ثق يابولس» ، الخارجة من فم الرب لابد أنها قد فرّحت نفس بولس ، قد يكون هناك المزيد من التأخير والمعاناة والمحاكمات ، ولكن الهدف أكيد لأن المعزى الإلهى والحافظ سوف يضمن وصول بولس لروما . لقد جاءته نفس كلمات الرجاء والتعزية ، إذ كان معذباً من أمواج ولجج النفس ، كما جاءت للاثنى عشر من قبل حين كانوا معذبين من أمواج بحر الجليل المضطربة (مت ١٤ : ٢٧) .

لقد تم إبطال المكيدة بأخذ بولس من المعسكر ومحاكمته محاكمة صورية بتدخل ابن أخت بولس ، وفشلت محاولة أخرى لمنع بولس من الوصول إلى روما . بعد الوصول إلى قيصرية ، شهد بولس بقوة عظيمة أمام فيلكس وترتلس وفستوس ، ولما طلب كمواطن رومانى أن يقف أمام أغريباس ، وجد بولس نفسه أمام هذا الملك وأخبره بقصة تجديده المعجزى .. لم يجد أغريباس شيئاً يستحق عليه بولس القيود أو الموت ، وكان يفضل إطلاق سراحه لو لم يكن بولس رفع دعواه إلى قيصر.

٣٠ - المعجزات فى مليطة

(٢٨ : ١ - ١٠)

إن خلفية هذا الاختبار الرائع الذى اجتاز فيه بولس فى مليطة ، كانت بالطبع رحلته البحرية الخطيرة والتى تم فيها إنقاذه هو والذين معه بمعجزة . لقد أبحر بولس فى ثلاث سفن ، إحداها من قيصرية إلى ميرا ، والأخرى من ميرا إلى مليطة ، والثالثة من مليطة إلى بوطيولى . فى الرحلة الثانية التى تمت فى وقت خطير ، كان هناك ٢٧٦ شخصاً على ظهر السفينة ، وعندما تعرضت السفينة لعاصفة هوجاء ، أثبت بولس أنه ربان ماهر وقائد للرجال . إن قصة تحطم السفينة تصلح للقراءة الكلاسيكية ، وحسن تصرف بولس وإيمانه بالله فى وقت الشدة من الأمور الملهمة للنفس .

وجد الرسول البحر هائجاً مضطرباً كاليهود الذين ناصبوه العداء فى كل مكان يذهب إليه ، ولكن عن طريق إعلان سماوى علم أن السفينة سوف تتحطم ولكن جميع المسافرين سوف يتم إنقاذهم . عندما هبت العاصفة وأخذت الأمواج تتقاذف السفينة كما لو كانت قطعة من الفلين ، فإن بولس الشخص الهادئ الوحيد فوق السفينة حث المسافرين الذين أصابهم الذعر حوله ألا يخافوا ، وكما جاء السيد فى ساعة الشدة وأمره بأن يثق ، فهكذا الآن ، فباسم سيده وبقوته أخبر الباقين ألا يخافوا . يا له من مشهد ! واحد من الأسرى هادئ وواثق وسط البؤس والغم يبث الشجاعة فى نفوس الذين هدهم الخوف من حوله . إن مصدر الشجاعة والقوة وحضور البديهة التى أظهرها بولس كان شيئاً خارقاً ، كما تبين الآخرون .

لقد تصرف بولس ، فى هذا الموقف المأساوى تصرف القائد ، فأعطى أوامره لبعض العسكر الذين حاولوا الهرب . وأثناء الوجبة الشهية بعد صيام طويل ، جعل بولس من هذه الوليمة فريضة ربانية ، وودّع العسكر والأسرى ، ٢٧٦ نفساً ، كل يأس وتشجعوا ، فالروح غير الهيابة لقائدهم تسربت لباقى المسافرين كما لو كانت تياراً كهربائياً سرى فيهم .

إن تحكم الرسول فى السفينة بتوجيه إلهى حتى اصطدمت بالأرض جعله فى حالة حسنة ، وعندما تحطمت السفينة خاف العسكر أن يهرب الأسرى فأرادوا قتلهم . ولكن قائد المئة الذى أعجب ببولس لشجاعته وتحكمه فى السفينة والمسافرين أثناء العاصفة وكان حريصاً على إنقاذه ، أبقى على حياة الأسرى ، الذين هربوا جميعهم بأمان إلى الأرض .

والجزيرة التى هربوا إليها كانت تدعى مليطة وهى مالطة الحالية ، وعلى الرغم من بربرية أهلها فى ذلك الوقت إلا أنهم قدموا «أحساناً غير معتاد» ، لركاب السفينة المحطمة ، أى أنهم أظهروا كرم ضيافة على غير المعتاد . أوقدت النار بسبب المطر والبرد ، وساعد بولس نفسه فى جمع القضبان لإيقاد النار . ولكن أفعى سامة كانت مختبئة فى الأغصان التى فى يد بولس وبمجرد أن

أحست بالحرارة ، أمسكت بيديه ونشبت أسنانها فيها ، ولم يظهر بولس أي خوف فرفع يده للحظة برباطة جأش ونفض عنه هذا المخلوق السام إلى النار . والمسافرون الذين نزلوا إلى الشاطئ وكانوا قد دهشوا من بولس أثناء تحطم السفينة ، أصبحو الآن أكثر دهشة بسبب هذه الحماية الإلهية لبولس .

انتظر أولاً أهل مليطة حتى تتورم يد بولس ثم يسقط ميتاً لأنهم اعتقدوا أنه قاتل وأن هذا عقاب من السماء على جريمته التي ارتكبها ، ولكنهم لما رأوا أنه لم يقع عليه أي ضرر غيروا رأيهم ودعوه «إله» ، إن مثل هذه المعجزة لم تكن مجرد مصادقة على إرسالية بولس بل كانت وسيلة للتبشير بالإنجيل لأولئك الذين كانوا في حاجة إليه ... والدرس الروحي المستفاد أنه على الرغم من أننا لا يصح أن نتوقع تدخلاً ظاهراً ومعجزياً لصالحنا في وقت الحاجة ، ولكننا كمفديين بدم المسيح ، لنا التأكيد أنه سوف يعتني بنا. ويمكن إيجاز خبرات بولس في هذه السطور:

بفـــرح غامـــر نرى يـــارب
أحداثـــاً تشهـــد لكلمتـــك
فالحية تفشل والشياطين تهرب
والمرضى ينالون الشفاء والقيود تنفك
والموتـــى يقومـــون ثانية

٣١ - معجزة شفاء والد بوبليوس

(٢٨ : ٧ - ١٠)

كان رئيس الجزيرة بوبليوس لطيفاً مع بولس ولوقا واستضافهما ثلاثة أيام . وخلال هذه الفترة الوجيزة ، اعترت الحمى والسحج والد بوبليوس . وقد استخدم لوقا كلمة «حمى» في الجمع كطبيب ليدل على نوبات متعاقبة ومتنوعة من الحمى ، والكلمة « سحج » كلمة مستخدمة هنا فقط في العهد الجديد ، ويفهم منها أنها حالة شبيهة بكلمة « دوسنتاريا » التي نستخدمها كثيراً . إن كل الاصطلاحات التي يستخدمها لوقا لتشخيص الأمراض سليمة طبياً ويمكن البحث عنها في الأدب الطبي . من الواضح أن الأب المصاب كان يعيش مع ابنه . دخل بولس الحجرة وصلى ووضع يديه على الرجل وشفاه . ونتيجة لهذه المعجزة ، عومل الرسل معاملة طيبة من قبل السكان .

والإكرامات التي حصلوا عليها كانت عبارة عن مؤن للطعام والملابس وما شابه ذلك من أشياء ضرورية للرحلة البحرية القادمة ، والكلمة التي يستخدمها لوقا « إكراميات » تعني الأجر الذي يدفع للطبيب واستخدامه هنا يدل على مهنة لوقا كطبيب .

ودَّع الأصدقاء الكرماء الطيبون في مليطة بولس وعندما وصل إلى بوطيولي على بعد حوالي ١٥٠ ميلاً من روما ، استقبله الإخوة هناك وآخرون غيرهم خرجوا لتحيته على طول الطريق (٢٨ : ١١ - ١٦) «فلما رآهم بولس شكر الله وتشجع» . إن أعداء بولس قد طردوه إلى روما ولكن محبة وعطف الأصدقاء قد جعلت الرحلة مباركة . انتهت الرحلة البحرية الطويلة والمتعبة ، واستقبل كثير من القديسين بولس خارج روما ، وسرعان ما وصل إلى العاصمة ليبدأ خدمته الرائعة . هناك أربع جمل تلقي الضوء على تحركات بولس وخدمته :

« ينبغي أن أرى رومية أيضاً » (١٩ : ٢١).

« هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً » (٢٣ : ١١).

« إلى قيصر تذهب » (٢٥ : ١٢).

« وهكذا أتينا إلى رومية » (٢٨ : ١٤).

نتيجة لشهادة بولس في روما أشرق يوم عظيم ومجيد على عالم الأمم ، وإذ كان بولس يقطن في بيته الذي استأجره للإقامة فيه ، لم يعترضه أحد وهو يبشر برسالة النعمة والمحبة المضحية « إن الرب الذي بيده تسيير الأمور قد جعل من رسول الملك السماوي والمدينة السماوية أسيراً في عاصمة الامبراطورية لمدة سنتين حتى يستعلن للجميع ». لقد كشفت دراستنا الشاملة كيف أن ربنا الصانع المعجزات قد أمد الأنبياء والرسل بقوة من لدنه (مر ٦ : ٧ - ١٣ ، ٩ : ٣٦ - ٤٠ ، لو ١٠ : ١٧ الخ) ، ولكن بالإشارة لمعجزاته هو ، قال يسوع:« من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها لأني ماضٍ إلى أبي » (يو ١٤ : ١٢) أعمال أعظم من «المعجزات» ! ما الذي يمكن أن يكون

أعظم من المعجزة ؟ إن الانتصارات الروحية للكنيسة هي هذه «الأعمال الأعظم» . إن أغلبية المعجزات التي درسناها كانت محلية ومؤقتة وزمنية : « الأعمال الأعظم » هي معجزات روحية ، عالمية وأبدية . فموتى الجسد الذين أقيموا ماتوا ثانية ، والموتى روحياً الذين أحياهم الروح يعيشون إلى الأبد .

هناك أمراض أردأ وأخطر من الأمراض الجسدية - وخزات الضمير ، موت القلب ، عدم رؤية الحق الإلهي ، عدم القدرة على خدمة الله بسبب شلل الإرادة وجمود الحركة ، والبرص الروحي الدفين ، ألا نحتاج نحن الذين للرب إلى قوة روحية خاصة حتى يمكننا أن نضع أيدينا على مرضى الخطية ونقدم لهم الشفاء ؟ إن قدرة الله على شفائهم يمكن أن تنتقل منا إلى المحتاجين . إنه ينتظر ويتوق أن يعمل بنا « أعمالاً أعظم » في حياتنا «والآيات» ، تتبع المؤمنين بمنح قوته على البركة .

يقول الكسندر سميلي : «باسمه ينبغي أن أخرج الشياطين» ، شياطين الخطية والكبرياء والأنانية وحب العالم من قلبي ومن قلوب الآخرين . إن فيّ ينبغي أن يسحق الشيطان تحت قدميه اليوم.

« باسمه يجب أن أتكلم بألسنة جديدة - بأصوات الشهادة وهمسات التعزية ورسائل التعليم ونبرات التشجيع وتأكيدات الرجاء . إن يسوع فيّ ينبغي أن ننشر الأخبار السارة على الدوام .

« باسمه يمكن أن أدوس الحيات وإذا شربت شيئاً مميتاً لا يضرني . لأن خادم المسيح لا يموت حتى يتمم عمله ، إنه يتحرك من خلال الخوف والألم ولا يضره شيء .

« باسمه يجب أن أضع يديّ على المرضى فيبرأون . إني أشتهي أن تكون لي تلك اليدان الحانيتان الشافيتان المعطيتان للراحة ! لأنه من نفسي تكون لمستي محمومة ، وكل ما أفعله أني أزيد من وطأة المرض الذي أسعى لشفائه .

وفي حين أن الله هو نفس الإله الصانع العجائب في عالمه ، فنحن في عصر المعجزات الروحية وكل شئ مستطاع للمؤمن ، وليت النعمة تساعدنا لكي ننتسج شعار وليم كاري الملهم الذي يقول :

توقع من الله أشياء عظيمة.

ولتحاول أن تفعل أشياء عظيمة لأجل الله .

ثالثا - المعجزات في الرسائل

هناك ٢١ رسالة موزعة على قسمين . هناك الرسائل البولسية تبدأ من الرسالة إلى رومية حتى الرسالة إلى العبرانيين ، وعددهم ١٤ رسالة . وعلى الرغم من وجود شك في أن بولس كتب الرسالة إلى العبرانيين إلا أننا لا نتردد في نسبتها إليه ، لأن معظم ما ورد فيها من فكر وأسلوب ينتمي لفكر وأسلوب بولس . وهناك الرسائل العامة من رسالة يعقوب حتى يهوذا ، وعددهم سبع رسائل من كتّاب مختلفين - يعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا .

كل هذه الرسائل أو الخطابات ، كتبها مسيحيون إلى مسيحيين، وهي تحتوي على الحق المسيحي في صورة مكتوبة . وأغلبية الرسائل قصد بها الكنائس ورسالة واحدة أو اثنتان فقط كانتا موجهتان إلى أفراد. إن الكنائس التي أسسها الرسل « كانت تموج بمشاكل تسببت عن المطالب الأخلاقية السامية للإيمان الجديد » . وكانت هذه الرسائل ضرورية لبنيان إيمان المؤمنين وهداية الكنائس الصغيرة في شئون تتعلق برسم سياسات تلك الكنائس والشئون العقائدية .

فى الأناجيل نجد « حقائق » عن المسيح ، فهى تقدم لنا القصص التاريخية لأقواله وأعماله ، فهذه الأناجيل الأربعة تقدم لنا الله الابن تماماً كما أن العهد القديم يعلن الله الآب .

نجد فى الرسائل أن نفس الشخصية التى تسود الأناجيل هى الشخصية المحورية ، ولكن ليس كالشخص المنظور على الأرض . فى الأناجيل ، المسيح نفسه هو المتحدث الرئيسى وفى الرسائل هو الشخص الرئيسى الذى يتم الحديث عنه ، والروح القدس هو المسيطر على كل الأحداث التى وردت فيها وهو الذى يأخذ ما للمسيح كرب ورأس الكنيسة ويكشفها للقديسين . إن الأناجيل تقدم « حقائق » عن المسيح ، وسفر الأعمال يقدم «الثمار» والرسائل تقدم «اكتمال» عمل الله . والعبارة المحببة لبولس هى « فى المسيح » وهى تتحدث عن كل مالنا فيه وبه .

إن الكنيسة المتنبأ عنها فى الأناجيل (مت ١٦ : ١٨ ، ١٨ : ١٧) والتى تأسست فى سفر أعمال الرسل ، تثبتت فى الرسائل لأننا نرى فيها كيف أن الروح القدس يجمع اليهود والأمم معاً ويصبهم فى قالب واحد ليصنع منهم إنساناً جديداً فى المسيح . ويهيئ الكنيسة كجسده وكرأسها ، فهو يملأها ويوجه حياتها وأنشطتها بالروح . فالرسائل إذن هى أسفار التثليث فى وحدة بينما سفر الرؤيا هو سفر الوحدة فى تثليث - قاسم الرب يتردد فى كل أجزائه فى بهاء ومجد (١ : ٤) .

إن الرسائل ككل لها غرض مزدوج :

(١) إعلان وكشف المبادئ الرئيسية العظمى للعمل الإلهى المتضمن فى حقائق الإنجيل .

(٢) تطبيق هذه المبادئ الخاصة بمعاملات الله معنا على الناحية العملية المتعلقة بضمير الإنسان واحتياجاته .

بهذه المقدمة الموجزة نقترب الآن من الدراسة التى تهمنا ، وهى إعلان العنصر المعجزى فى الرسائل والتى يمكن أن نضعها تحت عناوين رئيسية أربعة : معجزات الخليقة ، ومعجزات التاريخ ، ومعجزات العناية الإلهية ، ومعجزات النعمة .

١ - معجزات الخليقة

إن إعلان قوة الله الخارقة فى خليقته موجود كخيط ذهبى فى هذا القسم من العهد الجديد الذى نحن بصدده. فخليقة الله المنظورة تحمل خاتم الله كلى القوة . إن أموره غير المنظورة ترى فى قوته السرمدية ولاهوته (رو ١ : ١٩ و ٢٠). فكل الأشياء من الله وبه صنعت وهى كائنة لمجده وإتمام أغراضه (رو ١١ : ٣٦ ، كو ١ : ١٦ و ١٧ ، يع ٥ : ٧).

خلق الرجل والمرأة واعتماد كل منهما على الآخر وأنهما ملك لله (١ كو ١١ : ٨ - ١٢) .

خلق الجسد ووظائفه العديدة (١ كو ١٢ : ١٤ - ٢٦).

خلق الأسماك والطيور والشمس والقمر والنجوم (١ كو ١٥ : ٣٩ و ٤٠) .

خلق الكيان الأبدى الذى لا يفنى(٢كو ٥ :١-٤ ، فى٣:٢١).

مكر الشيطان فى شكل الحية (٢ كو ١١ : ٣ ، ١تى ٢ : ١٣ و ١٤).

ظهور الشيطان على شكل ملاك نور (٢ كو ١١ : ١٤).

الملك العظيم الأبدى صاحب السلطان ورب الكل (١تى ٦ : ١٥ و ١٦) .

عمل الله الابن المبدع (عب ١ : ٣ ، ١ : ١٠ - ١٢ ، ٢ : ٧ و ٨ و ١٠ ، كو ١ : ١٦و ١٧).

اكتمال خليقة الله (عب ٤ : ٣ و ٤ ، ١١ : ٣).

الخليقة الجديدة الأبدية (٢ بط ٣ : ١٢ و ١٣).

من ذلك نرى أنه لم تبذل أى محاولة لتفسير الجوانب المختلفة للعنصر المعجزى المذكور فى الرسائل، فأغلبية المعجزات قد تم التعامل معها بالكامل كما هى فى الطبيعة ، ولهداية القارئ فنحن نحاول أن نعمل تصنيفاً مبسطاً للمعجزات كما أشار إليها الرسل الذين دوّنوا الرسائل .

٢ - المعجزات في التاريخ

إن كتّاب العهد الجديد كيهود كانوا على دراية تامة بتاريخ العهد القديم . ومع ذلك فربنا اضطر لتوبيخ بعض تلاميذه اليهود لبطء قلوبهم في الإيمان بكل ما كتبه الأنبياء (لو ٢٤ : ٢٥) . إن الإشارات التاريخية كثيرة في الرسائل كما تثبت القائمة التالية:

التجسد والمعجزات وقيامة المسيح ابن الله (رو ١ : ٤ ، ٤ : ٢٤ و ٢٥ ، ٦ : ٤ و ٩ ، ٨ : ١١ ، ١٤ : ٩ ، ١ كو ١٥ ، ١ بط ١ : ٢١ ، ٢ كو ٤ : ١٤ ، ١٣ : ٤ ، أف ١ : ٢٠ ، في ٢ : ٦ - ١١ ، ٣ : ١٠) .

معجزة إبراهيم وسارة (رو ٤ : ١٨ - ٢١ ، ٩ : ٩ ، عب ١١ : ١١).

معجزة قيامة المؤمن (رو ٨ : ٢٣ ، ١ كو ٦ : ١١ ، ١٥ : ١٣ ، ١ تس ٤ : ١٣ - ١٨ ، تي ٢ : ١٣) .

المعجزات في عصر فرعون (رو ٩ : ١٧).

معجزات بولس الرسول (رو ١٥ : ١٨ و ١٩ ، ١ كو ٢ : ٤ ، ٢ كو ١٢ : ٩ ، غل ٣ : ٥ ، عب ٢ : ٤) .

الإعلانات الفائقة للروح القدس (١ كو ٢ : ١٠ و١١ ، غل ١ : ١٢ ، ٢ : ٢).

معجزة البحر الأحمر (١ كو ١٠ : ٢ ، عب ١١ : ٢٩).

معجزة تدبير الطعام للشعب في البرية (١ كو ١٠ : ٣ و٤ ، عب ٣ : ٩).

معجزة الهلاك بواسطة الحيات السامة (١ كو١٠ :٥ - ١١).

مواهب الروح القدس الفائقة (١ كو ١٢ : ١ - ٣١ ، ١٣ : ٨ ، ١٤ : ٢٢ ، أف ٤ : ٨) .

معجزة الجسم البشري (١ كو ١٢ : ١٤ - ٢٦) .

معجزة لمعان وجه موسى (٢ كو ٣ : ١٣ و ١٨ ، انظر يه ٩)

معجزات لحياة بولس من الموت والإعلانات المقدمة له (٢ كو ١١ : ٢٣ - ٢٦ ، ١٢ : ١ - ٦ و ٩ ، ٢ تي ٤ : ١٧).

القوة الفائقة لقوات الشر (أف ٢ : ٢ ، ٢ تس ٢ : ٨ - ١٠ ، ١ تي ٤ : ١ ، ٢ تي ٣ : ٨) .

معجزة دينونة الضالين (٢ تس ١ : ٧ - ١١).

معجزة ظهور ابن الله في الجسد وصعوده (١ تي ٣٠ : ١٦ ، عب ١ : ٣ ، ٩ : ٢٤ ، ٢ بط ١ : ١٨ و ١٩) .

معجزة انتقال أخنوخ (عب ١١ : ٥ ، يه ١٤).

معجزات الطوفان (عب ١١ : ٧ ، ١ بط ٣ : ٢٠ ، ٢ بط ٢ : ٥ ، ٣ : ٦ و ٧) ، وإسحق (عب ١١ : ١٥ و ١٩، وموسى ١١ : ٢٣ - ٢٧ ، وأريحا ١١ : ٣٠ والأنبياء ، والملوك والشهداء ١١ : ٣٢ - ٤٠ ، والحمار الأعجم الناطق بصوت إنسان (٢ بط ١٦ ، يه ١١) .

المعجزات على جبل سيناء (عب ١٢ : ١٨ و ٢١) .

معجزات إيليا (يع ٥ : ١٧ و ١٨).

معجزة سدوم وعمورة (٢ بط ٢ : ٧ - ٩، يه ٧).

معجزة انحلال الأرض (٢ بط ٣ : ١٠ - ١٣).

٣ - معجزات العناية الإلهية

تظهر العناية الإلهية في اتجاه مزدوج . أولاً ، في قوة الله على أن ينظم ويتدخل في شئون الأمم والناس لمجده وفائدة الإنسان . فإذا هو عليم بالمستقبل فيمكنه أن يتحكم في كل شئ ، فكل شئ خاضع لسلطانه لأن له السيطرة المطلقة على ما يدعوه الإنسان « امبراطورية الصدفة المتسعة الأرجاء ، كما يتبين من اختبارات يوسف ورفقة (تك ٢٤ : ٧ ، ١٢- ١٥ ، ٣٧ : ٢٥) . قدره الله في السيطرة على أفكار وإرادات وعواطف ومشورات وأعمال الأشرار وكل مكائد ودسائس الشيطان وأعوانه ثابت تماماً في الكتاب المقدس (تك ١ : ٢٦ ، أع ٤ : ٢٨ ، رو ٨ : ٣٢ الخ) .

جانب آخر من العناية الإلهية نجده في عناية الله الخيرة وصلاحه وهدايته . فلأنه يعرف النهاية منذ البداية فهو قادر على معرفة احتياجاتنا ، وفي محبته يقدم لنا ما نحتاجه . فنحن لا يمكن أن نقرأ

المستقبل ولكنه يقدر وإذ نضع ثقتنا فيه فهو يغمرنا كل يوم ببركاته . لقد كان القديسون القدامى يحبون أن يفكروا كثيراً في الله الذي يسد كل أعوازهم ويعتني بهم !

وهو قادر على تدبير رحلات ناجحة (رو ١ : ١٠ و ١١ ، ١٥ : ٣٢ ، ١كو ٤ : ١٩ ، فل ٢٢ ، يع ٤ : ١٣ - ١٥ ، ٣ يو ٢).

إن صلاحه روحي ، ومراحمه الزمنية يجب أن تقتادنا للتوبة (رو ٢ : ٤ ، ١١ : ٢٢) . وله القدرة على أن يجعل كل الأشياء تعمل معاً للخير (رو ٨ : ٢٨) .

وهو معنا دائماً بغض النظر عمن يكون ضدنا (رو ٨ : ٣١ و ٣٨ و ٣٩ ، ١ يو ٥ : ١٥) .

وله سلطان فائق على كل الحكام والقوى (رو ١٣ : ١ - ٣).

ويجب أن يقدم له المجد في استخدام كل ما يقدمه لنا (١ كو ١٠ : ٣١ ، عب ١٣ : ٥ و٦) .

وهو قادر أن يعزي قلوبنا (٢ كو ١ : ٣ - ٥ ، ٧ : ٦ و ٧ ، ١ بط ٥ : ٧).

وهو يستطيع أن يسدد جميع أعوازنا ، فالعطاء لا يقلل من غناه (٢ كو ٩ : ٧ - ٩ ، ١٢ : ٩ ، أف ٣ : ٢٠ ، في ٤ : ٦و ١١ و ١٩ ، ١ تس ٥ : ١٢ ، ١ تي ٤ : ٤ ، ٦ : ٨) .

وهو قادر أن يغيث ويعين المجربين (عب ٢ : ١٨ ، ٤ : ١٦ ، ١٢، ٦ : ١٣ : ٨) .

٤ - معجزات النعمة

إن نعمة الله العجيبة التي لا نظير لها كما نراها مجسمة في ابنه ومعلنة في كل طرقه وأقواله وأعماله واضحة في كل أجزاء الرسائل وبخاصة تلك التي كتبها بولس . ورسائله التي يطلق عليها « رسائل السجن » (غلاطية ، أفسس ، فيلبي ،كولوسي)، وهي قلب العهد الجديد .

تمثل النعمة امتيازاً غير مستحق ، وهي تشير لأوجه مختلفة لمثل هذا الموضوع العام ،إنها تنطبق على رحمة الله في غفران الخطية والمنوح دون أي استحقاق فينا « متبررين مجاناً بنعمته » (رو ٣ : ٢٤) . إنها تشير للإنجيل ككل - «لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس» (تي ٢ : ١١) ، وهي مرتبطة بالقداسة ، كنتيجة لنعمة الله حيث أننا عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة : « انموا في النعمة » (٢ بط ٣ : ١٨) . وليس « لتصبحوا في النعمة »، ولكن ما أن نكون في النعمة حتى ننمو فيها . ولكي نقتبس كل الفقرات المتعلقة بإعجاز النعمة الإلهية يعني أن تقدم أفضل جزء في الـ ٢١ رسالة . كم يشعر المرء بالحيرة إزاء الثراء الروحي عند التأمل في تعليم النعمة المجيد ! هاك بعض الجوانب للتأمل فيها :

إن الإنجيل هو قوة الله للخلاص(رو ١ : ١٦ ، ٥ : ١ و ٢).

النعمة مقدمة لجميع الخطاة يهوداً كانوا أو أمماً (رو ٣ : ٢٣ - ٢٥ و ٢٩ ، تي ٢ : ١١).

إن الذين ينالون هذه النعمة الغنية مطوبون (رو ٤ : ٧ ، ٥ : ٢٠ و ٢١ ، ٨ : ١٧) .

وهذه النعمة تشمل مستقبلنا كما تشمل ماضينا وحاضرنا (رو ٨ : ٢٣ ، ١ كو ٦ : ١١ ، ٢ كو ٤ : ١٦ و ١٧ ، ١ بط ١ : ٣ ، ١ يو ٣ : ٢) .

مصدر هذه النعمة المذهلة هو المسيح (٢ كو ٨ : ٩ ، غل ٢ : ٢٠ ، أف ١ : ٤) .

وبالنعمة نحن أكثر من غالبين (أف ٦ : ١٠ - ١٨ ، كو ١ : ١١ و ١٣) وأهلاً لامتيازات عظيمة (١ بط ٢ : ٩ و١٠).

عندما نتوب عن الخطية ونؤمن يصبح إله النعمة لنا (١ يو ١ : ٩).

رابعاً - المعجزات فى سفر الرؤيا

هذا السفر الختامى الرائع للكتاب المقدس ملىء بالمعجزات . فليس هناك سفر آخر فى العهد الجديد يضاهى سفر الرؤيا فى فخامة وسمو تركيبه اللغوى ، ففيه نجد إعلاناً لبعض الأسرار الإلهية لاستنارتنا وتعليمنا . وعلى أولئك الذين يقللون من شأن القسم النبوى من السفر ، وهو يمثل الشطر الأكبر منه ، أن يتأملوا بجدية فى الكلمات الرصينة للسير إسحق نيوتن فى هذا الصدد :

« *أعطى الله هذه (الرؤيا) ونبوات العهد القديم ليس لإشباع حب استطلاع البشر بتمكينهم من معرفة الأمور المستقبلية بل حتى يمكن تفسير هذه النبوات بعد إتمامها بفضل الحدث نفسه وبفضل التدبير الإلهى ، وليس بفضل المفسر ، الذى يستعلن فى ذلك الوقت للعالم كله* » .

تحدثنا من قبل عن معجزة النبوة ، ونبوات سفر الرؤيا ضرورية لاستكمال الخطة العظيمة للإنجيل ، عندما يسيطر الله أخيراً على كل فساد عالمى ، وعندما تتحقق خطته النبوية بالتمام . فى هذا السفر الغامض والرائع فى نفس الوقت ، فإن الله العليم بكل شئ أعطى الكنيسة منذ ٢٠٠٠ سنة مضت تقريباً خطته لأحداث المستقبل . إننا نكون فى ظلام وحماقة لو فشلنا فى فهم هذه الخطة الإلهية للأحداث المقبلة ! . وعلى الرغم من الإغراء بأن نقدم تفسيراً لسفر الرؤيا ككل إلا أن كل ما يهمنا فى دراستنا العامة للمعجزات فى الكتاب المقدس هو العنصر المعجزى الموجود فى هذا السفر من السجل المقدس.

١ - معجزات السفر نفسه

(١ : ١ - ٣)

لو نظرنا إلى سفر الرؤيا من أى زاوية لوجدناه كتاباً خارقاً - خارقاً ليس فقط فى محتوياته كما سنجد حالاً ولكن أيضاً فى فكرته ورسالته وأسلوبه . وفى حين يبدو السفر للقارئ العادى سراً غامضاً يحتوى على رموز ونبوات غريبة ومدهشة ، إلا أنه بالنسبة لأولئك الذين يطلبون معونة الروح القدس الذى أوحى إلى يوحنا بكتابته ، يبرز السفر كواحد من أفضل الأسفار الرائعة التى كتبت .

وفى محاولة فهمنا لسفر الرؤيا توجد حقيقة أو اثنتان ، لو وضعناهما نصب أعيننا ، فإنهما سوف تقدمان لنا مساعدة قيّمة لفهم السفر . أولاً ، فهو السفر النبوى الوحيد بالكامل فى العهد الجديد وهو يحتوى على البيان الإلهى الوحيد الكامل والدقيق للأحداث المستقبلية . ثم إنه ليس سفراً مختوماً ، فمع أنه رمزى عند مقارنة الأقوال الكتابية بعضها بالبعض الآخر إلا أن مفتاح جميع الرموز يصبح واضحاً . ثم إن الإيمان البسيط بكل ما يقوله أمر ضرورى لإعداد الذهن لدراسة السفر . وهذا هو السفر الوحيد فى الكتاب المقدس الذى تقدم فيه بركة خاصة لكل من يقرأه ويسمعه (١ : ٣) ، وحيث إنه موجه لكل عبيد الرب ، فحياتهم تثرى عند اكتشاف حقائقه الداخلية ، والسفر مهم بنوع خاص لأنه خاتمة كتاب الله المقدس، وفى هذا الصدد يجب مقارنته بسفر التكوين ، السفر الافتتاحى للكتاب المقدس ، فالكتاب المقدس يبدأ بالجنة وينتهى بها .

ورسالة محتويات السفر خارقة . فهو سفر« الرؤيا » (الاعلان)Revelation «الرؤى» (الإعلانات) Revelations كما يدعوه بعض الناس أحياناً، فليست هناك عدة إعلانات فى السفر ولكنه إعلان واحد وهو إعلان يسوع المسيح المعلن عنه بعدة طرق . والكلمة Revelation من الأصل اليونانى Apocalupisis والتى اشتقت منها كلمة Apocalypse بمعنى «يكشف» أو «ينزع الغطاء» والفكرة المقصودة وراء المصطلح هو نزع الغطاء كما يحدث عندما ينزع غطاء لتمثال حتى تتاح رؤيته للناس . فهنا إذن كشف لشخص المسيح الكلى الجلالة وإزالة الغطاء عن تلك الأحداث السابقة والمصاحبة لمجيئه ثانية .

وهذه الإعلان كان فى فكر الله الذى أعطاه لابنه الوحيد ثم

أعطاه الابن «للملاك» ، ولا يخبرنا الكتاب شيئاً عن ذلك الملاك المختار . وحين وضع بعض الكتّاب هذا التصور أساساً لما جاء في ٢٢ : ٨ و ٩ قالوا إنه من المحتمل أن يكون أحد أنبياء العهد القديم وقد أقيم من الأموات لهذا الغرض ، ثم أعطى هذا الملاك الإعلان ليوحنا الذى كتبه فقط لأن الله هو مصدره وأعطاه يوحنا لعبيد الرب أو لكنيسته ، وهذه الطريقة فى توصيل الرسالة ليست مباشرة كالرسالات الأخرى العديدة فى الكتاب المقدس (٢ مل ٥ : ٢٦ ، ٦ : ٣٢ ، ٨ : ١٠ الخ). وهذا الإعلان الذى تلقاه يوحنا فى جزيرة بطمس نجد تجسيداً له فى الرؤى التى رآها ، وهذه الكلمة (إعلان) تضفى وحدة على الرسائل العديدة والمختلفة المتضمنة فى السفر سواء كانت بالكلمة أو بالرؤيا .

والتفسيرات المقدمة لبيان الهدف من السفر مختلفة ، فهناك الفكر اللاهوتى الذى يعتقد أن كل نبوات سفر الرؤيا قد تحققت فى الماضى، وهؤلاء يؤكدون أن كل ما فى السفر قد تحقق فى جهاد اليهود والمسيحيين الأوائل أثناء غزوات اليونان والرومان وبنوع خاص الأخيرين ، يطلق على أتباع هذا التفسير « المدرسة الماضية » Preteriest School . ثم هناك المدرسة « التاريخية » التى تقول إن نبوات السفر تتحقق تدريجياً وإن الشطر الأعظم من هذه النبوات قد تحقق بالفعل . والمدرسة «الروحية» تهمل الجانب النبوى وتقول إن سفر الرؤيا يصور فى شكل رمزى الصراع الروحى بين المسيح والشيطان وبين النور والظلام . والمدرسة «المستقبلية» مع ذلك تعتقد أن التفسير المنطقى المقبول للسفر أن أغلب ما جاء فيه سوف يتحقق بعد اختطاف الكنيسة وأتباع هذه المدرسة ينادون بأن التفسير الوحيد المقنع للسفر متضمن فى التقسيم الطبيعى الثلاثى الجوانب والمعلن من يسوع ليوحنا (١ : ١٩).

(١) « فاكتب ما رأيت » – الماضى . ويشير هذا الجانب للرؤيا التى رآها يوحنا قبل أن يبدأ الكتابة عن المسيح القائم فى وسط السبع المناير (١ : ١٠ – ١٨ و ٢٠).

(٢) « ما هو كائن » – الحاضر ، ويقصد به الرسائل السبع المتضمنة فى أصحاحى ٢ ، ٣ حيث نجد تتبعاً لشهادة الكنيسة على مر المراحل التاريخية المعاصرة واللاحقة منذ يوم الخمسين حتى الاختطاف .

(٣) « وما هو عتيد أن يكون بعد هذا » المستقبل . وهذا القسم يمتد من أصحاح ٤ حتى أصحاح ٢٢ : ١٤ ، وهو يحتوى فى مجمله على القسم النبوى فى السفر . وهذه الأقسام الثلاثة تتجاوب مع ذاك الذى «كان والكائن والذى يأتى »(١ : ٨).

من سوى الله بإمكانه أن يبدع هذا السفر الخارق المكوَّن من مجموعات سباعية ، سبع سبعات ، والتى يمكن تبينها بسهولة !

(١) الكنائس السبع (١ : ٩ – ٢٠ ، ٢ ، ٣ : ٣).
(٢) الختوم السبعة (٤ – ٨ : ٢).
(٣) الأبواق السبعة (٨ : ٢ – ١١ : ١٩).
(٤) الشخصيات الغامضة السبع (١٢ – ١٤) .
(٥) الضربات الأخيرة السبع (١٥ – ١٦).
(٦) الأحداث العظيمة السبعة بعد بابل (١٩: ١١ – ٢٠ : ١٥)
(٧) الأشياء الجديدة السبعة (٢١ : ١– ٢٢ : ٥).

حقا إن « أقوال» و«أعمال» سفر الرؤيا معجزية ! فالله العليم بكل شئ هو وحده القادر على إعطاء مثل هذا السفر الرائع الذى يمتاز بوحدته وتطابق مجمل نبواته المتعلقة بالكنيسة وإسرائيل والأمم والعالم والأبدية . « إن الطريقة رؤوية وحركة الدراما الكبرى تنفتح على تدرج لأحداث ذات بهاء لا مثيل له ، فتهتز الأرض تحت صدمة المعركة وضربات الدينونة ، فينكشف الحجاب عن مشهد الهاوية بما فيها من أهوال لا تنتهى ،والسماء بما فيها من نعيم وغبطة ، يقدم لنا سفر التكوين «الفردوس المفقود» ، ويقدم لنا سفر الرؤيا ، «الفردوس المسترد» .

٢ - المعجزات التى اجرتها القوات السمائية

تتوحد السماء فى الإطاحة النهائية بقوات الجحيم . نرى هنا الله الآب والله الابن والله الروح القدس وجيش الملائكة الذين لم يسقطوا مستعدين لدحر الشر وقواته وإنشاء نظام جديد كامل . وبهذه القوة السمائية فإن أحداثاً عظمى ومجيدة على وشك أن تحدث . وفى حين أن شخص يسوع المسيح بما له من سلطان يتخلل

كل جنبات السفر إلا أن الله مصدر كل قوة يتم الإعلان عنه ليس فقط كمصدر لمثل هذا الإعلان (١ : ١) ولكن أيضاً كموضوع من موضوعات السفر . فقدرته على صنع المعجزات ظاهرة فى كل أرجاء السفر ، ويتحدث السفر عن خليقته وعن أحكامه وقدرته غير المحدودة (٢ : ٣ ، ٣ :١٢ و ١٤ ، ٤ : ٨ ، ٥ : ١٠ ، ٧ : ٢و ١٦ و ١١ و ١٥و ١٧ ، ٩ : ٤ ، ١١ : ٤) ، وهو يكشف سره لعبيده (١٠ : ٧) ، وهو مصدر الحياة (١١ : ١١) ، والقاضى العادل (١٤ : ١٠ و ١٩) ، والمكفكف لدموع الأرض وأحزانها (٢١ : ٤) .

وكون الابن فى تناغم تام مع الآب واضح من كل ما يقال عن ألقابه الإلهية وأحكام عدله . إننا نحتاج أن نفرد كتاباً خاصاً لنبرز ونفسر معنى كل الأوصاف المنسوبة للمسيح منذ البداية «كالشاهد الأمين »(١ : ٥) وحتى النهاية « أصل وذرية داود كوكب الصبح المنير » (٢٢ : ١٦) ، ونفس الرب الذى أجريت على يديه المعجزات فى أيام تجسده ، يرى هنا فى عظمة قوته . وعندما نفحص معجزات السفر ، نرى أنه المتسلط على كل شئ .

وكون الأقانيم الثلاثة للاهوت تعمل معاً فى السفر يتضح من الطريقة التى يشارك بها الروح القدس فى كل جانب من جوانب الأحداث المدونة ، فقد تلقى يوحنا هذا الإعلان الرائع عندما كان فى الروح (١ : ١٠ ، ٤ : ٢) . وفى ذلك الوقت فقد الرسول الإحساس بكل ما حوله ووجد نفسه فى حالة أخرى . لقد كان يوحنا منقاداً بالروح وخاضعاً له، وهكذا أصبح متلقياً لكل ما لدينا فى السفر . وكون الروح القدس صاحب القوة الخارقة نجده فى الوصف الذى يتسم به« بأنه سبعة أرواح الله» (١ : ٤ ، ٥ : ٦) ، لا يوجد بالطبع سبعة «أرواح قدس» بل روح واحد فقط ، ولكن ظهوره وعمله سباعى (إش ١١ : ١ - ٣).وكالشخص الذى له «سبعة قرون» فهو كلى القوة مثل الله والمسيح. و«القرن» رمز للقوة و «سبعة» هو العدد الذى يدل على الكمال . فقوته إذن كاملة ، ونرى الروح القدس لآخر مرة فى السفر حيث نجده يشارك الكنيسة فى الصلاة لأجل مجئ المسيح ثانية « تعال » (٢٢ : ١٧) .

وينضم جيش الملائكة فى السماء إلى الثالوث والملائكة كأدوات لتنفيذ القضاء الإلهى متواجدون فى كل أرجاء السفر . وفى بعض الحالات يمثل « الملاك » رسولاً بشرياً وليس رسولاً سماوياً (٢ : ١ الخ) ، وإذا تتبع القارئ كل الشواهد عن الملائكة «سوف يجد أنهم قد ذكروا كوسائل للإعلان والسلطة والقضاء ، وأنهم كثيرون بلا عدد ، ولا يصح السجود لهم ، وأنهم سيشهدون عذاب الأشرار.

٣ - المعجزات التى سوف تجريها قوات الجحيم

(١٣ : ١٣ و ١٤ ، ١٩ : ٢٠)

هناك ثالوث مضاد لثالوث السماء - الآب والابن والروح القدس - وهو ثالوث الجحيم - التنين والوحش والنبى الكذاب . يوضح ترنش أنه جنباً إلى جنب مع المعجزات الإلهية « يوجد نمط آخر من العجائب ، وهى أعمال إبليس المضادة لهذه المعجزات ، فإبليس يحاكى العلى ولا يزال يعتبر ممسخاً لأقدس المقدسات» ، وفى حين ينسب الكتاب المقدس للشيطان أعمالاً خارقة ، إلا أن المعجزات الحقيقية لها تحديد ثابت وهى قاصرة على تلك التى تجرى بقوة الله ، فهو وحده يستطيع أن يجرى المعجزات بخلاف النظام السائد فى الطبيعة ،« الصانع العجائب العظام وحده » (مز ١٣٦ :٤). «أى إله فى السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وكجبروتك ؟» (تث ٣ : ٢٤) . وأعوان الشيطان ، كسحرة فرعون وعليم الساحر قد يعملون عجائب محدودة ولكن الله وحده يستطيع أن يجرى العظائم .

فالله قد احتفظ لنفسه بقوة إجراء المعجزات كحق من حقوقه . فالشيطان لا يستطيع أن يسرع أو يبطئ من دورة الطبيعة ، أو يقدم أو يؤخر مواقيت ، ولا يستطيع أن يعجل بحدوث الأحداث أو يؤخرها كما يستطيع أن يفعل الله . « يمكن التمييز بين المعجزات الزائفة والمعجزات الحقيقية بالنظر لفاعليتها وفائدتها وطريقة إجرائها وهدفها والقائم بإجرائها والمناسبة التى أجريت فيها » .

فى شرحنا لمعجزات العهد القديم ، أشرنا إلى قوة الشيطان فى مجال المعجزات ، فعجائبه « كاذبة » (٢ تس ٢ : ٩) ليس لأنها فى حد ذاتها مجرد خداع واحتيال بل لأنها أجريت لتدعيم مملكة

الأكاذيب التابعة له .

وقد تنبأ ربنا بأن قوى الشيطان سوف تجرى آيات عظيمة وعجائب فى فترة وقت النهاية من تاريخ العالم (مت ٢٤ : ٢٤) . وفى عصر ربنا كان هناك مسحاء كذبة يزعمون ويعدون بقدرتهم على إجراء المعجزات . والمصرى الذى ظنت المحكمة الرومانية أنه بولس (أع ٢١ : ٣٨) والذى يعطينا يوسيفوس صورة أكمل عنه ، قاد جمهوراً صاخباً إلى جبل الزيتون ووعد أن يريهم من هناك كيف أنه كيشوع ثان بل وأعظم من يشوع يمكنه أن يجعل ، ليس أسوار أريحا ، بل أسوار أورشليم تسقط إلى الأرض بمجرد كلمة منه .

خلال الضيقة العظيمة ، فإن ضد المسيح بإيعاز من الشيطان سوف يقوم بعمل عجائب كما تنبأ بولس (٢ تس ٢ : ٩) . ومن أصعب التجارب التى سوف يجتازها المختارون التفرقة بين القوات السماوية والجهنمية . وفى مجال المعجزات سوف يبدو أن ضد المسيح قد أخلى لنفسه الساحة ، وسوف تنخدع الجماهير بعدد الآيات والمعجزات التى سوف يجريها الوحش (١٣ : ٤ - ٨) . واستعراض هذه القوات المفترض أنها معجزية سوف يجعله يكسب السجود والعبادة .

وكما أن الروح القدس يستخدم آيات وعجائب للشهادة للمسيح ، فهكذا الروح الشرير فى الوحش الثانى سوف يستخدم كل القوات والآيات والعجائب الكاذبة للشهادة ضد المسيح . وكما أن روح الحق كوّن الكنيسة والتى تحمل سمة المسيح البكر والشاهدة للمسيح على الأرض ، فهكذا سوف يعمل النبى الكذاب صورة للوحش ويجعلها تشهد له . وكما أن مهمة الروح القدس من خلال عبيد الله تكوين تلاميذ من جميع الأمم ، هكذا فعمل النبى الكذاب أن يجعل الأرض تسجد للوحش وتقبل سمته . إن تابعى الرب يختمون بالروح القدس ليوم الفداء ، وهكذا فتابعو الوحش يختمون بختم النبى الكذاب حتى يوم المعصية . فلا عجب أن تمثل هذه المدة الرهيبة « سر الإثم » .

والمعجزة المزدوجة التى سوف تجرى عبارة عن نار تنزل من السماء وتجعل الصورة تتكلم ، ونزول النار سوف تكون المعجزة المضادة لمعجزة إيليا . وكون الشيطان الذى سوف يعظم النبى الكذاب يستطيع أن يفعل ذلك ثابت من الإذن الإلهى الذى أخذه ليجلب ناراً من السماء لتحرق كل ممتلكات أيوب (١ : ١٦) .

ونرى فى مقدرة الشرير هذه على عمل المعجزات حتى إنه يجعل الصورة تتكلم ، محاولة أخرى لمحاكاة الله مصدر الحياة . إن العلم يستطيع أن يجعل الإنسان الآلى الميت يتكلم ، ولكن صناع الآيات الكاذبة هؤلاء سوف يتحملون عقاباً مريعاً لإجراء آياتهم (١٩ : ٢٠ ، ٢٠ : ٩ و ١٠ ، ٢١ : ٨) .

وهكذا فقوات الشر الروحية مستعدة ، وليس هناك شك فيما يتعلق بنتيجة الصراع بين النور والظلام والمنوّه عنه بصورة زاهية الألوان فى السفر . ويتركز جزء كبير من الصراع فى شخص المسيح كالحمل المذبوح . ومهما وقفت ظروف الدهر وتقلبات الزمن فى طريق تقدمه إلا أن نجاحه أكيد . إن منافسة قوات الظلام موضح عن طريق عدد من المقابلات ، فالعروس مقابل الزانية والحمل المذبوح والحى ثانية مقابل الوحش الذى جرح جرحاً مميتاً ، ولكن جرحه قد شفى والسجود ليهوه مقابل السجود لضد المسيح ، ولكن النصرة للرب لأن كل الأشخاص والأشياء سوف تخضع له . وفى النهاية سيلقى الشيطان جزاءه . لقد سبق له أن ألقى البعض فى السجن (٢ : ١٠) ، ولكنه سوف يطرح مكبلاً أخيراً فى الهاوية (٢٠ : ٣ و ٧) . لقد ختم قبر المخلّص (مت ٢٧ : ٦٦) ، والآن فالملاك يختم عليه فى الهاوية مكان سجنه . إن خاتمة هذا السفر المعجزى خاتمة مجيدة ومنتصرة !

[أنا هو الألف والياء البداية والنهاية الأول والآخر ، هللويا]

٤ - المعجزات المتعلقة بقوى الطبيعة

بفحص المعجزات التى سوف تجرى بعد اختطاف الكنيسة ، نكتشف أن أغلبيتها صورة طبق الأصل لمعجزات العهد القديم . فالضيقة العظيمة سوف تشهد تكراراً للضربات الخارقة فى القديم . ويرجى أن التصنيف التالى سوف يثبت أنه مفيد لمن يرغبون فى تتبع هذا الجانب المثير فى هذا الموضوع بصورة مكتملة .

القيامة (١ : ١٨ ، ١١ : ٨ - ١١ ، ٢٠ : ٥ و ٦) .

في حين أننا لا يمكن أن نضع قيامة المسيح داخل نطاق القوى الطبيعية إلا أن قيامته من الموت انتصار على العديد من هذه القوى المؤدية للموت . فالمسيح الذى هو « الحياة » قد مات ولكنه حى الآن إلى أبد الآبدين . توجد معجزتان هنا : « فالحى قد صار ميتاً، والميت حى إلى الأبد» .

إن المعجزات تتصل بوجود الشاهدين اللذين يعتقد بعض الكتّاب أنهما موسى وإيليا بسبب التشابه بين عملهما وعمل الشاهدين . ووجه العجب هنا : مهما يكونان ، أنهما يُحضران إلى الأرض ويُمنحان جسمين بشريين به يخدمان ويتألمان . وهذان الشاهدان سوف يقتلان على يد الوحش بالقرب من المكان الذى صلب فيه ربهما ، وبعد ثلاثة أيام ونصف يقوم جسداهما . إن روح حياة من الله يدخل فيهما ويقوم الشاهدان بقوة ويقفان على أرجلهما . ثم يؤخذان إلى السماء ولهما حياة أبدية لا يمكن للموت أن يقرب منها .

وهناك أيضاً قيامة الوحش الذى تلقى جرحاً مميتاً وعودته للحياة سوف تكسبه إعجاب العالم وسجوده (١٣ : ١ - ٤) . كم ستكون هذه الشخصية البشرية المخيفة مزودة بقوة شيطانية وهى تتحدى الله ومزودة بقوة ملوكية وسلطان على كل العالم من قِبل إبليس ! لقد شهد العالم العديد من الطغاة القساة القلب ولكن الوحش المقام سوف يكون شخصية لا مثيل لها فى تاريخ الجنس البشرى .

ثم هناك أيضاً معجزة قيامة القديسين الشهداء . يقول والتر سكوت : إنه أثناء الضيقة العظيمة لن يموت قديس واحد ميتة طبيعية ، فإما أن يعيش حتى نهاية هذه المدة أو يستشهد . ومن المرجح أن هؤلاء الشهداء الذين سوف يقامون من الأموات هم أولئك الذين قتلوا عند فتح الختم الخامس (٦ : ٩ - ١١).

الصعود (٤ : ١ ، ١١ : ١٢)

إن اختبار يوحنا باختطافه إلى السماء نبوة عن الكنيسة التى سوف تخطف بصورة معجزية لتكون مع الرب .« باب مفتوح فى السماء» . قد مكَّن يوحنا من الدخول « والسماء مفتوحة » لكى يخرج القديسون لأداء مهام إلهية (١٩ : ١١) .

إن الصعود الانتصارى للشاهدين موصوف بدقة من قِبل يوحنا. لقد شهد أعداؤهما مثل هذا الانتقال المعجزى من مكان الخدمة والمعاناة . لقد صعد الشاهدان بعيداً عن احتقار الأرض لهما والتوبيخ الذى لقياه والقتل . تم كل ذلك فى لحظة كما سيحدث عندما تخطف الكنيسة الحقيقية (١ كو ١٥ : ٥٢) .

البروق والرعود (٤ : ٥ ، ٦ : ١ ، ٨ : ٥ ، ١٠ : ٣ - ٥ ، ١١: ٩، ١٤ ، ٢ : ١٦ ، ١٨):

بالهول انتفاضات الطبيعة التى ستختبرها الأرض عندما يرسل الله « مدفعية السماء » لإتمام أغراضه ! إن البروق والرعود ، المنذرة بالدينونة القادمة ، تخرج من العرش ، مركز السلطان الملكى . إن الله على وشك أن يؤكد سلطانه ، ولن يكون هناك مهرب من آيات أحكام عدله (مز ٢٩ : ٣ - ٥) . كان يُعتقد قديماً أن أفضل الأشياء التى يمكن أن تقى من البرق النسر - رمز الإله جوبيتر ، وعجل البحر رمز أوغسطوس قيصر ، وشجر الغار المفضل عند طبريوس ، ولكن الإنسان ليس له ما يمكن أن يحميه عندما تحين ساعة القضاء الإلهى .

فى الختم الأول ، عندما تكلم واحد من الأربعة الحيوانات متكلماً « كصوت رعد » قدم أول حادث نبوى ، وتستهل النبوة بأصوات عالية لا يمكن ألا يسمعها أحد ، فيما بعد (٨ : ٥)، يقوم الملاك بعمل مصحوباً بعلامات رمزية تدل على قدرة الله الفائقة . فهناك أربع كلمات تستخدم كنذور بنزول فترات متعاقبة من الغضب الإلهى على الأرض : «أصوات ورعود وبروق وزلزلة» «تشكل هذه الكلمات وصفاً للكارثة ، وسمتها الرباعية هنا تدل على شمولية الكارثة» .

تدل الرعود السبعة على كمال التدخل الإلهى بالدينونة ، فهى دينونة لا يستطيع أن يتهرب منها أحد ، إن الأجساد التى لحق بها الضرر والأشخاص الذين ماتوا أثناء عاصفة رعدية يقال إنها لا

تفسد وأى إنسان مرموق يلحقه الضرر من جراء كارثة كهذه كان ينظر إليه الأقدمون نظرة تكريم . ولكن كم يكون الموقف مختلفاً بالنسبة لأولئك الذين يموتون عند ما يطلق الله قوى الطبيعة المدمرة من عقالها ! إن سفر الرؤيا ملئ باقتباسات من العهد القديم ، و«الرعد» هو صوت الله فى الدينونة ، وهو تعبير عن سلطانه وقوته (١ صم ٧ : ١٠ ، مز ١٨ : ١٣ ، أى ٢٦ : ١٤) .

ومع «سكب جامة الغضب السابعة» فإن رموز القوة الإلهية فى الدينونة قد صحبها «أصوات» تدل على أن تنفيذ الأحكام سوف يتم توجيههه من قبل الله، وأن هذه الرموز والعلامات على غضب الله سوف تصيب قلوب البشر بالرعب .

الزلازل (١١ : ١٣ ، ١٦ : ١٨):

بعد أن خلق الله الأرض فإنه هو الذى يتحكم فى دورانها، وعندما ينظر إلى الأرض فإنها ترتعد وتهتز (مز ١٠٤ : ٣٢). عندما فتح الختم السادس الذى تم بموجبه زوال كل سلطة حكومية ومدنية ، فإن الزلزلة العظيمة تبين شدة اهتزاز الحالة المستقرة للأشياء ، فالزلزلة هنا مع علامات أخرى إشارة هامة واضحة على الغضب الإلهى ، وهى توصف بأنها عظيمة ، «حيث إن نتائجها بالنسبة للبشر تشهد بوضوح عن كل شئ . إن الخوف والرعب سيكونان من نصيبهم !» (٦ : ١٧) .

عند دفاع الله العلنى عن الشاهدين المقتولين هناك ذكر لزلزلة تقتل ٧٠٠٠ شخص (١١ : ١٣) ، وتذكر الزلزلة مرة أخرى عند تذكر الله لإسرائيل (١١ : ١٩) . وعند سكب جامة الغضب السابعة يحدث زلزال من نوع غريب يتم الحديث عنه بأنها « زلزلة عظيمة لم يحدث مثلها » ، لقد اختبر العالم زلازل مدمرة ولكن هذه الزلزلة كما يقول يوحنا تفوق كل الزلازل السابقة فى القوة والنتائج المدمرة . وبينما ستكون هناك زلازل مادية فى أماكن عديدة (مر ١٣ : ٨) ، إلا أن « الزلزلة العظيمة » سوف ينجم عنها تصدع شامل غير مسبوق . هنا نجد رمزاً لأعظم انهيار وتدمير للحكومات والسلطات الأرضية ، ومن النتائج المدمرة لهذه الزلزلة القوية الإطاحة بالتحالف الشيطانى الكبير .

البرد (٨ : ٧ و ٩ ، ١٦ : ٢١):

يشكل البرد جزءاً من المدفعية الإلهية (أى ٣٨ : ٢٢) . تميزت الضربة السابعة على مصر ببرد شديد مصحوب بنار على كل الأرض (خر ٩ : ٢٤). وقتل الله بالبرد الخمسة ملوك الفلسطينيين المتحالفين ، أعداء شعبه (يش ١٠ : ١١) . وعند البوق الأول أضيف عنصر ثالث « للبرد والنار » «مخلوطان بدم» .(انظر يؤ ٢ : ٣٠) ، فالدم ليس شيئاً مدمراً لوحده ولكنه يمتزج مع العنصرين الآخرين .. إن هذا الخليط العجيب للقوى الثلاث خارج نطاق الطبيعة تماماً . فنجد هنا دينونة ذات طبيعة متميزة وخارقة ، إنه عقاب مدمر وسريع الانتشار سوف يتحول ثلث البحر إلى دم مما يذكرنا بإحدى ضربات مصر (خر ٧ : ٢٠ و ٢١).

يرمز البرد فى الكتاب المقدس للعقاب المفاجئ الجاد والشامل من السماء، والله هو مصدره (إش ٢٨ : ١٧ ، رؤ ١١ : ١٩ ، ١٦ : ٢١) . و« البرد العظيم » عند سكب جامة الغضب السابعة يمثل رعب شامل يصحبه إعصار من الحكم الإلهى ينزل على الأشرار بقوة كاسحة لا تقاوم ، وحجارة البرد « نحو ثقل وزنة » حوالى ١٢٥ رطلاً . إن حجارة البرد هذه ، وهى الأشد تدميراً سوف ترمز لقمة العقاب الإلهى . ومع ذلك فمثل هذا العقاب الشديد سوف لا تكون حصيلته القلوب المنكسرة لأن الأثر الأخلاقى معبر عنه بعبارات بسيطة « جدَّف الناس على الله » تماماً كما قسَّى فرعون قلبه عندما ازدادت شدة الضربات .

النار : (٨ : ٥ و ٧ ، ٩ : ١٨ ، ١١ : ٥ ، ١٣ : ١٣ ، ١٤ : ١٠ ، ١٥ : ٢ ، ١٩ : ١٢ و ٢٠ ، ٢٠ : ٩ و ١٠ و ١٤ و ١٥ ، ٢١ : ٨ ، ٢٢ : ٥) :

هذه القوة المخيفة من قوى الطبيعة مذكورة بكثرة أكثر من أى شئ آخر فى سفر الرؤيا. فالنار ، كرمز لقداسة الله وكراهيته للخطية قوة أخرى يستخدمها الله لإتمام إرادته وكلمته (مز ١٤٨ : ٨) . والمسيح مكتوب عنه هكذا « عيناه كلهيب نار » (٢ : ١٨ ، ١٩ : ١٢). وهذا رمز لعلمه الإلهى وقوته لفحص قلوب البشر (٢: ٢٢).« ورجلاه كعمودى نار »(١٠ : ١) ، وهذا

يدل على الاستقرار والثبات وقداسة أحكام عدله التى لا تتحيز لأحد . فلا يمكن لأحد أو لشئ أن يهرب من نظرته الفاحصة .

وعندما ضرب البوق الأول « فالنار» تعبير عن الغضب الإلهى» فالدينونة الشاملة التى لا يفلت منها أحد والتى تتسم بالشدة مشبهة بالنار» ، وعند البوق السادس أو الويل الثانى ، فإن راكبى الخيول يقال عنهم بأن لهم « دروع نارية ». يقول والتر سكوت :« حسن أن يطلق على خليط النار والبرد والكبريت درع جهنم » . والنار والكبريت استخدمتا كعقاب من السماء (تك ١٩ : ٢٤) وهما يرمزان للعذاب الأبدى (١٤ : ٩ - ١٢) ، والعذاب الذى لا يمكن أن يوصف (رؤ ١٩ : ٢٠ ، ٢٠ : ٩ ، ١٠ - ١٥ ، ٢١ : ٨) . والنار التى تخرج من فم الشاهدين تشهد لقوتهما المعجزية ، فهذه العلامة ذات الطبيعة المعجزية تؤيد مهمتهما كممثلين لله (انظر مز ٦٨ : ١٨) « وبحر الزجاج المخلوط بنار» ، يرمز للاضطهاد الشديد تحت حكم الوحش ، وهو ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة ولن يكون (مر ١٣ : ١٩). لن يكون هناك شئ شبيه بأهوال الضيقة العظيمة . وكم ينبغى أن نكون شاكرين أنه عن طريق النعمة سوف ننجو من هذه الضيقة ولن نجتازها !

الرياح (٦ : ١٣ ، ٧ : ١)

إن الرياح التى خلقها الله تتمم إرادته . وقد سبق أن رأينا كيف أنه يتحكم فيها ويأمرها (تك ٨ : ١، خر ١٠ : ١٣ ، مت ٨ : ٢٤ - ٢٧) . سوف تمسك الأربع ملائكة بأربع رياح الأرض حتى لا تهب ريح على الأرض ولا على الشجر حتى يختم عبيد الله وهذا يبين كيف يمكن التحكم فى هذه القوى الطبيعية . إن الرقم « أربعة » وهو رقم الأرض يدل على كمال وشمولية العمل الإلهى . يلفت والتر سكوت انتباهنا فى الهامش لحقيقة أنه فى الكتاب المقدس ،أن المصاعب السياسية والمصاعب الأخرى يعبر عنها فى عبارة « رياح الأرض » (أى ١ : ١٩ ، إر ٤٩ : ٣٦ ، دا ٧ : ٢). ويجب التمييز بين « رياح السماء » و« رياح الأرض ». فالتعبير الأول يشير لإجراءات العناية الإلهية التى يستخدمها الله لتنفيذ أغراضه بينما يشير التعبير الثانى للمكان الآثم الذى تنهال عليه الضربات والكوارث وهو الأرض .

الضربات (١٥ : ١و ٦ ، ١٨ : ٨ ، ٢١ : ٩ و ١٠ ، ٢٢ : ١٨و ١٩)

من الضرورى أن نذكر كلمة عامة عن الضربات قبل أن نأتى للضربات الخاصة التى ذكرها يوحنا . فقد ذكر أن سبعة ملائكة « معهم السبع الضربات الأخيرة » ، فالضربات الأولى كانت تلك التى حلت بالمصريين ، وهنا أمامنا الضربات الأخيرة التى أنزلها الله . وبانصباب الضربات السبع فإن غضب الله المحتجز والمركز يطلق له العنان ، لابد من نزول المزيد من ضربات الانتقام الإلهى ولكن هذه الضربات تمثل غضب الحمل (رؤ١٩، مت ٢٥ :٣١-٤٦).

إن التحذير النهائى لسفر الرؤيا هو احتجاج خطير ضد أولئك الذين يحاولون التلاعب والاستهتار بكلمة الله المعصومة من الخطأ وبخاصة السفر الأخير . فالذين يضيفون من عندياتهم إلى السجل المقدس أو يحذفون منه تنزل عليهم الضربات ويحل بهم العقاب (تث ٤ : ٢ ، ١٢ : ٣٢). فالعبث بكلمات نبوة سفر الرؤيا يعنى أن يعرض الإنسان نفسه للضربات الإلهية . فالإضافه إلى كلماتها سوف يعنى المزيد من العقاب والحذف منها يعنى أن يحذف الله نصيبه من شجرة الحياة . ما أخطر التلاعب بكلمة الله (٢تى٣:٧).

المجاعة (٦ : ٦ - ٨):

إن الله مصدر كل البركات يمكن أن يمنح الطعام أو يمنعه ، وكما رأينا فى معجزات العهد القديم ، كانت المجاعة عقاباً من الله على الخطية (٢ مل ٨ : ١ ، مز ١٠٥ : ١٦ ، إر١ : ١ ، تك ٤١ : ٢٥ - ٣٦ و ٤٢ ، إر ٤ : ٢٨) . عند فتح الختم الثالث نرى وصفاً لمجاعة مريعة .فالغلتان الرئيسيتان ، القمح والشعير ، اللتان تكونان مادة الحياة ، سوف توزعان بالوزن وتباعان بأسعار باهظة بسبب المجاعة - نظراً لندرتهما (لا ٢٦ : ٢٦، حز ٤ : ١٠-١٧) . فى تلك الأيام المرعبة يصور الرائى أن الموت سيكون راحة من عذاب الجوع .

الجراد (٩ : ٣ - ١١) :

إن جيوش الجراد تطيع أمر ذاك الذى خلقها (خر ١٠ : ١٣و ١٩)، فأعداد كبيرة من هذه المخلوقات ستقوم بالانتقام من العصاة (خر ٨ : ١٩) ، وجيش الجراد الذى كتب يوحنا عنه تمثيلاً رمزياً لعقاب شديد الوطأة لا يتحمله البشر ، ولدغة العقرب ، مخلوق يتحاشى النور ، تسبب ألماً فظيعاً ، وهى تهز ذيلها دائماً لتضرب ضربتها ، وعذاب اللدغة مؤلم جداً . والأسلوب الذى يستخدمه يوحنا يوحى بضربة محدودة الأثر ، ضربة تدوم خمسة أشهر - وهى المدة المعتادة التى يعيشها الجراد . وهذه المدة المحددة تشير لفترة وجيزة محدودة من العذاب وليس بالضرورة لخمسة أشهر حرفية، وملك هذا الجيش من الجراد هو الشيطان . وقد لاحظ الملك سليمان ذلك المراقب المدقق للطبيعة أن « الجراد ليس له ملك » (أم ٣٠ : ٢٧) . ومع ذلك فالشيطان هو قائد جيوش الشر فى الصراع المقبل . ومهما كانت شدة هذه الضربة فأولاد الله محفوظون (لو ١٠ : ١٩). فلا شئ سوف يضر من لهم ختم الله على جباههم . والوصف العجيب للجراد المذكور المرسل لتعذيب البشر لا صلة له بالصفات التشريحية للجراد العادى .

الدمامل (١٦ : ٢) :

بعد سكب جامة الغضب الأولى سوف تحدث « دمامل خبيثة وردية » تصيب الذين بهم سمة الوحش والذين يسجدون لصورته . يمكن مقارنة هذا العقاب الإلهى بالضربة السادسة التى حلت بالمصريين وكانت أول الضربات التى تصيب أجساد المصريين بما فيهم السحرة (خر ٩ : ١٠ و١١) ، وكانت هذه الدمامل الأليمة مرضاً مقززاً وكريهاً (تث ٢٨ : ٢٧ - ٣٥) . لقد كان لعازر البلايا مضروباً بهذه الدمامل التى لا شفاء منها . بعد سكب جامة الغضب الأولى كان على الناس تحمل أورام تخرج تقيحات بشكل منفر . فالألم الجسدى والعقلى والنفسى متصل بهذه الدمامل « الخبيثة والردية » - والكلمة تعنى حرفياً « قرحة رديئة » .

البحر كالدم (١٦ : ٣ و ٤ ، ١٨ : ٢١):

عند سكب جامة الغضب الثانية والثالثة ، تتحول الأنهار والينابيع إلى دم ، وهى ضربة تذكرنا بما جاء فى سفر الخروج ٧ : ١٧ - ٢٥ . فالملائكة أعطيت سلطان على الرياح (٧ : ١) وعلى النار (١٤ : ١٨)، وهنا نرى ملاك المياه (١٦ : ٥) . فى الضربة الأولى على مصر تحولت المياه إلى دم حرفياً وبالفعل . وهنا يصور يوحنا ، فى هذين الجامتين مشهد الموت الأدبى والانفصال الكامل عن الله مصدر الحياة . إن المياه تشير للشعوب (إش ١٧ : ١٢ و ١٣) «والبحر» يعنى الاضطراب والقلاقل بين الشعوب (إش ٥٧ : ٢٠ ، دا ٧ : ٣) . وقد ذكر عن الشهداء الذين قتلوا بأنهم يشربون الدم لأنهم مستحقون ، فالدم الذى يصب لهم من قبل إعدائهم مجاناً وبكثرة هو شهادة الموت .

الظلام (١٦ : ١٠ و١١) :

فى الواقع تعد « عباءة الليل » كما يصف شكسبير« الظلام» شيئاً سلبياً . فالظلام الحرفى هو غياب النور المنبعث من الأنوار الفوقية . وبحجب الله للنور ، جعل الله الظلام ينتشر فى كل أنحاء مصر (خر ١٠ : ٢١ - ٢٣ ، ٢٠ : ٢١)، وبالمثل فالظلام غطى عار ابنه الحبيب عندما مات على الصليب . وهنا عند سكب جامة الغضب الخامسة أظلمت مملكة الوحش . وكما فى القديم ، فنحن نتوقع أن شعب الله الذى يكون على الأرض حينئذ سوف لا يعانون من ويلات الظلام الكامل بما فيه من أهوال (خر١٠ : ٢٣).

عندما حدثت ضربة الظلام فى القديم ، فالمملكة التى كانت تفتخر بأنها مليئة بالنور أصبحت مظلمة ، وامبراطورية الوحش المزهوة بكل ما فيها من نور وتعليم سوف يخيم عليها ظلام دامس مصحوب برعب شديد (إش ٢ : ١٢ - ٢٢ ، رؤ ٦ : ١٢ - ١٧).

يا للأسف ! فحتى عدم إشراق النور سوف لا يجعل الناس يتوبون لأن رعايا المملكة المظلمة سوف «يعضون على ألسنتهم من الوجع» ، فهذه العبارة التى تدل على أشد أنواع الألم العميق غير موجودة فى أى موضع آخر فى الكتاب المقدس . فنظراً لحب الوحش ورعاياه للظلمة وأعمالها الشريرة فإنهم سوف يجدفون على إله السماء ويظلون غير تائبين ، أليس هذا الظلام مقدمة لظلام أبدى أكثر سواداً ؟ (مت ٢٥ : ٣٠). هناك فرق كبير بين هذا الظلام

والملاك الذى قيل عنه « له سلطان عظيم واستنارت الأرض من بهائه » (١٨ : ١) ، ومسكن المفديين الذى قيل عنه « ولا يكون ليل هناك » ! (٢٢ : ٥) . وأما الآن فتعزيتنا أن «الظلمة عند الله كالنور» ، والله يسكن فى الضباب كما يسكن فى نور لا يدنى منه (١ مل ٨ : ١٢ ، ١ تى ٦ : ١٦) .

الشمس والقمر والنجوم (٦ : ١٢ – ١٧ ، ٨ : ١٠ – ١٢ ، ٩ : ٢ ، ١٢ : ٤ ، ١٦ : ٨ ، ٢٢ : ٥) :

هذه المخلوقات الفائقة بارزة بنوع خاص فى آخر سفر فى الكتاب المقدس . فلأنها مصادر ضوء الأرض فمن الشيق أن نلاحظ الدور الذى تلعبه حرفياً ورمزياً فى خطة الله النبوية . وحيث أن الله خلق الكون ، فهو قادر على السيطرة على كل أطوارها لإتمام مقاصده العادلة والصالحة « السموات تحدث بمجد الله » (مز ٨ : ٣ ، ١٩ : ١ ، ١٤٧ : ٤ ، إش ٤٠ : ٢٦ ، ٤٤ : ٢٤) .

تحدثنا فى دراسة سابقة عن الأحداث المعجزية التى يمكن أن نسميها معجزات فلكية أجراها « سيد الكون صانع العجائب »، والآن فى هذا السفر الختامى ، نجد دلائل أخرى على سيادته الفائقة على الخليقة . فحالة الكون الموصوفة فى ظل الختم السادس مخيفة إلى أبعد الحدود » فإظلام الأجرام السماوية كارثة مرعبة فى العالم المادى ومن ثم فهو تشبيه ملائم » ، يستخدمه يوحنا . فالشمس ترمز للسلطة العليا الحاكمة (تك ٣٧ : ٩ ، رؤ ٢١ : ١). يقول والتر سكوت « سوداء كمسح من شعر » ، يدل على قوة الشيطان المعتمة وأن السلطة الأرضية التى يعتمد عليها الجميع ، سوف تصبح فى حالة من الانهيار التام (إش ٥٠ : ٣ ، حز ٧ : ١٨) .

والقمر فى السموات كوكب ثانوى حيث أن نوره ليس مستمداً من ذاته ، فهو يعكس ما يستقبله من نور الشمس ،وفى السياق المستخدم هنا ، فالقمر يرمز لسلطة مستمدة ومشتقة فى العالم الروحى وكونه يصبح «كالدم» ، يدل على الموت الأخلاقى والارتداد لكل سلطة تابعة (ثانوية). و «الدم» رمز شامل للموت (رؤ ١١ : ٦ ، ١٩ : ٢ و ١٣) .

النجوم تعتبر أنواراً أقل شأناً مع أن بعضاً منها أكبر من القمر والشمس ، وعندما تنزل ضربة العقاب الإلهى ، فالسلطات الأقل شأناً ، كالحكام كأفراد ، والسلطات المدنية والمسكونية تسقط أدبياً من مكانتها الرفيعة . فكما تكتسح رياح الغضب الإلهى المشهد ، فالذين ليسوا له ، مهما كان مركزهم رفيعاً ، سوف يتعرضون للعقاب (إش ٣٤ : ٤). وعندما يضرب البوق الثالث والرابع ، فالشمس والقمر والنجوم ككل ترمز لكل الهيئة الحاكمة بدءاً من أعلى سلطة حتى أقل السلطات شأناً – النظام الكامل للحكم بكل مكوناته . يعتبر بعض الكتّاب أن الكوكب الكبير الساقط يرمز لضد المسيح (٩ : ١ و ٢) .

والشيطان « التنين العظيم الأحمر » سوف يجر ثلث نجوم السماء (١٢ : ٤) بمعنى أن نفوذه المهلك للنفوس سوف يسيطر على الجزء الغربى من العالم الرومانى . يا له من عذاب شديد سوف يجتازه الناس عندما تسكب جامة الغضب الرابعة على الشمس ويحترق الناس (١٦ : ٨ و ٩) ! فى أورشليم الجديدة سوف لا يكون هناك داع لوجود الشمس والقمر والنجوم . وسوف لا يحتاج المفديون لنور مخلوق أو صناعى لأنهم سيتمتعون بمجد الرب الساطع على الدوام (٢٢ : ٣ – ٥) .

وعند سكب جامة الغضب السادسة (١٦ : ١٢ – ١٦) سوف يجف نهر الفرات العظيم ،وهذا يوحى بإزالة حاجز يعوق عملاً من أعمال الدينونة حتى يمكن لدول الشرق أن تنقل جيوشها بسهولة إلى كنعان . وظهور « الضفادع » يذكرنا بهذه الضربة على مصر (خر ٨ : ١ – ٤) ، والإشارة إلى الأمطار الغزيرة من السماء(١١:٦) يذكرنا بقدرة إيليا الخارقة على غلق السماء (١ مل ١٧ : ١) . وهناك معجزة سبق أن تأملناها وهى ترد أيضاً فى سفر الرؤيا ، وهى الانتقال الخارق من مكان إلى آخر . فالمسافات لا تمثل عائقاً بالنسبة لله (١ مل ١٨ : ١٢ ، أع ٨ : ٣٩). وطيران المرأة إلى البرية يقدم إيضاحاً آخر على الحركة السريعة الخارقة بقوة الله وحده (١٢ : ١٣ – ١٧) ، تماماً كما حدث مع يوحنا حين انتقل بالروح (١ : ١٠ ، ٤ : ١ و ٢) .

الكلام (١٣ : ٥ و ٦)

ومعجزة أخرى ذات علاقة بكلام الإنسان . قد يقـــول الناس « شفاهنا معنا، من هو سيد علينا » (مز ١٢ : ٤) ، ولكن الله يوضح أن لديه قوة على الكلام واللغة كما رأينا فى معجزة برج بابل ويوم الخمسين . وفى القسم الذى أمامنا أعطى الوحش « فماً يتكلم بعظائم وتجاديف » ، وعندما فتح فمه جدف على الله وعلى اسمه وعلى مسكنه وعلى الساكنين فى السماء . ولله القدرة أيضاً على الألسنة ، لقد أعطى للوحش الحرية ليتكلم ، فلم تكن لديه مقدرة بأكثر مما أعطى له « فمن خلف قوته الطائشة والتى يبدو أنها لا تقاوم هناك قوة الله الحقيقية المحتجبة »، ألم يقل يسوع لبيلاطس:« لم يكن لك علىَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق ؟ »

بعد استرجاع مظاهر القوة الإلهية فى كل مجال فى الكتاب المقدس كله ، ماذا يتبقى لنا سوى أن ننشد بالترنيمة الرائعة لموسى وترنيمة الحمل قائلين :

« عظيمة وعجيبة هى أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شئ . عادلة وحق هى طرقك يا ملك القديسين . من لا يخافك يارب ويمجد اسمك لأنك وحدك قدوس لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك لأن أحكامك قد أظهرت». ويختتم السفر المعجزى ببركة للعقل والقلب والحياة ، «نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم» (٢١:٢٢). وهذه أيضاً صلاة قلبى ككاتب لهذا الكتاب لجميع الذين يقرأونه .

وكعلامة قديمة أحملها لقول مأثور :« أن تفتح كتاباً جيداً يعنى أن تفتح باب عالم جديد »، وإنى لأعتقد اعتقاداً راسخاً أنى بذلت كل ما فى وسعى بإرشاد إلهى لأنتج كتاباً ذا قيمة. وأن هذا الكتاب سوف يفتح عالماً جديداً نتعرف فيه على قوة الله العظيم والذى يستحق كل الحمد.

المعجزة ليست تعطيلا لقوانين الطبيعة، بل إعلان لمفهوم جديد، فالله هو الخالق للطبيعة، وهو القادر على التحكم في قوانينها طبقا للمشيئة الصالحة والعادلة، فبعد أن دخل التشويش إلى العالم بسبب الخطية كان لابد من التدخل المعجزي للقضاء على ذلك التشويش، ولكن ليس معنى ذلك أن الله يكسر القوانين التي وضعها

فكيف يحدث التوازن بين الحفاظ على قوانين الطبيعة وكسرها؟

هذا ما يجيب عليه كتابنا هذا

١٠١٠٣٥٣١

الثقافة